في ظلال الصحيفة السجادية

شرح

محمد جواد مغنية

تحقيق

سامي الغريري

مؤسسة دار الكتاب الإسلامي

في ظلال
الصحيفة السجادية

بسم الله الرحمن الرحيم

في ظلال الصحيفة السجادية

شرح

الشيخ محمد جواد مغنية

حققها

سامي الغريري



الطبعة الأولى
محققة ومزيدة ومنقحة

مؤسسة دار الكتاب الإسلامي



الكتاب : .... في ظلال الصحيفة السجادية

المؤلف : .... العلامة محمد جواد مغنية (ره)

الناشر: ....مؤسسة دار الكتاب الاسلامي

الطبعة : .... الرابعة ١٤٢٨هـ.ق / ٢٠٠٧م

المطبعة : .... ستار

عدد النسخ : ....(٢٠٠٠) نسخة

الترقيم الدولي: ٢- ٠٤٩ - ٤٦٥- ٩٦٤- ٩٧٨

ISBN: 978 - 964 - 465 - 049 - 2

قم - ميدان المعلم - شارع رقم ٢٢ - المبنى رقم ٢٦

تلفن: ٧٧٤٤٩٧٠ - ٧٧٣٠٩٩٤

فاكس: ٧٨٣٧٣٨٣

فهرس المطالب

مقدمة الناشر

بِسْمِ ٱللَّهِ وله الحَمْد

والصَّلاَة علىٰ رَسُول ٱللَّهِ، وَآلِهِ الطَّيِّبِين الطَّاهِرِينَ.

نظراً لنفاد نسخ الطَّبعة الأولىٰ من هذا السّفر الجليل.

ونظراً لتزايد الطَّلب عَلَيْهِ من قبل القُرَّاء الأعزاء في أقطار إسلامية عديدة.

ونظراً لما حواه هذا ٱلكِتَاب من معانٍ سامية تجعل ٱلإنسَان يعيش في عالم من الإنشداد إلىٰ السَّماء، والتَّوجه إلىٰ ٱللَّهِ سبحانه. وأفكار هادية إلىٰ الْحَقّ، والْخَيْر، والعدل، وتربية رائدة تأخذ بيد هذا المَخْلُوق نحو كماله، وسعادته في الدّارين.

ولا غرو، فقد أبدعته روح أهْل ٱلبَيْت ﷺ الشَّجرة الطَّيبة الَّتي تؤتي أُكلها كلّ حين بإذن ربها. ومعدن العلم، ومنهل الطُّهر، والفضيلة لكلّ ذٰلِكَ، وٱنسجاماً مع أهداف مؤسسة دار ٱلكِتَاب الإسلامي تنويع المنافذ الَّتي يطل منها ٱلإنسَان المُسلم علىٰ تراثه الإسلامي في شتىٰ الحقول نقدم للقُراء الأعزاء الطَّبعة المحققة من هذا ٱلكِتَاب، بعدما نشرته دار التعارف بطبعته الثالثة...

حقاً إنّ إحياء التّراث الإسلامي العلمي، والأدبي لأُمّة من الأُمم، وجيل من

الأجيال من ظواهر الشّعور القوي الّتي تُبشر بالخير، وتدل علىٰ الوعي. وتأريخنا القديم، الأدبي، والثقافي، يذخر بالرّائع من ثمار القرائح، ونتاج الأفكار. وليس زبور آلِ مُحمّد ﷺ، إلاّ مثلاً رائعاً من أمثال تلك الذّخائر المغمورة، والكنوز المطمورة.

هذا الزبور الّذي بين أيدينا شرحه العلاّمة مُحمّد جَواد مغنيّة ﵀، وحققه الأُستاذ سامي الغريري بعد أنْ أخرجه من مخبئه، ومسح الغُبار عن أجنحته ـ ومنحه الحُرية ليطير ـ فقد ضمه علىٰ يديه فكانت باردة، مُبتلّةً، لاهثةً، كعصفور غاب عن وطنٍ له. طار ألف قرن، ثُمّ خفي تحت الثّلج، والمطر، ثُمّ تنفس في أقفاس المكتبات.

وعندما فتح غطاء الكنز المسحور ـ وأوقد الضياء ـ، وبدأ يقرأ جرىٰ علىٰ الحروف المشتعلة، كأنّه يركض علىٰ جسرٍ من أعواد الكبريت، كلّما طمس عوداً تفجر ـ وفجر غيره ـ فاقتبس من نوره، وأنار من ضياءه.

وآللّه من وراء القصد

النّاشر

الشّارح في سطور

هو العلاّمة الجليل، والمفكر الإسلامي الكبير الشّيخ مُحمّد جَواد بْـن الشّـيخ محمود مُغنية، من أبرز علماء لبنان، ولِدَ سَنَة (١٣٢٢ هـ)، في قرية طير دبا مـن جبل عامل، دَرَس علىٰ شيوخ قريته، ثُم سافر إلىٰ النّجف الأشرف، وأنهىٰ هناك دراسته، ومن أبرز أساتذته، السّيد حُسين الحمامي ﷺ، والسيّد الخوئي ﷺ، ثُم عاد إلىٰ جبل عامل، وسكن قرية طير حرفا، ثُم عُين قاضياً شرعياً في بـيروت، ثُـم مستشاراً للمحكمة الشّرعية العُليا، فرئيساً لها بالوكالة إلىٰ أنْ أُحيل علىٰ التّقاعد.

والشّيخ ـ ﷺ ـ من الّذين أبدعوا في شتىٰ الميادين الإسلامية، والإجتماعية، والوطنية، توجه بإنتاجه، وأفكاره بصورة خاصة إلىٰ جيل الشّباب في المدارس، والجامعات، والحياة العامة، فكان يُعالج في كُتبه المشاكل، والمسائل الّتي تؤرقهم، وتثير قلقهم كمسائل العلم، والإيْمَان، ومسائل الحضارة، والدّين، ومشاكل الحياة المادية، والعصرية، وكان يقضي في مكتبته بين (١٤ ـ ١٨) ساعة من اليوم، واللّيلة.

أمّا مؤلفاته فإنّها تربو علىٰ إثـنين وسـتين كـتاباً، وله كـثير مـن المـقالات، والنّشرات وكان كثير الذّب عن التّشيع بلسانه، وقلمه ضد التّجني، والأفتراءات الّتي

تصدر هنا وهناك، توفي لَيْلَةِ السّبت في التّاسع عشر من محرم الحرام (١٤٠٠ هـ)، ونُقل جثمانه إلىٰ النّجف الأشرف، وشُيع تشيعاً باهراً حيث صلّىٰ عَلَيْهِ السّيد الخوئي ﷺ، ودُفن في إحدىٰ غُرف مقام الإمام عليّ بْن أبي طالب ﷺ.

أُنظر، كتابه تجارب مُحمّد جواد مُغنيه بقلمه، وأعيان الشّيعة: ٢٠٥/٩ (بتصرف).

أهم مؤلفات الشّارح المطبوعة

١ ـ الوضع الحاضر في جبل عامل. نقد.

٢ ـ الفصول الشّرعية. طبع مرات عديدة.

٣ ـ مع الشّيعة الإمامية.

٤ ـ الشّيعة والتّشيع.

٥ ـ الإثنا عشرية وَأَهْل ٱلْبَيْت.

ونشرت دار التّعارف ببيروت هَذِهِ الكتب الثّلاثة في مجلد واحد باسم (الشّيعة في الميزان).

٦ ـ أَهْل ٱلْبَيْت. نقد.

٧ ـ الشّيعة والحاكمون. طبع عدة مرات.

٨ ـ الإِسْلاَم والحياة. نقد، طبع عدة مرات.

٩ ـ ٱللَّه والعقل. طبع عدة مرات.

١٠ ـ شبهات الملحدين والإجابة عنها. طبع مرات عديدة.

١١ ـ النّبوة والعقل. طبع عدة مرات.

١٢ ـ الآخرة والعقل. طبع عدة طبعات.

١٣ ـ المهدي المنتظر والعقل. طبع عدة مرات.

١٤ ـ إمامة عليّ والعقل. طبع مرات عديدة.

١٥ ـ عليّ والقرآن. طبع مرات عديدة.

١٦ ـ الحسين والقرآن. طبع مرات عديدة.

١٧ ـ مفاهيم إنسانية في كلمات الإمام الصّادق ﷺ. طبع مرات عديدة.

١٨ ـ بين ٱللّٰه وٱلإنسان. طبع مرات عديدة.

ونشرت دار التّعارف هٰذِهِ الكتب العشرة الأخيرة بإضافة (الإثنا عشرية) في مجلد واحد باسم عقليات إسلامية.

١٩ ـ مذاهب ومصطلحات فلسفية. طبع دار التّعارف.

٢٠ ـ الفقه علىٰ المذاهب الخمسة / قسم العبادات. طبع مرات عديدة.

٢١ ـ الْحَجّ علىٰ المذاهب الخمسة. طبع عدة مرات.

٢٢ ـ الزّواج والطّلاق علىٰ المذاهب الخمسة. طبع مرات عديدة.

٢٣ ـ الوصايا والمواريث علىٰ المذاهب الخمسة.

٢٤ ـ الوقف علىٰ المذاهب الخمسة.

ونشرت دار العلم للملايين هٰذِهِ الكتب الخمسة في مجلد واحد باسم الفقه علىٰ المذاهب الخمسة.

٢٥ ـ قيم أخلاقية في فقه الإمام الصّادق. طبع دار التّعارف.

٢٦ ـ فضائل الإمام عليّ. طبع مرات عديدة.

٢٧ ـ دول شيعية. نفد.

٢٨ ـ عليّ والفلسفة.

٢٩ ـ معالم الفلسفة.

٣٠ ـ نظرات في التّصوف.

٣١ ـ فلسفة المبدأ والمعاد.

٣٢ ـ فلسفة ٱلتَّوْحِيد والْوِلايَة.

٣٣ـ الإسْلاَم بنظرة عصرية. طبع دار العلم للملايين.

ونشرت دار التّعارف هَذِهِ الكتب السّته الأخيرة في مـجلد واحـد بـاسم فلسفات إسلامية.

٣٤ـ المجالس الحُسينية. طبع مرات عديدة.

٣٥ـ مع بطلة كربلاء. طبع مرات عديدة.

وقد نشرت دار التّعارف هذين الكتابين في مجلد واحد باسم الحُسـين، وبطلة كربلاء.

٣٦ـ مع علماء النّجف. نقد.

٣٧ـ هذي هي الوهابية. نقد.

٣٨ـ من هنا وهناك. نقد.

٣٩ـ الوجودية والغثيان. طبعة ثانية / دار التّعارف.

٤٠ـ فقه الإمام الصّادق عليه السلام. طبعة ثانية / دار العلم للملايين.

٤١ـ التّفسير الكاشف. طبعة ثانية / دار العلم للملايين.

٤٢ـ في ظلال نهج البلاغة. طبعة ثانية / دار العلم للملايين.

٤٣ـ فلسفة الأخلاق في الإسْلاَم. طبع دار العلم للملايين.

٤٤ـ علم أُصول الفقه في ثوبه الجديد. طبع دار العلم للملايين.

٤٥ـ أُصول الإثبات في الفقه الجعفري. طبع دار العلم للملايين.

٤٦ـ التّفسير المبين علىٰ هامش الْقُرْآن ٱلْكَرِيمِ. طبع دار التّعارف.

٤٧ـ تفسير الصَّحِيفَة السَّجاديَّة (هذا ٱلْكِتَاب الَّذِي تحت أيدينا للتحقيق).

٤٨ـ من ذا وذاك.

٤٩ـ الخميني والدّولة الإسلامية.

٥٠ـ صفحات لوقت الفراغ.

المُقدّمةُ

المُقدّمةُ

هَذِهِ الصَّحِيفَة الكَاملة الجامعة الشّريفة للدعواتِ المأثورةِ إملاء سيدِ السّاجدِين عَلِيّ بْن الْحُسَين زَيْنِ العَابدِينَ صلوات ٱللّٰهِ وسلامه عَلَيْهِ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حَدّثَنَا الْسَيّدُ الأجَلُّ نَجْمُ الْدّينِ بَهَآءُ الْشَرَفِ أبو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحسَنِ بْنِ أحمَدَ ابْنِ عَلِيّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْن يَحيىٰ الْعَلَوِيُّ الْحُسَيْنِيُّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: أَخْبَرَنَا الشَّيخُ السَّعِيدُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أحْمَدَ بنِ شَهْرَيارَ الْخَازِنُ لِخِزَانَةِ مَوْلانا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيّ بْنِ أَبِي طالِبِ عَلَيْهِ السَّلامُ في شَهْرِ رَبِيعِ الأوَّلِ مِنْ سَنَةِ سِتَّ عَشَرَةَ وَخَمْسَمائَةٍ قِرَاءةً عَلَيْهِ وَأَنَا أسْمَعُ قَالَ: سَمِعْتُها عَلَىٰ الشَيْخِ الصَّدُوق أَبي مَنْصُورِ مُحَمَّدِ بْن أَحْمَد بْن عَبْدِ العَزيزِ العُكبَرِيّ المُعَدِّلِ رَحِمهُ اللهُ عَنْ أبي المُفَضَّلِ محمَّد ابنِ عبدِ اللهِ بن المُطّلِبِ الشَّيْبانيِّ قال: حدَّثَنا الشريفُ أبو عبدِ اللهِ جعفرُ بنُ مُحمَّد بن جعفرِ بن الحسنِ بنِ جعفرِ بْن الحسنِ بْن الحسنِ بْن أميرِ المؤْمنين عليِّ بنْ أبي طالبٍ عليهِمُ السَّلامُ قال: حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ عمر بن خطَّابِ الزَّيَّاتُ سنةَ خمسٍ وستِّينَ ومائَتَيْنِ قال: حدّثني خالي عليُّ بْنُ النُّعمان الأَعلمُ قال: حدَّثني عُميرُ بنُ

متوكِّلٍ الثَّقفيُّ البَلْخِيُّ عن أبيهِ مُتوَكِّلِ بنِ هارُونَ قال: لقِيتُ يحيىٰ بنَ زيدِ بن عليٍّ عليهِ السَّلامُ وهوَ مُتوجِّهٌ إلىٰ خُراسانَ فسلَّمْتُ عليهِ فقال لِي: مِنْ أينَ أقبلْتَ؟ قلتُ من الحَجِّ فسألَني عَن أهْلِهِ وبني عمِّهِ بالمدينَةِ وأحفىٰ السُّؤَالَ عَنْ جعفرَ بْن مُحمَّدٍ عليهِ السَّلامُ فأخْبَرتُه بِخَبرِهِ وخبرهِمْ وحُزْنِهِمْ علىٰ أبيهِ زيدِ بْن عليٍّ عليهِ السَّلامُ فَقَالَ لِي: قَدْ كانَ عَمِّي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ أَشَارَ عَلَىٰ أَبِي بِتَرْكِ الْخُرُوجِ، وَعَرَّفَهُ إنْ هُوَ خَرَجَ وَفَارَقَ الْمَدِيْنَةَ مَا يَكُونُ إِلَيْهِ مَصِيْرُ أمْرِهِ، فَهَلْ لَقِيتَ ابْنَ عَمِّي جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَهَلْ سَمِعْتَهُ يَذْكُرُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِي؟ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: بِمَ ذَكَرَنِي؟ خبِّرْني، قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا أُحِبُّ أَنْ أَسْتَقْبِلَكَ بِما سَمِعْتُهُ مِنْهُ، فَقَالَ: أبالْمَوْتِ تُخَوِّفنِي؟! هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ فَقُلْتُ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إنَّكَ تُقْتَلُ وتُصْلَبُ كَمَا قُتِلَ أَبُوكَ وَصُلِبَ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ وَقَالَ: يَمْحُو ٱللَّه مَا يَشَآءُ وُيثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ، يَا مُتَوَكِّلُ إنَّ اللهَ عَزَّ وَجلَّ أيَّدَ هَذَا الأمْرَ بِنَا، وَجَعَلَ لَنَا الْعِلْمَ وَالْسَّيْفَ، فَجُمِعَا لَنَا وَخُصَّ بَنُو عَمِّنَا بِالعِلْمِ وَحْدَهُ، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ إنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ إِلَىٰ ابْنِ عَمِّكَ جَعْفَرَ عَلَيْهِ السَّلامُ أمْيَلَ مِنْهُمْ إلَيْكَ وَإِلَىٰ أَبِيكَ؟ فَقَالَ: إنَّ عَمِّي مُحَمَّد ابْنَ عَلِيٍّ وَابْنَهُ جَعْفَرَ عَلَيْهِمَا السَّلام دَعَوَا النَّاسَ إِلَىٰ الْحَيَاةِ، وَنَحْنُ دَعَوْنَاهُمْ إِلَىٰ الْمَوْتِ، فَقُلْتُ يَا ابْنَ رَسُولِ ٱللَّه أَهُمْ أَعْلَمُ أمْ أَنْتُمْ؟ فَأَطْرَقَ إِلَىٰ الأرْضِ مَلِيّاً ثُمَّ رَفَعَ رَأسَهُ وَقَالَ: كُلُّنَا لَهُ عِلْمٌ غَيْرَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ كُلَّمَا نَعْلَمُ، وَلاَ نَعْلَمُ كُلَّمَا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ قَالَ لِي: أَكَتَبْتَ مِنْ ابْنِ عَمِّي شَيْئاً؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَرِنِيْهُ، فَأَخْرَجْتُ إِلَيْهِ وُجُوهاً مِنَ الْعِلْمِ، وَأَخْرَجْتُ لَهُ دُعَاءً أَمْلاَهُ عَلَيَّ أَبُو عَبْدِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلامُ وَحَدَّثَنِي أَنَّ أَبَاهُ مُحَمَّد ابْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلامُ أَمْلاَهُ عَلَيْهِ وَأَخْبَرَهُ أنَّهُ مِنْ دُعَاءِ أَبِيهِ عَلِيٍّ بنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ مِنْ دُعَاءِ الصَّحِيفَةِ الْكَامِلَةِ، فَنَظَرَ فِيهِ يَحْيَىٰ حَتَّىٰ أَتَىٰ عَلَىٰ آخِرِهِ وَقَالَ لِيْ: أَتَأْذَنُ فِي نَسْخِهِ؟ فَقُلت: يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ أَتَسْتَأْذِنُ فِيمَا هُوَ

عَنْكُمْ ؟! فَقَالَ: أَمَا لأُخْرِجَنَّ إِلَيْكَ صحِيفَةً مِنَ الدُّعَآءِ الْكَامِلِ مِمَّا حَفِظَهُ أَبِي عَنْ أَبِيهِ وَإِنَّ أَبِي أَوْصَانِي بِصَوْنِهَا وَمَنْعِهَا غَيْرَ أَهْلِهَا قَالَ عُمَيْرٌ: قَالَ أَبِي: فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقَبَّلْتُ رَأْسَهُ وَقُلْتُ لَهُ: وَاللَّهِ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ إِنِّي لأَدِينُ اللّٰه بِحُبِّكُم وَطَاعَتِكُمْ، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ يُسْعِدَنِيْ فِي حَيَاتِي وَمَمَاتِي بِوَلاَيَتِكُمْ. فَرمَى صَحِيفَتِي الَّتِي دَفَعْتُهَا إِلَيْهِ إِلَىٰ غُلامٍ كَانَ مَعَهُ وَقَالَ: اكْتُبْ هٰذَا الدُّعاءَ بِخَطٍّ بَيِّنٍ حَسَنٍ وَاعْرِضْهُ عَلَيَّ لَعَلِّي أَحْفَظُهُ؛ فَإِنِّي كُنْتُ أَطْلُبُهُ مِنْ جَعْفَرٍ حَفِظَهُ اللَّهُ فَيَمْنَعُنِيهِ، قَالَ مُتَوَكِّلٌ: فَنَدِمتُ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُ وَلَمْ أَدْرِ مَا أَصْنَعُ، وَلَمْ يَكُنْ أَبُو عَبْدِ اللّٰهِ عَلَيْهِ السَّلامُ تَقَدَّمَ إِلَيَّ أَلَّا أَدْفَعَهُ إِلَىٰ أَحَدٍ، ثُمَّ دَعَا بِعَيْبَةٍ. فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا صَحِيفَةً مُقْفَلَةً مَخْتُومَةً. فَنَظَرَ إِلَىٰ الْخَاتَمِ وَقَبَّلَهُ وَبَكَىٰ. ثُمَّ فَضَّهُ وَفَتَحَ الْقُفْلَ، ثُمَّ نَشَرَ الصَّحِيفَةَ وَوَضَعَهَا عَلَىٰ عَيْنِهِ وَأَمَرَّهَا عَلَىٰ وَجْهِهِ وَقَالَ: وَاللّٰهِ يَا مُتَوَكِّلُ لَوْلاَ مَا ذَكَرْتَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ عَمِّيْ إِنَّنِيْ أُقْتَلُ وَأُصْلَبُ لَمَا دَفَعْتُهَا إِلَيْكَ، وَلَكُنْتُ بِهَا ضَنِيناً وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ قَوْلَهُ حَقٌّ أَخَذَهُ عَنْ آبَائِهِ وَأَنَّهُ سَيَصِحُّ فَخِفْتُ أَنْ يَقَعَ مِثْلُ هَذَا العِلْمِ إِلَىٰ بَنِي أُمَيَّةَ فَيَكْتُمُوهُ وَيَدَّخِرُوهُ فِي خَزَائِنِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ فَاقْبِضْهَا وَأَكْفِنِيهَا وَتَرَبَّصْ بِهَا فَإِذَا قَضَى اللّٰهُ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ هؤُلآءِ الْقَوْمِ مَا هُوَ قَاضٍ فَهِيَ أَمَانَةٌ لِي عِنْدَكَ حَتَّىٰ تُوصِلَهَا إِلَىٰ ابْنَيْ عَمِّي مُحَمَّدٍ وَإِبْرَاهِيمَ ابْنَيْ عَبْدِاللّٰهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ‌ؑ فَإِنَّهُمَا الْقَائِمَانِ فِي هَذَا الأَمْرِ بَعْدِي:

قَالَ الْمُتَوَكِّلُ: فَقَبَضْتُ الصَّحِيفَةَ فَلَمَّا قُتِلَ يَحْيَىٰ بْنُ زَيْدٍ صِرْتُ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ فَلَقِيتُ أَبَا عَبْدِ اللّٰهِ‌ؑ فَحَدَّثْتُهُ الْحَدِيْثَ عَنْ يَحْيِىٰ فَبَكَىٰ وَاشْتَدَّ وَجْدُهُ بِهِ وَقَالَ: رَحِمَ اللَّهُ ابْنَ عَمِّيَ وَأَلْحَقَهُ بِآبائِهِ وَأَجْدَادِهِ، وَاللّٰهِ يَا مُتَوَكِّلُ مَا مَنَعَنِي مِنْ دَفْعِ الدُّعَاءِ إِلَيْهِ إِلَّا الَّذِي خَافَهُ عَلَىٰ صَحِيفَةِ أَبِيهِ، وَأَيْنَ الصَّحِيفَةُ؟ فَقُلْتُ هَا هِيَ، فَفَتَحَهَا وَقَالَ: هَذَا وَاللّٰه خَطُّ عَمِّي زَيْدٍ وَدُعَآءُ جَدِّي عليِّ بنِ الْحُسَيْنِ‌ؑ ثُمَّ قَالَ لابْنِهِ: قُمْ يَا

إسْماعِيلُ فَأْتِنِي بِالدُّعَاءِ الَّذِي أَمَرْتُكَ بِحِفْظِهِ وَصَوْنِهِ. فَقَامَ إِسْمَاعِيلُ فَأَخْرَجَ صَحِيفَةً كَأَنَّهَا الصَّحِيفَةُ الَّتِي دَفَعَهَا إِلَيَّ يَحْيَىٰ بْنُ زَيْدٍ فَقَبَّلَهَا أبو عَبْدِ اللّٰهِ وَوَضَعَهَا عَلَىٰ عَيْنِهِ وَقَالَ: هذَا خَطُّ أَبِي وَإِمْلاَءُ جَدِّيْ عليه السلام بِمَشْهَدٍ مِنّي. فَقُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللّٰهِ إِنْ رَأَيْتَ أَن أعْرِضَهَا مَعَ صَحِيفَةِ زَيْدٍ وَيَحْيَىٰ؟ فَأَذِنَ لِي فِي ذَٰلِكَ وَقَالَ قَدْ رَأَيْتُكَ لِذَلِكَ أَهْلاً. فَنظَرْتُ وَإِذَا هُمَا أَمْرٌ وَاحِدٌ وَلَمْ أَجِدْ حَرْفاً مِنْهَا يُخَالِفُ مَا فِي الصَّحِيفَةِ الأُخْرىٰ. ثُمَّ اسْتَأْذَنْتُ أَبَا عَبْدِ اللّٰهِ عليه السلام في دَفْعِ الصَّحِيفَةِ إِلَىٰ ابْنيْ عَبْدِ اللّٰه بْنِ الْحَسَنِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾[1] نَعَمْ فَادْفَعْهَا إِلَيْهِمَا. فَلَمَّا نَهَضْتُ لِلِقَآئِهِمَا قَالَ لِيْ: مَكَانَكَ ثُمَّ وَجَّهَ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ وَإِبْراهِيمَ فَجَآءَا فَقَالَ: هَذَا مِيْرَاثُ عَمِّكُما يَحْيَىٰ مِنْ أَبِيهِ قَدْ خَصَّكُمَا بِهِ دُونَ إِخْوَتِهِ وَنَحْنُ مُشْتَرِطُونَ عَلَيْكُمَا فِيهِ شَرْطاً. فَقَالاَ: رَحِمَكَ اللّٰهُ قُلْ فَقَوْلُكَ الْمَقْبُولُ فَقَالَ لاَ تَخْرُجَا بِهَذِهِ الصَّحِيفَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ. قَالاَ: وَلِمَ ذَاكَ؟ قَالَ: إِنَّ ابْنَ عَمِّكُمَا خَافَ عَلَيْهَا أَمْراً أَخَافُهُ أَنَا عَلَيْكُمَا. قَالاَ: إِنَّمَا خَافَ عَلَيْهَا حِينَ عَلِمَ أَنَّهُ يُقْتَلُ. فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللّٰهِ عليه السلام: وَأَنْتُما فَلاَ تَأْمَنَا فَوَاللّٰهِ إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكُمَا سَتَخْرُجَانِ كَمَا خَرَجَ. وَسَتُقْتَلاَنِ كَمَا قُتِلَ. فَقَامَا وَهُمَا يَقُولاَنِ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّٰهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ. فَلَمَّا خَرَجَا قَالَ لِي أَبُوعَبْدِاللّٰهِ عليه السلام: يَا مُتَوَكِّلُ كَيْفَ قَالَ لَكَ يَحْيَىٰ إِنَّ عَمِّي مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ وَابْنَهُ جَعْفَرَ دَعَوَا النَّاسَ إِلَىٰ الحَيَاةِ وَدَعَوْنَاهُمْ إِلَىٰ الْمَوْتِ؟ قُلْتُ: نَعَم أَصْلَحَكَ اللّٰهُ قَدْ قَالَ لِي ابْنُ عَمِّكَ يَحْيَىٰ ذَلِكَ. فَقَالَ: يَرْحَمُ اللّٰهُ يَحْيَىٰ إِنَّ أَبِي حَدَّثَنِي عَنْ أَبِيهِ عَن جَدِّهِ عَلِيٍّ عليه السلام أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صلى الله عليه وآله أَخَذَتْهُ نَعْسَةٌ وَهُوَ عَلَىٰ مِنْبَرِهِ فَرَأَىٰ في مَنَامِهِ رِجالاً يَنْزُونَ عَلَىٰ مِنْبَرِهِ نَزْوَ الْقِرَدَةِ يَرُدُّونَ النَّاسَ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمُ القهْقَرَىٰ فَاسْتَوَىٰ رَسُولُ اللّٰه صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَالِهِ جَالِساً وَالْحُزْنُ يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ فَأَتَاهُ جَبْرَئِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِهَذِهِ الآيَةِ:

---

(١) النّساء: ٥٨.

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾[1] يَعْنِي بَنِي أُمَيَّةَ فَقَالَ: يَا جَبْرَئِيلُ أَعَلَىٰ عَهْدِي يَكُونُونَ وَفِي زَمَنِي؟ قَالَ: لاَ وَلكِنْ تَدُورُ رَحَىٰ الإِسْلاَمِ مِنْ مُهَاجِرِكَ، فَتَلْبَثُ بِذَلِكَ عَشْراً ثُمَّ تَدُورُ رَحَى الإِسْلاَمِ عَلَىٰ رَأْسِ خَمْسٍ وَثَلاَثِينَ مِنْ مُهَاجِرِكَ، فَتَلْبَثُ بِذَلِكَ خَمْساً ثُمَّ لاَ بُدَّ مِنْ رَحَى ضَلاَلَةٍ هِيَ قَائِمَةٌ عَلَىٰ قُطْبِهَا، ثُمَّ مُلْكُ الفَرَاعِنَةِ قَالَ: وأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي ذَلِكَ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[2] تَمْلِكُهَا بَنُو أُمَيَّةَ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ قَالَ: فَأَطْلَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَنَّ بَنِي امَيَّةَ تَمْلِكُ سُلْطَانَ هَذِهِ الأُمَّةِ وَمُلْكَهَا طُولَ هٰذِهِ الْمُدَّةِ، فَلَوْ طَاوَلَتْهُمُ الْجِبَالُ لَطَالُوا عَلَيْهَا حَتَّىٰ، يَأْذَنَ اللَّهُ تَعَالَى بِزَوَالِ مُلْكِهِمْ وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَسْتَشْعِرُونَ عَدَاوَتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَبُغْضَنَا، أَخْبَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ بِمَا يَلْقَىٰ أَهْلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَأَهْلُ مَوَدَّتِهِمْ وَشِيعَتُهُمْ مِنْهُمْ فِي أَيَّامِهِمْ وَمُلْكِهِمْ قَالَ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾[3] وَنِعْمَةُ اللهِ مُحَمَّدٌ وَأَهْلُ بَيْتِهِ حُبُّهُمْ إِيمانٌ يُدْخِلُ الْجَنَّةَ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ يُدْخِلُ، النَّارَ، فَأَسَرَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذَلِكَ إِلَىٰ عَلِيٍّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: مَا خَرَجَ وَلاَ يَخْرُجُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ إِلَىٰ قِيَامِ قَائِمِنَا أَحَدٌ لِيَدْفَعَ ظُلْماً أَوْ يَنْعَشَ حَقّاً إِلَّا اصْطَلَمَتْهُ الْبَلِيَّةُ، وَكَانَ قِيَامُهُ زِيَادَةً فِيْ مَكْرُوهِنَا وَشِيعَتِنَا.

قَالَ الْمُتَوَكِّلُ بْنُ هارُونَ: ثُمَّ أَمْلَى عَلَيَّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ الأَدْعِيَةَ؛ وَهِيَ

---

(١) الإسراء: ٦٠.

(٢) القَدْرِ: ١ـ٣.

(٣) إبراهيم: ٢٨ـ٢٩.

خَمْسَـةٌ وَسَبْعُونَ بَابـاً سَقَطَ عَنِّيْ مِنْهَا أَحَدَ عَشَرَ باباً، وَحَفِظْتُ مِنْهَا نَيِّفاً وَسِتِّينَ باباً.

وَحَدَّثَنَا أَبُو الْمُفَضَّلِ قَالَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْـحَسَنِ بْـنِ روزْبِـهْ أَبُـو بَكْـرٍ الْمَدَائِنِيُّ الْكَاتِبُ نَزِيلُ الرَّحْبَةِ فِي دَارِهِ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَحْـمَدَ بْـنِ مُسْـلِمٍ الْمُطَهَّرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِيْ عَنْ عُمَيْرِ بنِ مُتَوَكِّلٍ الْبَلْخِيُّ عَنْ أَبِيهِ الْمُتَوَكِّلِ بْنِ هارُونَ قالَ: لَقِيتُ يَحْيىٰ ابْنَ زَيْدِ بنِ عَلِيٍّ ﷺ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِتَمامِهِ إِلَىٰ رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي ذَكَـرَهَا جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدٍ عَنْ آبائِهِ صَلَوَاتُ اللَّه عَلَيْهِمْ. وَفِي رِوَايَةِ الْمُطَهَّرِيِّ ذِكْـرُ الأَبوَابِ وَهِيَ:

١ـ التَّحْمِيدُ لِلّٰه عَزَّ وَجَلَّ.

٢ـ الصَّلاَةُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.

٣ـ الصَّلاَةُ عَلَىٰ حَمَلَةِ الْعَرْشِ.

٤ـ الصَّلاَةُ عَلَىٰ مُصَدِّقِي الرُّسُلِ.

٥ـ دُعَاؤُهُ لِنَفْسِهِ وَخَاصَّتِهِ.

٦ـ دُعَاؤُهُ عِنْدَ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ.

٧ـ دُعَاؤُهُ فِي الْمُهِمَّاتِ.

٨ـ دُعَاؤُهُ فِي الاسْتِعَاذَةِ.

٩ـ دُعَاؤُهُ فِي الاِشْتِيَاقِ.

١٠ـ دُعَاؤُهُ فِي اللَّجَأِ إِلَىٰ اللّٰهِ تَعالىٰ.

١١ـ دُعَاؤُهُ بِخَوَاتِمِ الْخَيْرِ.

١٢ـ دُعَاؤُهُ فِي الاِعْتِرَافِ.

١٣ـ دُعَاؤُهُ فِي طَلَبِ الْحَوَائِجِ.

١٤ـ دُعَاؤُهُ فِي الظُّلاَمَاتِ.

١٥ ـ دُعَاؤُهُ عِنْدَ المَرَضِ.

١٦ ـ دُعَاؤُهُ في الاسْتِقَالَةِ.

١٧ ـ دُعَاؤُهُ عَلَىٰ الشَّيْطَانِ.

١٨ ـ دُعَاؤُهُ فِي الْمحْذُورَاتِ.

١٩ ـ دُعَاؤُهُ فِي الاسْتِسْقَآءِ.

٢٠ ـ دُعَاؤُهُ فِي مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ.

٢١ ـ دُعَاؤُهُ إِذَا حَزَنَهُ أَمْرٌ.

٢٢ ـ دُعَاؤُهُ عِنْدَ الشِّدَّةِ.

٢٣ ـ دُعَاؤُهُ بِالْعَافِيَة.

٢٤ ـ دُعَاؤُه لِأَبَوَيْهِ ﷺ.

٢٥ ـ دُعَاؤُهُ لِوُلدِهِ ﷺ.

٢٦ ـ دُعَاؤُهُ لِجِيرَانِهِ وَأَوْلِيائِهِ.

٢٧ ـ دُعَاؤُهُ لِأَهْلِ الثُّغُورِ.

٢٨ ـ دُعَاؤُهُ فِي التَّفَزُّعِ.

٢٩ ـ دُعَاؤُهُ إِذَا قُتِّرَ عَلَيْهِ الرِّزقُ.

٣٠ ـ دُعَاؤُهُ فِي الْمَعُونَةِ علىٰ قضاءِ الدَّين.

٣١ ـ دُعَاؤُهُ بِالتَّوْبَةِ.

٣٢ ـ دُعَاؤُهُ فِي صَلاَةِ اللَّيلِ.

٣٣ ـ دُعَاؤُهُ فِي الاسْتِخَارَةِ.

٣٤ ـ دُعَاؤُهُ إِذَا ابْتُلِي أَو رَأىٰ مُبْتَلَىً بِفَضِيحَةٍ أَوْ بِذَنْبٍ.

٣٥ ـ دُعَاؤُهُ فِي الرِّضَا بِالقَضَآءِ.

٣٦ـ دُعَاؤُهُ عِنْدَ سَمَاعِ الرَّعْدِ.

٣٧ـ دُعَاؤُهُ فِي الشُّكْرِ.

٣٨ـ دُعَاؤُهُ فِي الاعْتِذَارِ.

٣٩ـ دُعَاؤُهُ فِي طَلَب الْعَفْوِ.

٤٠ـ دُعَاؤُهُ عِنْدَ ذِكْرِ الْمَوْتِ.

٤١ـ دُعَاؤُهُ فِي طَلَبِ السَّتْرِ وَالوِقَايَةِ.

٤٢ـ دُعَاؤُهُ عِنْدَ خَتْمِهِ الْقُرْآنَ.

٤٣ـ دُعَاؤُهُ إِذَا نَظَرَ إِلىٰ الهِلال.

٤٤ـ دُعَاؤُهُ لِدُخُولِ شَهْرِ رَمَضَانَ.

٤٥ـ دُعَاؤُهُ لِوَدَاعِ شَهْرِ رَمَضَان.

٤٦ـ دُعَاؤُهُ لِلْعِيدِ الْفِطْرِ وَالْجُمُعَةِ.

٤٧ـ دُعَاؤُهُ فِي يومِ عَرَفَةَ.

٤٨ـ دُعَاؤهُ فِي يَوْمِ الأَضْحىٰ وَالْجُمُعَةِ.

٤٩ـ دُعَاؤُهُ فِي دَفْعِ كَيْدِ الأَعْدَاءِ.

٥٠ـ دُعَاؤُهُ فِي الرَّهْبَة.

٥١ـ دُعَاؤُهُ فِي التَّضَرُّعِ والاسْتِكَانَةِ.

٥٢ـ دُعَاؤُهُ فِي الإِلْحاحَ.

٥٣ـ دُعَاؤُهُ فِي التَّذَلُّلِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٥٤ـ دُعَاؤُهُ فِي اسْتِكْشافِ الْهُمُومِ.

وَبَاقِي الأَبْوَابِ بِلَفْظِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْحَسَنِيِّ رَحِمَهُ اللهُ حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِالله جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَسَنِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ خَطَّابٍ الزَّيَّاتُ قَالَ: حَدَّثَنِي خَالِي

عَلِيٌّ بنُ النُّعمانِ الأَعْلَمُ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَيْرُ بْنُ مُتَوَكِّلٍ الثَّقَفِيُّ الْبَلْخِيُّ عَنْ أَبِيْهِ مُتَوَكِّلِ ابْنِ هَارُونَ قَالَ أَمْلَىٰ عَلَيَّ سَيِّدِي الصَّادِقُ أَبُو عَبْدِ اللهِ جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدٍ قَـالَ أَمْلَىٰ جَدِّي عَلِيُّ بنُ الْحُسَيْنِ عَلَىٰ أَبِي مُحَمَّـدِ بنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ السَّلاَمُ بِمَشْهَدٍ مِنّي:

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والْحَمْد لله رَبِّ الْعَالَمِين، والصَّلاَة علىٰ مُحمّد وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ.

هل أفر من نَفْسِي

وبعد:

فقد يظن أنّي أُريد الكتابة عن رغبة وشوق، كلا بل هي أرادتـني، وفـرضت نفسها عليَّ، ذٰلِكَ أنّي، منذ سنوات وبعد أنْ بلغت من الكبر عتياً، حاولت الفرار من القلم، وما زلت أُحاول من غير جدوىٰ. وهل أفر من نَفْسِي؟ ربما ولعل... آهٍ، لو كان لِي شاغل، وسبيل غير ٱلكِتَاب، والكتابة، علماً بأنّي كلّما مضيت في البحث، والتّفكير، والتّأليف، لاحت أمامي بارقة رشد هدىٰ إلىٰ طريق العلم، والمعرفة، ولكن، ﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾[1].

(١) مريم: ٤.

من فضله تعالىٰ

أيّ فضل أجل من عنايته تعالىٰ، وتوفيقه إلىٰ تيسير الأسباب الكافية الوافية لتفسير القُرْآن ٱلْكَرِيمِ مرتين[١]، وشرح نهج البلاغة، والصَّحِيفَة السَّجاديَّة، وكِتَاب الفقه علىٰ المذاهب الخمسة، وفقه الإمام الصَّادِق، وأُصوله... إلىٰ العديد من كُتب فلسفة العقيدة، والرّد علىٰ الخصوم، ونافثي السّموم...

سنوات طوالاً قضيتها في الجامعة الإلهية، والرّوضة الْـمحمّدية العـلوية، ولله الْحَمْد.

كثيرون كتبوا، وألفوا في الفقه، والأُصول معاً، ولا أدري إنْ كان بعض هؤلاء ثلّث بالتفسير الكامل، ومن جمع بين الثّلاثة لم يشرح نهج البلاغة ـ فيما أَعْلَم ـ وعلىٰ فرض أنّه ربّع فلم يخمّس بشرح الصَّحِيفَة السَّجاديَّة. ومراراً، وتكراراً الْحَمْد لله: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[٢] وبأي شئ أشكر؟ وكـيف؟ ويهوّن الأمر قول الإمام الصَّادِق عليه السلام برواية سفينة البحار: «مَن أنعمَ ٱللَّه عَلَيْهِ نعمةً فعرفها بقلبهِ، وعلمَ أنّ المُنعم هو ٱللَّه فقد أدىٰ شكرها ـ أي أدنىٰ الشُّكر ـ، وإنْ لم يحرك لسانه، ومَن علم أنّ المُعاقب علىٰ الذُّنُوبِ هو ٱللَّه فقد ٱستغفرَ ٱللَّه، وإنْ لم يُحرك لسانه»[٣].

---

(١) الأولىٰ التّفسير الكاشف، نشرته دار العلم للملايين، وأعادت طبعه. الثّانية التّـفسير المُـبين نشرته دار التّعارف للمطبوعات علىٰ هامش القُرْآن ٱلْكَرِيمِ.

(٢) النّمل: ١٩.

(٣) أُنظر، بحار الأنوار: ٦٨/ ٤٠، مستدرك سفينة البحار: ٢٨/٦، الكافي: ٢/ ٩٥ ح ٩، تـفسير الصّافي: ٣/ ٨٠، التّفسير الآصفىٰ للفيض الكاشاني: ١/ ٦١٢، تفسير نور الثّقلين: ٢/ ٥٢٨.

السّعيد من شهد علىٰ نفسه بالتّقْصِير

وٱللَّه يعلم أنّي أستشعر إنعامه عليَّ، وأرجو عفوه، ورَحْـمَته، وأخشىٰ من غضبه، ونقمته، لعلمي، ويقيني بأنّه تعالىٰ يبتلي عِـبَادِه بـالسّراء، والضّـراء ليـميز الخبيث من الطّيب، ولتظهر الأفعال الّتي يستحق عليها الثّواب، والعقاب... هذا إلىٰ أنّ نسيان العقاب من أكبر الكبائر عند ٱللَّه.

وفي دُعَاء عَرَفَة لمولانا الإمام الحُسين ﷺ: «إلهي أنا ٱلْفَقِير في غناي، فكيف لا أكون فَقِيراً في فقري! إلهي أنا الجاهل في علمي، فكيف لا أكون جهولاً في جهلي»[1] يقول ﷺ: «مهما بلغت من الثّراء فأنا في فقرٍ دائم، وحاجة مطلقة إلىٰ ٱللَّهِ تعالىٰ؛ لأنّ نَفْسِي، ومالي في قبضته، والأشياء كلّها رهنٌ بمشيئته، فكيف إذا كنت أفقر ٱلْفُقَرَاء!». وأيضاً بالغاً ما بلغت من العلم فأنا أجهل الواقع كما هو في علم ٱللَّهِ؛ لأنّ علمي يقوم علىٰ الحس، والفهم، والرّأي الَّذِي يُخطىء، وقد يُصيب، هذا إنْ درستُ، وبحثتُ وٱجتهدتُ، فكيف إذا أهملتُ ولم أجتهد!.

أبعد هذا يسوغ لعاقلٍ أنْ يقول: «أنا سعيد بطاعة ٱللَّه، أو بما ألفتُ، ونشرتُ»؟ أليس من الأفضل عند ٱللَّه، والأجدر بالمؤمن أنْ يتهم نفسه، ويشهد عليها بِالتَّقْصِير ويقول، إنْ مَرَّ بتصورهِ خيالٌ أسودُ: هذا من رجس الشَّيْطَان أعُوذُ بالله منه»؟.

قال رجلٌ لزاهد عابد حقاً وصدقاً: «رأيت في منامي أنّك في الجنّة. فقال له: ويحك، أمَا رأىٰ الشَّيْطَان غيري، وغيرك يسخر منه»؟.

وأي فرق بين من يعجب، ويغتر بالمال، والجاه، أو التّأليف، والنّشر، وَبَيْنَ من

---

(١) أُنظر، بحار الأنوار: ٩٥/٢٢٥، البلد الأمين للكفعمي: ٢١٥، زاد المعاد للمجلسي: ١٤٦، الإقبال لابن طاووس: دعاء عرفة. صحيفة الحسين ﷺ جمع الشيخ جواد القيومي: ٢١١، بالإضافة إلىٰ كلّ كُتب مناسك الحجّ.

يزهو، ويفخر بالطاعة، والعبادة؟ كلاهما كرة بيد الشَّيْطَان. وكلّ أهل الأديان، والمذاهب الباطلة يرون أنفسهم سعداء فيما يدينون. والشّمر رأىٰ نفسه سعيداً بقتل سَيِّد ٱلشُّهَدَاء[1]، ومن قبله ابن ملجم[2] رأىٰ نفسه أتقىٰ الأتقياء. وبعدهما الحجاج.

---

(١) أُنظر، الكامل: ٤ / ٣٥، العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي: ٤ / ٣٨١، مروج الذّهب للمسعودي: ٢ / ٦٥، شرح المقامات للشريشي: ١ / ١٩٣، مقاتل الطّالبيين: ١١٩، ينابيع المودّة: ٣ / ٩١ طبعة أُسوة ينسبها إلىٰ الشّمر بْن ذي الجوشن وهو يفتخر عند يزيد الملعون ويقرأ هٰذِهِ الأبيات.

إملأ ركابي فضةً وذهبا قتلتُ خير الْخَلْق أمّاً وأباً
إنّي قتلت السّيّد المهذّبا وخيرهم جدّاً وأعلىٰ نسبا
طعنته بالرمح حتّىٰ انقلبا ضربته بالسيف صار عجبا

وفي مقاتل الطّالبيين: ١١٩ «أوقر» بدل «املأ» وزاد: فقد قتلت الملك المحجّبا، و«ينسبون» بدل «يذكرون».

وأُنظر عوالم العلوم للشيخ عبد ٱللّٰه البحراني الاصفهاني: ١٧ / ٤٠٠، الخرائج والجرائح (المخطوط): ٢٩٨، تاريخ الطّبري: ٤ / ٣٤٧ مع اختلاف يسير في بعض ألفاظ الشّعر، معالم المدرستين: ٣ / ١٧١، البحار: ٤٥ / ١٢٨، الفتوح لابن أعثم: ٣ / ١٣٨ ونسب الأبيات إلىٰ بشر بْن مالك، وزاد:

ومن يصلّي القبلتين في الصّبا وخيرهم إذ يذكرون النّسبا
قتلت خير النّاس أمّاً وأبا

وأُنظر أيضاً الكامل لابن الأثير: ٤ / ٤٨، تهذيب تأريخ دمشق لابن عساكر: ٢ / ٢٤٢، مروج الذّهب للمسعودي: ٢ / ٩١، سمط النّجوم العوالي: ٣ / ٧٦، مقتل الحُسين لأبي مخنف: ٢٠٢، مرآة الجنان لليافعي: ١ / ١٣٣ ولكن لم يسمّ حامل الرّأس، العقد الفريد: ٢ / ٢١٣ سمّاه خولىٰ بْن يزيد الاصبحي وقتله ابن زياد لذلك.

واختلف المؤرّخون أيضاً فيمن جاء بالرأس، فعند الطّبري في تأريخه: ٦ / ٢٦١، وابن

←

قال ابن الجوزي في كِتَاب صيد الخاطر: «رأىٰ ابن ملجم قتل أمير المُؤمِنِين ديناً... ولما أرادوا قطع لسانه قال: كيف أبقىٰ ساعة لا أذكر ٱللَّـه!»(١). وكـذلك

← الأثير في الكامل: ٤ / ٣٣ سنان بْن أنس. وفي تـذكرة الخـواصّ: ١٤٤، وشـرح المـقامات للشريشي: ١ / ٩٣ أنشدها سنان علىٰ ابن زياد. وفي كشف الغمّة للاربلي: ٢ / ١٤٦. ومـقتل الحُسين للخوارزمي: ٢ / ٤٠ أنّ بشر بْن مالك أنشدها علىٰ ابن زياد. وفي مطالب السّؤول لابن طلحة الشّافعي: ٧٦ زاد عليها مثل ما زاد في الفتوح: ومن يصلّي القبلتين... إلخ. فغضب عَلَيْهِ ابن زياد وقتله. وفي رياض المصائب: ٤٣٧ أنّ الشّمر هو قائلها. وبما اننا أثبتنا أنّ الشّمر هو القاتل للإمام ﷺ فلا يبعد أنْ يكون هو قائلها إذ من البعيد أنْ يكون الشّمر هو الَّذِي يقتل وغيره يأخذ الرّأس ويفوت عَلَيْهِ التّقرّب إلىٰ ابن زياد. أُنظر المعجم ممّا استعجم: ٢ / ٨٦٥. وفاء الوفا للسمهودي: ٢ / ٢٣٢. وقد قال له الحُسين: أتقتلني ولاتعلم مـن أنـا؟ فـقال: أعـرفك حـقّ المعرفة، أُمّك فاطمة الزّهراء، وأبوك عليّ المرتضىٰ، وجدّك محمّد المصطفىٰ، وخصمك العليّ الأعلىٰ. أقتلك ولا أُبالي فضربه بسيفه اثنتا عشرة ضربة. ثمّ جزّ رأسه صلوات ٱللَّـهِ وسـلامه عَلَيْهِ... وقال له أيضاً بعد أنْ طَلَب الماء: يا ابن أبي تراب ألست تزعم أنّ أباك عـلىٰ حـوض النّبيّ ﷺ يُسقي مَن أحبّه؟ فاصبر حتّىٰ تأخذ الماء من يده... البحار: ٤٥ / ٥٥، والمناقب لابن شهرآشـوب: ٣ / ٢١٥ و ٢٢٣، و: ٤ / ٥٨ طـبعة أُخـرىٰ، وأُنـظر النّـهاية: ٤ / ٣٤٣، تـذكرة الخواصّ: ٢٥٣، و: ١٤٤ طبعة أُخرىٰ.

(٢) هو عبدالرَّحْمَـٰنِ بْن عمرو بْن ملجم بْن المكشوح بْن نفر بْن كلدة من حمير... وعداده فـي مراد هو حليف بني جبلة من كندة ويقال: إنّ مراداً أخواله. أُنظر أنسـاب الأشـراف: ١ / ٤٨٨ و ٤٨٩، والإمامة والسّياسة: ١ / ١٧٩، وفي المناقب لابن شهرآشوب: ٣ / ٣٠٩ ذكر أنّ اسمه عبدالرَّحْمَـٰنِ بْن ملجم التّجوبي، قبيله من حمير... قال ابن عباس: كان من ولد قدار عاقر ناقة صالح، وقصّتها واحدة لأنّ قدار عشق امرأة يقال لها رباب، كـما عشـق ابـن مـلجم قـطاماً. الإرشاد: ١ / ٢٢، تأريخ الطّبري: ٤ / ١١٤، الكامل فـي التّأريـخ: ٢ / ٤٣٦، كشـف الغـمّة: ٢ / ١٢٨ النّهاية: ٤ / ٢٢٧، بحار الأنوار: ٤٢ / ٢٣٢.

(١) أُنـظر، صـيد الخـاطر (مـخطوط): ورق ٤٥، الأخـبار الطّـوال للـدينوري: ٢١٥، أنسـاب

الحجاج، قال: «واَللَّه لا أرجو الْخَيْر إلا بعد الْمَوْت! ومثل هذا ما له دواء»[١].

وأيُّنا يوقن، ويجزم أنّه في حرز حارز من الشَّيْطَان الَّذِي عبث، ولوّث في قلب الحجاج، وابن ملجم وما أشبه؟ أَللَّهُمَّ إلا الجهول الأحمق، ونعوذ بالله منه، ومن شيطانه.

تدل الصَّحِيفَة بذاتها علىٰ ذاتها

من تتبع سيرة الأئمة من آلِ ٱلرَّسُول المختارﷺ، يجد الصّورة الكاملة لهدي الْقُرْآن ٱلْكَرِيمِ، وصراطه القويم في علومهم، وأخلاقهم، وأقوالهم، وأفعالهم، وقد أعلن النّبيﷺ هَذِهِ الحقيقة في العديد من الأحاديث، منها ـ علىٰ سبيل المثال ـ أهْل بيتي أمان لأُمّتي[٢]... عليّ مع الْحَقّ، والْحَقّ مع عليّ[٣]... وحديث الثّقلين

← الأشراف: ٥٠٤، المنتظم: ١٧٧/٥، الطّبقات الكبرىٰ لابن سعد: ٣٩/٣، فرحة الغري للسيد عبد ٱلْكَرِيمِ بْن طاووس: ٤٥، الغارات لإبراهيم بْن مُحمّد الثّقفي: ٤٨٠/٢، الأنوار العلوية للشيخ جَعْفَر النّقدي: ٤٠١، نقلاً عن الثّعلبي في كتابه (مقتل أمير الْمُؤْمِنِين) نسخة خطية سَنَة خمسة وخمسين وثلثمئة.

(١) أُنظر، حياة الحجاج بْن يوسف الثّقفي بْن أبي عقيل، وحياته أشهر من أنْ تعرف، كان من شيعة بني أُمّية، رمىٰ الكعبة المعظمة بالمنجنيق، وقتل ابن الزّبير، وتتبع شيعة أمير الْمُؤْمِنِين ﷺ تحت كلّ حجر ومدر قتلاً وتشريداً حتّىٰ بلغ من قتل صبراً علىٰ يده (١٢٠) ألف، حتّىٰ وصفه عمر بْن عبد العزيز الأُموي بقوله: «ولو جاءت كلّ أُمّة بخبيثها، وجئنا بالحجاج لغلبناه»، وله موبقات لا تحصىٰ، كفره جماعة منهم سعيد بْن جبير النّخعي الَّذِي قتله، ومنهم مجاهد، والشّعبي، وقال طاووس: «عجبت لمن يسميه مؤمناً» هَلَك وأراح البلاد منه سَنَة (٩٥ هـ). أُنظر، شذرات الذّهب: ١٠٦/١، تأريخ الطّبري: ٢٦٠/٥، تهذيب التّهذيب: ٢١٠/٢ و: ١١/٤، تذكرة الحفاظ: ٧١/١، مرآة الجنان: ١٩٢/١، المبسوط للسرخسي: ١٧٥/٢٦.

(٢) أُنظر، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثّمانية: ٣٤٧/٤، المعجم الكبير للطبراني: ٢٥/٧،

الَّذِي جعلهم عدلاً للقرآن، وحثَّ علىٰ التمسك به، وبهم[1]... إلىٰ سائر الأحاديث المدونة في كُتب السُّنة، وقد جمعها السّيد الفيروز آبادي[2] في كِتَاب فضائل الخمسة من الصّحاح السّتة بأجزائه الثّلاثة.

وليست أحاديث هذا الباب، وآياته إنشاءاً، وجعلاً نزل من السّماء كوجوب الصّوم، والصّلاة، وإنّما هي صورة تعبيرية عن واقع عياني محسوس ينطق بكلّ وضوح أنّ أهْل ٱلبَيْت مع الحَقّ، والحَقّ معهم بصرف النّظر عن كلّ آية، ورواية

⇐ نوادر الأُصول للترمذي: ٢٦٣، ذخائر العقبىٰ: ١٧، تذكرة الخواص: ١٨٢، فضائل الصّحابة لأحمد بْن حنبل: ٢ / ٦٧١ ح ١١٤٥، الفردوس بمأثور الخطاب: ٤ / ٣١١ ح ٦٩١٣، ينابيع المَوَدَّة: ١ / ٧١، أمالي الطّوسي: ٣٧٩ ح ٨١٢.

(٣) قال ﷺ: الْحَقّ مع عليّ وعليّ مع الْحَقّ لنْ يفترقا حتّىٰ يردا عليّ الحوض. (تأريخ بغداد: ١٤ / ٣٢١، الإمامة والسّياسة: ١ / ٧٨، فرائد السّمطين: ١ / ١٧٧، المناقب لابن المغازلي: ١١٧ و ٢٤٤، والمستدرك: ٣ / ١٩ و ١٢٤)، ورواه أيضاً الشّيخ جمال الدّين محمّد بْن أحمد الحنفي الموصلي الشّهير بحسنويه في درّ بحر المناقب: ٩٩ مخطوط عن أبي ذرّ وسلمان والمقداد في حديث طويل قالوا: إننا سمعنا من رَسُول ٱللّٰه ﷺ يقول: إنّ علياً مع الْحَقّ والْحَقّ معه... فإنّه أوّل من آمن بِي.

(١) أُنظر، حديث الثّقلين في صحيح مسلم: ٤ /فضائل عليّ ح ٣٦ و ٣٧، وسنن التّرمذي: ٥ /باب ٣٢، وسنن الدّارمي: ٢ /فضائل القُرْآن، وخصائص النّسائي: ٥٠، وذخائر العقبىٰ للمحبّ الطّبري: ١٦، وتذكرة الخواصّ: الباب ١٢، وأُسد الغابة: ٢ / ١٢، وتأريخ اليعقوبي: ٢ / ١٠٢، والمستدرك علىٰ الصّحيحين: ٣ / ١٠٩، ومسند أحمد: ٣ / ١٧ و ٥ / ١٨١ و ٣٧١، والصّواعق المحرقة: ٢٥ المطبعة الميمنية بمصر، وص: ٤١ المطبعة المحمّدية بمصر، ومجمع الزّوائد: ٩ / ١٦٤، وتأريخ دمشق لابن عساكر: ٢ / ٤٥ ح ٥٤٥، وكنز العمّال: ١ / ١٦٨ ح ٩٥٩ الطّبعة الأُولىٰ، وينابيع المودّة: ٣٧ طبع إسلامبول... إلخ).

(٢) هو السّيد مرتضىٰ الحسيني الفيروز آبادي (ت ١٤١٠ هـ). أُنظر، ترجمته في مقدمة كتابه الفضائل الخمسة.

تماماً كما ينطق شعر المتنبي بشاعريته[1]، ومسرحيات شكسبير بعبقريته[2]، ومخترعات آديسون بنبوغه، وتفوقه[3]، وعَلَيْهِ فلا سبب موجب للبحث عن سند روايات الْوِلايَة، والفضائل ما دام متنها، ومدلولها ثابتاً بالحس، والعيان، يقتنع به كلّ عاقل، ويؤمن إذا نظر إليه نظرة محايدة.

وكلّ ما في الصَّحِيفَة السَّجاديَّة تعظيم، وتقديس لجَلاله تعالىٰ، وكماله، وحمد، وشكر لفضله، وكرمه، وطَلَب لتوفيقه، وهدايته، والنّجاة من غضبه، وعذابه، والتّعوذ من الشَّيْطَان، وإغوائه، إلىٰ كلّ ما يدخل في موضوع الدُّعاء، والرّجاء.

فهل شيء من ذٰلِكَ يقبل الجدل، والنّقاش حتّىٰ يستدل عَلَيْهِ بآية محكمة، أو رواية معنعنة؟.

وقد يقال: أجل، المتن والمدلول في الصَّحِيفَة حقّ كما قلت! ولكن الشّك في النّسبة إلىٰ شخص معين.

الجواب: كلّ ما في الصَّحِيفَة السَّجاديَّة يدل بذاته علىٰ أنّها لزين العباد[4]،

(١) هو أبو الطَّيب، أحمد بْن الحُسين بْن الحَسن، الجعفي، الكندي، الكوفي، الشّهير بالمتنبي، ولد بالكوفة سَنَة (٣٠٣ هـ). أُنظر ترجمته في مقدمة شرح ديوانه للأُستاذ عبد ٱلرَّحْمَٰنِ البرقوقي، وفي الأعلام.

(٢) أُنظر، ترجمة حياة «وليم شكسبير» في كِتَاب مساعد مسرحيات شكسبير لمصطفىٰ كمال عبد الحميد الهنداوي، وكاظم الدّباغ، مطبعة الآداب ١٩٦١.

(٣) أُنظر، ترجمة (آديسون) في مقالة مكولي لجرجس بياضي، معرب بمصر سَنَة ١٩١٠ م.

(٤) أُنظر ينابيع المودّة: ٣ / ١٠٥ طبعة أُسوة، الصّواعق المحرقة لابن حجر: ٢٠٠، تهذيب التّهذيب للعسقلاني: ٧ / ٣٠٦، شذرات الذّهب لابن العماد: ١ / ١٠٤ بلفظ «... سمّي زين ٱلْعَابِدِينَ لفرط عبادته» وتأريخ أَهْل ٱلْبَيْت ﷺ: ١٣٠، الغيبة للطوسي: ١٠١، الحدائق الوردية ↩

والإمام السّجاد ﷺ لفظاً[١]، ومعنىً؛ لأنّ كلماتها تحمل أنفاسه الزّكية، وتعكس روحه الصّافية الطّاهرة النّقية، ولو نسبت إلىٰ سواه لكانت النّسبة محل الكلام، والإستفهام.

ثانياً: المهم القول، وليس القائل، وكلّ الحِكم، والمواعظ الخالدة تتلقاها الأجيال كمسلمات أولية، وفي طليعة هَٰذِهِ الحِكم الحكمة القائلة: «خذ الحكمة أنّىٰ كانت»[٢]، لأنّها كالضالة يأخذها صاحبها حيث وجدها عند تقي، أو شقي.

وفي كِتَاب قّيم أخلاقية في فقه الإمام جَعْفَر الصَّادِق ﷺ قلت: إنّ أي حكم، ومبدأ لا تناله يدّ الجعل، والتّشريع وضعاً، ورفعاً ـ يعمل به إطلاقاً، سواء أسكت عنه الشّارع أم نصّ عَلَيْهِ من باب الإقرار، والنّصيحة، والإرشاد، ومثله لا يبحث

(مخطوط)، علل الشّرايع للصدوق: ٨٧ باب ١٦٥ البحار: ١١ / ٢، و: ٤٦ / ٣ ح ٢ طبعة أُخرىٰ مع ملاحظة أنّ المجلسي نسب القول إلىٰ القيل لما في القصة من التّلفيق والتّزوير لأنّ أسماء الأئمة وألقابهم نازله من السّماء علىٰ رَسُول ٱللّٰه ولكن رواة السُّوء لم يرق لهم هذا الفضل فأرادوا الحطّ من مقام أمين ٱللّٰه لأنّ الشّيطَان لايقرب من هَٰذِهِ الذّوات. وانظر دلائل الإمامة للطبري: ٨٣، والمناقب لابن شهرآشوب: ٢ / ٢٣٩، و: ٣ / ٣١٠، كشف الظّنون: ١ / ١٩٥، الإرشاد للشيخ المفيد: ٢٥٧ طبعة قديم، نور الأبصار: ٢٨٠، كشف الغمّة: ٢ / ٧٤، أمالي الصّدوق: ٢٧٢ ح ١٢. وأُنظر أيضاً تذكرة الحفاظ: ١ / ٧٤، الجرح والتّعديل لمحمّد بن إدريس الرّازي: ٦ / ١٧٨، تهذيب التّهذيب للعسقلاني: ٧ / ٣٠٤.

(١) أُنظر نور الأبصار: ١٤ طبعة النّجف سَنَة ١٩٥٦م، علل الشّرايع: ٨٨، وسائل الشّيعة: ٤ / ٩٧٧، وتأريخ أَهْل ٱلْبَيْت ﷺ: ١٣١، معاني الأخبار: ٢٤، المناقب لابن شهرآشوب: ٣ / ٣٠٤، البحار: ٤٦ / ٦ ح ١٠ و ١١.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ٤ / ١٨ حكمة ٧٩، شرح أُصول الكافي: ١٢ / ١٩٦، عيون الحكم والمواعظ: ٢٤٣، دستور معالم الحكم: ١٢٨.

عند سنده؛ لأنّه تماماً كالأمر بتقوىٰ ٱللّٰه، وطاعته، ومن هذا الباب: «إقرار العقلاء علىٰ أنفسهم جائز[١]... علىٰ اليد ما أخذت حتّىٰ تؤدي[٢]... من غشنا فليس منا[٣]... لا ضرر ولا ضرار»[٤] وإذا آمتنع في حقّ الشّارع أنْ يضع حكماً ضررياً. يمتنع أيضاً في حقّه أنْ يرفعه. فيتعين حمله علىٰ مجرد الإرشاد كما أشرنا. وهكذا كلّ حكم لاتّتم الحياة إلا به، ويختل نظامها بدونه.

وقد يقول قائل: تحدثت في المُقدمة من جملة ما تحدثت عن نفسك، والمفروض أنْ يكون الحديث عن ٱلْكِتَاب لا عن صاحبه؟.

الجواب: إنّ علاقة المُقدمة بالكتاب لا تحدد بالحديث عنه من كلّ جهاته ومحتوياته، ولابجهة معينة منه، بل يترك ذٰلِكَ لميول المؤلف، ومشاعره الّتي تنبع من أعماقه، وأفكاره.

ثانياً: هل ٱلْكِتَاب إلا نفس ٱلْكِتَاب، والكلام لا عين المتكلم؟... أَللّٰهُمَّ إلا

(١) أُنظر، السّرائر: ٣٥٤/٢ و: ٤٦/٣، مختلف الشّيعة: ٢٣٦/٥، الخلاف للطوسي: ٣٦٧/٣ مسألة ١٢، كشف اللّثام: ١٤/٢، وسائل الشّيعة: ١١٦/١٦.

(٢) أُنظر، الأنتصار: ٣١٧، سنن ابن ماجه: ٨٠٢/٢ ح ٢٤٠٠، سنن البيهقي: ٩٠/٦، سنن أبي داود: ٢٩٦/٣، سنن الدّارمي: ٢٦٤/٢، مسند أحمد: ٨/٥ و١٢، سنن التّرمذي: ٥٦٦/٣، سنن البيهقي: ٩٥/٦.

(٣) أُنظر، صحيح مسلم: ٩٩/١ ح ١٦٤، سنن الدّارمي: ٢٤٨/٢، مسند أحمد: ٥٠/٢، المعجم الكبير: ١٠/ ١٦٩، و: ٢٢١/١١ ح ١١٥٥٣، الجامع لأحكام القُرآن: ٢٥٢/٣، مجمع الزّوائد: ٧٨/٤.

(٤) أُنظر، المقنع للصدوق: ٥٣٧، من لا يحضره الفقيه: ٤٥/٣ ح ٢، رسائل المرتضىٰ: ١٧٨/١، موطأ مالك: ٨٠٥/٢، الدّار قطني: ٢٢٧/٤، فيض القدير: ٤٣١/٦، غنية النّزوع: ٢٢٣، سنن البيهقي: ٦٩/٦، كنز العمال: ٩١٩/٣.

مجموعة الأعضاء، والأمعاء. ولا شيء في الحديث عنها في هٰذِهِ المُقدمة[١].

حول الدُّعاء:

ومعناه طَلَب شيء غير محرم من ٱللَّه سبحانه بإخلاص، وخشوع، ولكلّ إنسان الْحَقّ في أنْ يدعو ٱللَّه، ويناجيه في كلّ آنٍ، ومكانٍ حيث لا وسطاء بينه، وَبَيْنَ خَلْقِهِ... وإنّه لفضل كبير منه تعالىٰ أنْ يسمح لنا بمخاطبته بما نشاء، أنّىٰ نشاء، بل هو تعالىٰ ذكره يُحِبُّ أنْ يسأل، ويُطلب مما عنده، بل يُحِبُّ الإلحاح عَلَيْهِ في المطلب.

وفي الحديث: «إنّ ٱللَّه كره إلحاح النّاس بعضهم علىٰ بعض في المسألة، وأحبّ ذٰلِكَ لنفسه»[٢].

والدُّعاء أفْضَل أنواع العبادة، وهل الصّلاة إلا دُعَاء، وفي أُصول الكافي عن آلِ ٱلرَّسُول ﷺ: « ما من أحدٍ أبغض إلىٰ ٱللَّه ممن يستكبر عن عبادته، ولا يسأل مما عنده... أدع ولا تقل: إنّ الأمر قد فرغ منه»[٣].

وما من شك أنّ الباعث علىٰ الدُّعاء هو الإيْمَان بالله، والتّسليم لأمره، أما الشّيْ المطلوب فمن شروطه الرّئيسية أنْ يتعذر حصوله، وتسد جميع الأبواب دونه إلا بابه ٱلْكَرِيمِ؛ لأنّه تعالىٰ أمر بالسعي، والعمل، وفي أُصول الكافي عن الإمام

---

(١) بحث علماء الشّيعة في سند الصّحِيفَة السّجاديّة، وأثبتوا صحته بالدليل القاطع، ومن أحبّ الاطلاع عَلَيْهِ فليرجع الىٰ مُقدمة الصّحِيفَة. طبعة الشّيخ الآخندي، وقد تَقَدَّمَ ذٰلِكَ.

(٢) أُنظر، الكافي: ٤٧٥/٢، تحف العقول: ٢٩٣، شرح أُصول الكافي: ٢٤٥/١٠، عدة الدّاعي: ١٤٣، بحار الأنوار: ٣٧٤/٩٠، مستدرك الحاكم: ٢٩٤/٣.

(٣) أُنظر، الكافي: ٤٦٦/٢، شرح أُصول الكافي: ٢٢٩/١٠، وسائل الشّيعة: ١٠٨٤/٤، بحار الأنوار: ٢٩٤/٩٠، جواهر الكلام: ٢٠١/٧ و: ١٣١/١٢.

الصَّادِق عليه السلام: «أربعة لا تستجاب لهم دعوة: رجل جالس في بيته، يقول: أَللّهُمَّ أرزقني. فيقال له: ألم آمرك بالطلب؟ ورجل كانت له امرأة فدعا عليها فيقال له ألم اجْعَلْ أمرها إليك؟. ورجل كان له مال فأفسده فيقول: أَللَّهُمَّ أرزقني، فيقال له، ألم آمرك بالاقتصاد، ألم آمرك بالإصلاح؟ ثُمَّ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[1]، ورجل كان له مال فأدانه بغير بينة، فيقال له: ألم آمرك بالشهادة؟»[2].

وقد توسع أَهْل ٱلْبَيْت عليهم السلام في المُناجاة، والدُّعاء، وأدخلوا فيه فلسفة العقيدة، وصفات الْجَلاَل، والكمال للذات القُدسية، كقول الإمام أمير الْمُؤْمِنِين عليه السلام: «يا مَن دلَّ علىٰ ذاتهِ بذاته، وتنزه عن مجانسة مخلوقاته»[3] وقول ولده سَيِّد ٱلشُّهَدَاء عليه السلام: «كيف يُستدل عَلَيْكَ بما هو في وجوده مفتقر إليك»[4]، وقول ولده الإمام السَّجاد عليه السلام: «الْحَمْد لله الأوّل بلا أوّل كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده»[5] يشيرون بهذا إلىٰ دليل الصّديقين المعروف بدليل الوجود.

وأيضاً آستوعبت أدعية أَهْل ٱلْبَيْت عليهم السلام الأَخْلاَق النّظرية، والعملية، والكثير من

---

(١) الفرقان: ٦٧.

(٢) أُنظر، الكافي: ٥١١/٢ و: ١٦/٤، وقريب منه في السرائر: ٥٥٦/٣، الخصال للشيخ الصّدوق: ١٦٠، شرح أُصول الكافي: ٣٠٤/١٠، وسائل الشّيعة: ١٢٥/٧، مستطرقات السّرائر: ٥٥٦، بحار الأنوار: ٣٥٤/٩٠.

(٣) أُنظر، كِتَاب ٱلتَّوْحِيد للصدوق: ٣٥، وهو قطعة من دُعَاء الصَّبَاح، بحار الأنوار: ٣٣٩/٨٤، نهج السّعادة: ١٢٦/٦، تفسير الصّافي: ٧/١، حاشية زاد المعاد للمجلسي: ١٦٦.

(٤) أُنظر، إقبال الأعمال: ٣٤٨، شرح أُصول الكافي: ٨٨/٣، البحار: ٢٢٥/٩٥، مستدرك سفينة البحار: ٤١/٧.

(٥) أُنظر، الصَّحِيفَة السَّجادِيَّة الكاملة: الدّعاء الثّاني والعشرون، وسيأتي الحديث عنه.

الحِكم الخالدة، وتحديد الدّين، والمُتدين الْحَقّ. وأيضاً آتخذوا من المُناجاة وسيلة للتربية الفاضلة، والتّوجيه إلىٰ العمل من أجل حياة أفْضَل، والتّحرر من كلّ ما يوجب التّخلف، ويعاني منه الفرد، والمجتمع، بخاصة آلْفَقْر، والجور، وعبأوا الرّأي العام ضد حكام الْبَغْيِ، والعدوان، وأعوانهم، وضد المستغلين، وطغيانهم.

وأوضحنا ذٰلِكَ مفصلاً عند شرح الكلمات الّتي تهدف إلىٰ ذٰلِكَ، وتومئ إليه من قريب، أو بعيد.

وبعد، فإنّ الصَّحِيفَة السَّجاديَّة ليست أدعية وكفىٰ، بل ومدرسة المبدأ، والعقيدة، والصَّبَر، والتّضحية، والتّسامح، والرَّحْمَة، والثّورة علىٰ الشّرّ، والفساد بشتىٰ ألوانه، وأشكاله... إلىٰ كلّ مكرمة، وفضيلة. أمّا أُسلوب الصَّحِيفَة فمن الصّعب علىٰ أي كاتب أنْ يصفه علىٰ حقيقته، أو يصف البعد الَّذِي يتركه في نفس القارئ والسّامع، وبحسبي أنْ أقول: «إنّ أرواح المَلائِكَة المقربين، وأنبياء ٱللّٰه أجمعين تتجلىٰ مجسدة في أدعية الإمام زين الْعَابِدِينَ».

وأخيراً أُشير أنّي أنتهيت من التّنقيب، والبحث طوال عشرات السّنين في آثار آلِ ٱلرَّسُولﷺ، إلىٰ الإيْمَان بأنّ ٱللّٰه سبحانه لا يقبل الدُّعاء، والطّلب ـ حتّىٰ من المحقّ والمطيع ـ إلاّ بأُسلوب يليق بعظمته، كالتذلّل، والتّصاغر، والإعْتِرَاف بِالتَّقْصِير، وأنّ السّائل المتوسل لا يستحق شيئاً علىٰ الإطلاق، وإنّما يسترحم ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ، ويستغفر الجواد الحليم. ولا يصطدم هذا مع ما أوجبه سبحانه علىٰ رَحْمَته، وفضله من جزاء الإحسان بمثله.

والْحَمْد لله حمداً يتقبله منا، ويرضىٰ به عنا مع الصَّلَاة علىٰ محمدٍ وَآلِهِ صلاة لا ينقطع مددها، ولا ينتهي عددها.

الدُّعاء الأوّل

التَّحْمِيدُ لِلّه عَزَّ وَجَلَّ

اَلْحَمْدُ لِلّهِ الأَوَّلِ بِلا أَوَّلٍ كَانَ قَبْلَهُ، وَ الآخِرِ بِلاَ آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ، الَّذِي قَصُرَتْ عَنْ رُؤْيَتِهِ أَبْصَارُ النَّاظِرِينَ، وَعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ أَوهامُ الْوَاصِفِينَ.

أَلْحَمْدُ

(أَلْحَمْدُ لِلّهِ) أَلْحَمْدُ: الثّناء بالجميل علىٰ المحمود تبجيلاً له، وتعظيماً. والثّناء علىٰ اَللّه بما هو أهله خير ما تفتتح به الأقوال، والأعمال. وهُنا سُؤّال يطرح نفسه، وهو: هل المُراد بحَمْد اَللّه عزَّ وجلّ مجرد التّسبيح، والتّهليل علىٰ حبات المسابح، أو مفاصل الأصابع، أو بلا عَدٍّ، وحَدٍّ، أو أنّ المُراد ما هو أشمل، وأعم؟.

الجواب: يكون أَلْحَمْدُ بالقول الّذي يذهب مع الرّيح، ولا يترك أي أثر في القلب، أو اَلأرض، ويكون أَلْحَمْدُ بالجهاد، والبذل، وإقامة الْحَقّ، والعدل، ولايصدر هذا إلا من أرباب النّفوس القوية، والقلوب التّقية، وهذا أَلْحَمْدُ العملي، وهو الأفضل، والأكمل عند اَللّه سبحانه.

هو الأوّل وَالآخِر

(الأَوَّلِ بِلا أَوَّلٍ كَانَ قَبْلَهُ، وَ الآخِرِ بِلاَ آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ) ٱللّـه سبحانه واجب الوجود لذاته، ومعنىٰ هذا أنّه تعالىٰ لا يزال موجوداً بلا علة لوجوده، وأنّه الموجود الأوّل بلا ٱبتداء، ودائم الوجود بلا ٱنتهاء، وأنّه المبدأ الأوّل لكلّ الموجودات، ولو أمكن عدم وجوده لحظة واحدة لم يكن واجب الوجود، وهو خلاف الفرض، وعبّر الفلاسفة عن هذا المعنىٰ بقولهم: «هو أزلي في القدم، أبدي في البقاء»(١). وقال الإمام أمير الْمُؤْمِنِين ﷺ: «الأوّل قبل كلّ شيء ولا قبل له، وَالآخِر بعد كلّ شيء ولا بعد له»(٢). وعَلَيْهِ يكون سبحانه الأوّل وَالآخِر بالنسبة إلىٰ مخلوقاته لا بالنسبة إلىٰ ذاته.

رُؤْيَة الخالق

(الَّذِي قَصُرَتْ عَنْ رُؤْيَتِهِ أَبْصَارُ النَّاظِرِينَ، وَ عَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ أَوهَامُ ٱلْوَاصِفِينَ) الوهم: الخيال، والتّصور، ومهما سَمت العقول فإنّها تنتهي إلىٰ حدٍّ، والمَخْلُوق المحدود لايحيط بالخالق المطلق الَّذِي لا ينتهي إلىٰ حدٍّ. أمّا العيون فلا ترىٰ إلا المادة، وٱللّه منزة عنها. وقال السُّنَّة أتباع الأشعري: «إنّ رؤية ٱللّه تعالىٰ ممكنة»(٣). واستدلوا بظاهر الآية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(٤).

---

(١) أُنظر، الرّسائل العشر للشيخ الطّوسي: ١٠٤، جواهر الفقه للقاضي البراج: ٢٤٥، البرهان للزركشي: ٢/٢٥٢.

(٢) أُنظر، الكافي: ١/١٤٢، شرح أُصول الكافي: ٤/١٩٥ و ٢٠٦، بحار الأنوار: ٥٤/١٦٧، نهج السّعادة: ١/٥٥٧، تفسير نور الثّقلين: ٥/٢٣٤.

(٣) أُنظر، الفرق بين الفرق: ٣١٣، شرح مسند أحمد: ١٤/١٣٧ ح ٧٧٠٣، شرح صحيح مسلم: ←

ولكن هذا ٱلظَّاهِر غير مراد بنص القُرْآن ٱلكَرِيم: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾(٥)...وقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾(٦)...وقوله تعالىٰ: ﴿فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾(٧)، وَوَجّه الجمع بين الآيات أنْ يكون المُراد بقوله تعالىٰ: ﴿رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أنّها تنظر إلىٰ فضلهِ، وثوابه لا إلىٰ ذاتهِ القُدسية، ومصدر القُرْآن واحد، وآياته يفسر بعضها بعضاً(٨).

وفي الحديث: «تفكروا في خَلق ٱللّه، ولا تفكروا في ذات ٱللّه»(٩)، وإذا تاهت العقول، وعجزت عن توهم الذّات القُدسية، فكيف تراها الأعين؟.

ٱبْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ ٱلْخَلْقَ ٱبْتِدَاعاً، وَ ٱخْتَرَعَهُمْ عَلَىٰ مَشِيَّتِهِ ٱخْتِرَاعاً، ثُمَّ

↩ ١٥/٣، فيض القدير شرح الجامع الصّغير للمناوي: ٧٠٣/١ و: ٥٣٦/٤ و: ١٧١/٦، تفسير القرطبي: ٥٥/٧، تفسير الجلالين: ٢١٣، الشّفا بتعريف حقوق المصطفىٰ للقاضي عياض: ١٩٨/١، سبل الهدىٰ والرّشاد للصالحي الشّامي: ١٥/٣ و ٥٦.

(٤) القِيَامَة: ٢٣.

(٥) الأنْعَام: ١٠٣.

(٦) الأعراف: ١٤٣.

(٧) النّساء: ١٥٣.

(٨) بُحثَ هذا الموضوع بدقة في الكُتب الكلامية، والعقائدية، والتّفسيرية، فراجع علىٰ سبيل المثال: كِتَاب توحيد الشّيخ الصّدوق: ٣١ و ١٠٨، شرح أُصول الكافي: ١٦١/٣ و: ٨٥/٤ و: ٢١٧/٨، أمالي السّيد المرتضىٰ: ٢٩/١ و: ١٢٧/٤، تفسير الميزان: ٣٥/١٩، الكافي: ٩٥/١.

(٩) أُنظر، الجامع الصّغير لجلال الدّين السّيوطي: ٥١٤/١ ح ٣٣٤٧ و ٣٣٤٩، ولكن بلفظ (ولا تفكروا في ٱللّه فتهلكوا)، وكنز العمال: ١٠٦/٣ ح ٥٧٠٥ و ٥٧٠٨، فيض القدير شرح الجامع الصّغير للمناوي: ٣٤٥/٣ و ٣٤٧، كشف الخفاء للعجلوني: ٣١١/١، تفسير الميزان: ٩٠/٤ و: ٥٣/١٩، تفسير ابن كثير: ٤١١/٤، الدّر المنثور: ١١٠/٢ و: ١٣٠/٦، مجمع الزّوائد: ٨١/١، إتحاف السّادة المُتّقين: ١٦٢/١ و: ٥٣٦/٦، ذيل تأريخ بغداد: ١٤٧/٣.

سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِهِ ، وَبَعَثَهُمْ فِي سَبِيلِ مَحَبَّتِهِ ، لاَ يَمْلِكُونَ تَأْخِيراً عَمَّا قَدَّمَهُمْ إِلَيْهِ ، وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ تَقَدُّماً إِلَىٰ مَا أَخَّرَهُمْ عَنْهُ .

واضع الشّريعة هو خالق الطّبيعة

(ابْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ الْخَلْقَ ابْتِدَاعاً) ابْتَدَعَ الْخلَقَ: أوجده من لا شيء، وبلا تقليد، ومحاكاة الخالق سابق إذ لا خالق سواه (وَ اخْتَرَعَهُمْ عَلَىٰ مَشِيَّتِهِ اخْتِرَاعاً) عطف تفسير علىٰ ابتدع الْـخَلْق (ثُمَّ سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِهِ ، وَبَعَثَهُمْ فِي سَبِيلِ مَحَبَّتِهِ) يفترق الإسْلاَم عن غيره من الأديان بأنّه يجرد البشرية كلّها من حقّ التّشريع، والتّحليل، والتّحريم، ويحصر الشّريعة بخالق الطّبيعة، وليس للنبيّ منها إلا التّبليغ، أجل! يترك الإسْلاَم الإمتثال، والتّنفيذ، لحرية الإنسان بعد أنْ يأمره بالخير، وينهاه عن الشّرّ، ويبشره بالثواب علىٰ الطّاعة، وينذره بالعقاب علىٰ المعصية، ولا يلجئه قهراً علىٰ فعل واجبٍ، ولا ترك محرمٍ حيث لا إنسانية بلا حرية، ومعنىٰ هذا أنّ الإنسان مسير تشريعاً، مخير تنفيذاً، ومسؤول عن سلوكه، وتصرفاته، فإذا امتنع بإرادته، واختياره عن فعل الواجب، وترك المحرم استحق العقاب؛ لأنّ من امتنع عن الأختيار فقد إختار أنْ لا يختار.

وبهذه التّفرقة بين التّشريع، والتّنفيذ يتضح مُراد الإمام بقوله: (سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِهِ ...وأنّه تعالىٰ قد بيّن حلاله، وحرامه لعباده في كُتبه، وعلىٰ لسان رُسله، ليتقوا، ويهتدوا، ويعملوا متعاضدين لحياة أفْضَل، وأكمل، وفي هذا المعنىٰ العديد من الآيات، منها: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1]، وفي

(١) آل عُمران: ١٠٣.

ثـانية: ﴿لَـعَلَّكُمْ تُـرْحَمُونَ﴾[1]، وثـالثة: ﴿لَـعَلَّكُمْ تَـعْقِلُونَ﴾[2]، ورابعة: ﴿لَـعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾[3]، وخامسة: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4]، ولأمرٍ ما كَـرر الْـقُرْآن هَـٰذِهِ الآيـة: ﴿تُفْلِحُونَ﴾ أكثر من عشر مرات.

(لاَ يَمْلِكُونَ تَأْخِيراً عَمَّا قَدَّمَهُمْ إِلَيْهِ، وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ تَقَدُّماً إِلَىٰ مَا أَخَّرَهُمْ عَنْهُ)

المُراد بما قدمهم إليه ما أمرهم به، وحثهم علىٰ فعله، والمُراد بما أخرهم عنه مـا نهاهم عن فعله، وألزمهم بتركه، والمعنىٰ أنَّ التّشريع، والتّحليل، والتّحريم لله وحده ولا شيء منه للفرد، أو لأية فئة، أو هيئة كما أشرنا. وفي نهج البلاغة: «وٱعلموا... أنّ ما أحدث النّاس لا يحلّ لكم شيئاً مما حرم عليكم، ولكن الحلال ما أحل ٱللّٰه، والحرام ما حرم ٱللّٰه»[5]. أي أنّ هَـٰذِهِ التّشـريعات الّـتي تـصدر عـن الكـنائس، ومجالس النّواب وغيرها ـ لا تغير شيئاً من حُكم ٱللّٰه تعالىٰ، ولا تؤخر (أي تحرم ما أحلّ ٱللّٰه)، ولا تَقَدَّمَ (أي لا تحلل ما حرم ٱللّٰه).

وَجَعَلَ لِكُلِّ رُوحٍ مِنْهُمْ قُوتاً مَعْلُوماً مَقْسُوماً مِنْ رِزْقِهِ، لاَ يَنْقُصُ مَنْ

---

(١) أنـظر، آل عـمران: ١٣٢، الأنـعام: ١٥٥، الأعـراف: ٦٣ و ٢٠٣، النّـور: ٥٦، النّـمل: ٤٦، يس: ٤٥، الحجرات: ١٠.

(٢) لا توجد آية لعلكم تعملون، بل ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، كـما جـاء فـي سـورة ٱلْـبَقَرَة: ٧٣ و ٢٤٢، والأنعام: ١٥١، ويوسف: ٢، والنّور: ٦١، وغافر: ٦٧، والزّخرف: ٣، والحديد: ١٧. وربـما يقصد الشّيخ ﷺ لعلكم تعملون عمل أهْل التَّقْوَىٰ، كما جاء في تفسير جوامـع الجـامع للشـيخ الطّبرسي: ١/ ١٨٠، أو يقصد لعلكم تعلمون: أي تهتدون، كما جـاء فـي البـحار: ١٣/ ٢٣٣، وتفسير الصّافي: ١/ ١٣٢، وتأويل الآيات: ١/ ٥٩.

(٣) أنظر، النّحل: ٨١.

(٤) أنظر، ٱلْـبَقَرَة: ١٨٩، آل عـمران: ١٣٠ و ٢٠٠، المـائدة: ٣٥ و ٩٠ و ١٠٠، الأعـراف: ٦٩، الحج: ٧٧، النّور: ٣١.

(٥) أنظر، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/ ٥١٤ طبعة مصر.

زَادَهُ نَاقِصٌ، وَلا يَزِيدهُ مَنْ نَقَصَ مِنْهُمْ زَائِدٌ.

الرِّزْق

(وَجَعَلَ لِكُلِّ رُوحٍ مِنْهُمْ قُوتاً...) ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾[1]، بالسعي مع القُدرة عَلَيْهِ؛ لأنّ لكلّ شيء داعية، وسبباً، وقصة مريم: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾[2]، هي قضية في واقعة خاصة، وكرامة من ٱللَّه لمريم عليها السلام. قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[3] فالسعي طريق لابد من سلوكه، ولكن يجب أنْ لايُذهل عن ٱللَّه سبحانه، فكَم من فَقِيرٍ ٱسْتَغْنَىٰ، ومن غني ٱفتقر بالمخبآت، والمفاجآت الّتي لا يعلم بها إلا ٱللَّه.

ولا بد من التّنبيه إلىٰ أنّ الحرام من رزق الشّيطان، ومحال أنْ يكون من ٱلرَّحْمَـٰنِ، كيف وقد نهىٰ عنه؟ وقال: ﴿أُولَـٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾[4].

أمّا مَن عجزَ عن السّعي فإنّه يُرزق بسبب طبيعي كالجنين في الرّحم، أو عاطفي كربّ العيال، والأطفال يسعىٰ لهم، أو من الصّدقات، وبيت المال كالمُقعدين الّذين لا مُعيل لهم، ولا كفيل، ومهما يكن فكلّ الأسباب، ووسائل العيش تنتهي إليه تعالىٰ؛ لأنّه خالق كلّ شيء حتّىٰ العاطفة في قلب المُعين هو باعثها. وقول الإمام عليه السلام: (لا يَنْقُصُ مَنْ زَادَهُ ـ ٱللَّه ـ نَاقِصٌ، وَلا يَزِيدهُ مَنْ نَقَصَ مِنْهُمْ زَائِدٌ) يُريد به أنّ كلّ

(١) هود: ٦.
(٢) آل عمران: ٣٧.
(٣) الملك: ١٥.
(٤) ٱلبَقَرَة: ١٧٤.

حيّ يستوفي بالكامل قبل موته، فلا يُحرم شيئاً مما هو له، ولا يُرزق ما ليس له، وإذن علامَ التّحاسد، والتّباغض؟.

ثُمَّ ضَرَبَ لَهُ في الْحَيَاةِ أجَلاً مَوْقُوتاً، وَنَصَبَ لَهُ أمَداً مَحْدُوداً، يَتَخَطّى إلَيْه بِأيّامِ عُمْرِهِ، وَيَرْهَقُهُ بِأعْوَامِ دَهْرِهِ؛ حَتّىٰ إذَا بَلَغَ أقْصَىٰ أثَرِهِ، وَاسْتَوْعَبَ حِسَابُ عُمُرِهِ... قَبَضَهُ إلىٰ مَا نَدَبَه إلَيْهِ مِنْ مَوْفُورِ ثَوَابِهِ، أوْ مَحْذُورِ عِقَابِهِ، «لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَ يَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِالْحُسْنَىٰ»[1]؛ عَدْلاً مِنْهُ تَقَدَّسَتْ أسْمَاؤُهُ وَتَظَاهَرَتْ آلاؤُهُ؛ «لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْـَٔلُونَ»[2].

الحياة والمَوْت

(ثُمَّ ضَرَبَ لَهُ) أي لكلّ ذيّ رُوح (في الْحَيَاةِ أجَلاً مَوْقُوتاً، وَنَصَبَ لَهُ أمَداً مَحْدُوداً، يَتَخَطّى إلَيْه بِأيّامِ عُمْرِهِ) شبه العُمر بالمشي، والأيام بالخُطىٰ إلىٰ المَوْت، وفي نهج البلاغة: «من كانت مطيته اللّيل، والنّهار، فإنّه يسار به، وإنْ كان واقفاً، ويقطع المسافة، وإنْ كان مقيماً وادعاً»[3] أي ساكناً مستريحاً (وَيَرْهَقُهُ بِأعْوَامِ دَهْرِهِ) أي أنّ الأمد المحدد يُعجل بالحيّ، ويُسرع به إلىٰ المَوْت بطي السّنوات، ومضي الأعوام. وكلّ ذٰلِكَ بمشيئة اللّه تعالىٰ، فهو الّذي يُحيي، ويُميت في أجلٍ مُسمىٰ، لا يُقدّم ولا يؤخر.

وقال الماديون: نشأت الحياة من مواد كيماوية، تفاعل بعضها مع بعض من باب الصّدفة، والاتفاق، أمّا المَوْت فهو عبارة عن الخلل يطرأ علىٰ التّركيب المادي

---

(١) يقصد بذلك الآية الشّريفة ٣١ من سورة النّجم.

(٢) يقصد بذلك الآية الشّريفة ٢٣ من سورة الأنبياء.

(٣) أُنظر، نهج البلاغة: ٣/ ٥٠ من خطب أمير المُؤمِنِين ﷺ، عيون الحكم والمواعظ: ١٥٥.

الكيماوي، فيبطل تفاعل العناصر، ومعطياتها تماماً كما يحدث للساعة، والهاتف مثلاً[١].

ونسأل الماديين: إذا كانت الحياة نتيجة لتفاعل كيماوي فلماذا لا يخلق علماء الطّبيعة الحياة؟ لقد حاولوا وجربوا مرات ومرات، ففشلوا فشلاً ذريعاً حتّىٰ أكد العديد منهم أنّ أنواع الحياة الموجودة فوق ٱلأرض لا يُمكن تفسيرها طبقاً لخواص المواد الطّبيعية. ومن أراد التّوسع، والتّفصيل فليقرأ فصل المادة والحياة في كتابنا شبهات المُلحدين، والإجابة عنها.

وأيضاً لو نشأت الكائنات الحية بالصدفة لتشابه الْخَلْق بين أفراد ٱلإنسَان، وتعذر الفارق المميز بين فردٍ وآخر، وهل من عاقل علىٰ وجه ٱلأرض يُصدّق أنّ الصّدفة، والطّبيعة العمياء هي الّتي فرقت، ومميزت بين أفراد ٱلإنسَان بإختلاف الصّور، والملامح، والأصوات، وبصمات الأصابع، وغيرها، علماً بأنّ مواد الجسم، وخلاياه، وتفاعلها واحدة في كلّ فرد من أفراد ٱلإنسَان دون أدنىٰ تفاوت بين عبقري، وغبي، وأسود، وأبيض، وهنا يكمن سرّ الإعجاز.

أمّا الْمَوْت فإنّ العلم الطّبيعي يحدد عُمر المادة تبعاً لماهيتها، وأستعدادها لأمدِ الإستمرار، والبقاء، وهذا لا يصدق علىٰ ٱلإنسَان بحال حيث رأينا بالحسّ، والعيان «الوباء يعمّ ومع ذٰلِكَ يفتك بالشاب القوي، ويترك الشّيخ الهزيل، وكم من ضربة قتلت هذا دون ذٰلِكَ، ولو كانت هَذِهِ أسباباً مطردة لظهر أثرها في الجميع دون أستثناء»[٢] علىٰ حدّ تعبير الشّيخ مُحمّد عبده. ولا تفسير لذلك إلا الأجَل المقدر

(١) أُنظر، كِتَاب نظرات في الكتب الخالدة، لحامد حفني داود: ٧٠، تحفة الاحوذي للمباركفوري: ٩/٤٦ و ٢٥٦، بالإضافة إلىٰ كُتُب الكلام والعقائد.

(٢) أُنظر، حياة الشّيخ مُحمّد عبده لمحمد راسم: ١٢٤.

بعلم ٱللّه.

والخُلاصة: لا تفسير إطلاقاً لما في باطن ٱلإنسَان من غرائز، وعناصر، وملكات وفي ظاهره من صفات، وعلامات إلا بقوة تقول للشيء كُن فيكون؛ لأنّ الفكرة المضادة لهذه القوة جنون، وحماقات كما قال فولتير[1].

الحساب

(قَبَضَهُ إِلىٰ مَا نَدَبَه إِلَيْهِ مِنْ مَوْفُورِ ثَوَابِهِ، أَوْ مَحْذُورِ عِقَابِهِ) لا مفر من الْمَوْت، وأيضاً لا مفر من البعث بعد الْمَوْت لا لمجرد البعث، بل للحساب، والمعاملة بالمثل أي «لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَ يَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى»[2]؛ عَدْلاً مِنْهُ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ وَتَظَاهَرَتْ آلاؤُهُ) أي نعمة، وأشار الإمام؛ بكلمة العدل إلىٰ أنّه لا يستقيم في عدل ٱللّه أنْ يستوي مصير الْمُؤْمِن، والكافر، والبرّ، والفاجر، فيفلت المسيء من العقاب، ويحرم الُمحسن من الثّواب، وإذن لا بد من قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[3]. قال إفلاطون: لو لم يكن معاد نرجو في الْخَيْرات لكانت الدُّنْيَا فرصة الأشرار، وكان القرد أفْضَل من ٱلإنسَان[4].

وقد وضعت كتاباً خاصاً في البعث باسم «الآخرة والعقل» طُبع العديد من المرات، ثُمّ عدتُ إلىٰ هذا الموضوع مراراً في التّفسيرين: (الكاشف، والمُبين)، وفي ظلال نهج البلاغة وغير ذٰلِكَ ٱلّفت. وقرأتُ الكثير من أقوال المنكرين،

---

(١) أُنظر، إعلام النّبلاء: ٤٤٣/٧، أُدباء حلب: ١١، سبل الهدىٰ والرّشاد: ٢٣/١.

(٢) يقصد بذلك الآية الشّريفة ٣١ من سورة النّجم.

(٣) آل عمران: ١٠٦.

(٤) أُنظر، جمهورية إفلاطون، البحث الخامس، (النّتيجة وخلود النّفس وجزاء الفضيلة يَوْم الدينونة).

وأدلتهم، فوجدتها ترتكز علىٰ أمرين:

الأوّل: ما ذَكَرَ ذاكرٌ أنّه شاهدَ ميتاً خرج من قبره، وعـاد إلىٰ النّشأة الأوّلىٰ. **الجواب:** لا أحدٌ يدعي عودة الميت إلىٰ النّشأة الأولىٰ (أي الحياة الدُّنيَا) كي يقال له: ما رأينا ميتاً عادت إليه الحياة، وإنّما العودة إلىٰ النّشأ الأُخرىٰ، وهي الآن في عالم الغيب، ولا يجليها سبحانّه إلا لوقتها.

الأمر الثّاني: مُجرد الاستبعاد أنْ يعود الميت إلىٰ الحياة.

الجواب: لقد وُجد ٱلإنسَان ولم يكُ شيئاً، فالذي أوجدهُ من لا شـيء يُـعيده ثانيةً، وبكلام آخر كلّ من يعترف بأنّ ٱلإنسَان وجِدَ بسببٍ، أو بالصدفة، فعليه أنْ يعترف حتماً بإمكان وجوده حيّاً بعد الْمَوْت بالصدفة، أو سبب تماماً كما وجد في البداية... أبداً لا مفر من الاِعْتِرَاف بإمكان الوجودين معاً، أو بإنكارهما معاً، علماً بأنّ إنكار الأوّل مخالف للحس، والعيان، ومن أعـترف بـالوجود الأوّل، وأنكـر إمكان الوجود الثّاني فقد فصل الشّيء عن ذاته، وناقض نفسه بـنفسه، ولذا قـال الإمام أمير الْمُؤْمِنِين ﷺ: «عجبتُ لمـن أنكـرَ النّشأة الأُخـرىٰ وهـو يـرىٰ النّشأة الأوّلىٰ»[1].

(لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ)[2]، كـلّ عـاقل يأخـذ بشـهادة الصَّـادِق الأمِين، ويعمل بنصيحة الطّبيب الخبير المخلص، والعالم المتخصص ـ بلا سُـؤَال وتردد، ولا يخرج عن هَذِهِ القاعدة إلا شاذ: «فإنّ الشّاذ من النّاس للشّيْطَان، كما أنّ الشّاذ من الغنم للذئب»[3] كما قال الإمام ﷺ. وٱللّه سبحانه هو العـلم، والصّـدق،

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٤/ ٣٠، الحكمة (١٢٦)، شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ٥/ ٣٠٩.
(٢) الأنبياء: ٢٣.
(٣) أُنظر، نهج البلاغة: ٢/ ٨، الحكمة (١٢٧)، شرح نهج البلاغة لابـن أبـي الحـديد: ٨/ ١١٢،

والعدل، والحقّ، والعلم دليل لا مدلول، والحقّ سائل لا مسؤول.

وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَوْ حَبَسَ عَنْ عِبَادِهِ مَعْرِفَةَ حَمْدِهِ عَلَىٰ مَا أَبْلاَهُمْ مِنْ مِنَنِهِ الْمُتَتَابِعَةِ وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ الْمُتَظَاهِرَةِ لَتَصرَّفُوا فِي مِنَنِهِ فَلَمْ يَحْمَدُوهُ، وَتَوَسَّعُوا فِي رِزْقِهِ فَلَمْ يَشْكُرُوهُ؛ وَلَوْ كَانُوا كَذٰلِكَ لَخَرَجُوا مِنْ حُدُودِ الإِنْسَانِيَّةِ إِلَىٰ حَدِّ الْبَهِيمِيَّةِ، فَكَانُوا كَمَا وَصَفَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[1].

الشّعور بالواجب

(وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَوْ حَبَسَ عَنْ عِبَادِهِ مَعْرِفَةَ حَمْدِهِ...) مِن أهم الفوارق بين ٱلإنسَان والحيوان. أنّ ٱلإنسَان يشعر بالواجب نحو خالقه، ونفسه، وأسرته، ومجتمعه، وأنّه مُحاسب عَلَيْهِ، ومُعاقب لو فرط بشيء منه، وإنْ نهض بهِ، وأداه علىٰ وجهه عاد عَلَيْهِ بالخير دُنيا، وآخرة، وفي الحديث القُدسي: «ما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما ٱفترضت عَلَيْهِ»[2] ومن جملة ما ٱفترضه سبحانه علىٰ عِبَادِهِ الشُّكر له، ومن آياته: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلاً طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[3] وقوله تعالىٰ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾[4]. وأفضَل أنواع الشُّكر ترك المحرمات. وفي طليعتها كَفّ الأذىٰ عن

⟸ وطبعة عبده: ٢٦١.

(١) يقصد الآية ٤٤ من سورة الفرقان.

(٢) أُنظر، الفروق للقرافي: ١٢٢/٢، صحيح البخاري: ١٢٩/٤ ح ٢، ولكن بلفظ (ما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما ٱفترضت عَلَيْهِ)، ومسند أحمد: ٢٥٦/٦.

(٣) النّحل: ١١٤.

(٤) إبراهيم: ٧.

النّاس، وأدناها أنْ يعرف ٱلإنسَان أنّ ما بِهِ من نعمة فمن فضل ٱللّه، وطَوله، لا من حول المنعم عَلَيْهِ، وقوته، قال الإمام الصَّادِق عليه السلام: «شُكر النّعمة ٱجتناب المحارم[1]... من أنعم ٱللّه عَلَيْهِ بنعمة فعرفها بقلبه، فقد أدىٰ شكرها»[2].

ولا يستخف بشكر النّعمة، والمنعم إلا الّذين يتصرفون تصرف البهائم، وإلىٰ هؤلاء أشار الإمام عليه السلام بقوله: (وَلَوْ كَانُوا كَذٰلِكَ) أي لم يشكروا ٱللّه، ويحمدوه علىٰ رزقِهِ، وفضلِهِ (لَخَرَجُوا مِنْ حُدُودِ الإِنْسَانِيَّةِ إِلَىٰ حَدِّ الْبَهِيمِيَّةِ) يتصرف ٱلإنسَان عن عقل، وعلم، وتجربة، وتفكير، وتصميم، والحيوان يتصرف بغريزة تقوده آلياً، وتلقائياً إلىٰ ما يضطر إليه في حياته، وبقائه، ولا يعرف بالتحديد أين يذهب؟ ولا ماذا يفعل، أو متىٰ يعود إلىٰ حظيرته؟ تماماً كالسيارة يقودها السّائق مع الفرق أنّ سائق الحيوان من داخلِهِ، وسائق السّيارة من خارجها، والدّليل القاطع علىٰ ذٰلِكَ أنّ الحيوان لم يتطور، ويتغير في حياته مدىٰ آلاف القرون.

قال الإمام أمير الْمُؤْمِنِين عليه السلام: «العاقل يتعظ بالآداب، والبهائم لا تتعظ إلا بالضرب»[3].

وفي كِتَاب الطّب الرّوحاني لأبي بكر الرّازي[4]: «الحيوان يروّث عند الحاجة

(١) أُنظر، الكافي: ٢/٩٥ ح ١٠، بحار الأنوار: ٦٨/٤٠.

(٢) أُنظر، الكافي: ٩٦ ح ١٥، تحف العقول: ٣٦٩، بحار الأنوار: ٦٨/٣٢ ح ١٠.

(٣) أُنظر، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦/١١٣، نهج السّعادة: ٧/٢٦٦.

(٤) هو مُحمّد بن زكريا الطّبيب الرّازي، المتوفّي حدود سَنَة (٣٢٠هـ)، كما ذكره القفطي في أخبار الحكماء، أو سَنَة (٣١١هـ)، كما في غيره، وهو صاحب تصانيف كثيرة منها: آثار الإمام الفاضل المعصوم، وكِتَاب الإمام والمأموم، وكِتَاب النّقض علىٰ الكيال في الإمامة، وكِتَاب أطعمة المرضىٰ، وكِتَاب الأعضاء، وكِتَاب أمراض الأطفال، وكِتَاب التّدابير، وغير ذٰلِكَ كثير، أُنظر الذّريعة: ١/٦ و: ٤/١٧.

في أي مكان، وزمان. أمّا ٱلإنسَان فيقهر طبعه لمعانٍ عقلية»[1].

(إِنْ هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلا)، لأنّ الأَنْعَام تؤدي ما عـليها، وتـنقاد لصاحبها أمراً، وزجراً. أمّا أهْل الجهالة، والضّلالة فلا يؤدون ما عَلَيْهِمْ، ولا ينقادون لخالقهم، وفوق ذٰلِكَ فإنّ الأَنْعَام تنفع، ولا تضر، وهُم وباء، وأدواء علىٰ المجتمع، والإنسانية.

وَالْحَمْدُ للهِ عَلَىٰ مَا عَرَّفَنا مِنْ نَفْسِهِ، وَأَلْهَمَنَا مِنْ شُكْرِهِ، وَفَتَحَ لَنَا من أبوَابِ الْعِلْمِ بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَدَلَّنَا عَلَيْهِ مِنَ الإِخْلاَصِ لَـهُ فِـي تَـوْحِيدِهِ، وَجَنَّبَنا مِنَ الإِلْحَادِ، وَالشَّكِّ فِي أَمْرِهِ، حَمْداً نُعَمَّرُ بِهِ فِيمَنْ حَمِدَهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَنَسْبِقُ بِـهِ مَنْ سَبَقَ إِلَىٰ رِضَاهُ وَعَفْوِهِ حَمْداً يُـضِيءُ لَـنَا بِـهِ ظُلُمَاتِ الْبَرْزَخِ، وَيُسَهِّلُ عَلَيْنَا بِهِ سَبِيلَ الْمَبْعَثِ، وَيُشَرِّفُ بِهِ مَنَازِلَنَا عِنْدَ مَوَاقِفِ الأَشْهَادِ؛ يَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[2].

حَمْداً يَرْتَفِعُ مِنَّا إِلَىٰ أَعْلَىٰ عِلِّيِّينَ فِي كِتَابٍ مَرْقُومٍ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ، حَمْداً تَقَرُّ بِهِ عُيُونُنَا إِذَا بَرِقَتِ الأَبْصَارُ، وَتَبْيَضُّ بِهِ وُجُوهُنَا إِذَا اسْوَدَّتِ الأَبْشَارُ، حَمْداً نُعْتَقُ بِهِ مِنْ أَلِيمِ نَارِ ٱللهِ إِلَىٰ كَرِيمِ جِـوَارِ اللهِ؛ حَـمْداً نُزَاحِمُ بِهِ مَلاَئِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ، وَنُضَامُ بِـهِ أَنْبِيآءَهُ الْمُـرْسَلِيْنَ فِـي دَارِ الْمُقَامَةِ الَّتِي لاَ تَزُولُ، وَمَحَلِّ كَرَامَتِهِ الَّتِي لاَ تَحُولُ.

---

(١) أنظر، الطِّب الرّوحاني: ٢٤٥ نقلاً عن الموسوعة الطِّبية طبعة شركة كوتالاسكوت ١٨٥٧م.

(٢) الدُّخان: ٤١.

الْخَلْقَ والخالق

(وَالْحَمْدُ للهِ عَلَىٰ مَا عَرَّفَنا مِنْ نَفْسِهِ) مِنْ. هُنا بمعنىٰ الباء كما هي في الآيـة: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾(١)، والمُراد بنفسهِ تعالىٰ وجوده، وعَـظَمَتِهِ فـي ذاتـه، وصفاتهِ (وَأَلْهَمَنَا مِنْ شُكْرِهِ)، إشارة إلىٰ حُكم العقل بوجوب شُكـر المُـنعم، لأنّ البذل، والعطاء معناه العناية بمن تعطيه، وهَذِهِ العناية تستوجب الشُّكر سواء أكانت من الخالق، أم المخْلُوق، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا كَـانَ لَكُـمْ جَـزَآءً وَكَـانَ سَـعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾(٢).

وفي الحديث: «أشكركم لله أشكركم للناس»(٣).

(وَفَتَحَ لَنَا من أبوَابِ الْعِلْمِ بِـرُبُوبِيّته، وَدَلَّـنَا عَـلَيْهِ مِـنَ الإِخْـلاَصِ لَـهُ فِـي تَوْحِيدِهِ...) دعا سبحانه العباد إلىٰ الإِيْمَان به، والإخلاص له في العبادة وحده بلا ندٌ، وشريك، وما من شك أنّ الإِيْمَان ثمرة العلم، وفرع عنه، لذا أرشدنا سبحانه إلىٰ الطّريق الموصل إلىٰ هذا العلم، وهو إمعان النّظر في الموجودات الكونية، وطبائعها، وترتيبها، وتماسكها، ووحدة نظامها حيث لا تفسير معقول لذلك إلا بقوة عليمة، وحكيمة، أمّا تفرد هَذِهِ القوة فتدل عَلَيْهِ وحدة الكون فـي أوضـاعه، وحـركاته، وقوانينه، إذ لا أثر فيه للتعدد، والإنقسام: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِـن تَـفَـٰوُتٍ فَارْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾(٤).

---

(١) الشّورىٰ: ٤٥.

(٢) ٱلإنسَان: ٢٢.

(٣) أُنظر، الكافي: ٩٩/٢ ح ٣٠، كنز العمال: ٢٦٦/٣ ح ٦٤٨١، تأريخ مدينة دمشق: ٢٩٠/١٤ رقم (١٥٨٦)، وسائل الشّيعة: ٣١٠/١٦، مستدرك سفينة البحار: ٢٩/٦.

(٤) ٱلمُلك: ٣.

وقال عالم رباني: هل يسوغ بمنطق العقل، والبديهة أنْ نفسر ذٰلِكَ بالصدفة، والإتفاق، أو بقوة عمياء صماء طائشة لا عقل لها، أو بقوة مخربة مدمرة باطشه لا رَحْمَة لها، أو بقوة عابثة لاهية لاعبة لا هدف لها. وقال آخر: الوجود كِتَاب ألفه اَللّٰه فأحكم تأليفه، فجعل كلّ عنصر من عناصره حرفاً من حروفه، وكلّ ذرة من ذرات الكائنات كلمة مقروءة من كلماته وراءها حقيقة خفية، تبعث علىٰ التّفكير، يفهمها العاقل، والذّكي. وهٰذِهِ العبارات، وأمثالها شرح، وتفسير لقول الشّاعر[1]:

وفي كلّ شيء لهُ آيةٌ   تدلُ علىٰ أنّه واحـد

مراحل الحياة

(حَمْداً نُعَمَّرُ بِهِ فِيمَنْ حَمِدَهُ مِنْ خَلْقِهِ) نُعَمَّرُ بتشديد الميم بمعنىٰ نـزيد بـحمده تعالىٰ في عدد الّذين يحمدون اَللّٰه ويشكرونه؛ لأنّ الزّيادة في العدد قوة، وعُمران (وَنَسْبِقُ بِـهِ مَنْ سَبَقَ إِلَىٰ رِضَاهُ وَعَفْوِهِ) التّسـابق إلىٰ الْـخَيْرات، والتّـنافس فـي الْحَسَنَات من دأب الْمُتّقِين الأبْرَار (حَمْداً يُضِيءُ لَنَا بِهِ ظُـلُمَاتِ الْـبَرْزَخِ). لحـياة اَلإنسَان ثلاث مراحل: تبتدئ الأوّلىٰ وتنتهي بالموت، وتبتدئ الثّـانية بـالموت، وتنتهي بالبعث، قال سبحانه: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[2] وتـبتدئ الثّالثة بالبعث، ولاتنتهي إلىٰ حدٍّ، وسُئل الإمام الصّادِق‏ عن البرْزَخ فقال: «هو

(١) نُسب هذا اَلْبَيْت لأبي العتاهية كما جاء في ديوانه: ٦٢ طبعة دار الكتب العلمية، وسبل الهدىٰ والرّشـاد: ٣/٢٧، البـدايـة والنّـهاية: ١٣/٣٧٥، تأريـخ بـغداد: ٦/٢٥١، تأريـخ دمشـق: ١٣/٤٥٣، تفسير القرطبي: ٤/٣١٣، تفسير ابن كثير: ١/٢٦و ٦٢ و: ٣/٤٥، تفسير الثّعالبي: ٢/١٤٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦/٤١٢، المجازات النّبوية للشـريف الرّضـي: ٢٢١، شرح أُصول الكافي: ٣/١٤٧.

(٢) المؤمنون: ١٠٠.

القبر؟»[١] من حين الْمَوْت إِلىٰ يَوْم الْقِيَامَة، وعَلَيْهِ يكون المُراد بـظُلمات البـرزخ ظُلمات القبر (وَيُسَهِّلُ عَلَيْنَا بِهِ سَبِيلَ الْمَبْعَثِ...) من ظُلمة القبر، وغُربته، وضيقه، ووحشته إلىٰ ما هو أشدّ وأعْظمْ، إلىٰ الوقوف بين يدي جبار قهار؛ لنقاش الحساب علىٰ ما فعلنا، وتركنا، وأسررنا، وأعلنا.

وبعد التّنقيب، والبحث الطّويل في كِتَاب اللّٰـه والسُّـنة النّبوية، وآثـار الآل الأطهار ـ آمنتُ، وأيقنتُ أنّ كلّ مُذنبٍ يُمكن أنْ تنالهُ من اللّٰه مغفرةٌ، ورحمةٌ إلا من أشرك، ومن أعتدىٰ علىٰ النّاس. قال الرَّسُول الأعظم ﷺ: «إنّ علىٰ كلّ مسلم صدقة، فقيل له: ومَن يُطيق ذٰلِكَ يا رَسُول اللّٰه؟ قال: إماطتك الأذىٰ عن الطّريق صدقة... وإرشادك الضّال إلىٰ الطّريق صدقة...وعيادتك المريض صدقة، وأمرك بالمعروف صدقة، ونهيك عن المنكر صدقة، وردك السّلام صدقة»[٢]. وقال الإمام أمير الْمُؤْمِنِين ؑ: «بئس الزّاد إلىٰ المعاد العدوان علىٰ العـباد»[٣]. وقـال الإمـام الصَّادِق: «أَفْضَل الجهاد مَن أصبح لا يهم بظلم أحد[٤]... البُهتان علىٰ البريء أثقل

(١) أُنظر، الخصال للشيخ الصّدوق: ١٢٠، الدّعوات للراوندي: ٢٤٤، بحار الأنـوار: ١٤٨/٧٨ ح ١٠، تفسير نور الثّقلين: ٥٥٣/٣.

(٢) أُنظر، الدّعوات لقطب الدّين الرّاونـدي: ٩٨، مسـتدرك الوسـائل: ١٧٢/٧ و ٢٤٢، مـجمع الزّوائد: ١٠٤/٣، مسند ابـن راهـويه: ٢٧٤/١، كـنز العـمال: ٤١١/٦ ح ١٦٣٩ و ١٦٤٢١ و ١٦٤٢٤ و ١٧٠٤٢، تأريخ دمشق: ٢٨/١٣، السـنن الكـبرىٰ: ١٨٨/٤، سـنن أبـي داود: ٢٩٠/١، البحار: ١٨٢/٩٦ ح ٣٠.

(٣) أُنظر، نهج البلاغة: ٤٩/٤ خطبة (٢٢١)، شرح نهج البلاغة لابن أبـي الحـديد: ٤٣/١٩ و: ٣٤٠/٢٠، عيون الحكم والمواعظ: ١٩٣، شرح أُصول الكافي للمازندراني: ١٩٧/١، تحف العقول: ٩١، أمالي الصّدوق: ٥٣/١، عـيون أخـبار الرّضا: ٥٨/١، مسـند الإمـام الرّضـا: ٢٩٢/١.

(٤) أُنظر، السّرائـر: ٦١٥/٣، المـحاسن للـبرقي: ٢٩٢/١، كـنز العمال: ٣٠٧/٤ ح ١٦٠٣٦،

من الْجِبَال الرّاسيات[١]... من أذنب ـ بغير الإعتداء علىٰ النّاس ـ كان للعفو أهلاً[٢].
وفي سفينة البحار للشيخ القمي: «حُبس شهيد علىٰ باب الْجَنَّة لثلاثة دراهم كانت ليهودي عَلَيْهِ»[٣].

ولا دِين، وشريعة تثيب علىٰ النّفي، والعدم إلا الإسْلاَم، فالصمت عن البريء خير، وحسنة، وإمساك الشّرّ، والآذىٰ عن النّاس فضيلة، وكرامة تُشكر، وتُؤجر؛ ولهذا وأمثاله سطع نور الإسْلاَم في شرق ٱلأرْض، وغربها في سنين معدودات، وكتبتُ في فلسفة كَفّ الأذىٰ العديد من الصّفحات في كِتَاب فلسفة الأَخْلاَق[٤].

(حَمْداً يَرْتَفِعُ مِنَّا إِلَىٰ أَعْلَىٰ عِلِّيِّينَ) جمع عِلّي بكسر العين، وتشديد اللام، وهو أعلىٰ المراتب، ويقابله أسفل سافلين (فِـي كِـتَابٍ) الأعـمال (مَـرْقُومٍ) مكـتوب (يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ) أي المَلاَئِكَة المقربون، أو كلّ من يقترب منه. وهذا ٱقتباس من سورة المطففين[٥] (حَمْداً تَقَرُّ بِهِ) أي بجزائِهِ، وثوابِهِ (عُيُونُنَا إِذَا بَـرِقَتِ الأَبْـصَارُ)

* روضة الواعظين: ٤٢١، الفردوس بمأثور الخطاب لابن شيرويه: ٣٥٧/١ ح ١٤٣٨، بحار الأنوار: ٣٢٠/٧٥ ح ٤٧، مَكَارِمِ الأَخْلاَق للطبرسي: ٤٣٣، مستدرك الوسائل: ٩٧/١٢، من لا يحضره الفقيه: ٣٥٢/٤ بعض المصادر تسنده إلىٰ الإمام عليّ عليه السلام عن ٱلرَّسُول صلى الله عليه وآله.

(١) أُنظر، الخصال: ٣٤٨ ح ٢١، أمالي الصّدوق: ٣١٧، معاني الأخبار: ١٧٧، مستدرك الوسائل: ١٢٨/٩، الأختصاص للشيخ المفيد: ٢٤٧، بحار الأنوار: ١٩٤/٧٢.

(٢) قريب منه في المحاسن للبرقي: ٢٧/١، والكافي: ٤٢٧/٢، وأمالي الصّدوق: ٣٦٢، ومستدرك سفينة البحار: ٤٥٨/٣، ومجمع الزّوائد: ٢١١/١٠، والمعجم الأوسط: ١٨٩/٢، والجامع الصّغير: ٥٦٢/٢، وكنز العمال: ٢٢٠/٤ ح ١٠٢٤٣ و ١٠٤٢٥.

(٣) أُنظر، سفينة البحار للشيخ عباس القمي: ١٨٤/١

(٤) أُنظر، كِتَاب فلسفة الأَخْلاَق للشيخ رحمه الله: ١٣٩، وما بعدها.

(٥) المطففين: ٢٠ ـ ٢١، ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾.

إذا تحيرت، ودهشت فزعاً في يَوْمِ الْقِيَامَة، وهو أقتباس من سورة الْـقِيَامَة[١]: (وَتَبْيَضُّ بِهِ وُجُوهُنَا إِذَا اسْوَدَّتِ الأَبْشَارُ) جمع بشرة: سطح الجلد، أيضاً أقتباس من سورة آل عمران[٢] (تُعْتَقُ بِهِ) نتحرر به من النَّار (نُزَاحِمُ بِهِ) نشارك به المَلائِكَة (وَنُضَامُّ بِهِ) من الضّم بمعنىٰ الجمع من الأنبياء، أيضاً أقتباس من سورة النّساء[٣].

والخُلاصة: أنّ الإمام‌ﷺ يحمد اللّٰه بالقول، والفعل حمداً يقربهُ من مرضاتهِ، ويبتعد به عن غضبهِ، ويرفعهُ إلىٰ أسنىٰ المراتب، وأعلىٰ المنازل، وما من شكٍّ أنّ الْحَمْد لله رضا بما قسم، وتواضع لجلالهِ، وتعظيم، وذكر، وشكر، قال سبحانه: ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[٤] ولا ينبغي ترك الْحَمْد في سراءٍ، ولا ضراءٍ فقد كان النّبي ﷺ إذا ورد عَلَيْهِ أمر يسرهُ قال: «الْـحَمْد لله علىٰ هَـٰذِهِ النّعمة، وإذا ورد عَلَيْهِ أمر يغتم به قال: الْحَمْد لله علىٰ كلّ حال»[٥].

وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي اخْتَارَ لَنَا مَحَاسِنَ الْخَلْقِ، وَأَجرىٰ عَـلَيْنَا طَـيِّبَاتِ الرِّزْقِ، وَجَعَلَ لَنَا الفَضِيلَةَ بِالْمَلَكَةِ عَلَىٰ جَمِيعِ الْخَلْقِ؛ فَكُلُّ خَـلِيقَتِهِ مُنْقَادَةٌ لَنَا بِقُدْرَتِهِ، وَصَائِرَةٌ إِلَىٰ طَاعَتِنَا بِعِزَّتِهِ.

---

(١) الْقِيَامَة: ٧.﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾.

(٢) آل عمران: ١٠٦.﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

(٣) النّســاء: ٦٩. ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَـٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّـٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـٰئِكَ رَفِيقًا﴾.

(٤) الْبَقَرَة: ١٥٢.

(٥) أُنظر، الكافي: ٢/٩٧ ح ١٩، بحار الأنوار: ٩٣/٢١٤، وسائل الشّيعة: ٢/٨٩٦ح ٤.

مِنْ نِعم ٱللّٰه تعالىٰ

(وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي ٱخْتَارَ لَنَا مَحَاسِنَ الْخَلْقِ) أي الشّكل، والصّورة، قال سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[1]، وقال تعالىٰ: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[2]، خَلَق سبحانه ٱلإنسَان في أحْسَن خلقة، وأحكمها، وأدقها، فهو من حيث الحجم وسط بين الفيل، والقرد، ومن حيث الطّول، والقصر لا إفراط ولا تفريط، أمّا الجمال فيتجلىٰ في القوام، وتنسيق الأعضاء، وٱنسجام بعضها مع بعض، وكثير من الفلاسفة يسمون ٱلإنسَان بالكون الصّغير، قال مُلا صدرا في شرح أُصول الكافي: «إنّ ٱللّٰه ٱختصر من هذا العالم مخلوقاً يحوي معانيه كلّها علىٰ أكمل الوجوه، وسماه ءَادَمَ»[3]، وفي كِتَاب «ٱلإنسَان ذٰلِكَ المجهول» تأليف الكسيس كاريل: «إنّ جسم ٱلإنسَان في شكله يعبر عن شهواته، ومشاعره بخاصة قسمات وجهه»[4].

(وَأَجرىٰ عَلَيْنَا طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ) سخّر سبحانه الطّبيعة، وخيراتها لكلّ النّاس علىٰ أنْ يستثمروها في متطلبات الحياة، وجعلها للجميع دون ٱستثناء؛ لأنّه تعالىٰ هو الخالق، والمالك، والرّازق، وكلّ الخلائق عِبَادِه، وعياله، حتّىٰ الجاحد، والمعاند (وَجَعَلَ لَنَا الْفَضِيلَةَ بِالْمَلَكَةِ عَلَىٰ جَمِيعِ الْخَلْقِ) المَلَكَة: صفة راسخة في النّفس[5]، والمُراد هنا ـ بقرينة السّياق ـ أنّ في ٱلإنسَان دون سواه ٱستعداداً عقلياً

---

(١) التّين: ٤.
(٢) غافر: ٦٤.
(٣) أُنظر، ج ٣١١/٢، وتفسير الميزان: ٢٥٠/١٦.
(٤) أُنظر، ص: ٢٢٣.
(٥) أُنظر، مستدرك سفينة البحار: ٤٢٠/٩، تأريخ مدينة دمشق: ٢٠/١٨.

يؤهله لأنْ يسخّر الطّبيعة في مقاصدهِ، وفوائدهِ (فَكُلُّ خَلِيقَتِهِ مُنْقَادَةٌ لَنَا بِـقُدْرَتِهِ، وَصَآئِرَةٌ إِلَىٰ طَاعَتِنَا بِعِزَّتِهِ) قال الإمام ﷺ هذا منذ ١٣ قرناً حيث كان العلم كلاماً، وتعبيراً وحديثاً وتفسيراً، وكان الحديث، أو التّنبؤ عن تطور العقل، والعلم إلىٰ مـا انتهىٰ إليه في عهدنا الرّاهن ـ ضرباً من الجنون في مفهوم النّاس، فكيف تنبأ الإمام بذلك؟ ومن أين جاءه هذا العلم؟ أبداً لا وسيلة آنذاك إلا الرّواية عن أبيه عن جده عن جِبْرِيلُ عن الباري.

وتنبأ جده الإمام عليّ ﷺ بأشياء كثيرة حدثت من بعده تماماً كما أخبر، فقال له أحد أصحابه: «لقد أُعطيت علم الغيب يا أمير الْمُؤْمِنِين. قال له: ليس هو بعلم غيب، إنّما هو تعلّم من ذي علم»[1].

وبعد، فإنّ ٱللّه سبحانه خَلَق الكون بما فيه من خصائص، ومواد أولية، وخَلَق ٱلإِنسَان، وزوده بكلّ قوة، وطاقة تجعل أشياء هذا الكون طوع أنامله، ليستعملها في الْخَيْر لا في الشّرّ، وللبناء لا للهدم، وللتعاون من أجل حياة أَفْضَل لا للاحتكار، والإستغلال، والإستعمار. وإلىٰ هذا أشار الإمام بقوله: (مُنْقَادَةٌ لَنَا بِقُدْرَتِهِ، وَصَآئِرَةٌ إِلَىٰ طَاعَتِنَا بِعِزَّتِهِ).

وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَغْلَقَ عَنَّا بَابَ الْـحَاجَةِ إلاّ إِلَـيْهِ، فَكَـيْفَ نُـطِيقُ حَمْدَهُ؟ أَمْ مَتَىٰ نُؤَدِّي شُكْرَهُ؟!، لا، مَتَىٰ؟.

وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي رَكَّبَ فِينَا آلاتِ الْبَسْطِ، وَجَعَلَ لَنَا أَدَوَاتِ الْقَبْضِ، وَمَتَّعَنا بِأَرْواحِ الْحَياةِ، وَأَثْبَتَ فِينَا جَوَارِحَ الأَعْمَال، وَغَذَّانَا بِطَيِّبَاتِ

(١) أنظر، نهج البلاغة: ٢/ ١٠ خطبة (١٢٦ و ١٢٨)، شرح أصول الكافي: ٢/ ٣٢٣، شرح مئة كلمة للبحراني: ٢٤٦.

الرِّزْقِ، وَأغْنانَا بِفَضْلِهِ، وَأقْنانَا بِمَنِّهِ.

ثُمّ أمَرَنَا لِيَخْتَبِرَ طاعَتَنا، وَنَهَانَا لِيَبْتَلِيَ شُكْرَنَا فَخَالَفْنَا عَنْ طَرِيْقِ أمْرِهِ، وَرَكِبْنا مُتُونَ زَجْرِهِ؛ فَلَم يَبْتَدِرْنا بِعُقُوبَتِهِ، وَلَمْ يُعَاجِلْنَا بِنِقْمَتِهِ بَلْ تَأنَّانا بِرَحْمَتِهِ تَكَرُّماً، وَانْتَظَرَ مُراجَعَتَنَا بِرَأفَتِهِ حِلْماً.

(وَالْحَمْدُ لله الَّذِي أغْلَقَ عَنّا بَابَ الْحَاجَةِ إلاّ إلَيْهِ) قد يقول قائل: كلّ واحد من النّاس يحتاج إلىٰ النّاس إلا أنْ يعيش في السّماء مع المَلائِكَة بلا غذاء، وكساء، أو في الغاب مع الوحوش، إنّ العلاقات المتبادلة بين أفراد الجماعة تفرضها طبيعة الحياة الإجتماعية، وعَلَيْهِ يكون الْحَمْد علىٰ الغنىٰ عن النّاس حمداً علىٰ لا شيء، بل يستحيل أنْ يقع.

الجواب: أجل، كلّ مَن يخوض غمار الحياة يحتاج إلىٰ غيره، وغيره يحتاج إليه تماماً كحاجة كلّ من البائع، والمشتري إلىٰ الآخر، وهذا اللّون من التّبادل يُسمىٰ تعاوناً، وتكاملاً، والَّذِي يأكل ولا يعمل، بل يعيش كَلاً، وعالةً علىٰ الآخرين ـ فموته خير من حياته، وعدمه خير من وجوده، قال عزّ من قائل: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَايَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَايَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1] ومن معاني العدل التّسوية بين رجلين في الأخذ، والعطاء. وكلام الإمام عليه السلام بعيد عن العامل، والبطّال، ومراده مجرد البيان بأنّ ٱللّٰه سبحانه أرشدنا بنور الوحي، والعقل إلىٰ ما نحتاج إليه من أُمور الدّين، والدُّنْيا. قال الإمام جَعْفَر الصّادِق عليه السلام: «إنّ ٱللّٰه تعالىٰ أكمل للناس الحجج بالعقول، ونصر التّبيين بالبيان[2]،

(١) النّحل: ٧٦.

(٢) أُنظر، الكافي: ١٣/١، شرح أُصول الكافي للمازندراني: ٩٠/١، تحف العقول: ٣٨٤.

إنّ العقل مع العلم[١]، وما عُبد اَللّه بشيء أَفْضَل من العقل»[٢]. يُريد أنّ الدّين مع العقل، والعقل مع الدّين.

(فَكَيْفَ نُطِيقُ حَمْدَهُ أَمْ مَتَىٰ نُؤَدِّي شُكْرَهُ؟!) لنْ يكون الشُّكر إلا علىٰ معروف يسديه المشكور للشاكر، والْحَمْد أعمّ لأنّك تحمد العالم لعلمِهِ، والصَّادِق لصدقِهِ، وإنْ أساء إليك (لا، مَتَىٰ؟) لا مبرر للتساؤل: «متىٰ نؤدي شُكْرَهُ»؟ لأنّه أشبه بالتساؤل: متىٰ يلج الجمل في سم الخياط (وَالْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي رَكَّبَ فِينَا آلاَتِ الْبَسْطِ، وَجَعَلَ لَنَا أَدَوَاتِ الْقَبْضِ) كناية عن الحرية، والقُدرة علىٰ التّصرف فعلاً، وتركاً (وَمَتَّعَنا بِأَرْواحِ الْحَيَاةِ) أي بطيب العيش، لأنّ أرواح هنا جمع رَوح بفتح الرّاء من الرّاحة، قال سبحانه: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾[٣] (وَأَثْبَتَ فِينَا جَوَارِحَ الأَعْمَالِ) جمع جارحة وهي العضو العامل كاليد، وأحبّ الأيدي إلىٰ اَللّه ورسوله يد تعمل في سبيل العيال، والرّزق الحلال، وفي الحديث:« إنّ من الذُّنُوبِ ذنوباً لا يكفرها صَلاَة، ولا صوم، قيل: يارَسُول اَللّه فما يكفرها؟ قال: الْهُمُوم في طَلَب المعيشة»[٤].

---

(١) أُنظر، الكافي: ١/١٤، شرح أُصول الكافي: ١/٩١.

(٢) أُنظر، الكافي: ١/١٨ ح ١٢، شرح أُصول الكافي: ١/١٧٤، الخصال للشيخ الصّدوق: ٤٣٣، حلية الأولياء: ٤/٤٠، تأريخ دمشق: ٦٣/٣٩٥، تحف العقول: ٣٨٨، كِتَاب العقل لابن أبي الدُّنْيَا: ٤٣، الوسائل: ١٥/١٨٧.

(٣) الواقعة: ٨٩.

(٤) أُنظر، المعجم الأوسط: ١/٣٨، الجامع الصّغير: ١/٣٧٦ ح ٢٤٦١، كنز العمال: ٦/٤٧١ ح ١٦٦٠٠ و ١٦٦٤٠، فيض القدير شرح الجامع الصّغير: ٢/٦٦٧ ح ٢٤٦١، كشف الخفاء: ١/٢٥٤ ح ٧٨٣، تأريخ دمشق: ٥٤/٢٠٠، مجمع الزّوائد: ٢/٢٩١ و: ٤/٦٣، مستدرك

(وَأَغْنَانَا بِفَضْلِهِ، وَأَقْنَانَا بِمَنِّهِ) الإقناء: ما يقنىٰ، ويُدخر من المال لوقت الحاجة، وما من شيء علىٰ الإطلاق إلا ولله فيه تقدير وتدبير (ثُمَّ أَمَرَنَا لِيَخْتَبِرَ طَاعَتَنَا، وَنَهَانَا لِيَبْتَلِيَ شُكْرَنَا) أمرنا سبحانه بما يعود علينا بالخير، والصّلاح، ونهانا عن كلّ شرّ وفساد، ومعنىٰ هذا أنّ التّكليف أمراً، ونهياً هو المحك الّذي يميز، ويفرق بين الخبيث، والطّيب، والعاصي، والمطيع ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[1] (فَخَالَفْنَا عَنْ طَرِيقِ أَمْرِهِ، وَرَكِبْنَا مُتُونَ زَجْرِهِ) تركنا ما أمر به، وفعلنا ما نهىٰ عنه! ولماذا؟ أبداً، لا لشيء إلا لسلطان الهوىٰ، وحلاوة الدُّنيا (فَلَم يَبْتَدِرْنا بِعُقُوبَتِهِ...) يُمهل سبحانه العاصي حتّىٰ كأنّه ما أساء، ولا عصىٰ ولو عاجله بالعقوبة لكان ذٰلكَ حقاً، وعدلاً، ولكنه لم يفعل، ولماذا؟ لأنّ من شأن الإله أنْ يحلم، ويرحم، وأنْ يؤجل، ويُمهل، لعلّ الّذي أسرف علىٰ نفسه أنْ يتداركها بالتّوبة، والإنابة، ولا شيء أبغض إلىٰ ٱللّه من أنْ يشقىٰ عبده بعذابه، ولا أحبّ إليه من أنْ ينعم بثوابه.

وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي دَلَّنَا عَلَىٰ التَّوْبَةِ الَّتِي لَمْ نُفِدْهَا إلاّ مِنْ فَضْلِهِ، فَلَوْ لَمْ نَعْتَدِدْ مِنْ فَضْلِهِ إلاّ بِهَا لَقَدْ حَسُنَ بَلاؤُهُ عِنْدَنَا، وَجَلَّ إِحْسَانُهُ إِلَيْنَا وَ جَسُمَ فَضْلُهُ عَلَيْنَا، فَمَا هكذا كَانَتْ سُنَّتُهُ فِي التَّوْبَةِ لِمَنْ كَانَ قَبْلَنَا، لَقَدْ وَضَعَ عَنَّا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَلَمْ يُكَلِّفْنَا إلاّ وُسْعاً، وَ لَمْ يُجَشِّمْنَا إلاّ يُسْراً، وَلَمْ يَدَعْ لأَحَدٍ مِنَّا حُجَّةً، وَلاَ عُذْراً، فَالْهَالِكُ مِنَّا مَنْ هَلَكَ عَلَيْهِ، وَ السَّعِيدُ مِنَّا مَنْ رَغِبَ إلَيْهِ.

❊ الوسائل: ٤١٥/٢ ح ٩، الدّعوات للراوندي: ٥٦ ح ١٤١، بحار الأنوار: ١٥٧/٧٣ ح ٣. علماً بأنّ الشّيخ ﷺ أورد آخر الحديث بلفظ: (وإنّما يكفرها سعي الرّجل علىٰ عياله).

(١) آل عمران: ١٧٩.

التَّوْبَة

(وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي دَلَّنَا عَلَىٰ التَّوْبَةِ الَّتِي لَـمْ نُـفِدْهَا...) أي لم نحصل علىٰ منافعها، وفوائدها إلا بفضل ٱللّه ورَحْمَته. ومن الفوارق الأساسية بين الْـمُؤْمِن، والمُلحد أنّ الْمُؤْمِن يشعر من أعماقهِ أنّ عَلَيْهِ رقيباً يحفظ، ويسجل جميع أقواله، وأفعاله حتّىٰ ولو أتىٰ بها في الخلوات، والظّلمات، وأنّه مسؤول عنها، ومحاسب عليها، ومكافأ. إنْ خيراً فخير، وإنْ شراً فشر، ولا إنسانية إلا مع هذا الشّعور الَّذِي يجعل الفرد هو السّائل، والمسؤول في آنٍ واحد. أمّا المُلحد فإنّه يسخر من هـذا الشّعور، والإيْمَان، ويراه جهالة، وحماقة، ومن هنا لا يطلب العفو إنْ أذنب إلا إذا خاف من الدّولة، أو المجتمع، علىٰ عكس الْمُؤْمِن الَّذِي يعترف بالذنب، ويـقول بكلّ جرأة: فعلتُ، وأسأتُ، وأقلعتُ وهو آمن علىٰ نفسهِ، ومالهِ، وعرضهِ من كلّ قوة، وسلطة، ويطلب من ٱللّه العفو، والرَّحْمَة، هذي هي التَّوْبَة الشّرعية الّتي فتح سبحانه بابها لعباده وقال لهم: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا﴾[1] وفي قوله تـعالىٰ وصف نفسه بالتواب: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2] أي يقبل التَّوْبَة من التـائب: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾[3].

(فَمَا هكذا كَانَتْ سُنَّتُهُ فِي التَّوْبَةِ لِمَنْ كَانَ قَبْلَنَا) بل كان لقبولها من بعض الأُمم السّابقة، أو من بعض الذُّنُوبِ، ولقبولها شروط قاسية، وثقيلة كما تأتـي الإشـارة إليها.

والتَّوْبَة فضيلة كالصدق، والإخلاص لا ينسخ قبولها، ووجوبها، ولا يخصص

---

(١) هود: ٣.

(٢) التَّوْبَة: ١١٨.

(٣) غافر: ٣.

بذنبٍ دون ذنب، أو بزمانٍ دون زمان، فقد قبلها سبحانه من ءَادَمَ، ويونس، وقومه وغيرهم، وكان كلّ نبي يخاطب قومه بقوله: توبوا إِلىٰ ٱللّٰه، أطيعوا ٱللّٰه يغفر لكم ذنوبكم. أجل إنّ ٱللّٰه سبحانه خفف عن أُمة مُحمّدﷺ الكثير من القيود الّتي فرضت علىٰ بعض الأُمم السّابقة كما تشير الآية :﴿رَبَّنَا وَلَاتَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾[١]، ومن ذٰلِكَ أنّ ٱللّٰه سبحانه لم يقبل التَّوْبَة من بني إسرائيل بعد أنْ أتخذو العجل رباً إلا أنْ يقتل بعضهم بعضاً:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[٢].

(وَلَمْ يَدَعْ لأَحَـدٍ مِنَّا حُجَّةً وَلاَ عُذْراً) حيث وهبنا سبحانه العقل، والقُدرة، والإرادة، وكلفنا باليسير، ووضع عنا ما لا نطيق... وبالعقل نميز، وبالإرادة نختار، وبالقدرة نفعل علماً بأنّه تعالىٰ لا يأمر إلا بخير، ولا ينهي إلا عن شرٍ، ومعنىٰ هذا أنّه تعالىٰ أعذر إِلىٰ عِبَادِهِ بكلّ حجّة ليهلك من هَلَكَ عن بينة، وينجو من نجا عن بينة (فَالْهَالِكُ مِنَّا مَنْ هَلَكَ عَلَيْهِ) المُراد بالهالك هنا المُجرم الهاوي في نارِ جَهَنّم بعد أنْ يعرض علىٰ ٱللّٰه لنقاش الحساب، قال الإمام عليّ : «الغنىٰ، وٱلفقر بعد العرض علىٰ ٱللّٰه»[٣]. وعَلَيْهِ يكون المعنىٰ ليس هلاك المرء بما يعانيه من مصائب الدُّنْيَا، ولا نجاته بسلامته من آفاتها، وإنّما الْهَلاَك، والنّجاة بعد العرض علىٰ ٱللّٰـه يَوْمِ الْقِيَامَة، فمن هَلَكَ في ذٰلِكَ اليوم فهو الهالك حقاً، وواقعاً (وَ السَّعِيدُ مِـنَّا مَـنْ رَغِبَ إِلَيْهِ) أي من خصه بالرغبة، والتَّضَرُّع، والسّؤال، وعوّل عَلَيْهِ وحده في جميع

(١) ٱلبَقَرَة: ٢٨٦.

(٢) ٱلبَقَرَة: ٥٤.

(٣) أُنظر، نهج البلاغة: ١٠٤/٤ الحكمة (٤٥٢)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٥٢/٢٠، شرح أصول الكافي: ١٦٣/١ و ٢٤٤.

أموره.

وَ الْحَمْد للهِ بِكُلِّ مَا حَمِدَهُ بِهِ أدْنَىٰ مَلائِكَتِهِ إلَيْهِ، وَ أكْـرَمُ خَـلِيقَتِهِ عَلَيْهِ، وَأرْضَىٰ حَامِدِيْهِ لَدَيْه، حَمْداً يَفْضُلُ سَآئِرَ الْحَمْدِ كَفَضْلِ رَبِّـنا عَلَىٰ جَمِيعِ خَلْقِهِ.

ثُمَّ لَهُ الْحَمْدُ مَكَانَ كُلِّ نِعْمَةٍ لَهُ عَلَيْنَا وَ عَلىٰ جَمِيعِ عِبَادِهِ الْمَاضِينَ، وَالْبَاقِينَ عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ مِنْ جَمِيعِ الأشْيَآءِ، وَ مَكَانَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا عَدَدُهَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً أَبَداً سَرْمَداً إلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

حَمْداً لاَ مُنْتَهَىٰ لِحَدِّهِ، وَ لاَ حِسَابَ لِعَدَدِهِ، وَ لاَ مَبْلَغَ لِـغَايَتِهِ، وَ لاَ انْقِطَاعَ لأَمَدِهِ.

الحَمْدُ

(وَ الْحَمْد للهِ بِكُلِّ مَا حَمِدَهُ بِهِ أدْنَىٰ مَلائِكَتِهِ إلَيْهِ) المَلائِكَة المقربون إلىٰ اللّـه يحمدونه، ويعبدونه بروحٍ مخلصة خالصة من كـلّ شـائبة، والإمـام ﷺ يـحمدهُ، ويعبدهُ بهذه الرّوح لا لشيئ إلاَّ لأنّه جلّ وعزّ أهْل لذلك وكفىٰ. وإلا كان الـحَمْد، والتّعبد خاضعاً لجلب المنفعة، أو لدفع المضرة، وهذا حمد العبيد، أو التّجار (وَأَكْرَمُ خَلِيقَتِهِ عَلَيْهِ...) أكرم الخلائق، وأرضاهم لديه تعالىٰ هم الأنبياء، والأوصياء، وفي طليعتهم سَيِّد الأنبياء مُحمّد وَأَهْلِ بَيْتِهِ الأطهار عَـلَيْهِمْ جـميعاً أَفْـضَل الصّـلوات (حَمْداً يَفْضُلُ سَآئِرَ الْحَمْدِ كَفَضْلِ رَبِّنا عَلَىٰ جَمِيعِ خَلْقِهِ) وفضله تعالىٰ علىٰ خَـلْقِه لا يعادله فضل، وكذلك حَمْدُ الإمام لله لا يعادله حَمْد (ثُمَّ لَهُ الْحَمْدُ مَكَانَ كُلِّ نِعْمَةٍ لَهُ) من نعمهِ الّتي لا تحصىٰ (عَلَيْنَا) نحن الأحياء الموجودين الآن (وَ عَلىٰ جَـمِيعِ عِبَادِهِ الْمَاضِينَ) من الأموات (وَالْبَاقِينَ) الآتين إلىٰ آخر يَوْم (عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ

مِنْ جَمِيعِ الأشْيَآءِ) ممن كان، ويكون في ٱلأرْض، والسَّماء (وَ مَكَانَ كُلِّ وَاحِـدَةٍ مِنْهَا عَدَدُهَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً) مثلاً مع كلّ حبّة من الرّمل عدد ما في الكـون مـن حباته مرات، ومرات، وهكذا كلّ شيء من أشياء الكون الّتي لا يـعلمها إلاّ ٱللّـه والإمام يَحمد ٱللّه علىٰ كلّ نعمةٍ من نعمه حَمداً يفوق من حيث الوزن كلّ ما خَلَق أضعافاً لا يحصيها سواه، والمقصود بذلك مجرد التّعظيم لجلاله تعالىٰ، والخضوع لكماله المُطلق (أَبَداً سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) الأبد: لا آخر له، والأزل: لا أوّل له، والسّرمد، لا أوّل له ولا آخر (حَمْداً لاَ مُنْتَهَىٰ لِحَدِّهِ، وَ لاٰ حِسَابَ لِعَدَدِهِ، وَ لاَ مَبْلَغَ لِغَايَتِهِ، وَ لاٰ انْقِطَاعَ لأَمَدِهِ) هَذِهِ الجمل مترادفة، وهي عطف تفسير علىٰ ما سبق، والكلّ آقتباس من الآية[1] والآية[2]. ولا بدع فإنّ كلام أهْل بيت الوحي، وخزنة علمه، فيض من بحاره، وثماره.

حَمْداً يَكُونُ وُصْلَةً إِلَىٰ طَاعَتِهِ، وَعَفْوِهِ، وَ سَبَباً إِلَـىٰ رِضْـوَانِـهِ، وَذَرِيعَةً إِلَىٰ مَغْفِرَتِهِ، وَ طَرِيقاً إِلَىٰ جَنَّتِهِ، وَخَفِيراً مِنْ نَقِمَتِهِ، وَ أَمْناً مِنْ غَضَبِهِ، وَ ظَهِيْراً عَلَىٰ طَاعَتِهِ، وَ حَاجِزاً عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَ عَـوْناً عَـلَىٰ تَأْدِيَةِ حَقِّهِ، وَ وَظَائِفِهِ.

حَمْداً نَسْعَدُ بِهِ فِي ٱلسُّعَدَاءِ مِنْ أَوْلِيَآئِهِ، وَنَصِيرُ بِهِ فِي نَظْمِ الشُّهَدَآءِ بِسُيُوفِ أَعْدَائِهِ إِنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيدٌ .

(حَمْداً يَكُونُ وُصْلَةً) وسيلةً (إِلَىٰ طَاعَتِهِ) طَاعَة ٱللّه سبحانه هي الهدف الأوّل

(١) الكهف: ١٠٩ ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾.

(٢) لقـمان: ٢٧. ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

من الإيْمَان به، والسّبيل لمرضاته، وثوابه، والنّجاة من غضبه، وعـقابه، وأفْـضَل الطّاعات لله أنْ نحسن لعياله ولو بكف الأذىٰ عنهم (وَ سَبَباً إِلَىٰ رِضْوَانِهِ وَذَرِيعَةً إِلَىٰ مَغْفِرَتِهِ، وَ طَرِيقاً إِلَىٰ جَنَّتِهِ) كلّ ذٰلِكَ وما إليه هو من ثمار الطّـاعة، وآثـارها (وَخَفِيْراً) حارساً، ومانعاً (وَ ظَهِيْراً) مُعيناً، وبعاعثاً (وَ حَاجِزاً) عطف تفسير عـلىٰ خفير (وَ عَوْناً) عطف تفسير علىٰ ظهير (وَ وَظَائِفِهِ) وهي ما أوجبه تعالىٰ عـلىٰ عِبَادِهِ من صوم، وصلاة، وحجّ، وزكاة (وَنَصِيرُ بِهِ فِي نَظْمِ الشُّـهَدَآءِ) أي نـنضم إليهم، ونجتمع معهم في منازل الكرامة (بِسُيُوفِ أَعْدَائِهِ) أي أستشهدوا في سبيل اَللّٰه بسيوف أعداء اَللّٰه.

الدّعاء الثّاني

الصَّلاةُ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

وَالحَمْدُ للهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمُحَمَّد نَبِيِّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْه وَآلِهِ دُوْنَ الأُمَمِ المَاضِيَة، وَالقُرُونِ السَّالِفَة، بِقُدْرَتِهِ الَّتي لا تَعْجِزُ عَنْ شَيْء وَإنْ عَظُمَ، وَلا يَفُوتُهَا شَيْءٌ وَإنْ لَطُفَ، فَخَتَمَ بِنَا عَلىٰ جَمِيْعِ مَنْ ذَرَأَ، وَجَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَىٰ مَنْ جَحَدَ، وَكَثَّرَنَا بِمَنِّهِ عَلَىٰ مَنْ قَلَّ.

طبيعة الدّعوة وشخصية الدّاعي

(وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمُحَمَّد نَبِيِّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْه وَآلِهِ) الإسْلاَم إصلاح للحياة في إرشادهِ، وهدايتهِ، وحقٌّ، وصدقٌ في مصدرهِ، لأنّه يخاطب العقل، ويأمر بأتباع العلم، وينهىٰ عن الأخذ بالظن، والمحاكاة، والتّقليد، وقال كاتب معاصر: «إذا تتبعنا في الْقُرآن الْكَرِيمِ لفظ العقل، ومشتقاته، ومترادفاته، وجدنا ذٰلِكَ يبلغ ٨٠ مرة، أمّا لفظ العلم، وما يتفرع منه فقد بلغ (٨٨٠) مرة، وكلّ مدلولات العلم، والعقل في كِتَاب اَللَّه ترتبط بالدِّين، والتّشريع، والحياة، وآداب السّلوك» وفي

الحديث: «العقل أصل دِيني»[١]، وفي أُصول الكافي: «العقل دليـل الْـمُؤْمِن»[٢]، «ومن كان عاقلاً كان له دِين»[٣]. ومن دان بدِين العقل، والعلم لا يحتاج إلىٰ شاهد علىٰ دينه، وإيمانه وإلا تحول الدّليل علىٰ غيره مدلولاً عَلَيْهِ، وإنّما يطالب بالدليل علىٰ أنّه يدِين بهذا الدّين القويم، وشاهد الإِسْلاَم كِتَاب ٱللَّه، وسُنة نَبيّه، وأقـوال ٱلْعُلَمَاء، والمفكرين من المسلمين، وغيرهم المنصفين.

ولكن هل تُثمر الدّعوة، وتنتشر لمجرد أنّها سداد، ورشاد؟ فقد أرسل سبحانه مئات الأنبياء للأُمم الماضية قبل مُحمّدﷺ فكذبوا بآياته، ونكلوا برسله ـ ﴿فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾[٤] ـ فأهلكهم بالخسف، أو الطّوفان، أو الصّيحة، وما أشـبه حيث لا علاج علىٰ الإطلاق إلا الْهَلاَك؛ لأنّه تعالىٰ يكره العذاب لعباده، ومن هنا فتح باب التَّوْبَة للمذنبين. وفي أُصول الكافي عن الإمام الصَّادِق؛: «إِنَّ ٱللَّه جلّ وعزّ أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة...»[٥] لا لشيء إلا لأنّه

---

(١) أوده الشّيخ ؛، بتقديم وتأخير، وما أثبتناه ورد عن الإمام الصَّادِق؛ كما جاء في مسـتدرك الوسائل: ١١/١٧٣ ح ١٢٦٧٢، والمحجة البيضاء: ٨/١٠١.

(٢) أُنـظر، الكـافي: ١/٢٥، شـرح أُصـول الكـافي للـمازندرانـي: ١/٣١٥، وسـائل الشّـيعة: ١٥/٢٠٧، كنز الفوائد: ٨٨، نهج السّعادة: ٨/١٩٠ ح ٢١٥.

(٣) أُنظر، وردعن الإمام الصَّادِق؛ كما ورد في الكـافي: ١/١١ ح ٦، شـرح أُصـول الكـافي: ١/٧٨، ثواب الأعمال للصدوق: ١٤، وسائل الشّيعة: ١٥/٢٠٦، الفروق اللّغوية لأبي هـلال العسكري: ٥٢٠.

(٤) المائدة: ٧٠.

(٥) ماأثبتناه من المصادر، والشّيخ ؛، نقل الحديث بصورة مشوشة، أُنظر، مسند أحمد: ٢/٥٢٤ و ٥٣٤، أو بلفظ: (ٱللَّه أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته) كما ورد في صحيح مسـلم: ٨/٩١، شرح صحيح مسلم: ١٧/٦٠، فتح الباري: ١١/٩١، أو بلفظ: (يجد ضالته فقال ٱللَّه ⇐

نجا من العذاب: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[1].

وهنا سُؤال يطرح نفسه: لماذا أستجابت النّفوس لدعوة الإسْلاَم، وتفاعلت معهُ حتّىٰ أنتشر في شرق ٱلأرض، وغربها في أمد لا يتجاوز نصف قرن، وما ظفرت أية دعوة من قبل بمثل هذا الفتح، وأمده، فما هو السّر يا ترىٰ؟.

الجواب: السّر كلّ السّر يكمن في عَظَمَة الإسْلاَم، وأسراره، وفي شخصية مُحمّد الّتي دانت لها الرّقاب طوعاً، وأدهشت الألباب بذاتيتها المؤثرة، وبصيرتها النّافذة، وحكمتها الرّزينة، وسموها علىٰ الهوىٰ والفردية، ولو جاء بالإسلام غير مُحمّد، أو جاء مُحمّد بغير الإسْلاَم ما كان للرسالة، ولا للرسول هذا الثّقل، والأثر الّذِي عَرفه تأريخ الإنسانية للإسلام ونَبيّه، ولا قال فيه المنصفون الأجانب الّذين يهتمون بالدراسات الإنسانية ما قالوه، ومن ذٰلِكَ ـ علىٰ سبيل المثال ـ قول ديورانت: «إذا حكمنا علىٰ العظماء بما كان للعظيم من أثر في النّاس، قلنا كان مُحمّد أعْظمْ العظماء»[2]. وقول برناردشو: «إنّ رجلاً مثل مُحمّد لو تسلم زمان الحكم المُطلق اليوم في العالم كلّه لتم له النّجاح في حكمه، وقاده إلىٰ ٱلْخَيْر، وحلّ مشكلاته بوجه يحقق للعالم السّلام، والسعادة المنشودة»[3].

لقد ذكر المسلمون لُمحمّدﷺ ألف معجزة ـ كما في مجمع البحرين للشيخ

⇐ أشد فرحاً...)، الدّيباج علىٰ مسلم: ٦/٩١، المصنف لعبد الرّزاق الصنّعاني: ١١/٢٩٨، (أللّه أسر بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته) مسند الشّاميين للطبراني: ٣/٤٧، رياض ٱلصَّالِحِينَ للنووي: ٢٥٣، كنز العمال: ١/٢٥٥ ح ١١٣٦.

(١) النّساء: ١٤٧.

(٢) أُنظر، قصة الحضارة: ٣/٥٧٠ و: ١٣/١٣٠ ـ ١٣١.

(٣) أُنظر تأريخ الفلسفة لفندلبند: ٥٥٢.

الطّريحي[١] ـ من يَوْم ولادته إلىٰ يَوْم انتقاله للرفيق الأعلىٰ، ولمجرد التيمن، والتّبرك نذكر واحدة منها، قالت حليمة السّعدية: «ناولت مُحمّداً، وهو في المهد، وللمرة الأولىٰ، الثّدي اليمنىٰ فأقبل عليها، ثُمَّ أعطيته اليسرىٰ فأبىٰ وتركها لأخيه، وكان هذا دأبه لا يأخذ إلا الواحدة، ويترك لأخيه الأُخرىٰ»[٢] أي لأخيه من الرّضاع. وعلق علىٰ ذٰلِكَ عالم معاصر بقوله: «لله أنتَ يا مُحمّد! هكذا فُطرت علىٰ القناعة، والعدل، وعلىٰ كراهية الإستئثار بالفضل، لقد طبت في المهد صبياً كما طبت رجلاً سَويّاً» وبهذا العدل، وكلّ الخلال الفضلىٰ جلب مُحمّد النّاس إلىٰ الإسْلاَم بشهادة القُرآن: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٣]، ولو أنفظوا من حوله لكان الإسْلاَم مجرد كلام في كلام، ومن هنا كان مُحمّد رَحْمَة مُهداة لِّلْعَالَمِين، ونعمة كُبرىٰ علىٰ المسلمين، وجزءاً متمماً للإسلام، كما أنّ الإسْلاَم جزء متمم لُمحمّد.

(بِقُدْرَتِهِ الَّتي لا تَعْجِزُ عَنْ شَيء وَإنْ عَظُمَ، وَلا يَفُوتُهَا شَيْءٌ وَإنْ لَطُفَ) أي دقّ وصغُر. إختلف الفلاسفة، وعلماء الكلام في معنىٰ قدرته تعالىٰ، وأطالوا الكلام كما في أسفار المُلا صدرا! علماً بأنّ ٱللّٰه سبحانه قد حددها، وأوضحها بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٤] خطيراً كان الشّيء أم حقيراً ـ فَخَلْق الكون بكامله، وخَلَق الذّرة سواء في قدرته تعالىٰ، وفي نهج البلاغة: «وما الجليل،

---

(١) أُنظر، مجمع البحرين: ٣/١٢٦، الخرائج والجرائح: ٣/٩٧٢، فتح الباري: ٦/٤٢٥، البداية والنّهاية: ٩/١٢، سبل الهدىٰ والرّشاد: ٩/٤٠٩ و ٤٢٣ و: ١٠/٣٠٠.

(٢) أُنظر، تأريخ الطبري: ١/٥٧٣، سيرة ابن هشام: ١/١٠٦، الثّقات لابن حبّان: ١/٣٩.

(٣) آل عمران: ١٥٩.

(٤) يس: ٨٢.

واللّطيف، والثّقيل، والخفيف، والقوي، والضّعيف في خَلْقِهِ إلا سواء»[١] (فَخَتَمَ بِنَا عَلىٰ جَمِيْعِ مَنْ ذَرَأَ) أي خَلَق. ختم سبحانه الوحي والنّبوة بمُحمّد ﷺ فلا نبي، وَأَهْل بيت نبي بعد مُحمّد عَلَيْهِمْ أَفْضَل الصّلوات (وَجَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَىٰ مَنْ جَحَدَ) جاء في أُصول الكافي: «أنّ الإمام الصّادِق قال في تفسير هَذِهِ الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[٢]: نزلت هَذِهِ الآية في أُمّة مُحمّد ﷺ خاصة، في كلّ قرن منهم، إمام منّا شاهد عَلَيْهِمْ، ومُحمّد ﷺ شاهد علينا»[٣] (وَكَثَّرَنَا بِمَنِّهِ عَلَىٰ مَنْ قَلَّ) أُمّة مُحمّد ﷺ أكثر الأديان السّماوية أئِمّة، وعلماء بدين، ويشهد بذلك كُتُب التّفسير، والحديث، والعقيدة، والفقه، وأُصوله، والأخلاق، وكُتُب السّيرة، والمناقب، بل وعدداً أيضاً، لأنّ موسىٰ، وعيسىٰ ﷺ يبرءان ممن حَرَف ٱلتَّوْرَاةَ، وَٱلإِنجِيل، وفي صحيح مسلم، كِتَاب الإِيْمَان باب في قول النّبي: «أنا أوّل النّاس يشفع في الْجَنّة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً... وإنّ نبياً من الأنبياء ما يصدقه من أُمّته إلا رجل واحد»[٤].

أَللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ أَمِينِكَ عَلَىٰ وَحْيِكَ، وَنَجِيبِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَ صَفِيِّكَ مِنْ عِبَادِكَ، إِمَامِ ٱلرَّحْمَةِ، وَقَائِدِ الْخَيْرِ، وَ مِفْتَاحِ الْبَرَكَةِ، كَمَا نَصَبَ لِأَمْرِكَ نَفْسَهُ، وَ عَرَّضَ فِيكَ لِلْمَكْرُوهِ بَدَنَهُ، وَكَاشَفَ فِي ٱلدُّعَاءِ

---

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ١١٧/٢، خطبة (١٨٥)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥٦/١٣.

(٢) النّساء: ٤١.

(٣) أُنظر، الكافي: ١٩٠/١ ح ١، شرح الأخبار للقاضي النّعمان المغربي: ٤٢٠/١، غاية المرام: ٣٨٧/٢ ح ٥ قريب منه. التّفسير الصّافي: ٤٥١/١، التّفسير الأصفىٰ: ٢١٠/١.

(٤) أُنظر، صحيح مسلم: ١٣٠/١ ح ١٩٦ و ٣٣٠ و ٣٣٢، بتفاوت يسير في اللّفظ. الشّفا بتعريف حقوق المصطفىٰ للقاض عياض: ٢٠٧، مسند أبي يعلىٰ: ٥١/٧ ح ٣٩٦٧ و ص: ٥٢ ح ٣٩٧٠.

إلَيْكَ حَامَّتَهُ، وَ حَارَبَ فِي رِضَاكَ أُسْرَتَهُ، وَقَطَعَ فِيْ إحْياءِ دِيـنِـكَ رَحِمَهُ، وَاقصَىٰ الأَدْنَيْنَ عَلَىٰ جُحُودِهِمْ، وَقَرَّبَ الأَقْصَيْنَ عَلَىٰ اَسْتِجَابَتِهِمْ لَكَ، وَ وَالَىٰ فِيكَ الأَبْعَدِينَ، وَ عَادَىٰ فِيكَ الأَقْرَبِينَ.

الأمانة

(أَللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّد أَمِينكَ عَلَىٰ وَحْيِكَ) إختار سبحانه مُحمّداً لرسالته، لا لذكائهِ، وفطنتهِ، أو لنسبهِ، وشجاعتهِ، وكفىٰ، بل ولصلابتهِ في الْحَقّ إلىٰ حدّ التّضحية بالنفس من أجلهِ، ولالتزامه بالصدق وإنْ أضرَّ بهِ، وقيامه بالقسطِ ولو علىٰ نفسهِ، ولطهرهِ في السّيرةِ، والسّريرة، وحبّه للخير، ورَحْمَته بأعدائـهِ، وأوليائهِ، وحرصه علىٰ سعادة الجميع، وهَذِهِ الخلال الفضلىٰ، وأمثالها ألزم له من ظله قبل النّبوة، وبعدها؛ لأنّها تنبع من نفسهِ، ومن هنا كان أهلاً لوحي اللَّه، ورسالته، وأيضاً من هنا قال الشّيعة الإمامية بعصمة النّبي عن الخطأ، والْخَطِيئة كبارها، وصغارها منذُ خلقهُ اللَّه إلىٰ أنْ قبضهُ إليه.

والأمانة من حيث هي من أُمهات الفضائل، فهي توأم العفة في البطن، والْفرج، والنّزاهة في اليد، واللّسان، والورع عن جميع المعاصي، والمحارم. وفي سفينة البحار مادة (خ. و. ن) عن رَسُول اللَّهﷺ: «من خان أمانة في الدُّنْيَا، ولم يردها إلىٰ أهلها، ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْمَوْت ـ مات علىٰ غير ملتي»[1]، ومعنىٰ هذا أنّ من لا وفاء لهُ لا دين له.

وتجدر الإشارة أنْ الأمانة يجب ردها لمن هي له حتّىٰ ولو حَلَّ دمه، وماله ـ

(١) أُنظر، مستدرك سفينة البحار: ٣/ ٢٣٠، منتهىٰ المطلب: ٢/١٠١٦، من لا يحضره الفقيه: ١٥/٤، أمالي الصّدوق: ٥١٦، بحار الأنوار: ١٧١/٧٢.

غير الأمانة ـ قال الإمام الصَّادِقﷺ: « أنّ ضارب عليّ بالسيف، وقاتله لو ائتمنني، قبلت ذٰلِكَ منهُ لأديت له الأمانة »[١]. وقال الإمام زين الْعَابِدِينَ ﷺ: «فوالَّذِي بعث بالحقّ مُحمّداً نبياً لو أنّ قاتل أبي الحُسين ﷺ ائمنني علىٰ السّيف الَّذِي قتل به أبي لأديته إليه »[٢]. وهذا الحُكم من الأحكام الشّرعية الإلزامية، لا من الأخلاقيات، والمستحبات، علىٰ أنّ كلّ الأحكام الشّرعية أخلاقية، وكلّ الأحكام الأخلاقية شرعية (وَنَجِيبِكَ) أي صفيك. وما بعده تفسير له .

الرَّحْمَة

(إمَامِ الرَّحْمَةِ) العدل: هو القصد في الأُمور، وكلّ ما يدل علىٰ التّسوية، والمُعادلة، والمماثلة في الحقوق، والواجبات.

والعفو: التّجاوز عن الذّنب. والرَّحْمَة تعم، وتشمل الإحسان، والعناية، والاهتمام، والتّيسير، والتّسهيل، وتخفيف العقوبة عن المذنب، أو تركها من الأساس، ومُحمّدﷺ رَحْمَة مهداة لِّلعَالَمِين بكلّ ما لهذه الكلمة من معنىٰ، أجل لا رَحْمَة، ولا رأفة بالظالمين، والمجرمين؛ لأنّها تتحول جوراً علىٰ المجتمع، قال سبحانه: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٣]..... ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم

(١) أُنظر، الكافي: كِتَاب المعيشة، باب أداء الأمانة ح ٥، وسائل الشّيعة: ٧٤/١٩، تهذيب الأحكام: ٣٥١/٦، وسائل الشّيعة: ٧٤/١٩، تنبيه الخواطر: ١٢/١، التّفسير الصّافي: ٤٦١/١.

(٢) أُنظر، أمالي الصّدوق: ٣١٩، بحار الأنوار: ١١٤/٧٥ ح ٣، معاني الأخبار: ١٠٨، وسائل الشّيعة: ٧٦/١٩، روضة الواعظين: ٣٧٣، مستدرك سفينة البحار: ٢٢٣/١.

(٣) ٱلْبَقَرَة: ٩٣.

بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾[١].

ثُمَّ إنَّ رَحْمَته تعالىٰ علىٰ نوعين: عامة وإليها أشار سبحانه بقوله: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾[٢]، وتشمل نعمة الوجود، والحياة، والعناية، والرّزق، والإدراك، وإرسال الرُّسل، ورَحْمَة خاصة وأشار إليها جلّ وعزّ بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٣]، وهَذِهِ يمنحها سبحانه ـ مضافة إلىٰ تلك ـ للأنبياء، والأئمة، والعُلماء العَالِمين، وكلّ من آمن بالله، واتقىٰ معاصيه، وبكلمة كلّ من يستحق الثّواب.

(وَقَائِدِ الْخَيْرَ، وَمِفْتَاحِ الْبَرَكَةِ) كلّ حاكم يثق به البريء، ويخافه المجرم فهو قائد بحقّ، أمّا قائد الْخَيْر، والْبَرَكَة فهو بالإضافة إلىٰ العدل، كبير في نفسهِ، عظيم في همتهِ، سريع في نجدتهِ، لا يهنأ بعيش إلا أنْ تمتلىء ٱلأرْض عدلاً، وأمناً، وبراً، وخيراً. ولهذه الغاية أرسل سبحانه مُحمّداً لّلْعَالَمِين كما نصت الآية: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[٤]، وفي الحديث: «أنا رَحْمَة مُهداة»[٥] (كَمَا نَصَبَ

---

(١) النّور: ٢.
(٢) الأعراف: ١٥٦.
(٣) ٱلْبَقَرَة: ١٠٥.
(٤) الأنبياء: ١٠٧.
(٥) أنظر. الطّبقات الكبرىٰ: ١/١٩٢، كنز العمال: ١١/٤٢٣ ح ٣١٩٨٥ و ٣١٩٩٥، سنن الدّارمي: ١/٩، مستدرك الحاكم: ١/٣٥، مجمع الزّوائد: ٨/٢٥٧، المصنف للكوفي: ٧/٤٤١، سؤالات حمزة للدار قطني: ١٢٧، مسند الشّهاب: ٢/١٨٩ ح ١١٥٩ ـ ١١٦١، الجامع الصّغير: ١/٣٩٥، تفسير القرطبي: ٤/٦٣، تفسير ابن كثير: ٣/٢١١، الدّر المنثور: ٤/٢٤٢، فتح القدير: ٣/٤٢٣، الكامل في التّأريخ: ٤/٢٣١، علل الدّار قطني: ١٠/١٠٥، بحار الأنوار: ١٦/١١٥، تأريخ دمشق: ٥/٤١، فقه السُّنة سَيِّد سابق: ١/١٠ و ٢/٥٩٥.

لأَمْرِكَ) أي للإسلام وسيطرته حتّىٰ أذَل الأديان بجهاد مُحمّد، وحكمته (وَعَرَّضَ فِيكَ لِلْمَكْرُوهِ بَدَنَهُ) بعث سبحانه مُحمّداً ﷺ إلىٰ المشركين، والضّالين، ليستأصل الفساد من جذوره، فيقضي علىٰ العقائد الفاسدة، والتّقاليد الموروثة، فامتثل، وبدأ يعيب عَلَيْهِمْ دينهم، وعاداتهم، ويتوعدهم بما أعدّ لهم من عذاب ٱللَّـه، فحاولوا جاهدين أنْ يثنوه بالحُسنىٰ عن عزمه فلم يسمع، فأغروه بالملك، والمال فرفض. وعندها صمموا علىٰ إيذائه، والتّنكيل به، وبمن أتبعه من النّاس، ولكنهُ صبر، وأحتمل الكثير من المشقة، والمصاعب، وما من أحد ناصر الْحَقّ بقولٍ، أو فعلٍ إلا ودَفَع ثمنه غالياً من نفسه، وأهلهِ، أو من مالهِ، وعرضه حتّىٰ ولو كان المتكبر علىٰ الْحَقّ فرداً لا فئةً، أو مجتمعاً، فكيف إذا ناضل الفرد الأعزل أُمّةً، أو شعباً؟.

(وَكَاشَفَ فِي الدّعَاءِ إِلَيْكَ حَامّتَهُ)، وهي الجماعة الّتي تحميه، وتذب عنه (وحَارَبَ فِي رِضاكَ أُسْرَتَهُ) الّذين أصروا علىٰ الشّرك كعمّه أبي لهب (وَأَقْصىٰ الأَدْنَيْنَ عَلَىٰ جُحُودِهِمْ، وَقَرَّبَ الأَقْصَيْنَ عَلَىٰ اسْتِجَابَتِهِمْ لَكَ، وَوَالىٰ فِيْكَ الأَبْعَدِيْنَ، وَعَادىٰ فِيْكَ الأَقْرَبِينِ) قال الإمام عليّ ؛: «إنّ وليّ مُحمّد مَن أطاع ٱللَّه، وإنْ بعدت لُحمته ـ أي نسبه ـ وإنّ عدو مُحمّد من عصىٰ ٱللَّـه وإنْ قربت قرابته»[1]، وعلىٰ هذا الأساس قَربَ مُحمّد الأباعد المُطيعين لله، وأبعدَ الأقارب المتمردين علىٰ طاعة ٱللَّه، وهذا هو شأن من أخرج الدُّنيا من قلبه (وَأَدْأَبَ) من الدأب بمعنىٰ الجدّ في العمل، والإستمرار عَلَيْهِ (إِلَىٰ مِلَّتِكَ) إلىٰ دِيْنِك، وشريعتك (لِأَهْلِ دَعْوَتِكَ) وهم أَهْلِ بَيْتِهِ الأطايب، وعلماء الصّحابة الّذين حفظوا سُنته، وأقواله، ونشروها من بعد.

(وَهَاجَرَ إِلَىٰ بِلَادِ الْغُرْبَةِ...) كان المسلمون في مكّة ضعافاً مغلوبين علىٰ

---

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٤/٢٢، الحكمة (٩٦)، شرح نهج البلاغة: ١٨/٢٥٢.

أمرهم، يقاسون المحن الرّهيبة من أعداء الدّعوة الجديدة، فهاجروا إلىٰ المـدينة، وكانت هَذِهِ الهجرة فاتحة يُمن، وخير للمسلين، بل وللبشرية كلّها حـيث أصـبح لدين العدل، والحرية دولة قوية، ورادعة تكفل، وتصون لكلّ إنسانٍ حقه، وكرامته من أي ملة كان، ويكون، ولا سبيل عَلَيْهِ لأية سلطة حتّىٰ ينتهك حرمة الآخرين، وعندئذ يتسلط عَلَيْهِ الْحَقّ لردعه، وتأديـبه (إِرَادَةً مِنْهُ لإِعْزَازِ دِيْنِكَ، وَٱسْتِنْصَاراً عَلَىٰ أَهْلِ الْكُفْرِ بِكَ...) هذا هو الهدف الأوّل، والأخير من دولة الإسْلاَم: صـيانة الْحَقّ لأهله، وردع العابث، والنّاكث (فَنَهَدَ إِلَيْهِمْ ...) أسرع إلىٰ جهاد أعداء ٱللّٰه، والإنسانية، وفي نهج البلاغة: «فبلغ رسالات ربه غير وانٍ، ولا مقصرٍ، وجاهد في ٱللّٰه أعداءه غير واهٍ ولا معذّر»[1]، أي لا يعتذر.

(أَللَّهُمَّ فَارْفَعْهُ بِمَا كَدَحَ فِيكَ إِلَىٰ الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا مِنْ جَنَّتِكَ...) مقام مُـحمّدﷺ عند ٱللّٰه لا يعلوه مقام، بل، ولا يدانيه، ويساويه، لأنّ الجزاء من جنس الأعمال، والآثار، وآثار مُحمّدﷺ هي عين آثار الْقُرْآن، والإسْلاَم، وعَلَيْهِ يكون هذا الدُّعاء، والطّلب تماماً كالصلاة علىٰ مُحمّد، وتمجيداً لعظمتهِ، وخصاله، وتحميداً لجهادهِ، وأفعاله، وتسبيحاً بفضلهِ، وكماله. (يَا مُبَدِّلَ السَّيِّئَات بِأَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ الْجَوَادُ ٱلْكَرِيمُ) لسببٍ موجبٍ، كالتَّوْبَة، وإصـلاح ذات البين، وإخراج النّاس من الظُّلمات إلىٰ النّور، ومن الضّعف، والضّلالة إلىٰ القوة، والهداية.

---

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ١/٢٢٩، خطبة (١١٦)، وفي بعض شروح نـهج البـلاغة، بـلفظ (فـبلغ رسالات ربه كما أمره لا مُتعدياً، ولا مُقصراً، وجاهد في ٱللّٰه أعداءه لا وانياً، ولا ناكلاً) كما جاء في الشّرح الحديدي: ٢٧٦/٧، مناقب آل أبي طـالب: ١٣٦/١، بـحار الأنـوار: ١٨/٢٢٠. جواهر المطالب في مناقب عليّ لابن الدّمشقي: ٣١٨/١.

الدُّعاء الثّالث

الصَّلاةُ عَلَىٰ حَمَلَةِ الْعَرْشِ

أَللَّهُمَّ، وَحَمَلَةُ عَرْشِكَ الّذِينَ لا يَفْتُرُونَ مِنْ تَسْبِيحِكَ، وَلا يَسْأَمُونَ مِنْ تَقْدِيسِكَ، وَلا يَسْتَحْسِرُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ، وَلا يُؤْثِرُونَ التَّقْصِيرَ عَلَىٰ الجِدِّ في أَمْرِكَ، وَلا يَغْفُلونَ عَنِ الْوَلَه إِلَيْكَ.

وَإِسْرافِيلُ صاحِبُ الصّورِ، الشَّاخِصُ الَّذِي يَنْتَظِرُ مِنْكَ الإِذْنَ، وَحُلُولَ الأَمْرِ؛ فَيُنَبِّهُ بِالنَّفْخَةِ صَرعَىٰ رهَائِنَ القُبُورِ؛ وَمِيكَائِيلُ ذُو الجاه عِنْدِكَ، وَالمَكَانِ الرَّفيعِ مِنْ طَاعَتِكَ؛ وَجِبْرِيلُ الأَمِينُ عَلَىٰ وَحْيِكَ، المُطاعُ في أَهْلِ سَمَاواتِكَ، المَكِينُ لَدَيْكَ المُقَرَّبُ عِنْدَكَ؛ وَالرّوحُ الَّذِي هُوَ عَلَىٰ مَلائِكَةِ الْحُجُبِ؛ وَالرّوحُ الَّذِي هُوَ مِنْ أَمْرِكَ فَصَلِّ عَلَيْهِمْ.

(أَللَّهُمَّ، وَحَمَلَةُ العَرْشِ) وجود الجنّ، والمَلائِكَة حقيقة واقعية؛ لأنّ الوحي أثبته، والعقل لا ينفيه، فيجب الإيمان، والتّصديق علىٰ سبيل الإجمال بلا تفصيل وتطويل.

وإذا قال قائل: العلم الحديث لم يثبت وجود الجنّ، والمَلائِكَة.

قلنا في جوابه: وهل في العلم القديم ،والحديث ما ينفيه؟ ثُمّ هل أحاط العلم الحديث بكلّ شيء، وأحصىٰ عدد الكائنات ما ظهر منها وما بطن؟ وأي عالم قديم، أو جديد يعرف حقيقة نفسه، وعقله، بل وجسمه المحسوس، وما فيه من شعر، وخطوط، وذرات؟ ومن جهل نفسه فهو بغيره أجهل.

وٱللَّه سبحانه لا يجلس علىٰ الْعَرْش، لأنّه منزه عن الجسم، والمادة، وإلا ٱفتقر إلىٰ مكان، وكلّ مفتقرٍ حادث.

ثانياً: لو كان جسماً لكان له مثيل، وٱللَّه تعالىٰ ليس كمثله شيء.

ثالثاً: لا بد أنْ يكون الحامل أقوىٰ من المحمول، وٱللَّه أشد قوة، وغني عن كلّ شيء، وإليه يفتقر كلّ شيء، وعَلَيْهِ يكون الْعَرْش كناية، وتعبير عن ملكه تعالىٰ ومشيئته الّتي تنفذ كيف شاء ومتىٰ شاء إثباتاً، ونفياً، أمّا حَمَلَة الْعَرْش فكناية عن جلاله، وإكرامه، وقدرته، وعَظَمَتِهِ.

(يَفْتُرُوْنَ عِنْ تَسْبِيحِكَ...) ٱقتباس من قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[1].... ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[2] (وَلا يَسْتَحْسِرُوْنَ عِنْ عِبَادَتِكَ) أي لا يعيون، ولا يملون من التّسبيح، والعبادة. وفي الآية: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾[3] (وَلا يَغْفُلونَ عَنِ الْوَلَه إلَيْكَ) الْوَلَه: الحبّ الشّديد (وَإسْرافيلُ صاحبُ الصّورِ، الشّاخِصُ) المُراد بالصور ما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ

(١) الزّمر: ٧٥.
(٢) الأنبياء: ٢٠.
(٣) الأنبياء: ١٩.

يَنسِلُونَ﴾[١]. والشّاخص: المائل (ومِيكَائِيلُ ذُو الجاه عِنْدِكَ) في الآية: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾[٢]، ساوىٰ سبحانه بين عداوة جِبْرِيلَ، ومِيكَائِيلَ، وعداوة ٱللّٰه، ورسله.

(وَجِبْرِيلُ الأَمِينُ عَلَىٰ وَحْيِكَ...) جِبْرِيلُ ﷺ هو الملك المقرب إلىٰ ٱللّٰه والأمين علىٰ وحيّه المطاع عند المَلائِكَة، قال سبحانه في وصفه: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[٣]... ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[٤] ذو مرة: ذو حصافة في عقله، ورأيه، فاستوىٰ: فاستقام علىٰ صورته الّتي خَلَقِه ٱللّٰه عليها.

وَعَلَىٰ المَلائِكَةِ الّذينَ مِنْ دُونِهِمْ: مِنْ سُكَّانِ سَمَاوَاتِكَ، وَأَهْلِ الأَمَانَةِ عَلَىٰ رِسَالاتِكَ؛ وَالّذينَ لا تَدْخُلُهُمْ سَاْمَةٌ مِنْ دُؤُوبٍ، وَلا إِعْيَاءٌ مِنْ لُغُوبٍ، وَلا فُتُورٌ، وَلا تَشْغَلُهُمْ عَنْ تَسْبِيحِكَ الشَّهَوَاتُ، وَلا يَقْطَعُهُمْ عَنْ تَعْظِيمِكَ سَهْوُ الغَفَلاتِ، الْخُشَّعُ الأَبْصارِ فَلا يَرُومُونَ النَّظَرَ إِلَيْكَ، النَّوَاكِسُ الأَذْقَانِ؛ الّذينَ قَدْ طَالَتْ رَغْبَتُهُمْ فِيما لَدَيْكَ، الْمُسْتَهْتَرُونَ بِذِكْرِ آلائِكَ، وَالْمُتَوَاضِعُونَ دُونَ عَظَمَتِكَ، وَجَلالِ كِبْرِيَائِكَ، وَالّذينَ يَقُولُونَ إِذَا نَظَرُوا إِلىٰ جَهَنَّمَ تَزْفِرُ عَلَىٰ أَهْلِ مَعْصِيَتِكَ: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبادَتكَ فَصَلِّ عَلَيْهِمْ...

(وَعَلَىٰ المَلائِكَةِ الّذينَ مِنْ دُونِهِمْ) أي من دون إسرافيلَ، ومِيكَائِيلَ، وَجِبْرِيلَ

(١) يٓس: ٥١.
(٢) ٱلْبَقَرَة: ٩٨.
(٣) التّكوير: ٢١.
(٤) النّجم: ٧.

(وَأَهْلِ الأَمَانَةِ عَلَىٰ رِسَالاتِكَ) فيه إيماء إلىٰ أنّ هناك مَلائِكَة ـ غير جِبْرِيلُ ـ أُمناء علىٰ وحي ٱللَّه لأنبيائه، وأنّ جِبْرِيلُ سَيِّد المَلائِكَة يحمل الوحي إلىٰ مُحمّد سَيِّد الأنبياء، وأنّ من دونه من الأنبياء يحمل إليه الوحي من هو دون جِبْرِيلُ من المَلائِكَة، فكلّ ملك يُبعث إلىٰ نظيره منزلةً، وقدراً (لا تَدْخُلُهُمْ سَأْمَةٌ مِنْ دُؤُوبٍ) من ٱستمرار وملازمة، وهذا ٱقتباس من قوله تعالىٰ: ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾[1] (وَلا إِعْيَاءٌ مِنْ لُغُوبٍ) التّعَب الشّديد (وَلا فُتُورٌ) ولا تقصير (الْخُشَّعُ الأَبْصارِ) لا يرفعون الأبصار إلىٰ فوق، ولا يلتفتون يميناً، وشمالاً (فَلا يَرُومُونَ النَّظَرَ إِلَيْكَ)؛ لأنّهم علىٰ علم الْيَقِين بأنّه تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[2]، وأيضاً لا يتوهمونه بالتصور؛ لأنّ ذاته فوق العقول، وفي الحديث: «تفكروا في خَلق ٱللَّه، ولاتفكروا في ٱللَّه فتهلكوا»[3]. (النَّوَاكِسُ الأَذْقَانِ) من نكس بمعنىٰ طأطأ (الْمُسْتَهْتَرُونَ بِذِكْرِ آلائِكَ) المولعون بذكر نعمه تعالىٰ (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ إِذَا نَظَرُوا إِلىٰ جَهَنَّمَ تَـزْفِرُ) تصيح. وفي نهج البلاغة: «ونار شديد كلبها، عال لجبها، ساطع لهبها، متغيظ زفيرها، متأجج سعيرها، بعيد خمودها، ذٰلِكَ وقودها...»[4] أي صوت لهبها من شدة سطوعه،

---

(١) فصلت: ٣٨.

(٢) الأنعام: ١٠٣.

(٣) أُنظر، الجامع الصّغير: ١/٥١٤ ح ٣٣٤٧ و ٣٣٤٩، كنز العمال: ٣/١٠٦ ح ٥٧٠٥ و ٥٧٠٨، فيض القدير شرح الجامع الصّغير: ٣/٣٤٥، كشف الخفاء: ١/٣١١، الدّر المنثور: ٢/١١٠ و: ٦/١٣٠، ذيل تأريخ بغداد: ٣/١٤٧، مجمع الزّوائد: ١/٨١، إتحاف السّادة الْمُتّقِين: ١/١٦٣ و: ٦/٥٣٦، وأورده الشّيخ؟ بلفظ: (ولا تفكروا في ذات ٱللَّه فتهلكوا) وما أثبتناه من المصادر السّابقة.

(٤) أُنظر، نهج البلاغة: ٢/١٣١، خطبة (١٩٠) عيون المواعظ والحكم: ٤٤٩، غرر الحكم:

واَضطرابه، إذا نظر المَلائِكَة إلىٰ جَهَنّم علىٰ هذا الكلب، واللّجب حمدوا اَللّٰه علىٰ النّجاة منها، وشعروا بِالتَّقْصِير في شكرة تعالىٰ علىٰ هَذِهِ السّعادة العظمىٰ، والنّعمة الكبرىٰ.

وَعَلَىٰ الرّوحَانِيّينَ مِنْ مَلائِكَتِكَ، وَأَهْلِ الزّلْفَةِ عِنْدَكَ، وَحُمّالِ الْغَيْبِ إلىٰ رُسُلِكَ؛ وَالْمُؤْتَمَنِينَ عَلَىٰ وَحْيِكَ، وَقَبَائِلِ المَلائِكَةِ الّذِينَ اخْتَصَصْتَهُمْ لِنَفسِكَ، وَأَغْنَيْتَهُمْ عَنِ الطّعَامِ، وَالشّرابِ بِتَقْدِيسِكَ، وَأَسْكَنْتَهُمْ بُطُونَ أَطْبَاقِ سَمَاواتِكَ؛ وَالّذِينَ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا إذا نَزَلَ الأَمْرُ بِتَمامِ وَعْدِكَ.

وَخُزّانِ الْمَطَرِ، وَزَواجِرِ السّحابِ؛ وَالّذِي بِصَوْتِ زَجْرِهِ يُسْمَعُ زَجَلُ الرّعُودِ؛ وَإذا سَبَحَتْ بِهِ حَفِيفَةُ السّحَابِ... الْتَمَعَتْ صَواعِقُ الْبُروقِ، وَمُشَيّعِي الثّلْجِ، وَالْبَرَدِ، وَالهَابِطِينَ مَعَ قَطْرِ الْمَطَرِ إذا نَزَلَ؛ وَالْقُوّامِ عَلَىٰ خَزائِنِ الرّيَاحِ، وَالْموَكّلِينَ بِالْجِبَالِ فَلا تَزُولُ؛ وَالّذِينَ عَرّفْتَهُمْ مَثَاقِيلَ الْمِياهِ، وَكَيْلَ ما تَحْوِيهِ لَواعِجُ الأَمْطَارِ، وَعَوالِجُها.

وَرُسُلِكَ مِنَ الْمَلائِكَة إلىٰ أَهْلِ الأَرْضِ بِمَكْرُوهِ مَا يَنْزِلُ مِنَ الْبَلاءِ، وَمَحْبُوبِ الرَّخَاءِ؛ وَالسّفَرَةِ الكِرامِ الْبَرَرَةِ؛ وَالْحَفَظَةِ الكِرامِ الْكَاتِبِينَ؛ وَمَلَكِ الْمَوتِ، وَأَعْوانِهِ؛ وَمُنْكَرٍ، وَنَكِيرٍ، وَرُومانَ فَتّانِ القُبُورِ.

(وَعَلَىٰ الرّوحَانِيّينَ مِنْ مَلائِكَتِكَ) كلّ المَلائِكَة روحيون ـ نسبة إلىٰ الروح ـ

(٩٩٩٥)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٣/١١٠، جواهر المطالب في مناقب عليّ لابن كثير الدّمشقي: ١/٢١٠.

والمُراد بالروحانيين هنا المَلائِكَة الَّذين هُم أَعلَم بالله من غيرهم (وَأَهْلِ الزُّلْفَةِ) المنزلة القريبة عند اللَّه (وَحُمَّالِ الْغَيْبِ إِلىٰ رُسُلِكَ؛ وَالْمُؤْتَمَنِينَ عَلَىٰ وَحْيِكَ) أقتباس من الآية: ﴿ اَللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلاً ﴾(١) وتَقَدَّمَ قبل لحظة (وَقَبَائِلِ المَلائِكَةِ الَّذِينَ اخْتَصَصْتَهُمْ لِنَفسِكَ) قربتهم منك. وأوكلت إليهم المُهمَّات (وَأَسْكَنْتَهُمْ بُطُونَ أَطْبَاقِ سَمَاواتِكَ) في إحدىٰ خطب النّهج: «من مَلائِكَة أسكنتهم سمواتك، ورفعتهم عن أرضك»(٢). وفي ثانية «وليس في أطباق السَّماء موضع إهاب إلا وعَلَيْهِ ملك ساجد، أو ساع حافد»(٣) أي خفيف سريع.

وإنْ قال قائل: لقد صعد ٱلإنسَان إلىٰ ٱلْقَمَرَ، وطاف آفاق السَّماء بالطائرة، وسفينة الفضاء، وما رأىٰ ملكاً ساجداً، أو ساعياً.

قُلنا في جوابِهِ: لقد أقر العلم القديم، والحديث وجود العديد من كائنات لا تقع تحت الحواس وعَلَيْهِ فليس من الضّروري لنؤمن بشيء أنْ نراهُ رأي العين، بل قد نؤمن إيماناً صادقاً بما لا تراهُ الأعيُن، وقد لانؤمن بما تراهُ العين إحتراساً من خداع الحواس. هذا إلىٰ أنّ الَّذِي يخلق الشّيء من لا شيء قادر علىٰ أنْ يخلق أشياء لا تُرىٰ بالبصر، بل ولا بالبصيرة، أيضاً، ونحن المسلمين نؤمن، ونوقن بأنّ ما من إنسان مُكلف إلا وعلىٰ يمينهِ، ويساره ملكين يسجلان كلّ ما يقول، ويفعل، والمصدر الوحيد لإيماننا هذا، الوحي، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ كِرَامًا كَٰتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾(٤).

---

(١) الحج: ٧٥.

(٢) نهج البلاغة: ١/ ٢١٠، خطبة (١٠٩)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٧/ ٢٠٠.

(٣) أنظر، نهج البلاغة: ١/ ١٧٣، خطبة (٩١)، شرح النّهج لابن أبي الحديد: ٦/ ٤٢٥.

(٤) الأنفطار: ١٢.

(وَخُزَّانِ الْمَطَرِ، وَزَوَاجِرِ السَّحابِ...) جاء في بعض الرّوايات: «أنّ ما من شيء في الكون من أصغر صغير إلىٰ أكبر كبير إلا ومعهُ ملكٌ موكل به يحفظة، ويُدبر شؤونة في جيمع مراحله، علماً بأنّ وجود الأشياء الطّبيعية، وصفاتها محكومة بقوانين ضرورية، ولا شيء منها يتوقف علىٰ إرادة ملك، أو جنّ، أو إنس، وظاهر الْقُرآن ٱلْكَرِيمِ يقرر ذٰلِكَ بوضوح: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا..﴾[1]، وقال تعالىٰ: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾[2]، وقال الإمام الصّادق‍: «أبىٰ ٱللَّه أنْ يجري الأشياء إلا بأسباب، فجعل لكلّ شيء سبباً»[3] وعَلَيْهِ ينبغي طرح روايات المَلائِكَة المُدبرة، أو تأويلها بما يتفق مع كِتَاب ٱللّـه، والواقع.

الجواب: إنّ السّبب، والمصدر الأوّل للسُّنن، والنّواميس الكونية هو ٱللّـه سبحانه الَّذِي خَلَق الكون، وأودع فيه السُّنن، والقوانين، وغيرها، ومعنىٰ هذا أنّ كلمة الأسباب لا تطلق علىٰ القوانين الكونية إلا علىٰ سبيل المجاز؛ لأنّ السّبب الحقيقي هو ٱللَّه الَّذِي خَلَق الكون بكلّ ما فيه، وعَلَيْهِ يكون ذكر المَلائِكَة القائمين بالتدبير لكلّ شيء، كناية عن أنّ الأشياء بالكامل حتّىٰ ربط العلل بمعلولاتها، والنّتائج بمقدماتها هي في قبضة ٱللَّه، ورهن بمشيئته، وبكلمة من ربط المعلول بعلته في القضايا الطّبيعية يستطيع أنْ يفصل بينهما.

(وَلَواعِجُ الأمْطَارِ، وَعَوالِجُها) قال الشّيخ الطُّريحي في مجمع البحرين: «لواعج الأمْطَار: هي الّتي لها تأثير شديد في النّبات، من لعجة الضّرب: إذا آلمه،

(١) الفرقان: ٢.

(٢) الفتح: ٢٣.

(٣) أُنظر، الكافي: ١٨٣ ح ٧، شرح أُصول الكافي: ١٣٩/٥ و: ٢٣٤/٩ و: ٢١٣/١١.

وأحرق جلده، وعوالجها هي ما تراكم منها، مثل عَوالِج الرِّمال»[١] (وَالْحَفَظَةِ الكِرامِ الْكَاتِبِينَ) لأقوال العباد، وأفعالهم (وَمُنْكَرٍ، وَنَكِيرٍ) إشارة إلىٰ حساب القبر (وَرُومانَ فَتّانِ القُبُورِ) في مجمع الطُريحي مادة (ط. ي. ر.) أنّ رَسُول ٱللّـهﷺ: «أوّل من يدخل علىٰ الميت في قبرة ملك آسمه رومان، يقول للميت: «أكتب ما عملت من حسنات، وسيئات إلىٰ آخر الحديث»[٢]، أما وصفه بالفتّان فيشير أنّ ٱللّٰه سبحانه يبتلي به صاحب القبر المسكين، إضافة إلىٰ زنزانته، وظلمته، ووحشته! وهكذا حال ٱلإنسان من العناء، والبلاء علىٰ ظهر ٱلأرض إلىٰ رومان، ومُنْكَرٍ، وَنَكِيرٍ في بطنها... أبداً لا نجاة إلا لمن آتقىٰ معاصي ٱللّٰه في الخلوات.

وَالطَّائِفِينَ بِالبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَمَالِكٍ، وَالْخَزَنَةِ، وَرُضْوَانَ، وَسَدَنَةِ الْجِنَانِ، وَالَّذِيْنَ «لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ»[٣]. وَالَّذِينَ يَقُولُونَ: «سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ»[٤]. والزَّبانيةُ الذّينَ إذَا قِيلَ لَهُمْ: «خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ»[٥] ابْتَدَرُوهُ سِرَاعاً، وَلَمْ يُنْظِرُوهُ. وَمَنْ أَوْهَمْنَا ذِكْرَهُ، وَلَمْ نَعْلَمْ مَكَانَهُ مِنْكَ، وَبِأَيِّ أَمْرٍ وَكَّلْتَهُ. وَسُكَّانُ الْهَوَآءِ، وَالأَرْضِ، وَالمآءِ، وَمَنْ مِنْهُمْ عَلَىٰ الْخَلْقِ.

---

(١) أُنظر، مجمع البحرين: ١٢٣/٤، مادة «ل.ع.ج».

(٢) أُنظر، مجمع البحرين: ٢٥٤/٢، بحار الأنوار: ٢٣٤/٥٦، مستدرك سفينة البحار: ٢٥٥/٤ و: ٣٦٦/٨، سبل الهدىٰ والرّشاد: ٢٥١/٩، ينابيع المَوَدّة: ٤١٤/٣.

(٣) التّحريم: ٦.

(٤) الرّعْد: ٢٤.

(٥) الحاقة: ٣٠ـ ٣١.

فَصَلِّ عَلَيْهِمْ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ، وَصَلِّ عَلَيْهِمْ صَلاَةً تَزِيدُهُمْ كَرَامَةً عَلَىٰ كَرَامَتِهِمْ، وَطَهَارَةً عَلَىٰ طَهَارَتِهِمْ أَللَّهُمَّ وَإِذَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ مَلاَئِكَتِكَ، وَرُسُلِكَ، وَبَلَّغْتَهُمْ صَلاَتَنَا عَلَيْهِمْ، فَصَلِّ عَلَيْهِمْ بِمَا فَتَحْتَ لَنَا مِنْ حُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِمْ إِنَّكَ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

(وَالطَّائِفِينَ بِالبَيْتِ الْمَعْمُورِ) الكعبة المعظمة، وفي سفينة البحار عن الإمام الصَّادِق‌ﷺ: «ينزل كلّ يَوْم أُلوف المَلاَئِكَة يطوفون بالبيت المَعْمُور»[1] (وَمَالِكٍ، وَالْخَزَنَةِ، وَرُضْوَانَ، وَسَدَنَةِ الْجِنَانِ) مالك: الموكل بالجحيم، وخزنتها: القائمون عليها، ورضوان: الموكل بالجنّة، والسّدنة: الخدمة، وفي النّهج: «أعلمتم أنّ مالكاً إذا غضب علىٰ ٱلنّار حطم بعظها بعضاً»[2]، وقال تعالىٰ: ﴿ لَا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[3]، وقال تعالىٰ: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[4]، (ٱلزَّبَانِيَةَ) في الآية: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾[5] جمع زبني، مأخوذ من الزّبن بمعنىٰ الدّفع، والزَّبَانِيَة عند العرب الشّرطة، وسمي بذلك بعض خزنة ٱلنّار؛ لأنّهم يدفعون إليها المجرمين[6]، وفي الآية: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾[7] (الَّذِينَ إِذَا

(١) أُنظر، سفينة البحار: ١/٤٥٠، قريب منه.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ٢/١١٣، الخطبة (١٨٣) وليس كما في المتن (١٨١)، شرح النّهج الحديدي: ١٠/١٢٢.

(٣) التّحريم: ٦.

(٤) الرّعد: ٢٤.

(٥) العلق: ١٨.

(٦) أُنظر، تفسير غريب الْقُرْآن لفخر الدّين الطّريحي: ٥٤٢، لسان العرب: ١٣/١٩٤، الصّحاح: ٥/٢١٣.

(٧) التّحريم: ٦.

قِيلَ لَهُمْ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾[1] (ابْتَدَرُوهُ سِرَاعاً) أسرعوا إليه سراعاً (وَلَمْ يُنْظِرُوهُ) لم يؤخروه، ويمهلوه (وَمَنْ أَوْهَمْنَا ذِكْرَهُ) سهونا عنه (وَمَنْ مِنْهُمْ عَلَىٰ الْخَلْقِ.....) أي الموكلون بالخلق (يَوْمَ تَأْتِي) تقوم السّاعة (فَصَلِّ عَلَيْهِمْ بِمَا فَتَحْتَ لَنَا مِنْ حُسْنِ الْقَوْلِ فِيْهِمْ). بعد أنْ دعا الإمامﷺ للملائكة أنّ يفيض عَلَيْهِمْ سبحانه من شآبيب رَحْمَته ـ سأله راجياً أنْ يستجيب دعوته فيهم؛ لأنّه جَوَادٌ كَرِيمٌ.

ألإنسَان، والمَلائِكَة

تكلم القُدامىٰ عن حقيقة المَلائِكَة، وعصمتهم، وشؤونهم، وأطوارهم، وقارنوا بينهم، وَبَيْنَ ٱلإنسَان، ومضوا فيما قالوا، وأثبتوا مع الرّجم بالغيب؛ لأنّهم ما رأوا ملكاً واحداً، ولا أثراً يختص بالمَلائِكَة دون غيرهم، إضافة إلىٰ أنّ هذا الموضوع لا يتصل بالحياة من قريب، أو بعيد، وٱللّه لا يسألنا عنه غداً. فعلامَ الفضول فيما قالوا، وأقول؟.

وفي شتىٰ الأحوال فإنّ ٱلإنسَان هو المَخْلُوق الوحيد الَّذِي يستطيع أنْ يملك نفسه، ويعلو فوق ميوله، وأهوائه بدافع من أعماقه لا من الخارج، أما عصمة المَلائِكَة، أو نزاهتهم؛ فإنّها من الخارج لا من الدّاخل، إنْ صح التّعبير، حيث لا شهوات، ومتطلبات للجنس، والمعدة، ولا حرب، وضرب، ولا حزن، وألم، ولا فقر، ومرض، ولا مضاهاة، ومباهاة... أبداً لا شيء إلا الهدوء، والسّكينة، والأمان.

ولا أدري: هل حياة المَلائِكَة هَٰذِهِ هي الأفضل أم حياتنا نحن البشر الّتي لا بد معها من الكدح، وَالشّقاء، والشّجاعة في الصَّبَر علىٰ الْبَلاء؟.

(١) الحاقة: ٣١.

وبعد، فقد ترددتُ في شرح هذا الدُّعاء أوّل الأمر؛ لأنّ موضوعه مشكل، وشائك، فهو غير نظري يعتمد علىٰ الفكر، والتّأمل، ولا عملي يتصل بالحياة، وإنّما هو غيب في غيب لا مصدر لهُ إلا التّعبد بالوحي، والجمود علىٰ نصوصه، والوحي، أجمَلَ، ولم يُفصل، وأوجزَ، ولم يُطنب... ثُمّ غلبني سلطان العقيدة، والولاء للنبيّ وَآلِهِ الأطهار، عَلَيْهِمْ أَفْضَل الصّلوات بعد أنْ شعرت بالخوف، والقلق لو تركت ما دعا به من أدِينُ بإمامتة، وعصمته، فشرحتهُ بما سجلت، وأنا علىٰ يقين أنّي ما بينت كلّ ما غَمُضَ، وأستعجم. وألف الصَّلاَة علىٰ من قال: «إنّ الرّاسخين في العلم هم الّذين أغناهم عن أقتحام السّدد المضروبة دون الغيوب، الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب»[1].

(١) أُنظر: نهج البلاغة: ١/١٦٢، خطبة (٩١)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦/٤٠٣، الكافي: ٨/٣٩٤.

الدُّعاء الرّابع

الصَّلاةُ عَلَىٰ مُصَدِّقي الرُّسُلِ

أَللَّهُمَّ وَأَتْبَاعُ الرّسُلِ، وَمُصدّقُوهُمْ ـ مِنْ أَهْلِ الأرْضِ ـ بِالْغَيْبِ عِنْدَ مُعَارَضَةِ المُعَانِدِينَ لَهُمْ بِـالتّكْذِيبِ... وَالإشْـتِيَاقِ إلىٰ الْـمُرسَلينَ بِحَقَائِقِ الإيْمَانِ، فِي كُلِّ دَهْرٍ وَزَمَانٍ أَرْسَلْتَ فِيهِ رَسُـولاً، وَأَقَـمْتَ لأهْلِهِ دَلِيلاً مِنْ لَدُنْ آدَمَ إلىٰ مُحمّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، مِـن أَئِـمّةِ الْهُدَىٰ، وقادَة أَهْلِ التّقَىٰ... عَلَىٰ جَمِيعِهِم السّلامُ؛... فاذكُرْهُمْ مِنْكَ بِمَغْفِرَةٍ، وَرِضْوانٍ.

(أَللَّهُمَّ وَأَتْبَاعُ الرّسُلِ وَمُصدّقُوهُمْ ـ مِنْ أَهْلِ الأرْضِ ـ بِالْغَيْبِ عِنْدَ مُـعَارَضَةِ المُعَانِدِينَ لَهُمْ بِالتّكْذِيبِ) كلّ من أقتدىٰ بآخر في قول، أو فعل فهو تابع له سواء أكان المتبوع محقاً، أم مبطلاً. ومصدقوهم عطف تفسير علىٰ الأتـباع. وبـالغيب متعلق بالمصدقين أي أنّ كثيراً من الأتباع صدقوا، وآمنوا بمن سبق من الأنبياء لا لشيء إلا لأنّ النّبي اللاحق أخبر عنهم تـماماً كـإيماننا نـحن المسـلمين بـلوط، ويعقوب، ويونس، وأيوب وغيرهم، لأنّ نبيناﷺ أخبرنا ـ فيما أُنزل إليـه ـ أنّـهم

أنبياء.

لقد اعتبر القُرآن الكَرِيمِ جميع الأنبياء من لدن ءَادَمَ إلىٰ مُحمّد ـ أُمّة واحدة، وأوجب الإعْتِرَاف بهم مع الإحترام، والتّقديس: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[1]؛ لأنّهم بالكامل يتلقون الوحي من مصدرٍ واحد، وأصول الدّين، والشّريعة واحدة، والإختلاف إنّما هو في التّفريع، والتّطبيق تبعاً للظروف الإجتماعية وغيرها، وفي الحديث الشّريف: «الأنبياء أُخوة أبناء علات، أمّهاتهم شتىٰ، ودينهم واحد»[2] وما من شكّ أنّ تكريم الأنبياء، وكلّ من أصلح، وأفاد النّاس بجهة من الجهات ـ يحمل معنىٰ عرفان الجميل بكلّ جهد كريم، كما أنّ سيرتهم، وحياتهم عبرة، وعظة، ودرس، وقدوة حسنة للأجيال في البذل، والتّضحية، والصّدق، والإخلاص.

ولكن الفرد مهما سما في مواهبه، وأخلص في مقاصده؛ فإنّه لا يستطيع أنْ يقوم بأيّ دور للتّأريخ إلا إذا أُتيح له أنصار، وأعوان يثقون به، ويسارعون إلىٰ طاعته، ويخوضون معه كلّ المعارك، ويفتدونه بالنفس، والنّفيس، لأنّه الحصن الحصين لدينهم، وعقيدتهم، والقوي الأمين علىٰ أهدافهم، ومصالحهم، ولكن هَٰذِهِ الجماعة الفاضلة، والقوة العاملة قد استبعدهم التّأريخ، وأهمل ذكرهم، وَوَجّه الأنظار إلىٰ القادة وحدهم، أمّا القُرآن الكَرِيمِ فقد أثنىٰ علىٰ الأعوان، والأنصار، ورفع من شأنهم، وقرنهم بالأنبياء، والمرسلين في العديد من آياته، منها: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ

(١) البَقَرَة: ٢٨٥.

(٢) اُنظر، البداية والنّهاية: ٢/٥٥ و ١١٧، مسند أحمد: ٢/٥٤١، الدّيباج علىٰ مسلم: ٥/٣٤٩.

ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(١)... ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٢).

وأخذ الإمام السّجاد ﷺ العبرة من هذا الدّرس القرآني، فاعترف بجميل الّذين سارعوا إلىٰ نصرة المُصلحين الْمخلصين، ودعا لهم بالخير، وسأله تعالىٰ أنْ يشمل، ويعم بفضله، ورَحْمَته كلّ من ناصر دعوة الْحَق، وكلّ من عمل بها، ورضي عن الّذين جاهدوا أعداء الْحَقّ، والعدل، وفي الحديث: «من غاب عن أمر فرضي به، كان كمن شهده، وأتاه!»(٣). وعن دائرة المعارف الفرنسية: «أنّ فرنسا خسرت في الحرب العالمية الأُولىٰ سَنَة (١٩١٤م) مليوناً و (٤) ألف قتيل، وأنّ حامية من البقية الباقية من جنودها حملت قتيلاً مجهول الهوية، ودفنته في مكان خاص، وأقامت علىٰ قبره نصباً تذكارياً كرمز لتكريم كلّ مجهول ضحىٰ بنفسه في سبيل وطنه، ودُعَاء الإمام الّذِي نحن بصدده هو تكريم، وتعظيم لكلّ من خدم الحياة، ونفعها بجهة من الجهات، بل ولكلّ من أحبّ، ورضي بعمل عامل في هَذِهِ السّبيل معلوماً كان، أو مجهولاً.

(وَالاِشْتِيَاقِ إِلىٰ الْمُرسَلينَ) عطف علىٰ (عِنْدَ مُعَارَضَةِ الْمُعَانِدِينَ) والمعنىٰ أنّ أتباع الرّسل هم علىٰ إيمانهم الرّاسخ لا يحيدون عنه بالرغم مما يعانون من عتاة

(١) التَّوْبَة: ١٠٠.

(٢) التَّوْبَة: ٨٨.

(٣) أُنظر، مجمع الزّوائد: ٧/٢٩٠، مسند أبي يعلىٰ: ١٢/١٥٥، كنز العمال: ٣/٨٣ح ٥٦٠٢، مسند الإمام الرّضا: ١/٥٤، تحف العقول: ٤٥٦، عيون أخبار الرّضا: ١/٨١، التّوحيد للشيخ الصّدوق: ٣٩٢.

المعاندين (بِحَقَائِقِ الإِيْمَانِ) وهي أُصوله كالتصديق بوجود ٱللَّه، ونبوة مُحمّد، واليوم الآخر (إِلىٰ مُحمّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، مِن أَئِمّةِ الْهُدَىٰ، وقادَة أَهْلِ التّقىٰ) الّذين هم حجة ٱللّه علىٰ خَلْقِهِ تماماً كالقرآن ٱلكَرِيم بحديث الثّقلين الّـذِي رواه مسلم في صحيحة، والتّرمذي في سننه، وأحمد في مسنده، والنّسائي في خصائصه، وسجله أكثر من أربعين عالماً من السُّنة فيما ألفوا وكتبوا. أُنظر كِتَاب حديث الثّقلين للشيخ قوام الدّين القمي[1].

أَللَّهُمَّ وَ أَصْحابُ مُحَمّد خاصَّةً الّذينَ أَحْسَنُوا الصَّحابَة، وَالّـذِينَ أَبْلَوْا الْبَلاءَ الْحَسَنَ في نَصْرِهِ، وكَانَفُوهُ، وَأَسْرعوا إِلىٰ وِفَادَتِهِ، وَسَابَقوا إِلىٰ دَعْوَتِهِ، وَاسْتَجَابُوا لَهُ حَيْثُ أَسْمَعَهُمْ حُجّةَ رِسَالاتِهِ، وَفَارَقُوا الأَزْواجَ، وَالأَوْلادَ في إِظْهَارِ كَلِمَتِهِ، وقَاتَلُوا الآباء، والأَبْنَاءَ في تَثْبِيتِ نُبُوَّتِهِ، وانْتَصَروا بِهِ، وَمَنْ كانُوا مُنْطَوِينَ عَلَىٰ مَحَبّتِهِ، يَرجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ في مَوَدَّتِهِ؛ وَالّـذِينَ هَجَرَتْهُمُ العَشَائِرُ إِذْ تَعَلّقوا بِعُرْوَتِهِ، وِانْتَفَتْ مِنْهُمُ الْقَرابَاتُ إِذْ سَكَنُوا في ظِلِّ قَرابَتِهِ... فَلا تَنْسَ لَهُمْ أَللَّهُمَّ ما تَرَكوا لَكَ، وَفِيكَ، وَأَرْضِهِمْ مِنْ رِضْوانِك، وَبِمَا

(١) أُنظر، صحيح مسلم: ٤ /فضائل عليّ ح ٣٦ و ٣٧، وسنن التّرمذي: ٥ /باب ٣٢، وسنن الدّارمي: ٢ /فضائل الْقُرْآن، وخصائص النّسائي: ٥٠، وذخائر العقبىٰ للمحبّ الطّبري: ١٦، وتذكرة الخواصّ: الباب ١٢، وأُسد الغابة: ٢ /١٢، وتأريخ اليعقوبي: ٢ /١٠٢، والمستدرك علىٰ الصّحيحين: ٣ /١٠٩، ومسند أحمد: ٣ /١٧ و ٥ /١٨١ و ٣٧١، والصّواعق المحرقة: ٢٥ المطبعة الميمنية بمصر، وص: ٤١ المطبعة المحمّدية بمصر، ومجمع الزّوائد: ٩ /١٦٤، وتأريخ دمشق لابن عساكر: ٢ /٤٥ ح ٥٤٥، وكنز العمّال: ١ /١٦٨ ح ٩٥٩ الطّبعة الأُولىٰ، وينابيع المودّة: ٣٧ طبع إسلامبول.... إلخ).

حَاشُوا الْخَلْقَ عَلَيْكَ، وَكَانوا مَعَ رَسُولِكَ دُعَاةً لَكَ إِلَيْكَ، وَاشْكُرْهُمْ عِلىٰ هَجْرِهِمْ فِيكَ دِيَارَ قَومِهِمْ، وَخُروجِهِمْ مِنْ سَعَةِ الْمَعَاشِ إِلىٰ ضِيقِهِ؛ وَمَنْ كَثَرْتَ في إعْزازِ دِينِكَ مِنْ مَظْلُومِهِمْ.

أي عزة الإسلام، والمسلمين قامت علىٰ جهاد الْمجاهدين، ومظلمة المظلومين.

الْمُؤْمِن الواقعي

قال المفسرون في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[1]: «إنّ ٱللّه سبحانه جعل للنبيّ علىٰ الْمُؤمِنِين حقّ التّصرف في أموالهم، وأنفسهم، ومن أبىٰ، أو ٱعترض فقد خرج عن ملة الإسْلاَم، وليس من شكّ في وجوب السّمع، والطّاعة له، لأنّ كلمة النّبيّ من حيث هي تستدعي ذٰلِكَ. إضافة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّـهَ﴾[2]. ومع هذا يسوغ لنا القول بأنّ آية الأحزاب تنطوي علىٰ معنىً آخر، وهي أنّها تحدد مفهوم الْمُؤمِن الواقعي لا ٱلظَّاهِري، وتُعرّف به كما هو عند ٱللّه لا عند النّاس. وأنّه: «من آمن، وأيقن من الأعماق بأنّ النّبيّ ﷺ أولىٰ منه بنفسهِ، وأهلهِ، ومالهِ، يتصرف بذلك كيف يشاء، ولا مشيئة له مع النّبيّ علىٰ الإطلاق»[3].

وفي سفينة البحار: أنّ النّبيّ قال: «والّذِي نَفْسِي بيده لا يؤمن عبد حتّىٰ أكون أحبّ إليه من نفسهِ، وأبويهِ، وأهلهِ، وولدهِ، والنّاس أجمعين»[4] وسأله رجل:

---

(١) الأحزاب: ٦.

(٢) النّساء: ٨٠.

(٣) أُنظر، كُتُب التّفسير لكلا الفريقين.

(٤) أُنظر، مسند أحمد: ٣/٢٠٧ و ٢٧٥ و ٢٧٨، بحار الأنوار: ٢٢/٨٨ و: ٢/٦٥، مغني المحتاج

«متىٰ تقوم السّاعة؟ فقال: وماذا أعددت لها؟ قال الرّجل: ما أعددت لها كثير صوم، وصلاة إلا أنّي أُحب ٱللَّه، ورسوله. فقال النّبيﷺ: المرءُ مع مَن أحبّ»[1]. قال أنس: فما رأيت المسلمين فرحوا بعد الإسْلاَم بشيء أشد من فرحهم بهذة البشارة.

ولا تفسير لفرحهم هذا إلا بحبهم، وإخلاصهم لرسول ٱللَّهﷺ، وإيمانهم بأنه أملك منهم بأنفسهم... كانوا يفتدونه بالأرواح، والمُهج، ويبارز الآباء ـ بقيادته ـ الأبناء، والأبناء يتربصون بالآباء، وكانت المرأة المسلمة تفتقد زوجها، وولدها، وأباها، وتحمد ٱللَّه مبتهجةً بنجاة ٱلرَّسُول... والسّيرة النّبوية متخمة بالشواهد علىٰ

↩ لمحمد بْن الشّربيني: ٢٢٢/٤، صحيح مسلم: ٤٩/١، شرح صحيح مسلم: ١٥/٢، سنن ابن ماجه: ٢٦/١، كشف القناع للبهوتي: ٣٠/٥: الدّيباج علىٰ مسلم: ٦٠/١، منتخب مسند عبد ابْن حميد: ٣٥٥، السّنن الكبرىٰ: ٥٣٤/٦ و: ٤٨١/٧ ح ١١٧٤٤ و ١١٧٤٦، مسند أبي يعلىٰ: ٣٧٨/٥ و: ٢٣/٦، صحيح ابن حبان: ٤٠٦/١، المعجم الأوسط: ٣٥٥/٨، مسند الشّاميين: ١٤/٤ ح ٢٥٩٣ و ص: ٩٢ ح ٣٣٣٨، كِتَاب الأربعون الصّغرىٰ للبيهقي: ٨٥، كنز العمال: ٣٧/١ ح ٧٠ و ٧١ و ص: ٤١ ح ٩١، و: ١٨٣/١٢ ح ٣٤٥٨١ و ٣٤٥٨٤، فيض القدير شرح الجامع الصّغير: ٥٧١/٦، الشّفا بتعريف حقوق المصطفىٰ للقاضي عياض: ١٨، سبل الهدىٰ والرّشاد: ٤٧٦/١٠ و: ٤٣٠/١١، سنن الدّارمي: ٣٠٧/٢، صحيح البخاري: ٩/١، كشف الخفاء للعجلوني: ٣٤٤/٢ ح ٢٩٥٥، تفسير ابن كثير: ٣٥٦/٢. مع تقديم وتأخير في عبارة وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ.

(١) أُنظر، مسند أحمد: ٣٩٢/١ و: ٢٢٧/٣، السّنن الكبرىٰ: ٤٤٢/٣ ح ٥٨٧٣، مناقب أمير الْمُؤْمِنِين للكوفي: ٤٤٧/٢، المعتبر للحلي: ٢٩٤/٢، سنن التّرمذي: ٢٢/٤ ح ٢٤٩٢ و ص: ٥٩٥ ح ٢٣٨٥ و: ٢٠٥/٥، سنن ابن ماجه: ١١١٨/٢ ح ٣٣٦٨، مجمع الزّوائد: ٣٦٤/٩، عوالي التالي: ٩٩/٣ ح ١٢٢، المجموع: ٥٢٥، إعانة الطّالبين: ٩٩/٢، علل الشّرائع للشيخ الصّدوق: ١٣٩/١، فتح الباري: ٤٦٠/١٠.

هَٰذِهِ الحقيقة ـ وعلىٰ سبيل المثال ـ أسر مشركو مكّة من الصّحابة زيد بْن الدّثنة، ولما قدموه للقتل قال له أبو سفيان: أُنشدك بالله أتحبّ أنّ مُحمّداً مكانك تُضرب عنقه وأنْتَ سالم؟ فقال: واللّٰه ما أُحبّ أنْ تصيب مُحمّداً شوكة تؤذيه، وأنا سالم من القتل. فقال أبو سفيان: ما رأيتُ من النّاس أحداً يُحِبُّ أحداً كحبّ أصحاب مُحمّد مُحمّداً. ثُمّ قتل زيد[1].

وعلىٰ أساس هذا الحبّ لرسول اللّٰه ﷺ، والصّلة بينه وَبَيْنَ أُمّته قامت دعوة الإسْلاَم، ودولته الّتي غيرت وجه الأرض بشريعتها، وأذلت الجبابرة الطُّغاة بقوتها، وأعزّ اللّٰه بسلطانها كلّ من قال: لا إلا إلا اللّٰه مُحمّد رَسُول اللّٰه علىٰ قلة العدة، والعدد... والمسلمون اليوم أكثر مالاً ونفراً[2] من أي وقت مضىٰ، ولكنهم فريسة لكلّ آكل، وغنيمة لكلّ طامع حتّىٰ لإسرائيل... ولو كنا نحبّ اللّٰه ورسوله حقاً وصدقاً لجمعنا هذا الحبّ علىٰ إحساس واحد، وكلمة واحدة، وتعاونا علىٰ العمل لإعلاء كلمة الإسْلاَم، والذّود عن حقوق المسلمين، وكرامتهم.

أَللَّهُمَّ وَأَوْصِلْ إِلىٰ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ الَّذِينَ يَقُولُونَ: «رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَ لِإِخْوَٰنِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَـٰنِ» خَيْرَ جَزائِكَ؛ الَّـذِينَ قَـصَدُوا

---

(١) رويت هَٰذِهِ القصة في حقّ خبيب بْن عدي الأنصاري تارةً، وتارة أُخرىٰ في حقّ زيد، أُنظر، بحار الأنوار: ٢٠/١٥٢، مجمع الزّوائد: ٦/٢٠٠، السّيرة النّبوية لابن كثير: ٣/١٣١، عيون الأثر: ٢/١٤، فتح الباري: ٧/٢٩٥، المعجم الكبير: ٥/٢٦١، زاد المسير: ١/٢٠٠، تأريخ دمشق: ٢١/١٦٢، البداية والنّهاية: ٤/٧٦.

(٢) في مجلة العربي الكويتية العدد (٢٢٣ ص ٥٠) أنّ ربع سُكان الكرة الأرضية ـ أي ألف مليون ـ ينتمون إلىٰ الإسْلاَم، والرّبع الآخر يعتنق المسيحية، والرّبع الثّالث موزع بين بقية الأديان، والرّابع لا دين.

سَمْتَهُمْ، وَتحَرَّوا وِجْهَتَهُمْ، وَمَضَوا عَلَىٰ شَاكِلَتِهِمْ؛ لَمْ يَثْنِهِمْ رَيْبٌ في بَصيرتِهِمْ، وَلَمْ يَخْتَلِجْهُمْ شَكٌّ في قَفْوِ آثَارِهِمْ، والإئْتِمامِ بِهِدايَةِ مَنارِهِمْ مُكَانِفِينَ، ومُوازِرِينَ لَهُمْ؛ يَدينُونَ بِدينِهِمْ، وَيَهتَدُونَ بِهَديِهِمْ، يَتَّفِقُونَ عليهِمْ، وَلا يَتَّهِمُونَهُمْ فِيما أدوا إِلَيْهِمْ.

(وَأَوْصِلْ إلىٰ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَان) يسأل الإمام ﷺ ٱللّٰه سبحانه أنْ يجزي ٱلّذين لحقوا الصّحابة، وتابعوهم بالإيمان، والطّاعة ـ أحسن الجزاء، وأفضله (ٱلّذِينَ يَقُولُون ...) صفة للتابعين، وهو إقتباس من قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وتومىء هَذِهِ الآية الكريمة إلىٰ أنّ من يغل، ويحسد، أو يحقد علىٰ أي مؤمن، فما هو من الايْمَان في شيء... فهل يتعظ، ويعتبر الحاقدون الحاسدون لمن هو أخبر، وأشهر؟ (خَيْرَ جَزائِكَ) مفعول لأوصل (ٱلّذِينَ قَصَدُوا سَمْتَهُمْ) السّمت: الطّريق الواضح (وَتَحَرَّوا وِجْهَتَهُمْ): الوجهة: النّاحية (وَمَضَوا عَلَىٰ شَاكِلَتِهِمْ) علىٰ طريقتهم (لَمْ يَثْنِهِمْ رَيْبٌ) لم يرتدوا عن دينهم للشبهات (وَلَمْ يَخْتَلِجْهُمْ شَكٌّ) لم يعترض الشّك في قلوبهم (في قَفْوِ آثَارِهِمْ...) أتبعوا صراط الْمُتّقِين ٱلّذين أنعم ٱللّٰه عَلَيْهِمْ، ولم يحيدوا عنه (يَدِينُونَ...) عطف تفسير علىٰ ما تَقَدَّمَ (وَلا يَتَّهِمُونَهُمْ فِيما أدوا إِلَيْهِمْ) المُراد بأدوا هنا نقلوا، والمعنىٰ أنّ الصّحابة نقلوا سُنة رَسُول ٱللّٰهﷺ إلىٰ التّابِعِينَ، وهؤلاء لا يتهمون الصّحابة بالكذب علىٰ ٱلرّسُول، ولا بالخيانة في أداء هَذِهِ الأمانة.

أَللّٰهُمَّ وَصَلِّ عَلَىٰ التَّابِعِينَ مِنْ يَوْمِنا هذا إلىٰ يَوْمِ الدِّينِ، وَعَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ، وَعَلَىٰ ذُرِّيَّاتِهِمْ، وَعَلَىٰ مَنْ أَطَاعَكَ مِنهُمْ... صَلاةً

(١) الحشر: ١٠.

تَعصِمُهُمْ بِهَا مِنْ مَعْصِيَتِكَ، وتَفْسَحُ لَهُمْ في رِيَاضِ جَنَّتِكَ، وَتَمْنَعُهُمْ بِهَا منْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ، وَتُعِينُهُمْ بِهَا عَلَىٰ ما اسْتَعَانُوكَ عَلَيهِ مِنْ بِرٍّ، وَتَقِيهِمْ طَوَارِقَ اللَّيلِ، وَالنَّهَارِ إلاَّ طَارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ؛ وَتَبْعَثُهُمْ بِهَا عَلَىٰ اعْتِقَاد حُسْنَ الرَّجَاء لَكَ، وَالطَّمَعِ فِيما عِنْدَكَ، وَتَرْكِ التُّهْمِةِ فِيما تَحْوِيهِ أيْدِي العِبَاد، لِتَرُدَّهُمْ إلىٰ الرَّغْبَةِ إلَيْكَ، وَالرَّهْبَةِ مِنْكَ، وَتُزَهِّدهُمْ في سَعَةِ العَاجِلِ، وَتُحَبِّبَ إلَيْهِمُ الْعَمَلَ لِلآجِلِ، والإسْتِعْدادَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَتُهَوِّنَ عَلَيْهِمْ كُلَّ كَربٍ يَحُلُّ بِهِمْ يَوْمَ خُرُوجِ الأنْفُسِ مِنْ أبْدانِهَا، وَتُعَافِيَهُمْ مِمّا تَقَعُ بِهِ الفِتْنَةُ مِنْ مَحْذُورَاتِهَا، وكَبَّةِ النّارِ، وَطُولِ الْخُلُودِ فِيها، وَتُصَيِّرهُمْ إلىٰ أمْنٍ مِنْ مَقِيلَ الْمُتَّقِينَ.

(أللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَىٰ التَّابِعِينَ مِنْ يَوْمِنا هـذا إلىٰ يَـوْمِ الدِّيـنِ) المشهور عند المحدثين في تعريف الصّحابي، أنّه من لقي النّبيّ ﷺ مسلماً ومات علىٰ الإسْلاَم، وعند الأُصولين: من لازم النّبي مدة يسوغ معها هذا الوصف عرفاً[1]. أمّا التّابِعي في

---

(١) الصّحابة لغةً: الصّاحب. وجمعه: صحب، و أصحاب، وصِحاب، و صحابة. والصّاحب: المعاشر والملازم، أو المجالس، أو المشايع. ولا يقال إلّا لمن كثرت ملازمته، وإنّ المصاحبة تقتضي طول لبثه. (أنظر لسان العرب، ومفردات الرّاغب، وتاج اللّغة للجوهري، وتاج العروس للزبيدي، والمعجم الوسيط، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، ومختارات الصّحاح للرازي).
أمّا في الْقُرْآن الْكَرِيمِ فقد جاء ذكر: أصحاب، وصاحبة، وصاحبهما، وأصحابهم، وصاحبته، وتصاحبني.
وكلّ واحدةٍ من هٰذِهِ الألفاظ وغيرها تدلّ علىٰ معنىٰ، لأنّ الصّحبة تكون بين اثنين أو طرفين. ولابدّ أنْ تضاف إلىٰ اسمٍ كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾ و ﴿أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ وغير ذٰلِكَ. (أُنظر سورة الكهف: ٣٧، لقمان: ١٥، النّساء: ٣٦، التَّوْبَة: ٤٠، ٱلْقَمَرَ: ٢٩، النّجم:

الإسْلاَم فهو من لقي أحد الصّحابة مسلماً، ومات علىٰ الإسْلاَم، والتّابع علىٰ وجه العموم: كلّ من اقتدىٰ بآخر، وإنْ كان بينهما آلاف السّنين كما سبقت الإشارة، وهذا مراد الإمام بقوله:مِنْ يَوْمِنا هذا إلىٰ يَوْمِ الدّينِ.

(وَعَلَىٰ أزْوَاجِهِمْ، وَعَلَىٰ ذُرِّيَاتِهِمْ، وَعَلَىٰ منْ أطَاعَكَ مِنهُمْ) إنْ كان للمتقين ذُرِّية مؤمنة ـ دونهم في الدّرجة، والمرتبة ـ فإنّ ٱللَّه سبحانه يجمع شملهم في مقام

⇐ ٢. سبأ: ٤١، يوسف: ٣٩ و ٤١، الذّاريات: ٥٩. وأُنظر التّفاسير لهذه الآيات كتفسير ابن كثير: ١/ ٤٩٤، و٢/ ٣٥٨و ٣/ ٩٢و ٤٤٤ و ٤/ ٢٦٥).

أمّا تعريف الصّحابي عند أهْل السُّنّة: فهو من لقي النّبيّ ﷺ مؤمناً به، ومات علىٰ الإسْلاَم. (الإصابة لابن حجر: ١/ ١٠). ولسنا هنا بصدد مناقشة التّعريف.

ثمّ ذكر ابن حجر في ضابطٍ يستفاد من معرفته صحبة جمعٍ كثير، فقال: إنّهم كانوا في الفتوح لا يؤمرون إلّا الصّحابة). (وإنّه لم يبقَ بمكّة، ولا الطّائف أحد في سَنَة عشرٍ إلّا أسلم وشهد مع النّبيّ حجّة الوداع. وإنّه لم يبقَ في الأوس، والخزرج أحد في آخر عهد النّبيّ ﷺ إلّا دخل في الإسْلاَم. وما مات النّبيّ ﷺ وأحد منهم يظهر الكفر. (الإصابة: ١/ ١٣ـ ١٦).

وهذا التّعريف هو المختار عند أكثر المحقّقين. إلّا من شذّ منهم ووضع شروطاً أربعة: من طالت صحبته، أو حفظت روايته، أو ضبط أنّه قد غزا معه، أو استشهد بين يديه. (أُنظر الاستيعاب لابن عبد البرّ، أُسد الغابة، الإصابة، تقريب التّهذيب).

أمّا مدرسة أهْل ٱلبَيْت ﷺ فترىٰ أنّ لفظ «الصّحابي» ليس مصطلحاً شرعياً. وإنّما شأنه شأن سائر مفردات اللّغة العربية. والصّحبة تشمل كلّ من صحب النّبيّ ﷺ، أو رآه، أو سمع منه، فهي تشمل: المُؤْمِن، والمنافق، والعادل، والفاسق، والبرّ، والفاجر، ولذا يقول السّيّد مرتضىٰ الرّضوي: الشّيعة يوالون أصحاب محمدٍ ﷺ الّذين أبلوا البَلاء الحَسن في نصرة الدّين، وجاهدوا بأنفسهم، وأموالهم. (آراء علماء المسلمين للسيّد مرتضىٰ الرّضوي: ٨٧).

هؤلاء قاموا بمعالم الرّسالة، وبذلوا النّصيحة، وهذّبوا الطّرق، وأذلّ ٱللَّه بهم الكفر، والشّرك، وصارت بهم كلمة ٱللَّه هي العليا، وكلمة الّذين كفروا السّفلىٰ. فصلوات ٱللَّه عَلَيْهِمْ، وعلىٰ أرواحهم الطّاهرةِ بعد ما كانوا في الحياة أولياء، وبعد الممات أحياء.

واحد من نعيمه، ورضوانه كرامة للمتقين، ولا ينقص من ثواب هؤلاء شيئاً كما في الآية ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾[1] (صلاةً تَعصِمُهُمْ بِهَا مِنْ مَعْصِيَتِكَ) المُراد بالصلاة هنا التّوفيق، والهداية إلىٰ الطّاعة بقرينة العِصْمَة من المعصية (وَتَقِيهِمْ طَوَارِقَ اللّيلِ، وَالنَّهَارِ) المُراد بالطوارق هنا المخبآت، والمفاجآت من الحوادث.

(وَتَبْعَثُهُمْ بِهَا عَلَىٰ اعْتِقَاد حُسْنَ الرّجَاء لَكَ) أي يكون مصيرهم خيراً. لا شراً (وَالطَّمَعِ فِيمَا عِنْدَكَ) يطمعون في الحلال لا في الحرام، وفي الآخرة لا في الدُّنْيَا (وَتَرْكِ التّهْمة فِيما تَحْوِيهِ أيْدِي العِبَاد) من أتهم اللّٰه سبحانه في عدله بقسمة الجاه، والمال، أو الصّحة، والأعمار، أو بأي شيء فهو كافر، والإمام يطلب من اللّٰه أنْ يمد الْمُؤمِن بالرعاية، والهداية كي لا يظن به الظّنون (لِتَرُدَّهُمْ إلىٰ الرّغْبَة إلَيْكَ، وَالرّهْبَةِ مِنْكَ) الْمُؤمِن الْحَقّ يرجو اللّٰه دون سواه، ولا يخشىٰ الْخَلْق، وإنْ جمعوا له كلّ القوىٰ، والطّاقات عدة، وعدداً مادام علىٰ يقين من دينه، وثِقَةً من ربه، وقد أمتدح سبحانه الصّحابة بهذا الإعتقاد في قوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[2] خوفوهم من قوة الْخَلْق فازدادوا إيماناً بقدرة الخالق، وبأنّ الرّزق، والأجَل، والنّصر بيده تعالىٰ وحده لا شريك له، وبهذا الإعتقاد يكلأ اللّٰه عبده، ويحرسه بحراسته. وفي نهج البلاغة: «لو أنّ السّموات، والأرضين كانتا علىٰ عبد رتقاً. ثُمَّ أتقىٰ اللّٰه لجعل اللّٰه له منهما مخرجاً»[3].

---

(١) الطّور: ٢١.

(٢) آل عمران: ١٧٣.

(٣) أُنظر، نهج البلاغة: ٢/ ١٣، خطبة (١٣٠)، شرح النّهج الحديدي: ٢٥٢/٨، عيون الحكم

(وَتُزَهِّدهُمْ في سَعَةِ العَاجِلِ، وَتُحَبِّبَ إِلَيْهِمُ الْعَمَلَ لِلآجِلِ) يؤثرون الطّاعة علىٰ المعصية، والثّواب الآجل علىٰ الحطام العاجل (والإِسْتِعْدادَ لِمَا بَعْدَ الْـمَوْتِ) ولا عدة له إلا الأعمال الصّالحة في الدُّنْيا حيث لا عمل في الآخرة إلا الحسرات، والآهات (وَتُهَوِّنَ عَلَيْهِمْ كُلَّ كَرْبٍ يَحُلُّ بِهِمْ يَوْمَ خُرُوجِ الأَنْفُسِ مِنْ أَبْدانِهَا) يعاني ألإنسَان ألواناً من الشّدائد أيام حياته، ولكنها مجتمعة ليست بشيء إنْ قيست بسكرات النّزع وأهواله. وقال قائل: لو نشر ميت من قبره، وأخبر النّاس بما حدث له، ما انتفعوا بعيش. وفي الجزء الرّابع من كِتَاب إحياء العلوم:« إنّ النّبيﷺ ظهر عند النّزع أنينه، وأرتفع حنينه، وتغير لونه، وعرق جبينه، وأضطربت شماله، ويمينه»[١] وسواء أصح هذا الخبر أم لم يصح فإنّ كلمة النّزع، وخروج الرّوح تدل علىٰ نفسها بنفسها (وَتُعَافِيَهُمْ مِمّا تَقَعُ بِهِ الفِتْنَةُ) أي الشّدائد (مَقِيلَ الْمُتَّقِينَ) وهو النّعيم القائم، والمُلْك الدّائم.

↞ والمواعظ: ٤١٦.

(١) أُنظر، إحياء علوم الدّين: ٢٥٤/٤، طبعة مصر ـ الفجالة القديمة ـ، وقد علق الشّيخ علىٰ الخبر بما فيه الكفاية.

الدُّعاء الخامس

دُعَاؤُهُ لِنَفْسِهِ، وَخَاصّتِهِ

يا مَنْ لا تَنْقَضي عَجَائِبُ عَظَمَتِهِ... صلِّ عَلَىٰ مُحَمّدٍ وَآلِهِ، واحْجُبْنَا عنِ الإلْحَادِ في عَظَمَتِكَ، وَيَا مَنْ لا تَنْتَهي مُدَّةُ مُلْكِهِ ... صلِّ عَلَىٰ مُحَمّدٍ وَآلِهِ، وَأعْتِقْ رِقابَنا مِنْ نَقِمَتِكَ؛ وَيَا مَنْ لاتفْنىٰ خَزائِنُ رَحْمَتِه ... صَلِّ عِلىٰ محمّدٍ وآلِهِ، واجْعَلْ لَنَا نَصيباً في رَحْمَتِكَ، وَيَا مَنْ تَنْقَطِعُ دُونَ رُؤْيَتِهِ الأبْصَارُ... صَلِّ عَلَىٰ مُحَمّد وَ آلِهِ، وَأدْنِنَا إلىٰ قُرْبِكَ؛ وَيَا مَنْ تَصْغُرُ عِنْدَ خَطَرِهِ الأخْطَارُ ... صلِّ عَلَىٰ مُحَمّدٍ وَآلِهِ، وَكَرِّمْنَا عَلَيْكَ.

بين خَلْق اللّه، والعلم

(يا مَنْ لا تَنْقَضي عَجَائِبُ عَظَمَتِهِ) أي عَظَمَة قدرته تعالىٰ الّتي تتجلىٰ في خلق الأشياء من لا شيء، بل ومن غير زمان أيضاً: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾[1] إلا كلمة واحدة وهي ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[2] بلا أداة، ومعالجة، ومعاناة، بينما

---

(١) ٱلْقَمَرِ: ٥٠.

(٢) ٱلْبَقَرَة: ١١٧.

العلم يوجد الشّيء من شيء، ونُقل عن « كانْت » أنّه قال: ائتوني بـالمادة، وأنـا أُعلمكم كيف يخلق الكون!. وهذا عين الغرور، وإلاّ فليخبرنا « كانْت » عمّا فـي الكون من قوىٰ، وأسرار، بل عمّا في نفسه، وجسمه[١].

الصَّلاةُ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

(صلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ) في الجزء الأوّل من كِتَاب فضائل الخـمسة للـفيروز آبادي نقلاً عن سنن الدّارمي أنّ النّبيّ ﷺ قال: «أنّه لا يصلي عَلَيْكَ أحدٌ من أُمتك إلا وصليتُ عَلَيْهِ عشراً، ولا يسلم أحد من أُمّتي إلا سلمت عَلَيْهِ عشراً»[٢].

وفي صحيح البخاري الجزء الثّامن كِتَاب الدّعوات باب الصَّلاَة علىٰ النّبي ﷺ: «أنّ رَسُول اَللَّه صلّىٰ اَللَّه عَلَيْهِ سُئل: كيف نصلي عَلَيْكَ؟ فأجاب قولوا: اَللّهُمَّ صلِّ علىٰ مُحمّدٍ وعلىٰ آلِ مُحمّد..»[٣] ويلاحظ بأنّ البخاري ذكر النّبي ﷺ ولم يصلِّ علىٰ

(١) أُنظر، كِتَاب اَلإنسَان ذَلِكَ المجهول تأليف الكسيس كاريل، منه ﷺ.

(٢) أُنظر، كِتَاب الفضائل للفيروزآبادي نقلاً عن سنن التّرمري، منه ﷺ، ولكن ورد الحديث كـما أثبتناه من المصادر الّتي عثرنا عليها. أُنظر، السّنن الكبرىٰ: ٣٨٤/١و: ٢١/٦، المعجم الكبير: ١٠٢/٥، كنز العمال: ٢٨١/٢ ح ٤٠٩، تفسير ابن كثير: ٥١٩/٣، المصنف لابـن أبـي شـيبة الكوفي: ٣٩٨/٢، مسند ابن المبارك: ٣٠، تهذيب الكمال: ١١٤/١٢، سبل الهدىٰ والرّشاد: ٤٥٢/١٠ و: ٤٢٥/١٢، فضل الصَّلاَة علىٰ النّبي ﷺ للجهضمي: ٢٤، الدّر المنثور: ٢١٩/٥، تحفة الأحوذي: ٤٩٧/٢، سنن النّسائي: ٥٠/٣، تأريخ بغداد: ٤٠٠/٩، نظم درر السّمطين: ٤٦، مجمع الزّوائد: ١٦١/١٠، قريب منه.

(٣) يقصد بذلك آلِ اَلرَّسُول ﷺ اَلّذين خصّهم اَللّه بالمكارم والفضائل، ونزّههم عن النّقائص بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحـزاب: ٣٣. وفـرض مـودتهم عـلىٰ جـميع المسـلمين بـقوله تـعالىٰ: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾

⇐ الشّورى: ٢٣.

إنّ الصّلاة والسّلام على الآل ثابتة في كِتَاب ٱللّه وقول رَسُول ٱللّه ﷺ وقول الأصحاب الكرام. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ الأحزاب: ٣٣. فقالوا: يا رَسُول ٱللّه! كيف نصلّي عَلَيْكَ؟ فقال ﷺ: «قولوا اللّهمّ صلّ علىٰ محمدٍ وعلىٰ آلِ محمدٍ كما صلّيت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آلِ إبراهيم، وبارك علىٰ محمدٍ وعلىٰ آلِ محمدٍ كما باركتَ علىٰ إبراهيم وعلىٰ آلِ إبراهيم. (صحيح البخاري: ٦ / ٢١٧ و ٢٩١).

وقد ذكر الفخر الرّازي في تفسيره: ٧ / ٣٩١ أنّ أهْل ٱلْبَيْت ساووا النّبيّ ﷺ في خمسة أشياء: في الصّلاة عَلَيْهِ وعَلَيْهِمْ في التّشهد، وفي السّلام، وفي الطّهارة، وفي تحريم الصّدقة، وفي المحبّة.

وقال ﷺ: معرفة آلِ محمدٍ براءة من ٱلنّار، وحبّ آلِ محمدٍ جواز علىٰ الصّراط، والولاية لآل محمدٍ أمان من العذاب. (ينابيع المودّة: ١ / ٢١ في المقدّمة نقلاً عن ذخيرة المآل طبعة ٧ قم).

وقال ﷺ: لا تصلوا عليّ الصّلاة البتراء، قالوا: وما الصّلاة البتراء يا رَسُول ٱللّه؟ قال: تقولون: أللّهمّ صلّ علىٰ محمدٍ وتسكتون، بل قولوا: أللّهمّ صلّ علىٰ محمدٍ وعلىٰ آلِ محمد. (الصّواعق المحرقة لابن حجر: ١٣١، فتح القدير للشوكاني: ٤ / ٢٨٠ نقله عن صحيح مسلم، تفسير الخازن: ٥ / ٢٥٩).

وعن مجاهد وأبي صالح عن ابنِ عباس قال: آلِ ياسين آلِ محمّد، وياسين اسم من أسماء محمدٍ ﷺ. (المصدر السّابق: ١ / ٨، وأُنظر الفخر الرّازي في تفسيره: ٢٧ / ١٦٦، نظم درر السّمطين للزرندي: ١١١، الصّبّان في إسعاف الرّاغبين: ١١٦).

فمن هَٰذِهِ الدّلائل وغيرها ثبت أنّه ﷺ أدخل نفسه في آلِهِ، فمن صلّىٰ أو سلّم علىٰ آلِهِ كأنّهُ صلّىٰ وسلّم عَلَيْهِ، لأنّه منهم وهم منه، ومن صلّىٰ أو سلّم عَلَيْهِ بضمّ آلِهِ فقد أكمل الصّلاة والسّلام عَلَيْهِ.

⇐

آلِهِ في حديث الصَّلاَة علىٰ الآل! ومثله تماماً في تفسير الطَّبري، والرّازي، والمُراغي وغيرهم! فهل هناك من سُر؟.

(واحْجُبْنَا عنِ الإلْحَادِ في عَظَمَتِكَ) الإلْحَاد علىٰ أنواع، منها تعظيم الدُّنْيَا، وزينتها من دون الخالق، والتّورط من أجلها في معاصيه، والإمام؈ يسأل اللّه سبحانه أنْ يعصم المُؤْمِنِين به من هذا الإلْحَاد، أو الشّرك الخفي. وفي نهج البلاغة: «عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم»[1] (وَيَا مَنْ لا تَنْتَهي مُدَّةُ مُلْكِهِ) حيث لا حدّ، ولا نهاية لقدرته المبدعة الخالقة (صَلِّ عَلَىٰ مُحَمّدٍ وَآلِهِ) كرر الإمام؈ الصَّلاَة علىٰ مُحمّد وَآلِهِ عند كلّ حاجة طلبها من اللّه سبحانه «فإنّ اللّه أكرم من أنْ يُسأل حاجتين فيقضي إحداهما، ويمنع الأُخرىٰ»[2]. كما قال الإمام أمير المُؤْمِنِين؈: ودعوة الصَّلاَة علىٰ النّبيّ مجابة قطعاً، فينبغي أنْ تجاب دعوة الحاجة الخاصة حتماً.

❊ أُنظر، صحيح البخاري: ٦/ ٢١٧ و ٢٩١ و: ٧/١٥٧، تفسير الفخر الرّازي: ٧/ ٣٩١ و: ٢٧/١٦٦، ينابيع المودّة: ١/ ٢١، الصّواعق المحرقة: ١٤٦، نور الأبصار: ١٠٥، إسعاف الرّاغبين: ١١٨، شرح المواقف للزرقاني: ٧/ ٧، نظم درر السّمطين: ١١١، سنن أبي داود: ١/٢٥٨، مسند زيد: ٣٤، فتح العزيز: ٣/ ٥٠٤، المجموع: ٣/٤٦٤، روضة الطّالبين: ٨/٥٩، تلخيص الحبير: ٥/١٨٧، الاقناع لموسىٰ الحجاوي: ١/١٢٦، مغني المحتاج: ١/١٧٤، حواشي الشّرواني: ٢/٦٦، كشف القناع: ١/١٧، سبل السّلام: ١/١٩٣، فقه السّنة سَيِّد سابق: ١/٦١٥، صحيح مسلم: ٤/١٢٣، مجمع الزّوائد: ٢/١٤٤، فتح الباري: ١١/١٣٤، تحفة الاحوذي: ٢/٤٩٤، المصنف لابن أبي شيبة الكوفي: ٢/٣٩١، الاحاد والمثاني للضحاك: ٤/٥٦، السّنن الكبرىٰ: ٦/١٧، المعجم الكبير: ١٧/٢٥٢، الكامل في التّأريخ: ٣/٢٣، سبل الهدىٰ والرّشاد: ١١/١٠.

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٢/١٦١، الخطبة (١٩٣)، شرح النّهج لابن أبي الحديد: ١٠/١٣٣.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ٤/٨٤، الحكمة (٣٦١).

(وَأَعْتِقْ رِقَابَنَا مِنْ نَقِمَتِكَ) من ٱلنَّار (وَيَا مَنْ لا تفْنَىٰ خَزَائِنُ رَحْمَتِهِ) ولا خزائن رزقه، ونعمته، بل ولا ينقص منها شيء بالبذل، والإنفاق، وروي عن النَّبيّ ﷺ أنّه قال: «طَلَب بعض الكائنات من ٱللَّه تعالىٰ أنْ يأذن لها بهلاك ابن ءادَمَ؛ لأنّه يأكل خيره، ويجحد فضله. فقال لها: لو خلقتموه لرحمتموه»[١]... ومعنىٰ هذا أنّ رَحْمَة الخالق للمخلوق صفة لازمة له تماماً، كرحمة الوالد لمولوده، أو أشد، وهَذِهِ قضية حتمية حيث لا غنىٰ للخلق عن الخالق وجوداً، وبقاءً (واجْعَلْ لَنَا نَصيباً في رَحْمَتِكَ) في جنتك، وإنْ لم نَكُّ لها بأهل، فأنت أهْل المغفرة، والرَّحْمَة.

(وَيَا مَنْ تَنْقَصِعُ دُونَ رُؤْيَتِهِ الأبْصَارُ) هذا الوصف من نعوت الْجَلاَل، والكمال للذات القُدسية (وَأدْنِنَا إلىٰ قُرْبِكَ) إلىٰ رَحْمَتِك، ورضوانك (وَيَا مَنْ تَصْغُرُ عِنْدَ خَطَرِهِ الأخْطَارُ) ٱللَّه أكبر من كلّ شيء، بل تعجز الألسن، والأقلام عن وصفه (وَكَرّمْنَا عَلَيْكَ) بالرحمة، والرّضوان.

وَيَا مَنْ تَظْهَرُ عِنْدَهُ بَوَاطِنُ الأخْبَارِ... صَل عَلَىٰ مُحَمّدٍ وآلِهِ، وَلا تَفْضَحْنَا لَدَيْكَ.

أللّهُمَّ أغْنِناَ عَنْ هِبَةِ الوَهّابِينَ... بِهِبَتِكَ، واكْفِنَا وَحْشَةَ الْقَاطِعِينَ... بِصِلَتِكَ، حَتّىٰ لا نَرْغَبَ إلىٰ أحَدٍ مَعَ بَذْلِكَ، وَلا نَسْتَوْحِشَ مِنْ أحَدٍ مَعَ فَضْلِكَ.

أللَّهُمَّ فَصَلّ عَلَىٰ مُحَمّدٍ وَآلِهِ، وَكِدْ لَنَا، وَلا تَكِدْ عَلَينَا، وَامْكُرْ لَنَا، وَلا تَمْكُرْ بِنَا، وَأدِلْ لَنَا، وَلا تُدِلْ مِنّا.

أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمّدٍ وآلِهِ، وَقِنَا مِنْكَ، واحْفَظْنَا بِكَ، وَاهْدِنا

---

(١) لم أعثر علىٰ هذا المروي.

إِلَيكَ، وَلا تُبَاعِدْنا عَنْكَ: إنَّ مَنْ تَقِهِ يَسْلَمْ، وَمَنْ تَهْدِهِ يَعْلَمْ، وَمَنْ تُقَرِّبْهُ إِلَيكَ يَغْنَمْ.

(يَا مَنْ تَظْهَرُ عِنْدَهُ بَواطِنُ الأَخْبَارِ) كلّ سرّ عنده علانية، وكلّ غيب عنده شهادة (وَلا تَفْضَحْنَا لَدَيْكَ) وفقنا إلىٰ طَاعَتِكَ كيلا نفتضح بمعصيتك (أَللّهُمَّ أَغْنِناَ عَنْ هِبَةِ الوَهَّابِينَ...) من دُعَاء لرسول اللّه ﷺ: «أَللَّهُمَّ إنّي أعوذُ بك من الفقر إلا إليك، ومن الذّل إلا لك، ومن الخوف إلا منك»[1] (وَكِدْ لَنَا، وَلا تَكِدْ عَلَينَا) في دُعَاء كميل: «ومن أرادني بسوء فأرده، ومن كادني فكده»[2] أي ردّ كيده إلىٰ نحره، قال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾[3] أي يُبطل كيدهم، ويعاقبهم عقاب الكائد المحتال (وَامْكُرْ لَنَا، وَلا تَمْكُرْ بِنَا) عطف تفسير علىٰ كد لنا (وَأَدِلْ لَنَا، وَلا تُدِلْ مِنَّا) لا تسلط علينا من لا يرحمنا، وانصرنا علىٰ عدوك، وعدونا (وَقِنَا مِنْكَ) من عذابك (واحْفَظْنَا بِكَ) بحفظك، وحراستك (وَاهْدِنا إِلَيكَ) إلىٰ صراطك المستقيم (وَلا تُبَاعِدْنا عَنْكَ) عن رَحْمَتِك، وتوفيقك (مَنْ تَقِهِ يَسْلَمْ) من المهالك، والمكاره (وَمَنْ تَهْدِهِ يَعْلَمْ) ما ينتفع به فيفعله، وما يضره فيتركه (وَمَنْ تُقَرِّبْهُ إِلَيكَ يَغْنَمْ) وكفىٰ بالجنة مغنماً، ونوالا.

(١) أُنظر، مسند أحمد: ٣٠٥/٢ و ٣٢٥، سنن أبي داود: ٣٤٤/١ ح ١٥٤٤، الأدب المفرد للبخاري: ١٤٦، السّنن الكبرىٰ: ٤٥٠/٤ و: ١٢/٧، صحيح ابن حبان: ٣٠٥/٣، بحار الأنوار: ٢٣٣/٩٤، كِتَاب الدُّعاء للطبراني: ٤٠٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩١/٦، موارد الظّمآن: ٦٠٥، الجامع الصّغير: ٢٣٤/١، كنز العمال: ١٨٩/٢ ح ٣٦٨٨ و ٣٧٤٦، إرواء الغليل: ٣٥٤/٣، سير أعلام النّبلاء: ٤٩٢/١٥، مستدرك الحاكم: ٥٤٠/١، سنن النّسائي: ٢٦١/٨، المبسوط للسرخسي: ٢٥٣/٣٠.

(٢) أُنظر، إقبال الأعمال لابن طاووس: ٨٥/١ و ١٠٨، بحار الأنوار: ٣٥٩/٩٧ ـ ٣٦٢.

(٣) الطّارق: ١٥ ـ ١٦.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْفِنَا حَدَّ نَوائِبِ الزَّمَانِ، وَشَرَّ مَصائِدِ الشَّيْطَانِ، وَمَرارَةَ صَوْلَةِ السُّلْطَانِ.

أَللَّهُمَّ إِنَّمَا يَكْتَفِي الْمُكْتَفُونَ بِفَضْلِ قُوَّتِكَ، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاكْفِنَا؛ وَإِنَّمَا يُعْطِي الْمُعْطُونَ... مِنْ فَضْلِ جِدَتِكَ، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَعْطِنَا؛ وَإِنَّمَا يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ... بِنُورِ وَجْهِكَ، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاهْدِنَا.

أَللَّهُمَّ إِنَّكَ مَنْ وَالَيْتَ لَمْ يَضْرُرْهُ خِذْلانُ الخاذِلِينَ، وَمَنْ أَعْطَيْتَ لَمْ يَنْقُصْهُ مَنْعُ الْمَانِعِينَ، وَمَنْ هَدَيْتَ لَمْ يُغْوِهِ إِضْلالُ الْمُضِلِّينَ؛ فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ: وَامْنَعْنَا بِعِزِّكَ... مِنْ عِبادِكَ، وَأَغْنِنَا عَنْ غَيْرِكَ... بِإِرْفَادِكَ، وَاسْلُكْ بِنَا سَبِيلَ الْحَقِّ بِإِرْشَادِكَ.

(وَاكْفِنَا حَدَّ نَوائِبِ الزَّمَانِ) الحدّ هُنا مأخوذ من الحدّة، والشّدّة، أو من الحرب، والعداء كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾[1] أي يعادون، ويحاربون ٱللَّه ورسوله، والنّوائب: المصائب (وَشَرَّ مَصائِدِ الشَّيْطَانِ) كلّف سبحانه ٱلإنسَان، وترك له الحرية في العمل حيث لا إنسانية بلا حرية، وحذرهُ من خداع المغريات، وأتباع الشّهوات، وكثيراً ما يطلق عليها حبائل الشّيطَان، ومصائده؛ لأنّها تقود إلىٰ غضب ٱللَّه، ومعصيته تماماً كما فعل إبليس مع ءَادَمَ وزوجه.

دُعَاء ودعاية

(وَمَرارَةَ صَوْلَةِ السُّلْطَانِ) هَذِهِ الجملة تكشف بدقة عن جور الحاكمين في

(١) المجادلة: ٢٠.

عصر الأئمة الأطهار ﷺ، وعن الصّراع، والتّناقض بينهم وَبَيْنَ المحكومين، وصاغها الإمام دُعَاء، ومناجاة علىٰ العموم فراراً من بطش الطُغاة وعدوانهم، وهي في واقعها تُعبىء الرّأي العام، وتُثير العواطف ضد كلّ طاغية، وباغية، يسارع في الإثم، والعدوان علىٰ عباد ٱللّٰه، وعياله. وهذا شأن العترة العارفة الخائفة في كثير من أدعيتها، قال ٱلرّسُول الأعظمﷺ: «الدُّعاء سلاح الْمُؤْمِن»[1]. وقال الإمام أمير الْمُؤْمِنِين ﷺ: «الدُّعاء ترس الْمُؤْمِن»[2]. وقال الإمام الصَّادِقﷺ: «إنّ الدُّعاء أنفذ من السّنان»[3]. وقال الإمام الرّضاﷺ: «الدُّعاء سلاح الأنبياء»[4].

(أللَّهُمَّ إِنَّمَا يَكْتَفِي الْمُكْتَفُونَ بِفَضْلِ قُوَّتِكِ) أبداً لا خير إلا بالله، ومن ٱللّٰه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[5]، (وَاكْفِنَا) بحلالك عن حرامك، وبفضلك عمن سِواكَ (وَإِنَّمَا يُعْطِي الْمُعْطُونَ... مِنْ فَضْلِ جِدَتِكَ) عطف تفسير علىٰ يكتفي المكتفون، والجِدَة: الغنىٰ، والقُدرة (وَأَعْطِنَا) خير ما أعطيت، واجْعَلْ لنا من أمرنا فرجاً،

(١) أُنظر، مسند زيد بن عليّ: ١٥٧، مغني المحتاج: ١٨٢/١، حواشي الشّرواني: ١٠٣/٢، إعانة الطّالبين: ٢١٦/١، الكافي: ٤٦٨/٢، عيون أخبار الرّضا: ٤٠/١، شرح أُصول الكافي للمازندراني: ٢٣٣/١٠، مسند أبي يعلىٰ: ٣٤٤/١، مجمع الزّوائد: ١٤٧/١٠، مسند الشّهاب: ١١٧/١، الجامع الصّغير: ٦٥٥/١ ح ٤٢٥٨، كنز العمال: ٦٢/٢ ح ٣١١٧، فيض القدير شرح الجامع الصّغير للمناوي: ٧٢٢/٣.

(٢) أُنظر، الكافي: ٤٦٨/٢، شرح أُصول الكافي: ٢٣٤/١٠، وسائل الشّيعة: ٢٦/٧، كنز العمال: ٦١٢/٢ح ٤٨٨٥.

(٣) أُنظر، الكافي: ٤٦٩/٢، شرح أُصول الكافي: ٢٣٤/١٠، وسائل الشّيعة: ٣٨/٧، مَكَارِم الأَخْلاَق: ٢٧٠.

(٤) أُنظر، الدعوات للراوندي: ١٨، الكافي: ٤٦٨/٢، وسائل الشّيعة: ١٠٩٥/٤، بحار الأنوار: ٢٩٥/٩٠، مَكَارِم الأَخْلاَق: ٢٧٠، عوالي اللئالي: ١٩/٤.

(٥) النّحل: ٥٣.

ومخرجاً (وَإِنَّمَا يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ... بِنُورِ وَجْهِكَ) ينحصر طريق الهداية بالوحي، والعقل، وهما من عطاء ٱللَّه، وفضله، ما في ذٰلِكَ ريب، وعَلَيْهِ يكون المُراد بالنور هنا الوحي، والعقل، وبوجهه تعالىٰ عطاؤه، ونواله، والمعنىٰ إنّما يهتدي المهتدون بالوحي من ٱللَّه سبحانه علىٰ لسان أنبيائه، وبالعقل وهو أعْظمْ نعم ٱللَّه علىٰ عِبَادِهِ.

(أَللَّهُمَّ إِنَّكَ مَنْ وَالَيْتَ) نصرت (لَمْ يَضْرُرْهُ خِذْلانُ الخَاذِلِينَ) لا واضع لمن رفعت، ولا رافع لمن وضعت (وَمَنْ أَعْطَيْتَ لَمْ يَنْقُصْهُ مَنْعُ الْمَانِعِينَ) وما أغنىٰ البحر عن قطرات النّدىٰ: ﴿ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا (أي أعطِ) أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1] (وَمَنْ هَدَيْتَ لَمْ يُغْوِهِ إِضْلالُ الْمُضِلِّينَ) من أسلم، وآمن علىٰ علمٍ، وإخلاص لا يثنيه عن دينه، وعقيدته أي شيء حتّىٰ ولو وضعوا ٱلشَّمْسَ في يمينه، وٱلْقَمَرَ في يساره... وأيضاً لا يبالي بسيف الجلاد في سبيل إيمانه، بل يجد فيه رضاً لنفسه، وسكينةً ما دام من أجل غاية أسمىٰ وأعلىٰ.

(وَامْنَعْنَا بِعِزِّكَ... مِنْ عِبَادِكَ) يقول الإمام لإله الخلائق: نحن في حماك، وسُلْطَانك، فامنع عنا جور الطُغاة من عبادك... وفيه دعاية ضد عتاة الحكم في ذاك العهد (وَأَغْنِنَا عَنْ غَيْرِكَ... بِإِرْفَادِكَ) جمع رفد بمعنىٰ العطاء. توكلنا عَلَيْكَ، وفررنا إليك من الظُّلم، والإضطهاد، فانصرنا، أو ٱنتصر لنا. ومن أدعية نهج البلاغة: «أللَّهُمَّ إِنّي أَعُوذُ بك أَنْ أَفتقر في غناك، أو أَضل في هداك، أو أُضام في سُلْطَانك، أو أُضطهد والأمر لك»[2].

---

(١) سورة ص: ٣٩.

(٢) هكذا ورد الدُّعاء: (قال العباس لأمير الْمُؤْمِنِين ﷺ لَيْلَةِ صفين، أمّا ترىٰ الأَعْدَاء قد أحدقوا بنا؟ فقال: وقد راعك؟ قلت: نعم. فقال: أللَّهُمَّ إِنّي أَعُوذُ بك أَنْ أُضام...)، أنظر، نهج البلاغة: ←

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ سَلامَةَ قُلُوبِنا... في ذِكْرِ عَظَمَتِكَ، وَفَراغَ أَبْدانِنا... في شُكْرِ نِعْمَتِكَ، وَانْطِلاقَ أَلْسِنَتِنَا... في وَصْفِ مِنَّتِكَ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْنَا مِنْ دُعَاتِكَ الدّاعِينَ إِلَيْكَ، وَهُدَاتِكَ الدّالّينَ عَلَيكَ، وَمِنْ خَاصتِكَ الْخَاصّينَ لَدَيْكَ؛ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

(وَاجْعَلْ سَلامَةَ قُلُوبِنا... في ذِكْرِ عَظَمَتِكَ) قال سبحانه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1] ورُوي عن أهْل آلْبَيْت ﷺ: «أنّ القلب السّليم الّذي يلقىٰ ربّه، وليس فيه أحد سواه»[2]. أي لا يشغله عن طاعة آللّه شاغل من الدُّنيا وحطامها، ومن آنصرف إليها بكلّه فقد ذهل عن خالقه، وآستباح من أجلها كلّ إثم، وجريمة، بخاصة الحقد، والحسد، والكذب، والرّياء، والدّرع الواقية من نزعات الشَّيطَان، ونفثاته أنْ يذكر الْمُؤمِن آللّه سبحانه بخشوع، ويعوذ به من همزات الشَّيطَان بصدقٍ، وإخلاص. قال سبحانه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟

⇐ ١٩٧/٢، قسم الخطب رقم (٢١٥)، شرح النّهج لابن أبي الحديد: ٨٤/١١ و ٨٦، الأمان من أخطار الأسفار لابن طاووس: ١٢٦، دَفْع الْهُمُوم والأحزان لأحمد بْن داود النّعماني: الجزء الرّابع، مهج الدّعوات: ١٠٢، نهج السّعادة: ٢٣٩/٦، دراسات في شرح نهج البلاغة لمحمد مهدي شمس الدّين: ٢٣٤، بحار الأنوار: ٢٥٩/٧٣ و: ٢٢٦/٩١.

(١) الشّعراء: ٨٩.

(٢) أُنظر، الكافي: ١٦/٢ ح ٥، وسائل الشّيعة: ٦٠/١، بحار الأنوار: ٥٤/٦٧، تفسير القمي: ٤٧٣/٢، التّفسير الأصفىٰ: ٨٨٨/٢، تفسير الميزان: ١٥٤/١٧.

فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[1] وقال ٱلرَّسُول الأعظم ﷺ: «إنّ الشّيطان واضع خطمهُ علىٰ قلبِ ابن ءَادَمَ، فإذا ذكر ٱللَّه خنس، وإنْ نسي التقم قلبه، فذاك الوسواس الخناس»[2].

(وَفَرَاغَ أَبْدانِنَا... في شُكْرِ نِعْمَتِكَ، وَانْطِلاقَ أَلْسِنَتِنَا... في وَصْفِ مِنَّتِكَ) ما من شك أنّ حياة العمل للعيش بلا فراغ، وانقطاع شاقة، وقاسية، وأيضاً الحياة بلا عمل علىٰ الإطلاق قاحلة ماحلة، والحياة الصّالحة الرّابحة هي الّتي تجمع بين العمل، والفراغ، بين التّعب، والرّاحة، إنّ ساعة الفراغ أنْ لا نكدح فيها للمعاش، لا أنْ نترك العمل من الأساس حتّىٰ القراءة، والمطالعة ـ مثلاً ـ ويقول الإمام ﷺ: أفضل الأعمال في هَذِهِ السّاعة مُناجاة ٱللَّه سبحانه بالشكر علىٰ نعمهِ، وإفضاله، والتّسبيح بحمدهِ، وجلاله.

(وَاجْعَلْنَا مِنْ دُعَاتِكَ الدّاعِينَ إِلَيْكَ) قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[3]، والتّعبير بالأحسن هنا كالتعبير به في قوله تعالىٰ: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾[4]، أي من أراد الْخَيْر لنفسهِ، والأجر عند ٱللَّه فعليه أنْ يؤمن به، ويُعلن إيمانه علىٰ الملأ، ويعمل بموجبه، ويدعو إلىٰ دين ٱللَّه بالحكمة، والموعظة ٱلْحَسَنَة (وَهُدَاتِكَ الدّالّينَ عَلَيْكَ) عطف تفسير علىٰ الدّاعين إليك (وَمِنْ خَاصّتِكَ الْخَاصّينَ لَدَيْكَ؛ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ) كلّ

(١) الأعراف: ٢٠١.

(٢) أُنظر، كنز العمال: ٤١٨/١ ح ١٧٨٢، فيض القدير شرح الجامع الصّغير: ٤٠٤/١ و: ٢٤٥/٤، تفسير ابن كثير: ٦١٥/٤، الدّر المنثور: ٤٢٠/٦، فتح القدير: ٥٢٤/٥، الكامل في التّأريخ: ١٨٦/٢، البداية والنّهاية: ٦٤/١، سبل الهدىٰ والرّشاد: ١٥٥/٩، بحار الأنوار: ٤٢/٦٧، مسند أبي يعلىٰ: ٢٧٩/٧، الجامع الصّغير: ٩٠/٢.

(٣) فصلت: ٣٣.

(٤) الإسراء: ٧.

من أطاع ٱللَّه ورسوله فهو من المقربين إليه، ومن خَاصتِه، وأوليائه، قال ٱلرَّسُول الأعظمﷺ: «إنّ أولياء ٱللَّه سكتوا فكان سكوتهم ذكراً، ونظروا فكان نظرهم عبرة، ونطقوا فكان نطقهم حكمة، ومشوا فكان مشيهم بين النّاس بـركة»[1] أي خـدمة ينتفع بها ٱلإنسَان لوجه ٱللَّه، والإنسانية.

(١) أُنظر، الكافي: ٢/٢٣٧ ح ٢٥، أمالي الصّدوق: ٣٨٠، بحار الأنوار: ٦٩/٢٨٨ ح ٢٣، شرح أُصول الكافي: ٩/١٦٨، وسائل الشّيعة: ١/٨٨، مستدرك الوسائل: ١٢/١٦٨.

الدُّعاء السّادس

دُعَاؤُهُ عِنْدَ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ

اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ، والنَّهَارَ بِقُوَّتِهِ، وَمَيَّزَ بِقُدْرَتِهِ، وَجَعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدّاً مَحْدُوداً، وَأَمَداً مَمْدوداً؛ يُولِجُ كُلَّ واحِدٍ منهُمَا في صَاحِبِهِ، وَ يولِجُ صاحِبَهُ فِيهِ بِتَقْدِيرٍ مِنْهُ لِلْعِبَادِ، فيما يَغْذوهُمْ بِهِ، وَيُنْشِئُهُمْ عَلَيْهِ.

اللّيْلُ، والنّهَار

(اَلْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ والنَّهَارَ...) اَلأرض كرة معلقة في اَلْهَوَآء، تدور حول نفسها مرة واحدة كلّ (٢٤) ساعة، وهذا الدّوران لكرة اَلأرض يؤدي حتماً إلىٰ تعاقب اللّيل، والنّهار، ولو كانت اَلأرض مسطحة لما حدث هذا، وأسند الإمام اللّيل، والنّهار إليه تعالىٰ لأنّه العلة الأولىٰ لوجود الأشياء كلّها، وبدونه يستحيل أنْ نفسر وجود أي شيء تفسيراً معقولاً، وإلا سرنا من شك إلىٰ شك دون أنْ ننتهي إلىٰ فكرة مقنعة، وواضحة، ولذا قال فولتير: «إنّ وجود اَللّـه فرض ضروري؛ لأنّ

الفكرة المضادة حماقات»[1]. وقال أسبينوزا: «القانون الطّبيعي هو قانون إلهي»[2].

(يُولِجُ كُلَّ واحدٍ منهُمَا في صَاحِبِهِ) أيضاً تدور ٱلأرض حول ٱلشَّمْس مرة كلّ عام، فيكون تعاقب الفصول الأربعة، فيأخذ اللّيْل من النّهَار في فصل، حتّىٰ يصير (١٥) ساعة، والنّهَار (٩) ساعات، ويأخذ النّهَار من اللّيْل في فصل آخر، حتّىٰ يصير (١٥) ساعة، واللّيْل (٩) ساعات. وهذا هو المُراد بالايلاج هنا (وَيولِجُ صاحِبَهُ فِيهِ بِتَقْدِيرٍ مِنْهُ) أعاد الإمام ﷺ كلمة يُولِجُ ليشير أنّ زيادة اللّيْل دون النّهَار، أو العكس، لم تكن من باب الصّدفة، بل «بتقدير» وتدبير ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[3]، (لِلْعِبَادِ، فيما يَغْذوهُمْ بِهِ، وَيُنْشِئُهُمْ عَلَيْهِ) «فيما» هُنا بمعنىٰ (لما) كقوله تعالىٰ: ﴿لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[4] أي لما أفضتم، ويغذوهم: من الغذاء، وينشئهم: من النّشء، والمعنىٰ أنّ ٱللّٰه خلق اللّيْل، والنّهَار لمصالح العباد، ومنها العمل من أجل الغذاء، والنّشء، والنمو، وغير ذٰلِكَ مما أشار إليه الإمام بقوله:

فَخَلَقَ لَهُمُ اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ مِنْ حَرَكَاتِ التَّعَبِ، وَنَهَضَاتِ النَّصَبِ، وَجَعَلَهُ لبَاساً لِيَلْبَسُوا مِنْ راحَتِهِ، وَمَنَامِهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ لَهُمْ جَمَاماً، وَقُوَّةً، وَلِيَنالُوا بِهِ لَذَّةً، وَشَهْوَةً؛ وَخَلَقَ لَهُمُ النَّهَارَ مُبْصِراً لِيَبْتَغُوا فِيهِ مِنْ فَضْلِهِ، وَلِيَتَسَبَّبُوا إلىٰ رِزْقِهِ؛ وَيَسْرحُوا فِي أَرْضِهِ؛ طَلَباً لِمَا فِيهِ نَيْلُ العَاجِلِ مِنْ دُنْيَاهُمْ، وَدَرَكُ الآجِلِ في أُخْراهُمْ؛ بِكُلِّ ذَلِكَ يُصْلِحُ شَأنَهُمْ، وَيَبْلُو أَخْبَارَهُمْ، وَيَنْظُرُ كَيْفَ هُمْ فِي أَحْكَامِهِ؛

---

(١) أُنظر، البرهان علىٰ ضعف ٱلإنسان للدكتور ميخائيل: ٤٢٠، طبع بيروت.

(٢) أُنظر، المعجم القانوني، لحارث سليمان الفاروقي: ٢/٤٧١.

(٣) الفرقان: ٢.

(٤) النور: ١٤.

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنىٰ.

(فَخَلَقَ لَهُمُ اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ...) النّهار للكد، والكدح، واللّيل للسكون، والرّاحة، ولا يحتاج هذا إلىٰ شرح، بل ولا بيان لأنّه معلوم بالحس، والممارسة. وأشار إليه سبحانه في كتابه، والإمام ﷺ في دعائهِ، لمجرد التّنبيه علىٰ كمال قدرته تعالىٰ، وعظيم نعمته علىٰ عِبَادِهِ تماماً كما يقول الوالد لولده: «تحملت، وعانيت من أجلك لتكون باراً لا عاقاً». (وَجَعَلَهُ لِبَاساً لِيَلْبَسُوا مِنْ رَاحَتِهِ، وَمَنَامِهِ) لباس التَّقْوَىٰ يقي من العذاب، ولباس اللّيْل يريح من الأتعاب (فَيَكُونُ ذَلِكَ لَهُمْ جَمَاماً): راحة (وَلِيَنَالُوا بِهِ لَذَّةً وَشَهْوَةً) كالسهر، والسّمر مع الجيران، والخلان. وكم تغزل الشّعراء باللّيل، ولغوهِ، ومتعهِ، ولهوهِ! (وَخَلَقَ لَهُمُ النَّهَارَ مُبْصِراً...) نُبصر فيه طُرق الحياة، فنعمل لها ولمطالبها.

مطالب الرّوح، والجسد

(طَلَباً لِمَا فِيهِ نَيْلُ العَاجِلِ مِنْ دُنْيَاهُمْ، وَدَرَكُ الآجِلِ فِي أُخْرَاهُمْ) يُشير بهذا إلىٰ الحديث «أعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً، وأعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً»[1] وحديث «ليس خيركم من عمل لدنياه دون آخرته، ولا من عمل لآخرته وترك دنياه، وإنّما خيركم من عمل لهذهِ، وهَذِهِ»[2] وبهذا التّوازن بين العمل من أجل

---

(١) أُنظر، تنبيه الخواطر: ٢/٢٣٤، فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٢/١٦، بحار الأنوار: ٤٤/١٣٩ ح ٦، من لا يحضره الفقيه: ٣/١٥٦، وسائل الشيعة: ١٢/٤٩ ح ٢، تحرير الأحكام: ١/١٥٩، منتهىٰ المطلب: ٢/٩٩٨.

(٢) أُنظر، أحكام القُرآن للجصاص: ٢/٤٩، بلفظ (من عمل لدنياه أضر بآخرته، ومن عمل لآخرته أضر بدنياه، وقد يجمعهما اللّه تعالىٰ لأقوام)، وقريب منه أيضاً، في شرح نهج البلاغة ←

الرّوح، ومن أجل الجسد، أمتاز الإسْلاَم عن غيره من الأديان... علىٰ أنّه لم يأت بجديد سوىٰ تقرير الواقع، والكشف عنه؛ لأنّ ٱلإنسَان ليس ملاكاً، ولا حيواناً، بل بينَ بين، وقد أولىٰ الإسْلاَم أهتمامه بـهما، والعـمل لهـما تـبعاً للـنظام الإنسـاني الطّبيعي، وكلّ دين، أو مذهب، أو نظام لا يراعي التّوازن بين الرّوح، والجسد ـ فهو مناقض لطبيعة الحياة، وقوانينها.

وقال كاتب معاصر: «إنّ ٱللّه لا يأمر بالرهبنة، ولا بالفرار من الدُّنيَا؛ لأنّه يأمر بتحطيم ما بناه»[1]، وأيضاً يصدق هذا علىٰ العمل للجسد، والدُّنيَا فقط؛ لأنّه تعالىٰ بنىٰ ٱلإنسَان من جسد، وروح، وبنىٰ له عالمين يحيا فيهما: دنيا، وآخرة، وهو لا يأمر بتحطيم هَذِهِ كما لا يأمر بتحطيم تلك (وَيَبْلُو أَخْبَارَهُمْ...) ٱللّه سبحانه يعلم ما كان ويكون من عبده ما لا يعلمه العبد من نفسه، ومع هذا يعامله معاملة المختبر له بالأمر والنّهي، ليظهر للعيان عمله الَّذِي يستحق عَلَيْهِ الثّواب، والعقاب، ويأخذه بالحجة القاطعة، كما هو شأن الحاكم العادل، وفي الآية: ﴿وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾[2]، و ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾[3].

لابن أبي الحديد: ١/٣١٢، رجال الكشي: ٣٤٩، طبعة النّجف الأشرف، البداية والنّهاية: ٩/٨، فيض القدير شرح الجامع الصّغير: ٥/٤٦٣، كشف الخفاء: ٢/١٦٩، تأريخ دمشق: ١٩٧/٦٥، الإمام جَعْفَر الصَّادِق ﷺ لعبد الحليم الجندي: ٣٤٧.

(١) قال ابن الأثير وغيره في الحديث «لا رهبانية في الإسْلاَم» هي رهبنة النّصارىٰ. وأصلها من الرَّهْبَة: الخوف، كانوا يترهبون بالتخلي من أشغال الدُّنيَا، وترك ملاذها، والزّهد فيها، والعزلة عن أهلها، وتعمد مشاقها، حتّىٰ أنّ منهم من كان يخصي نفسه، ويضع السّلسلة في عنقه...». أُنظر، النّهاية في غريب الحديث: ٢/٢٨٠، البداية والنّهاية: ٢/١٧٩، فتح الباري: ٩/٩١، سبل الهدىٰ والرّشاد: ١/٥٠٣، كشف الخفاء: ٢/٣٣٧.

(٢) مُحمّد: ٣١.

(٣) النّجم: ٣١.

أَللَّهُمَّ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَىٰ مافَلَقْتَ لَنَا مِنَ الإِصْباحِ ، وَمَتَّعْتَنَا بِهِ مِنْ ضَوءِ النَّهارِ . وبَصَّرْتَنَا مِنْ مَطَالِبِ الأَقْواتِ ، وَوَقَيْتَنَا فِيهِ مِنْ طَوارِقِ الآفَاتِ . أَصْبَحْنا ، وأَصْبَحَتِ الأَشْيَاءُ كُلُّهَا بِجُمْلَتِهَا لَكَ : سَمَاؤُهَا ، وَأَرْضُهَا ، وَمَا بَثَثْتَ في كُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا سَاكِنُهُ ، وِمُتَحَرِّكُهُ ، وَمُقِيمُهُ ، وَشَاخِصُهُ ؛ ومَا عَلا في الْهَواءِ ، ومَا كَنَّ تَحْتَ الثَّرىٰ .

أَصْبَحْنَا في قَبْضَتِكَ ، يَحْوِينَا مُلْكُكَ ، وَسُلْطانُكَ ، وَتَضُمُّنَا مَشِيَّتُكَ ، وَنَتَصَرَّفُ عَنْ أمرِكَ ، وَنَتَقَلَّبُ في تَدْبِيرِكَ ؛ لَيْسَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ إِلاَّ مَا قَضَيْتَ ، وَلا مِنَ الْخَيْرِ إِلاَّ مَا أَعْطَيْتَ ؛ وَهَذا يَوْمٌ حادِثٌ جَديدٌ ، وَهُوَ عَلَيْنَا شَاهِدٌ عَتيدٌ ؛ إِنْ أَحْسنَّا وَدَّعَنا بِحَمْدٍ ، وَ إِنْ أَسَأْنَا فَارَقَنَا بِذَمٍّ .

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ، وَارْزُقْنَا حُسنَ مُصاحَبَتِهِ ، وَاعْصِمْنَا مِنْ سُوءِ مُفَارَقَتِهِ بِارْتِكَابِ جَرِيرَةٍ ، أو اقْتِرافِ صَغِيرَة ، أَوْ كَبِيرَةٍ ؛ وَأَجْزِلْ لَنَا فِيهِ مِنَ الْحَسَنَاتِ ، وَأَخْلِنَا فيهِ مِنَ السَّيِّئاتِ ؛ وَاملأْ لَنَا مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ حَمْداً ، وَشُكْراً ، وَأَجْراً ، وَذُخْراً ، وَفَضْلاً ، وَإِحْسَاناً .

(أَللَّهُمَّ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَىٰ مافَلَقْتَ لَنَا مِنَ الإِصْباحِ . . .) الفَلَق : الصّبح ، وأيضاً يطلق علىٰ الْخَلق كلّه وفَلَق ٱللّٰه الصّبح : كشف الظّلام ، وأظهر الضّياء ، وكلّ نهار يستقبله ٱلإنسَان هو نعمة من ٱللّٰه سبحانه ، وفرصة ينتهزها العاقل لعمل الْخَير باستدراك ما فات ، أو بالاستعداد لما هو آت ، أو لسد حاجة له ، أو لعياله ، وذوية ، أو لأيْ ملهوف من خلق ٱللّٰه ، وعِبَادِه ، والإمام ﷺ يحمد ٱللّٰه سبحانه شُكراً علىٰ نعمة الحياة ، وفُسحة العمر الّتي ينتهزها في كلّ يَوْم ، وكلّ ساعة للعمل بطاعة ٱللّٰه ، ومَرْضَاتِه ، ويوجهنا بهذا الدُّعاء ، والأُسلوب الحكيم الرّائع ، إلىٰ العمل لما خلقنا من أجله ، وممارسة الحياة علىٰ نهج الرُّشد ، والنّجاة .

(أَصْبَحْنا، وأَصْبَحَتِ الأَشْيَاءُ كُلُّهَا...) لله حتَّىٰ أنفسنا، فإنّه تعالىٰ أملك بها منا، لأنّها منه، وإليه (سَاكِنُهُ) بدل من «ماثبت»، والمقيم: الحاضر، والشّاخص: المسافر، تقول شخص فلان من بلد إلىٰ بلد أي ذهب، أو سار (وَنَتَصَرَّفُ عَنْ أَمرِكَ) نحن أُمناء، وخلفاء ٱللَّه في أرضه، لا نملك شيئاً إلا أنْ يتفضل، ويأذن (وَنَتَقَلَّبُ في تَدْبِيرِكَ...) ٱللَّه سبحانه لا يتعامل مع عِبَادَة بإرادته الشّخصية، ولا يتدخل في شؤونهم اليومية مباشرة فعلاً، أو تركاً وإلا كان ٱلإِنسَان مُسيراً لا مخيراً[1]، بل يتعامل معهم بالأمر، والنّهي، والنّصيحة، والإرشاد، ويترك الأُمور تجري علىٰ أسبابها، وعَلَيْهِ يكون المُراد بالتقلب في تدبيره تعالىٰ أنّه العلة الأُولىٰ لكلّ شيء، أو المُراد بالعناية العامة الّتي تسع نعمة الوجود، والرّزق، والحياة وكلّ ما يمت بسبب إلىٰ حفظ الكون، وتسييره، ولولا هَذِهِ العناية الإلهية ما كان للأشياء وجود، ولا بقاء.

قيمة الوقت

(وَهَذا يَوْمٌ حادِثٌ جَديدٌ...) يحاسب المرء، يسأَلَ اللهُ الرّجلَ عن أربعٍ: «عن عمرهِ فيما أفناهُ، وعن جسدهِ فيما أبلاهُ، وعن مالهِ مِما كَسَبَهُ، وفيما أنفقهُ»؟[2].

---

(١) قال الشّيخ مُحمّد عبده في العروة الوثقىٰ: ٩٢ طبعة ١٩٧٠م: «مذهب الجبر يعده المسلمون من منازع السّفسطة الفاسدة، وقد أنقرض أربابه في أواخر القرن الرّابع من الهجرة، ولم يبق لهم من أثر».

(٢) أُنظر، المعجم الكبير: ١١ / ٨٤ ح ١١١٧٧، شرح الأخبار: ٢ / ٥٠٨ ح ٨٩٨، المعجم الأوسط: ٩ / ١٥٥ ح ٩٤٠٦، جامع الأخبار: ٤٩٩ ح ١٣٨٤، المناقب لابن المغازلي: ١٢٠ ح ١٥٧، فرائد السّمطين: ٢ / ٣٠١ ح ٥٥٧، أمالي الصّدوق: ٤٢ ح ٩، الخصال: ٢٥٣ ح ١٢٥، تحف العقول: ٥٦ مرسلاً، تنبيه الخواطر: ٢ / ٧٥، أمالي الطّوسي: ٥٩٣ ح ١٢٢٧، روضة الواعظين: ٥٤٩ مرسلاً.

قال ٱلرَّسُول الأعظمﷺ لأبي ذر ﷺ: «كُن علىٰ عمرك أشح منك علىٰ درهمك، ودينارك»[1]. ومن الحِكم الخالدة: «اللَّيْل، والنَّهَار يعملان فيك فاعمل فيهما»[2]. وكلّ يَوْم لا يترك ٱلإنسان فيه واجباً، ولا يفعل محرماً، فهذا اليوم يودعه بالحمد، والثّناء وإلا فارقه بالذم، والهجاء. وقال الإمام أمير الْمُؤْمِنِين ﷺ: «استتموا نعم ٱللّه عليكم بالصبر علىٰ طاعته، والمجانبة لمعصيته، فإنّ غداً من اليوم قريب. ما أسرع السّاعات في اليوم، وأسرع الأيام في الشّهر، وأسرع الشّهور في السّنة، وأسرع السّنين في العمر»[3]. وعلق الشّيخ مُحمّد عبده علىٰ هَذِهِ الحكمة الخالدة بقوله: «كلام بالغ الغاية في الموعظة»[4].

(وَارْزُقْنَا حُسنَ مُصاحَبَتِهِ) أي مُصاحَبَة اليوم، وهو توكيد، وتكرار للجملة السّابقة: «وَدّعَنَا بِحَمْدٍ»، (وَاعْصِمْنَا مِنْ سُوءٍ...) أيضاً تكرار، وتوكيد للجملة المتقدمة: «فَارَقَنَا بِذَمٍ»، (وَأَجْزِلْ لَنَا فِيهِ مِنَ الْحَسَنَاتِ...) وفقنا لفعل الباقيات ٱلصَّالِحَات، وترك الْمحْذُورَات، والمهلكات (وَاملأْ لَنَا ما بَيْنَ طَرَفَيْهِ...) وهما الغدو، والآصال، والمعنىٰ مهد لنا السّبيل إلىٰ عملٍ يكون للمحاويج ثمره، وخيره، ولنا ذكره، وأجره.

أَللَّهُمَّ يَسّرْ عَلَىٰ الْكِرامِ الْكاتِبينَ مُؤْنَتَنا، وَامْلأْ لَنَا مِنْ حَسَناتِنا صَحَائِفَنَا، وَلا تُخْزِنا عِنْدهُمْ بِسوءِ أَعْمَالِنا.

---

(١) أُنظر، أمالي الطّوسي: ٥٢٧، مَكَارِم الاخلاق: ٢/٣٦٤، بحارالأنوار: ٧٤/٧٦، غررالحكم: ٧٣.
(٢) أُنظر، عيون الحكم والمواعظ: ١٤٤ الحكمة (٣٧٠٥)، مَكَارِم الأَخْلَاق لابن أبي الدُّنْيَا: ٢٩ رقم (٤٧)، كنز الفوائد: ٢٧١، معدن الجواهر: ٢٣، إرشاد القلوب: ١/٥١، منية المريد: ٢٣١.
(٣) أُنظر، نهج البلاغة: ٢/١٢٨ الحكمة (١٨٨)، شرح نهج البلاغة: ١٣/٩٩.
(٤) أُنظر، شرح نهج البلاغة لمحمد عبده: ٢٤١ الحكمة (١٨٨).

أَللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا فِي كُلِّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِهِ حَظّاً مِنْ عِبَادِكَ، وَنَصِيباً مِنْ شُكْرِكَ، وَشَاهِدَ صَدْقٍ مِنْ مَلاَئِكَتِكَ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحمَّدٍ وَآلِهِ، وَاحْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا، وِمِنْ خَلْفِنَا، وَعَنْ أَيْمَانِنَا، وَعَنْ شَمَائِلِنَا، وَمِنْ جَمِيعِ نَواحِينَا... حِفْظاً عَاصِماً مِنْ مَعْصِيَتِكَ، هادِياً إِلىٰ طَاعَتِكَ، مُسْتَعْمِلاً لِمَحَبَّتِكَ.

أَللَّهُمَّ صلِّ عَلَىٰ مُحمَّدٍ وَآلِهِ، وَوَفِّقْنَا فِي يَومِنَا هَذا، وَلَيْلَتِنَا هـذِهِ، وفي جَمِيعِ أَيَّامِنَا... لاسْتِعْمَالِ الْخَيْرِ، وَهِجْرانِ الشَّرِّ، وَشُكْرِ النِّعَمِ، وَاتِّباعِ السُّنَنِ، ومُجانَبَةِ الْبِدَعِ، وَالأَمْرِ بِـالْمَعْروفِ، وَالنَّـهيِ عَـنِ الْمُنْكَرِ، وَحِيَاطَةِ الإِسْلامِ؛ وَانْـتِقَاضِ الْـبَاطِلِ، وَإِذلالِـهِ، وَنُـصْرةِ الْحَقِّ، وَإِعـزازِهِ، وَإِرْشَـاد الضَّـالِّ، وَمُـعَاوَنَةِ الضَّـعِيفِ، وَإِدراكِ اللَّهِيفِ.

(أَللَّهُمَّ يَسِّرْ عَلَىٰ الْكِرامِ الْكاتِبينَ) الّذين يسـجلون عـلىٰ النّـاس أقـوالهـم، وأفعالهم، وسبقت الإشارة إليهم في فصل المَلائِكَة (مُؤنَتَنَا) تقول: تحملت مـؤنة فلان أي كفيتة ما أهمه، والمَلائِكَة الكاتبون يتبرمون من السّيِّئات، وتسـجيلها، ويرتاحون للحسنات، وكتابتها. والإمام ﷺ يدعو ٱللّٰه سبحانه أنْ يأخذ بيد العباد إلىٰ طاعته، ومَرْضَاتِه لطفاً بهم، ورَحْمَة بالكرام الكاتبين (اجْعَلْ لَنَا فِي كُلِّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِهِ) أي من ساعات يومنا (حَظّاً مِنْ عِبَادِكَ) أي من خدمة عـبادك، والعـمل لمنافعهم. وفي نهج البلاغة: «إنّ لله عباداً يخصهم ٱللّـه بـالنعم لـمنافع العـباد»[1]

---

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٤/٩٩ الحكمة (٤٢٥)، عيون الحكـم والمـواعـظ: ١٤١، شـرح النّـهج الحديدي: ٢٠/٧٠.

والإمام ﷺ يسأل ٱللَّه أنْ يجعل له حظاً من هَذِهِ النِّعم (وَشَاهِدَ صَدْقٍ مِنْ مَلائِكَتِكَ) بأننا من المخلصين لك الدِّين.

(وَاحْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا ...) قال سبحانه: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[1]، وضمير الغائب للإنسان، والمعقبات تعبير عن حواسه، وإدراكه، وسائر غرائزه الّتي لها أبلغ أثر في حفظه، وصيانته، و«مِنْ» في قوله تعالىٰ:﴿مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ بمعنىٰ الباء، ومثلها في الآية:﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾[2] أي بطرف خفي، والإمام ﷺ يناجي فاطر السّموات، ويقول له: كما أنعمت علىٰ عبادك بمعقبات يحترسون بها من الآفات، فأنعم، وتفضل علينا بلطف منك يمهد لنا السّبيل إلىٰ طَاعَتِكَ حتّىٰ نلقاك، وما علينا من أثقالٍ، وتبعات.

(وَوَفِّقْنَا فِي يَومِنَا هَذا، وَلَيْلَتِنَا هـذِهِ...) هذا بيان، وتفسير للعصمة عن المعصية، والاستعمال في محبة ٱللَّه، ومَرْضَاتِه (وَاتِّبَاعِ السُّنَنِ) جمع سُنّة، وهي طريقة النّبيّ ﷺ قولاً، وفعلاً، وتقريراً (ومُجانَبَةِ الْبِدَعِ) جمع بِدعة ـ بكسر الباء ـ وهي كلّ ما لا أصل له في كِتَاب ٱللَّه، وسُنّة نَبيّه (وَحِيَاطَةِ الإِسْلامِ) بحفظه، وصيانته، والذّب عنه، والجهاد لنشره، وإعلاء كلمته.

لا إيمان بلا جهاد

(وَانْتِقَاضِ الْبَاطِلِ، وَإِذْلالِهِ، وَنُصْرةِ الْحَقِّ، وَإِعـزازِهِ) قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾[3]، وكلمة «إِنَّمَا» في الآية

---

(١) الرَّعْد: ١١.

(٢) الشورىٰ: ٤٥.

(٣) الحجرات: ١٥.

حصرت الإيْمَان بهذه الأركان، ومنها الجهاد بالنفس، والمـال، ومـعنىٰ هـذا أنّـه لا إيمان بلا جهاد، وأنّ من آثر الرّاحة، والسّلامة علىٰ جهاد الْبَغْيِ، والفساد فـي ٱلأرْض فقد آثر دنياه علىٰ آخرته، ونكب عن طريق الإيْمَان الْحَقّ، وإنْ إدعاه فهو كاذب في دعواه حتّىٰ ولو صلّىٰ، وصام، وحكم بالعدل، وٱجتنب قول الزّور، وأدىٰ الأمانة إلىٰ أهلها، ويؤكد هَذِهِ الحقيقة قول ٱلرَّسُول الأعظم ﷺ: «من أصبح لا يتهم بأمر المسلمين فليس من الإسْلاَم في شيء»(١)، وأيضاً معنىٰ هذا أنّه لا سلبية أبداً في الإسْلاَم، وأنّ المسلم الْحَقّ هو ٱلَّذِي يشارك المجتمع في سرائـه، وضـرائـه، ويكافح الرّذيلة، ويتعاون مع كلّ الأفراد، والفئات الطّيبة المخلصة علىٰ بناء الحياة، وفعل الْخَيْرات.

وبعد، فإنّ الإسْلاَم رسالة ٱللَّه إلىٰ عِبَادِهِ تهديهم إلىٰ حياة أَفْضَل، وأقوم كما نصت الآية: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى﴾(٢)، وغيرها من الآيات، ولنْ تـتقدم الحـياة خُطوة واحدة إلىٰ الأمام إلا بالكفاح، والجهاد ضد المستأثرين، والمستغلين.

(وَإِدراكِ اللَّهِيفِ) وهو المظلوم المستغيث، وإدراكه: إغاثته، وفي الحـديث: «ٱللَّه في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»(٣)، وعن أَهْل ٱلْبَيْت ﷺ: «إنّ لله تحت عرشه ظلاً لا يسكنهُ إلا من أسدىٰ لأخيه معروفاً، أو نفّس عـنه كـربةً، أو أدخل علىٰ قلبه سروراً»(٤).

---

(١) أُنظر، بحار الأنوار: ٢١/٧٢، كِتَاب النّوادر للراوندي: ١٤٢، الكافي: ١٦٣/٢ ح ١ و ٥، فقه الرّضا: ٣٦٩.

(٢) الإسراء: ٩.

(٣) أُنظر، سنن التّرمذي: ٤٣٩/٢، سنن أبي داود: ٤٦٥/٢، سـنن ابـن مـاجه: ٨٢/١، مسـند أحمد: ٢٥٢/٢.

(٤) هذا كِتَاب كتبه الإمام الكاظم ﷺ إلىٰ والي الرّي بخصوص أحد أصحابه، وقيل كتبه الإمـام

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْهُ أَيْمَنَ يَوْمٍ عَهِدْنَاهُ، وَأَفْضَلَ صاحِبٍ صَحِبْنَاهُ، وَخَيْرَ وَقْتٍ ظَلِلْنَا فِيهِ؛ وَاجْعَلْنَا مِنْ أَرْضَىٰ مَنْ مَرَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ مِنْ جُمْلَةِ خَلْقِكَ؛ أَشْكَرَهُمْ لِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمِكَ، وأَقْوَمَهُمْ بِمَا شَرَعْتَ مِنْ شَرَائِعِكَ، وَأَوْقَفَهُمْ عَمَّا حَذَّرْتَ مِنْ نَهْيِكَ.

أَللَّهُمَّ إِنِّي أُشْهِدُكَ وَكَفَىٰ بِكَ شَهِيداً، وَ أُشْهِدُ سَمَاءَكَ، وَأَرْضَكَ، وَمَنْ أَسْكَنْتَهُمَا مِنْ مِلَائِكَتِكَ، وَسَائِرِ خَلْقِكَ فِي يَومي هذا، وسَاعَتي هٰذِهِ، وَلَيْلَتي هٰذِهِ، وَمُسْتَقَرّي هذا... إِنّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ؛ قَائِمٌ بِالْقِسْطِ، عَدْلٌ في الْحُكْمِ، رَؤُفٌ بِالعِبادِ، مَالِكُ الْمُلْكِ، رَحِيمٌ بِالْخَلْقِ.

التّكرار في الأدعية، والمُنجاة

قال علماء اللّغة العربية في تعريف علم البيان: «هو علم يعرف به إيراد المعنىٰ بطُرق مختلفة مع وضوح الدّلالة عَلَيْهِ»[1]. وقد أورد الإمام ﷺ هُنا المعنىٰ السّابق بتعبير آخر مع وضوح الدّلالة. لذا نلمس بعض الكلمات لمساً خفيفاً لمجرد الْيمن، والْبَرَكَة... وأُسلوب التّكرار، والإعادة مألوف في الأدعية، والمناجاة لتوكيد الرّجاء حيناً، وللإلحاح حيناً آخر. وفي الحديث: «إِنَّ ٱللَّه تبارك وتعالىٰ لا يمل حتّىٰ تملوا»[2].

⇐ الصّادق ﷺ، إلىٰ النّجاشي. أُنظر، البحار: ٣١٣/٧١ ح ٦٩ و: ٢٩٢/٧٤ ح ٢٢، مستدرك سفينة البحار: ١٦/٥.

(١) أُنظر، تاج العروس: ٢٥٨/١٠، كشف الظّنون حاجي خليفة: ٢٥٩/١، معجم لغة ٱلْفُقَهَاء: ٣٨٥.

(٢) أُنظر، مسند أحمد: ٤٠/٦، سنن أبي داود: ٣٠٨/١، الموطأ: ١١٨/١، صحيح مسلم: ٢١٧/١.

وقال الإمام السّجاد: «لو أنزل ٱللَّه تعالىٰ كتاباً إنّي معذّب رجلاً واحداً خفت أنْ أكونه، أو راحم رجلاً واحداً لرجوت أنْ أكونه، أو أنّه معذبي لا محالة، ما أزددت إلا اجتهاداً، لئلا أرجع إلىٰ نَفْسِي بالملامة»[1].

(وَاجْعَلْهُ أَيْمَنَ يَوْمٍ عَهِدْنَاهُ...)كلّ يَوْم لا يعصىٰ ٱللَّه فيه فهو فضل، وبركة، أو هو عيد علىٰ حدّ تعبير الإمام أمير الْمُؤْمِنِين (و مِنْ جُمْلَةِ خَلْقِكَ؛ أَشْكَرَهُمْ) جملة أشكرهم حال من خَلْقِك أي الشّاكِرِينْ (لِمَا أَوْلَيْتَ) أعطيت (وأَقْوَمَهُمْ بِمَا شَرَعْتَ) أَفْضَل من عمل بشرائع دِيْنِك، ورعاها، وأخلص لها (وَأَوْقَفَهُمْ عَمّا حَذَّرْتَ) أتقىٰ النّاس في البعد عن المحرمات، والوقوف عند الشّبهات حرصاً علىٰ طَاعَتِكَ، ومَرْضَاتِكَ (وَمُسْتَقَرِّي) موضوع قراري.

إله التّوارة، وَٱلإنجِيل، والقُرْآن

(أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إلاَّ أَنْتَ...) إله التّوارة اليهودية واحد، ولكنه في صورة إنسان بنص سفر التّكوين[2]. ومن أبرز صفاته القسوة، والبطش، والتّعطش إلىٰ الدّماء البريئة، ويؤكد هذا بوضوح سفر العدد[3]، وسفر التّثنية[4]، وسفر يشوع[5]. وفي سفر التّثنية[6]: «أنّ الشّعب اليهودي هو شعب ٱللَّه الوحيد، والمختار من جميع الشّعوب علىٰ وجه ٱلأرض...»[7] إلىٰ كثير من هذا الهراء،

(١) أُنظر، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠٠/٢ و: ١٦٧/١٥.
(٢) أُنظر، الإصحاح: ٣١ فقرة (٩)، منه.
(٣) أُنظر، الإصحاح: ٣١، فقرة (١٠ ـ ١٢)، منه.
(٤) أُنظر، الإصحاح: ١٣ فقرة (١٥) وما بعدها، منه.
(٥) أُنظر، الإصحاح: ٦ .
(٦) أُنظر، الإصحاح: ٧ الفقرة (٦) وما بعدها، منه.
(٧) أُنظر، الإصحاحات السّابقة.

والإفتراء الَّذِي هو أدقّ، وأصدق تحليل لنفسية اليهود، وفي الدُّعاء الأوَّل من رسالة اللاهوت للفيلسوف اليهودي سبينوزا: «إذا خطر ببال اليهود شيء قالوا: إنّ ٱللَّه تحدث إليهم بهذا».

وإله ٱلإنجيل المسيحي رءوف رَّحِيمٌ، وغَفُورٌ حليم، ومن تعاليمه: «من لطمك علىٰ خدك الأيمن فحول له الآخر...»[1] ولكنه ثالث ثلاثة، والإثنان الآخران: الإبن، والرّوح، القدس، وفي القاموس المقدس الَّذِي اشترك في إعداده ٢٧ رجلاً من كبار المسيحيين: «هَٰذِهِ الأقانيم الثّلاثة يشتركون معاً في جميع الأعمال الإلهية علىٰ السّواء».

والمسيحيون يؤمنون بتوراة اليهود، ولا أدري: كيف جمعوا بين الإيْمَان بإله ٱلتَّوْراة السّفاك، والإيْمَان بإله ٱلإنجِيل معدن الحلم، والسّماح!»[2].

وٱللَّه سبحانه في الْقُرْآن كما وصفه الإمام ﷺ في دعائه، واحد أحد، لاشريك له في الْخَلْق، والْمُلْك، قائم بالقسط، ورَّحِيمٌ بالخلق ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[3]، وكلّ ٱلْعُلَمَاء، والفلاسفة، أو جلهم يرون ٱلتَّوْحِيد أصح العقائد، وصدقها، عقلاً، وخلقاً، لإنّه يجرد البشر من حقّ السّيطرة، والاستعلاء، ويبطل زعم من يرىٰ لنفسه أي فضل، وإمتياز علىٰ الآخرين، ويضع جميع النَّاس علىٰ مستوىٰ واحد في الحقوق، والواجبات... كلّكم لآدم، وءَادَمَ من تراب[4]. ولا

---

(١) أُنظر، الإصحاح الخامس من إنجيل متي: العدد (٣٨)، سفر الخروج: ٢١.

(٢) أُنظر، تلبيس إبليس: ٧١، مذاهب الإسلاميين للبدوي: ١/٦ـ ٤٤٤، الهدىٰ إلىٰ دين المصطفىٰ: ٢٦٥/٢، شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي: ٥ـ٢٩٨، المسيحة والإسلاَم للأب لويس اداء.

(٣) الشّورىٰ: ١١.

(٤) أُنظر، العقد الفريد: ٨٥/٢، تأريخ اليعقوبي: ٩١/٢، مجمع الزّوائد: ٢٦٦/٣، البيان والتّبيين:

فضل إلا لمن ترك شيئاً جديداً، ومفيداً لأخيه ٱلإنسَان.

وَأنَّ مُحَمّداً عَبْدُكَ، وَرَسُولُكَ، وَخِيرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ؛ حَمّلْتَهُ رِسَالَتَكَ فَأدَّاهَا، وَأمَرْتَهُ بِالنّصْحِ لأُمّتِهِ فَنَصَحَ لَهَا.

أللّهُمَّ فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمّدٍ وَآلِهِ، أكْثرَ مَا صَلّيْتَ عَلَىٰ أحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، وَآتِهِ عَنّا أفْضَلَ مَا آتَيْتَ أحَداً مِنْ عِبَادِكَ، وَاجْزِهِ عَنّا أفْضَلَ، وَأكْرَمَ مَا جَزَيْتَ أحَداً مِنْ أنْبيائِكَ عَنْ أُمّتِهِ، إنّكَ أنْتَ الْمَنّانُ بِالْجَسِيمِ، الغَافِرُ لِلعَظِيمِ، وَأنْتَ أرْحَمُ مِنْ كُلِّ رَحيمٍ؛ فَصَلِّ عَلِىٰ مُحَمّدٍ وآلِهِ الطّـيّبين الطّاهِرِينَ الأخْيَارِ الأنْجَبِينَ.

(وَخِيرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ) إختار سبحانه مُحمّداً ﷺ من شجرة الأنبياء، ومشكـاة الضّياء مستكملاً لصفات ٱلرّسُول بنص الآية: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[1].

الشّخصية اللامعة الجذابة

(حَمّلْتَهُ رِسَالَتَكَ فَأدَّاهَا)، ونهض بها علىٰ أكمل وجه، وألّف بشخصيته اللامعة الجذابة بين القلوب المتنافرة، وجمعها علىٰ حبّ الإسْلاَم، والدّفـاع عـنه حـتّىٰ الْمَوْت، وقد شهد سبحانه بعظمة هَذِهِ الشّخصية حيث قال: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]، وما من شك أنّ كلّ شيء في قبضته تعالىٰ؛ لأنّه العلة الأولىٰ للأشياء، ولكن أبت حكمة الباري

⟵ ٢٥/٢، المجدي في أنساب الطّالبين للعلوي: ٧١، سنن البيهقي: ١١٨/٩، سبل الهدىٰ والرّشاد: ٢٤٢/٥.

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) الأنفال: ٦٣.

إلاَّ أنْ يجري الأُمور علىٰ أسبابها، وقد جُبلت القلوب علىٰ حبّ الإحسان، وكراهية الإساءة، وهل من أحد يُطاع لو أمر آخر بحبّ من أساء إليه، أو بمقت من أحسن إليه؟ وقد دانت القلوب بحبّ مُحمّد؛ لأنّه رَحْمَة مهداة لكلّ النّاس، وبهذه الرَّحْمَة، وذاك الحبّ ألف سبحانه بين القلوب المتنافرة علىٰ الإخلاص للإسلام، والإيْمَان بنبوة مُحمّد، وقيادته.

ولكن مُحمّداً ﷺ ظل بعد القيادة كما كان قبلها عبداً لله يدين نفسه بما يدين به أصغر أتباعه، كان هو، والصّحابة في بعض الأسفار، ولما حان موعد الطّعام عزموا علىٰ ذبح شاة، فقال رجل من القوم: عليَّ ذبحها، وقال آخر: عليَّ سلخها. وقال الآخر: عليَّ طبخها، فقال النّبي ﷺ: عليَّ أنْ ألتقط لكم الحطب، فقالوا: يا رَسُول ٱللَّه! لا تتبعن ـ بآبائنا وَأُمَّهَاتِنَا ـ نحن نكفيك؟ قال: عرفت أنّكم تكفوني، ولكن ٱللَّه عزّ وجلّ يكره من عبده إذا كان مع أصحابه أنْ ينفرد من بينهم، فقام ﷺ يلتقط الحطب لهم[1]. وكان الصّحابة يَوْم بدر يتعاقب كلّ ثلاثة منهم علىٰ بعير، وكان النّبيّ، وعليّ، وأبو لبابة يتناوبون علىٰ بعير، فقالا: نحن نمشي عنك يا رَسُول ٱللَّه. فقال: «ما أنتما بأقوىٰ مِنّي، ولا أنا بأغنىٰ عن الأجر منكما»[2].

مُحمّدﷺ سَيِّد الكونين يجعل من نفسه قُدوة في المساواة مع كلّ النّاس لا في التّكليف، والواجبات وكفىٰ، بل وفيه الحاجة إلىٰ الأجر، والثّواب عند ٱللَّه أيضاً!

---

(١) أُنظر، مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ للطبرسي: ٢٥١، بحار الأنوار: ٧٦/٢٧٣ ح ٣١، سبل الهدىٰ والرّشاد: ٧/١٣.

(٢) أُنظر، بغية الباحث للحارث بْن أبي أُسامة: ٢١٥، مسند أبي يعلىٰ: ٩/٢٤٣، صحيح ابن حبان: ١١/٣٥ ح ٤٧٣٣، مورد الظّمآن للهيثمي: ٤٠٩، البداية والنّهاية: ٣/٣١٩، دلائل البيهقي: ٣/٣٩، تحفة الأشراف للمزي: ٧/٢٦، الحاكم في المستدرك: ٣/٢٠، سبل الهدىٰ والرّشاد: ٤/٢٤.

فيا له من درس لكلّ من ٱستكبر، وأُعجب بنفسه، وركز كلّ شيء في شخصهِ! وأخيراً هَذِهِ هي سُنّة مُحمّدﷺ الّتي أنشأت العالم خلقاً جديداً.

(وَأَمَرْتَهُ بِالنُّصْحِ لأُمَّتِهِ فَنَصَحَ لَهَا) بل، ولكلّ النّاس حتّىٰ الجاحد برسالته، فقد قال لأتباعه من جملة ما قال: «ٱتقوا دعوة المظلوم، وإنْ كان كافراً فليس دونها من حجاب»[1] وقال: «لكلّ كبد حراء أجر»[2] (أَللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، أَكْثَرَ مَا صَلَّيْتَ) أُنظر فصل «المؤمنون»[3].

(١) أُنظر، البحر الرّائق: ٣٧٩/٨، حاشية رد المحتار: ٢/٢٠٠، وسائل الشّيعة: ٧/١٣٠، أمالي الصّدوق: ٥٤٠،

(٢) أُنظر، العناوين الفقهية للحسيني المراغي: ٣٢١/١ و: ٢/٦٧٠، بحار الأنوار: ٧٤/٣٧٠، عوالي اللئالي: ٢/٢٦٠ ح ١٥، وسائل الشّيعة: باب ٤٩ ح ٢ و ٥.

(٣) الدُّعاء الخامس: فقرة الصَّلاَة علىٰ مُحمّد وَآلِهِ، وأيضاً فصل التّحميد في الصَّلاَة علىٰ مُحمّد.

الدُّعاء السّابع

دُعَاؤُهُ فِي الْمُهِمَّاتِ

يَا مَنْ تُحَلّ بِهِ عُقَدُ الْمكَارِهِ، وَيَا مَنْ يُفْثَأُ بِهِ حَدّ الشّدائِدِ، وَيَا مَن يُلْتَمَسُ منهُ الْمَخْرَجُ إلىٰ رَوْحِ الفَرَجِ... ذَلّتْ لِقُدْرَتِكَ الصّعابُ، وَتَسَبّبَتْ بِلُطْفِكَ الأسْبَابُ، وَجَرىٰ بِقُدْرَتِكَ الْقَضاءُ، وَمَضَتْ عَلَىٰ إرادَتِكَ الأشْيَاءُ؛ فَهِيَ بِمَشِيّتِكَ دونَ قَوْلِكَ مُؤْتَمِرَةٌ، وَبإرادَتِكَ دونَ نَهْيِكَ مُنْزَجِرَةٌ.

أنْتَ الْمَدْعُوّ لِلْمُهِمّاتِ، وأنْتَ الْمَفْزَعُ في الْمُلِمّاتِ لا يَنْدَفِعُ مِنْهَا إلاّ مَا دَفَعْتَ، وَلا يَنْكِشفُ مِنهَا إلاّ مَا كَشَفْتَ.

(يَا مَنْ تُحَلّ بِهِ عُقَدُ الْمكَارِهِ، وَيَا مَنْ يُفْثَأُ...) أي يسكن به (وَمَضَتْ عَلَىٰ إرادَتِكَ الأشْيَاءُ؛ فَهِيَ بِمَشِيّتِكَ دونَ قَوْلِكَ مُؤْتَمِرَةٌ) ممتثلة (وَبإرادَتِكَ دونَ نَهْيِكَ مُنْزَجِرَةٌ) ممتنعة، ومعنىٰ هَذِهِ الجملة والّتي قبلها: ما شاء اللّه كان، ومالم يشأ لم يكن بلا أمرٍ، ونهيٍ، بل بمجرد الإرادة، والمشيئة.

المُؤْمِن لا ييأس

يوجه الإمامعليه السلام بدعائه هذا كلّ من آمن بالله، إلىٰ حسن الظّن به تعالىٰ، وبقدرته، وعدم اليأس، والقنوط من روحه تعالىٰ، ورَحْمَته مهما آشتدت الأزمات، وضاقت الحلقات، وهذا شيء جليل، وخطير؛ لأنّه من صميم الحياة... ومن وحي هذا الدُّعاء، أو هذا التّوجيه نسجل الكلمة التّالية، عسىٰ أنْ تسهم بشيء مما يهدف إليه الإمامعليه السلام.

بين الْمُؤْمِن، والملحد فوارق شتىٰ، يطول فيها الكلام، ونشير هنا إلىٰ فارق يتصل بالدُّعاء من قريب، وهو أنّ الملحد إذا تناهت به الشِّدَّة، وأُغلقت دونه الأبواب ييأس، ويستسلم للأمر الواقع؛ لأنّه يحمل نفساً واهية خالية من الإيْمَان بقدرة إلهية تخرق نظام الطّبيعة، وتفعل المعجزات. أمّا الْمُؤْمِن فلا ييأس، ولا يعترف بحتمية أي شيء من أشياء الطّبيعة علىٰ الإطلاق؛ لأنّه يؤمن بقدرة قادر يقول للشيء كُنْ فيكون، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في ٱلأرْض، ولا في السَّماء، ويجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السُّوء، فيلجأ إليه، ويسأله النّجاة، والخلاص، ويرجو الإجابة حتّىٰ ولو كان تحت أطباق الثّرىٰ، أو هاوياً من السَّماء إلىٰ ٱلأرْض(١). قال الإمام أمير الْمُؤْمِنِينعليه السلام: «لو أنّ السّموات، والأرضين كانتا علىٰ عبد رتقاً ـ أي سداً ـ ثُمَّ آتقىٰ ٱللَّه لجعل ٱللَّه له منهما مخرجاً»(٢). وهذا من وحي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَاتَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَايَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ

---

(١) أُنظر، شرح أُصول الكافي: ١٣٧/٤، تفسير ابن كثير: ١٦٤/٢ و: ١١٢/٤، فتح القدير: ٣٤٢/٣.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ١٣/٢ الخطبة (١٣٠)، شرح نهج البلاغة: ٢٥٢/٨، دستور معالم الحكم: ١٠٣، عيون الحكم والمواعظ: ٥٥٣، بحار الأنوار: ٤١١/٢٢، الطّبقات الكبرىٰ: ٢٩/٧.

ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

وتسأل: ولكن ٱللَّه سبحانه يجري المسببات علىٰ أسبابها، والنّتائج علىٰ مقدماتها كما في قوله:﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[2]، والقوانين الطّبيعية هي سُنن إلهية من حيث مصدرها؟.

الجواب: إنّ مرجع الأسباب كلّها إلىٰ إرادة ٱللَّه تعالىٰ الَّذِي يقول للشيء، كنْ فيكون، وعَلَيْهِ فمن الممكن أنْ يُوجد سبحانه الحادثة الخارقة بإرادته مباشرةً، أو بسببٍ آخر غير معروف، ولا مألوف، وبتعبير الشّيخ مُحمّد عبد ٱللَّه دراز: «من أدار الدّولات ذات اليمين يديره أيضاً ذات الشّمال... ويبرىء المريض الَّذِي عجز الطّبّ عن علاجه، ويخلص الأسير الَّذِي أُوصدت دونه الأبواب، وينزل الغيث في القيض، وينصر الفئة القليلة علىٰ الفئة الكثيرة»[3].

ولا شيء من ذَٰلِكَ يتنافىٰ مع العقل، وإنْ كان نقضاً لقانون الطّبيعة، ومخالفاً لما أعتاد النّاس أنْ يروه، ويتصوروه. ونقض القانون الطّبيعي ممكن في ذاته، غاية الأمر أنّه لا يحدث إلا نادراً، ومن باب الإعجاز كالخوارق الّتي أشار إليها القُرْآن، ومنها العصا الّتي تحولت ثعباناً كمعجزة، ودليل علىٰ نبوة موسىٰ، والمائدة الّتي نزلت من السّماء علىٰ عيسىٰ، وٱلنَّار الّتي صارت برداً، وسلاماً علىٰ إبراهيم... وفرق الفلاسفة، وعلماء الطّبيعة بين القضايا الرّياضية، والقضايا الطّبيعة بأنّ الأولىٰ لا يمكن نقضها عقلاً مثل الواحد نصف الإثنين، والثّانية يمكن فيها ذَٰلِكَ مثل هَٰذِهِ الورقة في ٱلنَّار، ولا تحترق.

---

(١) يوسف: ٨٧.

(٢) الفتح: ٢٣.

(٣) أُنظر، شرح المواقفات: ٤/٩٨.

والخُلاصة: أنّ العقل لا يمنع، وقوع المعجزات، والخوارق، وإنّما يمنع أنْ تقع عبثاً بلا حكمة موجبة، وضرورة حاكمة.

وَقَد نَزَلَ بي يَا رَبّ مَا قَدْ تَكَأّدَني ثِقْلُهُ، وَأَلَمَّ بيَ مَا قَدْ بَهَظَني حَمْلُهُ، وَبِقُدْرَتِكَ أَوْرَدْتَهُ عَلَيَّ، وَبِسُلْطَانِكَ وَجّهْتَهُ إلَيَّ؛ فَلا مُصْدِرَ لِمَا أَوْرَدْتَ، وَلا مُغْلِقَ لِمَا فَتَحْتَ؛ وَلا مُيَسّرَ لِمَا عَسّرتَ، وَلا نَاصِرَ لِمَنْ خَذَلْتَ.

فَصَلّ عَلَىٰ مُحَمّدٍ وَآلِهِ، وَافْتَحْ لِي يا رَبّ بابَ الْفَرَجِ بِطَوْلِكَ، وَاكْسِرْ عَني سُلْطَانَ الْهَمّ بِحَوْلِكَ، وَأَنِلْني حُسْنَ النّظَرِ فيمَا شَكَوْتُ، وأَذِقْني حَلاوَةَ الصّنْعِ فيمَا سَأَلْتُ، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، وَفَرَجاً هَنيئاً، وَاجْعَلْ لِي مِنْ عِنْدِكَ مَخْرَجاً وَحِيّاً؛ وَلا تَشْغَلْني بِالاِهْتِمامِ عَنْ تَعَاهُدِ فُرُوضِكَ، وَاسْتِعمَالِ سُنّتِكَ؛ فَقَدْ ضِقْتُ لِمَا نَزَلَ بي يَا رَبّ ذَرْعاً، وامْتَلأْتُ بِحَمْلِ مَا مُنيتُ بِهِ، وَدَفْعِ مَا وَقَعْتُ فِيهِ؛ فافْعَلْ بي ذَلِكَ وإنْ لَمْ أَسْتَوْجِبْهُ مِنْكَ يَا ذا الْعَرْشِ الْعَظيمِ.

الّذين يؤمنون بالتناقضات

من درّس، وتتبع آراء النّاس، ومعتقداتهم، يجد كثيراً منهم يؤمنون بالمتناقضات، ويخلعون علىٰ الشّيء الواحد الصّفة، ونقيضها في آنٍ واحد، ذاهلين عن بديهة العقل والواقع، ومن باب المثال، إذا نازلة نزلت بمجرم فاسق فأزعجته، قال بعض الّذين يظهرون أمام النّاس بمظهر العلم بدين ٱللّه: هذا عقاب منه تعالىٰ علىٰ معصيته. وإذا نزلت هَذِهِ المُصِيبَة نفسها ببريء مؤمن فنقضت قواه ـ هوّنوا عَلَيْهِ، وقالوا له: هَذِهِ تحفة من ٱللّه ينعم بها علىٰ الصّفوة من عِبَادِهِ ليزيدهم أجراً علىٰ أجر، أما سمعت، وقرأت حديث الْبَلاء موكل بالمؤمن، وأنّ أشد النّاس بلاءً الأنبياء،

ثُمَّ الّذين يلونهم الأمثل فالأمثل[1]! وهذا عين الضّياع، والتّناقض، إذ يستحيل أنْ يكون الشّيء الواحد علة كاملة لوجود الشّيء، وعدمه، أو ضده في آنٍ واحد.

ونحن لا نشك إطلاقاً في أنّ للحقّ، وكلمته ثمنها من نفس قائلها، وأهله، أو من ماله، وعرضه وإلا لم يكن له من فضل، ولكن نرفض بقوةٍ، وإصرار أنْ تكون الدُّنيا عند ٱللّٰه سبحانه دار حساب، وجزاء، كيف وهو القائل، تقدست كلمته: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾[2].

والواقع ٱلظّاهِر للعيان، والوجدان أنّ ما من أحدٍ يمرُ بهذه الحياة، ويخرج بلا نوائب وآلام حتّىٰ الّذين ملكوا، واترفوا، فإنّ وراء مظاهرهم ناراً تلظىٰ في قلوبهم، أمّا الأنبياء، والصّلحاء فهم الأشد بلاءً كما أشرنا. ويبدو أنّ مصائب الحياة تعمُ، وتشمل جميع الأحياء، وآخر ما قرأت في هذا الباب نادرة طريفة نشرها الفيلسوف زكي نجيب محمود في جريدة الأهرام بتأريخ ١٩٧٥/٩/٥م، قال: إنّ أُستاذاً للفلسفة أمريكياً زارني، وطَلَب مِنّي أنْ أصحبه في جولة للنزهة، فذهبنا، وجلسنا في جزيرة حيث يسبح البط هدئاً في البحيرة السّاكنة، وقد كنتُ ساعتها مكدوداً، فقلت: ما أسعد هذا البط في هدوئهِ، لا تزعجه شواغل الحياة، ولا يعكر صفوه تنازع، وتقاتل، ولكني ما كدت أختم عبارتي حتّىٰ أنقسم البط شطرين، ودارت معركة لم أدر سببها، وأخذ بعضه يلاحق بعضاً ضرباً بالأجنحة، وصراخاً زاعقاً.

---

(١) أُنظر، الكافي: ٢/٢٥٣ ح ١، الخصال: ٤٠٠، تحف العقول: ٣٩، مستدرك الوسائل: ٢/٤٣٨، أمالي الطّوسي: ٦٥٩، مناقب آل أبي طالب: ١/١٥٨، الوافي: ٥/٧٦٣، مستدرك الحاكم: ٣/٣٤٣، فتح الباري: ١٠/٩٦، السّنن الكبرىٰ: ٤/٣٥٢، كنز العمال: ٣/٣٢٦ ح ٦٧٧٨ و ٦٧٨٠.

(٢) الزّخرف: ٣٣.

فضحك صاحبي، وقال: لقد جاءك الجواب مُسرعاً.

هل كلّ البَلاء من ٱللّه

ونعود إلىٰ قول الإمام ﷺ ودعائه ٱلَّذِي يدل بظاهره أنّ ٱلْبَلاء بالكامل من ٱللّه لا من سواه، وأنّه تعالىٰ هو الكاشف له. ولا تساؤل حول الصّارف، والكاشف، بل عن الصّانع، والواضح علماً بأنّه يتنافىٰ مع ظاهر الآية:﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[1].

الجواب: المُراد بالمُصيبة في هَٰذِهِ الآية بعض المصائب كالفتنة، وٱلْفَقْر، والظُّلم لأن هَٰذِهِ، وأمثالها من صنع ٱلأرْض لا من صنع السَّماء، ومن الأوضاع، والأنظمة الجائرة الفاسدة لا من دين ٱللّه، وشريعته، قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾[2]. وفي الوسائل عن الإمام الصَّادِق ﷺ باب الزّكاة: «وأنّ النّاس ما ٱفتقروا، ولا ٱحتاجوا، ولا جاعوا، ولا عروا إلا بذنوب الأغنياء»[3].

هذا، إلىٰ أنّ كلّ ما في الوجود بشتىٰ أصنافه، وأنواعه تسوغ نسبتة إلىٰ حول ٱللّه، وقوته مباشرةً، وبلا سبب إلا مشيئته وحدها، كخلق الشّيء من لا شيء، أو بسبق سببٍ، أو أكثر كالخصب، والجدب، والصّحة، والوباء، وأفعال ٱلإنسان، وأقواله؛ لأنّه سبحانه هو خالق لسانه ٱلَّذِي نطق به، ويده الّتي بها يُعطي، ويأخذ، ويضع، ويرفع.

---

(١) الشّورىٰ: ٣٠.

(٢) المائدة: ٦٦.

(٣) أُنظر، الرّسالة السّعدية: ١٥٧، وسائل الشّيعة: ٤/٦، من لا يحضره الفقيه: ٧/٢، مدارك الأحكام: ٨/٥.

الدُّعاء الثّامن

دُعَاؤُهُ فِي الاسْتِعَاذَةِ

أَللَّهُمَّ إِنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَيَجَانِ الْحِرصِ، وَسَوْرَةِ الْغَضَبِ، وَغَلَبَةِ الْحَسَدِ، وَضَعْفِ الصَّبْرِ؛ وَقِلَّةِ الْقَنَاعَةِ، وَشَكاسَةِ الْخُلُقِ، وَإِلْحاحِ الشَّهْوةِ، وَمَلَكَةِ الْحَمِيَّةِ، وَمُتابَعَةِ الْهَوىٰ، وَمُخَالَفَةِ الْهُدَىٰ، وَسِنَةِ الْغَفْلَةِ، وَتَعَاطي الْكُلْفَةِ، وإِيثَارِ الْبَاطِلِ عَلَىٰ الْحَقِّ، وَالإصْرارِ عَلَىٰ الْمأثَمِ، وَاسْتِصغارِ الْمَعصِيَة، وَاسْتِكْبَارِ الطَّاعَةِ، وَمُباهاتِ الْمُكثرينَ، والإزْراء بِالمُقِلّينَ، وَسُوءِ الْولايَة لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِيْنَا، وَتَرْكِ الشّكْرِ لِمَنِ اصْطَنَعَ الْعَارِفَةَ عِنْدَنَا؛ أَوْ أَنْ نَعْضُدَ ظَالِماً، أَوْ نَخْذُلَ مَلْهوفاً، أَوْ نَرُومَ مَا ليسَ لَنَا بِحَقّ، أَوْ نَقولَ في الْعِلْمِ بِغَيرِ عِلْمٍ.

(أَللَّهُمَّ إِنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَيَجَانِ الْحِرصِ) في الحديث الشّريف: «أغنىٰ النّاس من لنْ يكن للحرص أسيراً»[1]. وفي كِتَاب الأغاني[2]: «أنّ أبا العتاهية أنشد:

(١) أُنظر، أمالي الصّدوق: ٧٣، الكافي: ٢/٣١٦ ح ٧، عيون الحكم والمواعظ: ١٢١، معاني

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه　　تملكه المـال الَّـذِي هـو مـالكه
ألا إنَّـما مـالي الَّـذِي أنـا مـنفق　　وليس لِي المال الَّذِي أنـا تـاركه

فقيل له: من أين أخذت هذا؟ قال من قول رَسُول ٱللَّه ﷺ: «إنَّما لك من مالك ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت»(١).

الْغَضَب

(وَسَوْرَةِ الْغَضَبِ) السّورَة: الحدّة، والشِّدَّة(٢)، والْـغَضَب لله، والْـحَقّ واجب، والمحرم منه ما قاد صاحبه إلىٰ حرام، وعلاجه أنْ يتذكر الغاضب غضب ٱللَّه علىٰ مَن عصاه، وقال الإمام الصَّادِق‌ؑ: «الْغَضَب مفتاح الشّرّ»(٣)؛ لأنّه ـ في الغالب ـ سبيل الْهَلاَك، والضَّلال، وفي أُصول الكافي: قال رجـل للـنبي ﷺ: «عـلمني يـا رَسُول ٱللَّه! قال له: إذهب ولا تغضب، ولما مضىٰ إلىٰ قومهِ وجدهم فئتين تهيأوا للحرب، فحمل السّلاح وٱنضم إلىٰ إحداهما، ولكن سرعان ما تذكر قول النّبي‌ﷺ: لا تغضب. فرمىٰ السّلاح وأسرع إلىٰ الفئة الثّانية وقال: ما كان لكم من جراحة، أو

⇐ الأخبار: ١٩٦، من لا يحضره الفقيه: ٣٩٥/٤، شرح أُصول الكافي: ٣٤٠/٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٧٦/٢٠.

(٢) أُنظر، الأغاني لأبي الْفَرَج الإصفهاني: ٣٦/٤، وفي ديوانه: ٣٤٦.

(١) أُنظر، المصنّف لعبدالرّزاق الصّنعاني: ٢٣١/٤، سنن أبي داود: ١٥٦، مجمع الزّوائد: ١٠٧/٣ و: ٢٤٢/١٠، سنن النّسائي: ٢٣٨/٦، سنن التّرمذي: ٤/٤ و: ١١٧/٥، تـنبيه الخـواطـر: ١٥٦/١، أمالي الطّوسي: ٥١٩.

(٢) أُنظر، لسان العرب: ٣/٢، تاج العروس: ٥٢١/١.

(٣) أُنظر، تحف العقول: ٣٩٥، مسـتدرك سـفينة البـحار: ٥٩٧/٧، بـحار الأنـوار: ١٥١/١ و: ٣١٠/٧٥.

قتل، أو ضرب فأنا أكفيكموه من مالي. فقالوا له: ما كان فهو لكم. فاصطلح القوم، وجنحوا إلىٰ السّلم»[1].

ولو اندفع الرّجل وراء غضبه لسُفكت الدّماء، وترملت النّساء، وتيتم العديد من الأطفال... ولكنه فكر، وتأمل فعاد إلىٰ رشده، ونجح في خطته، وتحولت الحرب إلىٰ سلم. قال الإمام أمير الْمُؤْمِنِين ﷺ: «إنّ التّفكر يدعو إلىٰ البر، والعمل به...»[2] أبداً لا عقل، ولا دين مع عاطفة الْغَضَب، وسورته.

إنّ الاحتكام إلىٰ العاطفة، أية عاطفة كانت وتكون، معناه الاحتكام إلىٰ الجور، والتّعصب الأعمىٰ... أكتب هَٰذِهِ الكلمات في صيف سَنَة ١٩٧٨م، وجزاء المسلم في بيروت القتل، والتّمثيل إذا تجرأ وتجاوز الخط الأحمر بين شرق المدينة المحارب، وغربها المسالم، علماً بأنّ إنسان القرن العشرين شقّ طريقه إلىٰ ٱلْقَمَرَ بسهولة ـ نسبة إلىٰ الخطو من المنطقة الغربية إلىٰ الشّرقية ـ ولا سر إلاّ عاطفة التّعصب، وإنْ كان غيري يُسميها العمالة، والخيانة. وليس الفرق ببعيد بينهما ما دامت هَٰذِهِ العاطفة ملطخة بدم الأبرياء.

واخيراً، أوصيك أنْ لا تمارس أي عمل، أو تنطق بأية كلمة ـ غير ذكره تعالىٰ ـ وأنْتَ غاضب وإلا أسأت بنفسك، وكنت عند ٱللَّه، والنّاس ملوماً، ومرذولاً.

الْحَسَد

(وَغَلَبَةِ الْحَسَدِ) قيل في تعريف الحاسد: هو الَّذِي يتمنىٰ زوال النّعمة عن

(١) أُنظر، شرح أُصول الكافي: ٩/٣١٤، الكافي: ٢/٣٠٤، بحار الأنوار: ٢٢/٨٥، مستدرك السفينة: ٧/٦٠١.

(٢) أُنظر، شرح أُصول الكافي: ٨/١٧٧، بحار الأنوار: ٦٨/٣٢٢، وسائل الشّيعة: ١٥/١٩٦.

أهـلها[١]، وفـي الحـديث: «إنّ الْـمُؤْمِن يـغبط، ولا يـحسد، والمـنافق يـحسد ولا يغبط»[٢]. أي يتمنىٰ أنْ يكون له من النّعمة مثل ما لأخيه. وقال العقاد: «ليس الحاسد هو الَّذِي يطمع أنْ يساويك، بل هو الَّذِي يريد أنْ تساوية تماماً كالساقط العيّاب يتمنىٰ أنْ تنزل إلىٰ مستواه»[٣].

والحسد من أُمهات الكبائر تماماً كالغيبة، والنّميمة إذا ظهر أثره في قولٍ، أو فعلٍ. وفي عقيدتنا أنّ الحسد لا يجلب شراً إلىٰ المحسود. أمّا قوله تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[٤] فالمراد شرّ مقاصد الحاسد، وسوء أقواله، وأفعاله ضد الّذين هم أكثر منه نعمةً، وفضلاً. وليس المُراد أحقاده، ونظرات عينيه.

وتجدر الإشارة أنّ ما من أحد إلا وعَلَيْهِ من نعم ٱللَّه ما يستوجب الشُّكْر الجزيل، ولكنه يذهل عن ذٰلِكَ، ولا يرىٰ إلا الحال؛ لأنّه مادة الشّهوات، وبه يتفاخر النّاس ويتكاثرون علماً بأنّ المال فداء الصّحة، والعيال، وكم من حاسدٍ هو أعْظمُ نعمة من الَّذِي يحسده.

(وَضَعْفِ الصَّبْرِ) الرّجل القوي لا تحرقهُ نار الشّدائد، ولا يتحطم، وينهار إذا واجه موقفاً صعباً في حياته، بل يبحث عن الأسباب، ومواضع النّقص، ويعمل جاهداً لإزالتّها، والقضاء عليها، والضّعيف هو الَّذِي ينهار، ويفقد القُدرة علىٰ الصَّبَر والكفاح، ويتهرب من المسؤولية، ويُلقيها علىٰ الآخرين. قال الإمام عليّ ﷺ: «فما نزداد علىٰ كلّ مُصِيبَة، وشدة إلا إيماناً، ومضياً علىٰ الْحَقّ»[٥]. وأيضاً قال: «من لم

(١) أُنظر، مجمع البحرين: ١/٥٠٧، مجمع البيان: ٥/٥٦٨.
(٢) أُنظر، الكافي: ٢/٣٠٧ ح ٧، شرح أُصول الكافي: ٩/٣١٩، كشف الخفاء: ٢/٢٩٥.
(٣) أُنظر، فاطمة والفاطميون: ٢١٤.
(٤) الفلق: ٥.
(٥) أُنظر، نهج البلاغة: ١/٢٣٦، الخطبة (١٢٢).

ينجه الصَّبَر أهلكه الجزع»[1]، أي تفاقمت مصيبته، وآزداد حدّة، وشدّة.

(وَقِلَّةِ الْقَنَاعَةِ) في أُصول الكافي عن الإمام الصَّادِقِ ﷺ: «إنْ كان ما يكفيك يغنيك، فأدنىٰ ما فيها يغنيك، وإنْ كان ما يكفيك لا يغنيك فكلّ ما فيها لا يغنيك»[2] من آقتنع بما يكفيه، ويغنيه عن النّاس فالطريق إلىٰ ذٰلِكَ واضح، وسالك، وهو أنْ يعمل لحاجته، ودنياه، ويسعىٰ لها بالمعروف، والمألوف، ومن لم يقتنع بما كفاه، وأغناه وتطلع إلىٰ المزيد من المال من حيث هو ـ أرقته الشّهوات، وكدرت عَلَيْهِ العيش والحياة، وخرج من الدُّنْيا بحسرته، ولوعته.

(وَشَكاسَةِ الْخُلُقِ) المشاكس: المزعج المشاغب الَّذِي لا يألف، ولا يؤلف، قال آلرَّسُول الأعظم ﷺ: «أفاضلكم أحسنكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً ـ الهينون اللّينون ـ الّذين يألفون، ويؤلفون»[3]. وقال الإمام عليّ ﷺ: «أسوأ النّاس حالاً من لم يثق به أحد لِسُوءِ فعله»[4]. (وَإلْحَاحِ الشَّهْوَةِ) الشَّهْوة الملحة هي اللاصقة بصاحبها، ولا تفارقه بحال، تقول: هذا ابن عمّي لحاً أي لاصق النّسب، ومن أسلس القياد لشهوته في كلّ شيء أوردته موارد الْبَلاء، وَالشّقاء، وفي بعض كُتُبِ الصّوفية: «للإنسان ثلاثة أعداء: عدو من الدّاخل، وهو الشّهْوة، وعدوان من الخارج، وهما: الشَّيْطَان، والمغريات»[5]، ولا أحد يستطيع التّغلب علىٰ هٰذِهِ القوىٰ

---

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٤/٤٣، الحكمة (١٨٩)، شرح النّهج لابن أبي الحديد: ١٨/٤١٥، شرح النّهج لابن ميثم البحراني: ١٥/٣٤١.

(٢) أُنظر، الكافي: ٢/١٣٩ ح ١٠، شرح أُصول الكافي: ٨/٣٩١، بحار الأنوار: ٧٠/١٧٨.

(٣) أُنظر، الكافي: ٢/١٠٢، شرح أُصول الكافي: ٨/٢٩٣، بحار الأنوار: ٦٨/٣٨٠، مجمع البحرين: ٤/٥١٨.

(٤) أُنظر، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨/٢٧٩، البحار: ٧٨/٩٣ ح ١٠٤.

(٥) أُنظر، كراس هٰذِهِ هي الصّوفية: ٥٤.

المُعادية إلا بحبل من ٱللّٰه، وجبل من صبر ٱلإنسَان، وصموده.

(وَمَلَكَةِ الْحَمِيَّةِ): الأنفة الّتي تمنع من الإذعان للحقّ (وَمُتَابَعَةِ الْهَوىٰ) عطف تفسير علىٰ الشّهْوة، وإلحاحها (وَسِنَةِ الْغَفْلَةِ) سِنة ـ بكسر السّين ـ والمُراد بها هنا فتور الأبدان، وكثيراً ما يفتر ٱلإنسَان، ويضعف عن طاعة ٱللّٰه غفلةً عن حسابه، وعقابه (وَتَعَاطِي الْكُلْفَةِ) وهو أنْ يتعرض المرء لما لا يعنيه، ويدعي ما ليس فيه (وإيثَارِ الْبَاطِلِ عَلَىٰ الْحَقّ) يقيس الْحَقّ بشهوته، ومعدته (وَالإِصْرارِ عَلَىٰ الْمآثِمِ) لا يزدجر من ٱللّٰه بزاجر، ولا يتعظ منه بواعظ.

لا شيء يهم ٱلإنسَان الّذي لا يهتم بشيء

(وَاسْتِصغارِ الْمَعصِيَة، وَاسْتِكْبَارِ الطّاعَةِ) قال فيلسوف صيني: «ولا شيء يهم ٱلإنسَان الّذي لا يهتم بشيء»[1]، وعلىٰ ضوء هٰذِهِ الحقيقة لنا أنْ نقول: من ٱستخف بمعصية ٱللّٰه ـ ولو كانت صغيرة ـ فقد ٱستخف بعظمة ٱللّٰه، وهيبته. قال الإمام عليّ؈: «أشد الذُّنُوب ما ٱسخف به صاحبه»[2]، لأنّه ٱستخفاف بأمره تعالىٰ. وقال الإمام الصَّادِق؈: «ٱتقوا المحقرات من الذُّنُوبِ؛ فإنّها لا تغتفر. قيل: وما هي المحقرات؟ قال: الرّجل يذنب الذّنب فيقول: طوبَىٰ ليّ لو لم يكن لي غير ذٰلِكَ»[3]، وهذا عين التّناقض يتجرأ علىٰ ٱللّٰه ويقول: الْخَيْر ليّ، والسّعادة!.ومثله تماماً، أو أحقر، وأقذر من أطاع ٱللّٰه في كلّ شيء إلا في العُجب بأعماله، والإفراط في تقدير نفسه، وٱدعائه بأنّه المتفرد في تقواه، والمتفوق زهداً في دنياه! وهٰذِهِ عين

(١) أنظر، أخبار الحكماء للقفطي: ٢٧٤.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ٤/ ١١٠، الحكمة (٤٧٧)، شرح النّهج لابن ميثم البحراني: ٥/ ٤٦٧، شرح النّهج لابن أبي الحديد المعتزلي: ٢٠/ ٢٤٦، شرح النّهج لمحمد عبده: ٣/ ٢٦٦.

(٣) أنظر، الكافي: ٢/ ٢٧٠ و ٢٨٧، الخصال: ٢٤، شرح أُصول الكافي: ٩/ ٢٤٦، تحف العقول: ٥.

الذّاتية، والغفلة عن ٱللّٰه تعالىٰ. قال الإمام أمير الْمُؤْمِنِين ﷺ: «لا تعجل في عيب أحد بذنبه فلعله مغفور له، ولا تأمن علىٰ نفسك صغير معصية فلعلك معذب عَلَيْهِ»(١). وقال في وصف غر مجهول: «يستعظم من معصية غيره ما يستقل أكثر منه من نفسه، ويستكثر من طاعته ما يحتقره من طاعة غيره»(٢). وأيضاً قال: «سيئة تسؤك خير من حسنة تعجبك»(٣). وفي أُصول الكافي عن الإمام الصَّادِق ﷺ: «دخل رجلان المسجد أحدهما عابد والآخر فاسق فخرجا من المسجد، والفاسق صدّيق، والعابد فاسق وذٰلِكَ أنّه يدخل العابد المسجد مدلاً بعبادته يدل بها فتكون فكرته في ذٰلِكَ، وتكون فكرة الفاسق في التّندم علىٰ فسقه، ويستغفر ٱللّٰه عزّ وجلّ مما صنع من الذُّنُوبِ»(٤).

(وَمُباهاتِ الْمُكثرينَ) لا تقاس عَظَمَة ٱلإنسَان، بالمال، والجاه. ولا بالعلم، والبلاغة وكفىٰ، ولا بالانتصارات في المعارك، بل بالتقوىٰ، وبما يتركه من عمل

---

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٢٣/٢، الخطبة (١٤٠)، شرح النّهج للمعتزلي: ٥٩/٩، بحار الأنوار: ٢٦١/٨٢.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ٣٩، الحكمة (١٥٠)، شرح النّهج للمعتزلي: ٣٥٦/١٨، جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ لابن الدّمشقي: ١٤٧/٢، ينابيع الْمَوَدَّة: ٢٥٥/٢، بحار الأنوار: ٢٦١/٧٢.

(٣) أُنظر، نهج البلاغة: ١٣/٤، الحكمة (٤٦)، شرح أُصول الكافي: ٣٣٤/٩، عيون الحكم والمواعظ: ١٤١/٤.

(٤) أُنظر، الكافي: ٣١٤/٢ ح ٦، شرح أُصول الكافي: ٣٣٥/٩، علل الشّرائع: ٣٥٤/٢ باب ٦٦ ح ١، وسائل الشّيعة: ١٠١/١، مع العلم بأنّ ﷺ، رواه بهذا اللّفظ: (أنّ عالماً، وفاسقاً دخلا المسجد، فخرج العابد منه فاسقاً، والفاسق عابداً؛ لأنّ هذا تاب، وذاك أُعجب بعمله، وأستكثره».

نافع لأخيه الإنسان (والإزْراء بِالمُقِلّينَ) حكىٰ سبحانه في كتابه أنْ المترفين الطّغاة استنكفوا عن الإيْمَان برسله، وأنبيائه لا لشيء إلا لأنّ ٱلْفُقَرَاء المقلين سبقوهم إلىٰ الإيْمَان:﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾[١] ومن أزرىٰ، وأحتقر فَقِيراً لقلته فهو علىٰ سنة العُتاة الطّغاة. وتجدر الإشارة أنّ الّذين تزدريهم الأعين هم الّذين يصنعون للناس الحياة، ولولاهم ما وجد المترفون قمحاً يأكلونه، ولا قطناً يلبسونه.

(وَسُوءِ الْوِلايَة لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِيْنَا) المُراد بالولاية هنا الرّعاية بمعنىٰ المحافظة، وتعم وتشمل رعاية الحاكم للمحكومين، والوالد لأولاده غير الرّاشدين، والوصي لوصايته، والأمين لأمانته (وَتَرْكِ الشّكْرِ لِمَنِ اصْطَنَعَ الْعَارِفَةَ): المعروف، وفي الحديث: «أشكر النّاس لله أشكرهم للناس»[٢] لأنّ البذل، والعطاء من حيث هو يستوجب الشُّكْر أياً كان مصدره. وسئل الإمام الصَّادِقعليه السلام عن معنىٰ الشكر فقال: «مَنْ أنعم ٱللَّه عَلَيْهِ نعمة فعرفها بقلبه، وعلم أنّ المنعم عَلَيْهِ فقد أدىٰ شكرها وإنْ لم يحرك لسانه، ومَن عَلمَ أنّ المعاقب علىٰ الذُّنُوبِ هو ٱللَّه فقد ٱستغفر وإنْ لم يحرك لسانه به»[٣].

(أَوْ أَنْ نَعْضُدَ ظَالِماً) قال سبحانه: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾[٤] وقال ابن عباس:« إذا كان هذا هو حال من لا يصدر عنه إلا مجرد ركون، ولم يشترك في قولٍ، أو فعلٍ، فالويل كلّ الويل لمن أطرىٰ، وشارك»[٥] ونعطف

---

(١) الشّعراء: ١١١.
(٢) أُنظر، مجمع الزّوائد: ١٨١/٨، تحفة الأحوذي: ٧٥/٦، مسند الشّهاب: ١١٣/٢ ح ٩٩٥ـ ٩٩٨، الجامع الصّغير: ١٦٣/١ ح ١٠٧٣، العهود المحمدية: ١٦٨، كنز العمال: ٢٥٤/٣ ح ٦٤١٣، فيض القدير: ٦٧٢/١، الكامل في التّأريخ: ٣١١/٣ و: ٣٣٧/٥، أُسد الغابة: ٩٨/١.
(٣) أُنظر، تحف العقول: ٣٦٩، بحار الأنوار: ٢٥٢/٧٥ ح ١٠٧، مستدرك سفينة البحار: ٢٨/٦.
(٤) هود: ١١٣.
(٥) أُنظر، حبر الأُمّة للدكتور مُحمّد شلش: ١٥٤.

علىٰ ذٰلِكَ: أنّ السّاكت عن الظّالم بلا عذر شرعي أيضاً تمسه ٱلنّار لقول ٱلرَّسُول الأعظمﷺ: «السّاكت عن الْحَقّ شيطان أخرس»[١] (أَوْ نَخْذُلَ مَلْهوفاً) كما تحرم إعانة الظّالم تجب كفاية إغاثة الملهوف، والمضطر، وقد نفىٰ رَسُول ٱللَّهﷺ الإيْمَان عمن بات متخماً وجاره طاوٍ إلىٰ جنبه[٢] (أَوْ نَرُومَ مَا ليسَ لَنَا بِحَقّ) ويشمل هذا كلّ من يخدع النّاس، ويتجاوز قَدْرِه، وحدّه. وفي نهج البلاغة: «هَلَكَ آمرؤ لم يعرف قَدْرِه»[٣].

الجهل بالجهل

(أَوْ نَقولَ في الْعِلْمِ بِغَيرِ عِلْمٍ) من يعترف فهو صادق مع نفسه، ومع النّاس، ومن هنا قيل: الإِعْتِرَاف بالخطإ فضيلة وشجاعة[٤]. ولا أحد يجرأ علىٰ القول بغير علم إلا منافق، أو جاهل بجهله، والحديث مع هذا ضرب من السّفه، والعبث. قال العقاد: لو أنّ كلّ الإنس، والجن قالوا للمغرور: «أنتَ أجهل النّاس، وشر النّاس، ثُمّ خلا بنفسه ـ لأوهمها أنّه أَعْلَم النّاس، وخير النّاس، وأنّ كلّ الْخَلْق يكذبون»[٥].

وَنَعوذُ بِكَ أَنْ نَنْطَوِي عَلَىٰ غِشّ أَحَدٍ، وَأَنْ نُعْجِبَ بأَعْمَالِنَا، وَنَمُدّ في

---

(١) أُنظر، فقه السّنة للشيخ سَيِّد سابق: ٢/٦١١، دراسات في الحديث والمحدثين لهاشم معروف: ١٤٧.

(٢) أُنظر، الكامل لابن عدي: ٢/٢١٩ قريب منه، والأحكام ليحيىٰ بن الحُسين: ٢/٥٢٩، الكافي: ٢/٦٦٨، مجمع الزّوائد: ٨/١٦٧، المصنف للكوفي: ٧/٢١٨، كنز العمال: ٩/٥٣ ح ٢٤٩٠٦.

(٣) أُنظر، نهج البلاغة: ٤/٣٨، الحكمة (١٤٩)، شرح نهج البلاغة للبحراني: ٦٠١، الطّبعة الأولىٰ.

(٤) أُنظر ٢، فتح القدير: ٢/٥٠٣.

(٥) أُنظر، معاوية في الميزان: ٦٤، الطّبعة الأولىٰ.

آمَالِنَا ؛ وَنَعوذُ بِكَ مِنْ سوءِ السّريرَةِ ، وَاحْتِقَارِ الصَّغيرَةِ ، وَأَنْ يَسْتَحْوِذَ عَلَيْنَا الْشَّيطَانُ ، أَوْ يَنْكُبَنَا الزَّمَانُ ، أَوْ يَتَهَضَّمَنَا الْسُّلْطَانُ .

وَنَعوذُ بِكَ مِنْ تَنَاوُلِ الإِسْرافِ ، وَمِنْ فُقْدانِ الْكَفَافِ ؛ وَنَعوذُ بِكَ مِنْ شَمَاتَةِ الأَعْداءِ ، وَمِنَ الْفَقْرِ إِلىٰ الأَكْفَاءِ ، وَمِنْ مَعيشَةٍ في شِدَّةٍ ، وَمِيتَةٍ عَلَىٰ غَيْرِ عُدَّةٍ ؛ وَنَعوذُ بِكَ مِنَ الْحَسْرَةِ الْعُظْمىٰ . وَالْمُصيبَة الْكُبرىٰ . وَأَشقَىٰ الْشُّقاءِ ، وَسوءِ الْمآبِ ، وَحِرْمَانِ الثَّوابِ ، وَحُلُولِ الْعِقابِ .

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمّد وَ آلِهِ ، وَأَعِذْني مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِرَحْمَتِكَ ، وَجَميعَ الْمُؤْمِنينَ ، وَالْمُؤْمِنَاتِ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ .

(وَنَعوذُ بِكَ أَنْ نَنْطَوي عَلَىٰ غِشِّ أَحَدٍ) قال رَسُول ٱللَّه ﷺ :« من غشنا فليس منا[١] ، ويحشر يَوْم الْقِيَامَة مع اليهود ؛ لأنّهم أغش خلق ٱللَّه»[٢] . هذي هي جبلتهم منذ وجدوا... خبثٍ ، وغشٍ ، ودسائس ، ومكائد ، ولا يروي نار الحقد في قلوبهم إلا إبادة البشرية بالكامل ، ويحمل هٰذِهِ الجبلة بالذات كلّ من ساند ، ويساند إسرائيل ، والصّهيونية في شرق ٱلأرْض ، وغربها (وَأَنْ نُعْجِبَ بأعْمَالِنَا) المعجب بآرائه ، وأعماله خرافي ، وأحمق لأنّه لا يرىٰ إلاّ ذاته ، ومن خلالها ينظر إلىٰ الأشياء ، فهي دينه ، ودنياه ، وهو يعمىٰ عن نقائضها... يجزم باللمحة ، ويحكم بالتهمة ، ولا يشك أبداً ، ولا يضع شيئاً في موضعه (وَنَمُدَّ في آمَالِنَا) الأمل نوعان : مذموم إذا بعث إلىٰ العمل للدنيا فقط ، وأنسىٰ ما وراءها ، وممدوح إذا بعث إلىٰ

---

(١) أُنظر ، صحيح مسلم : ٩٩/١ ، سنن الدّارمي : ٢٤٨/٢ ، مسند أحمد : ٥٠/٢ ، المعجم الكبير : ١٦٩/١٠ .

(٢) أُنظر ، من لا يحضره الفقيه : ٨/٤ ، بغية الحارث : ٧٣ ، مَكَارِم الأَخْلاَق : ٤٣٠ ، أمالي الصّدوق : ٣٤٩ ح ١ .

العمل للدنيا، والآخرة معاً. وفي شتىٰ الأحوال لا حياة بلا عمل، ولا عمل بلا أمل. وفي الحديث الشّريف: «الأمل رَحْمَة لأُمتي، ولولاه ما أرضعت والدة ولدها، ولا غرس غارس شجراً»[١].

(وَنَعوذُ بِكَ مِنْ سوءِ السّريرَةِ) وهي النّية، والطّوية، وسوءها أنْ لا يشعر المسيء إلا بنفسه، ولا يغضب إلا لها... هو وحده، ومن بعده الطّوفان. وحسنها أنْ يشعر المحسن بآلام الآخرين، ويغضب للمظلومين، والمحرومين ولو من غير ملته، ويحب لغيره ما يحبه لنفسه، ولا إيمان، ونجاة من عذاب ٱللَّه إلا بهذا الشّعور، والْغَضَب، والحب، قال سبحانه: ﴿يَوْمَ لَايَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٢] (وَاحْتِقَارِ الصَّغيرَةِ) أي السّيئة الصَّغيرَة ـ كما يراها الفاعل ـ وهي في واقعها كبيرة لزجره تعالىٰ عنها ونهيه، وتَقَدَّمَ الكلام عن المحقرات قبل قليل.

(وَأنْ يَسْتَحْوِذَ عَلَيْنَا الْشَيطَانُ) ولا أعرف أحداً أخذ الشّيطان منه مأخذه، وبلغ منه أمله كأيْ مغرور قال، أو يقول بلسان المقال، أو الحال: «من مثلي»! أستغفر ٱللَّه. ألا تدل هَذِهِ الشّطحة، أو النّطحة بنفسها علىٰ نفسها تماماً كدلالة النّاطق علىٰ ٱلإنسَان، والصّاهل علىٰ الحيوان (أوْ يَنْكُبَنَا الزَّمَانُ) ولا عاقل علىٰ وجه ٱلأرْض يأمن المخبآت، والمفاجآت بخاصة الثّري، والقوي (أوْ يَتَهَضَّمَنَا الْسُلطَانُ) كان الإمام السّجادﷺ في عهد الأُمويين الّذين ٱتخذوا مال ٱللَّه دولاً، وعِبَادِهِ خولاً[٣]. وهَذِهِ الفقرة تعريض بهم، وبجورهم.

(وَنَعوذُ بِكَ مِنْ تَنَاوُلِ الإِسْرافِ) وهو إتلاف المال في الحرام، أو في حلال من

---

(١) أُنظر، كنز العمال: ٣/٤٩١ ح ٧٥٦٠، تأريخ بغداد: ٢/٥٠، نزهة النّاظر وتنبيه الخاطر: ٢١.

(٢) الشّعراء: ٨٨ ـ ٨٩.

(٣) تنسب هَذِهِ القطعة الذّهبية إلىٰ الإمام عليّ ﷺ، كما في شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ٤/١٩١، وكذلك إلىٰ الإمام السّجادﷺ، كما في أمالي الطّوسي: ١٠٨، العمدة: ٤٧١، كنز العمال: ١١/١٦٥.

غير حكمة، ومنفعة معقولة، ومقبولة عند العرف، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[1]. (وَمِنْ فُقْدانِ الْكَفَافِ) وهو من الرّزق ما كفىٰ، وأغنىٰ عن النّاس، يقال: قوته كفاف حاجته أي مقدار حاجته من غير زيادة ونقصان، قال رَسُول ٱللّهﷺ: «أَللَّهُمَّ ٱرزق مُحمّداً وآلِ مُحمّد، ومن أحبّ مُحمّداً وآل مُحمّد العفاف، والكفاف»[2]. (وَنَعوذُ بِكَ مِنْ شَمَاتَةِ الأَعْداءِ) الشّماتة من شيم الأوغاد، واللّئام، وفي الحديث: «لا تبد الشّماتة بأخيك، فيرحمه ٱللّـه، ويبتليك»[3]. (وَمِنَ الْفَقْرِ إِلىٰ الأَكْفَاءِ) جمع كف ء بمعنىٰ المثيل أي لا تحوجني إلىٰ عبد مثلي. ومن أقواله: «كاد ٱلفَقْر يكون كفراً»[4] (وَمِنْ مَعيشَةٍ فِي شِدَّةٍ) عطف تفسير علىٰ فقدان الكفاف.

(وَمِيتَةٍ عَلَىٰ غَيْرِ عُدَّةٍ) وعدة الْمَوْت الأعمال الصّالحة، وهي أكثر من أنْ تحصىٰ، وفي طليعتها عمل يخرج منه رغيف الجائع، أو ثوب لعارٍ، أو دواء لمريض، أو كلمة تهدي إلىٰ خير، أو أي شيء ينتفع به النّاس، أمّا الكلام العقيم فما هو عند ٱللّه بشيء، وإنْ ٱستوعب مجلدات (وَنَعوذُ بِكَ مِنَ الْحَسْرَةِ الْعُظْمىٰ...) يَوْم يتذكر المقصر الخاسر ويقول: يا ليتني قدمت لحياتي... وهكذا كلّ مجرم، وآثم، وجاحد، وكافر لا بد أنْ يقف هذا الموقف أمام العدالة الإلهية، والرّقابة السّماوية، ويشعر بأخطائه، وسيئاته ويجازي عليها بما يستحق وإلا كان المسيء، والمحسن بمنزلة سواء، بل يكون الُمحسن أسوء حالاً من المُسيء.

---

(١) الفرقان: ٦٧.

(٢) أُنظر، الكافي: ٢/١٤٠ ح ٢ ـ ٣، كنز العمال: ٦/٤٨٣ ح ١٦٦٤٧، تأريخ دمشق: ٤/١١٦.

(٣) أُنظر، أُصول الكافي: ٢/٣٥٩ ح ١، تهذيب الكمال: ٣/٣٤٠، سنن التّرمذي: ح ٢٦٢١.

(٤) أُنظر، الكافي: ٢/٣٠٧ ح ٤، شرح أُصول الكافي: ٩/٣١٨، مسند الشّهاب: ١/٣٤٢، الجامع الصّغير: ٢/٢٦٦، كنز العمال: ٦/٤٩٢ ح ١٦٦٨٢، الدُّعاء للطبراني: ٣٢٠، تحفة الأحوذي: ٧/١٧ و: ١٠/٤٥.

الدُّعاء التّاسع

دُعَاؤُهُ فِي الاِشْتِيَاقِ

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَصَيِّرْنَا إِلىٰ مَحْبُوبِكَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَزِلْنَا عَنْ مَكْرُوهِكَ مِنَ الإِصْرَارِ؛ أَللَّهُمَّ وَمَتَىٰ وَقَفْنَا بَيْنَ نَقْصَيْنِ فِي دِينٍ، أَوْ دُنْياً فَأَوْقِعِ النَّقْصَ بِأَسْرَعِهِمَا فَنَاءً، وَاجْعَلِ التَّوْبَةَ فِي أَطْوَلِهِمَا بَقَاءً.

وَإِذَا هَمَمْنَا بِهَمَّيْنِ يُرْضِيكَ أَحَدُهُمَا عَنَّا، وَيُسْخِطُكَ الآخَرُ عَلَيْنَا؛ فَمِلْ بِنَا إِلىٰ مَا يُرْضِيكَ عَنَّا، وَأَوْهِنْ قُوَّتَنَا عَمَّا يُسْخِطُكَ عَلَيْنَا، وَلا تُخَلِّ فِي ذَلِكَ بَيْنَ نُفُوسِنَا، وَاخْتِيَارِهَا، فَإِنَّهَا مُخْتَارَةٌ لِلْبَاطِلِ إِلاَّ مَا وَفَّقْتَ، أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمْتَ.

(وَصَيِّرْنَا إِلىٰ مَحْبُوبِكَ مِنَ التَّوْبَةِ) نسألك أَللَّهُمَّ العون، والهداية إلىٰ طَاعَتِكَ، ومَرْضَاتِكَ بخاصة التَّوْبَة من معصيتك (وَزِلْنَا عَنْ مَكْرُوهِكَ مِنَ الإِصْرَارِ) المُراد بالإصرار هنا العزم. والمعنىٰ نسألك أَللَّهُمَّ العون علىٰ نفسنا الأمارة الغرارة بخاصة إذا عزمت، وأصرت علىٰ فعل ما نهيتنا عنه (أَللَّهُمَّ وَمَتَىٰ وَقَفْنَا بَيْنَ نَقْصَيْنِ فِي دِينٍ،

أَوْ دُنْياً فَأَوْقِعِ النَّقْصَ بِأَسْرَعِهِمَا فَنَاءً، وَاجْعَلِ التَّوْبَةَ فِي أَطْوَلِهِمَا بَقَاءً) المُراد بالوقوف هنا الإضطرار، وبالنقص الشرّ، وبالوقوع الوجوب مثل: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾[1] أي وجب العذاب عَلَيْهِمْ، والمُراد بأسرعهما فناء أقلهما ضرراً، وبأطولهما بقاء أكثرهما أجراً، والمعنىٰ إذا آبتلينا، وآضطررنا إلىٰ فعل أحد الشّرّين من غير تعيين، ولم نجد منه مفراً فأوجب أَللّٰهُمَّ علينا أهون الشّرّين، وأقل الضّررين، وأمدنا إلىٰ معرفته، ووفقنا إلىٰ إختياره حتّىٰ إذا أنبنا إليك من فعله كانت التَّوْبَة أكثر أجراً؛ لأنّها، وهذي هي الحال، مستحبة لا واجبة، **ومثال ذٰلِكَ:** أنْ نرىٰ مُنْكَراً يترتب علىٰ إنكاره شرّ، وضرر أَعْظَمْ من ضرر السّكوت عنه، فيجب عندئذ دَفْع الضّرر الأشد، بالضرر الأخف.

(وَإِذَا هَمَمْنَا بِهَمَّيْنِ يُرْضِيكَ أَحَدُهُمَا...) المُراد بالهم هنا حديث النّفس، وترددها بين أمرين. ونسأله تعالىٰ أنْ يختار لنا، ويميل بنا إلىٰ ماله فيه رضىٰ، ولنا خير، وصلاح حين نبتلي بشيء من ذٰلِكَ. ويومىء هذا الدُّعاء إلىٰ أنّ ما من شيء يقع في الكون إلا ولله فيه تدبير بطريق، أو بآخر، وأنّ علىٰ ٱلإِنسَان أنْ لا يذهل عن هٰذِهِ الحقيقة.

قال سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[2]، وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾[3] (وَلا تُخَلِّ في ذَلِكَ بَيْنَ نُفُوسِنَا، وَاخْتِيَارِهَا) إذا غضب ٱللّٰه علىٰ عبدٍ أوكله إلىٰ نفسهِ، وسار طول حياته بلا دليل (فَإِنَّهَا مُخْتَارَةٌ لِلْبَاطِلِ...) لأنّه خفيفٌ، ولذيذٌ. وفي نهج البلاغة: «وآعلموا أنّه ما من طاعة ٱللّٰه

(١) النّمل: ٨٥.
(٢) النّمل: ٧٥.
(٣) الأنْعَام: ١٠٢.

شيء إلا يأتي في كره ـ لأنّه مخالف لهوىٰ النّفس ـ وما من معصية ٱللَّه شيء إلا يأتي في شهوة»[١] لأنّه موافق لهوىٰ النّفس الأمارة بِالسُّوءِ.

أَللَّهُمَّ وَإِنَّكَ مِنَ الضَّعْفِ خَلَقْتَنَا، وَعَلَىٰ الوَهْنِ بَنَيْتَنَا، وَمِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ابْتَدَأْتَنَا؛ فَلا حَوْلَ لَنَا إلاَّ بِقُوَّتِكَ، وَلا قُوَّةَ لَنَا إلاَّ بِعَوْنِكَ؛ فَأَيِّدْنَا بِتَوْفِيقِكَ، وَلا قُوَّةَ لَنَا إلاَّ بِعَوْنِكَ؛ فَأَيِّدْنَا بِتَوْفِيقِكَ، وَسَدِّدْنَا بِتَسْدِيدِكَ، وَاعْمِ أَبْصَارَ قُلُوبِنَا عَمَّا خَالَفَ مَحَبَّتَكَ، وَلا تَجْعَلْ لِشَيْءٍ مِنْ جَوَارِحِنَا نُفُوذاً فِي مَعْصِيَتِكَ.

أَللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ هَمَسَاتِ قُلُوبِنَا، وَحَرَكَاتِ أَعْضَائِنَا، وَلَمَحَاتِ أَعْيُنِنَا، وَلَهَجَاتِ أَلْسِنَتِنَا... فِي مُوجِبَاتِ ثَوَابِكَ، حَتَّىٰ لا تَفُوتَنَا حَسَنَةٌ نَسْتَحِقُّ بِهَا جَزَاءَكَ، وَلا تَبْقَىٰ لَنَا سَيِّئَةٌ نَسْتَوْجِبُ بِهَا عِقَابَكَ.

(أَللَّهُمَّ وَإِنَّكَ مِنَ الضَّعْفِ خَلَقْتَنَا) ما من مَخلُوق إلا وفيه جانبان: سلب، وإيجاب، قوة وضعف، ومن الجانب القوي العقل، والعلم، وقوة الإرادة في الصَّبَر علىٰ الشّدائد، ومن الجانب الضّعيف العجز علىٰ مقاومة الشّهوات، والمغريات، وما يتعرض له ٱلإنسَان من أحداثٍ، ونكبات، وقد صور الإمام عليّ ﷺ هذا الجانب أدق تصوير، وأجمعه ببضع كلمات حيث قال: «مسكين ابن ءادَمَ مكتوم الأجَل، مكنون العلل، محفوظ العمل، تؤلمه البقة، وتقتله الشّرقة، وتنتنه العرقة»[٢]. وقال

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٢/ ٩٠، الخطبة (١٧٦)، شرح النّهج للمعتزلي: ١٠/ ١٦، ينابيع الْـمَوَدَّة: ٣/ ٤٣٦.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ٤/ ٩٨، الحكمة (٤١٩)، شرح النّهج للمعتزلي: ٢٠/ ٦٢، عيون الحكم والمواعظ: ٤٨٨.

مشيراً إلىٰ جانب القوة: «ٱلإنسَان يشارك السّبع الطِّباق»(١).

والعالم العاقل ينظر إلىٰ الجنبين معاً، ولا يعتز بشيء مما يملك لعلمه بجانب الضّعف فيه، ولا يستسلم، وإنْ تراكمت عَلَيْهِ الخطوب، بل يجاهد، ويقاوم حتّىٰ النّفس الأخير لعلمهِ بجانب القوة.

(وَعَلَىٰ الوَهْنِ بَنَيْتَنَا...) عطف تفسير علىٰ الضّعف (فَلا حَوْلَ لَنَا) لا نقدر علىٰ التّصرف في شيء (إلاَّ بِقُوَّتِكَ) كلّ القوة لله، ولا أحد يملك منها شيئاً إلا ما ملكه (وَلا قُوَّةَ لَنَا إلاَّ بِعَوْنِكَ...) عطف تفسير علىٰ ما قبله (وَأَعْمِ أَبْصَارَ قُلُوبِنَا عَمَّا خَالَفَ مَحَبَّتَكَ) العمىٰ للبصر، ويستعار للقلب كناية عن ضلاله، والمُراد به هنا صرف القلوب عن محارم، ويستعار للقلب كناية عن ضلاله، والمُراد به هنا صرف القلوب عن محارم ٱللّٰه، ومكارهه (وَلا تَجْعَلْ لِشَيْءٍ مِنْ جَوَارِحِنَا نُفُوذاً فِي مَعْصِيَتِكَ) الجوارح أعضاء ٱلإنسَان، ويشمل هذا الدُّعاء أكثر المعاصي، ومنها الكبائر كالكذب، والغيبة، والنّميمة، والزّنا، وأكل الحرام، وشربه (وَاجْعَلْ هَمَسَاتِ قُلُوبِنَا) الهمس: الصّوت الخفي، والمُراد به هنا حديث النّفس بالخير، أو الشّرّ.

الّذين بدلوا نعمة ٱللّٰه كفراً

(وَحَرَكَاتِ أَعْضَائِنَا، وَلَمحَاتِ أَعْيُنِنَا، وَلَهَجَاتِ ٱلسِنَتِنَا...) منح سبحانه ٱلإنسَان ـ من دون الخلائق ـ قوىٰ، وطاقات روحية، ومادية ظهرت آثارها في تَقَدُّمَ العلم الَّذِي تميز به عصرنا الرّاهن عن كلّ ما سلف من العصور، لكن دنس قداسته، وكرامته الّذين حولوه عن طبيعته، وٱتخذوا منه وسيلة للحرب، والرّعب، والسّلب، والاستعلاء علىٰ الْخَلْق، وإلىٰ هؤلاء، وأمثالهم أشار سبحانه بقوله: ﴿أَلَمْ

(١) قريب منه في نهج البلاغة: ١٤٣/١ و: ١١١/٢ و ١٥٦، و: ٢٤/٤، الحكمة (٨).

تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾[1].

والإمام ﷺ يشكر ٱللَّه عزّ وجلّ علىٰ نعمةٍ، وموهبةٍ تفضل بها عَلَيْهِ، ويعطيه عهداً قاطعاً بصيغة الدُّعاء، وأُسلوبه أنْ يستصلح كلّ عضو من أعضائه، وكلّ طاقة من طاقاته في طاعة ٱللَّه، ومَرْضَاتِه، وخدمة عِبَادِه، وعياله.

---

(١) إبراهيم: ٢٨ ـ ٢٩.

الدُّعاء العاشر

دُعَاؤُهُ فِي اللَّجوء إِلَىٰ اللَّه تَعالىٰ

أَللَّهُمَّ إِنْ تَشَأْ تَعْفُ عَنَّا فَبِفَضْلِكَ، وَإِنْ تَشَأْ تُعَذِّبْنَا فَبِعَدْلِكَ؛ فَسَهِّلْ لَنَا عَفْوَكَ بِمَنِّكَ، وَأَجِرْنَا مِنْ عَذَابِكَ بِتَجَاوُزِكَ؛ فَإِنَّهُ لا طَاقَةَ لَنَا بِعَدْلِكَ، وَلا نَجَاةَ لِأَحَدٍ مِنَّا دُونَ عَفْوِكَ.

يَا غَنِيَّ الأَغْنِيَاءِ، هَا نَحْنُ عِبَادُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ؛ وَأَنَا أَفْقَرُ الفُقَرَاءِ إِلَيْكَ، فَاجْبُرْ فَاقَتَنَا بِوُسْعِكَ، وَلا تَقْطَعْ رَجَاءَنَا بِمَنْعِكَ؛ فَتَكُونَ قَدْ أَشْقَيْتَ مَنِ اسْتَسْعَدَ بِكَ، وَحَرَمْتَ مَنِ اسْتَرْفَدَ فَضْلَكَ؛ فَإِلىٰ مَنْ حِينَئِذٍ مُنْقَلَبُنَا عَنْكَ؟

وَإِلىٰ أَيْنَ مَذْهَبُنَا عَنْ بَابِكَ؟

الثَّواب تفضل، أو إستحقاق؟

(أَللَّهُمَّ إِنْ تَشَأْ تَعْفُ عَنَّا فَبِفَضْلِكَ) إختلفوا: هل ثواب من أطاع ٱللَّه هو لزوم،

واستحقاق كما قال المعتزلة، أو كرم، وتفضل كما قال الأشاعرة؟[١].

وفي رأينا أنّه لا مبادلة بين الخالق، والمخلُوق، ولا عرض، ومعوض بين الواجب والممكن، فالملك كلّه لله ولا أحد يملك معه شيئاً. ولكنه تقدست كلماته، هو الَّذِي تفضل، وجعل الثّواب علىٰ طاعته حتماً، وحقاً علىٰ رَحْمَته[٢]، كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾[٣]، وقال تعالىٰ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[٤] اشترىٰ سبحانه الأنفس، والأموال من عِبَادِه، وهو بها أملك، ولكنه تعالىٰ وعد بالثواب، ووعده حقّ لازم لمن وعد علماً بأنّه تعالىٰ لا يجب عَلَيْهِ أنْ يعد، ولا أنْ يثيب لولا الوعد، ولكن أصبح الثّواب واجباً بالوعد تماماً كما يجب علينا الوفاء بالعهد، والنّذر، واليمين. وبهذا نجد تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٥] أي بضميمة قوله سبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[٦].

حكمة ٱللّه أسبق من رَحْمَته

(وَإِنْ تَشَأْ تُعَذِّبْنَا فَبِعَدْلِكَ) العدل: وضع الشّيء في موضعه، ويختلف هذا الوضع تبعاً للمورد، والموضوع، فالعدل في القسمة أنْ تعطي كلّ ذي حق حقه بلا

---

(١) أُنظر، كِتَاب السّنة لعمرو بْن أبي عاصم: ٤٥٢، فتح الباري لابن حجر: ٢٩٢/١٣، شرح العقيدة الطّحاوية.

(٢) أُنظر، رسائل المرتضىٰ: ٢٤١/٢، الاعتقادات للشيخ المفيد: ٦٧، الاقتصاد للطوسي: ١٠٧.

(٣) التَّوْبَة: ١١١.

(٤) الأنعام: ٥٤.

(٥) النّحل: ٣٢.

(٦) الرَّعْد: ٣٥.

زيادة، أو نقصان، ومثله العدل بالحكم، والقضاء، والعدل في الحساب أنْ تستقصي، وتحصي بحيث لا تترك شيئاً من الدّاخل، ولا تضيف شيئاً من الخارج، والعدل في الأجر، والجزاء ما يعادل العمل دون إجحاف فإنْ زاد فتفضل.

وٱللَّه سبحانه أمر عِبَادِهِ بالعدل، وعاملهم هو بالرحمة، والمغفرة إلا الّذين أشركوا به، والّذين عاملوا عِبَادِهِ، وعياله بالعسف، والجور، والّذين حرفوا دينه، وشريعته عن قصد، وتصميم، وبكلمة إنّ ٱللَّه سبحانه لا يغفر، ولا يرحم جزافاً، وتشهياً، بل بموجب علمه، وحكمته، ومعنىٰ هذا أنّ حكمته تسبق رَحْمَتَه كما تسبق رَحْمَتَه غضبه.

وبالمناسبة: «قتل رجل من أصحاب الإمام عليّ ﷺ جماعة من جيش معاوية في حرب صفين، ثُمَّ أُخذ أسيراً، ففرح معاوية، وقال له: الْحَمْدُ ٱللَّه الَّذِي أمكنني منك.

فقال له الأسير: لا تقل ذٰلِكَ يا معاوية، فإنّ أسري مُصِيبَة نزلت لك.

فرد معاوية: كلا، إنّها نعمة، وأية نعمة أَعْظَمْ من أنْ أتمكن من رجل قتل العديد من أصحابي؟ ثُمَّ نادىٰ معاوية: يا غلام أضرب عنقه.

فقال الأسير مناجياً إله الْخَلْق: «أَللَّهُمَّ اَشهد أنّ معاوية لم يقتلني فيك، وإنّما يقتلني من أجل حطام الدُّنْيَا، فإنْ فعل فافعل به ما هو أهله، وإنْ لم يفعل فافعل به ما أنْتَ أهله. فقال معاوية: ويحك سببت فأبلغت، ودعوت فأحسنت، ثُمّ أمر بإخلاء سبيله»[١].

(يَا غَنِيَّ الأَغْنِيَاءِ) عن كلّ شيء، لا يستغني عنه شيء (فَاجْبُرْ فَاقَتَنَا بِوُسْعِكَ)

(١) أُنظر، مروج الذّهب: ٤٨/٣، طبعة دار الهجرة، العقد الفريد: ١٧٢/٢.

أي يسر لنا طريق الرّزق، والعيش بهدايتك، وتوفيقك. وفي الآية: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[١] (فَتَكُونَ قَدْ أَشْقَيْتَ مَنِ اسْتَسْعَدَ بِكَ) أي استعبد بنعمتك، والمعنىٰ تفضلت سُبْحَانَكَ! علىٰ عبدِك بالكثير من النّعِم حيث خلقة فـي أحسـن تـقويم، ومنحته البصر، والبصيرة، والسّمع، والبيان... إلىٰ ما لا يحصيه إلا أنْتَ، أبعد منّك عَلَيْهِ بكلّ ما أنعمت تحرقه بنارك؟.

وقد يقول قائل: إنّ ٱللَّه ليس بظلام للعبيد، وأنّه تعالىٰ عاقب من عاقب إلا بعد أنْ تمرد، وأستنكف عن طاعته، وأبىٰ أنْ يشكر ٱللَّه علىٰ نعمته، وعَلَيْهِ يكون هذا أشبه بالجرأة علىٰ العدالة الإلهية.

الجواب: ليس في هذا الخطاب جرأة، ولا عتاب، وإنّما هو فرار من عذاب ٱللَّه إلىٰ مغفرته، ومن عدله إلىٰ رَحْمَته، هو ثِقَةٌ بالله، ولطفه، ولجوء إلىٰ ظله، وكنفه... هذا إلىٰ أنّ ٱللَّه سبحانه هو الَّذِي جرأ عِبَادِهِ علىٰ الإلحاح، وطَلَب النّجدة منه بكلّ صيحة، وصرخة حيث قال، عزّ من قائل: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٢] (فَإِلَىٰ مَنْ حِينَئِذٍ مُـنْقَلَبُنَا...) وإلىٰ أيـن يـلتجيء الـمخْلُوق إلا إلىٰ خالقه؟ وإلىٰ من يذهب العبد إلا إلىٰ سَيِّده؟ وفي مزامير داود: «ارْحَمْنِي يـا رَبُّ فحتىٰ متىٰ؟»[٣].

سُبْحَانَكَ نَحْنُ الْمُضْطَرّونَ الَّذِينَ أَوْجَبْتَ إِجَابَتَهُمْ، وَ أَهْـلُ السّـوءِ الَّذِينَ وَعَدْتَ الكَشْفَ عَنْهُمْ؛ وَأَشْبَهُ الأَشْيَاءِ بِمَشِيئَتِكَ، وَأَوْلَىٰ الأُمُورِ بِكَ في عَظَمَتِكَ... رَحْمَةُ مَنِ اسْتَرْحَمَكَ، وَغَوْثُ مَنِ اسْـتَغَاثَ بِكَ؛

---

(١) الكهف: ١٠.

(٢) يوسف: ٨٧.

(٣) أُنظر، مزامير داود: السّفر الثّالث والخمسين.

فَارْحَمْ تَضَرّعَنَا إلَيْكَ، وَأغْنِنَا إذْ طَرَحْنَا أنْفُسَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ.

أَللّهُمَّ إنَّ الشّيْطَانَ قَدْ شَمِتَ بِنَا إذْ شَايَعْنَاهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِكَ، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمّدٍ وَآلِهِ، وَلا تُشْمِتْهُ بِنَا بَعْدَ تَرْكِنَا إيّاهُ لَكَ، وَرَغْبَتِنَا عَنْهُ إلَيْكَ.

(سُبْحَانَكَ نَحْنُ الْمُضْطَرّونَ...) قلت يا رَبَّ الْعَالَمِين: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[1]، وقد مسنا السُّوء، وأضطررنا إلىٰ رَحْمَتِك، وها نحن ندعوك، فاكشف عنا الْبَلاء، والضّراء كما قلت، ووعدت (وَأشْبَهُ الأشْيَاءِ بِمَشِيّتِكَ، وَأوْلَىٰ الأمُورِ بِكَ فِي عَظَمَتِكَ... رَحْمَةُ مَنِ اسْتَرْحَمَكَ...) رَحْمَة خبر لأشبه الأشياء، والمعنىٰ أنْتَ يا إلهي الْجَلاَل، والكمال المطلق الّذِي يفيض البر، والْخَيْرات علىٰ عِبَادِهِ، وقد توسلنا إليك، وسألناك أمراً هو من آثار سُلْطَانك، وإحسانك (فَارْحَمْ تَضَرّعَنَا...) يسر أمرنا، وآكشف عنا ما أنْتَ أعْلَم به منا... وسؤالنا هذا حقّ، وعدل ما دام المسؤول أهْل الجود، والفضل.

(أَللّهُمَّ إنَّ الشّيْطَانَ قَدْ شَمِتَ بِنَا إذْ شَايَعْنَاهُ عَلَىٰ مَعْصِيَتِكَ...) شمت إبليس بآدم بعد أنْ أغراه بالشجرة، ونال جزاءه بالخروج منها، ثُم تاب ءَادَمَ عن قريب، وعفا ٱللّه عما سلف... والآن قد مثّل الشّيْطَان معنا نحن أولاد ءَادَمَ نفس الدّور، وأسرفنا علىٰ أنفسنا تماماً كما أسرف الوالد، وقد تبنا كما تاب، فاصفح، وتسامح عن الأوْلاَد كما سمحتَ، وصفحتَ من قبل عن السّيد الوالد.

---

(١) النّمل: ٦٢.

الدُّعاء الحادي عشر

دُعَاؤُهُ بِخَوَاتِمِ الْخَيْرِ

يَا مَنْ ذِكْرُهُ شَرَفٌ لِلذَّاكِرِينَ، وَيَا مَنْ شُكْرُهُ فَوْزٌ لِلشَّاكِرِينَ، وَيَا مَنْ طَاعَتُهُ نَجَاةٌ لِلْمُطِيعِينَ... صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاشْغَلْ قُلُوبَنَا بِذِكْرِكَ عَنْ كُلِّ ذِكْرٍ، وَأَلْسِنَتَنَا بِشُكْرِكَ عَنْ كُلِّ شُكْرٍ، وَجَوَارِحَنَا بِطَاعَتِكَ عَنْ كُلِّ طَاعَةٍ، فَإِنْ قَدَّرْتَ لَنَا فَرَاغاً مِنْ شُغْلٍ... فَاجْعَلْهُ فَرَاغَ سَلامَةٍ، لا تُدْرِكُنَا فِيهِ تَبِعَةٌ، وَلا تَلْحَقُنَا فِيهِ سَأْمَةٌ؛ حَتَّىٰ يَنْصَرِفَ عَنَّا كُتَّابُ السَّيِّئَاتِ بِصَحِيفَةٍ خَالِيَةٍ مَنْ ذِكْرِ سَيِّئَاتِنَا، وَيَتَوَلَّىٰ كُتَّابُ الحَسَنَاتِ عَنَّا مَسْرُورِينَ بِمَا كَتَبُوا مِنْ حَسَنَاتِنَا.

معنىٰ ذِكرُ ٱللّه تعالىٰ

(يَا مَنْ ذِكْرُهُ شَرَفٌ لِلذَّاكِرِينَ) ذِكرُ ٱللّه تعالىٰ أحسن الذِكر، ما في ذٰلِكَ ريب، ولكن ما هو المُراد منه؟ وهل المطلوب، والمندوب مجرد التّسبيح باللسان، وعلىٰ حبات المسابح من غير تفكير؟

الجواب: إنّ اللّسان الَّذِي ينطق بالكذب، والْبَاطِل، والغيبة، وعيوب النّاس، قد يتفوه باسم ٱللّٰه، ويسبح لسانه بحمده، ولكن هذا في واقعه ليس من الذِكر الصّحيح في شيء؛ لأنّه مجرد كلام دار علىٰ اللّسان بحكم العادة، والمحاكاة، والذِكر الصّحيح المقبول عند ٱللّٰه هو الَّذِي ينبع من قلب تقي خاشع منقطع إلىٰ ٱللّٰه وحده، لايعرف الحسد، والأضغان علىٰ عبد من عباد ٱللّٰه، ولا الطّمع، والتّنافس علىٰ المناصب. قال رَسُول ٱللّٰه ﷺ: «ليس ذِكرُ ٱللّٰه هو سبحان ٱللّٰه، والْحَمْد لله، ولا إله إلا ٱللّٰه، والْحَمْد لله، ولا إله إلا ٱللّٰه، وٱللّٰه أكبر، ولكن إذا ورد علىٰ ما يحرم عَلَيْهِ خاف ٱللّٰه عزّ وجلّ عنده، وتركه»[١]. وقال الإمام الصَّادِق ﵇: «من قال لا إله إلا ٱللّٰه مخلصاً دخل الْجَنَّة، وإخلاصه أنْ يحجزه قول لا إله إلا ٱللّٰه عما حرم ٱللّٰه»[٢].

وإنْ قال قائل: إنّ الآية: ﴿ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[٣]، مطلقة وغير مقيدة.

قلنا في جوابه: أجل؟ ولكن الذِكر درجات متفاوتات، وأعلاها ما ذَكَرهُ ٱلرَّسُول الأعظم ﷺ، والإمام الصَّادِق﵇.

(وَيَا مَنْ شُكْرُهُ فَوْزٌ لِلشَّاكِرِيْنْ) المُراد بالشاكرين المُطيعون لله بقرينة الفوز، قال سبحانه: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[٤] (وَيَا مَنْ طَاعَتُهُ نَجَاةٌ

---

(١) أُنظر، من لا يحضره الفقيه: ٤ / ٣٥٨، مصادقة الإخوان للصدوق: ٣٨ ح ٥، الخصال: ١٢٥ ح ١٢٢.

(٢) أُنظر، توحيد الصّدوق: ٢٧، مسند زيد بْن عليّ: ١٧٦، كنز العمال: ١/٦٠ ح ٢٠٣ و ٢٠٥ و ٢٠٦، مجمع الزّوائد: ١/١٧، المعجم الأوسط: ٢/٥٦، المعجم الكبير: ٥/١٩٧ و: ٢٠/٤٨، الدُّعاء للطبراني: ٤٣٢.

(٣) الأحزاب: ٤١.

(٤) آل عمران: ١٨٥.

لِلْمُطِيعِينَ) عطف تفسير (وَاشْغَلْ قُلُوبَنَا بِذِكْرِكَ) عن ذِكر الدُّنيَا، وزينتها، والنّاس وعيوبهم، ولا أعرف مجلساً خلا من نغمة الهمز، واللّمز إلا ما ندر! وهل من أحد أشد فسقاً، ونفاقاً ممن يلغِ، ويرتع في أعراض النّاس، وهو يدعي الإيْمَان بـالله، وكتابه، واليوم الآخر، وحسابه؟

(وَأَلْسِنَتَنَا بِشُكْرِكَ عَنْ كُلِّ شُكْرٍ) وشُكر الألسنة، والأقلام لله سبحانه أنْ تنشر العلم، والوعي، وتعلن الْحَقّ بأمانة بلا تزييف، وتحريف، وأنْ تقاوم الْبَغْي، والفساد في ٱلأرْض، وتفضح كلّ إنتهازي، ومنافق يتستر وراء الشّمارات الزّائفة. أمّا قـال الإمام: «عَنْ كُلِّ شُكْرٍ» فهو إشارة إلىٰ عِبَادَة أهْـل الجـهالة، والضّـلالة الّـذين يدينون بالكتب المنسوبة إلىٰ وحي السّماء كذباً، وٱفتراءً، وغيرها من كُتُب الضّلال الّتي تُفلسف الإلْحَاد، والتّحرر من كلّ قيمةٍ، وفضيلة.

(وَجَوَارِحَنَا بِطَاعَتِكَ عَنْ كُلِّ طَاعَةٍ) الجوارح: الأعضاء، ومـن ٱستعمل كـلّ عضو منه فيما خَلَق له فقد أطاع ٱللّٰه، وأدىٰ أمانته بالكامل. وسبق مـثله[1] (فَإنْ قَدَّرْتَ لَنَا فَرَاغاً مِنْ شُغْلٍ...)كلّ شيء يقاس، ويقدر بما له من أثر شغلاً أم فراغاً، فالفراغ من العمل خير من صفقة خاسرة، وفعل يستحي منه فاعله. وأثبت عالم من علماء الإجتماع بالحسّ، والتّجربة أنّ مواد القراءة، والدّارسة الّتي توجه ٱلإنسَان إلىٰ العمل، والكفاح لمنفعته، ومنفعة الآخرين هي وحدها السّبيل إلىٰ حياة أفْضَل، وأكمل. وتَقَدَّمَ الكلام عن الفراغ[2]. (كُتَّابُ السَّيِّئَاتِ) والْحَسَنَات، وهم المَـلائِكَة الّذين يسجلون علىٰ ابن ءَادَمَ أقواله، وأفعاله، وسبق الحديث عنهم[3].

(١) أُنظر، شرح الدُّعاء: رقم (٨).
(٢) أُنظر، شرح الدُّعاء: رقم (٥).
(٣) أُنظر، شرح الدُّعاء: رقم (٣و ٦).

وَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُ حَيَاتِنَا، وَتَصَرَّمَتْ مُدَدُ أَعْمَارِنَا، وَاسْتَحْضَرَتْنَا دَعْوَتُكَ الَّتِي لا بُدَّ مِنْهَا، وَمِنْ إِجَابَتِهَا... فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ خِتَامَ مَا تُحْصِي عَلَيْنَا كَتَبَةُ أَعْمَالِنَا... تَوْبَةً مَقْبُولَةً لا تُوقِفُنَا بَعْدَهَا عَلَىٰ ذَنْبٍ اجْتَرَحْنَاهُ، وَلا مَعْصِيَةٍ اقْتَرَفْنَاهَا، وَلا تَكْشِفْ عَنَّا سِتْراً سَتَرْتَهُ عَلَىٰ رُؤُوسِ الأَشْهَاد... يَوْمَ تَبْلُو أَخْبَارَ عِبَادِكَ، إِنَّكَ رَحِيمٌ بِمَنْ دَعَاكَ، وَمُسْتَجِيبٌ لِمَنْ نَادَاكَ.

الْمَوْت

(وَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُ حَيَاتِنَا) لا شيء أقرب إلىٰ ٱلإنسان من الْمَوْت، بل هو في الطّريق إليه منذُ ولد، وأيضاً لا شيء يدفعهُ، أو يُرجئه، ويؤخره لحظة عن الأجَل الموعود... بلىٰ، يمكن التّعجيل ولكن بالإنتحار ﴿حِكْمَةُۢ بَـٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾[1]، والْمَوْت أوّل ساعة من الآخرة، وآخر ساعة من الدُّنْيَا، وبها تختم الحياة الأولىٰ. والإمام﵇ يسأله تعالىٰ، ويقول له: اجْعَلْ هَٰذِهِ السّاعة (خِتَامَ مَا تُحْصِي عَلَيْنَا كَتَبَةُ أَعْمَالِنَا... تَوْبَةً مَقْبُولَةً) سجل علينا المَلائِكَة الكاتبون ما ٱقترفناه من الذُّنُوبِ، ومساوىء الأعمال، ثُم ندمنا، وتبنا إلىٰ ٱللّٰه، وسألناه الصّفح، فاستجاب، وعفا عما سلف، وأصبحنا كمن لا ذنب له تماماً كما خلقنا، وهو سبحانه المسؤول أنْ يميتنا علىٰ هَٰذِهِ الحال، ويرجع إليه أنفسنا ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[2].

(لا تُوقِفُنَا بَعْدَهَا عَلَىٰ ذَنْبٍ اجْتَرَحْنَاهُ) لا توقفنا: لا تحاسبنا من الوقوف بين يدي ٱللّٰه للحساب، واجترحناه: فعلناه، وبعدها أي بعد التَّوْبَة المقبولة، والمعنىٰ

---

(١) ٱلْقَمَر: ٥.

(٢) الفجر: ٢٨.

نسألك أَللَّهُمَّ الهداية، والتّوفيق إلىٰ ترك الذُّنُوبِ كيلا نقف بين يديك للحساب، علىٰ ما تكره، ومثله تماماً قولك لمن لا شيء له عَلَيْكَ: لا تطلبني بدين. وبتعبير أهْل المنطق: سالبة بانتفاء الموضوع، والدّليل علىٰ إرادة هذا المعنى قولة بلا فاصل: (وَلا مَعْصِيَةٍ اقْتَرَفْنَاهَا) ولا عقاب بلا معصية (وَلا تَكْشِفْ عَنَّا سِتْراً سَتَرْتَهُ عَلَىٰ رُؤُوسِ الأَشْهَادِ) جمع شاهد أي حاضر، والمعنىٰ صفحت أَللَّهُمَّ، وغفرت، وإذن لا موجب للفضيحة، وكشف العورة أمام أهْل المحضر (يَوْمَ تَبْلُو أَخْبَارَ عِبَادِكَ) تكشف سترهم علىٰ رؤوس الأشهاد لتميز بين الطّيب، والخبيث: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾[1].

(١) آل عمران: ١٧٩.

الدُّعاء الثّاني عشر

دُعَاؤُهُ فِي الاِعْتِرَافِ

أَللَّهُمَّ إِنَّهُ يَحْجُبُنِي عَنْ مَسْأَلَتِكَ خِلاَلٌ ثَلاَثٌ، وَتَحْدُونِي عَلَيْهَا خَلَّةٌ وَاحِدَةٌ، يَحْجُبُنِي أَمْرٌ أَمَرْتَ بِهِ... فَأَبْطَأْتُ عَنْهُ، وَنَهْيٌ نَهَيْتَنِي عَنْهُ... فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ؛ وَنِعْمَةٌ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ... فَقَصَّرْتُ فِي شُكْرِهَا، وَيَحْدُونِي عَلَى مَسْأَلَتِكَ... تَفَضُّلُكَ عَلَى مَنْ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ إِلَيْكَ، وَوَفَدَ بِحُسْنِ ظَنِّهِ إِلَيْكَ، إِذْ جَمِيعُ إِحْسَانِكَ تَفَضُّلٌ، وَإِذْ كُلُّ نِعَمِكَ ابْتِدَاءٌ.

مثالٌ واحدٌ

كنتُ ما زلتُ أشتري الصَّحِيفَة السَّجاديَّة، وأُهديها لبعض شيوخ الأزهر، أو الأُدباء، أو الرّوحيين من رجال الكنيسة، وبالأمس القريب أهديتُها لصُحفي معروف، جرىٰ بيننا حديث حول الدّين، ومنذ عشرين عاماً ـ علىٰ التّقريب ـ أهديتها للمؤلف الإسلامي الشّهير فضيلة الشّيخ مُحمّد الغزالي، وبعد أمدٍ غيرُ قصير نشر كتابه القيم «مع ٱللّه» فرأيت فيه هذا الدُّعاء بالكامل الَّذِي أتعرض له مع دُعَاء

آخر رقم (١٦) من أدعية الصَّحِيفَة منسوبين إلىٰ الإمام السّجاد، وسَيِّد العباد، ثُم التقيت بعد ذٰلِكَ بأحد شيوخ الأزهر في بيروت، فقال لِي من جملة ما قال: ما قرأت في حياتي مثل هَذِهِ المناجاة في أي كتابٍ، ولا سمعتها من أحدٍ.

(أَللَّهُمَّ إِنَّهُ يَحْجُبُنِي عَنْ مَسْأَلَتِكَ خِلاَلٌ ثَلاثٌ، وَتَحْدُونِي عَلَيْهَا خَلَّةٌ وَاحِدَةٌ) من كان له إلىٰ اللَّه حاجة فليمهد ـ قبل ذكرها ـ بذِكر ما أنعم اللَّه عَلَيْهِ، وبالتَّقْصِير في شكره تعالىٰ، وطاعته، وإنّه ليس بأهلٍ لشيء من فضله، ولكن اللَّه سبحانه هو أهْل الجود، والرَّحْمَة. ومن هنا تضرع الإمام ﷺ لله تعالىٰ قبل أنْ يسأله شيئاً، وقال: أعترف يا مولاي أنّ في خصال ثلاث تفرض عليّ أنْ لا أطلَب منك أية حاجة:

١ ـ (أَمْرٌ أَمَرْتَ بِهِ... فَأَبْطَأْتُ عَنْهُ) وكان عليّ أنْ أُسرع إليه.

٢ ـ (وَنَهْيٌ نَهَيْتَنِي عَنْهُ... فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ) بدلاً من الإحجام عنه.

٣ ـ (وَنِعْمَةٌ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ... فَقَصَّرْتُ فِي شُكْرِهَا) فبأيْ لسان أسألك، وأرجوك؟ وبأيْ عمل أستشفع إليك؟.

أجل، هناك شيء واحد يبعثني (وَيَحْدُونِي عَلَىٰ مَسْأَلَتِكَ) وهو (تَفَضُّلُكَ عَلَىٰ مَنْ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ إِلَيْكَ) توجهَ بإخلاص، وانقطعَ إليك وحدك لا شريك لك (وَوَفَدَ بِحُسْنِ ظَنِّهِ إِلَيْكَ) رجاك، وهو علىٰ يقينٍ بأنّك أكرم مرجوٍ، وخير مأمول (إِذْ جَمِيعُ إِحْسَانِكَ تَفَضُّلٌ) لا إستحقاق (وَإِذْ كُلُّ نِعَمِكَ ابْتِدَاءٌ) لا عوض، ومعوض، ولكن أنْتَ كتبت علىٰ نفسك الثّواب، والجزاء بقولك، ووعدك ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾[1].

المعصوم، والإعْتِرَاف بالذنب

وتسأل: ماذا أراد الإمام ﷺ بقوله لله تعالىٰ: أُمرت فلم أأتمر، ونهيت فلم أنته،

---

(١) الزّلزلة: ٧. أُنظر، الدُّعاء العاشر فقرة «الثّواب تفضل، أو إستحقاق؟» ﷺ.

وأنعمت فلم أشكر، علماً بأنّه معصوم عن الخطأ، والْخَطِيئة؟.

وقرأت خمسة أجوبة عن هذا السّؤال، أتركها لمن أرادها، وأُجيب بأنّ المعصوم يؤكد بكلّ أُسلوب لمن يعتقدون بعصمته أنّه بشر مثلهم كيلا يقولوا فيه ما قاله النّصارىٰ بالسيّد المسيح. ومن ذٰلِكَ الاِعْتِرَاف بالذنب هذا إلىٰ أنّ الإمام يذلل نفسه باتمامها ومحاسبتها، لأنّ هذا التّذليل ضرب من العبادة، والرّياضة النّفسية، قال الإمام أمير الْمُؤْمِنِين : «وإنّما هي نَفْسِي أروضها بالتقوىٰ لتأتي آمنة يَوْم الخوف الأكبر»[1] وما من شكّ أنّ نفسه الزّكية آمنة، ولكن بمحاسبتها، وبخوفها من يَوْم الخوف بشهادة قوله: «من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن خاف أمن»[2]. وأيضاً قال: «يا أيها النّاس، إنّي وَاللّٰه لا أحثكم علىٰ طاعة إلا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلا وأتناهىٰ قبلكم عنها»[3].

فَهَا أَنَا ذَا... يَا إِلٰهِي... وَاقِفٌ بِبَابِ عِزِّكَ وُقُوفَ الْمُسْتَسْلِمِ الذَّلِيلِ، وَسَائِلُكَ عَلَىٰ الْحَيَاءِ مِنّي سُؤَالَ البَائِسِ الْمُعِيلِ، مُقِرٌّ لَكَ بِأَنّي لَمْ أَسْتَسْلِمْ وَقْتَ إِحْسَانِكَ إِلاَّ بِالإِقْلاعِ عَنْ عِصْيَانِكَ، وَلَمْ أَخْلُ فِي الْحَالاتِ كُلِّهَا مِنِ امْتِنَانِكَ؛ فَهَلْ يَنْفَعُنِي يَا إِلٰهِي! إِقْرَارِي عِنْدَكَ بِسُوءِ مَا اكْتَسَبْتُ؟ وَهَلْ يُنْجِينِي مِنْكَ اعْتِرَافِي لَكَ بِقَبِيحِ مَا ارْتَكَبْتُ؟ أَمْ

---

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٣/٧١، من كِتَاب له إلىٰ عثمان بن حنيف، رقم (٤٥)، شرح النّهج للمعتزلي: ١٦/٢٠٨.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ٤/٤٧، الحكمة (٢٠٨)، شرح النّهج للبحراني: ٥/٣٤٨، شرح النّهج للمعتزلي: ١٩/٢٨.

(٣) أُنظر، عيون الحكم والمواعظ: ١٦٩، غرر الحكم: رقم (٣٧٨١)، شرح النّهج لعبده: ١/٣٤٥ طبعة مصر.

أَوْجَبْتَ لِي فِي مَقَامِي هَذَا سُخْطَكَ ؟ أَمْ لَزِمَنِي فِي وَقْتِ دُعَائِي مَقْتُكَ ؟.

سُبْحَانَكَ لا أَيْئَسُ مِنْكَ، وَقَدْ فَتَحْتَ لِيَ بَابَ التَّوْبَةِ إِلَيْكَ.

(فَهَا أَنَا ذَا ... يَا إِلَهِي ... وَاقِفٌ بِبَابِ عِزِّكَ) لا ئذ بعزتك الّتي ليس كمثلها شيء، وبقدرتك الّتي لا يعجزها شيء (وُقُوفَ الْمُسْتَسْلِمِ) لأمرك المجيب لدعوتك (وَسَائِلُكَ عَلَىٰ الْحَيَاءِ) لما سبق من غفلتي، وإهمالي (سُؤَالَ الْبَائِسِ الْمُعِيلِ) أي اَلْفَقِيرِ، والبائس مرادف له (مُقِرٌّ لَكَ بِأَنّي لَمْ أَسْتَسْلِمْ وَقْتَ إِحْسَانِكَ إِلاَّ بِالإِقْلاعِ عَنْ عِصْيَانِكَ) أُقر يا إلهي، وأعترف أنّك أنعمت عليّ، وتفضلت، وإنّي ما عبدتك إلا فراراً من عقابك تماماً ـ علىٰ الأقل ـ لما أسديت، وأعطيت. قال الإمام أمير الْمُؤْمِنِين ﷺ: «لو لم يتوعد اَللّه علىٰ المعصية لكان يجب أنْ لا يعصىٰ شكراً لنعمه»(١).

(وَلَمْ أَخْلُ فِي الْحَالاتِ كُلِّهَا مِنِ امْتِنَانِكَ) أي إنعامك، وإحسانك، والمعنىٰ أنّ عناية اَللّه بيّ، ونعمته عليّ قائمة في شتىٰ الأحوال شاكراً، ومقصراً (فَهَلْ يَنْفَعُنِي يَا إِلَهِي ...) وينجيني من غضبك، وعذابك التّوسل إليك، والاِعْتِرَاف بين يديك بالخطإ، والْخَطِيئة، وطَلَب العفو، والرَّحْمَة، أم أنّك قضيت بعذابي في كلّ حال، ولا ينفعني الفرار منه إليك، ولا الثّقة برحمتك، ومغفرتك؟ (سُبْحَانَكَ لا أَيْئَسُ مِنْكَ، وَقَدْ فَتَحْتَ لِيَ بَابَ التَّوْبَةِ) في نهج البلاغة: «ما كان اَللّه ليفتح علىٰ عبد باب الشُّكْرِ، ويغلق عنه باب الزّيادة، ولا ليفتح علىٰ عبد الدُّعاء، ويغلق عنه باب الإجابة، ولا يفتح لعبد باب التَّوْبَة، ويغلق عنه باب المغفرة»(٢)... «ما أهمني ذنب

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٤/٧٠، الحكمة (٢٩٠)، عيون الحكم والمواعظ: الحكمة (٤١٧)، شرح النّهج للمعتزلي: ١٩/١٩١.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ٤/١٠٢، الحكمة (٤٣٥).

أُمهلت بعده حتّىٰ أُصلي ركعتين، وأسأل اَللّٰه اَلْعَافِيَة»[١] وقال رجل لرابعة العدوية: « قد عصيت اَللّٰه، فهل يقبل توبتي؟ فقالت له: ويحك إنّه يدعو المُدبرين عنه فكيف لايقبل المقبلين عَلَيْهِ» !![٢].

بَلْ أَقُولُ: مَقَالَ الْعَبْدِ الذَّلِيلِ الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ الْمُسْتَخِفِّ بِحُرْمَةِ رَبِّـهِ، الَّذِي عَظُمَتْ ذُنُوبُهُ فَجَلَّتْ، وَأَدْبَرَتْ أَيَّامُهُ فَوَلَّتْ.

حَتَّىٰ إِذَا رَأَىٰ مُدَّةَ الْعَمَلِ قَدِ انْقَضَتْ، وَغَايَةَ الْعُمُرِ قَدِ انْتَهَتْ؛ وَأَيْقَنَ أَنَّهُ لا مَحِيصَ لَهُ مِنْكَ، وَلا مَهْرَبَ لَهُ عَنْكَ...

تَلَقَّاكَ بِالإِنَابَةِ، وَأَخْلَصَ لَكَ التَّوْبَةَ، فَقَامَ إِلَيْكَ بِقَلْبٍ طَاهِرٍ نَقِيٍّ، ثُمَّ دَعَاكَ بِصَوْتٍ حَائِلٍ خَفِيٍّ؛ قَدْ تَـطَأْطَأَ لَكَ فَـانْحَنَىٰ، وَنَكَّسَ رَأْسَـهُ فَانْثَنَىٰ؛ قَدْ أَرْعَشَتْ خَشْيَتُهُ رِجْلَيْهِ، وَغَرَّقَتْ دُمُوعُهُ خَدَّيْهِ...

يَدْعُوكَ بِـ: يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَيَا أَرْحَمَ مَنِ انْتَابَهُ الْـمُسْتَرْحِمُونَ، وَيَا أَعْطَفَ مَنْ أَطَافَ بِهِ الْمُسْتَغْفِرُونَ؛ وَيَا مَنْ عَفْوُهُ أَكْثَرُ مِنْ نِقْمَتِهِ، وَيَا مَنْ رِضَاهُ أَوْفَرُ مِنْ سَخَطِهِ، وَيَا مَـنْ تَـحَمَّدَ إِلَىٰ خَـلْقِهِ بِـحُسْنِ التَّجَاوُزِ، وَيَا مَنْ عَوَّدَ عِبَادَهُ قَبُولَ الإِنَابَةِ، وَيَا مَنِ اسْتَصْلَحَ فَاسِدَهُمْ بِالتَّوْبَةِ، وَيَا مَنْ رَضِيَ مِنْ فِعْلِهِمْ بِـالْيَسِيرِ، وَيَـا مَـنْ كَـافَأَ قَـلِيلَهُمْ

---

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٤/٧٢، الحكمة (٢٩٩)، دعـوات الرّاوندي: ١٢٠ رقـم (٢٨٧)، بـحار الأنوار: ٧٦/٣٢٣.

(٢) رابعة العدوية، البصرية، الزّاهدة، العابدة، الخاشعة، أُمّ عمرو، رابعة بنت إسماعيل قرة العين للعرفاء، والصّوفية، عاشت ثمانين سَنَة، وتوفيت (١٣٥ أو ١٨٠). أُنظر، صفة الصّـفوة لابـن الجوزي: ٤/٣٠٠، طبقات الأولياء: ٣٥، شذرات الذّهب: ٢/١١٠، النّجوم الزّاهرة.

بِالْكَثِيرِ، وَيَا مَنْ ضَمِنَ لَهُمْ إِجَابَةَ الدُّعَاءِ، وَيَا مَنْ وَعَدَهُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِتَفَضُّلِهِ ... حُسْنَ الْجَزَاءِ.

مَا أَنَا بِأَعْصَىٰ مِنْ عَصَاكَ فَغَفَرْتَ لَهُ، وَمَا أَنَا بِأَلْوَمِ مَنِ اعْتَذَرَ إِلَيْكَ فَقَبِلْتَ مِنْهُ، وَمَا أَنَا بِأَظْلَمِ مَنْ تَابَ إِلَيْكَ فَعُدْتَ عَلَيْهِ.

(بَلْ أَقُولُ: مَقَالَ الْعَبْدِ الذَّلِيلِ الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ) قال رجل لأبي ذر ﷺ: «عِظني. فقال له: لا تسيء إلىٰ نفسك. قال الرّجل: وهل من أحدٍ يسيء إلىٰ نفسه. قال: كلّ من تعاطىٰ أمراً يُعاقب عَلَيْهِ فقد ظلم نفسه، وأساء إليها»[1]. وعَلَيْهِ فكلنا ظَالِم لنفسه حتّىٰ المظلوم يشارك من ظلمه في الإثم إلا أنْ يستميت دون حقه، ولو علم الظّالم أنّ المظلوم يقاومه إلىٰ نفسه الأخير لتحاماه، وكَفّ عنه، ولم يكن للظالم عين، ولا أثر، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2] يعم، ويشمل من سكت عن ظالمه، وهو قادر علىٰ مقاومته بطريقٍ، أو بآخر مشروع عقلاً، وشرعاً.

(الْمُسْتَخِفِّ بِحُرْمَةِ رَبِّهِ) حيث ترك ما أوجب، وفعل ما حرم (الَّذِي عَظُمَتْ ذُنُوبُهُ) عطف بيان، أو بدل من العبد (فَجَلَّتْ) عطف تفسير علىٰ عظمت (وَأَدْبَرَتْ أَيَّامُهُ) وقَرُب حِمامه (حَتَّىٰ إِذَا رَأَى مُدَّةَ الْعَمَلِ) الصّالح الرّابح (قَدِ انْقَضَتْ) وانقطع الأمل في تدارك ما فات (وَغَايَةَ الْعُمُرِ قَدِ انْتَهَتْ) تكرار، وتوكيد لما قبله (وَأَيْقَنَ أَنَّهُ لا مَحِيصَ لَهُ مِنْكَ ...) جواب إذا رأىٰ مدة العمر، والإنابة هنا: الرّجوع إلىٰ اللّه

---

(١) هو جندب بن جنادة، الصّحابي الورع، الزّاهد، أبو ذر الغفاري ﷺ، (ت ٣٢ هـ) في خلافة عثمان بن عفان بالربذة، له كِتَاب الخطبة يشرح فيها الأُمُور بعد رَسُول اللّه ﷺ، ذكر ذلِكَ الطّوسي في فهرسته: ٤٥، أخبار أبي ذر الغفاري.

(٢) يونس: ٤٤.

تعالىٰ بتوبة خالصة مخلصة.

(فَقَامَ إِلَيْكَ بِقَلْبٍ طَاهِرٍ نَقِيٍ) يحب لغيره ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لها (ثُمَّ دَعَاكَ بِصَوْتٍ حَائِلٍ خَفِيٍ) والمُراد بالحائل هنا أنّ صوته تحوّل عن طبيعته، وعادته إلىٰ التّذلُّل، والتّضرُّع لهيبة ٱللّه وجلاله (قَدْ تَطَأْطأَ) آنخفض، وخضع، ومثله طأطأ كلّ شريف لشرفه (وَنَكَّسَ رَأْسَهُ) طأطأه ذليلاً (قَدْ أَرْعَشَتْ خَشْيَتُهُ رِجْلَيْهِ...) الرّعشة: الرّجفة، والرّعْدة، والمعنىٰ آستولت عَلَيْهِ الخشية من ٱللّه، فأرعشت رجليه، وأبكت عينيه... يستغيث برحمته تعالىٰ، ويستنجد برأفته، ويكرر مردداً: يا إله الْعَالَمِين، يا مجير الخائفين (يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَيَا أَرْحَمَ مَنِ انْتَابَهُ) أي أتاه المرة تلو المرة (الْمُسْتَرْحِمُونَ) طالبوا الرَّحْمَة (مَنْ أَطَافَ بِهِ) من أحاط به (الْمُسْتَغْفِرُونَ) وهم الّذين يطلبون منه المغفرة.

(وَيَا مَنْ عَفْوُهُ أَكْثَرُ مِنْ نِقْمَتِهِ) كلّ حليم يعفو، ويغفر؛ لأنّ العفو، والمغفرة ثمرة الحلم، وأثر من آثاره، وقد وصف سبحانه نفسه في العديد من آيات كتابه العزيز بقوله: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وكلمة غَفُورٌ للمبالغة، تومىء إلىٰ أنّ الّذين يشملهم ٱللّه بعفوه من المذنبين أكثر بكثير من الّذين ينتقم منهم بعدله (وَيَا مَنْ رِضَاهُ أَوْفَرُ مِنْ سَخطِهِ) لا يسرع إلىٰ الانتقام ممن يستحقه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾[2]، وقيل للإمام السّجاد ﷺ: «إنّ الحَسن البصري قال: ليس العجب ممن هَلَك كيف هَلَك، وإنّما العجب ممن نجا كيف نجا؟ قال الإمام ﷺ أمّا أنا فأقول: ليس العجب من نجا كيف نجا؟، وإنّما العجب ممن هَلَك كيف هَلَك؟ مع سعة رَحْمَة ٱللّه»[3]. وهذا القول من الإمام ﷺ وحي من الوحي الّذي

(١) ٱلْبَقَرَة: ٢١٨.

(٢) فاطر: ٤٥.

(٣) أُنظر، أمالي المرتضىٰ: ١/١١٣، بحار الأنوار: ٧٥/١٥٣، إعلام الورىٰ بأعلام الهدىٰ:

قال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً﴾[١] ...﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾[٢].

(وَيَا مَنْ تَحَمَّدَ إِلىٰ خَلْقِهِ بِحُسْنِ التَّجَاوُزِ) الَّذِي يستوجب الشُّكْر، والْحَمْد (وَيَا مَنْ عَوَّدَ عِبَادَهُ قَبُولَ الإِنَابَةِ) هو سبحانه عوّد عَلَيْهِ عِبَادِه، وأغراهم، والرّجوع إليه حيث فتح بابه لكلّ داخل، وٱسْتِجَابَ لكلّ سائل، وفي الحديث: «إنّ ٱللّه لا يمل حتّىٰ تملوا»[٣]. وفيه أيضاً: «كلّما عاد الْمُؤْمِن إلىٰ ٱللّه بالاستغفار عاد ٱللّه عَـلَيْهِ بالمغفرة، إنّ ٱللّه غَفُورٌ رَّحِيمٌ»[٤] (وَيَا مَنِ اسْتَصْلَحَ فَاسِدهُمْ بِالتَّوْبَةِ) داوىٰ سبحانه أسقام الذُّنُوب بدواء التّوبه (وَيَا مَنْ رَضِيَ مِنْ فِعْلِهِمْ بِالْيَسِير، وَيَا مَنْ كَافَأَ قَلِيلَهُمْ بِالْكَثِيرِ) كفهم دون مايطيقون، وأعطاهم فوق ما يستحقون: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَايَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾[٥]، (وَيَا مَنْ ضَمِنَ لَهُمْ إِجَابَةَ الدّعَاءِ) بقوله: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٦] (وَيَا مَنْ وَعَدَهُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِتَفَضّلِهِ ... حُسْنَ الْجَزَاءِ) وجاء هذا الوعد في الآية :﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾[٧].

(مَا أَنَا بِأَعْصَىٰ مِنْ عَصَاكَ...) بعد هَذِهِ الاستغاثة اللاهفة الخائفة تضرع الإمامؑ لخالقه وقال: أنا يا إلهي عاصٍ، وملوم، ولكن ذنبي يحمل العفو منك،

⇐ ٤٨٩/١.

(١) غافر: ٧.

(٢) الأعراف: ١٥٦.

(٣) أُنظر، مسند أحمد: ٥١/٦، صحيح البخاري: ١٧/١، صحيح مسلم: ٥٤٢/١ ح ٢٢١، سنن النّسائي: ٢١٨/٣.

(٤) أُنظر، الكافي: ٤٣٤/٢، شرح أُصول الكافي: ١٧٠/١٠، وسائل الشّيعة: ٣٦٣/١١ ح ١.

(٥) يونس: ٢٦.

(٦) غافر: ٦٠.

(٧) آل عمران: ١٩٥.

ويتسع له؛ لأنّي ـ كما تعلم ـ ما شردت شعباً برجاله، ونسائه، وأطفاله، ولا دمرت بلداً من بلاد خَلْقِك، وعبادك، ولا أثرت حرباً لكسب المزيد من المال، والثّراء، ولا ظاهرت ظالماً علىٰ ظلمهِ، أو قبضت منه كثيراً، أو قليلاً... وإذن فما أنا بأعصىٰ العصاة كيلا تسمح، وتصفح.

أَتُوبُ إِلَيْكَ فِي مَقَامِي هَذَا... تَوْبَةَ نَادِمٍ عَلَىٰ مَا فَرَطَ مِنْهُ، مُشْفِقٍ مِمَّا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ، خَالِصَ الحَيَاءِ مِمَّا وَقَعَ فِيه؛ عَالِمٍ بِأَنَّ الْعَفْوَ عَنِ الذَّنْبِ العَظِيمِ لا يَتَعَاظَمُكَ، وَأَنَّ التَّجَاوُزَ عَنِ الإِثْمِ الجَلِيلِ لا يَسْتَصْعِبُكَ، وَأَنَّ احْتِمَالَ الجِنَايَاتِ الفَاحِشَةِ لا يَتَكَأَّدُكَ؛ وَأَنَّ أَحَبَّ عِبَادِكَ إِلَيْكَ مَنْ تَرَكَ الاسْتِكْبَارَ عَلَيْكَ، وَجَانَبَ الإِصْرَارَ، وَلَزِمَ الاسْتِغْفَارَ؛ وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ أَسْتَكْبِرَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُصِرَّ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا قَصَّرْتُ فِيه، وَأَسْتَعِينُ بِكَ عَلَىٰ مَا عَجَزْتُ عَنْهُ.

(أَتُوبُ إِلَيْكَ فِي مَقَامِي هَذَا) المذنب هو الهارب الآبق من طاعة ٱللّٰه، أمّا التّائب من ذنبه فهو النّادم الرّاجع إلىٰ الطّاعة المعترف بإثمه، وجرمه المصمم علىٰ التّرك، والإقلاع، والإمام ﷺ: يحث المذنب علىٰ التَّوْبَة، ويقول له: أرجع إلىٰ ربك، وأطلب العفو بقلبِ (نَادِمٍ عَلَىٰ مَا فَرَطَ مِنْهُ) شاعر من الأعماق بأنّه أهمل، وقصر، وأساء وأخطأ (مُشْفِقٍ مِمَّا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ) أي متخوف من كثرة ذنوبه (خَالِصَ الحَيَاءِ) كلّ خوفٍ، وحياء من ٱللّٰه لا من النّاس: يُسمىٰ خالص الحياء، وخالص الخوف، وصاحبه مخلصاً في دينه، وإيمانه.

(عَالِمٍ بِأَنَّ الْعَفْوَ عَنِ الذَّنْبِ العَظِيمِ لا يَتَعَاظَمُكَ) أي لا تعظم مغفرته علىٰ ٱللّٰه سبحانه، شريطة أنْ لا يكون ظلماً، وعدواناً علىٰ عباد ٱللّٰه، وعياله. فكلّ الذُّنُوبِ تحتّها التَّوْبَة، وتحرقها حتّىٰ الشّرك إلا ظلم ٱلإنسَان لأخيه ٱلإنسَان، فإنّ ٱللّٰه لا

يترك ظلامة مظلوم إلا أنْ يترك صاحبها، ويصفح. وفي سفينة البحار: «إنّ شهيداً حُبس على باب الْجَنَّة لثلاثة دراهم كانت ليهودي»(١) (وَأنَّ التَّجَاوُزَ عَنِ الإِثْمِ الْجَلِيلِ لا يَسْتَصْعِبُكَ) إلا أنْ يكون حقاً من حقوق النّاس كما أشرنا، وهَذِهِ الجملة توكيد، وتفسير للتي قبلها(وَأنَّ احْتِمالَ الجَنَايَاتِ الفَاحِشَةِ) كبائر الذُّنُوبِ (لا يَتَكَأَّدُكَ) أي لا يصعب عَلَيْكَ العفو عنها. أيضاً ما عدا العدوان على الْخَلْق، وهَذِهِ الجملة كسابقتها توكيداً، وتفسيراً.

(وَأنَّ أحَبَّ عِبَادِكَ إلَيْكَ مَنْ تَرَكَ الاسْتِكْبَارَ عَلَيْكَ) أي لا يستنكف عن سؤاله تعالى والتَّضَرُّع له (وَجَانَبَ الإصْرَارَ) على الذّنب، والمعصية (وَلَزِمَ الاسْتِغْفَارَ) داوم على طَلَب العفو، والمغفرة منه تعالى (وَأنَا أبْرَأُ إلَيْكَ مِنْ أنْ أسْتَكْبِرَ) عن الاستعانة برحمتك، واللّجوء إلى جلالك، وعظمتك (وَأعُوذُ بِكَ مِنْ أنْ أُصِرَّ) على ما تكره (وَأسْتَغْفِرُكَ لِمَا قَصَّرْتُ فِيهِ...) لقد أهملتُ الواجب، وتشاغلت عنه بلذة عاجلة زائلة، ثُمَّ أدركت عقبى التّفريط فندمت، وأتيتك متوسلاً بك إليك، فاغفر لِي ما أنْتَ أعْلَم به مِنّي، ولا تردني بالخيبة، والخسران، يا ذا الْجَلاَل، والإكرام.

أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ؛ وَهَبْ لِي مَا يَجِبُ عَلِيَّ لَكَ، وَعَافِنِي مِمَّا أسْتَوْجِبُهُ مِنْكَ، وَأجِرْنِي مِمَّا يَخَافُهُ أهْلُ الإسَاءَةِ، فَإنَّكَ مَلِيٌّ بِالعَفْوِ، مَرْجُوٌّ لِلْمَغْفِرَةِ، مَعْرُوفٌ بِالتَّجَاوُزِ؛ لَيْسَ لِحَاجَتِي مَطْلَبٌ سِوَاكَ، وَلا لِذَنْبِي غَافِرٌ غَيْرُكَ؛ حَاشَاكَ، وَلا أخَافُ عَلَىٰ نَفْسِي إلاَّ إيَّاكَ؛ إنَّكَ أهْلُ التَّقْوَىٰ وَأهْلُ المَغْفِرَةِ؛ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ،

---

(١) أُنظر، مستدرك سفينة البحار: ٢/١١٥ و ١٧٥، وقريب منه في مسند أحمد: ٥/١٣، مستدرك الحاكم: ٢/٢٥.

وَاقْضِ حَاجَتِي، وَأَنْجِحْ طَلِبَتِي، وَاغْفِرْ ذَنْبِي، وَآمِنْ خَوْفَ نَـفْسِي؛ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، وَذَٰلِكَ عَلَيْكَ يَسِيرٌ، آمِين رَبَّ العَالَمِينَ.

(وَهَبْ لِي مَا يَجِبُ عَلِيَّ لَكَ) اغفر لِي التَّقْصِير في طَاعَتِكَ، والتّهاون في أداء حقك. وقال أبو ذر حين مات ولده ذر: أَللَّهُمَّ إنّك فرضت عَلَيْهِ حقوقاً لِي، وحقوقاً لك. وقد وهبتُه حقوقي، فهب له حـقوقك. فـإنّك أولىٰ بـذلك مِـنّي، وأكـرم»[1] (وَعَافِنِي مِمّا أَسْتَوْجِبُهُ مِنْكَ) أعفني، وسلمني من العقاب الَّذِي أستحقه منك علىٰ ما فرطت، وقصرت (وَأَجِرْنِي مِمّا يَخَافُهُ أَهْلُ الإِسَاءَةِ) أنقذني من عذاب المُسيئين (فَإِنّكَ مَلِيٌّ) غني (بِالْعَفْوِ، مَرْجُوّ) مأمول (لِلْمَغْفِرَةِ) والفرق بين العفو، والمغفرة أنّ العفو إسقاط العذاب، والمغفرة السَّتْر عـلىٰ الذّنب (وَ لَيْسَ لِحَاجَتِي مَطْلَبٌ) مـحل الطّلب (سِوَاكَ) سُبْحانَكَ! (آمِين) اسم فعل مبني علىٰ الفتح بمعنىٰ اسْتَجِبْ.

(١) أُنظر، أخبار أبي ذر الغفاري.

الدّعاء الثّالث عشر

دُعَاؤُهُ فِي طَلَبِ الْحَوَائِجِ

أَللَّهُمَّ يَا مُنْتَهَىٰ مَطْلَبِ الْحَاجَاتِ، وَيَا مَنْ عِنْدَهُ نَيْلُ الطَّلِبَاتِ، وَيَا مَنْ لاَ يَبِيعُ نِعَمَهُ بِالأَثْمَانِ، وَيَا مَنْ لاَ يُكَدِّرُ عَطَايَاهُ بِالاٌمْتِنَانِ، وَيَا مَنْ يُسْتَغْنَىٰ بِهِ، وَلاَ يُسْتَغْنَىٰ عَنْهُ، وَيَا مَنْ يُرْغَبُ إِلَيْهِ وَلاَ يُرْغَبُ عَنْهُ. وَيَا مَنْ لاَ تُفْنِىٰ خَزَآئِنَهُ الْمَسَائِلُ، وَيَا مَنْ لاَ تُبَدِّلُ حِكْمَتَهُ الْوَسَائِلُ. وَيَا مَنْ لاَ تَنْقَطِعُ عَنْهُ حَوَائِجُ الْمُحْتَاجِينَ، وَيَا مَنْ لاَ يُعَنِّيهِ دُعَاءُ الدَّاعِينَ...

تَمَدَّحْتَ بِالْغَنَاءِ عَنْ خَلْقِكَ، وَأَنْتَ أَهْلُ الْغِنَىٰ عَنْهُمْ، وَنَسَبْتَهُمْ إِلَىٰ الْفَقْرِ، وَهُمْ أَهْلُ الْفَقْرِ إِلَيْكَ. فَمَنْ حَاوَلَ سَدَّ خَلَّتِهِ مِنْ عِنْدِكَ، وَرَامَ صَرْفَ الْفَقْرِ عَنْ نَفْسِهِ بِكَ فَقَدْ طَلَبَ حَاجَتَهُ فِي مَظَانِّهَا، وَأَتَىٰ طَلِبَتَهُ مِنْ وَجْهِهَا، وَمَنْ تَوَجَّهَ بِحَاجَتِهِ إِلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ جَعَلَهُ سَبَبَ نُجْحِهَا دُونَكَ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْحِرْمَانِ، وَاسْتَحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَوْتَ الإِحْسَانِ.

(أَللَّهُمَّ يَا مُنْتَهَىٰ مَطْلَبِ الْحَاجَاتِ) علىٰ المرء أنْ يسعىٰ لحاجته بمقدار جهده، فإذا سُدّت في وجهه الأبواب، وتقطعت الأسباب، رفع حاجته إلىٰ ٱللّه مباشرة، وبلا واسطة إلا الدُّعاء، والرّجاء، وهو تعالىٰ قريب مجيب (عِنْدَهُ نَيْلُ الطَّلِبَاتِ) لا أحد ينال شيئاً إلا بمشيئته تعالىٰ، وتوفيقه سواء أكان علماً، وعقلاً أم جاهاً، ومالاً أم صحةً، وأمناً، وسواء أكان بالجدّ، والكدّ أم بسبب آخر (وَيَا مَنْ لاَ يَبِيعُ نِعَمَهُ بِالأَثْمَانِ)؛ لأنّه لا يملك الّثمن، والمثمن، ولا أحد يملك معه شيئاً حتّىٰ نفسه، فعلىٰ من يبيع؟ وممن يقبض الّثمن؟ أجل ٱللّه يشتري بمعنىٰ يجزي الّذين أحسنوا بالحُسنىٰ وزيادة. وأيضاً يبيع بمعنىٰ يُحسن، ويتفضل.

(وَيَا مَنْ لاَ يُكَدِّرُ عَطَايَاهُ بِالامْتِنَانِ) إمتن عَلَيْهِ إمْتناناً بما صنع: عدد له ما فعل معه من خير.

وتسأل: كيف نفىٰ الإمتنان عنه تعالىٰ علماً بأنّه قال: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾[1]، وأيضاً قال لنبيه الأعظم: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾[2].

الجواب: المُراد بالمن في آية الحجرات، الإنعام، والتّفضل أي، بل ٱللّه أنعم عليكم، وتفضل بهدايتكم، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ فهو تعديد لما أنعم ٱللّه علىٰ نَبيّه، وتنبيه إلىٰ أنّه سيحُسن إليه فيما يأتي كما أحسن إليه فيما مضىٰ.

(وَيَا مَنْ يُسْتَغْنَىٰ بِهِ، وَلاَ يُسْتَغْنَىٰ عَنْهُ) كلّ الخلائق تتقلب في فضله تعالىٰ،

(١) الحجرات: ١٧.
(٢) الضّحىٰ: ٦ـ٨.

ولا وجود لها، ولا حول إلا به. وفي هذا المعنىٰ قول سَيِّد ٱلشُّهَدَاءِ: «ماذا وجد من فقدك؟ وما ٱلَّذِي فقد من وجدك»[١] (وَيَا مَنْ يُرْغَبُ إِلَيْهِ، وَلاٰ يُرْغَبُ عَنْهُ) هو وحده ولي الإعطاء، والمنع؛ لأنّ الأشياء كلّها في قبضته، ولا شيء عند سواه، ومن رغب عنه فماذا يصنع؟ وإلىٰ أين يذهب؟ (وَيَا مَنْ لاٰ تُفْنِىٰ خَزَآئِنَهُ الْمَسَائِلُ) جمع مسألة بمعنىٰ الحاجة، وخزائنه لا ينقص الإنفاق منها شيئاً فضلاً عن نفادها، وفنائها؛ لأنّها ليست جمعاً من هنا وهناك، بل فيضاً من الذّات اللامتناهية.

وفي نهج البلاغة: «لا يثلمهُ العطاء، ولا ينقصهُ الحباء، ولا يستنفدهُ سائل، ولا يستقصيهُ نائل»[٢].

(وَيَا مَنْ لاَ تُبَدِّلُ حِكْمَتَهُ الْوَسَائِلُ) ٱللّه فعال لما يريد، ما في ذٰلِكَ ريب، ولكنه لا يريد فعلاً، أو تركاً إلا بموجب علمه، وحكمته. فإذا ٱقتضت الحكمة الإلهية وجود شيء، أو عدمه، ثُمَّ توسل إليه الإنس، والجن أنْ يغير، ويبدل الوجود بالعدم، أو العدم بالوجود ـ يمضي، ولا يستجيب (وَيَا مَنْ لاَ تَنْقَطِعُ عَنْهُ حَوَائِجُ الْمُحْتَاجِينَ) هم يسألون الخالق سبحانه بلسان المقال، أو الحال، وهو يلبي من غير ٱنقطاع، ولو تخلىٰ عن الكون ثانية فما دونها لفسدت السّموات، وٱلأرض (وَيَا مَنْ لاَ يُعَنِّيهِ دُعَاءُ الدَّاعِينَ) يُعنّيه بتشديد النّون من العناء، والمعنىٰ لا تضايقه، وتزعجه كثرة المطالبين، السّائلين، والمتوسلين مهما كانت، وتكون.

(تَمَدَّحْتَ بِالْغَنَاءِ عَنْ خَلْقِكَ...) أَنْتَ سُبْحانَكَ! كما قلت عن نفسك غنيّ، وكمالاً، ونحن كما وصفتنا في كتابك: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ

---

(١) أُنظر، إقبال الأعمال: ٣٤٩، بحار الأنوار: ٢٢٦/٩٥.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ١٦٨/٢، الخطبة (١٩٥)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧٠/١٠.

ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[١] فاجبر فقرنا بغناك، وسد حاجتنا من جودك، وكرمك (فَمَنْ حَاوَلَ سَدَّ خَلَّتِهِ مِنْ عِنْدِكَ...) فقد رفع حاجته إلىٰ مجيب الدّعوات، وقاضي الحاجات (وَمَنْ تَوَجَّهَ بِحَاجَتِهِ إِلَىٰ أَحَدٍ...) سِواكَ فقد خابت مطالبه، وتحيرت مذاهبه. وفي دُعَاء آخر: «خاب الوافدون علىٰ غيرك، وخسر الْمُتَعَرِّضُونَ إلا لك، وضاع الملمون إلا بك، وأجدب المنتجعون إلا من أنتجع فضلك»[٢]. إياك واليأس من خالقك، وإنْ كنت مجرماً، فإنّه تعالىٰ يستجيب لكلّ من يدعوه، ويرجوه مخلصاً في دعائه، ورجائه.

أَللَّهُمَّ وَلِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ قَدْ قَصَّرَ عَنْهَا جُهْدِي، وَتَقَطَّعَتْ دُونَهَا حِيَلِي، وَسَوَّلَتْ لِيْ نَفْسِي رَفْعَهَا إِلَىٰ مَنْ يَرْفَعُ حَوَائِجَهُ إِلَيْكَ، وَلاَ يَسْتَغْنِي فِي طَلِبَاتِهِ عَنْكَ، وَهِيَ زَلَّةٌ مِنْ زَلَلِ الْخَاطِئِينَ، وَعَثْرَةٌ مِنْ عَثَرَاتِ الْمُذْنِبِينَ، ثُمَّ انْتَبَهْتُ بِتَذْكِيرِكَ لِي مِنْ غَفْلَتِي وَنَهَضْتُ بِتَوْفِيقِكَ مِنْ زَلَّتِي، وَنَكَصْتُ بِتَسْدِيدِكَ عَنْ عَثْرَتِي، وَقُلْتُ: سُبْحَانَ رَبِّي كَيْفَ يَسْأَلُ مُحْتَاجٌ مُحْتَاجاً، وَأَنَّىٰ يَرْغَبُ مُعْدِمٌ إِلَىٰ مُعْدِمٍ؟!

فَقَصَدْتُكَ يا إِلٰهِي... بِالرَّغْبَةِ، وَأَوْفَدْتُ عَلَيْكَ رَجَائِي بِالثِّقَةِ بِكَ، وَعَلِمْتُ أَنَّ كَثِيرَ مَا أَسْأَلُكَ يَسِيرٌ فِي وُجْدِكَ، وَأَنَّ خَطِيرَ مَا أَسْتَوْهِبُكَ حَقِيرٌ فِيْ وُسْعِكَ، وَأَنَّ كَرَمَكَ لاَ يَضِيقُ عَنْ سُؤَالِ أَحَدٍ، وَأَنَّ يَدَكَ

---

(١) فاطر: ١٥.

(٢) سيأتي في شرح الدُّعاء السّادس عشر. ولُنظر، مصباح المتهجد للطوسي: ٣٦٩، إقبال الأعمال: ٢٠٩/٣.

بِالْعَطايا أَعْلَىٰ مِنْ كُلِّ يَدٍ .

لمجرد التّعليم، والتّنوير

(أَللَّهُمَّ وَلِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ...) كلّنا تعرض له معضلة يعجز عن حلّها بسعيه، وجهده، فيستنجد بآخر أقوىٰ، وأقدر، والهدف الأوّل للإمام من هذا الدُّعاء الَّذِي صاغه بأسلوب الحكاية عن نفسه ـ هو التّنوير، والتّعليم لأيّ إنسان تشتد عَلَيْهِ الأزمات، وتضيق أمامه الحلقات، وإنّ واجبه في هَذِهِ الحال أنْ ينقطع إلىٰ اللّه دون سواه، وخلاصة هَذِهِ الحكاية، أو الكناية ـ علىٰ الأصح ـ أنّ حاجة قاهرة عرضت له، فسعىٰ لها سعياً جاهداً، ولما استعصت، وضاق المخرج أستنجد بواحد من النّاس، ولكن بغير جدوىٰ، وعندئذٍ تنبه بعنايته تعالىٰ إلىٰ أنّ من توكل علىٰ اللّه مخلصاً كفاه، ومن سأله واثقاً أعطاه، وأنّ أعتماده علىٰ غيره كان كبوة، وهفوة.

وإنْ قال قائل: إنّ التّعاون بين النّاس ضرورة حياتية، وظاهرة إجتماعية، وحتمية وإلا فلا زراعة، وصناعة، وبناء، وتجارة.

قُلنا في جوابه: أجل، ولكن كلّ الْخَلْق يستمدون العون من الخالق؛ لأنّه هو وحده يسهل، وييسر وسائل الإنتاج، ودواعي التّعاون، والغاية من هذا الدُّعاء أنْ لا يذهل الَمخْلُوق، ويغفل عن خالقه، ورازقه.

(وَنَهَضْتُ بِتَوْفِيقِكَ مِنْ زَلَّتِي) وهي الغفلة، والذّهول عن الخالق بالرجوع إلىٰ الَمخْلُوق (وَرَجَعْتَ وَنَكَصْتُ بِتَسْدِيدِكَ عَنْ عَثْرَتِي) النّكوص: الإحجام، والمُراد به هُنا التَّوْبَة من التّوسل بالخلق (وَقُلْتُ: سُبْحَانَ رَبِّي كَيْفَ يَسْأَلُ مُحْتَاجٌ مُحْتَاجاً؟ إلخ...) كلّ إنسان بالغاً ما بلغ من القوة، والسّلطان، والمال، فهو مفتقر إلىٰ اللّه تعالىٰ في كلّ حال، وحين، وعَلَيْهِ فمن السّفه أنْ يذهل الإنسَان عن خالقه، ويُداهن أهْل الجاه، والمال، ويتقرب إلىٰ أئِمّة الجور، والضّلال لينال شيئاً من دنياهم علىٰ

حساب دينه، وإيمانه.

(فَقَصَدْتُكَ يا إِلٰهِي بِالرَّغْبَةِ...) صرفت قَلْبِي عن سِواكَ، وتوجهت إليك وحدك لا شريك لك (وَعَلِمْتُ أَنَّ كَثِيرَ مَا أَسْأَلُكَ يَسِيرٌ فِي وُجْدِكَ) من الجدة بمعنىٰ السّعة، والغنىٰ، والقُدرة، وما من شك أنّ جميع الأشياء لدىٰ القُدرة الإلهية سواء في اليسر، ولا شيء أيسر، وأهون عليها من شيء، فكلمة «كُنْ» بها يوجد الكون، وجناح البعوضة، وهذا ما أراده الإمام بكلمة «يسير» أمّا الكثرة فهي عند السّائل دون المسؤول (وَأَنَّ خَطِيرَ مَا أَسْتَوْهِبُكَ...) عطف تكرار (وَأَنَّ كَرَمَكَ لاَ يَضِيقُ عَنْ سُؤَالِ...) السّائلين، وخزائنك لا تنفدها مطالب المحتاجين ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[1].

أَللّهُمَّ فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاحْمِلْنِي بِكَرَمِكَ عَلَىٰ التَّفَضُّلِ، وَلاَ تَحْمِلْنِي بِعَدْلِكَ عَلَىٰ الاسْتِحْقَاقِ، فَما أَنَا بِأَوَّلِ رَاغِبٍ رَغِبَ إِلَيْكَ فَأَعْطَيْتَهُ، وَهُوَ يَسْتَحِقُّ الْمَنْعَ، وَلاَ بِأَوَّلِ سَائِلٍ سَأَلَكَ فَأَفْضَلْتَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَسْتَوْجِبُ الْحِرْمَانَ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَكُنْ لِدُعَائِي مُجِيباً، وَمِنْ نِدائِي قَرِيباً، وَلِتَضَرُّعِي رَاحِماً، وَلِصَوْتِي سَامِعاً، وَلاَ تَقْطَعْ رَجَائِي عَنْكَ، وَلاَ تَبُتَّ سَبَبِي مِنْكَ، وَلاَ تُوَجِّهْنِي فِي حَاجَتِيْ هٰذِهِ وَغَيْرِهَا إِلىٰ سِوَاكَ، وَتَوَلَّنِي بِنُجْحِ طَلِبَتِي، وَقَضَاءِ حَاجَتِي، وَنَيْلِ سُؤْلِي قَبْلَ زَوَالِي عَنْ مَوْقِفِي هَذَا بِتَيْسِيرِكَ لِيَ الْعَسِيْرَ، وَحُسْنِ تَقْدِيرِكَ لِي فِي جَمِيعِ الأُمُورِ.

(١) المائدة: ٦٤.

وَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ... صَلاَةً دَائِمَةً نَامِيَةً لاَ انْقِطَاعَ لأَبَدِهَا، وَلاَ مُنْتَهَىٰ لأَمَدِهَا، وَاجْعَلْ ذٰلِكَ عَوْناً لِيْ وَسَبَباً لِنَجَاحِ طَلِبَتِي إِنَّكَ وَاسِعٌ كَرِيْمٌ. وَمِنْ حَاجَتِي يَا رَبِّ كَذَا، وَكَذَا ـ وَتَذْكُرُ حَاجَتَكَ، ثُمَّ تَسْجُدُ، وَتَقُولُ فِي سُجُودِكَ: ـ فَضْلُكَ آنَسَنِي، وَإِحْسَانُكَ دَلَّنِي، فَأَسْأَلُكَ بِكَ، وَبِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِمْ أَنْ لاَ تَرُدَّنِي خَائِباً.

(وَاحْمِلْنِي بِكَرَمِكَ عَلَىٰ التَّفَضُّلِ...) عاملني بما أنتَ أهْل له لا بما أستحق، وأصنع معي بصفاتك لا بصفاتي، وأفعالي فأنا فقير إليك، ومسكين بين يديك. وسبق الكلام عن ذٰلِكَ[1]. (فَما أَنَا بِأَوَّلِ رَاغِبٍ رَغِبَ إِلَيْكَ...) أستجار بك قبلي كثيرون فأغنتهم، وأبتهجوا، وفرحوا، وحدا بي إحسانك هذا إليهم أنْ أقف ببابك لتفيض عليّ من فضلك (وَكُنْ لِدُعَائِي مُجِيباً...) وأنت القائل بلسان نبيك صالح: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[2] (وَلِصَوْتِي سَامِعاً) أي لا تحجب أحداً عن جودك، ورَحْمَتِك وإلا فإنّ ٱللّٰه عليم بذات الصّدور، ووسوسة النّفوس.

(وَلاَ تَقْطَعْ رَجَائِي عَنْكَ) بالحرمان (وَلاَ تَبُتَّ) لا تقطع (سَبَبِي مِنْكَ) بطردي عن بابك ٱلكَرِيمِ (وَلاَ تُوَجِّهْنِي فِي حَاجَتِيْ...) هذا وما بعده عطف تفسير، وتوكيد لما قبله (وَحُسْنِ تَقْدِيرِكَ لِي فِي جَمِيعِ الأُمُورِ) المُراد هنا بحسن تقديره تعالىٰ ما يراه خيراً، وصلاحاً للعبد في دنياه، وآخرته، لا ما يراه العبد، ويطلبه (لاَ انْقِطَاعَ لأَبَدِهَا...) بل باقية ببقاء ٱللّٰه، تقدست أسماؤه (وَاجْعَلْ ذٰلِكَ عَوْناً لِيْ) ذٰلِكَ إشارة إلىٰ حسن التّقدير (إِنَّكَ وَاسِعٌ) في نعمك، وعلمك، وكرمك، وحلمك. وفي مزامير

---

(١) أُنظر، الدُّعاء العاشر: فقرة الثّواب تفضل، أو إستحقاق؟.

(٢) هود: ٦١.

داود: «الرّب لا يحقد... قويت رَحْمَته علىٰ خائفيه»[1]. (وَتَذْكُرُ حَاجَتَكَ) في الجزء الثّاني من أُصول الكافي عن الإمام الصَّادِق ﷺ: «إنّ ٱللَّه سبحانه يعلم ما يريد العبد من ربه إذا دعاه، ولكنه يحب أنْ يبث إليه الْحَوَائِج، فإذا دعوت فسمِ حاجتك»[2].

(١) أُنظر، مزامير داود: السّفر الثّالث والأربعين.

(٢) أُنظر، أُصول الكافي: ٢/٤٧٦، شرح أُصول الكافي: ١٠/٢٤٦، مَكَارِم الأَخْلاَق: ٢٧٠.

الدّعاء الرّابع عشر

دُعَاؤُهُ فِي الظُّلاَمَاتِ

يَامَنْ لاَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ أَنْبَآءُ الْمُتَظَلِّمِينَ وَيَا مَنْ لاَ يَحْتَاجُ فِي قِصَصِهِمْ إِلَىٰ شَهَادَاتِ الشَّاهِدِينَ، وَيَا مَنْ قَرُبَتْ نُصْرَتُهُ مِنَ الْمَظْلُومِينَ، وَيَا مَنْ بَعُدَ عَوْنُهُ عَنِ الظَّالِمِينَ، قَدْ عَلِمْتَ يَا إِلٰهِي مَا نَالَنِي مِنْ (فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ) مِمَّا حَظَرْتَ، وَانْتَهَكَهُ مِنِّي مِمَّا حَجَزْتَ عَلَيْهِ بَطَراً فِي نِعْمَتِكَ عِنْدَهُ، وَاغْتِرَاراً بِنَكِيرِكَ عَلَيْهِ، فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَخُذْ ظَالِمِي، وَعَدُوِّي عَنْ ظُلْمِي بِقُوَّتِكَ، وَافْلُلْ حَدَّهُ عَنِّي بِقُدْرَتِكَ، وَاجْعَلْ لَهُ شُغْلاً فِيمَا يَلِيهِ، وَعَجْزاً عَمَّا يُنَاوِيهِ.

أَللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلاَ تُسَوِّغْ لَهُ ظُلْمِي، وَأَحْسِنْ عَلَيْهِ عَوْنِي، وَاعْصِمْنِي مِنْ مِثْلِ أَفْعَالِهِ، وَلاَ تَجْعَلْنِي فِي مِثْلِ حَالِهِ.

الظّالم كافر

(يَامَنْ لاَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ أَنْبَآءُ الْمُتَظَلِّمِينَ) أي أخبار الّذين يعانون الظُّلم،

ويشتكون منه، (وَيَا مَنْ لاَ يَحْتَاجُ فِي قِصَصِهِمْ إِلَىٰ شَهَادَاتِ الشَّاهِدِينَ) لأنّه بكلّ شيء عليم، بل في العديد من الآيات ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّـٰلِمِينَ﴾(١)... ﴿وَلَاتَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾(٢). وفي أُصول الكافي عن الإمـام الصَّـادِق ﷺ: «أوحىٰ ٱللَّه إلىٰ نبي من أنبيائه في مملكة جبار من الجبارين أنْ أئت هذا الجبار فقل له: إنني لم أستعملك علىٰ سفك الدّماء، وأتخاذ الأمـوال، وإنّـما أسـتعملتك لتكف عنّي أصوات المظلومين فإنّي لم أدع ظلامتهم، وإنْ كانوا كفاراً»(٣). لأنّ الظُّلم قبيح بالذات تماماً كنتانة الجيفة، وقذارتها. وفي حديث آخر: «من أذنب غير معتدٍ علىٰ النّاس كانَ للعفو أهلاً»(٤)؛ لأنّه أساء إلىٰ نفسه دون سواها. وفي حديث ثالث عن النّبيﷺ: «وٱللَّه لا يؤمنون، وٱللَّه لا يؤمنون، وٱللَّه لا يؤمنون. فقيل: مَن هُم يا رَسُول ٱللَّه؟ قال: من لا يأمن جاره بوائقه»(٥) أي يبيح لنفسه الإساءة إلىٰ جاره، ولا يبيح لجاره أنْ يسيء إليه. وفي رابع: «مَن أعان ظالماً علىٰ ظلمه، وهو يعلم أنّه ظَالِم، فقد برىء من الإسْلاَم»(٦). حيث شاركه في الظُّلم، والعدوان. وفـيالآيـة: ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾(٧) ولنا أنْ نقول ـ أستناداً إلىٰ هَٰذِهِ الأدلة وغيرها ـ أنّ

(١) ٱلْبَقَرَة: ٩٥.

(٢) إبراهيم: ٤٢.

(٣) أُنظر، الكافي: ٢/٣٣٣ح ١٤.

(٤) أُنظر، نزهة النّاظر وتنبيه الخاطر للحلواني: ١٠٧ ح ٨، أعلام الدّين: ١٨٩، بحار الأنوار: ٢٧٧/٧٨ ح ١١٣.

(٥) أُنظر، كِتَاب الزّهد لحسين بْن سعيد الكوفي: ٤٢، الكافي: ٦/١، شرح أُصول الكافي: ١٤٩/١١.

(٦) أُنظر، نوادر الرّاوندي: ١٢٨، كنزالعمال: ٩٢/١٦ح ٤٣٩٤٥، بحارالأنوار: ٣٧٩/٧٥ح ٤١.

(٧) ٱلْبَقَرَة: ٢٥٤.

من يتعمد الظُّلم يُعامل معاملة الكافر في الآخرة، ومعاملة المُسلم في الدُّنْيَا إنْ نطق بالشهادتين.

وقال عالم متمكن في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾[1]، قال هذا العالم: المُراد بـ﴿ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ الظَّلمة من المسلمين؛ لأنّ الكلام في التَّوْبَة، والّذين يموت علىٰ الكفر لم يتب كما هو الفرض. وعَلَيْهِ يكون معنىٰ الآية أنّ ٱللَّه لا يقبل التَّوْبَة ممن حضره الْمَوْت، ولا من الّذين ينطقون بالشهادتين وهم يظلمون عباد ٱللَّه، وعياله، بل هؤلاء يموتون علىٰ الكفر أَللَّهُمَّ إلا أنْ يؤدوا إلىٰ المظلومين حقوقهم بالكامل.

(وَيَا مَنْ قَرُبَتْ نُصْرَتُهُ مِـنَ الْـمَظْلُومِينَ) في الأمثال: ظلم المرء يوبقه ويصرعه[2]. ويا ظَالِم لك يَوْم. وفي نهج البلاغة:« يَوْم العدل علىٰ الظّالم أشدّ من يَوْم الجور علىٰ المظلوم»[3]. ويَوْم العدل آتٍ لا محالة عاجلاً، أو آجلاً (وَيَا مَنْ بَعُدَ عَوْنُهُ عَنِ ٱلظَّالِمِينَ) في الآية ﴿لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[4] والآية ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[5]، وهل من شيء أكثر خزياً، وخذلاناً من عذابه تعالىٰ، ولعنته؟.

الإسْلاَم دِين الجهاد

(قَدْ عَلِمْتَ يَا إلَهِي مَا نَالَنِي مِنْ فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ...) لا يريد الإمامﷺ بدعائه هذا

---

(١) النّساء: ١٨.

(٢) أُنظر، عيون الحكم والمواعظ: ٣٢٣.

(٣) أُنظر، نهج البلاغة: ٤/ ٨٠، الحكمة (٣٤١)، شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ١٩/ ٢٥٦.

(٤) إبراهيم: ١٣.

(٥) هود: ١٨.

أنْ يلجأ المظلوم تواً إلىٰ اَللَّه دون أنْ يبذل أي جهد في مقاومة الظّالم، والدّفاع عن نفسه. كيف؟ وقد خاض النّبي ﷺ، والمسلمون في عهدهِ، ومن بعده أقسىٰ الحروب، وأشد المعارك، وهل من بلدٍ تحرر من الرّق، والاستغلال إلا بالجهاد، والنّضال؟ والآيات القرآنية، والرّوايات النّبوية تنصّ بكلّ وضوح علىٰ أنّ الإسْلاَم هو دين الكفاح، والجهاد، والتّضحية بالنفس، والنّفيس ضد الظُّلم، والشّرّ، والفساد في اَلأرْض، وقلنا فيما سبق: من نام علىٰ الظُّلم بلا عذر مشروع فقد ظلم نفسه، وإنّ الظّالم لو علم روح الإستماتة من المظلوم دفاعاً عن كرامته لتحاماه.

وإذن: فمراد الإمام من هذا الدُّعاء أنّ علىٰ المظلوم أوّلاً، وقبل كلّ شيء أنْ يغضب لحقه، ويذود عنه بكلّ ما يملك من جهدٍ، وقوةٍ، وحكمةٍ، وخبرةٍ مستمداً من اَللَّه العون، والتّوفيق، فأنْ عجز أي كان دفاعه هلاكاً، وأنتحاراً بلا جدوىٰ، بل قوة للباغين، وإغراءً له في العتو، والتمادي ـ رفع شكواه إلىٰ القوة العليا، وتربص حتّىٰ يأتي أمر اَللَّه.

(وَخُذْ ظَالِمِي، وَعَدُوِّي عَنْ ظُلْمِي بِقُوَّتِكَ) إكفني شره، ورد عَنّي كيده، إنّك علىٰ كلّ شيء قدير (وَافْلُلْ) إكسر، وحَدُّ السّيف: مقطعه، والمعنىٰ جرده من كلّ سلاح يشهره علىٰ عبادك، وعيالك (وَاجْعَلْ لَهُ شُغْلاً فِيما يَلِيهِ) أي هيء له عملاً يتولاه، ويقوم به، ويشغله عن أذىٰ النّاس، والإساءة إليهم (وَعَجْزاً عَمَّا يُناوِيْهِ) من المناواة بمعنىٰ المعاداة، والمشاغبات (وَلاَ تُسَوِّغْ) لا تسهل (وَأَحْسِنْ عَلَيْهِ عَوْنِي) أعنّي عَلَيْهِ بفضلك، وإحسانك (وَاعْصِمْنِي مِنْ مِثْلِ أَفْعَالِهِ) أعوذُبك أنْ أُسيء إلىٰ أحدٍ من خَلْقِك كما يفعل السّفهاء، والأشقياء.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَعِذْنِي عَلَيْهِ عَدْوىٰ حَاضِرَةً تَكُونُ مِنْ غَيْظِي بِهِ شِفَاءً، وَمِنْ حَنَقِي عَلَيْهِ وَفَاءً. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ

وَآلِهِ، وَعَوِّضْنِي مِنْ ظُلْمِهِ لِي عَفْوَكَ، وَأَبْدِلْنِي بِسُوْءِ صَنِيعِهِ بِي رَحْمَتَكَ، فَكُلُّ مَكْرُوهٍ جَلَلٌ دُونَ سَخَطِكَ، وَكُلُّ مَرْزِئَةٍ سَوَاءٌ... مَعَ مَوْجِدَتِكَ.

أَللَّهُمَّ فَكَمَا كَرَّهْتَ إِلَيَّ أَنْ أُظْلِمَ فَقِنِي مِنْ أَنْ أَظْلِمَ. أَللَّهُمَّ لاَ أَشْكُو إِلَىٰ أَحَدٍ سِوَاكَ، وَلاَ أَسْتَعِينُ بِحَاكِمٍ غَيْرِكَ حَاشَاكَ فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَصِلْ دُعَائِي بِالإِجَابَةِ، وَأَقْرِنْ شِكَايَتِي بِالتَّغْيِيرِ.

أَللَّهُمَّ لاَ تَفْتِنِّي بِالْقُنُوطِ مِنْ إِنْصَافِكَ، وَلاَ تَفْتِنْهُ بِالأَمْنِ مِنْ إِنْكَارِكَ، فَيُصِرَّ عَلَىٰ ظُلْمِي، وَيُحَاضِرَنِي بِحَقِّي وَعَرِّفْهُ عَمَّا قَلِيلٍ مَا أَوْعَدْتَ الظَّالِمِينَ، وَعَرِّفْنِي مَا وَعَدْتَ مِنْ إِجَابَةِ الْمُضْطَرِّينَ.

لا حقد عند العترة الطّاهرة

(وَأَعِدْنِي عَلَيْهِ عَدْوَىٰ حَاضِرَةً تَكُونُ مِنْ غَيْظِي بِهِ شِفَاءً، وَمِنْ حَنَقِي عَلَيْهِ وَفَاءً) أعدني: أُنصرني تقول: أستعديت فلاناً علىٰ خصمي فأعداني أي طلبت منه النّصر فنصرني، والعدوىٰ: النّصرة، وحاضرة: عاجلة، والغيظ: أشد الغضب، والحنق: أشد الغيظ... وحاشا العترة الطّاهرة الزّاكية من الحقد، والتّشفي... إنّهم الكاظمون، العافون، المحسنون. قال الإمام أميرالمُؤْمِنِينَ؈ في وصيته لولده الإمام الحَسن؈: «تجرع الغيظ فإنّي لم أرَ جرعة أحلىٰ منها عاقبة، ولا ألذ مَغَبّةً»[1]، وقال: متىٰ أشفي غيظي إذا غضبت؟ أحين أعجز من الإنتقام؟ فيقال لِي لو صبرت، أم حين أقدر عَلَيْهِ؟ فيقال لِي لو عفوت»[2]. وسيرة العترة أقوىٰ حجّة، وأصدق

---

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٣/٥٤، خطبة (٣١)، شرح النّهج للمعتزلي: ١٦/١٠٨، تحف العقول: ٨٢.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ٢/١٨٨، الحكمة (١٩٤)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي:

دليل علىٰ أنّهم أمتداد لجدهم ٱلرَّسُول الأعظم ﷺ ٱلَّذِي بعث ليتم مَكَارِمِ الأَخْلاَق، ومن أجل هذا تُدين الملايين بإمامتهم، وعصمتهم، وقال الإمام السّجاد عليه السلام صاحب هذا الدُّعاء فيما يأتي: (أَللَّهُمَّ وَأَيُّمَا عَبْدٍ نالَ مِنِّي مَا حَظَرْتَ عَلَيْهِ، وَانْتَهَكَ مِنِّي مَا حَجَزْتَ عَلَيْهِ، فَمَضَىٰ بِظُلاَمَتِي مَيِّتاً، أَوْ حَصَلَتْ لِيْ قِبَلَهُ حَيّاً، فَاغْفِرْ لَهُ مَا أَلَـمَّ بِـهِ مِنِّي)[1].

وغير بعيد أنْ يكون المقصود بهذا الدُّعاء قتلة الإمام الحُسين عليه السلام، وغيره مـن الذُّرية، والقربىٰ المحمدية ٱلّذين أمر ٱللَّه بمودتهم في الآية من الشّورىٰ[2]، وقال سبحانه: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسَا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّـاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[3]، وفي الحديث الشّـريف: «لو أنّ أهْـل السّموات السّبع، وَأَهْل الأرضين السّبع ٱشتركوا في دم مؤمن ـ بغير نفس، أو فساد في ٱلأرْض ـ لأكبهم ٱللَّه جميعاً في ٱلنَّار»[4]، بل أنّ رَسُول ٱللَّه ﷺ قتل أسيرين من أسرىٰ بدر لقسوتهما في إذائه، وإذاء الصّحابة، ولم يقبل الفدية منهما كما فعل مع سائر الأسرىٰ[5].

⇐ ١٢/١٩، شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ٣٤٤/٥، عيون الحكم والمواعظ: ٤٨٩.

(١) سيأتي في الدُّعاء التّاسع والثّلاثين.

(٢) يقصد بها الآية ٢٣ من سورة الشّورىٰ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

(٣) المائدة: ٣٢.

(٤) أُنظر، كنز العمال: ٢١/١٥ ح ٣٩٨٩٣، تفسير القرطبي: ٢١٥/٢، سنن التّرمذي: ٤٢٧/٢، الجامع الصّغير: ٤٢٦/٢ ح ٧٤٠٧، شرح الأزهـار: ٣٨٥/٤، المـجموع: ٣٤٦/١٨، نـصب الرّاية: ٣١٧/٦، فقه السُّنة: ٥٠٩/٢.

(٥) أُنظر، الرّوض الأنف: ٦٥/٣، السّـيرة الحـلبية: ١٧٨/٢، المـصنف لعـبدالرّزاق: ٢٠٥/٥،

(وَعَوِّضْنِي مِنْ ظُلْمِهِ لِي عَفْوَكَ) اجْعَلْ عَفْوِكَ عَنّي عوضاً عما لاقيت، وعانيت من ظلم من أعتدىٰ عليّ (وَأَبْدِلْنِي بِسُوْءِ صَنِيعِهِ بِيْ رَحْمَتَكَ) عطف تكرار (فَكُلُّ مَكْرُوهٍ جَلَلٌ دُونَ سَخَطِكَ) تُطلق كلمة جَلَلٌ علىٰ الخطير، واليسير، والمُراد هنا المعنىٰ الثّاني، وغضب ٱللَّه سبحانه: ناره، وعقابه، ورضاه: جنته، وثوابه. «وكلّ نعيم دون الْجَنَّة محقور، وكلّ بَلاءٍ دون ٱلنَّار عافية»[1]. كما قال الإمام أمير الْمُؤْمِنِين ﷺ. وفي الأشعار «والجرح يسكنه ٱلَّذِي آلم» (وَكُلُّ مَرْزِئَةٍ سَوَاءٌ... مَعَ مَوْجِدَتِكَ) المرزِئة بكسر الزّاي: المُصِيبَة، والموجدة: الْغَضَب، والمعنىٰ لا أُبالي ضاقت الدُّنْيا عليَّ، أو ٱتسعت، إنْ سلمت من غضب ٱللَّه، وعذابه، ومثله قول ٱلرَّسُول الأعظم ﷺ: «إنْ لم يكن بك غضب عليَّ فلا أُبالي»[2].

(أَللَّهُمَّ فَكَمَا كَرَّهْتَ إِلَيَّ أَنْ أُظْلَمَ فَقِنِي مِنْ أَنْ أَظْلِمَ) الظُّلم ظُلمات، وأشد الْمحرمات في حكم ٱللَّه، وشريعته، بل والعرف، والعقل، وبديهته سواء أكان المظلوم نبياً، أم شقياً، ولكن بعض النّاس يُحرم الظُّلم إنْ كان علىٰ نفسهِ، ويستبيحه إنْ كان منها، ولها، والإمام ﷺ يسأل ٱللَّه سبحانه أنْ لا يجلعه من الّذين يعظون، ولا يتعظون، وينهون، ولا ينتهون (أَللَّهُمَّ لاَ أَشْكُو إِلَىٰ أَحَدٍ سِوَاكَ...) بل أَنْتَ موضع شكواي، وبك وحدك، أستعين علىٰ ما عجزت عنه، وفي نهج البلاغه: «من شكا الحاجة إلىٰ مؤمنٍ فكأنّه شكا إلىٰ ٱللَّه، ومن شكاها إلىٰ كافرٍ فكأنّما شكا ٱللَّه»[3]

◄ السّيرة لابن هشام: ٢٩٨/٢، عن الزّهري، الأغاني: ١٠/١، طبعة ساسي، العلل ومعرفة الحديث: ٣/١.

(١) أُنظر، نهج البلاغة: الحكمة (٣٨٧)، شرح أُصول الكافي: ٢٦٧/١١، فيض القدير شرح الجامع الصّغير: ٤٦/٥، جامع الأخبار: ١٣٥، من لا يحضره الفقيه: ٣٩٢/٤.

(٢) أُنظر، كنزالعمال: ١٧٥/٢ ح ٣٦١٣، البداية والنّهاية: ١٦٦/٣، تفسير القرطبي: ٢١١/١٦.

(٣) أُنظر، نهج البلاغة: ١٠٠/٤، الحكمة (٤٢٧)، شرح النّهج للمعتزلي: ٧٢/٢٠، الكافي: ٣٥٩/٢.

(حَاشَاكَ) كلمة تنزيه تتضمن هنا معنىٰ التّعجب ممن يستعين بغير ٱللّـه، ويرفع شكواه إلىٰ سواه.

(وَصِلْ دُعَائِي بِالإجَابَةِ) أرحم من دَعاك، ولا تقطع رجاء من رجاك (وَأَقْرِنْ شِكَايَتِي بِالتَّغْيِيرِ) أكشف كربتي، وأزل ما أشكو منه (أَللَّهُمَّ لاَ تَفْتِنِّي بِالْقُنُوطِ مِنْ إنْصَافِكَ) الفتنة: الابتلاء، والقنوط: اليأس، والمعنىٰ أخشىٰ علىٰ نَفْسِي أنْ تبتلي باليأس من عدلك إنْ سلم المعتدي من عقابك. وهَذِهِ صورة من حياة العديد من النّاس إذا أشتدت عَلَيْهِمْ الأزمات، وضاقت الحلقات، وأستغاثوا بلا مغيث حيث يغلبهم اليأس فيتفوهون بكلمة الكفر لاجاحدين، بل بدافع الضّغوط القاسية، والانهيار العصبي (وَلاَ تَفْتِنْـهُ بِالأَمْنِ مِنْ إنْكَارِكَ) أي من غضبك، وعذابك، والمعنىٰ لا تمد الباغي فيزداد بغياً، ويصر (عَلَىٰ ظُلْمِي) ويحاضرني أي يغالبني وينازعني حَقّي (وَعَرِّفْهُ) أذقه عقوبة ٱلظّالِمِينَ (وَعَرِّفْنِي) أذقني حلاوة الخلاص من الكرب، والهم.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَوَفِّقْنِي لِقَبُولِ مَا قَضَيْتَ لِيْ وَعَلَيَّ، وَرَضِّنِيْ بِمَا أَخَذْتَ لِيْ، وَمِنِّي، وَاهْـدِنِي لِلَّتِيْ هِي أَقْوَمُ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا هُوَ أَسْلَمُ.

أَللَّهُمَّ وَإِنْ كَانَتِ الْخِيَرَةُ لِيْ عِنْدَكَ فِي تَأْخِيرِ الأَخْـذِ لِـيْ، وَتَـرْكِ ٱلانْتِقَامِ مِمَّنْ ظَلَمَنِيْ إِلَىٰ يَوْمِ الْفَصْلِ، وَمَجْمَعِ الْخَصْمِ، فَصَلِّ عَـلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَيِّدْنِي مِنْكَ بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ، وَصَبْرٍ دَائِمٍ، وَأَعِـذْنِي مِـنْ سُوءِ الرَّغْبَةِ، وَهَلَعِ أَهْلِ الْحِرْصِ، وَصَوِّرْ فِي قَلْبِي مِثَالَ مَا ادَّخَـرْتَ لِيْ مِنْ ثَوَابِـكَ، وَأَعْدَدْتَ لِخَصْمِي مِنْ جَزَائِكَ، وَعِـقَابِكَ، وَاجْـعَلْ ذٰلِكَ سَبَباً لِقَنَاعَتِي بِمَا قَضَيْتَ، وَثِقَتِي بِمَا تَخَيَّرْتَ.

آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَـيْءٍ

قَدِيرٌ.

بين قدر ٱللّه، وقضائه

(وَوَفِّقْنِي لِقَبُولِ مَا قَضَيْتَ لِيْ، وَعَلَيَّ) الفرق بين القضاء، والقدر أنّ القدر تصميم، وتخطيط يتضمن الأُسس الّتي ينبغي مراعاتها عند العمل، والتّنفيذ تماماً كهندسة البناء، والقضاء إنتقال من المشروع، والتّخطيط إلىٰ التّجهيز، والتّنفيذ الّذي لا معقب له، ولا مرد ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[١]، وقد يقضي سبحانه لعبده بما يجب، فيرزقه ـ مثلاً ـ امرأة صالحةً، وولداً باراً، أو يقضي له بما يكره، فيبتليه بمرأة سوءٍ، وولد عاقٍ، والقضاء الأوّل للعبد، والثّاني عَلَيْهِ، فإنْ كان ولا بد مما ليبس منه بُد فليرض المبتلي بقضاء ٱللّه، ويصبر علىٰ بلائه. ولا أعرف حكمة أصدق، وأبلغ من قول الإمام عليّ؏: «من عظّم صغار المصائب إبتلاه ٱللّه بكبارها»[٢]. وقد شاهدتُ ذٰلِكَ بالحس، والعيان مرات.

في الحياةِ خيرٌ وشرٌ

(وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا هُوَ أَسْلَمُ) لِيْ دنيا، وآخرة، وفي الدُّعاء «وَاسْتَفْرِغْ أَيَّامِي فِيمَا خَلَقْتَنِي لَهُ»[٣]. وما من شك أنّ ٱللّه سبحانه خَلَقَ ٱلإنسَان للعلمِ، والعمل لحياةٍ أفضَل، وزوده بكلّ ما يحقق، ويؤمّن له هَذِهِ الغاية من عقلٍ، وغرائزٍ، وحواسٍ،

---

(١) آل عمران: ٤٧.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ٤/١٠٤، الحكمة (٤٤٨)، عيون الحكم والمواعظ: ٤٣٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٠/٩٨، الدّعوات للراوندي: ١٦٩، ينابيع الْمَوَدَّة: ٢/٢٥٢، بحار الأنوار: ٦٢/٦٨ ح ١٩.

(٣) سيأتي (الدُّعاء العشرون).

وأعضاءٍ، والإمام ﷺ يدعو ٱللَّه سبحانه أنْ يوفقه للعمل في هَذِهِ السَّبيل.

وتسأل: لقد أكتشف ٱلإنسَان، وأخترع، وفعل الكثير... سخر السَّماء، وأجواءها، وسبر البحار، وأعماقها، وأستغل ٱلأرْض، وخيراتها، ولكن كيف أستغلت هَذِهِ الْخَيْرات، والمخترعات؟ وإلىٰ أي شيء تحولت؟ إلىٰ الشّرور، والآثام، والحروب، وأدواتها الجهنمية! وهذا هو تأريخ ٱلإنسَان من لدن قابيل، وهابيل حتّىٰ الآن، كلّه دماء، وجرائم، وإرهاب، ومظالم. وعَلَيْهِ فإنْ أراد الإمام ﷺ بدعائه هذا نفسه بالخصوص فلا كلام، وإنْ أراد كلّ النّفوس ـ كما هو شأنه ـ فقد رغب في غير مطمع.

الجواب: ما من شيء ـ ما عدا خالق الأشياء، ومالكها ـ إلا وفيه جانبان: سلب، وإيجاب، ومن يركز علىٰ جانب السّلب فقط، أو جانب الشّرّ فقط فقد إنحاز إلىٰ جانبٍ، وتجاهل الآخر، ومعنىٰ هذا أنّ الحياة فيها خير، وشر، وأنهما في صراع دائم، فتارةً تكون لأنصار الْخَيْر، وتارةً لأنصار الشّرّ، وحيناً لا غالبٍ، ولا مغلوب. وهكذا دواليك، وليس لأحدهما غلبة دائمة وإلا كانت الحياة لذة بغير ألم، أو ألماً بغير لذة. والإمام ﷺ يسأل ٱللَّه سبحانه أنْ يجعله، وكلّ النّاس من أعوان الْخَيْر، وأنصاره.

(ٱللَّهُمَّ وَإِنْ كَانَتِ الْخِيَرَةُ لِيْ عِنْدَكَ فِي تَأْخِيرِ الأَخْذِ...) جواب «إنْ» محذوف، والمعنىٰ ٱلَّذِي يريده الإمامﷺ أنّه بعد أنْ رفع شكواه إلىٰ ٱللَّه تعالىٰ من ظالمه راغباً إليه في عقابه علىٰ ظلمه ـ قال له: «إنْ كان لِيْ أنْ أختار تأخير عقابه إلىٰ يَوْم تجمع فيه الخصوم للحساب، والجزاء، فذاك ما أبغي، علىٰ أنْ تمدني بِنيّة خالصة لوجهك ٱلْكَرِيمِ، وصبر علىٰ طَاعَتِكَ (وَأَعِذْنِي مِنْ سُوءِ الرَّغْبَةِ) أحفظني، وأصرفني عن كلّ هوىٰ، وميل لا يرضيك عنّي (وَهَلَعِ أَهْلِ الْحِرْصِ) الهلع: الجزع، وَأَهْل الحِرص هُم

أبناء الدُّنْيَا الّذين يجزعون، ويأسفون علىٰ ما فاتهم من حطامها، وطعامها، والإمام ﷺ يستجير بالله أنْ يكون من هَذِهِ الزّمرة.

(وَصَوِّرْ فِي قَلْبِي...) أنتَ يا إلهي تُثيب غداً المظلوم، وتنتقم من الظّالم، فهل تُلهمني الآن ما أعددت لِيْ من الثّواب، ولظالمي من العقاب، وترسم ذُلِكَ في عقلي حتّىٰ كأنّي أراه بالحسِ، والعيان؟ والإمام ﷺ يؤمن باللهِ، وأنّه منجز وعده، ولكن ليطمئن قلبه كما قال خليل ٱلرَّحْمَـٰنِ ﷺ، وإلىٰ هذا أشار الإمام بقوله بلا فاصل: (وَاجْعَلْ ذَلِكَ سَبَباً لِقَنَاعَتِي...) مهّد لِيْ الأسباب الموجبة للرضا بما حكمت، وأعطيت (آمِينَ) أسم فعل بمعنىٰ اسْتَجِبْ.

الدُّعاء الخامس عشر

دُعَاؤُهُ عِنْدَ المَرَضِ

أَللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا لَمْ أَزَلْ أَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنْ سَلاَمَةِ بَدَنِي، وَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَحْدَثْتَ بِي مِنْ عِلَّةٍ فِي جَسَدِي، فَمَا أَدْرِي يَا إِلٰهِي، أَيُّ الْحَالَيْنِ أَحَقُّ بِالشُّكْرِ لَكَ، وَأَيُّ الْوَقْتَيْنِ أَوْلَى بِالْحَمْدِ لَكَ؟

... أَوَقْتُ الصِّحَةِ الَّتِي هَنَّأْتَنِي فِيهَا طَيِّبَاتِ رِزْقِكَ، وَنَشَّطْتَنِي بِهَا لابْتِغَاءِ مَرْضَاتِكَ، وَفَضْلِكَ، وَقَوَّيْتَنِي مَعَهَا عَلَى مَا وَفَّقْتَنِي لَهُ مِنْ طَاعَتِكَ؟ أَمْ وَقْتُ الْعِلَّةِ الَّتِي مَحَّصْتَنِي بِهَا، وَالنِّعَمِ الَّتِي أَتْحَفْتَنِي بِهَا تَخْفِيفاً لِمَا ثَقُلَ بِهِ عَلَى ظَهْرِي مِنَ الْخَطِيئاتِ، وَتَطْهِيراً لِمَا انْغَمَسْتُ فِيهِ مِنَ السَّيِّئاتِ، وَتَنْبِيهاً لِتَنَاوُلِ التَّوْبَةِ، وَتَذْكِيراً لِمَحْوِ الْحَوْبَةِ بِقَدِيمِ النِّعْمَةِ، وَفِي خِلاَلِ ذٰلِكَ مَا كَتَبَ لِيَ الْكَاتِبَانِ مِنْ زَكِيِّ الأَعْمَالِ، مَا لاَ قَلْبٌ فَكَّرَ فِيهِ، وَلاَ لِسَانٌ نَطَقَ بِهِ، وَلاَ جَارِحَةٌ تَكَلَّفَتْهُ بَلْ إِفْضَالاً مِنْكَ عَلَيَّ، وَإِحْسَاناً مِنْ صَنِيعِكَ إِلَيَّ.

الشّدائد

(أَللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَىٰ مَا لَمْ أَزَلْ أَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنْ سَلاَمَةِ...) في الحديث الشّريف: «الْمُؤْمِن القوي خيرٌ، وأحبّ إلىٰ ٱللّه من الْمُؤْمِن الضّعيف»[1] والقوة لا تنحصر بالمال، وكذلك الضّعف لا ينحصر بالفقر، فمن يواجه الشّدائد بالصبر، وضبط النّفس، وبالبحث عن الأسباب الموجبة لها، وعلاجها بالحكمة ـ فهو قوي وإنْ كان فَقِيراً، ومن يتهدم، وتنهار أعصابه، ويفقد القُدرة علىٰ الصَّبَر، والتّفكير، والتّدبير، فهو ضعيف وإنْ كان غنياً. والإمام ﷺ ينظر إلىٰ الشّدائد علىٰ أنّها ربح، ومكسب كسائر النِّعِم؛ لأنّ فيها أكثر من جهة إيجابية، ويقول: (فَمَا أَدْرِي يَا إِلٰهِي، أَيُّ الْحَالَيْنِ أَحَقُّ بِالشُّكْرِ؟) أحال الصّحة، والهناء الّتي أنشط بها، وأقوىٰ علىٰ عمل الْخَيْر، وطاعة ٱللّه؟ أم حال المَرَض، ونار الشِّدَّة الّتي توقظني من السُّبات، والغفلة، وتدفع بي إلىٰ التَّوْبَة، والرّجوع إلىٰ ٱللّه، وتلقي عليّ درساً في الصَّبَر علىٰ الكفاح، والجهاد للتخلص من الآفات، والحذر من المخبآت؟!.

(تَخْفِيفاً لِمَا ثَقُلَ بِهِ عَلَىٰ ظَهْرِي مِنَ الْخَطِيئَاتِ): في الحديث الشّريف: «ما من مؤمن يصيبه مرض فما سواه إلا حط ٱللّه به خطاياه، كما تحط الشّجرة ورقها»[2] ولكن بشرطين:

---

(١) أُنظر، شرح صحيح مسلم: ٢٢/٦، فتح الباري: ١٩٣/١٣، مسند الحميدي: ٤٧٤/٢، السّنن الكبرىٰ: ١٥٩/٦ ح ٨٠٤٥٧ و ٨٠٤٥٩، مسند أبي يعلىٰ: ١٢٤/١١، صحيح ابن حبان: ٢٩/١٣، فيض القدير شرح الجامع الصّغير: ١١٠/١، سبل السّلام من أدلة الأحكام لابن حجر العسقلاني: ٢٠٧/٤.

(٢) أُنظر، مسند أحمد: ٤٥٥/١، السنن الكبرىٰ: ٣٧٢/٣، مجمع الزوائد: ٩٠/١٠، سنن الدارمي: ٣١٦/٢، صحيح البخاري: ٩/٧، صحيح مسلم: ١٤/٨، سنن بن ماجه: ١٢٥٣/٢، مسند أبي يعلىٰ: ٩٩/٩.

الأوّل: أنْ يُسلّم المريض أمره لله ظاهراً، وواقعاً، ولا يطلب تعليلاً، ومبرراً لما فعل ٱللّه به.

الثّاني: أنْ يكون الذّنب حقاً لله لا للناس؛ لأنّ حقوق الآخرين لا تسقط إلا بالوفاء، أو الصّفح من أهلها عن نفسٍ رَاضِيَة تمام الرّضا (وَتَطْهِيراً لِمَا انْغَمَسْتُ فِيهِ مِنَ السَّيِّئاتِ) عطف تكرار (وَتَذْكِيراً لِمحْوِ الْحَوْبَةِ بِقَدِيمِ النِّعْمَةِ) الحوبة: الْخَطِيئة، والمُراد بالنعمة هنا الصّحة، والْعَافِيَة السّابقة علىٰ المَرَض، والمعنىٰ أنّ مرارة المَرَض تُذكّر المريض بحلاوة الْعَافِيَة؛ وأنّها كانت من النِّعِم الكبرىٰ عَلَيْهِ، ولكنه كان ذاهلاً عنها، وغافلاً حين وجودها، وما عرف قدرها إلا بعد فقدها، وما من شك أنّ الذّهول عن فضل ٱللّه، وأنعُمه ذنب، وخطيئة، ولكن إذا تذكرها العبد فيما بعد وشكرها ولو حال المَرَض، فإنّ ٱللّه سبحانه يغفر له هَذِهِ الْخَطِيئة، ويمحوها من الأساس.

(وَفِي خِلاَلِ ذَلِكَ مَا كَتَبَ لِيَ الْكَاتِبَانِ مِنْ زَكِيِّ الأَعْمَالِ...) يشير الإمام عليه السلام بقوله هذا إلىٰ فضيلة يخص بها سبحانه الّذين يعملون الْخَيْر لوجه ٱللّه، والْخَيْر، وخلاصتها أنّ أيّ إنسان إذا كان من دأبه، وعادته أنْ يفعل الْخَيْر لله، وهو سليم معافىٰ، ثُم تركه لمرض طارىء ـ فإنّ ٱللّه يكتبه له تماماً كما لو فعله بالكامل تفضلاً منه، وكرماً علماً بأنّه لم يخطر علىٰ قلبه، ولم يذكره بلسانه أثناء المَرَض فضلاً عن فعله، وأدائه. وفي الحديث: «يقول ٱللّه للملك الموكل بالمؤمن: إذا مرض هذا: أكتب له ما كنت له تكتبه في صحته، فأنا الّذي صيرته في حبالي»[1] أي حبسته عن العمل بسبب المَرَض.

---

(١) أُنظر، الكافي: ٣/١١٣، الوسائل: ٢/٣٩٨، الجواهر السّنية للحر العاملي: ١٢٩، تفسير الميزان: ١٩/٥٢.

أَللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّـدٍ وَآلِـهِ، وَحَبِّبْ إِلَيَّ مَـا رَضِيتَ لِي، وَيَسِّرْ لِي مَا أَحْلَلْتَ بِيْ، وَطَهِّرْنِي مِنْ دَنَسِ مَا أَسْلَفْتُ، وَامْحُ عَنِّي شَرَّ مَـا قَـدَّمْتُ، وَأَوْجِدْنِي حَلاَوَةَ الْعَافِيَةِ، وَأَذِقْنِي بَرْدَ السَّـلاَمَةِ، وَاجْـعَلْ مَخْرَجِي عَنْ عِلَّتِي إِلَىٰ عَفْوِكَ، وَمُتَحَوَّلِي عَنْ صَرْعَتِي إِلَىٰ تَجَاوُزِكَ، وَخَلاصِي مِنْ كَرْبِي إِلَىٰ رَوْحِكَ، وَسَلاَمَتِي مِـنْ هَـذِهِ الشِّـدَّةِ إِلَـىٰ فَرَجِكَ، إِنَّكَ الْمُتَفَضِّلُ بِـالإِحْسَانِ، الْـمُتَطَوِّلُ بِـالامْتِنَانِ، الْـوَهَّابُ الْكَرِيمُ، ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

(وَحَبِّبْ إِلَيَّ مَـا رَضِيتَ لِي) قد يأتمر الْمُؤمن بأمر ٱللَّه تعالىٰ، وينتهي بنهيه، ولكنه يفعل ذٰلِكَ لمجرد التّحرر من التّبعة، والمسؤولية أمام ٱللَّه... وهذا الْـمُؤمن يخرج عن عهدة التّكليف، ما في ذٰلِكَ ريب، ولكنه ليس عند ٱللَّه بالمكان المكين. والإمامعليه السلام يدعو ٱللَّه سبحانه أنْ تكون طاعته له عن إرادة خالصة، ونفس رَاضِيَة في كلّ مايرد عليها من ٱللَّه سبحانه حتّىٰ ولو كان تضحية بالنفس، والنّفيس، لينال بذلك أَفْضَل الدّرجات، وأعلاها عند ٱللَّه.

(وَيَسِّرْ لِي مَا أَحْلَلْتَ بِيْ) خفف عَنّي وطأة المصائب، وأعني عليها إنْ ٱبتليتني بها (وَطَهِّرْنِي مِنْ دَنَسِ مَا أَسْلَفْتُ) من الذُّنُوبِ، والخطايا؛ لأنّ طاقتي لا تـنهض بعدلك (وَامْحُ عَنِّي شَرَّ مَا قَـدَّمْتُ) عطف تكرار (وَأَوْجِدْنِي حَلاَوَةَ الْعَافِيَةِ) هب لِيْ من لدنك عافية أتذوق حلاوتها (وَأَذِقْنِي بَرْدَ السَّلاَمَةِ) من داءٍ، وشـدةٍ (وَاجْـعَلْ مَخْرَجِي عَنْ عِلَّتِي إِلَىٰ عَفْوِكَ) المُراد بالعلة هنا المَرَض، والإمام عليه السلام يطلب من ٱللَّه الخروج من المَرَض إلىٰ العفو، والْـعَافِيَة، عـافية الدُّنْـيا، والآخـرة، إلىٰ الصّـحة، والأمان من نار ٱللَّه وغضبه؛ لأنّ المَرَض بلا نار الآخرة عافية، والصّحة معها بَلاءٍ، وشقاء.

(وَمُتَحَوَّلِي عَنْ صَرْعَتِي إِلَىٰ تَجَاوُزِكَ) المُراد بالصرعة هنا علة المَرَض الّتي تطرحه علىٰ الفراش، والتّجاوز: العفو عن الذّنب، وعَلَيْهِ يكون العطف للتكرار (وَخَلاصِي مِنْ كَرْبِي) من مرضي (إِلَىٰ رَوْحِكَ) بفتح الرّاء بمعنىٰ الرّاحة، والْفَرَج: الكشف، والخروج من الشّدّة. أيضاً عطف تكرار (إِنَّكَ الْـمُتَفَضِّلُ...) المتفضل، والمتطول: المبتدىء بالفضل، والإحسان، وذو الْجَلاَل: العظيم في ذاته، والإكرام: اَلْكَرِيمِ علىٰ خَلْقِهِ فلا يبالي كم أعطىٰ؟ ولمن أعطىٰ؟.

الدُّعاء السَّادس عشر

دُعَاؤُهُ في الاسْتِقَالَةِ

أَللَّهُمَّ يَا مَنْ بِرَحْمَتِهِ يَسْتَغِيثُ الْمُذْنِبُونَ، وَيَا مَنْ إِلَىٰ ذِكْرِ إِحْسَانِهِ يَفْزَعُ الْمُضْطَرُّونَ، وَيَا مَنْ لِخِيفَتِهِ يَنْتَحِبُ الْخَاطِئُونَ، يَا أُنْسَ كُلِّ مُسْتَوْحِشٍ غَرِيبٍ، وَيَا فَرَجَ كُلِّ مَكْرُوبٍ كَئِيبٍ، وَيَا غَوْثَ كُلِّ مَخْذُولٍ فَرِيدٍ، وَيَا عَضُدَ كُلِّ مُحْتَاجٍ طَرِيدٍ:

أَنْتَ الَّذِي وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً، وَعِلْماً، وَأَنْتَ الَّذِي جَعَلْتَ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ فِي نِعَمِكَ سَهْماً، وَأَنْتَ الَّذِيْ عَفْوُهُ أَعْلَىٰ مِنْ عِقَابِهِ، وَأَنْتَ الَّذِي تَسْعَىٰ رَحْمَتُهُ أَمَامَ غَضَبِهِ، وَأَنْتَ الَّذِي عَطَاؤُهُ أَكْثَرُ مِنْ مَنْعِهِ، وَأَنْتَ الَّذِيْ اتَّسَعَ الْخَلاَئِقُ كُلُّهُمْ فِي وُسْعِهِ، وَأَنْتَ الَّذِي لا يَرْغَبُ فِي جَزَاءِ مَنْ أَعْطَاهُ، وَأَنْتَ الَّذِي لاْ يُفْرِطُ فِي عِقَابِ مَنْ عَصَاهُ.

التَّقْوَىٰ، وأخذ النَّفس بالشدة

(أَللَّهُمَّ يَا مَنْ بِرَحْمَتِهِ...) محاسبة النَّفس، وأخذها باللوم، والشِّدَّة، والإقرار

عليها بِالتَّقْصِير، هو الشّرط الأوّل، والأساس للتقوىٰ، والورع، ومن برأها، وأعجب بها تزين له كلّ قبيح، وتريه العلم جهلاً، والجهل علماً، والْخَيْر شراً، والشّرّ خيراً، وأيضاً تصور له، وتشعره بأنّه أسعد النّاس دنياً، وآخرة بهذا الجـهل، بـالجهل... وقرأت علىٰ الوجه الأوّل من جلد كِتَاب صدر حديثاً، ما نصه بـالحرف الواحـد: «هل أنتَ سعيد مثلي؟... اَللّٰه جعلني سعيداً فـي الدّاريـن مـعاً. وبـقراءتك لهـذا اَلْكِتَاب يمكنك أنْ تصبح سعيداً مثلي من غير اَرتياب»، وفي أوّل الصّفحة الرّابعة: «فهل يوجد لديك يا تأريخ في القرن العشرين من يقول هذا غيري فـحدثنا عـن وجوده لنسعد بخدمته ما دمنا أحياء»[1] وما يذكر إلا أُولي الألباب.

والإمام السّجاد ﷺ يحذر كلّ عاقل من هذا التّهور الأعمىٰ، ويُلقي علينا درساً بأُسلوب الدُّعاء، والاِعْتِرَاف بالذنب، وطَلَب العفو منه تعالىٰ يقول: (أَللَّهُمَّ يَا مَـنْ بِرَحْمَتِهِ يَسْتَغِيثُ الْمُذْنِبُونَ) وهو سبحانه يغيثهم، ويغفر لهم إلا من نزه نفسه عـن الخطأ، والْخَطِيئة فلا غفران لذنبه. وسلام علىٰ من قال: واَغفر لنا مـا لا يـعلمون (وَيَا مَنْ إلَىٰ ذِكْرِ إحْسَانِهِ يَفْزَعُ الْمُضْطَرُّونَ) يفزع إليه: يلجأ إليه، والمُـراد بـذكر الإحسان هنا التّوسل، والرّجاء (وَيَا مَنْ لِخِيفَتِهِ يَنْتَحِبُ الْخَاطِئُونَ) البكاء من أجل الْخَطِيئة توبة، وسبب للرحمة، والمغفرة. وفي نهج البلاغة: «طوبىٰ لمن شغله عيبه عن عيوب النّاس، وطوبىٰ لمن لزم بيته، وأكل قوته، واَشتغل بطاعة ربه، وبكـىٰ علىٰ خطيئته، فكان من نفسه في شغل، والنّاس منه في راحة»[2] (يَـا أُنْسَ كُـلِّ

---

(١) موضوع الغيبة للغائب، وشرطها عدم الإعلان عنه، واَلْكِتَاب يباع في الأسواق علانية بقصد أنْ يكون القاريء سعيداً تماماً مثل المؤلف. وكنت في غنىٰ عن هَذِهِ الإشارة لوضوحها ـ لولا اَعتراض من اَعترض.

(٢) اُنظر، نهج البلاغة: ٢/٩٦، الخطبة (١٧٦)، شرح النّهج للمعتزلي: ١٠/٢٣، ينابيع الْمَوَدَّة:

مُسْتَوْحِش) الوحدة أُمنية ٱلْعُلَمَاء، والْعَابِدِينَ حيث ينصرف هؤلاء إلىٰ الصَّلاَة، والتّلاوة، والمناجاة، وأولئك إلىٰ ٱلْكِتَاب، والقلم، والكلّ مقبل علىٰ ٱللَّه، وقريب منه، ومبتهج بفضله، وتوفيقه إلىٰ طاعته، ومن ذاق طعم العلم لا يأنس إلا به، أمّا ذكر ٱللَّه، ومناجاته فراحة، وسكينة تعرفها قلوب الْمُؤْمِنِين (وَيَا فَرَجَ كُلِّ مَكْرُوبٍ) هو وحده مجيب الدّعوات، وكاشف الكربات، وغافر السّيّئات (وَيَا غَوْثَ كُلِّ مَخْذُولٍ) ولا ناصر لمن خذلت، ولا فاتح لما أغلقت (وَيَا عَضُدَ كُلِّ مُحْتَاجٍ) تنظر في حاجات عبادك، وتقضي بموجب علمك، وعدلك، وحكمتك.

(أَنْتَ الَّذِي وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً، وَعِلْماً) رَحْمَته، وعلمه يشملان كلّ الأشياء بلا ٱستثناء (وَأَنْتَ الَّذِي جَعَلْتَ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ فِي نِعَمِكَ سَهْماً) بكلّ مَخْلُوق من الكائنات حسب حاجته... ومن الَّذِي قدر، وهدىٰ؟ الطّبيعة العمياء، أو الصّدفة خلقت الكون بمن فيه، وما فيه من عناصر، وقوانين، وعجائب، وقدرتها تقديراً: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[1] (وَأَنْتَ الَّذِي عَفْوُهُ أَعْلَىٰ مِنْ عِقَابِهِ) مهما كثرت ذنوب العباد فعفو ٱللَّه أكثر، وأغزر. وفي الحديث: «إنّي أشفع فاشفع حتّىٰ أنّ من أشفع له ليشفع فيشفع حتّىٰ إبليس ليتطاول طمعاً في الشّفاعة»[2] (وَأَنْتَ الَّذِي تَسْعَىٰ رَحْمَتُهُ أَمَامَ غَضَبِهِ) سبقت رَحْمَته غضبه (وَأَنْتَ

⇐ ٤٣٧/٣.

(١) نوح: ١٣ـ ١٤.

(٢) ما أثبتناه من المصادر، ولكن هكذا أورده الشيخ ﷺ «ليغفرن الله تعالىٰ يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط علىٰ قلب أحدٍ حتىٰ أنّ إبليس ليتطاول لها رجاء أنْ تصيبه». أُنظر، ذخائر العقبىٰ: ٧، السيرة الحلبية: ٣٨٢/١، المعجم الأوسط: ٢٠٣/٥، فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٧١/٤، ينابيع المودة: ١١٢/٢ و ٤٤٧، مجمع الزوائد: ٣٧٦/١٠، المعجم الكبير: ٢١٥/١٠، تأريخ مدينة دمشق: ٤٢/٤٩.

الَّذِي عَطَآؤُهُ أَكْثَرُ مِنْ مَنْعِهِ) ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[1] (وَأَنْتَ الَّـذِيْ اتَّسَعَ الْخَلاَئِقُ كُلُّهُمْ فِي وُسْعِهِ) المُراد بالوسع الأوّل عدم الضّيق عن شيء والإحاطة بكلّ الأشياء، وبالوسع الثّاني الغنىٰ، والْخَيْر، أي لا تغيض خزائنه، بل تفيض (وَأَنْتَ الَّذِي لا يَرْغَبُ فِي جَزَاءِ مَنْ أَعْطَاهُ) لأنّك الغني عن كلّ شيء، ولا غنىٰ لشيء عنك (وَأَنْتَ الَّذِي لاٰ يُفْرِطُ فِي عِقَابِ مَنْ عَصَاهُ) تُجزي المسيء بما أساء من غير زيادة، وتعفو عن كثير.

وَأَنَا... يَا إِلٰهِي... عَـبْدُكَ الَّـذِي أَمَـرْتَهُ بِـالدُّعاءِ فَـقَالَ: لَـبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، هَا أَنَا ذَا... يَا رَبِّ... مَطْرُوحٌ بَـيْنَ يَـدَيْكَ، أَنَـا الَّـذِي أَوْقَرَتِ الْخَطَايَا ظَهْرَهُ، وَأَنا الَّذِي أَفْنَتِ الذُّنُوبُ عُمْرَهُ، وَأَنَـا الَّـذِي بِجَهْلِهِ عَصاكَ، وَلَمْ تَكُنْ أَهْلاً مِنْهُ لِذَاكَ.

هَلْ أَنْتَ يَا إِلٰهِي رَاحِمٌ مَنْ دَعَاكَ فَأبلِغَ فِي الدُّعَاءِ، أَمْ أَنْتَ غَافِرٌ لِمَنْ بَكَاكَ فَأُسْرِعَ فِي الْبُكَاءِ، أَمْ أَنْتَ مُتَجَاوِزٌ عَمَّنْ عَفَّرَ لَكَ وَجْهَهُ تَذَلُّلاً، أَم أَنْتَ مُغْنٍ مَنْ شَكَا إِلَيْكَ فَقْرَهُ تَوَكُّلاً؟...

إِلٰهِي لاَ تُخَيِّبْ مَنْ لاٰ يَجِدُ مُعْطِياً غَيْرَكَ، وَلاَ تَخْذُلْ مَنْ لاٰ يَسْتَغْنِي عَنْكَ بِأَحَدٍ دُونَكَ. إِلٰهِي فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلاَ تُعْرِضْ عَنِّي وَقَدْ أَقْبَلْتُ عَلَيْكَ، وَلاٰ تَحْرِمْنِي وَقَـدْ رَغِبْتُ إِلَيْكَ، وَلاٰ تَجْبَهْنِي بِالرَّدِّ وَقَدْ انْتَصَبْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ. أَنْتَ الَّذِي وَصَفْتَ نَفْسَكَ بِالرَّحْمَةِ.

(وَأَنَا... يَا إِلٰهِي... عَبْدُكَ الَّذِي أَمَرْتَهُ بِالدُّعاءِ...) من دأب الإمام ﷺ وعادته أنْ يفتتح أوّلاً الدُّعاء، والمناجاة بحمد ٱللّه سبحانه، والثّناء عَلَيْهِ بصفات الجَلاَل،

(١) إبراهيم: ٣٤.

والإكرام، ثُم يذكر حاجته، وعلىٰ هذا الأساس ٱفتتح الدُّعاء ٱلَّذِي نحن بصدده، بذكر ٱللَّه، وأنّه مغيث المذنبين، ومفزع الخائفين، والمضطرين... ثُم قال: وأنا من هؤلاء جئتك مطيعاً لأمرك، وسائلاً من فضلك، وراجياً ما وعدت به من الإجابة إذ تقول: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1] (أَنَا الَّذِي أَوْقَرَتِ الْخَطَايَا ظَهْرَهُ) هذا ظهري أثقلته الأوزار (وَأنا الَّذِي أَفْنَتِ الذُّنُوبُ عُمْرَهُ) قد يكون الاعْتِرَاف بِالتَّقْصِير، والمعصية، من الطّاعة، وتقوىٰ القلوب كما يكون الاعْتِرَاف من العالم بما يجهل رسوخاً في العلم.

(وَأَنَا الَّذِي بِجَهْلِهِ عَصاكَ) المُراد بالجهل هنا السّفه، وفي رواية عن المعصوم: «كلّ ذنب عمله العبد، وإنْ كان عالماً، فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربه»[2] (وَلَمْ تَكُنْ أَهْلاً مِنْهُ لِذَاكَ) إشارة إلىٰ المعصية، والمعنىٰ ٱللَّه سبحانه هو المنعم، والمتفضل، فيجب أنْ يطاع شكراً لنعمه، لا أنْ يُعصىٰ (هَلْ أَنْتَ يَا إِلٰهِي رَاحِمٌ مَنْ دَعَاكَ) هَذِهِ هي حاجة الإمامؑ الأولىٰ، والغاية القصوىٰ من دعائه، وتضرعه: الرَّحْمَة، والمغفرة، وهي أُمنية كلّ مؤمن، وعاقل (فَأبْلِغَ فِي الدُّعَاءِ) فاجتهد في التَّضَرُّع إليك لترحمني (أَمْ أَنْتَ غَافِرٌ لِمَنْ بَكَاكَ...) هل يجدي التّوسل إليك بالبكاء، والعويل لما سبق من معصيتك حتّىٰ أُبادر إليه؟ (أَمْ أَنْتَ مُتَجَاوِزٌ عَمَّنْ عَفَّرَ لَكَ وَجْهَهُ...) إذا خاب الوافدون علىٰ غيرك، وخسر الْمُتَعَرِّضُونَ لسواك فإلىٰ أين يذهبون إلا إلىٰ جودك المباح لِلسَّائِلِينَ (وَلاَ تُعْرِضْ عَنِّي وَقَدْ أَقْبَلْتُ عَلَيْكَ) لا تصرف عَنّي وجهك ٱلْكَرِيمِ، وقد ٱنصرفت إليك بكلّي؛ لأنّك ثقتي، ورجائي في كلّ

(١) غافر: ٦٠.

(٢) أُنظر، بحارالأنوار: ٦ / ٣٢، مستدرك سفينة البحار: ١ / ٤٩٠، تفسير نور الثقلين: ١ / ٤٥٧ ح ١٢٨.

الأُمور (وَلاَ تَحْرِمْنِي . . .) عطف تكرار (أَنْتَ الَّذِي وَصَفْتَ نَفْسَكَ بِالرَّحْمَةِ) حيث قلت في كتابك العزيز: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[1]...وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[2]...وقال تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾[3]. أنا شيء فلتسعني رَحْمَتك.

فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ . . . وَارْحَمْنِي ، وَأَنْتَ الَّذِي سَمَّيْتَ نَفْسَكَ بِالعَفْوِ . . . فَاعْفُ عَنِّي . قَدْ تَرَىٰ يَا إِلٰهِي فَيْضَ دَمْعِي مِنْ خِيفَتِكَ ، وَوَجِيبَ قَلْبِي مِنْ خَشْيَتِكَ ، وَانْتِقَاضَ جَوَارِحِي مِنْ هَيْبَتِكَ ، كُلُّ ذٰلِكَ حَيَاءً مِنِّي لِسُوءِ عَمَلِي ، وَلِذَاكَ خَمَدَ صَوْتِي عَنِ الْجَأْرِ إِلَيْكَ ، وَكَلَّ لِسَانِي عَنْ مُنَاجَاتِكَ .

يَا إِلٰهِي فَلَكَ الْحَمْدُ ، فَكَم مِنْ غَائِبَةٍ سَتَرْتَهَا عَلَيَّ فَلَم تَفْضَحْنِي ، وَكَمْ مِنْ ذَنْبٍ غَطَّيْتَهُ عَلَيَّ فَلَمْ تَشْهَرْنِي ، وَكَمْ مِنْ شَائِبَةٍ أَلْمَمْتُ بِهَا فَلَمْ تَهْتِكْ عَنِّي سِتْرَهَا ، وَلَمْ تُقَلِّدْنِي مَكْرُوهَ شَنَارِهَا ، وَلَمْ تُبْدِ سَوْآتِهَا لِمَنْ يَلْتَمِسُ مَعَايِبِي مِنْ جِيْرَتِي ، وَحَسَدَةِ نِعْمَتِكَ عِنْدِي ، ثُمَّ لَمْ يَنْهَنِي ذٰلِكَ عَنْ أَنْ جَرَيْتُ إِلَىٰ سُوءِ مَا عَهِدْتَ مِنِّي ! ! .

(وَأَنْتَ الَّذِي سَمَّيْتَ نَفْسَكَ بِالعَفُوِّ) بتشديد الواو من صيغ المبالغة ، وقد وصف نفسه سبحانه بذلك في الآية :﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[4] (وَقَدْ تَرَىٰ يَا إِلٰهِي . . .)كلّ

(١) الأنعام: ٥٤.

(٢) الحجر: ٥٦.

(٣) الأعراف: ١٥٦.

(٤) الحج: ٦٠.

ما ذكره الإمام ﷺ من الدّموع الفائضة، والقلب الخافق، والأعضاء المتهدمة هو كناية عن قوة إيمانه بالله، وأنقطاعه إليه، وخوفه منه مع الحياء من سؤاله تعالىٰ، ومناجاته، والسّبب الموجب لذلك ما أشار إليه بقوله:(لِسُوءِ عَمَلِي) والَّذِي نفهمه من هذا الإعْتِرَاف أنّه تصاغر لعظمة ٱللّٰه، وتقدير لجلاله، وكماله (وَلِـذَاكَ خَـمَدَ صَوْتِي عَنِ الْجَأْرِ إِلَيْكَ) الجأر: رفع الصّوت بالدُّعاء إليه تعالىٰ (فَكَم مِنْ غَائِبَةٍ) من فعلة قبيحة، ومثلها شائبة (أَلْمَمْتُ بِهَا) مارستها، وفعلتها (وَلَـمْ تُـقَلِّدْنِي مَكْـرُوهَ شَنَارِهَا) لم تفضحني أمام الملأ بعارها، وأقذارها، وفي دُعَاء آخر: « فَكَـلُّنَا قَـدِ اقْتَرَفَ الْعَائِبَةَ فَلَمْ تَشْهَرْهُ، وَارْتَكَبَ الْفَاحِشَةَ فَلَم تَفْضَحْهُ»[١].

ولو أنّ ٱللّٰه سبحانه فضح في عاجل الدُّنْيا كلّ مذنب، ومسيء لارتـدع عـن القبيح لا لقبحه، ولا خوفاً من ٱللّٰه، وطاعة لأمره، بل خوفاً من الفضيحة، وعندئذٍ يتعذر التّمييز بين الطّيب الَّذِي يستحق المدح، والثّواب وَبَيْنَ الخبيث الَّذِي يستحق الذّم والعقاب.

(وَلَمْ تُبْدِ سَوْأَتَهَا) جمع سوءة، وهي الخلة القبيحة (مِـنْ جِـيْرَتِي) جيرانـي (وَحَسَدَةِ نِعْمَتِكَ عِنْدِي) الحسدة: جمع حاسد، ونعوذ بالله مـن كـيد الحـاسدين، وتكلمنا حول الحسد[٢]، (ثُمَّ لَمْ يَنْهَنِي ذَلِكَ عَنْ أَنْ جَرَيْتُ إِلَىٰ سُوءِ مَا عَهِدْتَ مِنّي) سترت يا إلهي الكثير من عيوبي، وكان عليَّ أنْ أشكر، وأنتهي، ولكني تـماديت فيما لا يرضيك.

وبعد، فإنّ التَّضَرُّع، والتَّذَلُّل لله سبحانه هو نوع من عِبَادَة الْخَاشِعِين، وخوف الْعَابِدِينَ، ويقين ٱلْعُلَمَاء الّذين عناهم سبحانه بقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[٣].

---

(١) سيأتي في الدُّعاء (الرّابع والثّلاثون).

(٢) أنظر، الدُّعاء الثّامن: فقرة الحسد.

(٣) فاطر: ٢٨.

فَمَنْ أَجْهَلُ مِنِّي يَا إِلٰهِيْ بِرُشْدِهِ، وَمَنْ أَغْفَلُ مِنِّي عَنْ حَظِّهِ، وَمَنْ أَبْعَدُ مِنِّي مِنِ اسْتِصْلاَحِ نَفْسِهِ... حِيْنَ أُنْفِقُ مَا أَجْرَيْتَ عَلَيَّ مِنْ رِزْقِكَ فِيمَا نَهَيْتَنِي عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَتِكَ، وَمَنْ أَبْعَدُ غَوْراً فِي الْبَاطِلِ، وَأَشَدُّ إِقْدَاماً عَلَىٰ السُّوءِ مِني حِينَ أَقِفُ بَيْنَ دَعْوَتِكَ، وَدَعْوَةِ الشَّيْطَانِ، فَأَتَّبِعُ دَعْوَتَهُ عَلَىٰ غَيْرِ عَمىً مِنِّي فِيْ مَعْرِفَةٍ بِهِ، وَلاَ نِسْيَانٍ مِنْ حِفْظِي لَهُ، وَأَنَا حِينَئِذٍ مُوقِنٌ بِأَنَّ مُنْتَهَىٰ دَعْوَتِكَ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَمُنْتَهَىٰ دَعْوَتِهِ إِلَىٰ النَّارِ.

سُبْحَانَكَ مَا أَعْجَبَ مَا أَشْهَدُ بِهِ عَلَىٰ نَفْسِي، وَأُعَدِّدُهُ مِنْ مَكْتُومِ أَمْرِي، وَأَعْجَبُ مِنْ ذٰلِكَ أَنَاتُكَ عَنِّي، وَإِبْطَآؤُكَ عَنْ مُعَاجَلَتِي، وَلَيْسَ ذٰلِكَ مِنْ كَرَمِي عَلَيْكَ، بَلْ تَأَنِّياً مِنْكَ لِي، وَتَفَضُّلاً مِنْكَ عَلَيَّ؛ لأَنْ أَرْتَدِعَ عَنْ مَعْصِيَتِكَ الْمُسْخِطَةِ، وَأُقْلِعَ عَنْ سَيِّئَاتِي الْمُخْلِقَةِ، وَلأَنَّ عَفْوَكَ عَنِّي أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ عُقُوبَتِي.

لا يوضع المال إلا في واجب

(فَمَنْ أَجْهَلُ مِنِّي يَا إِلٰهِيْ بِرُشْدِهِ...) العُقلاء لا يضعون المال إلا في واجب، وله العديد من المظاهر، والموارد، ومن أهمها أنْ يوضع في تنمية الموارد الطَّبيعة، بخاصة التّربة الزّراعية، والثّروة المائية، والمعدنية، ويستثمر في الصّناعة، والتّجارة لتوفير الدّخل، وزيادة الإنتاج بصورة دائمة لتستقيم الحياة، ومنها للسكن، والكساء، والغذاء، والمواصلات، والعلم، والصّحة، والأمن، والدّفاع، وإقامة العدل، والضّمان بشتىٰ أنواعه الضّرورية... إلىٰ غير ذٰلكَ من متطلبات الحياة، فإذا تجاوز صرف المال، وإنفاقه حدود مايجلب نفعاً، أو يدفع ضراً فهو سفه، وتبذير، وفساد،

وإسراف، ومعصية لله، وشريعته كما أشار الإمام.

وفي نهج البلاغة: «أقلُّ ما يلزمكم لله أنْ لا تستعينوا بنعمهِ علىٰ معاصيه»(١) وعن الإمام الصّادِق: «ليس فيما أصلح البدن إسراف، وإنما الإسراف فيما أفسد المال، وأضر البدن»(٢)... «ضمنت لمن اقتصد أنْ لا يفتقر»(٣)... «لا خير فيمن لا يُحِبُّ جمع المال من حلال فيكف به وجهه، ويقضي به دينه»(٤)... «اَلْفَقْر هو اَلْمَوْت الأحمر»(٥). وفي صيد الخاطر لابن الجوزي: «من ادعىٰ بغض المال فهو كذاب إلىٰ أنْ يثبت صدقه، فإذا ثبت صدقه فهو مجنون»(٦).

دعوة اَلرَّحْمَـٰنِ، ودعوة الشَّيْطَان

(وَمَنْ أَبْعَدُ غَوْراً فِي الْبَاطِلِ...) اختلف النّاس منذ القديم في مفهومي الْخَيْر، والشَّرّ، فمن قائل: لا مفهوم إطلاقاً لكلمة خَير، أو شرّ، بل هي من نوع الكلام الفارغ، علىٰ ما يقول فلاسفة الوضعية المنطقية، وكلّ ما هناك أنّ اَلإنسَان الفرد إذا انجذب إلىٰ الشّيء الَّذِي يشتهيه أطلق عَلَيْهِ كلمة خير من ذاته، وعندياته، وإذا تعارض مع شهوته، ونفر منه سماه شراً!. وقال آخرون: إنّ لكلّ مفهوم من الْخَيْر، والشَّرّ إستقلالاً في عالمه تماماً كالعلم، والجهل، والغنىٰ، والْفَقْر، والصّحة،

---

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٧٨/٤، الحمكة (٣٣٠).

(٢) أُنظر، الكافي: ٥٤/٤ ح ١٠، مَكَارِم الأَخْلاَق: ٥٨، وسائل الشّيعة: ٥٥٥/٢١، مستدرك الوسائل: ٢٦٤/١٥.

(٣) أُنظر، الكافي: ٥٣/٤، فقه الرّضا: ٢٥٥، الخصال: ٩، من لا يحضره الفقيه: ٦٤/٢.

(٤) أُنظر، ثواب الأعمال: ١٨٠، شرح أُصول الكافي: ٩/٢، تهذيب الأحكام: ٤/٧.

(٥) أُنظر، المحاسن: ٢١٨/١، الخصال: ٦٢٠، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ١٨٩.

(٦) أُنظر، صيد الخاطر لابن الجوزي: ٤٧/١، وص: ٤٨١ طبعة الحجر.

والمَرَض.

ومهما إختلف ٱلْعُلَمَاء، والفلاسفة في هذا الموضوع فإنّهم يجمعون قولاً واحداً ـ من حيث يشعرون، أو لا يشعرون ـ علىٰ أنّ الشّيء الَّذِي يضرك، أو يضر الآخرين هو شرّ، وأنّ ما ينفعك، وينفع النّاس هو خيرّ، وأنّ في داخل ٱلإِنسَان شيئاً يدفعه إلىٰ فعل هذا، وترك ذاك، بل هو يشعر في كثير من الأحيان بالقلق، والتّردد بين فعل الشّيء الواحد، وتركه، ويوازن بينهما في قرارة نفسه، ويناقش ما في كلّ منهما من مضار، ومنافع في نظره، وعلىٰ هذا الأساس يقدم، أو يحجم، فأنْ أقدَم علىٰ ما فيه خير، وصلاح فقد إستجاب لدعوة ٱلرَّحْمَـٰنِ، وإنْ إختار ما فيه شر، وفساد فقد لبىٰ دعوة الشَّيْطَان كما جاء في عبارة الإمام ﷺ. أمّا غيره فيسند عمل الْخَيْر إلىٰ منطق العقل، وفعل الشّرّ إلىٰ الشّهْوة، ونزوة العاطفة، والفرق في المبنىٰ لا في المعنىٰ ونعوذ بالله من نفثات الشَّيْطَان، ومن العاطفة إذا إشتعلت، فإنّها تطغىٰ بنارها، ودخانها علىٰ الدّين، والعقل، وتقود صاحبها إلىٰ كلّ شرٍ، وسوء، وهذا العاطفي هو الَّذِي عناه الإمام ﷺ بقوله: لا أحد أَبْعَدُ غَوْراً فِي الْبَاطِلِ، وَأَشَدُّ إِقْدَاماً عَلَىٰ السُّوءِ، أمّا ياء المتكلم هنا فهي كياء إبراهيم الخليل ﷺ في قوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾[1] والمُراد هنا المخطىء علىٰ وجه العموم دون البريء بحكم البديهة، ومثلها الياء في قول الإمام ﷺ: (سُبْحَانَكَ مَا أَعْجَبَ مَا أَشْهَدُ بِهِ عَلَىٰ نَفْسِي) كلّ من آمن بالله، واليوم الآخر لا يعصي ٱللَّـه سبحانه بقصد عصيانه، والعناد له، بل لشهوة قاهرة، ونزوة عابرة... حتّىٰ إذا ملك عقله تراجع نادماً علىٰ فعله، وشهد علىٰ نفسه بالخطإ، والْخَطِيئة، بل، وتعجب من إمهال ٱللَّه له، وإبطائه عن أخذه بجرمه، وجريرته.

---

(١) الشّعراء: ٨٢.

(وَتَفَضُّلاً مِنْكَ عَلَيَّ، لأَنْ أَرْتَدِعَ عَنْ مَعْصِيَتِكَ الْمُسْخِطَةِ) أي الموجبة لغضبك وعذابك، وٱللّٰه سبحانه يُمهل العصاة، ولا يعاجلهم بالعقوبة لأُمور ثلاثة:

الأوّل: أنْ تكون حجته تعالىٰ أبلغ، وإحسانه إليهم أوفىٰ.

الثّاني: أنْ يتوبوا، ويستبدلوا المعصية بالطاعة.

الثّالث: ما أشار إليه الإمام ﷺ بقوله: (وَلِأَنَّ عَفْوَكَ عَنِّي أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ عُقُوبَتِي) يريد ٱللّٰه لعبادهِ الْخَيْر، واليسر، ولا يرهقهم بالعسر، بل هو أرحم بهم من الأُمّ الرّؤف بوليدها، ولا يعذب أحداً إلا بإستحقاق، ويعفو عن كثير، وماذا يصنع بعذابهم، وهو الغني الحميد، وفي دُعَاء آخر: «وَلَوْ أَنَّ عَذابي مِمّا يَزِيدُ في مُلْكِكَ لَسأَلْتُكَ الصَّبْرَ عَلَيهِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لكَ؛ وَلَكِنْ سُلْطانُكَ أَللّٰهُمَّ أَعْظَمُ، وَمُلْكُكَ أَدْوَمُ»[1] هذا، إلىٰ أنّه يثيب علىٰ مجرد صدق النّية، وطيب السّريرة، ولا يعاقب علىٰ خبثها، وسوئها إلا إذا أورقت، وأثمرت.

بَلْ أَنَا... يَا إِلٰهِي أَكْثَرُ ذُنُوباً، وَأَقْبَحُ آثاراً، وَأَشْنَعُ أَفْعَالاً، وَأَشَدُّ فِي الْباطِلِ تَهَوُّراً، وَأَضْعَفُ عِنْدَ طَاعَتِكَ تَيَقُّظاً، وَأَقَلُّ لِوَعِيدِكَ انْتِبَاهاً، وَارْتِقَاباً مِنْ أَنْ أُحْصِيَ لَكَ عُيُوبِي، أَوْ أَقْدِرَ عَلَىٰ ذِكْرِ ذُنُوبِي، وَإِنَّمَا أُوبِّخُ بِهَذا نَفْسِي طَمَعاً فِي رَأْفَتِكَ الَّتِي بِهَا صَلاَحُ أَمْرِ الْمُذْنِبِينَ، وَرَجَاءً لِرَحْمَتِكَ الَّتِي بِهَا فَكَاكُ رِقَابِ الْخَاطِئِينَ.

أَللّٰهُمَّ وَهَذِهِ رَقَبَتِي قَدْ أَرَقَّتْهَا الذُّنُوبُ، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَعْتِقْهَا بِعَفْوِكَ، وَهَذَا ظَهْرِي قَدْ أَثْقَلَتْهُ الْخَطَايَا، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَخَفِّفْ عَنْهُ بِمَنِّكَ.

---

(١) سيأتي (الدُّعاء الخمسون).

(بَلْ أَنَا... يَا إِلٰهِي أَكْثَرُ ذُنُوباً...) أبداً لا داعي للحساب، والسّؤال، والجواب... فأنا كتلة من الذُّنُوبِ، والعيوب، ولا شيء لدي سوىٰ الإيْمَان بعدلك، وحكمتك، والإستسلام لأمرك، وحكمك، والشّعور من الأعماق بأنّ كثرة الذُّنُوبِ تكف صوتي عنك، ومد يدي إليك أللَّهُمَّ إلا أنْ (أُوبِّخُ بِهَذا نَفْسِي طَمَعاً فِي رَأْفَتِكَ الَّتِي بِهَا صَلاَحُ أَمْرِ الْمُذْنِبِينَ) قلت في كتابك المجيد: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾[1]، وهَذِهِ النّعمة منك رأفة، ورَحْمَة، وعتق من ٱلنَّار للمذنبين، والخاطئين، وإستصلاح لما فسد منهم، وقد تبت إليك، ولنْ أعود إلىٰ معصيتك.

(أَللَّهُمَّ وَهَذِهِ رَقَبَتِي قَدْ أَرَقَّتْهَا) أي صيرتها الذُّنُوب رقاً بعد الحرية (فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَعْتِقْهَا بِعَفْوِكَ) أمح عَنّي ما أسلفت، وحررني من الرّق (وَهَذَا ظَهْرِي...) عطف تكرار. وقالوا: هذا الإعْتِرَاف درس من الإمام، وتعليم. وقلنا فيما سبق: هو ضرب من عِبَادَة ٱلعُلَمَاء بالله الّذين لايخشون أحداً سواه. سلمنا ـ جدلاً ـ أنّه تعليم، فهل تعلم وأنتفع بهذا الدّرس، وعمل به الّذين آمنوا، وأقاموا الصَّلاَة، وكرروا التّسبيحات؟.

يَا إِلٰهِي لَوْ بَكَيْتُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ تَسْقُطَ أَشْفَارُ عَيْنَيَّ، وَانْتَحَبْتُ حَتَّىٰ يَنْقَطِعَ صَوْتِي، وَقُمْتُ لَكَ حَتَّىٰ تَتَنَشَّرَ قَدَمَايَ، وَرَكَعْتُ لَكَ حَتَّىٰ يَنْخَلِعَ صُلْبِي، وَسَجَدْتُ لَكَ حَتَّىٰ تَتَفَقَّأَ حَدَقَتَايَ، وَأَكَلْتُ تُرَابَ الأَرْضِ طُولَ عُمْرِي، وَشَرِبْتُ مَاءَ الرَّمَادِ آخِرَ دَهْرِي، وَذَكَرْتُكَ فِي خِلاَلِ ذَلِكَ حَتَّىٰ يَكِلَّ لِسَانِي، ثُمَّ لَمْ أَرْفَعْ طَرْفِي إِلَىٰ آفَاقِ ٱلسَّمَاءِ

---

(١) النّحل: ١١٩.

اسْتِحْيَاءً مِنْكَ مَا اسْتَوْجَبْتُ بِذَلِكَ مَحْوَ سَيِّئَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ سَيِّئَاتِي، وَإِنْ كُنْتَ تَغْفِرُ لِي حِيْنَ أَسْتَوْجِبُ مَغْفِرَتَكَ، وَتَعْفُو عَنِّي حِينَ أَسْتَحِقُّ عَفْوَكَ فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ وَاجِبٍ لِيْ بِاسْتِحْقَاقٍ، وَلا أَنَا أَهْلٌ لَهُ بِاسْتِيجَابٍ إِذْ كَانَ جَزَائِي مِنْكَ فِي أَوَّلِ مَا عَصَيْتُكَ... النَّارَ؛ فَإِنْ تُعَذِّبْنِي، فَأَنْتَ غَيْرُ ظَالِمٍ لِيْ.

(أَشْفَارُ عَيْنَيَّ): أهدابها، وهي شعر الجفن الأعلىٰ، والأسفل (وَقُمْتُ لَكَ) صليت لك (حَتَّىٰ تَتَنَشَّرَ قَدَمَايَ) تنتشر: تنتفخ من التَّعَب كما في مجمع البحرين للشيخ الطّريحي[1] (حَتَّىٰ يَنْخَلِعَ صُلْبِي) خلع الشّيء: أزاله، أو أزاحه من مكانه، والصّلب: عظم الظّهر (تَتَفَقَّأَ حَدَقَتَايَ) فقأ العين: قلعها، والحدقة: سواد العين، وتطلق عليها بالذات (مَاءَ الرَّمَادِ) الممزوج بالرماد.

ما طَلَب الدُّنْيَا من خالها

إنّ بناء الإنسانية لا يكتمل، ويستقيم بالمادة وحدها، ولا بالروح وحدها، بل لا بد من هَذِهِ، وتلك، والعمل لهما معاً في وقت واحد علىٰ أنْ تراعىٰ عملية التّوازن بينهما في دقةٍ، وبراعة، كما في الحديث الشّريف: «إعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً، وإعمل ولآخرتك كأنّك تموت غداً»[2]، وفي عصر الإمام السّجاد؈ طغىٰ الفساد، والإستبداد علىٰ كلّ شيء، ولم تبق للدماء، والأموال، والأعراض أية حرمة، وحصانة، ولا قوة تردع، أو حاكم يسمع، فاتخذ الإمام؈ من إذاعة أدعيته،

---

(١) أُنظر، مجمع البحرين: ٤٢١/٤.

(٢) أُنظر: وسائل الشّيعة: ٤٩/١٢ ح ٢، تنبيه الخواطر: ٢٣٤/٢، فيض القدير شرح الجامع الصّغير: ١٦/٢.

ومناجاته وسيلة لهداية النّاس، ورجوعهم إلىٰ ٱللَّه، ونجاتهم من هذا الخطر الفظيع حيث لا خلاص للإنسانية من المتاعب، والمشكلات في كلّ عصر، ومصر إلا بالتوجه إلىٰ ٱللَّه، وكلّما آزدادت المادة قوةً تفاقمت الآلام، وتراكمت المصائب: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلإِنسَـٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾[1]. وقد آستغنىٰ إنسان القرن العشرين، فاتخذ من المادة إلهاً، وملاء ٱلأرض فساداً، وشراً، ورعباً، وجوراً، ولا سبب موجب إلا الانصراف عن ٱللَّه، والْحَقّ، والعدل.

ونعود إلىٰ كلمات الإمام ﷺ لنشير أنّ ٱللَّه سبحانه يقبل التَّوْبَة ممن أسرف علىٰ نفسه، بمجرد النّدم عن صدقٍ، وإخلاص، ولا يكلفه إلا وسعاً، ويسراً: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٍ﴾[2]... ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾[3]، وقد عاتب نَبِيّه ٱلۡكَرِيمِ ﷺ لما قام اللّيْل حتّىٰ تورمت قدماه، وقال له: ﴿طه مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ إِلَّا تَذۡكِرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾[4]، وتواتر عن ٱلرَّسُول الأعظمﷺ: «لا رهبانية في الإِسْلاَم». أمّا مراده بالجهاد الأكبر في حديث الجهاد فهو أخذ النّفس الأمارة بالشدة، وكبحها عن المحرمات، وبهذا يكون ٱلإِنسَان ربانياً، يزداد قرباً من خالقه حتّىٰ يرتفع عنده إلىٰ أعلىٰ الدّرجات، وعَلَيْهِ يكون أكل التّراب، وشرب ماء الرّماد، والقيام حتّىٰ تنتفخ القدمان، والرّكوع حتّىٰ ينخلع الظّهر، والسّجود حتّىٰ تسقط العين، وأهدابها، كلّ ذٰلِكَ وما إليه حرام محرم شرعاً، وعقلاً، وعرفاً.

---

(١) العلق: ٦ـ٧.

(٢) المائدة: ٦.

(٣) ٱلْبَقَرَة: ١٨٥.

(٤) طه: ١ـ٣.

والإمام ﷺ ما فعل شيئاً من ذٰلِكَ، ولا نقله عنه ناقل، وإنّما أراد بكلماته هٰذِهِ الإرشاد والتّنبيه إلىٰ أنّ التّوسل إليه تعالىٰ إنّما يكون بالعمل، وبـذل المـجهود. لا بالكلام، وطَلَب الجود فقط من ٱللّٰه... هذا إلىٰ أنّ مناجاه الإمام ﷺ ـ علىٰ وجـه العموم ـ تجسد بشكل واضح علمه الرّاسخ بعظمة ٱللّٰه وجلاله، وفناءه في حـبهِ، وطاعته، وٱنصرافه كلّه إلىٰ ٱللّٰه، واليوم الآخر في كلّ ما يقصد ويقول، ويفعل، ولا شيء أصدق في الدّلالة علىٰ ذٰلِكَ من جوابه للحاكم الأُموي هشام بْن عبد الملك حين قال له: «أطْلُب حاجتك. فجابهه بهذه الكلمة العاصفة القاصفة. ما طـلبت الدُّنْيا من خالقها حتّىٰ أطلبها من المخلُوق»(١)!. وكلّ أئمّة الشّيعة من هذا المعدن، والجوهر: ما طلبوا الدُّنْيا حتّىٰ من خالقها؛ لأنّ دنياهم هي آخرتهم. وما عملوا إلا لله، ولها.

(لَمْ أَرْفَعْ طَرْفِي إِلَىٰ آفَاقِ ٱلسَّمَاءِ...) هذا كناية عن الخضوع. والتّذلّل لعزته تعالىٰ، وكماله، وإلا فإنّ ٱللّٰه في كلّ مكان بعلمه، وقدرته، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد (وَإِنْ كُنْتَ تَغْفِـرُ لِي حِيْنَ أَسْتَوْجِبُ مَغْفِرَتَكَ، وَتَعْفُو عَنِّي حِينَ أَسْتَحِقُّ عَفْوَكَ فَإِنَّ ذٰلِكَ غَيْرُ وَاجِبٍ لِيْ بِاسْتِحْقَاقٍ).

وتسأل: إنّ قول الإمام ﷺ في فعل الشّرط: «حِيْنَ أُسْتَوْجِبُ مَغْفِرَتَكَ، حِـينَ أَسْتَحِقُّ عَفْوَكَ» ظاهر الدّلالة في أنّ العفو حقّ للتائب، والمغفرة له واجبة علىٰ ٱللّٰه تعالىٰ، وقوله ﷺ في جواب الشّرط: «فَإِنَّ ذٰلِكَ غَيْرُ وَاجِبٍ لِيْ بِاسْتِحْقَاقٍ» صريح في أنّه لا حق للتائب، ولا وجوب علىٰ ٱللّٰه أنْ يقبل، ويعفو! فكيف نفىٰ ما أثبت، ونقض ما أبرم؟.

---

(١) أُنظر، مواهب الجليل للحطاب الرّعيني: ٢/ ٥٤٠.

الجواب: إنّ التَّوْبَة من حيث هي لا تسقط العقوبة علىٰ الجريمة بمقتضىٰ الأصل، وفي الشّرائع الوضعية. ولكن ٱللّٰه سبحانه تفضلاً منه، وكرماً أوجب علىٰ نفسه قبول التَّوْبَة، وإسقاط العقوبة علىٰ أية جريمة سابقة إلا أنْ تكون حقاً للآخرين، حيث قال: عزّ من قائل: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّـهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ﴾[1]...﴿أَفَلَايَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]. ومعنىٰ هذا أنّ التّائب لا يستوجب المغفرة بمقتضىٰ الأصل، ويستوجبها بموجب النّصّ، والإمام عليه السلام نفىٰ الوجوب بالنظر إلىٰ الأصل، وأثبته مع ملاحظة النّصّ، وعَلَيْهِ فلا تنافر، وتناقض بين فصل الشّرط، وجوابه، وَبَيْنَ صدر الكلام، وعجزه[3].

(إِذْ كَانَ جَزَائِي مِنْكَ فِي أَوَّلِ مَا عَصَيْتُكَ النَّارَ) لأنّ الجزاء علىٰ الذّنب يسوغ بداراً، وتأخيراً، عاجلاً، وآجلاً، ومعنىٰ هذا (فَإِنْ تُعَذِّبْنِي) الآن، وعلىٰ الفور (فَأَنْتَ غَيْرُ ظَالِمٍ لِيْ)، بل أنا المذنب الظّالم نَفْسِي بنفسي. وبالنهاية فإنّ السّباق إلىٰ عفو ٱللّٰه، ومَرْضَاتِه لايكون، ولن يكون إلا بمقاومة الظُّلم، والْبَاطِل، ومناصرة الْحَقّ، والعدل، وبقهر النّفس الأمارة، وأخذها بالشدة، وإعداد العدة.

إِلٰهِي فَإِذْ قَدْ تَغَمَّدْتَنِي بِسِتْرِكَ فَلَمْ تَفْضَحْنِي، وَتَأَنَّيْتَنِي بِكَرَمِكَ فَلَمْ تُعَاجِلْنِي، وَحَلُمْتَ عَنِّي بِتَفَضُّلِكَ، فَلَمْ تُغَيِّرْ نِعْمَتَكَ عَلَيَّ، وَلَمْ تُكَدِّرْ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي فَارْحَمْ طُولَ تَضَرُّعِيْ، وَشِدَّةَ مَسْكَنَتِي، وَسُوءَ مَوْقِفِيْ.

---

(١) النّساء: ١٧.

(٢) المائدة: ٧٤.

(٣) أُنظر، شرح الدُّعاء العاشر: فقرة الثّواب تفضل، أو إحسان. (منه رحمه الله).

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَقِنِي مِنَ الْـمَعَاصِي، وَاسْتَعْمِلْنِي بِالطَّاعَةِ، وَارْزُقْنِي حُسْنَ الإِنابَةِ، وَطَهِّرْنِي بِالتَّوْبَةِ، وَأَيِّدْنِي بِالْعِصْمَةِ، وَاسْتَصْلِحْنِي بِالْعَافِيَةِ، وَأَذِقْنِي حَلاَوَةَ الْمَغْفِرَةِ، وَاجْعَلْنِي طَلِيقَ عَفْوِكَ، وَعَتِيقَ رَحْمَتِكَ وَاكْتُبْ لِي أَمَاناً مِنْ سَخَطِكَ، وَبَشِّرْنِي بِذٰلِكَ فِي الْعَاجِلِ دُونَ الآجِلِ بُشْرىٰ أَعْرِفُهَا، وَعَرِّفْنِي فِيهِ عَلاَمَةً أَتَبَيَّنُهَا إِنَّ ذٰلِكَ لاَ يَضِيقُ عَلَيْكَ فِي وُسْعِكَ، وَلاَ يَتَأَكَّدُكَ فِي قُدْرَتِكَ، وَلاَ يَتَصَعَّدُكَ فِي أَناتِكَ، وَلا يَؤُودُكَ فِي جَزِيلِ هِباتِكَ الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهَا آيَاتُكَ.

إِنَّكَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ، وَتَحكُمُ مَا تُرِيدُ، إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

(إِلٰهِي، فَبِإِذْ قَدْ تَغَمَّدْتَنِي) غمرتني بسترك عليَّ فيما أطلعت عَلَيْهِ من ذُنوبِي(فَلَمْ تَفْضَحْنِي) عطف تكرار، وتفسير (وَتَأَنَّيْتَنِي) أمهلتني تفضلاً منك كي أستدرك بالتوبة، والعمل الصّالح (فَلَمْ تُعَاجِلْنِي بالعقوبة) علىٰ تقصيري في الشُّكْر لك علىٰ ما أسديت (وَحَلُمْتَ عَنِّي بِتَفَضُّلِكَ) عاملتني بإحسانك لا بما أستحق (فَلَمْ تُغَيِّرْ نِعْمَتَكَ عَلَيَّ) علماً بأنّي قابلتها بِالتَّقْصِير، ونكران الجميل (وَلَمْ تُكَدِّرْ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي) عطف تكرار (فَارْحَمْ طُولَ تَضَرُّعِيْ) ولا تخيب رجائي (وَسُوءَ مَوْقِفِيْ) وارحم موقفي بين يديك ذليلاً، خاشعاً، وصاغراً، خاضعاً.

(وَقِنِي مِنَ الْـمَعَاصِي) أسلك سبيل الرّشد، والْخَير بتوفيقك، وعنايتك (وَاسْتَعْمِلْنِي بِالطَّاعَةِ) هبني الرّغبة، والنّشاط علىٰ ما أمرتني به (وَارْزُقْنِي حُسْنَ الإِنابَةِ) وهي الرّجوع، والانقطاع إلىٰ اللّه بصدقٍ، وإخلاص (وَطَهِّرْنِي بِالتَّوْبَةِ) أقبل توبتي، وأمحق بها جرمي، وجريرتي (وَأَيِّدْنِي بِالْعِصْمَةِ) عن كلّ ما تكره (وَاسْتَصْلِحْنِي بِالْعَافِيَةِ) والْعَافِيَة هنا تعم، وتشمل الصّحة، والغنىٰ عن النّاس ـ أي

السّلامة من ٱلْفَقْر، والمَرَض ـ وبها يُستصلح الفرد، والمتمع، ولذا قال ٱلرَّسُول الأعظمﷺ لخالقه: «غير أنّ عافيتك هي أوسع لِي»[١] أي أصلح، وأنفع.

(وَأَذِقْنِي حَلاَوَةَ ٱلْمَغْفِرَةِ) وتقابلها مرارة الْغَضَب، والعذاب، والسّعيد من جمع بين عافية الدُّنْيَا، والآخرة (وَاجْعَلْنِي طَلِيقَ عَفْوِكَ) حررني من أسر الذُّنُوبِ (وَعَتِيقَ رَحْمَتِكَ) عطف تكرار (وَاكْتُبْ لِي أَمَاناً مِنْ سَخَطِكَ) هب لِي الأمن، والأمان من غضبك، وعذابك يَوْم الفزع الأكبر (وَبَشِّرْنِي بِذٰلِكَ فِي الْعَاجِلِ دُونَ الآجِلِ...) أشعر قَلْبِي الآن بطريقٍ، أو بآخر بأنّي من الفائزين بغفرانك، ورضوانك، ليسكن، ويطمئن (إِنَّ ذٰلِكَ لاَ يَضِيقُ عَلَيْكَ فِي وُسْعِكَ) هو عَلَيْكَ سهل يسير، وعندي كبير، وكثير (وَلاَ يَتَأَكَّدُك): لا يصعب عَلَيْكَ؛ لأنّ كلّ شيء هو رهن بمشيتك.

(١) أُنظر، كنز العمال: ٦٩٩/٢ ح ٥١٢٠، تفسير القرطبي: ٢١١/١٦، الكامل في التّأريخ: ١١١/٦.

الدّعاء السّابع عشر

دُعَاؤُهُ عَلَى الشَّيْطَانِ

أَللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ نَزَغَـاتِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَكَيْدِهِ، وَمَكَائِدِهِ، وَمِنَ الثِّقَةِ بِأَمَـانِيِّهِ، وَمَوَاعِيدِهِ، وَغُرُورِهِ، وَمَصَائِدِهِ، وَأَنْ يُطْمِعَ نَفْسَهُ فِي إِضْلاَلِنَا عَنْ طَاعَتِكَ، وَامْتِهَانِنَا بِمَعْصِيَتِكَ، أَوْ أَنْ يَحْسُنَ عِنْدَنَا مَا حَسَّنَ لَنَا، أَوْ أَنْ يَثْقُلَ عَلَيْنَا مَا كَرَّهَ إِلَيْنَا.

أَللَّهُمَّ اخْسَأْهُ عَنَّا بِعِبَادَتِكَ، وَاكْبِتْهُ بِدُؤُوبِنَا فِي مَحَبَّتِكَ، وَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِتْراً لاَ يَهْتِكُهُ، وَرَدْماً مُصْمِتاً لا يَفْتُقُهُ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاشْغَلْهُ عَنَّا بِبَعْضِ أَعْدَائِكَ، وَاعْصِمْنَا مِنْهُ بِحُسْنِ رِعَايَتِكَ، وَاكْفِنَا خَتْرَهُ، وَوَلِّنَا ظَهْرَهُ، وَاقْطَعْ عَنَّا إِثْرَهُ.

الشّيْطَان رئيس العالم

(أَللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ نَزَغَـاتِ): جمع نَزَغَة بمعنى الوسوسة الّتي تحث، وتحمل على الجريمة، والرّذيلة (الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) من الرّجم بالشتم، واللّعن، ومن

هنا كان «اللّعين» من جملة أسمائه، ومنها الخبيث، والمهلك، والهـاوية، وأطـلق عَلَيْهِ لقب «رئيس العالم»[١]! ولهذي التّسمية، أو الصّفة ما يبررها إنْ أُريد بالعالم عالم الشّرّ، وأصحاب المصانع الّتي تنتج أسلحة الإبادة بـالجملة. وفـي قـاموس ٱلكِتَاب المقدس: « الشَّيْطَان كائن حقيقي، وهو أعلىٰ شأناً من ٱلإنسَان، ورئيس رتبة من الأرواح النّجسة... أمّا أعوانه فهم عصبة الأرواح السّاقطة. وهـو يـوقع النّاس في الْخَطِيئة عن طريق الغش، والإحتيال، ويظهر بـمظهر النّـور، والتّـنين، والصّور المقبولة للناس»[٢].

وتجدر الإشارة إلىٰ الشَّيْطَان أسم جنس يشمل إبليس، وغيره. ونحن لم نـرَ كائناً من جنس خاص يسمىٰ شيطاناً، ولكن الوحي أخبر عنه، والعقل لا يـنفيه، فوجب التّصديق، وقال سبحانه من جملة ما قـال فـي وصـف الشَّـيْطَان: ﴿يَأْمُرُ بِـالْفَحْشَآءِ وَٱلْـمُنكَرِ﴾[٣]...وقـال تـعالىٰ: ﴿وَيُـرِيدُ ٱلشَّـيْطَـٰنُ أَن يُـضِلَّهُمْ ضَـلَـٰلاًۢ بَعِيدًا﴾[٤]، وعَلَيْهِ فأيُّ دافع إلىٰ الفساد، والضّلال يسوغ لنا أنْ نسميه شيطاناً أكان من الدّاخل كالهوىٰ، والغرور، وسوء الظّـن، والحـقد، والحسـد أم مـن الخـارج كالدجال، والمحتال، ووسائل الإعلام المضللة الّتي يسيطر عـليها المسـتعمرون، والصّهاينة، وكلّ من يلبس الْحَقّ بالباطل. وفي الحديث:« الشَّيْطَان يجري من ابن ءَادَمَ مجرىٰ الدّم»[٥] وفيه إيماء إلىٰ الشَّيْطَان الدّاخلي، وفي الْقُرآن ٱلْكَرِيمِ: ﴿وَكَذَٰلِكَ

---

(١) أُنظر، إنجيل يوحنا: الإصحاح ١٢ الفقرة (٣١)، منه ﷺ.

(٢) أُنظر، قاموس ٱلكِتَاب المقدس: ٢٤٥، طبعة الهند.

(٣) النّور: ٢١.

(٤) النّساء: ٦٠.

(٥) أُنظر، سنن الدّارمي: ٢/ ٣٢٠، صحيح البخاري: ٨٢٤/٧، الدّيباج علىٰ مسلم: ١٩٣/٥.

جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾[1]...وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ﴾[2]. إشارة إلىٰ الشّيطَان الخارجي.

(وَمَكَائِدِهِ): جمع مكيدة بمعنىٰ المكر، والحيلة (وَمِنَ الثِّقَةِ بِأَمَانِيِّهِ): جمع أُمنية بمعنىٰ البغية، وكلّ ما يصوره الشّيطَان للإنسان، ويعده بِهِ فهو خداع، وسراب (وَأَنْ يُطْمِعَ نَفْسَهُ فِي إِضْلاَلِنَا) ولا يطمع الشّيطَان إلا بضعفاء الإيمَان، والعقول الّذين يفتحون له الباب، ويرحبون به، ولو أقفلوه في وجهه لولي يائساً (وَامْتِهَانِنَا) امتهنه: احتقره، واتخذه عبداً، وخادماً في أغراضه (أَوْ أَنْ يَحْسُنَ عِنْدَنَا مَا حَسَّنَ) فنرىٰ الشّرّ خيراً، والجهل علماً، والخرافة ديناً، والهذر بلاغة (أَوْ أَنْ يَثْقُلَ عَلَيْنَا مَا كَرَّهَ إِلَيْنَا) يحذر الشّيطَان، وينفر من الصّوم، والصّلاَة، وغيرهما من العبادات، ومن العفة، والنّزاهة، والصّدق، والأمانة، ومن كلّ خير، وفضيلة (اخْسَأْهُ عَنَّا بِعِبَادَتِكَ) أُطرده عنّا، واشغلنا عنه بالطاعات، وفعل الْخَيْرات.

(وَاكْبِتْهُ بِدُؤُوبِنَا فِي مَحَبَّتِكَ) اكْبِتْهُ: أخزه، ورد كيده في نحره، وبدؤوبنا: بجدنا، واجتهادنا فيما يرضيك (وَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِتْراً لاَ يَهْتِكُهُ) هتك السّتر: خرّقه، أو شقه، ونفذ منه إلىٰ ما يريد، والمعنىٰ لا تجعل له إلينا مدخلاً، ومنفذاً (وَرَدْماً) حصناً، وسداً (مُصْمِتاً) مغلقاً (لا يَفْتُقُهُ) لا ينقضه (وَاشْغَلْهُ عَنَّا بِبَعْضِ أَعْدَائِكَ) الّذين كفروا بك، وبكتبك، وأنبيائك. ولكن في بعض الرّوايات ما معناه: «إنّ الشّيطَان قد فرغ من أهْل الشّرك، والإلْحَاد، وهو الآن في شغل شاغل بمن آمن بالله، واليوم الآخر»[3] (وَاعْصِمْنَا مِنْهُ بِحُسْنِ رِعَايَتِكَ) احمنا منه بحفظك،

(١) الأنعَام: ١١٢.

(٢) البَقَرَة: ١٤.

(٣) أُنظر، فيض القدير شرح الجامع الصّغير: ٦٣٣/٢، قريب منه، رسائل فقهيه للجواهري: ٩٣،

وعنايتك (وَاكْفِنَا خَتْرَهُ): غدره، وأغتياله (وَوَلِّنَا ظَهْرَهُ) وفي الأمثال: «أرنا ظهرك، ولا ترنا وجهك»[١] (وَاقْطَعْ عَنَّا إِثْرَهُ) إجعل أقوالنا، وأفعالنا، ومقاصدنا كلّها خالصة لوجهك ٱلْكَرِيمِ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَمْتِعْنَا مِنَ الْهُدَىٰ، بِمِثْلِ ضَلاَلَتِهِ، وَزَوِّدْنَا مِنَ التَّقْوَىٰ ضِدَّ غَوَايَتِهِ، وَاسْلُكْ بِنَا مِنَ التُّقَىٰ خِلاَفَ سَبِيلِهِ مِنَ الرَّدىٰ. أَللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ لَهُ فِي قُلُوبِنَا مَدْخَلاً، وَلاَ تُوطِنَنَّ لَهُ فِيمَا لَدَيْنَا مَنْزِلاً.

أَللَّهُمَّ وَمَا سَوَّلَ لَنَا مِنْ بَاطِلٍ فَعَرِّفْنَاهُ وَإِذَا عَرَّفْتَنَاهُ فَقِنَاهُ، وَبَصِّرْنَا مَا نُكَايِدُهُ بِهِ، وَأَلْهِمْنَا مَا نُعِدُّهُ، وَأَيْقِظْنَا عَنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ بِالرُّكُونِ إِلَيْهِ، وَأَحْسِنْ بِتَوْفِيقِكَ عَوْنَنَا عَلَيْهِ.

أَللَّهُمَّ وَأَشْرِبْ قُلُوبَنَا إِنْكَارَ عَمَلِهِ، وَالْطُفْ لَنَا فِي نَقْضِ حِيَلِهِ. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَحَوِّلْ سُلْطَانَهُ عَنَّا، وَاقْطَعْ رَجَاءَهُ مِنَّا، وادْرَأْه عَنِ الْوُلُوعِ بِنَا.

إخلاص إبليس

(وَأَمْتِعْنَا مِنَ الْهُدَىٰ، بِمِثْلِ ضَلاَلَتِهِ) أبداً، لا أحد على الإطلاق أتقن مهنته، وأخلص لها، وكافح من أجلها كإبليس اللّعين... وكان واعظ قديم يصيح في الجماهير: كونوا في الإخلاص مثل إبليس. ولا أدري هل أخذ هٰذِهِ الموعظة من الإمام السّجاد ﷺ الَّذِي سأل الخالق سبحانه في دعائه هذا أنْ يجعل نشاطه في

↞ كِتَاب العمر والشّيب لابن أبي الدُّنْيَا: ٥٦، قريب منه.

(١) أُنظر، كِتَاب الأمثال البغدادية: ٥٢١.

طاعتة آللّه، وشوقه إلىٰ مَرْضَاتِه كنشاط إبليس في معصية الْحَقّ، وإغواء الْخَلْق؟.

التّقي

(وَزَوِّدْنَا مِنَ التَّقْوَىٰ ضِدَّ غَوَايَتِهِ) قيل في معنىٰ التَّقْوَىٰ: إنّها البعد عن مواطن الرّيب، وإتقاء الشّبهات، أي أنّ التّقي هو الّذِي لا يقدم علىٰ أي عمل إلا بعد علم الْيَقِين أنه حلال محلل، ويبتعد عن كلّ ما فيه شائبة التّحريم وشبهته. ونحن نلتقي مع هذا القول حيث نرىٰ أنّ التّـقي هـو العـادل الّـذِي يـفعل الواجـبات، ويـترك المحرمات بِنيَّة صادقة، وقلب سليم لقوله تعالىٰ: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[1] وقوله تعالىٰ: ﴿سَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾[2] أي يتجنب نار الجحيم (وَآسْلُكْ بِنَـا مِنَ التُّقَىٰ خِـلاَفَ سَبِيلِهِ مِنَ الـرَّدىٰ) أهدنا الصّراط المستقيم، وأبتعد عنا عن صراط الضّالين (أَللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ لَهُ فِي قُلُوبِنَا مَدْخَلاً) من أعطىٰ قلبه للشَّيطَان فقد ألغـىٰ وجـوده. وأصبح ألعوبة بيده.

(وَلاَ تُوطِنَنَّ لَهُ فِيما لَدَيْنَا مَنْزِلاً) يستحيل أنْ تستقيم الحياة فـي أيِّ مـجتمع يتحرك فيه الأشرار، والقراصنة بحرية، وبلا رادع، وزاجر من أنصار الْحَقّ، والعدل، ومن هنا جاءت المسؤولية الاجتماعية، والجهاد، وآستنقاذ المجتمع من الفوضىٰ، والْفِتَن، قال سبحانه: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾[3] وآشتهر عن النّبي ألْكَـرِيمِ: «السّاكت عن الْحَقّ شيطان أخرس»[4]... «من رأىٰ منكم مُنْكَراً فليغيره بيده، فإنْ لم يستطع فبلسانه، فإنْ لم يستطع فبقلبه، وذٰلِكَ أضعف الإيْمَان»[5]. (وَمَا سَوَّلَ لَنَا مِنْ

(١) المائدة: ٨.

(٢) اللّيْل: ١٧.

(٣) ألْبَقَرَة: ١٩٣.

(٤) أُنظر، الأذكار النّووية: ٣٣٥، فقه السّنة: ٦١١/٢، دراسات في الحديث والمحدثين: ١٤٧.

(٥) أُنظر، الدّر المنثور: ٣٠١/٢، روضة الطّالبين: ٤٢٠/٧، مواهب الجليل: ٤٤١/٢، المحلىٰ:

بَاطِلٍ فَعَرَّفْنَاهُ...) سوّل: سهّل، وزين، وقول الإمام ﷺ «فَعَرِّفْنَاهُ» يشير إلىٰ أنّ ٱلإِنسَان الطّيب قد يُضلل، ويُخدع بالتمويهات الكاذبة، والدّعايات المغرضة، فيظن الشّرّ بأهل الْخَيْر، والْخَيْر بأهل الشّرّ، والإمام ﷺ يرجو ٱللّٰه سبحانه أنْ يمده بالفهم، والوعي ليميز بين أهْل الصّدق، والكذب، والأمانة، والخيانة... وقد تمثلت أمام ناظري، وأنا أشرح هَذِهِ الفقرة من الدُّعاء، الأضاليل، والأباطيل الّتي تبثها، وتذيعها وسائل الإعلام في هذا العصر لتخدع السّذج، والبسطاء... ولكن ٱللّٰه سبحانه فضح حَمَلَة الشّعارات الزّائفة، والأجهزة المأجورة، ولم يعد لها من أثر يذكر إلا بما وصفها الشّاعر: «سلع تُباع وتُشترى وتعار».

(وَأَلْهِمْنَا مَا نُعِدُّهُ) للخائنين من الرّفض، والتّكذيب (وَأَيْقِظْنَا عَنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ...) سنة: النّعاس، والفتور، والمعنىٰ نبهنا، وذكرنا بطاعتك، ومعصية الشّيْطَان في أوقات النّعسة، والغفلة (وَأَحْسِنْ بِتَوْفِيقِكَ عَوْنَنَا عَلَيْهِ) أي نستعين بالله علىٰ أنفسنا كيلا نستجيب لدعوة الغي، والضّلال (وَأَشْرِبْ قُلُوبَنَا إِنْكَارَ عَمَلِهِ) املأ قلوبنا بحبّ الْخَيْر، وكراهية الشّرّ (وَالْطُفْ لَنَا فِي نَقْضِ حِيَلِهِ) هبّ لنا نوراً نستضيء به في ظلمات الشّبهات، والشّكوك (وَحَوِّلْ سُلْطَانَهُ عَنَّا) اجْعَلْنا من عبادك الْمُؤْمِنِين الّذين لا سلطان عَلَيْهِمْ للشّيْطَان الرّجيم (وَاقْطَعْ رَجَاءَهُ مِنَّا) أبداً لا ييأس الشّيْطَان، ويقطع الرّجاء إلا من القوي في دينه، وعقله، وشخصيته (وادْرَأْه عَنِ الْوُلُوعِ بِنَا) ادارأه: ٱدفعه، والولع: الحبّ، والتّعلق، ولا يُحِبُّ الشّيْطَان إلا من ٱستمع له، وٱغتر بحيله، وعلله.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ آباءَنَا، وَأُمَّهَاتِنَا، وَأَوْلاَدَنَا، وَأَهَالِينَا، وَذَوِي أَرْحَامِنَا، وَقَرَابَاتِنَا، وَجِيْرَانَنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ،

⇐ ٢٧/١.

وَالْمُؤْمِنَـاتِ مِنْهُ فِي حِـرْزٍ حَـارِزٍ، وَحِصْنٍ حَافِظٍ، وَكَهْفٍ مَـانِعٍ، وَأَلْبِسْهُمْ مِنْهُ جُنَناً وَاقِيَةً، وَأَعْطِهِمْ عَلَيْهِ أَسْلِحَةً مَاضِيَةً.

أَللَّـهُمَّ، وَاعْـمُمْ بِـذٰلِكَ مَـنْ شَـهِدَ لَكَ بِـالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَخْـلَصَ لَكَ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَعَادَاهُ لَكَ بِحَقِيقَةِ الْعُبُودِيَّةِ، وَاسْـتَظْهَرَ بِكَ عَـلَيْهِ فِـي مَعْرِفَةِ الْعُلُومِ الرَّبَّانِيَّةِ.

أَللَّهُمَّ احْلُلْ مَا عَقَدَ، وَافْتُقْ مَا رَتَقَ، وَافْسَخْ مَا دَبَّرَ، وَثَبِّطْهُ إِذَا عَزَمَ، وَانْقُضْ مَا أَبْرَمَ.

أَللَّهُمَّ وَاهْزِمْ جُنْدَهُ، وَأَبْطِلْ كَيْدَهُ، وَاهْدِمْ كَهْفَهُ، وَأَرْغِمْ أَنْفَهُ.

(وَاجْعَلْ آبَاءَنَا، وَأُمَّهَاتِنَا...) ابتدأ الإمام ﷺ دُعَاءه هذا متعوذاً من الشَّيطَان، بضمير المتكلم ومن معه ـ علىٰ سبيل الإجمال ـ ثُمَّ فصّل بذكر الّذين أشركهم في الدُّعاء، وهم الأوْلاَد، والآباء، وسائر ٱلأرْحَام، والجيران، والخلان، وكلّ من قال: لا إله إلا ٱللّه مُحمّد رَسُول ٱللّه، طَلَب للجميع الصّلاح، والفلاح، لتبقىٰ الصّلة فيما بينه وبينهم قائمة، ودائمة دنيا، وآخرة حيث لا قرابة، ولا صداقة يَوْم الفصل إلا بين المُؤمِنين المُتّقِين، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1].

وإذا كانت ملة الكفر واحدة فملة الإيمَان كذلك... وقد دعا رَسُول ٱللّه ﷺ أوّل ما دعا عشيرته الأقْرَبين بأمر من ٱللّـه ٱلّـذِي خـاطبه بـقوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، ولـما ردوا عَـلَيْهِ دعـوته

(١) الزّخرف: ٦٧.

(٢) الشّعراء: ٢١٤ ـ ٢١٥.

اَلتمس قبولها عند الأبْعَدِين عنه، فاستجابوا له، وفدوه بالمهج، وكان الآباء يبارزون الأبناء، وهؤلاء يتربصون بؤلائك، وبهذا كانوا أقرب له، وألصق به دنياً، وآخرة، من القرابات، وأُولي الأرحام الكفرة. وفي نهج البلاغة: «إنّ وليّ مُحمّد من أطاع اَللّه، وإنْ بعدت لُحمته، وإنّ عدو مُحمّد من عصىٰ، وإنْ قربت قرابته»[١]... «رُبّ قريب أبعد من بعيد، ورُبّ بعيد أقرب من قريب»[٢].

العلم الإلهي

(وَاسْتَظْهَرَ بِكَ عَلَيْهِ فِي مَعْرِفَةِ الْعُلُومِ الرَّبَّانِيَّةِ) استظهر عَلَيْهِ: استعان عَلَيْهِ بالحجج البالغة، والأدلة الدّامغة، والعلوم الرّبانية الإلهية تعم، وتشمل فلسفة العقيدة، وأدلتها، والفقه، وأُصوله، ومعرفة التّفسير، والحديث، والأخْلاَق، والتّربية، وبكلمة إنّ العلم الإلهي معرفة ما يجب الإيْمَان به كعقيدة، وفي السّلوك معرفة ما يجب فعله، أو تركه، وكلّ ذٰلِكَ تصدق عَلَيْهِ كلمة التّفقه في الدّين المأمور به في الآية: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[٣]. وفي الحديث: «تفقهوا في الدّين»[٤]... «عليكم بالتفقه في دين اَللّه»[٥].

(احْلُلْ مَا عَقَدَ...) أبطل كلّ أمر عزم عَلَيْهِ، وبادر إليه.

---

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٢٢/٤، الخطبة (٩٦)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٥٢/١٨.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ٥٥/٣، الخطبة (٣١)، عيون الحكم والمواعظ: ٢٦٦.

(٣) التَّوْبَة: ١٢٢.

(٤) أُنظر، الكافي: ٣١/١ ح ٦، شرح أُصول الكافي: ١٤/٢، المصنف لعبد الرّزاق الصّنعاني: ٣٢٤/٤.

(٥) أُنظر، الكافي: ٣١/١ ح ٧، شرح أُصول الكافي: ١٥/٢، منية المريد: ١١٢.

وتسأل: إنّ ٱللّٰه سبحانه قد بَتَّ في أمر الشَّيْطَان، وفرغ منه بلا رجعة قبل أنْ يرزق ءَادَمَ بنين، وبنات حيث قال، عزّ من قائل: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[1]، ومعنىٰ هذا أنّ سلطانه علىٰ الغاوين الّذين يفتحون له الباب، ويرحبون به ـ ثابت علىٰ كلّ حال، وعَلَيْهِ فلا جدوىٰ من الدُّعاء بأنْ يسلبه، وينزع منه هنا الْمُلْك، والسّلطان؟.

الجواب: إنّ موضوع هَٰذِهِ الآيـة هـو إبـليس بـالخصوص، ومـوضوع دُعَـاء الإمام‌ﷺ هو الشَّيْطَان الَّذِي يشمل النّفس الأمارة بالِسُوءِ من الدّاخـل، وشـياطين الإنس من الخارج[2]، والإمام ﷺ يدعو ٱللّٰه أنْ لا يسلط عَلَيْهِ شياطين الإنس، ولا غريزة الشّرّ الّتي تتصارع، وتتدافع مع العقل، والإيْمَان، وهذا الأمر لم يبت فـيه، ويفرغ منه سبحانه وتعالىٰ. وفي أُصول الكافي عن الإمام الصَّادِق‌ﷺ: «يا ميسر أدع، ولا تقل: إنْ الأمر قد فرغ مـنه، إنّ عـند ٱللّٰـه سـبحانه مـنزلة لا تُـنال إلا بمسألة»[3].

أَللَّهُمَّ اجْعَلْنَا فِي نَظْمِ أَعْدَآئِهِ، وَاعْزِلْنَا عَنْ عِدَادِ أَوْلِيَائِهِ، لا نُطِيعُ لَهُ إِذَا اسْتَهْوَانَا، وَلاَ نَسْتَجِيبُ لَهُ إِذَا دَعَانَا نَأْمُرُ بِمُنَاوَاتِهِ مَنْ أَطَاعَ أَمْرَنَا، وَنَعِظُ عَنْ مُتَابَعَتِهِ مَنِ اتَّبَعَ زَجْرَنَا.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَعَلَىٰ أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الـطَّاهِرِينَ، وَأَعِذْنَا وَأَهَـالِينَا، وَإِخْـوَانَنَا، وَجَمِيـعَ

(١) الحجر: ٤٢.
(٢) أُنظر، فقرة الشَّيْطَان رئيس العالم في أوّل هذا الدُّعاء.
(٣) أُنظر، الكافي: ٢/٤٦٦، شرح أُصول الكافي للمازندراني: ١٠/٢٢٩.

الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمُؤْمِنَاتِ مِمَّا اسْتَعَذْنَا مِنْهُ، وَأَجِرْنَا مِمَّا اسْتَجَرْنَا بِكَ مِنْ خَوْفِهِ، وَاسْمَعْ لَنَا مَا دَعَوْنَا بِهِ، وَأَعْطِنَا مَا أَغْفَلْنَاهُ، وَاحْفَظْ لَنَا مَا نَسِيْنَاهُ، وَصَيِّرْنَا بِذَلِكَ فِي دَرَجَاتِ الصَّالِحِينَ، وَمَرَاتِبِ الْمُؤْمِنِينَ آمينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

(وَاجْعَلْنَا فِي نَظْمِ أَعْدَآئِهِ...) النَظْم بفتح النون، وسكون الظّاء الجماعة، والمعنىٰ اجْعَلْنا ممن عصاه، وعاداه لا ممن أطاعه، وولاه (نَأْمُرُ بِمُنَاوَاتِهِ) من ناوأه بمعنىٰ عاداه (وَنَعِظُ) وننهىٰ واعظين، وناصحين عن متابعة (وَأَعِذْنَا) احفظنا، وأعصمنا (وَأَجِرْنَا) أنقذنا، وأغثنا (وَأَعْطِنَا مَا أَغْفَلْنَاهُ، وَاحْفَظْ لَنَا مَا نَسِيْنَاهُ) أمنن علينا بما يصلحنا دنياً، وآخرة، ذكرناه نحن، أو نسيناه، وأحصيته أنتَ. إنّك الواسع العليم، والغني ٱلكَرِيم.

زين الْعَابِدِينَ، والنّبأ العجيب

وبعد، فإنّ الإمام السّجاد، وزين الْعَابِدِينَ ﷺ قد أطال الدُّعاء، والتَّضرُّع خوفاً من الشَّيْطَان، ونزغاته علماً بأنّه في حصنٍ حصين منه، ومنها، ومن الأدلة القاطعة علىٰ عصمته من الخطأ، والْخَطِيئة، وحصانته من الشَّيْطَان هذا الخوف الَّذِي هو في جوهره، وواقعه خشية من غضب ٱللَّه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[1]، ومن خاف شيئاً ٱبتعد عنه حتّىٰ الطّفل يحترز، ويهرب مما يخشىٰ شره، وإيذاءه، قال سبحانه: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾[2]. وللإمام السّجاد ﷺ كرامات تدل علىٰ عصمته، ومكانته عند ٱللَّه منها ـ علىٰ سبيل المثال ـ ما ذكره الشّيخ

(١) فاطر: ٢٨.

(٢) الأعلىٰ: ١٠.

الأزهري والكاتب الإسلامي الشّهير الأستاذ الكبير خالد مُحمّد خالد[1]، قال ما نصه بالحرف:

«يقصّ علينا الزّهري هذا النّبأ عن زين الْعَابِدِينَ عليّ بْن الحُسين عَلَيْهِ وعلىٰ أبيه وأهله صلاة ٱللَّه وسلامه... لقد ٱستدعىٰ عبد الملك بْن مروان زين الْعَابِدِينَ من المدينة إلىٰ الشّام ليقيم بجواره، ورفض فحمله الحرس بالقوة، وأثقلوه بالحديد، وقبل رحيلهم به طَلَب الزّهري أنْ يزوروه.. ولندع الزّهري يُكمل النّبأ العجيب!! قال:

دخلت عَلَيْهِ، وهو في قُبّة، والقيود في رجليه، والغل في يديه فبكيت، وقلت له: وودت أنّي مكانك، ولا يصيبك مكروه. فقال لِي: يا زهري أتظن هَٰذِهِ السّلاسل تكربني؟ أمَا لو شئت ما كان من ذٰلِكَ شيء، ثُم هزّ يديه فانفرج الغل، وهزّ قدميه فتفسخ القيد، وعاد يقول: ولكن دعها تُذكرنا بعذاب ٱللَّه».

وقول الإمام ﷺ: «تُذكرنا بعذاب ٱللَّه» يؤيد ما أشرنا إليه قبل لحظة من أنّ خوف الإمام من نزغات الشَّيطَان هو في واقعه خشية من غضب ٱللَّه. ثُمَّ قال خالد مُحمّد خالد: «هذا القديس الأعزل - أي الإمام زين الْعَابِدِينَ ﷺ - يدخل علىٰ عبد الملك ذات يَوْم، ويمكث معه لحظات ثُمَّ ينصرف، فيتنفس الخليفة الصّعداء، ويقول: وٱللَّه لقد امتلأ قَلْبِي منه خيفة»[2] ومن خاف ٱللَّه أخاف ٱللَّه النّاس منه.

---

(١) أُنظر، كتابه (والموعد ٱللَّه): ١١١، الطّبعة الأولىٰ سَنَة ١٩٧١م (منه ﷺ). وتأريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٣٧٢/٤١، ينابيع الْمَوَدَّة: ١٥٦/٣، مناقب آهل ٱلْبَيْت للشيرواني: ٢٥٦، نوادر المعجزات للطبري: ١٢٥.

(٢) أُنظر، ٱلْكِتَاب السّابق، للأستاذ خالد مُحمّد خالد، والصّواعق المحرقة: ٢٠٠، مناقب أهل ٱلْبَيْت للمولىٰ حيدر الشّيرواني: ٢٥٧، ينابيع الْمَوَدَّة: ١٠٦/٣.

الدّعاء الثّامن عشر

دُعَاؤُهُ فِي الْمحْذُورَاتِ

أَللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَىٰ حُسْنِ قَضَائِكَ، وَبِمَا صَرَفْتَ عَنِّي مِنْ بَلائِكَ؛ فَلاَتَجْعَـلْ حَظِّي مِنْ رَحْمَتِكَ مَا عَجَّلْتَ لِي مِنْ عَافِيَتِكَ، فَأَكُونَ قَـدْ شَقِيتُ بِمَا أَحْبَبْتُ، وَسَعِدَ غَيْرِي بِمَا كَرِهْتُ، وَإِنْ يَكُنْ مَا ظَلِلْتُ فِيهِ، أَوْ بِتُّ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْعَافِيَةِ... بَـيْنَ يَـدَيْ بَـلاءٍ لاَ يَـنْقَطِعُ، وَوِزْرٍ لاَ يَرْتَفِعُ، فَقَدِّمْ لِي مَا أَخَّرْتَ، وَأَخِّرْ عَنِّي مَا قَدَّمْتَ؛ فَغَيْرُ كَثِيرٍ مَا عَاقِبَتُهُ الْفَنَاءُ، وَغَيْرُ قَلِيلٍ مَا عَاقِبَتُهُ الْبَقَاءُ، وَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.

كثيراً ما يرغب ٱلإنسان في شيء، ويجد في طلبه حتّىٰ إذا أَدْرَكَهُ ودّ أنّه لم يكن، والطّامة الكبرىٰ أنْ يحاول الخلاص منه فلا يجد الطّريق إليه. وإلىٰ هذا تشير الآية: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]. والغرض من هذا التّمهيد أنْ يُلقي ضوءاً علىٰ الهدف الَّذي رمىٰ إليه الإمامؑ من دعائه.

---

(١) ٱلبَقَرَة: ٢١٦.

(أَللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَىٰ حُسْنِ قَضَائِكَ، وَبِمَا صَرَفْتَ عَنِّي مِنْ بَلائِكَ) كلّ إنسان عرضة لأنواع النّوائب، والمطائب في نفسه، ودينه، وأهله، وماله. والإمامعليه السلام يحمد ٱللّه تعالىٰ علىٰ السّلامة من كلّ فتنة، ومُصِيبَة عافاه ٱللّه منها، وأبعده عنها (فَلاَتَجْعَـلْ حَظِّي مِنْ رَحْمَتِكَ مَا عَجَّلْتَ لِي مِنْ عَافِيَتِكَ) منحتني الْعَافِيَة يا إلهي، وغمرتني بفضلك في الدُّنْيَا العاجلة، وكلّ ما أرجوه أنْ لا يكون هذا الفضل منك هو كلّ ما أعددت لِي عندك من فضلٍ، وأستوجبه من خير، ومالي في الآخرة من نصيب في عطائك، ورَحْمَتِك (فَأكُونَ قَدْ شَقِيتُ بِمَا أَحْبَبْتُ) أي تكون الْعَافِيَة الّتي أحببتها سبباً لحرماني من ثواب الآخرة، ويقول الإمام عليّعليه السلام: «أعلموا أنّ ما نقص من الدُّنْيَا وزاد في الآخرة خير مما نقص من الآخرة، وزاد في الدُّنْيَا»[١]... «كم من أكلة منعت أكلات»[٢]. (وَسَعِدَ غَيْرِي بِمَا كَرِهْتُ) المُراد بهذا الغير كلّ من كانت دنياه جحيماً، وآخرته نعيماً.

(وَإِنْ يَكُنْ مَا ظَلِلْتُ فِيهِ أَوْ بِتُّ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْعَافِيَةِ) العاجلة الّتي فرحت بها هي (بَيْنَ يَدَيْ بَلاءٍ...) أي السّبب الموجب لعذاب السّعير في الآخرة (فَقَدِّمْ لِي مَا أَخَّرْتَ) من الْبَلاء، والعذاب أي ٱجعله في الدُّنْيَا لا في الآخرة (وَأَخِّرْ عَنِّي مَا قَدَّمْتَ...) من السّلامة، والْعَافِيَة أي ٱجعلها في الآخرة لا في الدُّنْيَا، قال الإمام أمير الْمُؤْمِنِين عليه السلام: «ما خير بخير بعده ٱلنَّار، وما شر بشر بعده الْجَنَّة، وكلّ نعيم دون الْجَنَّة محقور، وكلّ بَلاءٍ دون ٱلنَّار عافية»[٣].

---

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٢٢٥/١، الخطبة(١١٤)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٥١/٧ـ٢٥٨.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ٤٢/٤، الحكمة (١٧١)، شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ٣٩٧/١٨، شرح النّهج للبحراني: ٣٣٦/٥، شرح النّهج لمحمد عبده: ١٩٣/٣، عيون الحكم والمواعظ: ٣٨٠.

(٣) أُنظر، نهج البلاغة: الحكمة (٣٨٧)، شرح أُصول الكافي: ٢٦٧/١١، فيض القدير شرح الجامع الصّغير: ٤٦/٥، جامع الأخبار: ١٣٥، من لا يحضره الفقيه: ٣٩٢/٤.

الدُّعاء التّاسع عشر

دُعَاؤُهُ فِي الاسْتِسْقَاءِ

أَللَّهُمَّ اسْقِنَا الْغَيْثَ، وَانْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِغَيْثِكَ الْمُغْدِقِ مِنَ السَّحَابِ الْمُنْسَاقِ لِنَبَاتِ أَرْضِكَ الْمُونِقِ فِي جَمِيعِ الآفَاقِ؛ وَامْنُنْ عَلَىٰ عِبَادِكَ بِإِينَاعِ الثَّمَرَةِ، وأَحْيِ بِلاَدَكَ بِبُلُوغِ الزَّهَرَةِ، وَأَشْهِدْ مَلاَئِكَتَكَ الْكِرَامَ السَّفَرَةَ بِسَقْيٍ مِنْكَ نَافِعٍ دَائِمٍ غُزْرُهُ، وَاسِعٍ دِرَرُهُ، وَابِلٍ سَرِيعٍ عَاجِلٍ تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ، وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ، وَتُخْرِجُ بِهِ مَا هُوَ آتٍ، وَتُوَسِّعُ بِهِ فِي الأَقْوَاتِ، سَحَاباً مُتَرَاكِماً هَنِيئاً مَرِيئاً طَبَقاً مُجَلْجَلاً، غَيْرَ مُلِثٍّ وَدْقُهُ، وَلاَ خُلَّبٍ بَرْقُهُ.

أَللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً مَرِيعاً مُمْرِعاً عَرِيضاً، وَاسِعاً غَزِيراً تَرُدُّ بِهِ النَّهِيضَ وَتَجْبُرُ بِهِ الْمَهِيضَ.

إذا قست الطّبيعة، والظّروف علىٰ الإنسان، وعجز العلم، وشىٰ الوسائل عن العلاج، والمقاومة ـ اتجه بكلّه تلقائياً إلىٰ خالق الطّبيعة، وناداه خاشعاً متضرعاً... حتّىٰ فِرْعَوْن الَّذِي ادعىٰ الربوبية اتجه إلىٰ السّماء حين أَدْرَكَهُ الغرق، وقال: ﴿إِذَآ

أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1] وفي ذات سَنَة منعت السَّماء ماءها عن ٱلأرض، وأهلها فاستسقىٰ الإمام ﷺ بهذا الدُّعاء وقال: (أَللَّهُمَّ اسْقِنَا الْغَيْثَ، وَانْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِغَيْثِكَ الْمُغْدِقِ) الغيث: الْمَطَر. وأغدق الْمَطَر: كثر قطره (لِنَبَاتِ أَرْضِكَ الْمُونِقِ) من الأناقة بمعنىٰ الحَسن، والجمال (فِي جَمِيعِ الآفَاقِ): جمع أُفق بمعنىٰ الجهة، والنَّاحية (وَأَشْهِدْ مَلاَئِكَتَكَ الْكِرَامَ السَّفَرَةَ) أي الكتبة. قال سبحانه: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾[2] وهم الَّذين يكتبون في الصّحف المطهرة، وطَلَب الإمام ﷺ حضور هؤلاء السَّفرة ليسجلوا سحائب فضله، ونعمه علىٰ عِبَادِه (غُزْرُهُ) من الغزارة بمعنىٰ الكثرة (طَبَقاً) طبق السّحاب الجو: ملأهُ، وغطاهُ (مُجَلْجَلاً) الجلجلة: صوت الرَّعْد (غَيْرَ مُلِثٍّ وَدْقُهُ) غير دائم مطره، وإلا أفسد ٱلأرض بعد إصلاحها.

وعن النَّبي ﷺ أنَّه ٱستسقىٰ، ولما ٱستمر الْمَطَر قال: «أَللَّهُمَّ حوالينا، ولا علينا»[3]. (مَرِيعاً مُمْرِعاً) خصيباً مخصباً (تَرُدُّ بِهِ النَّهِيضَ) أي النبات الناهض

---

(١) يونس: ٩٠.

(٢) عبس: ١٦.

(٣) جاء في الحديث أنّ أهل المدينة أصابهم قحط، فبينا رَسُول ٱللَّهﷺ يخطب، إذ قام إليه رجل، فقال: هَلَك الكراع، والشّاء، فادعُ ٱللَّه أنْ يُسقينا، فمد رَسُول ٱللَّهﷺ يديه، ودعا، قال أنس، والسَّماء لَمِثْل الزّجاجة، فهاجت ريح، ثُمّ أنشأت سحاباً، ثُمّ اجتمع، ثُمّ أرسلت السَّماء عزاليها (العزالي: جمع العزلاء، وهو فمُ المزادة الأسفل، فشبّه اتّساع الْمَطَر، واندفاقه بالذي يخرج من فم المزادة. أُنظر، النّهاية لابن الأثير: ٣/ ٢٣١). فخرجنا نخوض الماء، حتّىٰ أتينا قِبَل منازلنا، فلم تزل تمطر إلىٰ الجُمُعَة الأُخرىٰ، فقام إليه الرّجل، أو غيره، فقال: يا رَسُول ٱللَّه تهدّمت البيوت، وٱحتبس الرّكبان، فادعُ ٱللَّه أنْ يحبسه، فتبسم رَسُول ٱللَّه ثُمّ قال: (أَللَّهُمَّ حوالينا، ولا

المرتفع (الْمَهِيضَ) الكسير.

إرادة ٱللّه سبب الأسباب

وبعد، فإذا كان ٱللّٰه سبحانه يجري النّتائج علىٰ مقدماتها، والأُمُور علىٰ أسبابها ـ فإنّ إرادته تعالىٰ سبب الأسباب توحيد الشّيء من لا شيء، فإذا أنسدت الأبواب علىٰ الَمخْلُوق بالكامل لجأ مخلصاً إلىٰ السّبب الأوّل، وهو سبحانه يمده من فضله، وإحسانه. وأعرف بعض علماء جبل عامل صلّىٰ في الجماهير صلاة الاسْتِسْقَآءِ فاسْتِجَابَ سبحانه، وسالت جداول، وأودية، ونبت الزّرع، ودرَّ الضَّرع.

أَللَّهُمَّ اسْقِنَا سَقْياً تُسِيلُ مِنْهُ الظِّرَابَ، وَتَمْلأُ مِنْهُ الْجِبَابَ، وَتُفَجِّرُ بِهِ الأَنْهَارَ، وَتُنْبِتُ بِهِ الأَشْجَارَ، وَتُرْخِصُ بِهِ الأَسْعَارَ فِي جَمِيعِ الأَمْصَارِ، وَتَنْعَشُ بِهِ الْبَهَائِمَ، وَالْخَلْقَ، وَتُكْمِلُ لَنَا بِهِ طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ، وَتُنْبِتُ لَنَا بِهِ الزَّرْعَ، وَتُدِرُّ بِهِ الضَّرْعَ، وَتَزِيدُنَا بِهِ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِنَا.

أَللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ ظِلَّهُ عَلَيْنَا سَمُوماً، وَلاَ تَجْعَلْ بَرْدَهُ عَلَيْنَا حُسُوماً، وَلاَ تَجْعَلْ صَوْبَهُ عَلَيْنَا رُجُوماً، وَلاَ تَجْعَلْ مَاءَهُ عَلَيْنَا أُجَاجاً.

⟵ علينا). فنظرت إلىٰ السّماء تتصدع حول المدينة كأنّه إكليل. (أنظر، سنن أبي داود: ١/٣٠٤، سنن البيهقي: ٣/٣٥٦، منتهىٰ المطلب للحلي: ١/٣٣١ و٣٥٤). أمّا سبب هَـٰذِهِ الصَّلاَة فالجدب، وقلة الأمْطَار، وغور الأنهار. (أنظر، الأم: ١/٢٤٦، المغني: ٢/٢٨٣، الميزان للشعراني: ١/٢٠، التّذكرة: ٤/٢٠٣، الخلاف: ١/٦٨٥. وقد آتفقوا علىٰ أنّه إذا تأخر السّقي بعد الصّلاَة يستحب تكرارها، وأنْ يُصام لها ثلاثة أيام، وأنْ يخرج النّاس مشاة خاشعين متضرعين، ومعهم النّساء، والأطفال، والشّيوخ، والعجائز، والدّواب، ليكون ذٰلِكَ أدعىٰ لرحمة ٱللّٰه. أُنظر، الأم: ١/٢٤٨، المجموع: ٥/٦٥، الخلاف: ١/٦٨٦، التّهذيب: ٣/١٤٨، الذّكرىٰ: ٤/٢٥٠.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَارْزُقْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاوَاتِ، وَالأَرْضِ، إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

(تُسِيلُ مِنْهُ الظِّرَابَ) جمع ظَرِب بفتح الظاء، وكسر الرّاء: الجبل الصّغير أي الرّابية (الْجِبَابَ) جمع جُب بضم الجيم، وهو البئر.

التّسعير

(وَتُرْخِصُ بِهِ الأَسْعَارَ) إختلف ٱلْفُقَهَاء في التّسعير إذا وقع الغلاء، والَّذِي نراه أنّ الفوضىٰ إذا عمت في الأسواق، وتحكم التّاجر بالمستهلك المضطر تبعاً لرغبته، وشهوته، وتجاوز كلّ حدّ ـ فللحاكم العادل أنْ يسعر مراعياً مصلحتي البائع، والمستهلك، أمّا حديث «إنّ ٱللّه هو المُسعر»[1] المروي عن النّبي ﷺ فهو أشبه بقول الخوارج: «لا حُكم إلا لله»[2] أجل، له الحكم، والتّسعير أصلاً، وتشريعاً، وللفقيه العمل تفريعاً، وتطبيقاً، كما في حديث: «علينا أنْ نُلقي إليكم الأصول، وعليكم أنْ تفرعوا»[3]، وحكم ٱللّه هنا حماية المصالح العامة، ورعايتها بدفع الضّرر، والقضاء علىٰ الفوضىٰ، والإستغلال.

(وَتُنْبِتُ لَنَا بِهِ الزَّرْعَ، وَتُدِرُّ بِهِ الضَّرْعَ، وَتَزِيدُنَا بِهِ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِنَا) هذا ٱقتباس من قوله تعالىٰ: ﴿وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا

---

(١) أُنظر، الشّرح الكبير لابن قدامة: ٤/٤٤، منتهىٰ المطلب للعلامة الحلي: ٢/١٠٠٧، طبعة قديم، مسند أحمد: ٣/٢٨٦، السّنن الكبرىٰ: ٦/٢٩، المعجم الصّغير: ٢/٧، الدّر المنثور: ١/٣١٣.

(٢) مأخوذ من الآية الكريمة: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، الأنْعَام: ٥٧.

(٣) أُنظر، وسائل الشّيعة، الباب السّادس من أبواب صفات القاضي ح ٥٢، الْحَقّ المبين للفيض الكاشاني: ٧، مستطرفات السّرائر: ٥٧٥، قوانين الأُصول للميرزا القمي: ٢٨٠.

وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾[1]. (لاٰ تَجْعَلْ ظِلَّهُ عَلَيْنَا سَمُوماً) جمع سَم، والمعنىٰ لا تجعل أثر الْمَطَر علينا ظاراً كالسَّم القاتل (حُسُوماً): شراً، وشؤماً (وَلاَ تَجْعَلْ صَوْبَهُ): نزوله (رُجُوماً): عذاباً (أُجَاجاً) ملحاً.

إلا ما شاء ٱللّه

وأخيراً، فأنّ ٱللّه سبحانه يتعامل مع عِبَادِهِ بإرادته التّشريعية دون التّكوينية، ويسير الكون وفق نظام كامل، ومطرد، يستند في مسيره إلىٰ نواميس ثابتة لا آستثناء إلا ما شاء ٱللّه. ولا يشاء إلا بمقتضىٰ علمه، وحكمته (أي حيث تدعو الحاجة) وقد ربط نزول الْمَطَر بقانون طبيعي خاص، فإذا شحّ هذا القانون لسببٍ، أو لآخر، وعطش عباد ٱللّه، وعياله، فلجأوا إليه مستغيثين ـ أنشأ لهم الْمَطَر إنشاءً، وابتدأه ٱبتداءً تماماً كما خَلَق الكون أوّل مرة بلا مواد طبيعية حيث كان، ولم يكن معه شيء. وهكذا يشفي المريض الّذِي عجز عنه الطّب، والأطباء، ويفتح باب العون، والْفَرَج للمكروبين، والمعذبين الّذين لا عمّ لهم، ولا خالٍ، ولاشفيعٍ، ولا مالٍ، وما ذاك علىٰ ٱللّه بعزيز، بل هو أقل القليل في قدرته، ورَحْمَته، وبهذا يتبين لنا السّر لتكرار قوله تعالىٰ في العديد من الآيات الكونية، وغيرها: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ وما في معناه.

(١) هود: ٥٢.

الدُّعاء العشرون

دُعَاؤُهُ فِي مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَبَلِّغْ بِإِيمَانِي أَكْمَلَ الإِيمَانِ، وَاجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ الْيَقِينِ، وَانْتَهِ بِنِيَّتِي إِلَىٰ أَحْسَنِ النِّيَّاتِ، وَبِعَمَلِي إِلَىٰ أَحْسَنِ الأَعْمَالِ. أَللَّهُمَّ وَفِّرْ بِلُطْفِكَ نِيَّتِي، وَصَحِّحْ بِمَا عِنْدَكَ يَقِينِي، وَاسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مَا فَسَدَ مِنِّي.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْفِنِي مَا يَشْغَلُنِي الاهْتِمَامُ بِهِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا تَسْأَلُنِي غَداً عَنْهُ، وَاسْتَفْرِغْ أَيَّامِي فِيمَا خَلَقْتَنِي لَهُ، وَأَغْنِنِي، وَأَوْسِعْ عَلَيَّ فِي رِزْقِكَ، وَلاَ تَفْتِنِّي بِالنَّظَرِ، وَأَعِزَّنِي، وَلاَ تَبْتَلِيَنِّي بِالْكِبْرِ، وَعَبِّدْنِي لَكَ، وَلاَ تُفْسِدْ عِبَادَتِي بِالْعُجْبِ، وَأَجْرِ لِلنَّاسِ عَلَىٰ يَدَيَّ الْخَيْرَ، وَلاَ تَمْحَقْهُ بِالْمَنِّ، وَهَبْ لِي مَعَالِيَ الأَخْلاَقِ، وَاعْصِمْنِي مِنَ الْفَخْرِ.

الإيمان

(أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَبَلِّغْ بِإِيمَانِي أَكْمَلَ الإِيمَانِ) أُصول الإسلام

ثلاثة: الإيْمَان بالله، ورسوله مُحمّد، واليوم الآخر بصرف النّظر عن العمل، وَلَكَ أنْ تضغط هَذِهِ الثّلاثة في أصلٍ واحد، وهو الإيْمَان بما جاء به مُحمّدﷺ. أمّا الإيْمَان فهو عمل كلّه، «ولا يقبل إيمان بلا عمل، وعمل بلا إيمان»[1] كما قال الإمام الصّادِق‌ؑ برواية صاحب الكافي، وفي نهج البلاغة، وغيره: «الإيْمَان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان»[2] وإنْ قال قائل: إنّ ٱللَّه سبحانه قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾[3]. والعطف دليل التّغاير، ومعنىٰ هذا أنّ العمل ليس جزءاً من مفهوم الإيْمَان - قلنا في جوابه: المُراد بالإيمان هنا مجرد التّصديق تماماً كقوله تعالىٰ حكاية عن أُخوة يوسف: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ﴾[4] أمّا أكمل الإيْمَان فهو أنْ يعمل حامله بموجب إيمانه، ويؤثره علىٰ ميوله، وأهوائه، ويتجشم الصّعاب من أجله لا لشيء إلا طاعةً لأمر ٱللَّه.

(وَاجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ الْيَقِينِ) وهو العلم بالشيء كما هو في واقعه، ولا يحتمل النّقيض بحال تماماً كيقين الإمام أمير الْمُؤْمِنِين الَّذِي قال: «لو كشف لِي الغطاء ما ازددت يقيناً»[5]، ويقين الّذين وصفهم بقوله: « فهم والْجَنَّة كمن رآها، فهم فيها

(١) أُنظر، الكافي: ٢/٢٤، كنز العمال: ١/٦٨ ح ٢٦٠، مجمع الزّوائد: ١/٣٥، الجامع الصّغير: ٢/٧٥٨.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ٤/٥٠، الحكمة (٢٢٧)، عيون أخبار الرّضا: ١/١٣٣، شرح أُصول الكافي: ١/٢١٨، المعجم الأوسط: ٦/٢٢٦ و: ٨/٢٦٢، شرح النّهج لابن أبي الحديد: ١٩/٥١، سنن ابن ماجه: ١/٢٦.

(٣) ٱلْبَقَرَة: ٢٥.

(٤) يوسف: ١٧.

(٥) أُنظر، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٧/٢٥٣، الكافي: ٤/٥٥٤، عيون الحكم

متكئون، وهم وآلنَّار كمن رآها، فهم فيها معذبون، قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة»[١].

(وَانْتَهِ بِنِيَّتِي إلَىٰ أَحْسَنِ النِّيَّاتِ، وَبِعَمَلِي إلىٰ أَحْسَنِ الأَعْمَالِ) النّية مصدر العمل ومفتاحه، وبها يقاس، إنْ خيراً فخير، وإنْ شراً فشر لحديث «إنّما الأعمال بالنيات إنّما لكل آمرىء ما نوىٰ»[٢] أمّا حسن النّية فالمراد به أنْ تكون خالصة لوجه آللَّه وحده، بعيدة عن شائبة الرّياء غير متطلعة إلىٰ جزاء، أو ثناء تماماً كما قال سبحانه حكاية عن الأبْرَار، والآل الأطهار: ﴿لانُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾[٣].

(أَللَّهُمَّ وَفِّرْ بِلُطْفِكَ نِيَّتِي) الوفر: كثرة المال. والمُراد به هنا التّمام، والمال من كلّ الوجوه. من جهة حبّ الْخَيْر لكلّ النّاس، وجهة السّلامة من الحقد، والحسد، والتّضحية بكلّ نفيس في نصرة الْحَقّ، ومقاومة الْبَاطِل، وأهله.. وغير ذٰلِكَ من السّير علىٰ صراط الْخَيْر، والْحَقّ، والإخلاص. قال غاندي في كِتَاب هذا مذهبي: «آللَّه هو ينبوع الصّفاء والحياة... آللَّه هو الضّمير، بل حتّىٰ هو الإلْحَاد في الملحد»[٤] يُريد الإخلاص لما يعتقد.

↩ والمواعظ: ٤١٥، شرح مئة كلمة لابن ميثم البحراني: ٥٢، شرح أُصول الكافي: ١٧٣/٣ و: ٢٣١/٦، ينابيع الْمَوَدَّة: ٦٥.

(١) أُنظر، أمالي الصّدوق: ٦٦٧، الهم والحزن لابن أبي الدُّنْيَا: ٦٩، ينابيع الْمَوَدَّة: ٢٢٦/٣، كنز الفوائد: ٣٢.

(٢) أُنظر، صحيح البخاري: ٩٢/١ ح ٥٣ و: ٥٨/٧، صحيح مسلم: ١٥١٥/٣ ح ١٥٥، سنن التّرمذي: ١٥٤/٤ ح ١٦٤٧، سنن أبي داود: ٢٦٩/٢ ح ٢٢٠١، سنن النّسائي: ٥٨/١، سنن ابن ماجه: ١٤١٣/٢ ح ٤٢٢٧، السّنن الكبرىٰ: ٣٤١/٧، التّهذيب: ١٨٦/٤ ح ٥١٨.

(٣) آلإنسَان: ٩.

(٤) أُنظر، كِتَاب هذا مذهبي لغاندي: ٢١٥، (منه ﷺ).

(وَصَحِّحْ بِمَـا عِنْدَكَ يَقِينِي) وصحة اليقين عند الإمام عليه السلام أنْ يكـون عـلمه بحلال اللّه، وحرامه معصوماً عن الخطأ (وَاسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مَا فَسَدَ مِنِّي) أسألك الهداية، والتّوفيق لما في صلاح دنياي، وآخرتي (وَاكْفِنِي مَا يَشْغَلُنِي الاهْتِمامُ بِهِ) أفتح لِي باب رِزْقِكَ الواسع، لأنصرف بكلي إلىٰ العمل بطاعتك، ومَرْضَاتِكَ.

المسؤول عنه غداً

(وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا تَسْأَلُنِي غَداً عَنْهُ) لا يسأل سبحانه غداً، ويحاسب إلا علىٰ فعل الحرام، وترك الواجب.

وتسأل: قـوله تـعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[1]. يدل بظاهره علىٰ العموم، والشّمول لكلّ خاطر، ومنظور، ومسـموع حتّىٰ ولو كان مباحاً، ومثله في العموم حديث: «يسأل المرء غداً عن عُمره فـيما أفناه، وجسمه فيما أبلاه، وماله فيما أكتسبه، وفيما أنفقه»[2].

الجواب: إنّ المسؤول هنا هو العاصي، والمطيع والهدف من السّؤال الثّـواب، والعقاب، ولا طاعة، ومعصية إلا مع الواجب، والحرام، وعَلَيْهِ يكون المُراد بالآية والحديث، وغيرهما من نصوص الباب، خصوص الأفعال الّتي بها يستحق الثّواب، أو العقاب، ومهما يكن فعلينا أنْ ننتفع بهذه الحكمة البالغة فلا نتجشم البحث عن

---

(١) الإسراء: ٣٦.

(٢) أُنظر، المعجم الكبير: ١١ / ٨٤ ح ١١١٧٧، شرح الأخبار: ٢ / ٥٠٨ ح ٨٩٨، المعجم الأوسط: ٩ / ١٥٥ ح ٩٤٠٦، جامع الأخبار: ٤٩٩ ح ١٣٨٤، المناقب لابن المغازلي: ١٢٠ ح ١٥٧، فرائد السّمطين: ٢ / ٣٠١ ح ٥٥٧، أمالي الصّدوق: ٤٢ ح ٩، الخصال: ٢٥٣ ح ١٢٥، تحف العقول: ٥٦ مرسلاً، تنبيه الخواطر: ٢ / ٧٥، أمالي الطّوسي: ٥٩٣ ح ١٢٢٧، روضة الواعظين: ٥٤٩ مرسلاً.

أشياء لا نسأل عنها غداً، ولا تمت إلىٰ الحياة بسبب، كالبحث والسّؤال عن طول ءَادَمَ، وقصره، ووزنه، وعن نوع الشّجرة الّتي أكل منها، ومكان الْجَنَّة الّتي كان فيها، وٱلأرْض الّتي هبط عليها، وعن خلق المَلائِكَة، والجن، ولون عصا موسىٰ، وطول نخلة مريم، وعيسىٰ... وما إلىٰ ذٰلِكَ من مضغ الكلمات، ومضيعة الأوقات.

خُلق ٱلإنسَان للعلم، والعمل

(وَاسْتَفْرِغْ أَيَّامِي فِيما خَلَقْتَنِي لَهُ) ما خَلَق ٱلإنسَان للظفر بالملذات، ولا للتباهي بالمظاهر، ولا للصراع، والحرب، والاغتيال، ولا للتنافس، والغش، والنّفاق، أو للإحتكار، وجمع المال، أو لتتبع عيوب إخوانه، وعوراتهم، أو لتعدد المذاهب، والأحزاب، وما إلىٰ ذٰلِكَ من أسواء، وتصرفات هوجاء. وإنّما خلق ليعمل بوحي العقل، وشريعة العدل لا بالميول، والأهواء، وأنظمة الإضطهاد، والإستغلال، خلق ٱلإنسَان للعلم النّافع، والتّعارف، وَالتّعَاون علىٰ بناء حياة فاضلة كاملة. قال خالق العباد لعباده: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَاتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1] وكلمة «تَعَاوَنُوا» تشمل التّعاون بين الأفراد، ومع الجماعة. وكلّ مافيه صلاح، وإصلاح للحياة فهو بر، والمُراد بالتقوىٰ هنا الإخلاص، وأنْ يتسم العمل، وَالتّعَاون بطابع العقيدة، وإنسانيتها. ولا إثم أسوأ أثراً من الشّتات، والتّفرقة، والتّحزب، والتّعصب، وأقسىٰ مظاهر العدوان وضع الإنسانية بكاملها علىٰ حافة الجحيم، وتهديدها بالفناء، والإبادة بالأسلحة النّووية الجهنمية.

(وَأَغْنِنِي، وَأَوْسِعْ عَلَيَّ فِي رِزْقِكَ) سهّل عليَّ سبل الرّزق، والرّضا بالميسور

---

(١) المائدة: ٢.

(وَلاَ تَفْتِنِّي بِالنَّظَرِ) أي بالتطلع إلىٰ ما في أيدي النّاس. ومن دُعَاء ٱلرَّسُول ٱللَّه ﷺ: «أَللَّهُمَّ أعُوذُ بك من ٱلْفَقْرِ إلا إليك، ومن الذّل إلا لك، ومن الخوف إلا منك»[1] (وَأَعِزَّنِي) بك لا بسواك؛ فإنّ الاعتزاز به ذل، وهوان.

كلّنا جاهلٌ بنفسه

(وَلاَ تَبْتَلِيَنِّي بِالْكِبْرِ) الكِبْر، والعُجب يعمي حتّىٰ عن المحسوسات، والمسلمات، وإليك هذا المثال من كِتَاب صيد الخاطر لابن الجوزي: «قال الحجاج: وٱللَّه لا أرجو الْخَيْر إلا بعد الْمَوْت»[2] أي أنّ ٱللَّه قد ٱدخر الْخَيْر للحجاج إلىٰ يَوْم الْقِيَامَة؛ لأنّه تقرب إلىٰ ٱللَّه بمعصية ٱللَّه، وطَلَب رضاه بغضبه!! ولا تعجب من هذا التّناقض، فكَم من مغرور ظنّ جهله عين الْيَقِين، وخطأه نفس الصّواب، وتوهم أنّه من عباد ٱلرَّحْمَـٰنِ، وهو من حزب الشَّيْطَان... وأخيراً كلّنا لا يعرف نفسه علىٰ حقيقتها. والمناسبة قال كنفشيوس: «لا تتصور نفسك كبيراً كي لا يصبح النّاس عندك صغاراً»[3].

(وَعَبِّدْنِي لَكَ) اجْعَلْ عبادتي خالصة لوجهك ٱلْكَرِيمِ كي أستحق بها جزيل ثوابك (وَلاَ تُفْسِدْ عِبَادَتِي بِالْعُجْبِ) والعجب أمام النّاس أنْ يمشي بينهم كالطاووس، أمّا العجب في العبادة فهو أنْ يشعر بالتفوق فيها، وأنّه أوّل الْعَابِدِينَ، وأصلح ٱلصَّالِحِينَ! ولا فرق بين مَن أعجب بصومهِ، وصلاتهِ، ومَن أُعجب بجاههِ، وماله، كلّ منهما ذميم، وكريه عند ٱللَّه، والنّاس، وٱختلف ٱلْفُقَهَاء: هل يفسد

---

(١) تقدم إستخراجه.

(٢) تَقَدَّمَ إستخراجه.

(٣) دراسات في التّعليم الثّانوي المقارن الدّكتور محمّد جواد رضا: ١١ طبعة بغداد ١٩٦٢م.

العجب العبادة؟ قيل: أجل إنّه فاسد، ومفسد. وقيل: هو فاسد غير مفسد، ولكنه مسقط للأجر، والثّواب[١]! ولو كنت من الأقوام الّذين أعجبتهم أنفسهم لصححت أعمال المتعجرفين... وفي شتىٰ الأحوال فـلا بأس بـمجرد السّـرور، والابـتهاج بالطاعة، والعبادة، فإنّه تماماً كفرحة البشرىٰ بالسلامة، والْعَافِيَة.

صانع المعروف

(وَأَجْرِ لِلنَّاسِ عَلَىٰ يَدَيَّ الْخَيْرَ...) كلّ عاقل يود بفطرته أنْ يكون مُحسناً لا مُسيئاً، وهل من شيء أعْظمْ من صنع الْخَيْر للناس، وأنْ يجري علىٰ يدك خلاص المكروبين من المصائب، والشّدائد؟ قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[٣]. وجاء في الرّوايات: «أهْل المعروف في الدُّنْيا هم أهْل المعروف فـي الآخرة، وَأَهْل المنكر في الدُّنْيا هم أهْل المنكر في الآخرة»[٤]... «أصنع المعروف إلىٰ أهله، وإلىٰ غير أهله، فإنْ أصبت أهله أصبت من هو أهله، وإذا لم تصب تصب أهله كنت أنْتَ من أهله»[٥].

(وَهَبْ لِي مَـعَـالِيَ الأَخْـلَاقِ) إنّ حـياة الانسـانية لا تسـتقيم، وتـنسجم،

---

(١) أُنظر، كِتَاب الطّهارة للسيد الخوئي: ٤١/٥، مصباح الفقيه لرضا الهمداني: ١/ق١/١٢١.

(٢) الرّعْد: ١٧.

(٣) المائدة: ٣٢.

(٤) أُنظر، الكافي: ٢٩/٤، دعائم الإِسْلاَم: ٣٢١/٢، المصنف لمحمد بْن أبـي شـيبة: ١٠٢/٦، كِتَاب الزّهد لحسين بْن سعيد الأهوازي: ٣١، تأريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ٢٢٨/٧.

(٥) أُنظر، كشـف الخـفاء للـعجلوني: ١ / ١٣٣، حـياة الإمـام الرّضـا لبـاقر شـريف القـرشي: ٢٦٨ ح ١٤٦.

وشرورها لا تنتهي، وتنحسم إلا برعاية الْحَقّ، والعدل، والمساواة... لقد بلغ العلم المعملي، والتّقدم المادي الغاية، والنّهاية، فهل ربحت الإنسانية شيئاً من هذا التّقدم؟ كلا، العكس هو الصّحيح، فأين القيادة الصّالحة، والعدالة الإجتماعية، والسّلام، والرّفق بالإنسان؟ وأين الرّخاء، والحبّ، والإخاء؟ أبداً لا شيء سوىٰ الْمَوْت، والإذلال، والحرمان، وتشريد الشّعوب، وتكثير الأرامل، والأيتام!

(وَاعْصِمْنِي مِنَ الْفَخْرِ) وأبلغ ما قيل فيمن يفخر، ويتبختر. وما جاء في نهج البلاغة: «ما لابن ءَادَمَ والفَخْر؟ أوّله نطفة، وآخرة جيفة، لا يرزق نفسه، ولا يدفع حتفه»[1]... «تؤلمه البقة، وتقتله الشّرقة، وتنتنة العرقة»[2].

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلاَ تَرْفَعْنِي فِي النَّاسِ دَرَجَةً إِلّاَ حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا، وَلاَ تُحْدِثْ لِي عِزّاً ظَاهِراً إِلّاَ أَحْدَثْتَ لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقَدَرِهَا.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَمَتِّعْنِي بِهُدىً صَالِحٍ لاَ أَسْتَبْدِلُ بِهِ، وَطَرِيقَةِ حَقٍّ لاَ أَزِيغُ عَنْهَا، وَنِيَّةِ رُشْدٍ لاَ أَشُكُّ فِيهَا وَعَمِّرْنِي مَا كَانَ عُمْرِيْ بِذْلَةً فِي طَاعَتِكَ، فَإِذَا كَانَ عُمْرِي مَرْتَعاً لِلشَّيْطَانِ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ إِلَيَّ، أَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ.

---

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ١٠٤/٤، الحكمة (٤٥٤)، شرح نهج البلاغة: ١٥٠/٢٠، عيون الحكم والمواعظ: ٤٧٩.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ٩٨/٤، الحكمة (٤١٩)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦٢/٢٠، عيون الحكم والمواعظ: ٤٨٨، شرح أُصول الكافي: ٤٥٧/١٠، مناقب الخوارزمي: ٢٧٧..

أَللَّهُمَّ لاَ تَدَعْ خَصْلَةً تُعَابُ مِنِّي إِلاَّ أَصْلَحْتَهَا، وَلاَ عَائِبَةً، أُوَنَّبُ بِهَا إِلاَّ حَسَّنْتَهَا، وَلاَ أُكْرُومَةً فِيَّ نَاقِصَةً إِلاَّ أَتْمَمْتَهَا.

بعد ما قال الإمام ﷺ: «وَهَبْ لِي مَعَالِيَ الأَخْلاَقِ» ضرب مثلاً من هَذِهِ المكارم، والمعالي بأسلوب الدُّعاء، وقال: (وَلاَ تَرْفَعْنِي فِيْ النَّاسِ دَرَجَةً إِلاَّ حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا...) ولماذا هذا الرّبط بين درجة العلو، والرّفعة عند النّاس، ودرجة الوضع، والحط عند نفسه؟ وهل يكره الإمام ﷺ الرّفعة، والسّمعة من حيث هي؟ الجواب: بل كي لا يرىٰ النّاس أصغر منه، وقد خلقهم سواسية كأسنان المُشط[1] كما قال ٱلرَّسُول الأعظم ﷺ الَّذِي عاش حياة ٱلْفَقْر، وهو يستطيع أنْ يحيا حياة الملوك، والأُمراء. وهكذا عاش أمير ٱلْمُؤْمِنِين عليّ ﷺ من شجرة النّبوة، وبيت الرّسالة. وتكلمنا مفصلاً، ومطولاً حول هَذِهِ الجملة في كِتَاب بين ٱللَّه وٱلإِنسَان[2].

(وَمَتِّعْنِي بِهُدىً صَالِحٍ) زدني من هُداك ما أُصلح به أمر آخرتي، ودنياي (لاَ أَسْتَبْدِلُ بِهِ) غيره (وَطَرِيقَةِ حَقٍّ لاَ أَزِيغُ عَنْهَا) بل أثبت عليها، وأُضحي في سبيلها بكلّ غالٍ، وعزيز (وَنِيَّةِ رُشْدٍ لاَ أَشُكُّ فِيْهَا) أي ومتعني بِنِيَّة صافية خالصة من شائبة الشّك، والارتياب (وَعَمِّرْنِي مَا كَانَ عُمْرِيْ...) ويومىء هذا إِلىٰ أنّ الإمام ﷺ لا ينظر إِلىٰ الحياة من حيث هي نظرة المتشائم، أو المتفائل، بل يقيس حياة

---

(١) الحديث ورد بلفظ: (النّاس سواء كأسنان المشط). أُنظر، سبل السّلام: ٣/١٢٩، كنز العمال: ٩/٣٨ ح ٢٤٨٢٢ و ٢٤٨٢٣، كشف الخفاء: ٢/٣٢٦، مسند الشّهاب: ١/١٤٥، نزهة النّاظر وتنبيه الخاطر: ٣٩، تحف العقول: ٣٦٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٩/٣٠ و: ٢٠/١٩٩.

(٢) أُنظر، كتابه ﷺ المعنون بعنوان (بين ٱللَّه وٱلإِنسَان)، وقد طبع مرات عديدة، من قبل دار التّعارف.

آلإِنسَان الفرد بأعماله، إنْ خيراً فخير، وإنْ شراً فشر. وفي الحديث: «يتبع الرّجل بعد موته ثلاث خصال: صدقة أجراها ٱللَّه في حياته فهي تجري له بعد وفاته، وسُنة هُدىً سنّها فيها يعمل بها بعد موته، أو ولد صالح يستغفر له»[١]. والصّدقة الجارية تشمل كلّ ما فيه للناس خير، وصلاح بجهة من الجهات كشقّ الطُرقات، وحفر الآبار، والأنهار، والمستشفيات، ومصانع الكساء، والغذاء.

(لاَ تَدَعْ خَصْلَةً تُعَابُ مِنِّي إلاَّ أَصْلَحْتَهَا...) كلّ خصال الإمام ﷺ، وصفاته عالية زاكية، لا عيب فيها، ولا ريب، ولكن نفسه الكبيرة ترىٰ الكثير من خيرها، وفيضها قليلاً، وحقيراً كما يقول المتنبي:[٢]

ويعظم في عين الصّغير صغيرها ويصغر في عين العظيم العظائم

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَبْدِلْنِي مِنْ بِغْضَةِ أَهْلِ الشَّنَئَانِ الْمحَبَّةَ، وَمِنْ حَسَدِ أَهْلِ الْبَغْيِ الْمَوَدَّةَ، وَمِنْ ظِنَّةِ أَهْلِ الصَّلاَحِ الثِّقَةَ، وَمِنْ عَدَاوَةِ الأَدْنَيْنَ الْوَلاَيَةَ، وَمِنْ عُقُوقِ ذَوِي الأَرْحَامِ الْمَبَرَّةَ، وَمِنْ خِذْلاَنِ الأَقْرَبِينَ آلنُّصْرَةَ، وَمِنْ حُبِّ الْمُدَارِينَ تَصْحِيحَ الْمِقَةِ، وَمِنْ رَدِّ الْمُلاَبِسِينَ كَرَمَ الْعِشْرَةِ، وَمِنْ مَرَارَةِ خَوْفِ الظَّالِمِينَ حَلاَوَةَ الأَمَنَةِ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ لِي يَداً عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَنِي وَلِسَاناً عَلَىٰ مَنْ خَاصَمَنِي، وَظَفَراً بِمَنْ عَانَدَنِي، وَهَبْ لِي مَكْراً

(١) أُنظر، الكافي: ٥٦/٧، الخصال: ١٥١، أمالي الصّدوق: ٢٣٣، مجمع الفائدة والبرهان: ١٢٤/٣.

(٢) أُنظر، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ١٨٣/٣، سبل الهدىٰ والرّشاد: ٣٢٦/١٠.

عَلَىٰ مَنْ كَايَدَنِي، وَقُدْرَةً عَلَىٰ مَنِ اضْطَهَدَنِي، وَتَكْذِيباً لِمَنْ قَصَبَنِي، وَسَلاَمَةً مِمَّنْ تَوَعَّدَنِي، وَوَفِّقْنِي لِطَاعَةِ مَنْ سَدَّدَنِي، وَمُتَابَعَةِ مَنْ أَرْشَدَنِي.

الحُبّ

(وَأَبْدِلْنِي مِنْ بِغْضَةِ أَهْلِ الشَّنَئَانِ الْمَحَبَّةَ) الحُبّ فضيلة، بل أصل الفضائل، لأنّه المنهج المرسوم لعلاقة ٱلإنسان بخالقه، وبأخيه ٱلإنسان، ومعنىٰ حُبّ العبد لله سبحانه أنْ يُحبّ ما أحبّ ٱللَّه، ويبغض ما أبغض[1]، ولا يخاف فيه لومة لائم[2]. وفي الأشعار[3]:

لو كان حبك صادقاً لأطعته إنّ المحبّ لمن يُحبّ مطيع

ولا معنىٰ لحُبّ النّاس بعضهم بعضاً إلا الإخوة، والمساواة، والتّكافل، والتّضامن، وبه تستقيم الحياة، ويعيش الفرد، والجماعة في دعةٍ، وأمان. ومن الحكم القديمة الخالدة: «لا تصنع بالآخرين ما لا تُريد أنْ يصنعوا بك». وفي الحديث الشّريف: «لا تدخلون الْجَنَّة حتّىٰ تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتّىٰ تحابوا[4]...

(١) طبقاً للحديث الشّريف: «...ولكن أوثق عرىٰ الإيمان أنْ تُحبّ في ٱللَّه، وتُبغض في ٱللَّه»، أو الحديث: (أَفضَل الأعمال الحُبّ في ٱللَّه، والبُغض في ٱللَّه). أُنظر، كشف القناع: ١/٥٠١، المحاسن للبرقي: ١/١٦٥، تحف العقول: ٥٥، الكافي: ٢/١٢٤.

(٢) أُنظر، إقبال الأعمال: ٢/٣٦٩، منية المريد: ١٦٥، الطّرائف: ٥٥، التّفسير الصّافي: ٢/٤٣.

(٣) أُنظر، إرشاد الأذهان: ١/١٩، كشف الخفاء: ٢/٢٠٣، روضة الواعظين: ٤١٨، مناقب آل أبي طالب: ٣/٣٩٥، فيض القدير شرح الجامع الصّغير: ٢/٣٧و: ٦/٣٨، الشّفا بتعريف حقوق المصطفىٰ: ٢/١٠.

(٤) أُنظر، المصنّف لابن أبي شيبة الكوفي: ٦/١٤٠، المجموع: ٤/٥٩٣، إعانة الطّالبين: ٤/٢١٣.

الْخَلْق عيال ٱللَّه. فأحبّ الْخَلْق إِلىٰ ٱللَّه من أدخل علىٰ أهْل بيت مؤمن سروراً، ومشىٰ مع أخيه في حاجته»(١).

وهلي للحياة من معنىٰ، وللإيمان من وزن بلا حُبّ، ومن هنا كان هدفاً، ومثلاً أعلىٰ في كلّ دين، وشريعة، وكلّ مذهب، وفلسفة فيما قرأت: «إِنّ ٱللَّـه خَـلَق ٱلإِنسَان ليُحبّ» وليس هذا بغريب، فإِنّ المظالم، والمآسي مصدرها بُغض ٱلإِنسَان، وغرائزه الشّريرة، علىٰ النّقيض من الحيوان بدافع من حاجته ٱلَّذِي لا يعرف حقداً، ولا حسداً، ولا ضغينة، وٱنتقاماً، وإِذا قتل، وٱفترس فإِنّه يفعل ذَٰلِكَ بدافع من حاجته الضّرورية ٱلَّتي تساعده علىٰ الحياة، والبقاء، ومتىٰ شبع فلا شيء يحركه علىٰ القتل، والعدوان، وبهذا يكون الوحش بريئاً حتّىٰ وهو يلتهم فريسته.

(وَمِنْ حَسَدِ أَهْلِ الْبَغْيِ الْمَوَدَّةَ...) يطلب الإمام ﷺ من ٱللَّه سبحانه أنْ يُبدل بغض الحاسدين له بالمودة، وتُهمة ٱلصَّالِحِينَ بالثقة به، وعداوة القرابة بالحبّ، وعقوق الأَوْلاَد بالطاعة، وخُذلان الأَقْرَبِين بالمناصرة، وحُبّ المداراة بحبّ الموالاة، والخوف بالأمن، أمّا قوله: (وَمِنْ رَدِّ الْمُلاَبِسِينَ كَرَمَ الْعِشْرَةِ) فمعناه أبدلني سوء معاشرة من يخالطني، ويجالسني بحسن عشرته؛ لأنّ معنىٰ الرّد عدم القبول، ومعنىٰ المُلابسين الْمخالطين، والمُعاشرين.

ضع مع الدُّعاء شيئاً من القِطْران

وقد تسأل: ٱلظَّاهِر من كلام الإمام ﷺ أنّ الدُّعاء وحدهُ كافٍ، وافٍ لإيجاد المعدوم وخَلْقِه، أو تحويل الضّد الموجود إِلىٰ ضده دون أنْ يقوم الدّاعي بأية حركة

---

(١) أُنظر، فقه الرّضا: ٣٦٩، الكافي: ٢/١٦٤ ح ٦، دعائم الإسْلاَم: ٢/٣٢٠، شرح أُصول الكافي: ٩/٣٠.

علماً بأنّ النّبي ﷺ قال لصاحب النّاقة: «أعقلها، وتوكل»[١]. وأنّ علياً ﵇ قال لمن يداوي ناقته الجرباء بالدعاء فقط: ضع مع الدُّعاء شيئاً من القَطِرَان[٢]. وقال سبحانه: ﴿وَلَاتَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَاٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[٣].

الجواب: إنّ الحديث «أعقلها، وتوكل» يأمر الأعرابي بشيئين: **الأوّل:** أنْ يربط النّاقة كيلا تتحرك. **الثّاني:** أنْ يتوكل علىٰ ٱللَّه في أمر بقائها معقولةً. وهذا هو بالذات ما فعله الإمام، فقد روىٰ الرّواة في سيرته، وفضائله أنّه كان يدرأ السّيئة بالحسنة، أمّا دُعَاؤُهُ هذا فهو تعبير عن التّوكل علىٰ ٱللَّه في كفِ شر كلّ ذي شر.

(وَاجْعَلْ لِيْ يَداً عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَنِي...) وظيفة المظلوم أنْ يلتمس العلة لردع الظُّلم عنه، فإنْ خذلته الوسائل السّلمية، وأستطاع قتل الظّالم فعل، ولا شيء عَلَيْهِ، فقد جاء في كِتَاب الوسائل باب الجهاد: «أنّ رجلاً قال للإمام الباقر ﵇: اللّص يدخل عليَّ بيتي يُريد نَفْسِي، ومالي؟ فقال الإمام ﵇: أقتله.. فأُشهد ٱللَّه، ومن سمع أنّ دمهُ في عُنقي»[٤]. وعن النّبي ٱلْكَرِيم ﷺ: «مَن قُتل دون عقال من ماله فهو

---

(١) أُنظر، صحيح التّرمذي: ٧٧/٤، فتح الباري: ٣٠٤/٣، الجامع الصّغير: ١٨٠/١، كنز العمال: ١٠١/٣ ح ٥٦٨٧ و ٥٦٩٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣٠٦/٢٠، صحيح ابن حبان: ٥١٠/٢.

(٢) القَطِرَان: بفتح القاف، وكسرها، وسكون الطّاء، وكسرها، مادة سوداء تؤخذ من عصارة شجر الأرز، والصّنوبر، يشبه السّائل الدهني يغلي حتّىٰ يذهب ثلثاه، ويتصف بخاصية القضاء علىٰ الجراثيم، تطلىٰ به ٱلإبل، وتلطخ حين أصابتها بمرض جلدي كالجرب. أُنظر، معجم لغة ٱلْفُقَهَاء: ٣٦٦، لسان العرب: ١٠٥/٥.

(٣) فصلت: ٣٤.

(٤) أُنظر، الكافي: ٥١/٥ ح ١، تهذيب الأحكام: ١٥٨/٦ و: ٢١٠/١٠، جامع المدارك: ١٧١/٧.

شهيد»[١]. وما من شك أنّ السّاكت عن ظالمه، وهو قادر علىٰ مقاومته فقد ظلم نفسه، وما ربك بظلام للعبيد. وأخيراً لو علم الظّالم أنّ المظلوم يستميت دون حقه لتحاماه.

(وَهَبْ لِي مَكْراً عَلَىٰ مَنْ كَايَدَنِي) أي علىٰ من أضمر لِي المكر، والخداع، ومجمل المعنىٰ هبّ لِي قوة أُبطل بها مكر الماكرين، وكيدالشّياطين، قال سبحانه: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[٢]، أي إنّ ٱللّٰه سبحانه أبطل مكرهم، وعاقبهم عَلَيْهِ عقاب الماكرين (وَقُدْرَةً عَلَىٰ مَنِ اضْطَهَدَنِي) عطف تكرار علىٰ اجْعَلْ لِي يداً... (وَتَكْذِيباً لِمَنْ قَصَبَنِي): عابني كذباً، وأفتراءً (وَوَفِّقْنِي لِطَاعَةِ مَنْ سَدَّدَنِي): أرشدني إلىٰ الْخَيْرِ، والصّلاح (وَمُتَابَعَةِ مَنْ أَرْشَدَنِي) عطف تكرار.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَسَدِّدْنِي لِأَنْ أُعَارِضَ مَنْ غَشَّنِي... بِالنُّصْحِ، وَأَجْزِيَ مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرِّ، وَأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي... بِالْبَذْلِ، وَأُكَافِيَ مَنْ قَطَعَنِي... بِالصِّلَةِ، وأُخَالِفَ مَنِ اغْتَابَنِي... إِلَىٰ حُسْنِ الذِّكْرِ، وَأَنْ أَشْكُرَ الْحَسَنَةَ، وَأُغْضِيَ عَنِ السَّيِّئَةِ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَحَلِّنِي بِحِلْيَةِ الصَّالِحِينَ، وَأَلْبِسْنِي زِينَةَ الْمُتَّقِينَ... فِي بَسْطِ الْعَدْلِ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ، وَإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ، وَضَمِّ أَهْلِ الْفُرْقَةِ، وَإِصْلاَحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَإِفْشَاءِ الْعَارِفَةِ،

---

(١) أُنظر، التّهذيب: ٦/١٥٧ ح ٢٨٢، مسالك الافهام: ١٥/٥١، وسائل الشّيعة: ١١/٩١ ح ٥، شرح الأزهار: ٤/٥٨٣، وفي بعض المصادر: (دون عياله، وفي لفظ عقال بعير).

(٢) آل عمران: ٥٤.

وَسَتْرِ الْعَائِبَةِ، وَلِينِ الْعَرِيكَةِ، وَخَفْضِ الْجَنَاحِ، وَحُسْنِ السِّيرَةِ، وَسُكُونِ الرِّيحِ، وَطِيبِ الْمُخَالَقَةِ، وَالسَّبْقِ إِلَىٰ الْفَضِيلَةِ، وَإِيثَارِ التَّفَضُّلِ، وَتَرْكِ التَّعْيِيرِ، وَالإِفْضَالِ عَلَىٰ غَيْرِ الْمُسْتَحِقِّ، وَالْقَوْلِ بِالْحَقِّ، وَإِنْ عَزَّ، وَاسْتِقْلاَلِ الْخَيْرِ، وَإِنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلِي، وَفِعْلِي، وَاسْتِكْثَارِ الشَّرِّ وَإِنْ قَلَّ مِنْ قَوْلِي، وَفِعْلِي، وَأَكْمِلْ ذَلِكَ لِي بِدَوَامِ الطَّاعَةِ، وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ، وَرَفْضِ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَمُسْتَعْمِلِي الرَّأْيِ الْمُخْتَرَعِ.

هذا هو الإمام السّجاد

(وَسَدِّدْنِي لأَنْ أُعَارِضَ مَنْ غَشَّنِي.. بِالنُّصْحِ) سَدِّدْنِي: وفقني، وأُعارض: أُقابل، وأُكافيء بالخير من أراد بي سوءاً، وكلّ ما ذكر الإمام السّجادؑ، وعَدَّدَ في دعائه هذا من مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ، ومعاليها، فقد مارسه بالفعل طول حياته، وحرص عَلَيْهِ حرصه علىٰ صومه، وصلاته، ولا يختلف في ذٰلِكَ إثنان من الّذين عاصروا، وذكروا هذا الهادي المهدي في روايةٍ، أو كِتَاب. وفيما يلي نشير إلىٰ بعض ما تواتر عن جلاله، وخلاله تبعاً لكلمات الدُّعاء:

(وَأَجْـزِيَ مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرِّ) كان الإمام السّجادؑ يطوف باللّيل متنكراً علىٰ بيوت ٱلْفُقَرَاء، يوزع عَلَيْهِمْ الدّارهم، والدّنانير، ومن بينهم ابن عمّ له، وكان إذا أعطاه يأخذ المال، ويقول: ابن عمّي عليّ بْن الحُسين لا يواصلني، فلا جزاه ٱللَّه عَنّي خيراً[1]، فيتحمل الإمامؑ ولا يُعرفه بنفسه، وٱستمر الإمام في العطاء، وٱستمر هو علىٰ هذا الدُّعاء حتّىٰ ٱنتقل الإمام إلىٰ الرّفيق الأعلىٰ، وٱنقطعت الصّلة، فعندها

---

(١) أُنظر، بحار الأنوار: ٤٦/ ١٠٠، كشف الغمة: ٢/ ٣١٨.

عرف المصدر (وَأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي... بِالْبَذْلِ) كان هشام بْن إسماعيل والياً علىٰ المدينة في عهد الإمام، وكان أشد النّاس قسوة علىٰ زين العباد، وأهله حتّىٰ قاسوا منه ألواناً من الأذىٰ، والتّنكيل، ولما عزله الوليد بْن عبد الملك أوقفه النّاس، وأتاح لكلّ من ظلمه، وأساء إليه أنْ يقتص منه كيف شاء، فقال هشام: «لا أخاف إلا من عليّ بْن الحُسين لعلمه بما صنعت يداه، ولما مرّ به الإمام سَلَّم عَلَيْهِ، وقال: طبْ نفساً منا، ومن كلّ من يطيعنا، فإنْ أعجزك المال لتذب به عن نفسك فعندنا منه من يسعفك، ويسعدك. فقال هشام: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[1].

(وَأُكَافِيَ مَنْ قَطَعَنِي... بِالصِّلَةِ، وَأُخَالِفَ مَنِ اغْتَابَنِي... إِلَىٰ حُسْنِ ٱلذِّكْرِ) قال مريض بغيض للإمام: كلاماً يليق بقائله، فأجابه أيضاً بما يليق بعصمته، وعَظَمَتِهِ وقال: «إنْ كنتُ أنا كما تقول أنْتَ فأستغفر ٱللّٰه، وإلا فغفر ٱللّٰه لك. قال الرّجل: بل قلت ما ليس فيك، وأنا أحقّ به»[2] (وَأَنْ أَشْكُرَ الْحَسَنَةَ وَأُغْضِيَ عَنِ السَّيِّئَةِ) أجزي من أحسن بالإحسان، ومن أساء بالغفران (وَحَلِّنِي بِحِلْيَةِ الصَّالِحِينَ) ومثله في دُعَاء آخر: «ٱللَّهُمَّ ٱلحقني بصالح من مضىٰ، وأجعلني من صالح ما بقي، وخذ بي سبيل ٱلصَّالِحِينَ»[3] (وَٱلْبِسْنِي زِينَةَ الْمُتَّقِينَ... فِي بَسْطِ الْعَدْلِ) هذا دليل واضح علىٰ ما ٱخترناه، وذكرناه في الدُّعاء السّابع عشر فقره التّقي من أنّه هو، والعادل بمعنىٰ واحد.

---

(١) الأنْعَام: ١٢٤.
أُنظر، القصة في تذكرة الخواص: ٣٢٨، شرح الأخبار: ٢٦٠/٣، مناقب آل أبي طالب: ٣٠١/٣، تأريخ اليعقوبي: ٢٨٣/٢، المنتخب من ذيل المذيل: ١٢٠، تأريخ الطّبري: ٢١٦/٥، تأريخ دمشق: ٣٠٥/٢و: ١٠٨/١١.

(٢) أُنظر، مناقب آل أبي طالب: ٢٩٦/٣، بحار الأنوار: ٥٥/٤٦، الإرشاد: ٢٧٣.

(٣) أُنظر، مصباح المتهجد: ١٤٣ و ٢٧٣ و ٥٩٦، الكافي: ٥٨٦/٢، إقبال الأعمال: ١٧٣/١.

(وَكَظْمِ الْغَيْظِ، وَإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ) أي الشّحناء، أو العاطفة الملتهبة. كانت بعض جواريه تهيء له ماء وضوئه، فسقط الإبريق من يدها علىٰ وجه الإمام، وأدماه، ولما نظر إليها قالت: «والكاظمين الغيظ.

قال: كتمت غيظي.

قالت: والعافين عن النّاس.

قال: عفوت عنك.

قالت: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1]. قال: إذهبي أنتِ حرة لوجه ٱللّه»[2] (وَضَمِّ أَهْلِ الْفُرْقَةِ) ببيان الْحَقّ، والصّواب، وإقناعهم به، وإجماعهم عَلَيْهِ (وَإِصْلاَحِ ذَاتِ الْبَيْنِ) لقد كرم ٱللّه سبحانه بني ءادَمَ، وضمن لهم دوام الكرامة بشرط أنْ لا يتنازعوا، ويتصارعوا كما نصّ الْقُرْآن ٱلْكَرِيمِ في الآية: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[3]، والآية: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[4]؛ ولكنهم رفضوا هذا الشّرط، وأبوا إلا الصّراع، والنّزاع، فقتل قابيل أخاهُ هابيل، وأستمر الاقتتال من يومهما إلىٰ اليوم، وحتّىٰ اليوم الأخير، وصدقت نبوءة المَلاَئِكَة حيث: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[5] والإمام يسأل ٱللّه سبحانه العون علىٰ إصلاح ذات البين، عسىٰ أنْ يخفف من حدّة القتل، وٱلْقِتَال.

---

(١) آل عمران: ١٣٤.

(٢) أُنظر، البداية والنّهاية: ١٢٥/٩، مجمع البيان: ٣٩٣/٢، شرح الأخبار: ٢٥٩/٣، مناقب آل أبي طالب: ٢٩٦/٣، الدّر المنثور: ٧٣/٢.

(٣) الإسراء: ٧٠.

(٤) الأنفال: ٤٦.

(٥) ٱلْبَقَرَة: ٣٠.

بين الطّيب، والخبيث

(وَإِفْشَاءِ الْعَارِفَةِ، وَسَتْرِ الْعَائِبَةِ) العارفة: المعروف، والعائبة: العيب.

يهتم علماء الطّبيعة بالكشف عن كنوزها، وأسرارها، وعلماء النّفس بملكاتها، وغرائزها، ويبحث ٱلْفُقَهَاء عن حلال ٱللَّه، وحرامه... وهكذا كلّ فرد من ٱلْعُلَمَاء، وغيرهم يبحث، وينقب عما يتصل بحقلهِ، وما هو من أهلهِ. وأيضاً هكـذا اللّـئيم الخبيث يحصر نشاطه، ويكرس جهده للكشف عن عيوب النّاس، وعوارتهم، فإنْ رأىٰ سيئة طار بها فرحاً، وأشاع، وأعلن، وإنْ رأىٰ حسنة كـتم، ودفـن... عـلىٰ العكس من الطّيب الفاضل حيث يتجاهل السّيّئات، ويُـعلن الْـحَسَنَات كـما قـال الإمام ﷺ. وفي الأشعار:

مـن تَكُـنْ نـفسهُ بـغير جـمالٍ لايرىٰ في الوجودِ شيئاً جميلا

(وَلِينِ الْعَرِيكَةِ...) الطّبيعة، وخفض الجناح: كناية عن الرّفق، والتّـواضـع، والسّيرة: السّلوك، وسكون الرّيح: الوقار، وطيب المخالقة، حسن المعاشرة، ومثله خـالقوا النّـاس، والفـضيلة: فـعل الواجـبات، والمسـتحبات، وتـرك الشّـبهات، والمحرمات، والتّفضل: العطاء ٱبتداءً لا جزاءً، ومثله الإفضال علىٰ غير المستحق.

التّعْيِير

(وَتَرْكِ التَّعْيِيرِ) عَيره بفعله: قبّح، وأعابه به، وما من شك أنّ التعيير بـالذنب ذنب، لأنّه تزكية للنفس، ورضيً عنها، ولقول ٱلرَّسُـول الأعـظم ﷺ: «مَـن أذاع فاحشة كان كمبتدئها ـ أي فاعلها ـ ومن عيّر مؤمناً بشيء لم يمت حتّىٰ يركبه»[1].

(١) أنظر . الكافي: ٢/٣٥٦ ح ٣، شرح أُصول الكافي: ١٠/٦، السّرائر: ٣/٦٤٣، مستطرفات السّرائر: ٦٤٣.

وفي نهج البلاغة: «لا تعجل في عيبِ أحدٍ بذنبِهِ فلعلهُ مغفورٌ له، ولا تأمن علىٰ نفسك صغير معصية فلعلك معذب عَلَيْهِ»(١) وقال خبير قديم: « ما أحسب أحداً تفرغ لعيوب النّاس إلا عن غفلةٍ غفلها عن نفسه... إنّ كلّ طاعة يرضاها المرء من نفسه فهي عَلَيْهِ لا له، وكلّ معصية يعير بها أخاه فهي إليه كما لو فعلها».

(وَالـقَوْلِ بِالْحَقِّ، وَإِنْ عَـزَّ) حين دعا مُحمّدﷺ إلىٰ الإسْلاَم كان أهْل الأرْض بكاملهم علىٰ غير دينه، ومن هنا قالوا بـه:﴿إِنَّكَ لَـمَجْنُونٌ﴾(٢) وكـلّ المُـصلحين، والمحقين مجانين عند أهْل الجهل، والضّلال (وَاسْتِقْلاَلِ الخَيْـرِ، وَإِنْ كَثُـرَ...) فيما قرأت:«جاء إبليس إلىٰ موسىٰ بْن عمران ؑ، وهو يناجي ربّه، فقال له ملك مـن المَلاَئِكَة: ما ترجو منه، وهو في هَذِهِ الحال يناجي ربّه؟ فقال: أرجو منه ما رجوت من أبيه ءَادَمَ وهو في الْجَنَّة»(٣). والقصد من هـذا المـثال التّحذير مـن ألاعـيب الشَّيْطَان، وأنّه لا ييأس من الزّهاد، والعبّاد، بل يـحاول أنْ يُـخرجـهم عـن حـد الإيْمَان، والاعتدال إلىٰ التّطرف، والغرور، فيريهم الْخَيْر القليل من أعمالهم كثيراً، والشّرّ الكثير منها قليلاً! وما من شك أنّ الغرور يجعل الْـحَسَنَات سـيئات. وفـي الحديث الشّريف:« من رأىٰ إنّه مُسيء فهو مُحْسِن، ومـن رأىٰ إنّـه مُـحْسِن فـهو مُسيء»(٤) وفي معناه قول الإمام أمير الْمُؤْمِنِين ؑ: « سيئة تسوءك خير من حسنة تُعجبك»(٥)؛ لأنّ الإعجاب بالحسنة يجر إلىٰ السّيّئات، وكراهية السّيئة يبعث علىٰ

---

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٢٣/٢، الخطبة (١٤٠)، شرح النّهج للمعتزلي: ٥٩/٩، عيون الحكم والمواعظ: ٥٥٠.

(٢) الحجر: ٦.

(٣) أُنظر، أمالي الصّدوق: ٧٦٤، معاني الأخبار: ٥٤، بحار الأنوار: ٢٣٨/١٣، تأريخ دمشق: ١٢٤/٦١.

(٤) أُنظر، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣١٧/٢٠، الحكمة (٦٤١).

(٥) أُنظر، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣١٧/٢٠، الحكمة (٦٤٢).

فعل الْحَسَنَات.

(وَأَكْمِلْ ذَلِكَ لِي بِدَوَامِ الطَّاعَةِ) وهي الإنقياد لأمر ٱللَّه تعالىٰ، ونهيه، وتدوم هَذِهِ الطَّاعة، وتكمل بلجام النَّفس عن معاصي ٱللَّه (وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ) المُراد بهذا اللّزوم عدم الخروج علىٰ جمع الشَّمل، ووحدة الكلمة، وَالتَّعَاون مع الجميع علىٰ المصلحة العامة، ومن شق العصا بقصد الفتنة، والتّفرقة فقد بريء الإِسْلاَم منه لحديث: «من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإِسْلاَم عن عنقه، ومات ميتة جاهلية»[1]. (وَرَفْضِ أَهْلِ الْبِدعِ) بِدعة بكسر الباء بمعنىٰ الإحداث في الدّين من غير دليل (وَمُسْتَعْمِلِ الرَّأيِ الْمُخْتَرَعِ) عطف تكرار، وتفسير للبِدع.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ إِذَا كَبِرْتُ، وَأَقْوَىٰ قُوَّتِكَ فِيَّ إِذَا نَصِبْتُ، وَلاَ تَبْتَلِيَنِّي بِالكَسَلِ عَنْ عِبَادَتِكَ، وَلاَ الْعَمَىٰ عَنْ سَبِيلِكَ، وَلاَ بِالتَّعَرُّضِ لِخِلاَفِ مَحَبَّتِكَ، وَلاَ مُجَامَعَةِ مَنْ تَفَرَّقَ عَنْكَ، وَلاَ مُفَارَقَةِ مَنِ اجْتَمَعَ إِلَيْكَ.

أَللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَصُولُ بِكَ عِنْدَ الضَّرُورَةِ، وَأَسْأَلُكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ عِنْدَ الْمَسْكَنَةِ، وَلاَ تَفْتِنِّي بِالاسْتِعَانَةِ بِغَيْرِكَ إِذَا اضْطُرِرْتُ، وَلاَ بِالْخُضُوعِ لِسُؤَالِ غَيْرِكَ إِذَا افْتَقَرْتُ، وَلاَ بِالتَّضَرُّعِ إِلَىٰ مَنْ دُونَكَ إِذَا رَهِبْتُ فَأَسْتَحِقَّ بِذَلِكَ خِذْلاَنَكَ، وَمَنْعَكَ، وَإِعْرَاضَكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

(أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ إِذَا كَبِرْتُ) إذا رقّ جلد

---

(١) أُنظر، أمالي الصّدوق: ٤١٣، المجموع: ١٩٠/١٩، إعانة الطّالبين: ١٧٨/٤، كشف القناع: ٢٠٦/٦.

ٱلإِنسَان، ودقّ عظمه عجز عن الحركة، والإنتاج، وذهبت هيبتة حتَّىٰ عند زوجته، وأولاده، ولا جابر، وناصر في هَٰذِهِ الحال إلا المال، فإنّه خاتم لبيك. ويُروىٰ أنّ شيخاً من الأعراب قيل له: «كيف حالك في الأكل؟ قال: إنْ أكلت ثقلت، وإنْ تركت ضعفت. قيل له: ونكاحك؟ قال إذا بُذلت لِي عجزت، وإذا مُنعت شرهت. قيل: ونومك؟ قال: أنام في المجمع، وأسهر في المضجع. قيل: وقيامك، وقعودك؟ قال: إذا قعدت تباعدت عَنِّي ٱلأَرْض ـ كناية عن اهتزازه، وتعبه ـ وإذا قمت لزمتني. وقيل: ومشيك؟ قال: تعقلني الشّعرة، وتعثرني البعرة»(١).

(وَأَقْوَىٰ قُوَّتِكَ فِيَّ إِذَا نَصِبْتُ) من النّصب بمعنىٰ التّعَب، وتجدر الإشارة إلىٰ أنّ قوة ٱللَّه سبحانه علىٰ نسقٍ واحد كماً، وكيفاً لا شيء منها أقوىٰ من شيء سواء تعلقت بخلق الكون أم البعوضة، وعَلَيْهِ يكون المعنىٰ أدخر القسم الأوفىٰ مما كتبت لِي عندك من القوة إلىٰ يَوْم عجزي، وإعيائي (وَلاَ تَبْتَلِيَنِّي بِالكَسَلِ عَنْ عِبَادَتِكَ) ولا سببٍ موجب للتواني، والتّثاقل عن عِبَادَة ٱللَّه إلا ضعف العقيدة. وعن الإمام الباقر؛: «لا تمزح فيذهب بهاؤك، ولا تكذب فيذهب نورك، إيّاكَ وخصلتين: الضّجر، والكَسَل، فإنّك إنْ ضجرت لم تصبر علىٰ حقٍ، وإنْ كسلت لم تؤد حقاً»(٢).

(وَلاَ الْعَمَىٰ عَنْ سَبِيلِكَ) العمىٰ المقصود هنا ترك الْحَقّ، والإنحراف عنه جهلاً، أو ضلالاً، وسبيل ٱللَّه صراطه إلىٰ دينه، وشريعته (وَلاَ بِالتَّعَرُّضِ لِخِلاَفِ مَحَبَّتِكَ...) لا تبتلني بالتهالك علىٰ الدُّنْيَا، وحطامها، ولا بموالاة من عاداك، أو معاداة من والاك (أَللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَصُولُ بِكَ عِنْدَ الضَّرُورَةِ) هبّ لِي من لدنك إيماناً

---

(١) أُنظر، شجرة طوبىٰ للشيخ مُحمّد مهدي الحائري: ١/٣٧.

(٢) أُنظر، السّرائر: ٣/٦١٦، تأريخ دمشق: ٢٤/٣٤٥، أمالي الصّدوق: ٦٣٦، مَكَارِم الأَخْلاَق: ٤٣٤.

راسخاً، ويقيناً صادقاً أعتصم به في ساعة العسرة من اللّجوء إلىٰ غيرك (وَأَسْأَلُكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ) ولا أسأل سِواكَ، لأنّك أنتَ، وحدك الفعال لما يريد (وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ عِنْدَ الْمَسْكَنَةِ) المُراد بالسكنة هنا الضّعف، والمعنىٰ: إجعلني قوياً، وقادراً حتّىٰ لا أتضرع، وأخضع إلا لكَ (وَلاَ تَفْتِنِّي بِالاسْتِعَانَةِ...) عطف تكرار، وتفسير (فَأَسْتَحِقَّ بِذٰلِكَ خِذْلاَنَكَ...) مَن توكل علىٰ مخلوقٍ أوكله ٱللّٰه إليهِ، وماله في الآخرةِ من نصيب.

أَللَّهُمَّ اجْعَلْ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِي رَوْعِي مِنَ الـتَّمَنِّي، وَالتَّـظَنِّي، وَالْحَسَـدِ... ذِكْـراً لِعَظَمَتِكَ، وَتَفَكُّراً فِي قُدْرَتِكَ، وَتَـدْبِيراً عَـلَىٰ عَدُوِّكَ، وَمَا أَجْرَىٰ عَلَىٰ لِسَانِي مِنْ لَفْظَةِ فُحْشٍ، أَوْ هُـجْرٍ، أَوْ شَـتْمِ عِرْضٍ، أَوْ شَهَادَةِ بَاطِلٍ، أَو اغْتِيَابِ مُؤْمِنٍ غَائِبٍ، أَوْ سَبِّ حَـاضِرٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ نُطْقاً بِالْحَمْدِ لَكَ، وَإِغْرَاقاً فِي الثَّنَاءِ عَلَيْكَ، وَذَهَاباً فِي تَمْجِيدِكَ، وَشُكْراً لِنِعْمَتِكَ، وَاعْتِرَافاً بِإِحْسَانِكَ، وَإِحْصَاءً لِمِنَنِكَ.

أَللَّهُمَّ صَـلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِـهِ، وَلاَ أُظْلَمَنَّ وَأَنْتَ مُطِيقٌ لِلدَّفْعِ عَنِّي، وَلاَ أَظْلِمَنَّ وَأَنْتَ الْقَادِرُ عَلَىٰ الْقَبْضِ مِنِّي، وَلاَ أَضِلَّنَّ وَقَدْ أَمْكَـنَتْكَ هِدَايَتِي، وَلاَ أَفْتَقِرَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُسْعِي، وَلاَ أَطْـغَيَنَّ وَمِـنْ عِـنْدِكَ وُجْدِي.

(أَللَّهُمَّ اجْعَلْ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِي رَوْعِي مِنَ التَّمَنِّي، وَالتَّظَنِّي، وَالْحَسَـدِ) الرَّوْع بضم الرّاء، وتشديدها، وسكون الواو: القلب، والتّمني: الإرادة، والتّظني: الحدس، والمعنىٰ أسألك أَللَّهُمَّ أنْ تعصمني من الأهواء، والأفكار السّوداء، ومن كلّ ما يوسوس به الشَّيطَان، واجْعَلْ مكان ذٰلِكَ (ذِكْـراً لِعَظَمَتِكَ) وذكر ٱللّٰه حسن علىٰ كلّ حال سواء أكان القلب متجهاً إليه تعالىٰ، ومقبلاً عَلَيْهِ أم مشغولاً عنه بغيره لإطلاق

الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[١] وأحسن أنواع الذّكـر تـرك الُمحرمات، وفعل الْخَيْرات (وَتَفَكُّراً فِي قُـدْرَتِكَ) لأنّـه يـؤدي حـتماً إلىٰ مـعرفة الخالق، والإيْمَان بعظمته، قال سبحانه: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا﴾[٢] فقد ربط سبحانه الإيْـمَان بـه، وبـحكمته، بـالتأمل، والتّفكر.

وفي الحديث: « تفكروا في خَلْق ٱللَّه، ولا تفكروا في ذات ٱللَّه»[٣].

(وَتَدْبِيراً عَلَىٰ عَدُوِّكَ) كلّ من لا يؤمن شره، ولا يرجىٰ خيره فهو عـدو لله، وللإنسانية، قال رَسُول ٱللَّهﷺ: «شرّ النّاس من أكرمه النّاس أتقاء شرّه»[٤]. ومعنىٰ التّدبير علىٰ عدو ٱللَّه مقاومته، والعمل علىٰ ضدهِ، وردعه (وَمَا أَجْرَىٰ عَلَىٰ لِسَانِي) أي ما يحاول الشَّيْطَان أنْ يجريه علىٰ لساني (مِنْ لَفْظَةِ فُحْشٍ، أَوْ هُجْرٍ، أَوْ شَـتْمِ عِرْضٍ، أَوْ شَهَادَةِ بَاطِلٍ، أو اغْتِيَابِ مُؤْمِنٍ...) لَفْظَة الفُحْش القـبيح مـن القـول، والهجر: الهذر، والهذيان، والعِرض بكسر العين: ما يصونه ٱلإنسَان يحامي عنه من نفسهِ، وصفاتهِ، ونسبهِ، وأهله (أَوْ شَهَادَةِ بَاطِلٍ) قال سبحانه في وصف الْمُؤْمِنِين: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾[٥] (أو اغْـتِيَابِ مُـؤْمِنٍ) ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[٦].

---

(١) الأحزاب: ٤١.

(٢) آل عمران: ١٩١.

(٣) أُنظر، الجامع الصّغير: ٥١٤/١ ح ٣٣٤٧ و ٣٣٤٩، كنز العمال: ١٠٦/٣ ح ٥٧٠٥ و ٥٧٠٨، فيض القدير شرح الجامع الصّغير: ٣٤٥/٣، كشف الخفاء: ٣١١/١، الدّر المنثور: ١١٠/٢.

(٤) أُنظر، مَكَارِمِ الأَخْلاَق: ٤٣٣، السّرائر: ٦١٥/٣، من لا يحضره الفقيه: ٣٥٣/٤، الوسـائل: ٣٤/١٦.

(٥) الفرقان: ٧٢.

(٦) الحجرات: ١٢.

والمعنىٰ أسألك أَللَّهُمَّ أنْ تعصم لساني عن النّطق بأيّ قبيح، ومكروه، واجْعَلْ مكان ذٰلِكَ (نُطْقاً بِالْحَمْدِ لَكَ) علىٰ السّراء، والضّراء (وَإِغْرَاقاً) الإغراق: الإطناب، والإمعان (فِي تَمْجِيدِكَ) في تعظيمك (لِمِنَنِكَ): لنعمك.

(وَلاَ أُظْلَمَنَّ وَأَنْتَ مُطِيقٌ لِلدَّفْعِ عَنِّي) لا يُريد الإمام ﷺ بدعائه هذا أنْ يسكت المظلوم عن ظالمه، ويدع أمره إلىٰ ٱللَّه، بل المُراد أنْ لا يسلط عَلَيْهِ من يظلمه، ويمكنه من الإعتداء عَلَيْهِ[1]. (وَلاَ أَظْلِمَنَّ وَأَنْتَ القَادِرُ عَلَىٰ الْقَبْضِ مِنِّي)، وأيضاً لا تسلّطني ظالماً علىٰ أحدٍ، بل آمنعني عن الظُّلم بالهداية منك، والعناية. والدّليل علىٰ إرادة هذا المعنىٰ قوله بلا فاصل: (وَقَدْ أَمْكَنْتَكَ هِدَايَتِي) إلىٰ العدلِ، وترك الظُّلم (وَلاَ أَفْتَقِرَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُسْعِي) بضم الواو بمعنىٰ الغنىٰ، واليسار (وَلاَ أَطْغَيَنَّ) بالغنىٰ، والمال (وَمِنْ عِنْدِكَ وُجْدِي) بضم الواو أي الغنىٰ، والقُدرة، والمعنىٰ لا تجعلني بما أنعمت عليّ من السّعة، واليسار كالذي أشرت إليه بقولك: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[2].

أَللَّهُمَّ إِلَىٰ مَغْفِرَتِكَ وَفَدْتُ، وَإِلَىٰ عَفْوِكَ قَصَدْتُ، وَإِلَى تَجَاوُزِكَ اشْتَقْتُ، وَبِفَضْلِكَ وَثِقْتُ، وَلَيْسَ عِنْدِي مَا يُوجِبُ لِي مَغْفِرَتَكَ، وَلاَ فِي عَمَلِي مَا أَسْتَحِقُّ بِهِ عَفْوَكَ، وَمَا لِي بَعْدَ أَنْ حَكَمْتُ عَلَىٰ نَفْسِي إِلاَّ فَضْلُكَ، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ. أَللَّهُمَّ وَأَنْطِقْنِي بِالْهُدَىٰ، وَأَلْهِمْنِي التَّقْوَىٰ، وَوَفِّقْنِي لِلَّتِيْ هِيَ أَزْكَىٰ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا هُوَ أَرْضَىٰ.

أَللَّهُمَّ اسْلُكْ بِيَ الطَّرِيقَةَ الْمُثْلَىٰ، وَاجْعَلْنِي عَلَىٰ مِلَّتِكَ أَمُوتُ

---

(١) أُنظر، (فقرة ضع مع الدُّعاء شيئاً من القِطْران المذكورة في هذا الدُّعاء).

(٢) العلق: ٦ ـ ٧.

وَأَخْبَى.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَمَتِّعْنِي بِالاقْتِصَادِ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ السَّدَادِ، وَمِنْ أَدِلَّةِ الرَّشَادِ، وَمِنْ صَالِحِي الْعِبَادِ، وَارْزُقْنِي فَوْزَ الْمَعَادِ، وَسَلاَمَةَ الْمِرْصَادِ.

(أَللَّهُمَّ إِلَىٰ مَغْفِرَتِكَ وَفَدْتُ...) العفو، والمغفرة، والتّجاوز كلمات معانيها متقاربة، ومتشابكة، ومثلها وفدت، وقصدت، وأشتقت، ومجمل المعنىٰ لا شيء أحبّ إليّ من منّك عليّ بالصفح، والمسامحة علماً مِنّي بأنّه (لَيْسَ عِنْدِي مَا يُوجِبُ لِي مَغْفِرَتَكَ...) هذا واضح، وقد تَقَدَّمَ مرات[1]. (وَأَنْطِقْنِي بِالْهُدىٰ) لا بالجهل، والضّلال، والهوىٰ. وفي نهج البلاغة: «اللّسان سبع إنْ خليّ عنه عقر»[2] (وَأَلْهِمْنِي التَّقْوَىٰ) وهي بمعنىٰ العدل كما سبقت الإشارة، وأصدق علامة تدل عليها، وعَلَيْهِ أنْ تكبح هواك عن الحرام حيث لا أحدٍ يراك إلا ٱللّه.

لا هدف من الدّين إلا ٱلإنسَان

(وَوَفِّقْنِي لِلَّتِي هِيَ أَزْكَىٰ) وأقدس الأعمال، وأنماها ما فيه مصلحة الفرد، أو الجماعة... أبداً لا هدف للدين إلا ٱلإنسَان، وخيره، وإسعاده، والمساواة بين جميع أفراده في الحقوق، والواجبات: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[3]، ومعنىٰ هذا

---

(١) أُنظر، علىٰ سبيل المثال لا الحصر، الدُّعاء الثّالث عشر، والسّادس عشر. (منه ﷺ).

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ٤/١٥، الحكمة (٦٠)، شرح النّهج لابن أبي الحديد المعتزلي: ٧/٩٠ و: ١٨/١٩٦، عيون الحكم والمواعظ: ٢٤٦، وفي لفظ: (إنْ أطلقته عقر).

(٣) النّحل: ٣٠.

أنّ كلّ ما فيه للناس خير، وصلاح فهو من الإسْلاَم في الصّميم، وأيضاً معنىٰ هذا أنّ الإسْلاَم لا يرفض سائر الأديان، والفلسفات. والمذاهب جملةً، وتفصيلا، بل يرفض ما فيها من شرٍ، وضررٍ، ويقر ما فيها من خيرٍ، ونفعٍ، ونجد هذا صريحاً واضحاً في العديد من الآيات بالإضافة إلىٰ آية الْخَيْر السّابقة، ومن ذٰلِكَ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾[1]...وقال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَايُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[2]. ومن أوضح الواضحات في الدّلالة علىٰ هٰذِهِ الحقيقة قول الإمام ﷺ ونعيده مرة ثانية: (أَللَّهُمَّ وَأَنْطِقْنِي بِالْهُدىٰ، وَأَلْهِمْنِي ٱلتَّقْوَىٰ، وَوَفِّقْنِي لِلَّتِيْ هِيَ أَزْكَىٰ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا هُوَ أَرْضَىٰ. أَللَّهُمَّ اسْلُكْ بِيَ الطَّرِيقَةَ الْمُثْلَىٰ) وهل من شيء عند ٱللّٰه سبحانه أتقىٰ، وأبقىٰ، وأزكىٰ، وأرضىٰ من العمل لحياةٍ أَفْضَل؟.

(وَاجْعَلْنِي عَلَىٰ مِلَّتِكَ أَمُوتُ، وَأَحْيَىٰ) المِلّة: الدّين، والحياة عليه: الدوام، والإستمرار علىٰ أداء فرائضه، وٱجتناب محارمه حتّىٰ النّفس الأخير. وفي نهج البلاغة: «فمن الإيْمَان ما يكون ثابتاً مستقراً في القلوب، ومنه ما يكون عواري بين القلوب، والصّدور إلىٰ أجلٍ معلوم»[3] وعن الإمام الصَّادِق ﷺ ما معناه: «من ٱتفقت أقواله مع أفعاله فإيمانه مستقر، ومن خالفت أقواله أفعاله فإيمانه عارية»[4]

---

(١) الأعراف: ١٥٧.

(٢) ٱلْبَقَرَة: ١٨٥.

(٣) أُنظر، نهج البلاغة: ٣٨٦/١، الخطبة (١٨٩)، شرح النّهج لابن أبي الحديد: ١٠١/١٣، ينابيع الْمَوَدَّة: ٤٥٢/٣، عيون الحكم والمواعظ: ٣٦٠، شرح أُصول الكافي: ١٠٥/٨.

(٤) أُنظر، أمالي الطوسي: ٥٢٨ قريب منه ولكن عن الرسول ﷺ، مكارم الأَخْلاَق: ٤٦٠، بحار الأنوار: ٧٧/٧٤، كنز العمال: ٣٠٧/١٠، تفسير القرطبي: ٣٣٠/١٤، ولكن نسبه إلىٰ ابن العربي بلفظ: (إنّ كلام المرء بذكر الله إنْ لم يقترن به عمل صالح لم ينفع؛ لأنّ من خالف قوله فعله فهو وبال عليه).

(وَمَتِّعْنِي بِالاقْتِصَادِ) أجعلني من ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[1] والقوام: الوسط، والإستقامة (وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ السَّدَادِ) من أهل الحَقّ، والصّدق في القولِ، والفعل (وَمِنْ أَدِلَّةِ الرَّشَادِ) من خزنة العلم، وحفظته (وَمِنْ صَالِحِي . . .) السّامعين المطيعين لأمرك، ونهيك، والدّاعين لدينك، وصراطك (وَارْزُقْنِي فَوْزَ الْمَعَادِ) بمرضاتك، وجنتك (وَسَلاَمَةَ الْمِرْصَادِ) أي السّلامة من جَهَنّم حيث أطلق سبحانه كلمة مرصاد عليها في الآية: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾[2].

أَللَّهُمَّ خُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ نَفْسِي مَا يُخَلِّصُهَا، وَأَبْقِ لِنَفْسِي مِنْ نَفْسِي مَا يُصْلِحُهَا؛ فَإِنَّ نَفْسِي هَالِكَةٌ، أَوْ تَعْصِمَهَا.

أَللَّهُمَّ أَنْتَ عُدَّتِي إِنْ حَزِنْتُ، وَأَنْتَ مُنْتَجَعِي إِنْ حُرِمْتُ، وَبِكَ اسْتِغَاثَتِي إِنْ كَرِثْتُ، وَعِنْدَكَ مِمَّا فَاتَ خَلَفٌ، وَلِمَا فَسَدَ صَلاَحٌ، وَفِيمَا أَنْكَرْتَ تَغْيِيرٌ؛ فَامْنُنْ عَلَيَّ قَبْلَ الْبَلاَءِ بِالْعَافِيَةِ؛ وَقَبْلَ الطَّلَبِ بِالْجِدَةِ، وَقَبْلَ الضَّلاَلِ بِالرَّشَادِ، وَاكْفِنِي مَؤُونَةَ مَعَرَّةِ الْعِبَادِ، وَهَبْ لِي أَمْنَ يَوْمِ الْمَعَادِ، وَامْنَحْنِي حُسْنَ الإِرْشَادِ.

(خُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ نَفْسِي مَا يُخَلِّصُهَا، وَأَبْقِ لِنَفْسِي مِنْ نَفْسِي مَا يُصْلِحُهَا) بعض النّاس ينسىٰ نصيبه من الدُّنْيا، وينصرف بكلّه إلىٰ العبادة صياماً، وقياماً، ومن أقوال الصّوفية، أو شطحاتهم: «تخل عن نفسك، وتعال»![3] وكيف يتخلىٰ الإنسان

(١) الفرقان: ٦٧.

(٢) النّبأ: ٢١.

(٣) أنظر، كراس هٰذِهِ هي الصّوفية: ٨٤.

عن معدته، وغريزته؟ وفي المقابل يتعبد البعض الآخر للدُّنيا كلّ التّعبد، ويؤثرها علىٰ دينه، وآخرته. والأوّل أفرط، وأفسد بطغيان آخرته علىٰ دنياه، والثّاني قصر، وأضر بطغيان دنياه علىٰ آخرته! والإمام ﷺ يقف موقفاً وسطاً بين هذين، ويقول بأسلوب الدُّعاء،: «إنّ خلاص النّفس، ونجاتها من غضب ٱللَّه، وعذابه، بفعل الواجبات، وترك المحرمات، وكفىٰ»[1]. وهذا معنىٰ قوله: (خُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ نَفْسِي مَا يُخَلِّصُهَا)، ومتىٰ أدت النّفس لله تعالىٰ كلّ ما عليها، فلها أنْ تسرح، وتفرح بزينة الحياة الدُّنْيا، والطّيبات من الرّزق كما نصت الآية: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[2]. وبهذا نجد تفسير قوله: « وَأَبْقِ لِنَفْسِي مِنْ نَفْسِي مَا يُصْلِحُهَا» وفيه إيماء إلىٰ أنّ النّفس لا تصلح بالضغط، والحرمان، ومن هنا جاء النّهي في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[3].

أما قول الإمام ﷺ: (فَإِنَّ نَفْسِي هَالِكَةٌ، أَوْ تَعْصِمَهَا) فمعناه أنّ التّوازن، والتّعادل بين كفة العمل للآخرة، وكفة العمل للدُّنيا صعب مستصعب إلا بحبل من ٱللَّه، وتوفيقه (ٱللَّهُمَّ أَنْتَ عُدَّتِي إنْ حَزَنْتُ) أنْتَ المفزع، والملجأ إنْ ٱشتدت الأزمات، وضاقت الحلقات (وَأَنْتَ مُنْتَجَعِي) المنتجع: الموضع الَّذي يقصده المحاويج (وَبِكَ استِغَاثَتِي إنْ كَرِثْتُ) لا أستغيث إلا بك إنْ نزلت بي كارثة (وَعِنْدَكَ مِمَّا فَاتَ خَلَفٌ) إذا ٱفتقد عبدك نعمة عوّضته بغيرها، وفي الأمثال: يدٌ تشج،

(١) تَقَدَّمَ إستخراجه.
(٢) الأعراف: ٣٢.
(٣) القصص: ٧٧.

وأُخرىٰ تأسو[1]. وفي الأشعار: لنا علم، وللجهال مال. وفي نهج البلاغة: «فكَم من منقوصٍ رابح، ومزيد خاسر!»[2] (وَلِمَا فَسَدَ صَلاَحٌ) لكلّ داء دواءٌ إلا الحماقة، والهرم حتّىٰ الأدمغة السّوداء تداوىٰ بعملية غسل الدّماغ (وَفِيَما أَنْكَرْتَ تَغْيِيرٌ) أَنْتَ القادر بتوفيقك، وهدايتك أنْ تُغيّر ما تنكره مِنّي، ومن أفعالي إلىٰ ما تُحبّ، وترضىٰ.

(فَامْنُنْ عَلَيَّ قَبْلَ الْبَلآءِ بِالْعَافِيَةِ) أعفني من كلّ مكروه، وارفعه عَنّي قبل أنْ يقع (وَقَبْلَ الطَّلَبِ بِالْجِدةِ): بالغنىٰ، أي أغنني بخيرك عن غيرك كيلا أشتغل بطلب الرّزق عن عِبادَتِك (وَقَبْلَ الضَّلاَلِ بِالرَّشَادِ) أهدني سبيل الرّشاد قبل أنْ أضل، وأشقىٰ (وَاكْفِنِي مَؤُونَةَ مَعَرَّةِ الْعِبَادِ) المؤنة: المشقة، والمعرة: العيب، والمعنىٰ أدفع المشقة، والشِّدّة الّتي تنالني من لغو النّاس، وعيبهم عليّ بالفقر، ونحوه (وَهَبْ لِيْ أَمْنَ يَوْمِ الْمَعَادِ) أي الأمن من أهواله، وأثقاله (وَامْنَحِنِي حُسْنَ الإِرْشَادِ) إلىٰ الحق، والصّواب.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَادْرَأْ عَنّي بِلُطْفِكَ، وَاغْذُنِي بِنِعْمَتِكَ، وَأَصْلِحْنِي بِكَرَمِكَ، وَدَاوِنِي بِصُنْعِكَ، وَأَظِلَّنِيْ فِي ذَرَاكَ، وجَلِّلْنِي رِضَاكَ، وَوَفِّقنِي إذَا اشْتَكَلَتْ عَلَيَّ الأُمُورُ لِأَهْدَاهَا، وَإِذَا تَشَابَهَتِ الأَعْمَالُ لأَزْكَاهَا، وَإِذَا تَنَاقَضَتِ الْمِلَلُ لِأَرْضَاهَا.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَوِّجْنِي بِالْكِفَايَةِ، وَسُمْنِي حُسْنَ

---

(١) أُنظر، كِتَاب الأمثال البغدادية: ٤٢١.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ١/٢٢٥، الخطبة (١٤٠)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٧/٢٥١.

الْوِلاَيَةِ، وَهَبْ لِيْ صِدْقَ الْهِدَايَةِ، وَلاَ تَفْتِنِّي بِالسَّعَةِ، وَامْنَحْنِي حُسْنَ الدَّعَةِ، وَلاَ تَجْعَلْ عَيْشِي كَدّاً كَدّاً، وَلاَ تَرُدَّ دُعَائِي عَلَيَّ رَدّاً؛ فَإِنِّي لاَ أَجْعَلُ لَكَ ضِدّاً وَلاَ أَدْعُو مَعَكَ نِدّاً.

هذا الجزء من الدُّعاء، والبقية منه مجرد توكيد، وتكرار لما سبق[1]. لذا نجمل هُنا، ولا نفصل (أَللَّهُمَّ وَادْرَأْ عَنِّي بِلُطْفِكَ) أدفع عَنّي كلّ مكروه ببرك، وإحسانك (وَاغْذُنِي) من الغذاء. وفي روايات الأئمة الأطهار: «غذانا رَسُول اللّه ﷺ بعلم اللّه تبارك وتعالىٰ، فعلمنا تأويل القُرْآن، ومشكلات الأحكام»[2]. (بِنِعْمَتِكَ) تعم، وتشمل الْعِصْمَة عن الخطأ، والْخَطِيئة (وَأَصْلِحْنِي بِكَرَمِكَ) سبق في أوّل هذا الدُّعاء: «أَللَّهُمَّ لاَ تَدَعْ خَصْلَةً تُعَابُ مِنِّي إِلاَّ أَصْلَحْتَهَا» (وَدَاوِنِي بِصُنْعِكَ) المُراد بالمداواة هُنا الصّحة، والسّلامة من كلّ آفة، وشدة، والصّنيعة: الإحسان (وَأَظِلَّنِي فِي ذَرَاكَ) المُراد بالظل هنا العز، والسّلطان، وبالذرىٰ الحفظ، والحرز، والمعنىٰ أحفظني بحفظك، وأحرزني، وأمنع عَنّي بعزك، وسُلْطَانَك (وجَلِّلْنِي رِضَاكَ) أغمرني برضاك، ولا تستعملني إلا فيما تُحبّ (وَوَفِّقْنِي إِذَا اشْتَكَلَتْ) ألتبست، وأشتبهت (عَلَيَّ الأُمُورُ لِأَهْدَاهَا) لأقربها إلىٰ الْحَقّ، والصّواب (وَإِذَا تَشَابَهَتِ الأَعْمَالُ لأَزْكَاهَا) لأنفعها دنياً، وآخرة (وَإِذَا تَنَاقَضَتِ الْمِلَلُ): المذاهب (لِأَرْضَاهَا) لما فيها من الخير، والرّشد، والصّواب.

(وَتَوِّجْنِي بِالْكِفَايَةِ) أكفني ما يشغلني الاهتمام به (وَسُمْنِي) من السّوم بمعنىٰ الإرادة أي أرد لِي (حُسْنَ الْوِلاَيَةِ) علىٰ مَن، وما تحت يدي (وَهَبْ لِيْ صِدْقَ الْهِدَايَةِ) ثبتني عليها، وعلىٰ العمل بموجبها حتّىٰ ألقاك هادياً، مهدياً (وَلاَ تَفْتِنِّي

(١) أُنظر، الدُّعاء السّادس: فقرة التّكرار في الأدعية.

(٢) أُنظر، الإحتجاج للطبرسي: ١/٤١٧، بحار الأنوار: ٤٤/٩٤، صحيفة الإمام الحُسين: ٢٨٢.

بِالسَّعَةِ) أبعدني، إذا أنا استغنيت، عن الْبَغْيِ، والبطر، والتضاهي، والتباهي (وَامْنَحْنِي حُسْنَ الدَّعَةِ): رغد العيش (وَلاَ تَجْعَلْ عَيْشِي كَدّاً كَدّاً) جهداً، وتعباً، وشقاءً، ووصباً (وَلاَ تَرُدَّ دُعَائِي عَلَيَّ رَدّاً) مخالفاً (وَلاَ أَدْعُو مَعَكَ نِدّاً) مماثلاً. بل أعبدك، وأدعوك وحدك لا شريك لك، آمَنْتُ بك، وبرئت ممن عبد سِواكَ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِـهِ، وَامْنَعْنِي مِـنَ السَّـرَفِ، وَحَصِّنْ رِزْقِي مِنَ التَّلَفِ، وَوَفِّرْ مَلَكَتِي بِالْبَرَكَةِ فِيهِ، وَأَصِبْ بِي سَبِيلَ الْهِدَايَةِ لِلْبِرِّ فِيما أُنْفِقُ مِنْهُ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْفِنِي مَؤُونَةَ الاكْتِسَابِ، وَارْزُقْنِي مِنْ غَيْرِ احْتِسَابٍ، فَلاَ أَشْتَغِلَ عَنْ عِبَادَتِكَ بِالطَّلَبِ، وَلاَ أَحْتَمِلَ إِصْرَ تَبِعَاتِ الْمَكْسَبِ. أَللَّهُمَّ فَأَطْلِبْنِي بِقُدْرَتِكَ مَا أَطْلُبُ، وَأَجِرْنِي بِعِزَّتِكَ مِمَّا أَرْهَبُ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَصُنْ وَجْهِي بِـالْيَسَارِ، وَلاَ تَـبْتَذِلْ جَاهِي بِالإِقْتَارِ فَأَسْتَرْزِقَ أَهْلَ رِزْقِكَ، وَأَسْتَعْطِيَ شِرَارَ خَلْقِكَ، فَأَفْتَتِنَ بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وَأُبْتَلَىٰ بِـذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي، وَأَنْتَ مِنْ دُونِهِمْ وَلِـيُّ الإِعْطَاءِ، وَالْمَنْعِ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِـهِ، وَارْزُقْنِي صِحَّةً فِيْ عِبَادَةٍ، وَفَـراغاً فِي زَهَادَةٍ، وَعِلْماً فِي اسْتِعمَـالٍ، وَوَرَعـاً فِي إِجْمَالٍ.

(وَامْنَعْنِي مِنَ السَّـرَفِ): التبذير، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾[1] (وَوَفِّرْ مَلَكَتِي بِـالْبَرَكَـةِ فِـيهِ) المُراد

(١) الإسراء: ٢٧.

بالمَلكة هنا المُلك يقال: هو ملكة يميني أي أملكه، وأقدر علىٰ التّصرف فيه، والمعنىٰ أكمل، وأتمم البَرَكَة فيما رزقتني (وَأَصِبْ بِي سَبِيلَ الْهِدَايَةِ لِلْبِرِّ فِيمَا أُنْفِقُ مِنْهُ) خُذ بيدي، ووفقني أنْ أضع المال في موضعه. قيل للإمام عليّ ؑ صف لنا العاقل؟ فقال: «هو الَّذِي يضع الشّيء مواضعه. فقيل له: صف الجاهل؟ قال: قد فعلت»[١]. وسبق الكلام عن ذٰلِكَ[٢].

(وَاكْفِنِي مَؤُونَةَ الاكْتِسَابِ) المُراد بالمؤنة هنا الشِّدَّة، والمشقة، والمعنىٰ سهّل عليَّ طريق العمل لاكتساب الرّزق، ولا تجعله كداً كداً كما تَقَدَّمَ قبل لحظة، ويأتي في الدُّعاء[٣]. (وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ فِي أَنْ تُسَهِّلَ إِلَىٰ رِزْقِي سَبِيلاً) أي تسهل السّبيل إلىٰ رزقي. وأيّ عاقل يتصور أن رزقه يأتيه دون أنْ يبذل أيّ جهد؟ ومتىٰ أمطرت السّماء عسلاً، وسمناً؟ قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[٤]. (وَارْزُقْنِي مِنْ غَيْرِ احْتِسَابٍ) اقتباس من قوله تعالىٰ: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾[٥]، وقال الإمام الصّادق ؑ في تفسيره هٰذِهِ الآية: «أي إنّ ٱللَّه سبحانه يبارك له فيما آتاه»[٦].

---

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٥٢/٤، الحكمة (٢٣٥)، شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ٦٦/١٩، جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ، لابن الدّمشقي: ١٦٥، بحار الأنوار: ١٦٠/١ ح ٣٦، نهج السّعادة: ١٨٧/٨.

(٢) أُنظر، الدُّعاء السّادس عشر: فقرة لا يوضع المال إلا في واجب، (منه ؓ).

(٣) أُنظر، الدُّعاء الثّاني والثّلاثون.

(٤) المُلك: ١٦.

(٥) الطّلاق: ٣.

(٦) أُنظر، تفسير مجمع البيان: ٤٣/١٠ و ٣٠٦، التّفسير الأصفىٰ: ١٣١٦/٢، نور الثّقلين:

(وَلاَ أَحْتَمِلَ إِصْرَ...) عطف تفسير، وتكرار علىٰ أكفني مؤنة الاكتساب، لأنّ معنىٰ الإصر المؤنة، وهي الشّدّة، والمشقة كما أشرنا (أَللَّهُمَّ فَأَطْلِبْنِي بِقُدْرَتِكَ مَا أَطْلُبُ) كُنْ معي في قدرتك، وأنا أجلب الرّزق، وأسعىٰ إليه (وَأَجِرْنِي بِعِزَّتِكَ...) أحفظني بسلطانك، وفضلك مما أحذر، وأخاف.

اَلْفَقْر

(وَصُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ...) صيانة الوجه: حفظه من التّعرض للسؤال. وقديماً قيل: «السّؤال ذُلّ ولو أين الطّريق»؟[1] والإقتار: الضّيق في النّفقة. وكان رَسُول ٱللَّه ﷺ يقول: «أعوذُ بك من ٱلْفَقْر، والفاقة»[2]... «كاد ٱلْفَقْر يكون كفراً»[3]. وقال الإمام عليّ ؑ: «ٱلْفَقْر الْمَوْت الأكبر، والأحمر»[4]... «لو كان ٱلْفَقْر رجلاً لقتلته»[5] (فَأَسْتَرْزِقَ أَهْلَ رِزْقِكَ...) الإمام ؑ لا يسترزق، ولا يستعطف مخلوقاً علىٰ الإطلاق مهما كانت الظّروف، وتكون، ولا يمدح من لا يستحق، وإنْ أعطاه الدُّنْيا بكاملها، ولا يذم من هو أهْل للمدح، وإنْ أساء لشخصه، ولكنه أراد التّعريض بمن

↩ ٣٥٧/٥، تفسير القرطبي: ١٦٠/١٨، ولكن لم ينسبه إلىٰ الإمام الصّادِق ؑ، وفتح القدير شرح الجامع الصّغير: ٢٤٢/٥.

(١) أُنظر، كشف الخفاء: ٤١٥/١، تحت الرّقم (١٣٢٧)، وذكره النّجم: (الدّين ولو درهم، والبنت ولو مريم...).

(٢) أُنظر، الكافي: ٥٢٦/٢ و: ٤٦٤/٤، شرح أُصول الكافي: ٣٣٧/١٠، أمالي المفيد: ٢٤٤.

(٣) أُنظر، الكافي: ٣٠٧/٢ ح ٤، شرح أُصول الكافي: ٣١٨/٩، مسند الشّهاب: ٣٤٢/١، الجامع الصّغير: ٢٦٦/٢، كنز العمال: ٤٩٢/٦ ح ١٦٦٨٢، الدُّعاء للطبراني: ٣٢٠، تحفة الأحوذي: ١٧/٧ و: ٤٥/١٠.

(٤) أُنظر، المحاسن: ٢١٨/١، الخصال: ٦٢٠، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ١٨٩.

(٥) لم أعثر علىٰ هٰذِهِ الحكمة.

يفعل ذٰلِكَ.

وبعد، فإنّ الإسْلاَم يرىٰ ٱلْفَقْر من أفتك الأدواء الإجتماعية، ولا صلة له بصفات ٱلإنسَان الفرد، وشخصيته، ولذا أعلن الثّورة علىٰ المحتكرين، والمُستغلين، وعلىٰ كلّ نظام يؤدي إلىٰ ٱلْفَقْر، والقهر. وتَقَدَّمَ قول الإمام الصَّادِق ﷺ: «إنّ النّاس ما ٱفتقروا، ولا ٱحتاجلوا، ولا عروا إلا بذنوب الأغنياء»(١).

(وَارْزُقْنِي صِحَّةً فِيْ عِبَادَةٍ) خالصة لوجهك ٱلْكَرِيمِ تماماً كعبادة الأحرار (وَفَرَاغاً فِي زَهَادَةٍ) إنْ صادفتني ساعة فراغ، وبطالة فزهدني، وأبعدني عما يوجب العقاب، والعذاب (وَعِلْماً فِي اسْتِعْمَالٍ) وفقني للعمل بما أَعْلَم. وفي الحديث: «ٱلْعُلَمَاء رجلان: رجل عالم آخذ بعلمه، فهذا ناج، وعالم تارك لعلمه، فهذا هالك»(٢). وعن الإمام الصَّادِق ﷺ: «إنّ في جَهَنَّم (خمساً) أفلا تسألون ما طحنها؟ فقيل له: فما طحنها ياأمير الـمُؤْمِنِين؟ قال: ٱلْعُلَمَاء الفجرة، والقراء الفسقة، والجبابرة الظّلمة، والوزراء الخونة، والعرفاء الكذبة»(٣). (وَوَرَعاً فِي إِجْمَالٍ) في ٱعتدال بلا تحجر، وتزمت، أو وسوسة أشبه بالسفاهة، والحماقة.

أَللَّهُمَّ اخْتِمْ بِعَفْوِكَ أَجَلِي، وَحَقِّقْ فِي رَجَاءِ رَحْمَتِكَ أَمَلِي، وَسَهِّلْ إِلَىٰ بُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلِي، وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِيْ عَمَلِي.

---

(١) أُنظر، الرّسالة السّعدية: ١٥٧، وسائل الشّيعة: ٤/٦، من لا يحضره الفقيه: ٧/٢، مدارك الأحكام: ٨/٥.

(٢) أُنظر، إرشاد الأذهان: ١٥/١، الكافي: ٤٤/١ ح ١، الخصال: ٥١، شرح أُصول الكافي: ١٣٩/٢، منية المريد، ١٤٦، المعالم: ١٨.

(٣) أُنظر، الخصال: ٢٩٦، ثواب الأعمال: ٢٥٣، روضة الواعظين: ٥٠٧، مستدرك الوسائل: ٢٥١/٤.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَنَبِّهْنِي لِذِكْرِكَ فِي أَوْقَاتِ الْغَفْلَةِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ فِي أَيَّامِ الْمُهْلَةِ، وَانْهَجْ لِي إِلَىٰ مَحَبَّتِكَ سَبِيلاً سَهْلَةً أَكْمِلْ لِي بِهَا خَيْرَ الدُّنْيَا، وَالآخِرَةِ.

أَللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كَأَفْضَلِ مَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ قَبْلَهُ، وَأَنْتَ مُصَلٍّ عَلَىٰ أَحَدٍ بَعْدَهُ، وَآتِنا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنِي بِرَحْمَتِكَ عَذَابَ النَّارِ.

(أَللَّهُمَّ اخْتِمْ بِعَفْوِكَ أَجَلِي) أي عمري، وأيام حياتي، ومن أحسن فيما مضىٰ، وأساء فيما بقي فهو من الأخسرين أعمالاً، والعكس بالعكس، ولذا قيل: «الأُمُور بخواتيمها»[1]، ولا خاتمة لحياة ألإنسان أحمد من مرضاة ٱللَّه تعالىٰ، ولا مصير أكرم، وأعظمْ من عفوه (وَحَقِّقْ فِي رَجَاءِ رَحْمَتِكَ أَمَلِي) لا تقطع رجائي من رَحْمَتِك، ولا تخيب أملي من فضلك (وَسَهِّلْ إِلَىٰ بُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلِي) أُسلك بي سبل الهداية إلىٰ العمل بما تُحبّ، وترضىٰ (وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِيْ عَمَلِي) أبقني في عنايتك، ولا تخرجني عن طَاعَتِكَ في جميع أطواري، وأدواري في سري، وعلانيتي، وفرحي، وحزني، وبؤسي، ونعيمي، وشبابي، وهرمي. قال الإمام الصَّادِق عليه السلام: «إِنَّما الْمُؤْمِن إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الْحَقّ، وإذا رضي لا يدخله رضاه في باطل»[2].

(وَنَبِّهْنِي لِذِكْرِكَ فِي أَوْقَاتِ الْغَفْلَةِ) مهما نسيت، وغفلت عن أي شيء فلا

---

(١) أُنظر، السِّير الكبير للشيباني: ١/٢٢٦، تفسير الميزان: ٩/٣٦١.

(٢) أُنظر، الكافي: ٢/٢٣٣، شرح أُصول الكافي: ٩/١٦١، عيون الحكم والمواعظ: ٢١١، نزهة النَّاظر وتنبيه الخاطر: ١٠٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠/١٥٩، الإختصاص للشيخ المفيد: ٢٣٢.

تجعلني ناسياً لإحسانك، وغافلاً عن شكرك، وحمدك (وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِـكَ فِي أَيَّامِ الْمُهْلَةِ) وهي مدة العمر؛ لأنّ الأعمال تختم بالموت. وتَقَدَّمَ في الدُّعاء: «وَقِنِي مِنَ الْمَعَاصِي، وَاسْتَعْمِلْنِي بِالطَّاعَةِ»[1] (وَانْهَجْ لِي إِلىٰ مَحَبَّتِكَ سَبِيلاً سَـهْلَةً...) أوضح لِي أقرب السّبل، وأسهلها، وأكملها إلىٰ ما فيه رضاً لك، وطاعة، ولِي خير، وصلاح دنياً، وآخرة.

(وَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ...) أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وِآلِهِ الطَّيِّبِينَ الـطَّاهِرِينَ (وَآتِنا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) ومن حسناتها الصّحة، والأمان (وَفِي الآخِـرَةِ حَسَـنَةً) وأحسـن حسناتها الزّحزحة عن عذاب الحريق، وأنجح السّبل إلىٰ هَذِهِ السّعادة، وأقربها كفّ الأذىٰ عن عباد ٱللَّه، وعياله.

---

(١) أُنظر، الدُّعاء السّادس عشر. (منه ﷺ).

الدُّعاء الحادي والعشرون

دُعَاؤُهُ إذَا حَزَنَهُ أمْرٌ

أللَّهُمَّ يَا كَافِيَ الْفَرْدِ الضَعِيْفِ، وَوَاقِيَ الأمْـرِ الْـمخُوْفِ، أفْـرَدَتْنِي الْخَـطَايَا؛ فَـلاَ صَاحِبَ مَعِي، وَضَعُفْتُ عَنْ غَضَبِكَ؛ فَلَا مُؤَيِّدَ لِـي، وَأشْرَفْتُ عَلَىٰ خَوْفِ لِقَائِكَ؛ فَلاَ مُسَكِّنَ لِرَوْعَتِي، وَمَنْ يُؤْمِنُنِي مِنْكَ وَأنْتَ أخَفْتَنِي؟ وَمَن يساعِدُنِي وَأنْتَ أفْرَدْتَنِي؟ وَمَنْ يُقَوِّيْنِي وَأنْتَ أضْعَفْتَنِي؟

لاَ يُجيرُ يا إلٰهي إلّا رَبٌّ عَلَىٰ مَرْبُوبٍ، وَلاَ يُؤْمِنُ إلّا غـالِبٌ عَـلَىٰ مَغْلُوبٍ، وَلاَ يُعِينُ إلّا طالِبٌ عَلَىٰ مَطْلُوبٍ، وَبِيَـدِكَ يَـا إلٰهي جَـمِيعُ ذٰلِكَ السَّبَبِ، وَإلَيْكَ الْمَفَرُّ، وَالْمَهْرَبُ. فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأجِرْ هَرَبِي، وَأنْجِحْ مَطْلَبِي.

(أللَّهُمَّ يَا كَافِيَ الْفَرْدِ الضَعِيْفِ) كلّ فرد من أفراد الإنسان هو ضعيف في نفسه، وجسمه، وقد صَوّر الإمام عليّ؈ ضعفه الجسمي بقوله: «تـؤلمه البـقة، وتـقتله

الشَّرقة، وتنتنة العرقة»(١). وقال عن ضعفه في نفسه: «إنْ مَلكه اليأس قتله الأسف، وإنْ عرض له الْغَضَب اشتد به الغيظ، وإنْ أسعده الرّضىٰ نسي التّحفظ، وإنْ ناله الخوف شغله الحذر، وإنْ اتسع له الأمن استلبته الغِرة(٢)، وإنْ أفاد مالاً أطغاه الغنىٰ، وإنْ أصابته مُّصِيبَة فضحه الجزع، وإنْ عضته الفاقه شغله الْبَلاء»(٣) (وَوَاقِيَ الأَمْرِ الْمخُوْفِ) أي يقي الإنسَان، ويدرأ عنه أذىٰ الطّبيعة بأسباب طبيعية، فللداء الدّواء وللجوع الغذاء، وللفيضان السّدود، وللعبور الجسور... إلىٰ كثير من الأسباب ومن ذٰلِكَ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَـٰلاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَـٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾(٤).

(أَفْرَدَتْنِي الْخَطَايَا؛ فَلاَ صَاحِبَ مَعِي) فعلت بي الخطايا فعلها حتّىٰ جعلتني وحيداً يحمل أثقاله علىٰ ظهره لا ناصر له، ولا ذاب عنه (وَضَعُفْتُ عَنْ غَضَبِكَ) ومن الَّذِي يقوىٰ علىٰ غضب الواحد القهار، والمنتقم الجبار؟ (فَلاَ مُسَكِّنَ لِرَوْعَتِي...) أبداً لا اطمئنان، ولا أمان لمن هددت، وتوعدت، ولا معين لمن خذلت، ولا مجير لمن طردت (لاَ يُجيرُ يا إلٰهي إلاّ رَبٌّ...) لا أحد يجير، ويحمي العبد من سَيِّده، وينقذ المملوك من مالكه إلا السّيد، والمالك، وهكذا كلّ مغلوب، لا

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٤/٩٨، الحكمة (٤١٩)، شرح النّهج للمعتزلي: ٢٠/٦٢، عيون الحكم والمواعظ: ٤٨٨.

(٢) الغِرة، بالكسر من الغرر، أي الغفلة كما جاء في الصّحاح: ٢/٧٦٨، وفي نسخة (العزة).

(٣) أُنظر، نهج البلاغة: ٤/٢٥، الحكمة (١٠٨)، شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ١٨/٢٧١، عيون الحكم والمواعظ: ٤٣٠، دستور معالم الحكم: ١٢٩، نثر الدّر: ١/٢٧٦، خصائص الأئمة للرضي: ٩٧، الكافي: ٨/٢١.

(٤) النّحل: ٨١.

بد وأنْ ينزل علىٰ حكم الغالب، وأمره (وَبِيَـدِكَ يَـاَ إلٰـهِي جَـمِيعُ ذٰلِكَ...) أنْتَ وحدك الطّالب، والغالب، فمنك أخاف، وإليك أفر، إيّاكَ أرجو، وبك أثق، وعَلَيْكَ أتوكل.

معنىٰ الفرار من ٱللّٰه

ومعنىٰ الفرار منه تعالىٰ أنْ نفر من معصيته إلىٰ طاعته، ومن الضّلال إلىٰ الهدىٰ، ومن الشَّيْطَان إلىٰ ٱلرَّحْمَـٰنِ، ولا نجاة لأحد إلا بهذا الفرار... فـالكلّ مسـيئون، وخاطئون، وإنْ رأيت أحداً يبرّىء نفسه، ويزكيها فتعوّذ منه، لأنّ الشَّـيْطَان نـطق بلسانه، وقاده إلىٰ الهاوية بعنانه. وفي نهج البلاغة: «فروا من ٱللّٰه إلىٰ ٱللّٰه، وٱمضوا في ٱلَّذِي نهجه لكم، وقوموا بما عصبه بكم ـ أي كلفكم به ـ فعليّ ضامن لفَلْجكم ـ لفوزكم ـ آجلاً، وإنْ لم تمنحوه عاجلاً»[1].

أَللَّهُمَّ إِنَّكَ إنْ صَرَفْتَ عَنِّي وَجْـهَكَ الْكَـرِيْمَ، أَوْ مَـنَعْتَنِي فَـضْلَكَ الْجَسِيمَ، أَوْ حَظَرْتَ عَلَيَّ رِزْقَكَ، أَوْ قَطَعْتَ عَنِّي سَبَبَـكَ... لَمْ أَجِدِ السَّبِيـلَ إِلَىٰ شَيْءٍ مِنْ أَمَلِي غَيْرَكَ، وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَىٰ مَا عِنْدَكَ بِمَعُونَةِ سِوَاكَ؛ فَإِنِّي عَبْدُكَ، وَفِي قَبْضَتِكَ؛ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، لاَ أَمْـرَ لِـي مَـعَ أَمْرِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِـيَّ قَـضَاؤُكَ، وَلاَ قُـوَّةَ لِـي عَـلَىٰ الْخُـرُوجِ مِـنْ سُـلْطَانِـكَ، وَلاَ أَسْـتَطِيـعُ مُـجَاوَزَةَ قُـدْرَتِكَ، وَلاَ أَسْتَمِيلُ هَوَاكَ، وَلاَ أَبْلُغُ رِضَاكَ، وَلاَ أَنَالُ مَا عِـنْدَكَ إلاَّ بِـطَاعَتِكَ، وَبِفَضْلِ رَحْمَتِكَ.

---

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ١/٦٣، الخطبة (٢٤)، شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ١/٣٣١، لسان العرب: ١/٦٠٨.

(أَللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ صَرَفْتَ عَنِّي...): أعرضت عَنِّي، والجسيم: العظيم، وحظرت: منعت، وسببه تعالىٰ: توفيقه، ورَحْمَته (لَمْ أَجِدِ السَّبِيلَ إِلَىٰ شَيْءٍ مِنْ أَمَلِي غَيْرَكَ) «فَلا مُصْدِرَ لِمَا أَوْرَدْتَ، وَلا مُغْلِقَ لِمَا فَتَحْتَ؛ وَلا مُيَسِّرَ لِمَا عَسَّرتَ، وَلا نَاصِرَ لِمَنْ خَذَلْتَ»[1]. (وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَىٰ مَا عِنْدَكَ بِمَعُونَةِ سِوَاكَ) لا حول، ولا قوة لأحدٍ إلا بكَّ، ومنك، فكيف أستعين بغيرك علىٰ نوال فضلك، وخيرك؟ (فَإِنِّي عَبْدُكَ) ولولاك لا أثر لِي، ولا خير (وَفِي قَبْضَتِكَ) تملك من نَفْسِي ما أَنْتَ أملك به مِنّي (نَاصِيَتِي بِيَدِكَ) عبدك بين يديك خاضع، وراغم، وفي الدُّعاء السّادس: «أَصْبَحْنَا فِي قَبْضَتِكَ، يَحْوِينَا مُلْكُكَ، وَسُلْطانُكَ» (لاَ أَمْرَ لِي مَعَ أَمْرِكَ) لا شيء لِي علىٰ الإطلاق إلا ما وهبت، وأعطيت.

(عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ) أقر، وأعترف أَنَّ حكمك فيَّ، وعليَّ حقّ، وعدل، وإنْ كان بعقابي، وعذابي (وَلاَ قُوَّةَ لِي عَلَىٰ الْخُرُوجِ مِنْ سُلْطَانِكَ) كيف يستطيع المَخلُوق الهرب من خالقه، والمرزوق من رازقه؟ (وَلاَ أَسْتَطِيعُ مُجَاوَزَةَ قُدْرَتِكَ) عطف تكرار (وَلاَ أَسْتَمِيلُ هَوَاكَ...) لا سبيل إلىٰ حُبّك لِي، ورضاك عليّ، والفوز منك بحسن الثّواب، والمآب (إلاَّ بِطَاعَتِكَ، وَبِفَضْلِ رَحْمَتِكَ) هناك طريقان إلىٰ النّجاة، والخلاص من غضب ٱللَّه، وعذابه، ولا ثالث: الأوّل عمل صالح، ونافع يحبه ٱللَّه، ورسوله، والنّاس أجمعين، والثّاني رأفةٌ، ورحمةٌ من رَبّ الْعَالَمِين، وهي قريبة من الُمحسنين كما في الآية: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2] بعيدة عن المجرمين لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ﴾[3].

---

(١) أُنظر، الدُّعاء السّابع.

(٢) الأعراف: ٥٦.

(٣) الزّخرف: ٧٤.

وتجدر الإشارة أنّي ما رأيت كلمة الهوىٰ منسوبة إليه تعالىٰ إلا في هذا الدُّعاء، ولا غضاضة ما دام المُراد منها الثّواب، والرّضا.

إلٰهِي أَصْبَحْتُ، وَأَمْسَيْتُ عَبْداً دَاخِراً لَكَ، لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً، وَلاَ ضَرّاً إلاَّ بِكَ؛ أَشْهَدُ بِذَلِكَ عَلَىٰ نَفْسِيَ، وَأَعْتَرِفُ بِضَعْفِ قُوَّتِي، وَقِلَّةِ حِيلَتِي؛ فَأَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، وَتَمِّمْ لِي مَا آتَيْتَنِي؛ فَإِنِّي عَبْدُكَ الْمِسْكِينُ الْمُسْتَكِينُ الضَّعِيفُ الضَّرِيرُ الذَّلِيلُ الْحَقِيرُ الْمَهِينُ الْفَقِيرُ الْخَائِفُ الْمُسْتَجِيرُ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلاَ تَجْعَلْنِي نَاسِياً لِذِكْرِكَ فِيمَا أَوْلَيْتَنِي، وَلاَ غافِلاً لإِحْسَانِكَ فِيمَا أَبْلَيْتَنِي، وَلاَ آيِساً مِنْ إجَابَتِكَ لِي وَإنْ أَبْطَأَتْ عَنِّي فِي سَرَّاءَ كُنْتُ أَوْ ضَرَّاءَ، أَوْ شِدَّةٍ، أَوْ رَخَاءٍ، أَوْ عَافِيَةٍ، أَوْ بَلاءٍ، أَوْ بُؤْسٍ، أَوْ نَعْمَاءَ، أَوْ جِدَةٍ، أَوْ لأْوَاءَ، أَوْ فَقْرٍ، أَوْ غِنىً.

نكتفي من الشّرح هنا فيما يأتي من الدُّعاء ـ بمجرد الإشارات، لأنّ الكلام واضح، ومكرور (دَاخِراً): ذليلاً صاغراً (وَقِلَّةِ حِيلَتِي): قلة تدبيري، وضعفي عن التّصرف (فَإِنِّي عَبْدُكَ الْمِسْكِينُ...) المُراد بهذه الصّفات، والنّعوت مجرد التّضرُّع، والتّبتل لله سبحانه، والرّضا بأمره، وطَلَب الرَّحْمَة من فضله (وَلاَ تَجْعَلْنِي نَاسِياً لِذِكْرِكَ فِيمَا أَوْلَيْتَنِي): فيما أعطيتني، ولا تنسني الشُّكْر، والحَمْد علىٰ عطائك، وآلائك (وَلاَ غافِلاً لإِحْسَانِكَ فِيمَا أَبْلَيْتَنِي): فيما أحسنت إليّ. قال الشّيخ الطّريحي في مجمع البحرين: «في الحديث: الحَمْد لله علىٰ ما أبلانا ـ أي أنعم علينا، وتفضل، من البَلاء الَّذِي هو الإحسان والإنعام... يقال: أبلاه بلاءً حسناً ـ أي بكثرة المال، والصّحة، والشّباب»[1].

---

(١) أُنظر، مجمع البحرين: ١/٣٤٨.

(وَلاَ آيِسَاً مِنْ إجَابَتِكَ لِي وَإِنْ أَبْطَأَتَ عَنِّي) قال سبحانه: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1]. وفي أُصول الكافي عن الإمام الصَّادِق ﷺ: «استجاب للرجل الدُّعاء، ثُمَّ يؤخر؟ قال: نعم عشرين سَنَة...وعن هشام بْن سالم عنه ﷺ: قال كان بين قول اللّه سبحانه عزّ وجلّ: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾[2]، وبَيْنَ أخذ فِرْعَوْن أربعون عـاماً»[3] (فِي سَرَّاءَ كُنْتُ...) أو في الحالات كلّها بلا استثناء. أوْ لأوَاء: الشُّدَّة، وضيق المعيشة.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ؛ وَاجْعَلْ ثَنائِي عَلَيْكَ، وَمَدْحِي إِيَّاكَ، وَحَمْدِي لَكَ فِي كُلِّ حَالاَتِي حَتَّىٰ لاَ أَفْرَحَ بِمَا آتَيْتَنِي مِنَ الدُّنْيَا، وَلاَ أَحْـزَنَ عَلَىٰ مَا مَنَعْتَنِي فِيهَا، وَأَشْعِرْ قَلْبِي تَقْوَاكَ، وَاسْتَعْمِلْ بَدَنِي فِيْما تَقْبَلُهُ مِنِّي، وَاشْغَلْ بِطَاعَتِكَ نَفْسِي عَنْ كُلِّ مَايَرِدُ عَلَيَّ حَتَّىٰ لاَ أُحِبَّ شَيْئَاً مِنْ سُخْطِكَ، وَلاَ أَسْخَطَ شَيْئـاً مِنْ رِضَـاكَ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَفَرِّغْ قَلْبِي لِمحَبَّتِكَ، وَاشْغَلْهُ بِذِكْرِكَ، وَانْعَشْهُ بِخَوْفِكَ، وَبِالْوَجَلِ مِنْكَ، وَقَوِّهِ بِالرَّغْبَةِ إِلَـيْكَ، وَأَمِـلْهُ إِلَـىٰ طَاعَتِكَ، وَأَجْرِ بِهِ فِي أَحَبِّ السُّبُلِ إِلَيْكَ، وَذَلِّلْهُ بِالرَّغْبَةِ فِيما عِـنْدَكَ أَيَّامَ حَيَاتِي كُلِّهَا.

(وَاجْعَلْ ثَنائِي عَلَيْكَ...) بعد أنْ تضرع الإمام لله سبحانه راجيباً أنْ لا ينسيه ذكره، ولا يوئسه من فضله مهما اشتد البلاء، وتـفاقم ـ سأله أنْ يـجعل حـمده،

---

(١) يوسف: ٨٧.

(٢) يونس: ٨٩.

(٣) انظر، الكافي: ٤٨٩/٢، شرح أُصول الكافي: ٢٦٥/١٠، فيض القدير شرح الجامع الصّغير: ١٨٤/١، العدة لابن فهد الحلي: ١٨٩، بحار الأنوار: ٣٧٥/٩٠.

ومدحه ٱللَّه وحده في الحالات كلّها (حَتَّىٰ لاَ أفْرَحَ بِمَا آتَيْتَنِي مِنَ الدُّنْيَا، وَلاَ أحْـزَنَ عَلَىٰ مَا مَنَعْتَنِي فِيهَا) قال صاحب مجمع البيان: «سأل رجل الإمام السّجاد عليه السلام عن الزُّهد؟ فقال له: الزّهد كلّه بين كلمتين من القُرآن ٱلكَرِيمِ قال ٱللَّه سبحانه: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1]. وقيل لبرز جمهر: «مالك أيها الحكيم لا تأسو علىٰ ما فات، ولا تفرح بما هو آت؟ فقال: إنّ الفائت لا يتلافىٰ بالعبرة، والآتي لا يستدام بالخبرة. وقال آخـر[2]: «لا أقـول لشيء كان: ليته لم يكن، ولا لشيء لم يكن: ليته كان»[3].

(وَأشْعِرْ قَلْبِي تَقْوَاكَ...) اجْعَلْ شعاره، ومثله الأعلىٰ تقوىٰ ٱللَّه بالابتعاد عن معاصيه، ومحارمه، وتَقَدَّمَ فـي الدُّعـاء[4]: «ٱللَّـهُمَّ وَأَنْـطِقْنِي بِـالْهُـدىٰ، وَأَلْـهِمْنِي ٱلتَّقْـوَىٰ، وَوَفِّقْنِي لِلَّتِيْ هِيَ أزْكَىٰ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا هُوَ أرْضَـىٰ» (وَاشْغَلْ بِـطَاعَتِكَ نَفْسِي عَنْ كُلِّ مَا يَرِدُ عَلَيَّ) لا تشغلني عنك بغيرك من لهوٍ، ولغوٍ (حَتَّىٰ لاَ أُحِبَّ شَيْئاً مِنْ سُخْطِكَ، وَلاَ أسْخَطَ شَيْئـاً مِنْ رِضَـاكَ) لا أبتعد عن طَاعَتِكَ، ولا أقترب مـن معصيتك. (وَفَرِّغْ قَلْبِي لِمَحَبَّتِكَ) وليس معنىٰ محبة ٱللَّه أنْ تقول له: «أحبك حُبين: حبَّ الهوىٰ، وحُبّاً لأنّك أهْل لذاكا»[5] بل معناه أنْ تُجاهد في سبيل ٱللَّه، ولا تخاف

---

(١) الحديد: ٢٣.

تنسب هَذِهِ الحكمة إلىٰ الإمام أمير المُؤْمِنِين عليه السلام، كـما جـاء فـي نـهج البـلاغة: ٤/١٠٢، الحكمة (٤٣٩)، كِتَاب الزّهد لحسين بْن سعيد الأهوازي: ٥، شرح نـهج البـلاغة لابـن أبـي الحديد: ٢٠/٨٧، بحار الأنوار: ٧٨/٧٠ ح ٢٧، ولا مانع من أنْ تُنسب إلىٰ الإمام السّجاد عليه السلام كما ذكر المصنف رحمه الله؛ لأنّهم عليهم السلام نور واحد.

(٢) القائل: هو عبد ٱللَّه بْن مسعود كما جاء في تفسير مجمع البيان.

(٣) أُنظر، تفسير القرطبي: ١٧/٢٥٨، تفسير مجمع البيان: ٩/٤٠٠.

(٤) أُنظر، الدُّعاء العشرون.

(٥) ينسب هذا القول إلىٰ أحد العارفين كما جاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠/١٥٦.

فيه لومة لائم (وَانْعَشْهُ بِخَوْفِكَ) إذا خاف القلب من ٱللَّه دَفَع بصاحبِهِ إلىٰ فعل الخَيْرات، وٱبتعد به عن المحرمات، والشّبهات، وبهذا ينمو القلب، وينتعش.

(وَقَوِّهِ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْكَ) ليست القوة بالجاه، والمال، بل بتقوىٰ ٱللَّه، وطاعته، بالصدق، والإخلاص، والأعمال ٱلصَّالِحَات (وَأَمِلْهُ إِلَىٰ طَاعَتِكَ) ٱعدل به عن الشّرّ إلىٰ عمل الْخَيْر (وَأَجْرِ بِهِ فِي أَحَبِّ السُّبُلِ إِلَيْكَ) وما من شك أنّ أحبّ السُّبل إلىٰ ٱللَّه، وأقربها إفشاء السّلام، والعمل من أجل الصّالح العام (وَذَلِّلْهُ بِالرَّغْبَةِ فِيمَا عِنْدَكَ) سهّل عَلَيْهِ مسلك المسابقة إلىٰ المبرات، وفعل الْخَيْرات كيْ يفوز يَوْم المعاد بحُسن الثّواب، والمآب.

وَٱجْعَلْ تَقْوَاكَ مِنَ الدُّنْيَا زَادِي، وَإِلَىٰ رَحْمَتِكَ رِحْلَتِي، وَفِي مَرْضَاتِكَ مَدْخَلِي. وَاجْعَلْ فِي جَنَّتِكَ مَثْوَايَ، وَهَبْ لِي قُوَّةً أَحْتَمِلُ بِهَا جَمِيعَ مَرْضَاتِكَ، وَاجْعَلْ فِرَارِي إِلَيْكَ، وَرَغْبَتِي فِيمَا عِنْدَكَ.

وَأَلْبِسْ قَلْبِي الْوَحْشَةَ مِنْ شِرَارِ خَلْقِكَ. وَهَبْ لِي الأُنْسَ بِكَ وَبِأَوْلِيَآئِكَ، وَأَهْلِ طَاعَتِكَ، وَلاَ تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ، وَلاَكَافِرٍ عَلَيَّ مِنَّةً، وَلاَ لَهُ عِنْدِي يَداً، وَلاَ بِي إِلَيْهِمْ حَاجَةً، بَل اجْعَلْ سُكُونَ قَلْبِي، وَأُنْسَ نَفْسِي، وَاسْتِغْنَائِي، وَكِفَايَتِي بِكَ، وَبِخِيَارِ خَلْقِكَ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْنِي لَهُمْ قَرِيناً، وَاجْعَلْنِي لَهُمْ نَصِيراً، وَٱمْنُنْ عَلَيَّ بِشَوْقٍ إِلَيْكَ، وَبِالْعَمَلِ لَكَ بِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَىٰ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَذٰلِكَ عَلَيْكَ يَسِيرٌ.

(وَٱجْعَلْ تَقْوَاكَ مِنَ الدُّنْيَا زَادِي) إلىٰ يَوْم ٱلقاك، وتكلمنا حول التَّقْوَىٰ في فقرة خاصة عند شرح الدُّعاء[1] (وَإِلَىٰ رَحْمَتِكَ رِحْلَتِي) وهي الرّحلة إلىٰ القبر، ومنه إلىٰ

(١) أنظر، السّادس عشر، والسّابع عشر.

الحشر، والنَّشر، إلىٰ الوقوف بين يدي ٱللَّه تعالىٰ لنقاش الحساب، ولا نجاة، وخلاص إلا لمن تداركته رَحْمَة من ربه، وهو سبحانه لا يرحم أحداً تشهياً، وجُزافاً، بل بموجب علمهِ، وحكمته (وَفِي مَرْضَاتِكَ مَدْخَلِي) وفقني إلىٰ طَاعَتِكَ، وأستعملني في مَرْضَاتِكَ، وتكرر ذٰلِكَ مرات (مَثْوَايَ): منزلي (وَهَبْ لِي قُوَّةً أَحْتَمِلُ بِهَا جَمِيعَ مَرْضَاتِكَ) أمنن عليَّ بقوة الجسم، والبصيرة كي أقوىٰ بها علىٰ العلم، والعمل بدينك، وشريعتك (وَاجْعَلْ فِرَارِي إِلَيْكَ) ومعنىٰ الفرار إليه العمل بطاعته[1].

(وَرَغْبَتِي فِيمَا عِنْدَكَ) في ثوابك، وتَقَدَّمَ قبل لحظة (وَأَلْبِسْ قَلْبِي الْوَحْشَةَ مِنْ شِرارِ خَلْقِكَ) في صحبة الأشرار مفاسد، وأضرار جمّة، منها ما يعود للصاحب؛ لأنّه معتبر بمن يصاحب كما في الآية: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَاتَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[2]، وفي الحديث: «المرء علىٰ دين خليله، وقرينه»[3]. وفي الأشعار:

والرّيح آخذة مما تَمرُّ بهِ ... نتناً من النّتن، أو طيباً من الطّيب

ومنها ما يضر بالصالح العام، لأنّ صحبة الأشرار رضا بالمنكر، وتشجيع له علىٰ الإستمرار، والإنتشار... ومن جالس الأخيار، وصاحبهم تأثر بهم. وأخذ

---

(١) أُنظر الدُّعاء (٢١) فقرة: معنىٰ الفرار إلىٰ ٱللَّه. (منه ﷺ).

(٢) النّساء: ١٤٠.

(٣) أُنظر، الكافي: ٢/٣٧٥ ح ١٠، شرح أُصول الكافي: ١/١٥٩، أمالي الصّدوق: ٥١٨، مسند أحمد: ٢/٣٠٣ و ٣٣٤، مستدرك الحاكم: ٤/١٧٤، تحفة الأحوذي: ٧/٥١، مسند الشّهاب: ١/١٤١، كنز العمال: ٩/٣٨ ح ٢٤٨٢١، مسند ابن راهويه: ١/٣٥٢، وقد زادت بعض المصادر لفظ: (فلينظر أحدكم من يخالل).

منهم من حيث يُريد، أو لا يُريد. قال الإمام عليّ: «مُجالسة الأشرار تورث سوء الظّن بالأخيار، ومجالسة الأخيار تُلحق الأشرار بالأخيار»[١] (وَهَبْ لِي الأُنْسَ بِكَ) وكلّ من لزم الْحَقّ، واستوحش من الْبَاطِل فهو من الّذين يحبون ٱللّه ويأنسون بذكره، وإياهم قصدَ، وأراد بقوله تعالىٰ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[٢].

لا مفر من التّعاون

(وَلاَ تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ، وَلاٰ كَافِرٍ عَلَيَّ مِنَّةً) أي نعمة. لقد جُبلت القوب علىٰ حبّ من أحسن إليها، وبُغض من أساء، ولا أحد يستطيع أنْ يُكره قلباً علىٰ حُبّ من أساء إليه، أو بُغض من أحسن. وفي الحديث: «القلب بين إصبعين من أصابع ٱلرَّحْمَـٰنِ»[٣] أي لا سلطان عَلَيْهِ إلا لخالقه حتّىٰ صاحبه ينقاد لأمره، وزجره، ولا ينقاد هو لحامله. وهنا يكمن السّر في دُعَاء الإمام حيث يخشىٰ أنْ يكون بقلبه، وهَوَاهُ مع من ضل سواء السّبيل إنْ كان له عَلَيْهِ من فضل.

(بَل اجْعَلْ سُكُونَ قَلْبِي) من السّكينة بمعنىٰ الإطمئنان (وَأُنْسَ نَفْسِي) أُلفتها، وراحتها (وَاسْتِغْنَائِي، وَكِفَايَتِي بِكَ، وَبِخِيَارِ خَلْقِكَ) كفايتي تفسيراً لاستغنائي. وما من شك أنّ في مقدور ٱلإنسَان الفرد أنْ يعيش مستقلاً، ومستغنياً عن غيره في حياته الشّخصية، وحاجاته الجزئية... فالتعاون، وتبادل المصالح بين أفراد الجماعة قانون تكاملي، وحتمي ليحاة ٱلإنسَان. قال أرسطو:« لا غنىٰ لأحد عن

(١) أُنظر، عيون أخبار الرّضا: ١/ ٥٨، أمالي الصّدوق: ٥٣١، وسائل الشّيعة: ١٦/ ٢٦٤، صفات الشّيعة: ٦.
(٢) الرَّعْد: ٢٨.
(٣) أُنظر، كنز العمال: ١/ ٣٩٠ ح ١٦٨٢. وما أثبتناه من المصدر، وعند المصنف (من أصابع الله).

القصاب، والخباز، والحذاء، وبائع أنواع السّلع الضّرورية، وأي شخص لا يحتاج إلىٰ غيره من النّاس فهو إمّا إله، وإمّا وحش»[١]. ولذا لم يسأل الإمام ﷺ الغنىٰ، والكفاية عن جميع النّاس، بل سأل الكفاية بالأخيار عن الأشرار. وكلّ طيب، وبريء من ولد ءادَمَ يود من أعماقه أنْ يعيش في مجتمع صالح تسوده العدالة، والمساواة في جميع الحقوق، والواجبات... لا يعرف كذباً، ولا غشاً، ولا إحتكاراً، وأسغلالا، ولا سلباً، ولصوصيةً.

(**أللّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْنِي لَهُمْ قَرِيناً...**): موصولاً بالنبي وَآلِهِ، واقعاً لا ظاهراً فقط، وتَقَدَّمَ قول ألصق النّاس بمُحمّد ﷺ، وأقربهم نسباً له، وأولاهم به: «إنّ وليّ مُحمّد مَن أطاع ٱللّه، وإنْ بعدت لُحمته ـ أي نسبه ـ وإنّ عدو مُحمّد من عصىٰ ٱللّه وإنْ قربت قرابته»[٢]، وتواتر عن أهْل ٱلْبَيْت ﷺ: «وٱللّه ما شيعتنا إلا من ٱتقىٰ ٱللّه»[٣]. ومعنىٰ هذا أنّ الرّابطة الجامعة بين النّبي، وَآلِهِ، وشيعتهم هي التَّقْوَىٰ، وكفىٰ. وليس العمامة السّوداء، أو الخضراء، ولا المرجعيه، والرّسالة العملية.

---

(١) ٱرسطو: هو من الشّخصيات العالمية الّتي ٱشتهرت منذ قرون بعيدة، كان تلميذاً لإفلاطون بعد أنْ خلفه علىٰ دار التّعليم عند غيبته إلىٰ صقلية نظر في الفلسفة بعد أنْ أتىٰ عَلَيْهِ من العمر (٣٠) عاماً، كان بليغ اليونانيين، وأجل علمائهم، كما كان من ذوي الأفكار العالية في الفلسفة، ويعرف بالمعلم الأوّل؛ لأنّه كان أوّل من جمع علم المنطق، ورتبه وٱقترع فيه. عاش سبعاً وستين سَنَة، بعد أنْ توفي في خلكيس عام ٣٢٢ قبل الميلاد. أُنظر، كِتَاب طونيقا، الإبانة عن غرض ٱرسطو في كِتَاب ما بعد الطّبيعة، وكِتَاب معاني العقل.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ٢٢/٤، الحكمة (٩٦)، شرح نهج البلاغة: ٢٥٢/١٨.

(٣) أُنظر، الكافي: ٧٣/٢، شرح أُصول الكافي: ٢٣٥/٨، صفات الشّيعة: ١١، أمالي الطّوسي: ٧٣٥.

الدّعاء الثّاني والعشرون

دُعَاؤُهُ عِنْدَ الشّدَّةِ

أَللَّهُمَّ إِنَّكَ كَلَّفْتَنِي مِنْ نَفْسِي مَا أَنْتَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي، وَقُدْرَتُكَ عَلَيْهِ، وَعَلَيَّ أَغْلَبُ مِنْ قُدْرَتِي، فَأَعْطِنِي مِنْ نَفْسِي مَا يُرْضِيكَ عَنِّي، وَخُذْ لِنَفْسِكَ رِضَاهَا مِنْ نَفْسِي فِي عَافِيَةٍ.

مَن أعطىٰ قلبه لله كفاه

(**أَللَّهُمَّ إِنَّكَ كَلَّفْتَنِي مِنْ نَفْسِي مَا أَنْتَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي**). أمرتني، وزجرتني، وأنا سميع مطيع، ولكن الطّاعة الكاملة تستدعي **أوّلاً**: القُدرة علىٰ فعل الواجب، وترك الحرام. **ثانياً**: التّغلب علىٰ النّفس الأمارة. **ثالثاً**: أنْ يكون التّرك، والفعل خالصاً لوجهك ٱلْكَرِيمِ. وقُدرتي، ونَفْسِي، وقصدي، كلّ ذٰلِكَ، بيدك لأنّك السّبب الأوّل لكلّ وجود وموجود، فهبني هَٰذِهِ الصّفات، والأدوات لأقوم بما أوجبت من طَاعَتِكَ علىٰ أكمل وجه (**وَقُدْرَتُكَ عَلَيْهِ**): علىٰ ما كلفتني به (**وَعَلَيَّ أَغْلَبُ**): أقوىٰ (**مِنْ قُدْرَتِي**) هَٰذِهِ الجملة بكاملها من قُدْرَتُكَ إلىٰ قُدْرَتِي هي تكرار، وتوضيح لقوله:

«أَنْتَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي» (فَأَعْطِنِي مِنْ نَفْسِي مَا يُرْضِيكَ عَنِّي) أعطني القُدرة، والتّوفيق لتطهير نَفْسِي وقصدي كأداة، ووسيلة لفعل الطّاعة الّتي طلبتها مِنّي، ولا ترضىٰ بغيرها (وَخُذْ لِنَفْسِكَ رِضَاهَا مِنْ نَفْسِي) المُراد بخُذْ هُنا أعطيك تماماً كقول القائل: أعطني بذراً وخُذْ زرعاً... وعَدَلَ الأمامﷺ عن كلمة أُعطيك إلىٰ كلمة (خُذْ) تأدباً لأنّ اَللّٰه يُعطي، ولا يأخذ. والمعنىٰ منك يا إلهي العون، والقُدرة، ومِنّي السّمع، والطّاعة (فِي عَافِيَةٍ): في صحةِ العمل، وإخلاص النّية.

وتسأل: وأيُّ فضلٍ للعبد علىٰ طاعة اَللّٰه ما دام كلّ شيء منه تعالىٰ؟.

الجواب: أجل، إنّ اَللّٰه سبحانه منح العبد القُدرة، وسائر الأدوات، والمُعدات؛ ولكن منحهُ أيضاً الحرية في أنْ يختار الطّاعة، أو المعصية، إذ لا طاعة، وثواب، بل ولا حلال، وحرام، ولا خطإ، وصواب بلا حرية، وإختيار. وبأُسلوب آخر أنّ اَللّٰه سبحانه يُعاقب العاصي غداً مُحتجاً عَلَيْهِ بالبيان الَّذِي سمعه، ووعاه، وبالقُدرة الّتي خانها، ووضعها في غير موضعها، ويُثيب سبحانه المُطيع؛ لأنّه أدىٰ الأمانة بنصحٍ، وإخلاص.

وبعد، فنحنُ لا نملك مع اَللّٰه شيئاً إلا ما ملكنا، وقد ملكنا الحرية، والقُدرة ليقول لنا: هذا حلال، وهذا حرام، ويحملنا مسؤولية الأخذ، أو الرّفض... والإمامﷺ يقول بأُسلوب الدُّعاء: لكلّ عاقل: ما دُمتَ حُراً في نفسك، وأفعالك فاعطِ قلبك، وكلك لخالقه، فإنّه يأخذ بيدك، ويمنحك الهداية، والتّوفيق لما فيه صلاح دنياك، وآخرتك.

أَللَّهُمَّ لاَ طَاقَةَ لِي بِالجَهْدِ، وَلاَ صَبْرَ لِي عَلَىٰ البَلاَءِ، وَلاَ قُوَّةَ لِي عَلَىٰ الفَقْرِ، فَلاَ تَحْظُرْ عَلَيَّ رِزْقِي، وَلاَ تَكِلْنِيْ إلَىٰ خَلْقِكَ بَلْ تَفَرَّدْ بِحَاجَتِي، وَتَولَّ كِفَايَتِي، وَانْظُرْ إلَيَّ، وَانْظُرْ لِي فِي جَمِيْعِ أُمُورِي، فَإنَّكَ إنْ

وَكَلْتَنِي إلَىٰ نَفْسِي عَجَزْتُ عَنْهَا، وَلَمْ أُقِمْ مَا فِيهِ مَصْلَحَتُهَا، وَإِنْ وَكَلْتَنِي إلَىٰ خَلْقِكَ تَجَهَّمُونِي، وَإِنْ أَلْجَأْتَنِي إلَىٰ قَرَابَتِي حَرَمُونِي، وَإِنْ أَعْطَوْا أَعْطَوْا قَلِيلاً نَكِداً، وَمَنُّوا عَلَيَّ طَوِيلاً، وَذَمُّوا كَثِيراً. فَبِفَضْلِكَ أَللَّهُمَّ فَأَغْنِنِي، وَبِعَظَمَتِكَ فَانْعَشْنِي، وَبِسَعَتِكَ فَابْسُطْ يَدِي، وَبِمَا عِنْدَكَ فَاكْفِنِي.

(أَللَّهُمَّ لاَ طَاقَةَ لِي بِالجَهْدِ): بالكدح المضني من أجل لقمة العيش (وَلاَ صَبْرَ لِي عَلَىٰ البَلاَءِ). وما من أحدٍ علىٰ وجه ٱلأرض صبر علىٰ الذّبح، والسّبي، والسّجن، والتّشريد كأهل ٱلبَيْت عليهم السلام بخاصة الإمام السّجاد عليه السلام ٱلَّذِي[1]:

تحمل من أرزائها محناً لم يحتملها نبي، أو وصي نبي

ومع ذٰلِكَ يقول: (لاَ صَبْرَ لِي عَلَىٰ الْفَقْرِ)، والسّر أنّ تلك المصائب صَبرَ عليها أهْل ٱلبَيْت عليهم السلام، ورضوا كلّ الرّضا، لأنّها في سبيل ٱللّه، والصّالح العام، أمّا مُصِيبَة ٱلفَقْر فلا مصلحة فيها لدين، ولا دنيا، بل هو كفرٌ، وموتٌ، ومفسدةٌ (وَلاَ قُوَّةَ لِي عَلَىٰ الْفَقْرِ) ومَن يقوىٰ علىٰ مقاومة المعدة، وثورتها، ومجنون من يقول للجائع: «إصْبِرْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ»[2] (فَلاَ تَحْظُرْ...) وسع، ولا تضيق، ويسر، ولا تعسر (تَكِلْنِي) لا تتركني إلىٰ صدقات النّاس، وفُتات موائدهم (بَلْ تَفَرَّدْ...) سهل السّبيل إلىٰ كفايتي (وَانْظُرْ إِلَيَّ) إتجه إلّي برحمتك، وأقبل عليّ بعنايتك (وَانْظُرْ لِي) إختر لِي ما تراه خيراً لدنياي، وآخرتي (فَإِنَّكَ إِنْ وَكَلْتَنِي) إنْ تركتني إلىٰ نَفْسِي تمردت،

---

(١) أُنظر، وفيات الأئمة، من علماء البحرين والقطيف: ١٥٨، القسم المختص بوفاة الإمام عليّ بْن الحُسين عليه السلام، للشيخ عليّ آل الشّيخ سليمان البلادي البحراني، طبع دار البلاغة سَنَة ١٤١٢ هـ.

(٢) مأخوذ من قوله تعالىٰ في سورة ٱلبَقَرة: ١٥٣ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾.

وطفتْ (وَلَمْ أُقِمْ مَا فِيهِ مَصْلَحَتُهَا) أبداً حتّىٰ الأنبياء لا يكبحون النّفس الجامحة إلا بحبل من ٱللَّه (تَجَهَّمُونِي): أستقبلوني بوجه عابس، وقول غليظ (نَكِداً): عسراً (وَمَنُّوا): شمخوا عليّ، وتطاولوا بإحسانهم (فَبِفَضْلِكَ ٱللَّهُمَّ فَأَغْنِنِي) الغنىٰ بـفضله تعالىٰ، والإنتعاش بعظمته، والبسط بسعته، كلّ أُولاء ألفاظ مترادفة، معناها تيسير السّبل إلىٰ الإكتفاء الذّاتي.

وبعد، فإنّ هذا الجزء من الدُّعاء واضح، وتَقَدَّمَ، وخلاصته الرّغبة إلىٰ ٱللَّه أنْ يمهد السّبيل لمعيشة هادئة، وادعة لا فضل فيها لأحدٍ إلا ٱللَّه الَّذِي يسّر، وسهل. وفيه إشارة إلىٰ أنّ ٱلْفَقْر رذيلة تُفسد الحياة، ووسيلة إلىٰ الجرائم، والمآثم.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَخَلِّصْنِي مِنَ الْحَسَدِ، وَاحْصُرْنِي عَنِ الذُّنُوبِ، وَوَرِّعْنِي عَنِ الْـمحَارِمِ، وَلاَ تُـجَرِّئْنِي عَـلَىٰ الْـمَعَاصِي، وَٱجْعَلْ هَوايَ عِنْدَكَ، وَرِضَايَ فِيمَا يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكَ، وَبَارِكْ لِي فِـيمَا رَزَقْتَنِي، وَفِيمَا خَوَّلْتَنِي، وَفِيمَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ، وَاجْعَلْنِي فِـي كُـلِّ حَالاَتِي مَحْفُوظاً مَكْلُوءاً مَسْتُوراً مَمْنُوعاً مُعَاذاً مُجَاراً.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاقْضِ عَنِّي كُلَّمَا أَلْزَمْتَنِيهِ، وَفَرَضْتَهُ عَلَيَّ لَكَ... فِي وَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ طَاعَتِكَ، أَوْ لِخَلْقٍ مِـنْ خَـلْقِكَ، وَإِنْ ضَعُفَ عَنْ ذَلِكَ بَدَنِي، وَوَهَنَتْ عَنْهُ قُـوَّتِي، وَلَمْ تَنَلْهُ مَقْدِرَتِي، وَلَمْ يَسَعْهُ مَالِي، وَلاَ ذَاتُ يَدِي، ذَكَرْتُهُ أَوْ نَسِيتُهُ هُـوَ يَـا رَبِّ مِـمَّا قَـدْ أَحْصَيْتَهُ عَلَيَّ، وَأَغْفَلْتُهُ أَنَا مِنْ نَفْسِي، فَأَدِّهِ عَنِّي مِنْ جَزِيلِ عَـطِيَّتِكَ، وَكَثِيرِ مَا عِنْدَكَ، فَإِنَّكَ وَاسِعٌ كَرِيمٌ حَتَّىٰ لاَ يَبْقَىٰ عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْهُ تُرِيدُ أَنْ تُقَاصَّنِي بِهِ مِنْ حَسَنَاتِي، أَوْ تُضَاعِفَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِي يَوْمَ أَلْقَاكَ يَا رَبِّ.

(وَخَلِّصْنِي مِنَ الْحَسَدِ): نجني من آفاته، وأبعدني عن كلّ حاقد، وحاسد. وتكلمنا حول الحسد[١]. (وَاحْصُرْنِي عَنِ الذُّنُوبِ) هب نَفْسِي قوة تمنعها عن كلّ ذنب، وبتعبير ثانٍ: أعني علىٰ نَفْسِي (وَوَرِّعْنِي عَنِ الْمَحَارِمِ...) هذا وما بعده عطف تكرار (وَرِضَايَ فِيمَا يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكَ) الرّضا بما قسم ٱللّٰه سبحانه بلا تأفف، وتحاسد، وتباغض، وتنافس علىٰ الدُّنْيَا، وحطامها هو أصل الأُصول للورع، والتَّقْوَىٰ.. وروىٰ الرّواة عن الْمُتَّقِين إذا نزلت بهم نازلة قالوا: هَٰذِهِ خير لا شر، ولنا لا علينا (وَبَارِكْ لِي فِيمَا رَزَقْتَنِي) وٱللّٰه سبحانه لا يبارك المال، ويزيده إلا إذا وضع في واجب، أو مستحب[٢]. (وَفِيمَا خَوَّلْتَنِي...) هذا وما بعده عطف تكرار.

(وَاجْعَلْنِي فِي كُلِّ حَالاَتِي مَحْفُوظاً) من كلّ سوء (مَكْلُوءاً): محروساً (مَسْتُوراً) حُسن السّيرة (مَمْنُوعاً): من المناعة بمعنىٰ القوة، والحصانة (مُعَاذاً) معتصماً بالله لا بسواه (مُجَاراً): عطف تكرار (وَاقْضِ عَنِّي كُلَّمَا أَلْزَمْتَنِيهِ، وَفَرَضْتَهُ عَلَيَّ...) حررني من مسؤولية ما أهملت، وتركت مما عليَّ من حقوق، وفروض لله، أو للناس (وَإِنْ ضَعُفَ عَنْ ذَٰلِكَ...) إشارة إلىٰ كلّ ما ثبت، ووجب أداؤه، والقيام به، والوهن عطف تفسير علىٰ الضّعف، ومثله عدم القُدرة، والسّعة (وَلاَ ذَاتُ يَدِي): كناية عن ٱلْفَقْر، والعجز المالي. وتجدر الإشارة أنّ العجز ينفي التّكليف، ببديهة العقل، وصريح النّصّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٣]. أجل، إذا ثبت الْحَقّ المالي ٱللّٰه، أو

(١) أُنظر، الدُّعاء السّابع، والثّامن.

(٢) أُنظر الدُّعاء السّادس عشر فقرة: لا يوضع المال إلا في واجب.

(٣) ٱلْبَقَرَة: ٢٨٥.

للناس، وأهمل المكلف الأداء، والوفاء مع القُدرة عَلَيْهِ، ودون أي مبرر ثُم طرأ العجز ـ أستحق العقاب، والعذاب علىٰ الإهمال، والتَّقْصِير.

(ذَكَرْتُهُ أَوْ نَسِيتُهُ هُوَ يَا رَبِّ مِمَّا قَدْ أَحْصَيْتَهُ) أنْتَ يا إلهي (عَلَيَّ، وَأَغْفَلْتُهُ أَنَا مِنْ نَفْسِي) يُشير الإمام؈ بهذا إلىٰ ما نحن فيه، وعَلَيْهِ من الغرور، والجهل بجهلنا حيث نظن، أو نعتقد بأنّه قمنا، وأدينا كلّ ما علينا من حقّ مادي أدبي، وأنّه لا يسوغ لأحد أنْ يسألنا عن شيء.

(فَأَدِّهِ عَنِّي...) ضمير الغائب في أَدِّهِ يعود إلىٰ كلّ ما ألزمتنيه، وفرضته عليّ، والمُراد بالأداء هنا ترك المقاصة علىٰ الوجه الآتي عند تفسير (تُقَاصَّنِي) هذا إنْ كان الْحَقّ المغصوب للناس، وإنْ يك الْحَقّ المتروك لله تعالىٰ فالمراد بالأداء العفو، والصّفح (فَإِنَّكَ وَاسِعٌ) برحمتك (كَرِيمٌ) بعطائك (تُرِيدُ أَنْ تُقَاصَّنِي بِهِ مِنْ حَسَنَاتِي، أَوْ تُضَاعِفَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِي يَوْمَ أَلْقَاكَ) هَذِهِ إشارة خاطفة إلىٰ صورة المقاصة من الغاصب، والظّالم يَوْم الْقِيَامَة. وإليك توضيح ما أراده الإمام؈ بإشارته هَذِهِ: قال سبحانه: ﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[1]. وجاء في تفسير هَـٰذِهِ الآية أنّ الظّالم يرىٰ غداً في كتابه سيئات، ومحرمات لم يقترفها، وأيضاً لا يرىٰ حسنات، وخيرات كان قد فعلها، فيعجب، ويقول له: أعطينا حسناتك لفلان من حسنات، وأرىٰ مالم أفعل من سيئات؟ فيقال له: أعطينا حسناتك لفلان الَّذِي أعتديت عَلَيْهِ بكذا، وكيت، وألقينا عَلَيْكَ سيئاته قصاصاً لكَ علىٰ ظلمك له، وجرمك.

والإمام؈ يسأل ٱللَّه سبحانه أنْ يعصمه من الإساءة إلىٰ مَخْلُوق، وإنْ حدث من ذٰلِكَ شيء أنْ يرضي سبحانه المظلوم من فضله، وكرمه، ويبقي علىٰ حسناته،

---

(١) الإسراء: ١٤.

ولا يلقي عَلَيْهِ شيئاً من سيئات من أساء إليه.

وبعد، فإذا كان الأدباء، والشّعراء، وَأَهْل السّير، والفن، والتّأريخ، يصورون الحياة الدُّنْيا بشتىٰ موضوعاتها، ومشكلاتها - فإنّ الإمام السّجاد عليه السلام بأدعيته، ومناجاته يرسم حياة الآخرة نعيمها، وجحيمها، ويهدي إلىٰ سواء السّبيل، ويحذر من كلّ مكروه يُعكر صفو الحياة دنيا، وآخرة. وهو العليم الخبير بذلك كلّه. .

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِـهِ وَارْزُقْـنِي الرَّغْـبَةَ فِـي الْـعَمَـلِ لَكَ لآخِـرَتِي، حَتَّىٰ أَعْرِفَ صِدْقَ ذٰلِكَ مِنْ قَلْبِي، وَحَتَّىٰ يَكُونَ الْـغَالِبُ عَلَيَّ الزُّهْدُ فِي دُنْيَايَ، وَحَتَّىٰ أَعْمَلَ الْـحَسَنَاتِ شَـوْقاً، وَآمَـنَ مِـنَ السَّيِّئَاتِ فَرَقاً، وَخَوْفاً، وَهَبْ لِي نُوراً أَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ، وَأَهْتَدِي بِهِ فِي الظُّلُماتِ، وَأَسْتَضِيءُ بِهِ مِنَ الشَّكِّ وَالشُّبُهَـاتِ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْزُقْنِي خَـوْفَ غَمِّ الْوَعِيـدِ، وَشَوْقَ ثَوَابِ الْمَوْعُودِ حَتَّىٰ أَجِدَ لَذَّةَ مَا أَدْعُوكَ لَهُ، وَكَأْبَةَ مَا أَسْتَجِيرُ بِكَ مِنْهُ. أَللَّهُمَّ قَـدْ تَعْلَمُ مَا يُصْلِحُنِي مِنْ أَمْرِ دُنْيَايَ وَآخِـرَتِي، فَكُنْ بِحَوَائِجِي حَفِيّاً.

(وَارْزُقْنِي الرَّغْبَةَ فِي الْعَمَـلِ لَكَ) طهر قَلْبِي من كلّ ما يصرفه عنك، وأستعمله فيما تحبّ، وترضىٰ، وتَقَدَّمَ مثله في الدُّعاء[1] (لآخِـرَتِي) إشارة إلىٰ أنّ البعض يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ[2] أي للدُّنيا لا للآخرة، والإمام يسأل ٱللَّه سبحانه أنْ تكون

(١) أُنظر، الدُّعاء الحادي والعشرون.

(٢) أقتباساً من الآيـة ١١ مـن سـورة الحـج: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾.

جميع أعماله لآخرته لا العبادة فقط (حَتَّىٰ أَعْرِفَ صِدْقَ ذٰلِكَ مِنْ قَلْبِي) حتّىٰ أحس من الأعماق بأنّ عملي لله لا لسواه. وسئل النّبي ﷺ عن معنىٰ البر؟ فقال للسائل: «أستفت قلبك، البر: ما اطمأنت إليه النّفس، واطمأن إليه القلب... وإنْ أفتاك النّاس وأفتوك»[1]. ومراد الرّسُول الأعظم ﷺ النّهي عن الهوىٰ، والتّقليد، ومن أخطأ مع التّحري والتّجرد فما عَلَيْهِ من سبيل (وَحَتَّىٰ يَكُونَ الْغَالِبُ عَلَيَّ الزُّهْدُ فِي دُنْيَايَ) قيل: «إنّ الدُّنْيَا والآخرة عدوان متفاوتان، وسبيلان مختلفان، فمن أحبّ الدُّنْيَا وتولاها أبغض الآخرة وعاداها، وهما بمنزلة المشرق، والمغرب، وماشي بينهما كلّما قَرُب من واحد بعد من الآخر، وهما بعد ضرتان»[2]. وهذا الوصف قائم بين دنيا الحرام، والآخرة، أمّا دنيا الحلال الطّيب فهي من الدّين في الصّميم؛ لأنّ الهدف الأوّل، والأساس من دين الإسْلاَم، سعادة الإنسَان دنياً، وآخرة، والشّيء الواحد لا يكون سبباً للشيء، وضده[3].

(وَحَتَّىٰ أَعْمَلَ الْحَسَنَاتِ شَوْقاً) إلىٰ مرضاة اللّـه، وثوابه لا بقصد الرّبح،

---

(١) أُنظر، المجموع: ٩/١٥٠، نيل الأوطار: ١/٣٦، مسند أحمد: ٤/٢٢٨، سنن الدّارمي: ٢/٢٤٦، فتح الباري: ١/١٩٦، مسند أبي يعلىٰ: ٣/١٦٢.

(٢) تنسب هذا الحكمة إلىٰ أمير الْمُؤْمِنِين ؑ، كما ورد في نهج البلاغة: ٤/٢٣، الحكمة (١٠٣)، شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ٥/٢٩٢، عيون الحكم والمواعظ: ١٤٥، شرح أُصول الكافي: ١/١٥٤ و: ٨/٣٦٢. وتنسب أيضاً إلىٰ عيسىٰ بْن مريم ؑ ولكن بلفظ: (مثل الدُّنْيَا والآخرة كمثل رجل له ضرتان، إنْ أرضىٰ إحداهما سخطت الأُخرىٰ) كما جاء في تحفة الأحوذي: ٧/١٣١، إحياء علوم الدّين للغزالي: ٣/٢٠٨، البحار: ٧٠/١١٩ ح ١١٠، روضة الواعظين: ٤٤٨، ولكن الشّيخ ؒ أوردها هكذا: « الدُّنْيَا، والآخرة ضرتان، وإنّ ما بينهما من البُعد ما بين المشرق، والمغرب ».

(٣) أُنظر، الدُّعاء السّادس: فقرة مطالب الرّوح، والجسد.

والإتجار (وَآمَنَ مِنَ السَّيِّئَاتِ) أي من فعلها، والقرب منها (فَرَقاً): فزعاً من غضب ٱللَّه، وعذابه (وَهَبْ لِي نُوراً): علماً (أَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ) أُقيم العلاقات، والرّوابط معهم علىٰ أساس الْحَقّ، والعدل لا علىٰ أساس التّعصب، والجهل، والرّبح، والهوىٰ (وَأَهْتَدِي بِهِ فِي الظُّلُمَاتِ...) إذا تعددت الآراء، والمعتقدات، وتضاربت أستطيع بما أملك من العلم أنْ أُميز بين المحق منها، والمبطل (وَارْزُقْنِي خَوْفَ غَمِّ الْوَعِيدِ) المُراد بالوعيد التّهديد بالشر، وبغمه ما يترتب علىٰ مخالفته من الحزن، والكرب، وما من شك أنّ الخوف من سوء العاقبة يستدعي التّحفظ، والإحتياط.

(وَشَوْقَ ثَوَابِ الْمَوْعُودِ) بالخير علىٰ عمل الْخَيْر (حَتَّىٰ أَجِدَ لَذَّةَ مَا أَدْعُوكَ...) إذا وهبت لِي العلم شعرت باللذة، والفرح، وأنا أسألك النّعيم، وبالحزن، والألم إذا أستجرت بك من عذاب الجحيم، ومثله تماماً قول الإمام عليّ في وصف الْمُتّقِين: «فهم والْجَنَّة كمن رآها، فهم فيها متكئون، وهم والنّار كمن رآها، فهم فيها معذبون، قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة»[1]. (أَللَّهُمَّ قَدْ تَعْلَمُ...) «قَدْ» للتحقيق لأنّ ٱللَّه بكلّ شيء عليم (حَفِيّاً) من الحفاوة بمعنىٰ العناية.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ؛ وَارْزُقْنِي الْحَقَّ عِنْدَ تَقْصِيرِي فِي الشُّكْرِ لَكَ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فِي الْيُسْرِ، وَالْعُسْرِ، وَالصِّحَّةِ، وَالسَّقَمِ، حَتَّىٰ أَتَعَرَّفَ مِنْ نَفْسِي رَوْحَ الرِّضَا، وَطُمَأْنِينَةَ النَّفْسِ مِنِّي بِمَا يَحْدُثُ لَكَ فِيمَا يَحْدُثُ فِي حَالِ الْخَوْفِ، وَالْأَمْنِ، وَالرِّضَا،

---

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٢/١٦١، الخطبة (١٩٣)، أمالي الصّدوق: ٦٦٧، الهم والحزن لابن أبي الدُّنيا: ٦٩، ينابيع الْمَوَدَّة: ٣/٢٢٦، كنز الفوائد: ٣٢، كِتَاب الْمُؤْمِن لحسين بن سعيد الأهوازي: ٧، الكافي: ٢/٥٣.

وَالسُّخْطِ، وَالضُّرِّ، وَالنَّفْعِ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ؛ وَارْزُقْنِي سَلاَمَةَ الصَّدْرِ مِنَ الْـحَسَدِ حَتَّىٰ لاَ أَحْسُدَ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِكَ، وَحَتَّىٰ لاَ أَرىٰ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِكَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فِي دِيْنٍ، أَوْ دُنْيا، أَوْ عَافِيَةٍ، أَوْ تَقْوىٰ، أَوْ سَعَةٍ، أَوْ رَخـاءٍ، إِلاّ رَجَـوْتُ لِـنَفْسِي أَفْـضَلَ ذٰلِكَ، بِكَ، وَمِنْكَ، وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ.

(وَارْزُقْنِي الْحَقَّ عِنْدَ تَقْصِيرِي فِي الشُّكْرِ لَكَ...) تدل قرينة السّياق، وهي قوله: (حَتَّىٰ أَتَعَرَّفَ مِنْ نَفْسِي رَوْحَ الرِّضَا...) أنّ المُراد بالحقّ هنا الرضا بحكم ٱللَّه، وقضائه في حال الْبَلاء، كالعسر، والمَرَض تماماً كالرضا في حال الرّخاء يسراً، وعافية. ومن معاني الشُّكْر الثّناء علىٰ المنعم، وعلىٰ العبد أنْ يجمع بين الرّضا الشُّكْر معاً ـ وعلىٰ الأقل ـ أنْ يرضىٰ عن ٱللَّه، وبحكمه عَلَيْهِ في حال اليسر، والعسر إذا قصر في الثّناء عَلَيْهِ تعالىٰ بلسانه، لأنّ الرّضا بما أمر، وقسم من ثمرات الإيْمَان بعدله، وحكمته، وجلاله، وكماله (حَتَّىٰ أَتَعَرَّفَ مِنْ نَفْسِي رَوْحَ الرِّضَا) الروح بفتح الراء، والرّاحة وسكون القلب الَّذِي أشار إليه بقوله: (وَطُمَأْنِينَةَ النَّفْسِ مِنِّي بِمَا يَحْدُثُ) أي يهمني قبل كلّ شيء، وأكثر من كلّ شيء أنْ أعْلَم أنّ نَفْسِي رَاضِيَة تمام الرّضا بكلّ ما يرد عليها من ٱللَّه كي تكون من الْمُؤْمِنِين به حقاً، والْمُتَوَكِّلِين عَلَيْهِ، والعاملين له.

الحسد

(وَارْزُقْنِي سَلاَمَةَ الصَّدْرِ مِنَ الْحَسَدِ...) نهىٰ سبحانه عن الحسد في كتبه، وعلىٰ لسان رسله، وتكلم النّاس كثيراً عن شره قديماً، وحديثاً... ونشير هنا إلىٰ أنّ فئة من الصّائمين المُصلين يتقون نجاسة الثّوب، أمّا صدورهم فحاقدة، واغرة

علىٰ كلّ ذي فضل، ونعمة من ٱللّه تعالىٰ بخاصة إذا كان من الزّمـلاء، والرّفـاق، ونحن لا ننكر أنْ التّنافس في المهنة طبيعة في ٱلاِنسَان، ولكن الْمُؤْمِن حقاً يتكلف الصَّبَر، ويتناسىٰ أنانيته حرصاً علىٰ دينه... وفيما قـرأت أنّ تـلميذاً كـان له فـي المدرسة أصدقاء مخلصون، وبعدها ٱشتهر، وٱنتشر صيته من دونهم فغلا الحقد في صدورهم، وٱنقلبوا أعداء ألداء!

قال ابن الجوزي في صيد الخاطر: «نظرت فرأيت أنّ ٱلاِنسَـان لا يُـحبّ أنْ يرتفع عَلَيْهِ أحد، فإذا رأىٰ صديقه قد علا عَلَيْهِ تأثير وودّ لو لم ينل صديقه ما نال، وهذا معجون في الطّين، ولا لوم إنّما اللّوم أنْ يعمل بمقتضاه من قولٍ، أو فعلٍ»[1]. وعلىٰ هذا جميع ٱلْعُلَمَاء.

وبعدُ، فإنّ الْمُؤْمِن، أو العاقل إذا عرض له أي خاطر، يقف، ولا يتحرك، بل ينظر ويتأمل: هل هو للرحمن، أو للشّيْطَان، وللخير، أو للشر؟ فـإنّ كـان للأوّل عمل بموجبه، وإنْ يك للثاني أحجم، وتعوذ بالله من الشّيْطَان، وأيُّ إنسان يـنطق مسرعاً، وبلا روية مع كلّ خاطر يمر به فهو أرعن يقيم الحجة من نفسه علىٰ نفسه: أنّه ليس بشيء علىٰ الإطلاق.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّـدٍ وَآلِـهِ، وَارْزُقْنِي ٱلتَّحَفُّظَ مِن الْـخَطَايَـا، وَالاحْتِرَاسَ مِنَ الزَّلَلِ فِـي الدُّنْـيَا، وَالآخِـرَةِ، فِـي حَـالِ الرِّضَـا، وَالْغَضَبِ... حَتَّىٰ أَكُونَ بِمَا يَرِدُ عَلَيَّ مِنْهُمَا بِـمَنْزِلَةٍ سَـوَاءٍ، عَـامِلاً بِطَاعَتِكَ مُؤْثِراً لِرِضَاكَ عَلَىٰ مَا سِوَاهُمَا.. فِي الأَوْلِـيَاءِ، وَالأَعْـدَاءِ حَتَّىٰ يَأْمَنَ عَدُوِّي مِنْ ظُلْمِي، وَجَوْرِي، وَيَيْأَسَ وَلِيِّي مِـنْ مَـيْلِي،

(١) أُنظر، صيد الخاطر لابن الجوزي: ١٤٧/١، وص: ٥٥٨ طبعة الحجر.

وَانْحِطَاطِ هَوَايَ.

وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ يَدْعُوكَ مُخْلِصاً في الرَّخَاءِ ...دُعَاءَ الْمخْلِصِينَ الْمُضْطَرِّينَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجيدٌ.

(وَارْزُقْنِي ٱلتَّحَفُّظَ مِنَ الْخَطَايَا...) هذا توكيد، وتكرار لقوله السّابق في هذا الدُّعاء: «وَاحْصُرْنِي عَن الذُّنُوبِ، وَوَرِّعْنِي عَنِ الْمحَارِمِ، وَلاَ تُجَرِّئْنِي عَلَىٰ الْمَعَاصِي» (حَتَّىٰ أَكُونَ بِمَا يَرِدُ عَلَيَّ مِنْهُمَا): من الرّضا، والْغَضَب (بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ) من حيث السّمع، والطّاعة لله سبحانه. وتَقَدَّمَ قول الإمام الصَّادِق ﷺ: «الْمُؤْمِن إذا غضب لم يخرجه غضبه عن حقّ، وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل»[1] (عَامِلاً بِطَاعَتِكَ مُؤْثِراً لِرِضَاكَ عَلَىٰ مَا سِوَاهُمَا) لا أتصرف بدافع من سخطي، ومرضاتي، من ذاتي ومصلحتي، بل من طَاعَتِكَ، ومَرْضَاتِكَ يا إلهي.

(فِي الأَوْلِياءِ، وَالأَعْدَاءِ حَتَّىٰ يَأْمَنَ عَدُوِّي مِنْ ظُلْمِي، وَجَوْرِي، وَيَيْأَسَ وَلِيِّي مِنْ مَيْلِي، وَانْحِطَاطِ هَوَايَ) أي انحداري نحو من أهوىٰ. هذا هو التّحديد السّديد للمؤمن الْحَقّ: «العمل بطاعة ٱللّٰه، وتقواه لا بوحي من الأصهار، والأَوْلاَد، أو نكاية بالأعداء، والأنداد، ولا أعرف محكاً لمن يلبس لباس الدّين، أو ينتمي إليه أصدق، وأدق من المحك هذا، ومثله ما قيل في تعريف الحاكم العادل: «هو الَّذِي يثق به البريء، ولا يأمنه المجرم»[2].

(وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ يَدْعُوكَ مُخْلِصاً...) المخلص في الدُّعاء، وغير الدُّعاء هو

(١) أُنظر، الكافي: ٢/٢٣٣، شرح أُصول الكافي: ٩/١٦١، عيون الحكم والمواعظ: ٢١١، نزهة النّاظر وتنبيه الخاطر: ١٠٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠/١٥٩، الإختصاص للشيخ المفيد: ٢٣٣.

(٢) أُنظر، المجموع: ١٤/١٨٨، شرح أُصول الكافي: ٩/١٧٢، بحار الأنوار: ٩٩/١٩٩.

الّذِي يسير علىٰ وتيره واحدة في جميع أحواله، و أطواره، في سره، وعلانيته، وشبابه، وهرمه، ورضاه، وغضبه، وحزنه، وسروره، وضيقه، وسعته، أمّا من يتقلب، ويتذبذب فهو ناكب عن الطّريق، قد غلبت عَلَيْهِ شهوته، وشقوته، وبها يقاس، ويعامل.

الدُّعاء الثّالث والعشرون

دُعَاؤُهُ بِالْعَافِيَةِ

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَلْبِسْنِي عَافِيَتَكَ، وَجَلِّلْنِي عَافِيَتَكَ، وَحَصِّنِّي بِعَافِيَتِكَ، وَأَكْرِمْنِي بِعَافِيَتِكَ، وَأَغْنِنِي بِعَافِيَتِكَ، وَتَصَدَّقْ عَلَيَّ بِعَافِيَتِكَ، وَهَبْ لِي عَافِيَتَكَ، وَأَفْرِشْنِي عَافِيَتَكَ، وَأَصْلِحْ لِي عَافِيَتَكَ، وَلاَ تُفَرِّقْ بَيْنِي وَبَيْنَ عَافِيَتِكَ فِي الدُّنْيَا، وَالآخِرَةِ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَعَافِنِي عَافِيَةً كَافِيَةً شَافِيَةً عَالِيَةً نَامِيَةً، عَافِيَةً تُوَلِّدُ فِي بَدَنِي الْعَافِيَةَ، عَافِيَةَ الدُّنْيَا، والآخِرَةِ، وَامْنُنْ عَلَيَّ بِالصِّحَّةِ، وَالأَمْنِ، وَالسَّلاَمَةِ فِي دِيْنِي، وَبَدَنِي، وَالْبَصِيرَةِ فِي قَلْبِي، وَالنَّفَاذِ فِي أُمُورِيْ، وَالْخَشْيَةِ لَكَ، وَالْخَوْفِ مِنْكَ، وَالْقُوَّةِ عَلَىٰ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ مِنْ طَاعَتِكَ، وَالاجْتِنَابِ لِمَا نَهَيْتَنِي عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَتِكَ.

(وَأَلْبِسْنِي عَافِيَتَكَ) أَلْبِسْنِي، وَجَلِّلْنِي، وَحَصِّنِّي، وَأَكْرِمْنِي، كلّ هٰذِهِ، وما

بعدها كلمات متشابكة مترادفة تعبر عن معنىً واحد، وهو طَلَب الْعَافِيَة، والسّلامة في الدّين، والعقل، والقلب، والجسم، أمّا القصد من هذا التّرادف، والتّكرار فهو التّضرّع، والإلحاح تماماً كما يفعل الّذين يسألون النّاس إلحافاً مع الفرق «بأنّ ٱللّه سبحانه كره إلحاح النّاس بعضهم علىٰ بعض في المسألة، وأحبّ ذٰلِكَ لنفسه»[1] كما في أُصول الكافي عن الإمام الصّادق عليه السلام وسبقت الإشارة إليه[2]. أنّ التّكرار في الدُّعاء بالخصوص مألوف، ومعروف.

(وَالنَّفَاذِ فِي أُمُورِيْ) المُراد بالنفاذ هنا النجاح (وَالْـخَشْيَةِ لَكَ): لجلالك، وهيبتك (وَالْخَوْفِ مِنْكَ): من التّقْصِير في طَاعَتِكَ بدليل قوله بلا فاصل (وَالْـقُوَّةِ عَلَىٰ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ...) وفي الدُّعاء: «فَأَنا الظّالِمُ الْمُفَرِّطُ الْمُضَيِّعُ الآثِمُ الْمُقَصِّرُ»[3]، وهكذا كلّ مؤمن عالم بالله، وعَظَمَتِهِ يرىٰ نفسه مقصراً في طاعته تعالىٰ مهما جَد، وأجتهد... الجهول المغرور هو الّذِي يرىٰ نفسه قد بلغت الغاية، والنّهاية طاعةً، وعبادةً، وتقىً وسعادةً.

أَللَّهُمَّ، وَامْنُنْ عَلَيَّ بِالْحَجِّ، وَالْعُمْرَةِ، وَزِيَارَةِ قَبْرِ رَسُولِكَ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ، وَرَحْمَتُكَ، وَبَرَكَاتُكَ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ، وَآلِ رَسُولِكَ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ أَبَداً مَا أَبْقَيْتَنِي، فِي عَامِي هَذَا، وَفِي كُلِّ عَامٍ، وَاجْعَلْ ذٰلِكَ مَقْبُولاً مَشْكُوراً مَذْكُوراً لَدَيْكَ، مَذْخُوراً عِنْدَكَ.

وَأَنْطِقْ بِحَمْدِكَ، وَشُكْرِكَ، وَذِكْرِكَ، وَحُسْنِ الثَّناءِ عَلَيْكَ لِسَانِي،

---

(١) أنظر، الكافي: ٢/٤٧٥، شرح أُصول الكافي: ١٠/٢٤٥، تحف العقول: ٢٩٣، شرح الأخبار: ٣/١٠٧.

(٢) أُنظر، الدُّعاء السّادس.

(٣) أُنظر، الدُّعاء الحادي والخمسون.

وَاشْرَحْ لِمَرَاشِدِ دِينِكَ قَلْبِي.

وَأَعِذْنِي، وَذُرِّيَّتِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم، وَمِنْ شَرِّ السَّامَّةِ، وَالْهَامَّةِ، وَالْعَامَّةِ، وَاللَّامَّةِ، وَمِنْ شر كُلِّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ سُلْطَانٍ عَنِيدٍ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ مُتْرَفٍ حَفِيدٍ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَشَدِيدٍ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ شَرِيفٍ، وَوَضِيعٍ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ صَغِيرٍ، وَكَبِيرٍ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ قَرِيبٍ، وَبَعِيدٍ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ مَنْ نَصَبَ لِرَسُولِكَ، وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ حَرْباً مِنَ الْجِنِّ، وَالإِنْسِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

(أَللَّهُمَّ وَامْنُنْ عَلَيَّ بِالْحَجِّ، وَالْعُمْرَةِ) وأهم الفروق بينهما أنّ وقت الْعُمْرَة المستقلة موسع يعم، ويشعمل أيام السّنة كلّها بالإتفاق، وأفضل أوقاتها عند الشّيعة شَهر رجب، وعند غيرهم شَهر رَمَضَان المبارك، أمّا الْحَجّ فقد حدد الإسْلاَم له أشهراً معلومات: شوال، وذا القعدة، والشّطر الأوّل من ذي الحجّة، بل جعل مناسكه ساعات محدودة. والتّفصيل في كُتب الفقه.

بالآثار توزن الأقوال، والأفعال

وتحدثوا، وأطالوا الكلام عن منافع الْحَجّ، وفوائده، بخاصة عن الجوانب الإجتماعية، وما من شك أنّ الْحَجّ ظاهرة، أو مظاهرة دينية تُضخم، وتُعظم من شأن الإسْلاَم، ونَبيّهﷺ، والمسلمين، وأيضاً ما من شك أنّ الحاج الْمُؤْمِن يزداد إيماناً في مهبط الوحي، ويتزود من التّقْوَىٰ بأداء المناسك، وبخشوعه، وشعوره بالهيبة، والرّهْبَة حين يطل علىٰ الحرم الأمين، ويرىٰ مايرىٰ من أفواج الطّائفين، والعاكفين... وما عدا ذٰلِكَ من الإمتزاج، والتّعارف بين فردٍ، وآخر فهو قليل النّفع،

والجدوىٰ مادام المسلمون شيعاً، وأحزاباً، لا تجمعهم وحدة، ولا تربطهم صلة.

وفي سَنَة (١٩٦٣ م) أديتُ فريضة الْحَجّ، ومكثت بمكة المكرمة (١٩) يوماً، وكان جاري في الشّقة شيخ من كشمير، فتعارفنا بـالأسماء، وائـتلفنا بـالأرواح، وسألني عن مشكلات في علم الكلام، والفلسفة الإسلامية، والآن لايعرف أحدنا شيئاً عن صاحبه، بل نسيت أسمه، وغابت صورته عن ذهني حتّىٰ كأنْ لم يكـن شيء تماماً كرفيق سيارة الأجرة، والجليس صدفة في مقهىٰ.

إنّ الأقوال، والأفعال، بل والمبادىء، والأديان توزن، وتقاس بما لها من تأثير إنْ خيراً فخير، وإنْ شراً فشـر، ومـن هـنا كـان التّـعاون، والمـعاهدات الثّـقافية، والإقتصادية، والسّياسية، وغيرها بين دولةٍ، ودولة، وشعبٍ، وشعب فهل شيء من ذٰلِكَ بين المسلمين؟ وهل للدين، أيُّ دين، من مكـانة، ومـهابة إلا بـقوة أهـله، وذويه؟ وهل من قوةٍ مع النّزاع، والشّتات؟.

﴿وَزِيَارَةِ قَبْرِ رَسُولِكَ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ...﴾ قال ٱلرّسُول الأعظم ﷺ: «من أتىٰ مكّة حاجاً، ولم يزرني في المدينة جفوته يَوْم القيامه»[1]... «روي أنّ الحُسين بْن عليّ، قال لرسول ٱللّه ﷺ، يا أبتاه، ما جزاء من زارك؟ فقال ﷺ: من زارنـي حياً، أو ميتاً، أو زار أباك، أو زار أخاك ، أو زارك، كان حقاً عليَّ أنْ أزوره يَـوْم الْقِيَامَة، وأُخلصه من ذنوبه»[2] قف ـ أيها القارىء ـ ملياً، وتمثل في عقلك، وقلبك

---

(١) أُنظر، كنوز الحقائق: ١٢٦، هداية الصّدوق: ٦٧، مستدرك الوسائل: ١٨٦/١٠ ح ٤، مستند الشّيعة: ٣٣١/١٣، ولكن في هٰذِهِ المصادر بلفظ: (فقد جفاني)، وفي تهذيب الأحكام: ٤/٦، كما عند الشّارح.

(٢) أُنظر، الهداية للصدوق: ٢٥٦، الكافي: ٥٤٨/٤ ح ٤، الفقيه: ٣٤٥/٢ ح ١، أمالي الصّدوق: ٥٧ ح ٤.

المعنىٰ الحقيقي ٱلظّاهِر من قول نبيك الصّادِق الأمين ﷺ: «كان حقاً ـ لا تفضلاً ـ عليَّ أنْ أُخلصه من ذنوبه». وأيُّ فوز، ونصر، وخير، وغنىٰ، وكرامة، وسعادة تعادل الخلاص من عذاب ٱلنّار، وغضب الجبار؟ فأنْ كنت قد أهملت، فاعزم من الآن علىٰ شدّ الرّحال قبل فوات الأوان.

(فِي عَامِي هَذَا، وَفِي كُلِّ عَامٍ) متعلق بأمْنُنْ عَلَيَّ بِالْحَجِّ، وَالْعُمْرَةِ، وَالزِّيَارَةِ، وكان السّلف يتساءلون، ويقولون: مَن يستطيع ذٰلِكَ؟ إلا أنْ يترك كلّ عمل إلا السّفر للحجّ، والعُمرة، والزّيارة حتّىٰ أنتقلت المواصلات من الجمل إلىٰ الطّائرة، وأصبح تكرار الْحَجّ، والزّيارة ميسوراً للكثرة الكاثرة، هذا إلىٰ أنّ الإمام السّجاد ﷺ كان يُقيم في المدينة إلىٰ جوار القبر الشّريف، وبالقرب من مكّة المكرمة.

(وَاجْعَلْ ذٰلِكَ) إشارة إلىٰ الْحَجّ، والعُمرة، والزّيارة (مَقْبُولاً): مرضياً، ومثاباً عَلَيْهِ، ومشكوراً، ومذكوراً، ومذخوراً توكيد، وتكرار لمقبول (وَأَنْطِقْ بِحَمْدِكَ...) لله الْحَمْد، والشُّكْر (وَاشْرَحْ لِمَرَاشِدِ...) الشّرح: الفتح، والمراشد: الطّرق المستقيمة، والمعنىٰ: أهدنا إلىٰ كلّ ما يؤدي إلىٰ طَاعَتِكَ، ومَرْضَاتِكَ (السَّامَّةِ): كلّ ذات سم غير قاتل (وَالْعَامَّةِ) أي النّكبة العامة كما هو المتبادر، وقيل غير ذٰلِكَ (وَاللَّامَّةِ): كلّ ما يخاف منه (مَرِيدٍ): متمرد علىٰ الْحَقّ (عَنِيدٍ) يعاند الْحَقّ مكابرةً لا جهلاً (مُتْرَفٍ حَفِيدٍ)المترف: المنعم، والحفيد: من له خدم، وأتباع، وأنصار، وما ذُكرت كلمة مترف في كِتَاب ٱللَّه، وكلام أهْل ٱلْبَيْت الأطهار إلا مقرونة بالذم؛ لأنّ أكثر النّاس إذا أخضرت دنياهم فسدوا، وأفسدوا.

(كُلِّ ضَعِيفٍ، وَشَدِيدٍ) وشر الضّعيف الغيبة، والكذب، والنّميمة، وما أشبه، قال الإمام عليّ ﷺ: «الغيبة جهد العاجز»[1]. والشّديد: القوي (وَمِنْ شَرِّ كُلِّ مَنْ نَصَبَ

---

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٤/١٠٦، الحكمة (٤٦١)، عيون الحكم والمواعظ: ٥١، شرح نهج

لِرَسُولِكَ، وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ حَرْباً...) النّاصبي: من دان ببغض الإمام أمير الْمُؤْمِنين، وهو كافر، وجاحد لما ثبت بضرورة الدّين، وبالأولىٰ من نصب العداء لسيّد الكونينﷺ (أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا): مالك لها، وقادر علىٰ ردعها (إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) أي الْحَقّ، والعدل، وأنّه تعالىٰ لا يضيع ظلامة مظلوم... ولا يفوته ظَالِم.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وآلِهِ، وَمَنْ أَرَادَنِي بِسُوءٍ فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَادْحَرْ عَنِّي مَكْرَهُ، وَادْرَأْ عَنِّي شَرَّهُ، وَرُدَّ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ، وَاجْعَلْ بَيْنَ يَدَيْهِ سَدّاً حَتَّىٰ تُعْمِيَ عَنِّي بَصَرَهُ، وَتُصِمَّ عَنْ ذِكْرِي سَمْعَهُ، وَتُقْفِلَ دُونَ إِخْطَارِي قَلْبَهُ، وَتُخْرِسَ عَنِّي لِسَانَهُ، وَتَقْمَعَ رَأْسَهُ، وَتُذِلَّ عِزَّهُ، وَتَكْسِرَ جَبَرُوتَهُ، وَتُذِلَّ رَقَبَتَهُ، وَتَفْسَخَ كِبْرَهُ، وَتُؤْمِنَنِي مِنْ جَمِيعِ ضَرِّهِ، وَشَرِّهِ، وَغَمْزِهِ، وَهَمْزِهِ، وَلَمْزِهِ، وَحَسَدِهِ، وَعَدَاوَتِهِ، وَحَبَائِلِهِ، وَمَصَائِدِهِ، وَرَجْلِهِ، وَخَيْلِهِ إِنَّكَ عَزِيزٌ قَدِيرٌ.

(وَمَنْ أَرَادَنِي بِسُوءٍ فَاصْرِفْهُ عَنِّي...) لمّا تعوذ الإمام ﷺ من شر كلّ ذي شر عاد، وكرر الدُّعاء، والرّجاء أنْ يصرف ٱللّٰه عنه كلّ مَن وما يؤذي، ويسيء، والدحر: الطّرد، والدّرأ: الدّفع، وعطفهما علىٰ الصّرف تفسير، وتكرار (وَرُدَّ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ) اْصنع به المكروه الّذي بيته، ودبره لِي في الخفاء (وَاجْعَلْ بَيْنَ يَدَيْهِ سَدّاً...) وقد أوضح الإمامﷺ مراده من هذا السّد، وأنّه عمىٰ البصيرة، والبصر عنه، وصمم الأُذن عن سماع ذكره، وخرس اللّسان عن النّطق باسمه.

(وَتَقْمَعَ رَأْسَهُ) كناية عن قهره، وإذلاله، وفي نهج البلاغة: «فرحم ٱللّٰه رجلاً نزع عن شهوته، وقمع هوىٰ نفسه»[1] أي قهر هَوَاهُ (وَتُذِلَّ عِزَّهُ) اْجعله ذليلاً صاغراً

⇐ البلاغة لابن أبي الحديد: ٩/٦٦ و: ٢٠/١٧٩.

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٢/٩٠، الخطبة (١٧٦)، شرح النّهج للمعتزلي: ١٠/١٦، ينابيع الْمَوَدَّة:

(وَتَكْسِرَ جَبَرُوتَهُ): شموخه، وكبرياءه (وَتُذِلَّ رَقَبَتَهُ) أي هو بالذات، من باب تسمية الكلّ بأهم أجزائه، وقال العدوي[1]:

وإنّ قتيل الطّف من آلِ هاشم   أذلّ رقاب المسلمين فذلت

(وَتَفْسَخَ كِبْرَهُ...) تنقض كبرياءه، والمُراد بالغمز، واللّمز، والهمز: الطّعن في العرض بالقول، أو بالفعل. وهذا دأب الوضيع اللّئيم، يحقد علىٰ كلّ نبيل، لشعوره بالنقص من نفسه، فيحاول تغطيته بالنيل من كرامة الشّرفاء (وَحَبَائِلِهِ وَمَصَائِدِهِ): حيله، وخدائعه (وَرَجْلِهِ) بفتح الرّاء: جمع راجل (وَخَيْلِهِ): فرسانه، والمُراد بالجميع الأتباع، والأنصار.

٤٣٦/٣.

(١) أنظر، الكامل للمبرد: ٢٢٣/١، تحقيق مُحمّد أبو الفضل، وإبراهيم، وشحاته، مطبعة النّهضة مصر، مروج الذّهب: ٧٤/٣، درر السّمط في أخبار السّبط لابن الأبار: ١١٥، سير أعلام النّبلاء: ٥٩/٥، البداية والنّهاية: ٢٣٠/٨.

الدُّعاء الرّابع والعشرون

دُعَاؤُه لِأَبَوَيْهِ عليه السلام

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ، وَرَسُولِكَ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ، وَاخْصُصْهُمْ بِأَفْضَلِ صَلَوَاتِكَ، وَرَحْمَتِكَ، وَبَرَكَاتِكَ وَسَلامِكَ؛ وَاخْصُصِ أللَّهُمَّ وَالِدَيَّ بِالْكَرَامَةِ لَدَيْكَ، وَالصَّلاَةِ مِنْكَ يَا أَرْحَمَ ألرَّاحِمِينَ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَلْهِمْنِي عِلْمَ مَا يَجِبُ لَهُمَا عَلَيَّ إِلْهَاماً، وَاجْمَعْ لِي عِلْمَ ذٰلِكَ كُلِّهِ تَمَاماً، ثُمَّ اسْتَعْمِلْنِي بِمَا تُلْهِمُنِي مِنْهُ، وَوَفِّقْنِي لِلنُّفُوذِ فِيمَا تُبَصِّرُنِي مِنْ عِلْمِهِ، حَتَّىٰ لاَ يَفُوتَنِي اسْتِعْمَالُ شَيْءٍ عَلَّمْتَنِيهِ، وَلاَ تَثْقُلَ أَرْكَانِي عَنِ الْحُفُوفِ فِيمَا أَلْهَمْتَنِيهِ.

(وَأَلْهِمْنِي عِلْمَ مَا يَجِبُ لَهُمَا...) العلم بالحلال، والحرام لا ينبع من داخل ألإنسان، وأوهامه، وإنّما يؤخذ من الوحي، أو ما يمضيه الوحي، ويقره، ولذا طَلَب الإمام من ألله سبحانه أنْ يرشده، ويهديه إلىٰ ما يجب عَلَيْهِ لوالديه، ويتلخص هذا الواجب بطاعتهما في كلّ شيء إلا في معصية ألله حيث: «لا طاعة لمخلوق في

معصية الخالق»(١). وبهذا نجد تفسير: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ﴾(٢). وغيرها من آيات هذا الباب، وأحاديثه.

وبالمناسبة أُشير، لمجرد التّنبيه، والتّحذير، أنّي أعرف شيخاً بأسمه، وشخصه يحلل، ويحرم، ويحكم بالفروج، والأموال بوحي من فهمه، ووهمه. أمّا الدّرس، والمراجعة، والمطالعة فهي للذين يسيرون علىٰ الطّريق لا لمن يطفر بلا رابطة، وواصلة! ومع هذا يؤمن، ويوقن أنّه ألمع من تخرج من مدرسة الإمام جَعْفَر الصَّادِق! أعاذنا ٱللّه من مضغ هذا الْهَوَآء.

(وَاجْمَعْ لِي عِلْمَ ذٰلِكَ...) إشارة إلىٰ واجبات الوالدين بالكامل، والمعنىٰ إجعلني عالماً بكلّ ما عليَّ لهما (ثُمَّ اسْتَعْمِلْنِي بِمَا تُلْهِمُنِي مِنْهُ، وَوَفِّقْنِي لِلنُّفُوذِ...) بعد أنْ طَلَب الإمام من ٱللّه الهداية إلىٰ العلم بالواجبات سأله التّوفيق إلىٰ العمل بموجب العلم؛ لأنّ الهدف الأساس من كلّ علم هو التّنفيذ، والتّطبيق، وبتعبير فيلسوف معاصر: «ليست المعرفة بناءات ـ أو بنايات ـ تبنىٰ بالذهن ليتعلمها ٱلإنسَان، ثم يأوي إلىٰ مخدعه ليستريح» وكفىٰ.

(وَلاَ تَثْقُلَ أَرْكَانِي عَنِ الْحُفُوفِ...) المُراد بالثّقل هنا الكَسَل، والفتور، وبالأركان الأعضاء الّتي يتركب منها البدن، وبالحفوف الخدمة، من حفف الخدم حوله أي أحدقوا به. والمعنىٰ: هبْ لِي من لدنك قوةً، ونشاطاً في طاعة والديّ، ومرضاتهما.

---

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٤/٤١، الحكمة (١٦٥). المحلىٰ لابن حزم ٱلظّاهِري: ١/٤٥. المجموع: ٩/٣٥٢.

(٢) العنكبوت: ٨.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كَمَا شَرَّفْتَنَا بِهِ، وَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كَمَا أَوْجَبْتَ لَنَا الْحَقَّ عَلَىٰ الْخَلْقِ بِسَبَبِهِ.

أَللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَهَابُهُمَا هَيْبَةَ السُّلْطَانِ الْعَسُوفِ، وَأَبَرُّهُمَا بِرَّ الأُمِّ الرَّؤُوفِ، وَاجْعَلْ طَاعَتِي لِوَالِدَيَّ، وَبِرِّيْ بِهِمَا أَقَرَّ لِعَيْنِي مِنْ رَقْدَةِ الْوَسْنَانِ، وَأَثْلَجَ لِصَدْرِي مِنْ شَرْبَةِ الظَّمْآنِ حَتَّىٰ أُوثِرَ عَلَىٰ هَوَايَ هَوَاهُمَا، وَأُقَدِّمَ عَلَىٰ رِضَايَ رِضَاهُمَا، وَأَسْتَكْثِرَ بِرَّهُمَا بِي وَإِنْ قَلَّ، وَأَسْتَقِلَّ بِرِّي بِهِمَا، وَإِنْ كَثُرَ.

(أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كَمَا شَرَّفْتَنَا بِهِ) أي بميراثنا لعلمه، وعملنا بسنته، وسيرنا علىٰ طريقته، لا بمجرد الإنتساب إليه، قال سبحانه: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾[١]... ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٢]. وسئل ٱلرَّسُول الأعظم ﷺ عن أحبّ النّاس إلىٰ ٱللَّه؟ فقال: «أنفعهم للناس»[٣]. ويأتي في الدُّعاء: «لِتَرْفَعَنَا فَوْقَ مَنْ لَمْ يُطِقْ حَمْلَهُ»[٤] أي حمل علم ٱلْكِتَاب، والسّنة (كَمَا أَوْجَبْتَ لَنَا الْحَقَّ عَلَىٰ الْخَلْقِ بِسَبَبِهِ) يشير بهذا إلىٰ الآية: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[٥]، وما وجبت هَذِهِ الْمَوَدَّة إلا لأنّ أَهْل ٱلْبَيْت ﷺ أمتداد لجدهم ٱلرَّسُول ﷺ علماً، وعملاً، وسيرةً، وسريرةً.

(أَللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَهَابُهُمَا هَيْبَةَ السُّلْطَانِ الْعَسُوفِ): الظّلوم، يهاب والديه علىٰ

---

(١) المؤمنون: ١٠١.

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) أُنظر، كنز العمال: ١/١٥٥ ح ٧٧٢، المعجم الأوسط: ٦/١٣٩، مجمع الزّوائد: ٨/١٩١.

(٤) أُنظر، الثّاني والأربعون.

(٥) الشّورىٰ: ٢٣.

دنوه منهما، وعلمه بأنّهما أرأف به من نفسه. ولا غرابة، إنّها هيبة التّعظيم، والتّقدير، لا هيبة الخوف من العقاب العسير، هيبة الأبوة الّتي لا يُشعر بها إلا العارفون. كانت فاطمة عليها السلام بضعة من النّبي ﷺ، وأحبّ الْخَلْق إلىٰ قلبه، ومع هذا كانت تقول: «ما أستطعت أنْ أُكلم رَسُول ٱللَّه من هيبته»[1]. (وَأَبَرُّهُمَا بِرَّ الأُمِّ...) ولا شيء عند الأبوين أغلىٰ، وأثمن من بِرّ الإبن بهما، علماً بأنّه وفاء لدين سابق... ومع هذا يسعدان به سعادة الغارس بثمرات غرسه، وبهذه السّعادة نفسها يشعر الإبن البار إذا تأكد من سعادة أبويه به، ورضاهما عنه.

(الْوَسْنَانِ): من أخذه النّعاس (وَأَسْتَكْثِرَ بِرَّهُمَا بِي وَإِنْ قَلَّ، وَأَسْتَقِلَّ بِرِّي بِهِمَا وَإِنْ كَثُرَ) الْخَيْر منه ضئيل، وصغير بالغاً ما بلغ، ومنهما جليل، وكبير وإنْ كان حبّة من خردل؟! وليس هذا تواضعاً، بل إيماناً، وعَظَمَة نفس، وشعوراً حياً بمسؤولية التّكليف، وهو أمره تعالىٰ:﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[2]، وكلّ شيء قليل في جنب ٱللَّه، والشُّكْر له لمن قرن شكره بشكره. وهكذا العظيم يستصغر ٱلْحَسَنَة منه وإنْ كبرت، ويستكبر السّيئة وإنْ صغرت علىٰ العكس تماماً من الحقير، وفي الحديث الشّريف:« الْمُؤمِن يرىٰ ذنبه كأنّه صخرة يخاف أنْ تقع عَلَيْهِ، والمنافق يرىٰ ذنبه كذباب مرّ علىٰ أنفه فأطار فذهب»[3]. وقال قائل لأحد الْمُتّقِين حقاً، رأيت في منامي أنك في الْجَنَّة. فقال له: ويحك أما وجد الشَّيْطَان من يسخر منه غيري، وغيرك؟.

أَللَّهُمَّ خَفِّضْ لَهُمَا صَوْتِي، وَأَطِبْ لَهُمَا كَلاَمِي، وَأَلِنْ لَهُمَا عَرِيكَتِي،

---

(١) أُنظر، مناقب آل أبي طالب: ٣/ ١٢٠، مجمع الزّوائد: ١٠/ ٣٢٧، نظم درر السّمطين: ١٩٠.

(٢) لقمان: ١٤.

(٣) أُنظر، المصنّف للكوفي: ٨/ ١٦٠، كنز العمال: ٣/ ٦٩٩ ح ٨٥٠١، مسند أبي يعلىٰ: ٢/ ٤٧٥.

وَاعْطِفْ عَلَيْهِمَا قَلْبِي، وَصَيِّرْنِي بِهِمَا رَفِيقاً، وَعَلَيْهِمَا شَفِيقاً. أَللَّـهُمَّ اشْكُرْ لَهُمَا تَرْبِيَتِي، وَأَثِبْهُمَا عَلَىٰ تَكْرِمَتِي، وَاحْفَظْ لَهُمَا مَا حَفِظَاهُ مِنِّي فِي صِغَرِي.

أَللَّهُمَّ وَمَا مَسَّهُمَا مِنِّي مِنْ أَذًى، أَوْ خَلَصَ إِلَيْهِمَا عَنِّي مِنْ مَكْرُوهٍ، أَوْ ضَاعَ قِبَلِي لَهُمَا مِنْ حَقٍّ فَاجْعَلْهُ حِطَّةً لِذُنُوبِهِمَا، وَعُلُوّاً فِي دَرَجَاتِهِمَا وَزِيَادَةً فِي حَسَنَاتِهِمَا يَا مُبَدِّلَ السَّيِّئَاتِ بِأَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ.

(أَللَّهُمَّ خَفِّضْ لَهُمَا صَوْتِي) غضّ الصّوت، وخفضه من الآداب الشّرعية، والعرفيه، بخاصة عند مخاطبة الكبار، وأهل المكانة. وفي الآية: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[1]. (وَأَطِبْ لَهُمَا كَلَامِي) قال سبحانه: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[2]، علىٰ أنّ الكلمة الطّيبة بوجه عام كالشجرة الطّيبة: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[3]، (عَرِيكَتِي) طبيعتي (رَفِيقاً): لطيفاً لا فظاً غليظاً.

(أَللَّهُمَّ اشْكُرْ لَهُمَا...) أجزهما بالإحسان إحساناً، وبالسيئات عفواً وغفراناً (وَاحْفَظْ لَهُمَا مَا حَفِظَاهُ مِنِّي فِي صِغَرِي) أجزل لهما الأجر، والثّواب علىٰ ما لقيا من التّعب، والعناء في سبيلي رضيعاً، وصبياً. وقال رجل للنبي ﷺ: «إنّ أبوي بلغا من الكبر عتياً، وأنا أولىٰ منهما ـ أباشر ـ ما وليا مِنّي في الصّغر فهل قضيت حقهما؟ قال: لا، فإنّهما كانا يفعلان ذٰلِكَ، وهما يحبان بقاءك، وأنتَ تفعله، وتريد موتهما»[4] (أَللَّهُمَّ وَمَا مَسَّهُمَا مِنِّي مِنْ أَذًى...) كلّ ما أصابهما بسببي من مكروه

(١) لقمان: ١٩.

(٢) الإسراء: ٢٣.

(٣) إبراهيم: ٢٥.

(٤) أُنظر، تفسير مجمع البيان: ٢٤١/٦، بحار الأنوار: ٤٣/٧١، ولكن بلفظ: (ضم أبويك إلىٰ

(فَاجْعَلْهُ حِطَّةً): محواً (لِذُنُوبِهِمَا وَعُلُوّاً) لمقامهما عندك بحيث يكون شقاؤهما بي في الدُّنيا سبباً لسعادتهما في الآخرة.

(يَا مُبَدِّلَ السَّيِّئَاتِ بِأَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ) لمحو السيئات العديد من الطّريق، منها التَّوْبَة، ومنها إصلاح ذات البين، وكلّ عمل نافع مفيد للفرد، والجماعة، ومنها المَرَض فإنّه يحط السّيّئات، ويحتها حت الأوراق، علىٰ حدّ تعبير نهج البلاغة، ومنها العدوان حيث يتحمل المعتدي سيئات المعتدىٰ عَلَيْهِ، وأيضاً يأخذ هذا حسنات ذاك، وسبقت الإشارة إلىٰ ذٰلِكَ عند تفسير: «تُقَاصِّنِي بِهِ مِنْ حَسَنَاتِي، أَوْ تُضَاعِفُ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِي يَوْمَ أَلْقَاكَ يَا رَبِّ»[1].

أَللَّهُمَّ، وَمَا تَعَدَّيَا عَلَيَّ فِيهِ مِنْ قَوْلٍ، أَوْ أَسْرَفَا عَلَيَّ فِيْهِ مِنْ فِعْلٍ، أَوْ ضَيَّعَاهُ لِي مِنْ حَقٍّ، أَوْ قَصَّرا بِي عَنْهُ مِنْ وَاجِبٍ فَقَدْ وَهَبْتُهُ، وَجُدْتُ بِهِ عَلَيْهِمَا، وَرَغِبْتُ إِلَيْكَ فِي وَضْعِ تَبِعَتِهِ عَنْهُمَا فَإِنِّي لاَ أَتَّهِمُهُمَا عَلَىٰ نَفْسِي، وَلاَ أَسْتَبْطِئُهُمَا فِي بِرِّي، وَلاَ أَكْرَهُ مَا تَوَلَّيَاهُ مِنْ أَمْرِي يَا رَبِّ فَهُمَا أَوْجَبُ حَقّاً عَلَيَّ، وَأَقْدَمُ إِحْسَاناً إِلَيَّ، وَأَعْظَمُ مِنَّةً لَدَيَّ مِنْ أَنْ أُقَاصَّهُمَا بِعَدْلٍ، أَوْ أُجَازِيَهُمَا عَلَىٰ مِثْلٍ.

أَيْنَ إِذاً يَا إِلٰهِيْ طُولُ شُغْلِهِمَا بِتَرْبِيَتِي؟ وَأَيْنَ شِدَّةُ تَعَبِهِمَا فِي حِرَاسَتِيْ؟ وَأَيْنَ إِقْتَارُهُمَا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمَا لِلتَّوْسِعَةِ عَلَيَّ؟ هَيْهَاتَ مَا يَسْتَوْفِيَانِ مِنِّي حَقَّهُمَا، وَلاَ أُدْرِكُ مَا يَجِبُ عَلَيَّ لَهُمَا وَلاَ أَنَا بِقَاضٍ وَظِيفَةَ خِدْمَتِهِمَا.

← نفسك كما كانا يفعلان بك، وأنتَ صغير).

(١) أُنظر، الدُّعاء الثّاني والعشرون.

(أَللَّهُمَّ، وَمَا تَعَدَّيَا عَلَيَّ فِيهِ...) كما أوجب سبحانه حقوقاً للوالدين على الولد، أوجب أيضاً حقوقاً له عليهما، ومن أهمل، وقصّر أستحق اللّوم، والعقاب والداً كان، أو ولداً، والإمام السّجاد ﷺ يتجاوز، ويتنازل عما أفترضه ٱللَّه له علىٰ أبويه، وحملهما من حقه أياً كان نوعه، ويكون، وعبّر عن هذا التّسامح، والتّجاوز بقوله:(وَهَبْتُهُ عَلَيْهِمَا...) أسألك أَللَّهُمَّ أنْ لا تؤاخذ أبويّ علىٰ أي شيء يتصل بي من قريب، أو بعيد (فَإِنِّي لا أَتَّهِمُهُمَا عَلَىٰ نَفْسِي...) هما عندي، وفي عقيدتي من النّاصحين المخلصين لا تواني منهما في حَقِّي، ولا تقصير (وَلاَ أَكْرَهُ مَا تَوَلَّيَاهُ مِنْ أَمْرِي) مهما أتىٰ من المحبوب محبوب، والعكس بالعكس.

(فَهُمَا أَوْجَبُ حَقّاً عَلَيَّ، وَأَقْدَمُ إِحْسَاناً إِلَيَّ...) لِي حقّ، ولهما حقّ، ولكن حقهما أقدم، وأعظم (مِنْ أَنْ أُقَاصَّهُمَا بِعَدْلٍ...) لا مقاصة عادلة إلا مع المساواة، ولا مكان لها بين المنعم، والمنعم عَلَيْهِ. ومن هنا يُقتل الولد بوالده، ولا يُقتل الوالد بالولد.

(أَيْنَ إِذاً يَا إِلٰهِيْ طُولُ شُغْلِهِمَا...) لقد تحملا الضّيق، والشّدّة لأعيش في سعة، والتّعب، والعناء لأكون في راحة، والذّل، والهوان من أجل سعادتي (هَيْهَاتَ) بفتح التّاء، وكسرها، وضمها: إسم فعل بمعنىٰ بعُد (مَا يَسْتَوْفِيَانِ مِنِّي حَقَّهُمَا...) أقر، وأعترف بالعجز عن القيام مهما أجتهدت، وبالغت، لأنّه جسيم، وعظيم.

وبعدُ، فمن أراد أنْ يستدرك ما فرط من حقّ أبويه بعد موتهما، فلسيتغفر ٱللَّه لهما، ويقض دينهما، إنْ كان عليهما شيء منه لله، أو للناس، وإلا تَصدق عنهما بما يستطيع. وفي الحديث: «سَيِّد الأَبْرَار يَوْم الْقِيَامَة، رجل بَر والديه بعد موتهما»[1].

---

(١) أُنظر، مستدرك الوسائل: ١٣/ ٤١٤، بحار الأنوار: ٨٦/١٧ح ١٠٠، مستدرك سفينة البحار:

فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَعِنِّي يَا خَيْرَ مَنِ اسْتُعِينَ بِهِ، وَوَفِّقْنِي يَـا أَهْدَىٰ مَنْ رُغِبَ إِلَيْهِ، وَلاَ تَجْعَلْنِي فِي أَهْلِ الْعُقُوقِ لِلابآءِ، وَالأُمَّهاتِ يَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَيُظْلَمُونَ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِـهِ وَذُرِّيَّتِهِ، وَاخْصُصْ أَبَوَيَّ بِأَفْضَلِ مَـا خَصَصْتَ بِهِ آبَاءَ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأُمَّهَاتِهِمْ يَا أَرْحَمَ الـرَّاحِمِينَ.

(وَأَعِنِّي يَا خَيْرَ مَنِ اسْتُعِينَ بِهِ...) كلّ أدعية أهـل آلـبَيْت ﷺ، ومـناجاتهم، تهدف إلىٰ طَلَب الهداية، والعون، والتّوفيق للعلم بالحقّ، والْخَير، والعمل بموجبه، لأنّ التّوفيق هو الأصل، والمنطق لكلّ نفع، وصالح دنياً، وآخرة (وَلاَ تَجْعَلْنِي فِي أَهْلِ الْعُقُوقِ): العصيان، والّتمرد (لِلابآءِ وَالأُمَّـهاتِ) ولا أدري كـيف يـعق الولد والديه، وهو علىٰ علم الْيَقِين أنهما أرحم به من نفسه، وأنّهما يـضحيان بـالنفس، والنّفيس من أجله، ولا يجزي الإحسان بالإساءة إلا من فيه طبع الحيّة، والعقرب.

(صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِـهِ وَذُرِّيَّتِهِ) قيل: الذُّرية أخصّ من الآل؛ لأنّ الآل لكلّ ذي رحم، والذُّرية للنسل فقط. ولكن المُراد هنا العكس؛ لأنّ القصد من كلمة الآل في الصَّلاَة عَلَيْهِ، وعَلَيْهِمْ، المعصومون بالخصوص[1]. أمّا الصَّلاَة علىٰ الذُّرية فتعم

.٤٤٤/١٠

(١) يقصد بذلك آلِ ألرَّسُول ﷺ الّذين خصّهم ألله بالمكارم، والفضائل، ونـزّههم عـن النّـقائص بـقوله تـعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، الأحـزاب: ٣٣. وفرض مودتهم علىٰ جميع المسـلمين بـقوله تـعالىٰ: ﴿قُـل لَّا أَسْـأَلُكُمْ عَـلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِـى الْقُرْبَىٰ﴾الشّورىٰ: ٢٣.

وما أحسن قول الصاحب بْن عبّادٍ فيهم حيث قال: هم ـ وألله ـ الشّجرة الطّيبة، والغمامة

كلّ مؤمن صالح من نسل ٱلرَّسُول الأعظم ﷺ (وَاخْصُصْ أَبَوَيَّ بِأَفْضَلِ) ما تخص به المقربين لديك.

أَللَّهُمَّ لاَ تُنْسِنِي ذِكْرَهُمَا فِي أَدْبَارِ صَلَوَاتِي، وَفِي أَناً مِنْ آناءِ لَيْلِي، وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ نَهَارِي.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاغْفِرْ لِي بِدُعَائِي لَهُمَا، وَاغْفِرْ لَهُمَا بِبِرِّهِمَا بِي، مَغْفِرَةً حَتْماً، وَارْضَ عَنْهُمَا بِشَفَاعَتِي لَهُمَا رِضَىً عَزْماً، وَبَلِّغْهُمَا بِالْكَرَامَةِ مَوَاطِنَ السَّلاَمَةِ.

أَللَّهُمَّ، وَإِنْ سَبَقَتْ مَغْفِرَتُكَ لَهُمَا فَشَفِّعْهُمَا فِيَّ، وَإِنْ سَبَقَتْ مَغْفِرَتُكَ لِي فَشَفِّعْنِي فِيهِمَا، حَتَّىٰ نَجْتَمِعَ بِرَأْفَتِكَ فِي دَارِ كَرَامَتِكَ، وَمَحَلِّ مَغْفِرَتِكَ، وَرَحْمَتِكَ.

إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَالْمَنِّ الْقَدِيمِ، وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

(أَللَّهُمَّ لاَ تُنْسِنِي ذِكْرَهُمَا فِي أَدْبَارِ صَلَوَاتِي) كان الشّعب العاملي، المعروف الآن بجنوب لبنان، من أشد النّاس ولاءً لأهل ٱلْبَيْت ﷺ، وأحرصهم علىٰ حفظ مناقبهم، وآثارهم، وبخاصة الأدعية حيث يكررونها صباحَ مساء، وكان من عادة العامليين أنْ يقرأوا سورة الفاتحة بعد الصَّلاة، ويهدون ثوابها إلىٰ الأبوين، وما زال الكثير منهم علىٰ ذٰلِكَ. وغير بعيد أنْ يكون المصدر هذا الدُّعاء بالذات (وَفِي أَناً مِنْ

« الصيّبة، والعلم الزّاخر، والبحر الَّذِي ليس يدرك له آخر الفضل العلوي، والفخر الحسني، والإباء الحسيني، والزّهد الزّينبي، والعلم الباقري، والحديث الصادقي، والحلم الكاظمي، والتّفنّن الرّضوي، والمعجز الجوادي، والبرهان الهادي، وخذ إلىٰ الحَسن وابنه من روح الفضل وغصنه، إمام بعد إمام، يعتمّ بالنبوة، ويتقمّص بالإمامة، ويتمنطق بالكرامة (أنظر، ينابيع المودّة: ١ / ٤ ط ٧ قم منشورات الشّريف الرّضي).

آناءِ لَيْلِي، وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ...) لا تنسني ذكرهما في أيّ وقتٍ، وحين.

(وَاغْفِرْ لِي...) اجْعَلْ ثوابي عندك علىٰ البر بهما، وثوابهما علىٰ البر بي - مغفرتك ورَحْمَتِك لِي، ولهما (حَتْماً): غفراناً محترماً (رِضَيٌّ عَزْماً): معزوماً أي مقصوداً (وَبَلِّغْهُمَا بِالْكَرَامَةِ مَوَاطِنَ السَّلاَمَةِ) تكرم عليهما بالجنة، وتفضل (وَإِنْ سَبَقَتْ مَغْفِرَتُكَ لَهُمَا...) إنْ تك منزلتهما لديك أعلىٰ، وأرفع من مكانتي فارْحَمْنِي بشفاعتهما، وإنْ تك منزلتي أعلىٰ فارحمهما بشفاعتي (حَتَّىٰ نَجْتَمِعَ) في جنانك، ونسعد برضوانك.

والخُلاصة: أنّ للوالدين حقوقاً تمتاز عن أكثر الحقوق حتّىٰ عن حقّ الْمُؤْمِن علىٰ الْمُؤْمِن ولو كان الأبوان مُشركين بنص الْقُرْآن ٱلْكَرِيمِ: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[1].

(١) لقمان: ١٥.

الدُّعاء الخامس والعشرون

دُعَاؤُهُ لِوُلْدِهِ عليه السلام

أَللَّهُمَّ، وَمُنَّ عَلَيَّ بِبَقَاءِ وُلْدِي، وَبِإصْلاَحِهِمْ لِي، وَبِإمْتَاعِي بِهِمْ. إلٰهِي أمْدُدْ لِي فِي أعْمَارِهِمْ، وَزِدْ لِي فِي آجَالِهِمْ، وَرَبِّ لِي صَغِيرَهُمْ، وَقَوِّ لِي ضَعِيفَهُمْ، وَأصِحَّ لِي أبْدَانَهُمْ، وَأدْيَانَهُمْ، وَأخْلاَقَهُمْ، وَعَافِهِمْ فِي أنْفُسِهِمْ، وَفِي جَوَارِحِهِمْ، وَفِي كُلِّ مَا عُنِيتُ بِهِ مِنْ أمْرِهِمْ، وَأدْرِرْ لِي وَعَلَىٰ يَدِي أرْزَاقَهُمْ، وَاجْعَلْهُمْ أبْرَاراً أتْقِيَاءَ بُصَراءَ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ لَكَ، وَلأوْلِيَائِكَ مُحِبِّينَ مُنَاصِحِينَ، وَلِجَمِيعِ أعْدَآئِكَ مُعَانِدِينَ، وَمُبْغِضِينَ آمِينَ...

(أَللَّهُمَّ، وَمُنَّ عَلَيَّ بِبَقَاءِ وُلْدِي) يتمنىٰ الوالد طول الحياة لولده، لأنّه أمتداد لوجوده، وذكره، وأجله، وعمره (وَبِإصْلاَحِهِمْ لِي) أجعلهم من أهل الإيمَان، والصّلاح كي يطيعوك شاكرين، ويسمعوا مِنّي غير عاصين (وَبِإمْتَاعِي بِهِمْ...) أتقوىٰ بهم في شيخوختي، ويخدموني في ضعفي، وعلتي (وَرَبِّ لِي صَغِيرَهُمْ) مدني بالعون من فضلك علىٰ تربيتهم تربية صالحة نافعة.

التَّوكل في العمل لا في البطالة، والكَسَل

(وَقَوِّ لِي ضَعِيفَهُمْ، وَأَصِحَّ...) أسألك يا إلهي أنْ يكون أولادي بالكامل أصحاء أقوياء، وأبراراً أتقياء... وليس معنىٰ هذا أنْ يهمل الوالد شأن أولاده بالمرة، ويترك تدبيرهم لله وهو واقف ينظر، ويتفرج، بل معناه أنْ يأخذ للأمر هبته من أجلهم، ويكافح بلا كللٍ، وملل، في سبيلهم متوكلاً علىٰ ٱللَّه مستعيناً به في التَّوفيق، وبلوغ الغاية، وٱللَّه سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملاً، كيف! وقد أمر بالجهاد، والنِّضال وقال فيما قال: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[1]، وندد بمن يعيش كَلاً علىٰ سواه في الآية: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَـٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

وما من شك أنَّ من ترك الكدح، والعمل من طاقته، وقدرته بزعم الإتكال علىٰ ٱللَّه ـ فقد تمرد علىٰ أمره تعالىٰ، ووضع رأيه فوق مشيئة الخالق، وإرادته من حيث يريد، أو لا يريد، وتواتر عن ٱلرَّسُول الأعظمﷺ: «إعقلها وتوكل»[3]، وقال حكيم قديم: «إنَّ ٱللَّه سبحانه أمرنا بالتوكل عَلَيْهِ في العمل لا في البطالة، والكَسَل»[4]. وبكلام آخر أنَّ التَّربية من صنع الإنسان، ولها أُسس، وقوانين تماماً كالصناعة،

---

(١) التَّوْبَة: ١٠٥.

(٢) النَّحل: ٧٦.

(٣) أُنظر، صحيح التِّرمذي: ٧٧/٤، فتح الباري: ٣٠٤/٣، الجامع الصَّغير: ١٨٠/١، كنز العمال: ١٠١/٣ ح ٥٦٨٧ و ٥٦٩٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣٠٦/٢٠، صحيح ابن حبان: ٥١٠/٢.

(٤) أُنظر، المبسوط للسرخسي: ٢٤٧/٣٠.

والزّراعة وغيرهما. والإمام ﷺ في دعائه هذا يسأل ٱللَّه سبحانه أنْ يمهد له السّبيل إلىٰ التّنفيذ، والقيام بما فرضه عَلَيْهِ من تربية الأَوْلاَد، والعناية بهم، والكدح من أجلهم، وسبق الكلام عن ذٰلِكَ[1]. وأيضاً قد يأتي بأُسلوب ثالث، أو رابع.

أجهل النّاس بالله

(وَأَدْرِرْ لِي، وَعَلَىٰ يَـدِي أَرْزَاقَهُمْ) ما داموا صغاراً، وأطفالاً حتّىٰ إذا بلغوا أشدهم سعوا في ٱلأرْض، وأكلوا من كدّ اليمين. وفيه إيماء إلىٰ أنّه ينبغي للإنسان أنْ يحتاط ويحترز من أنّ يترك أيتاماً بلا مالٍ، ولا راعٍ، وكفيل، وفي الحديث: «إنْ تذر ورثتك أغنياء خير من أنْ تذرهم عالة يتكففون النّاس» وقريب منه قوله تعالىٰ: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[2].

وأجهل خلق ٱللَّه بالله، ودينه، وسُنته، وشريعته، من ترك العلاج للشفاء، والسّعي للرزق زاعماً ـ بلسان حاله، وأفعاله ـ أنّه قد أخذ من ٱللَّه عهداً أنْ يعطيه ما يحتاج بمجرد نية التّوكل دون أنْ يسرح، ويتزحزح! إنّ ٱللَّه سبحانه هو ٱلَّذِي يشفي المريض، ما في ذٰلِكَ ريب، ولكن بالعلاج، ويطعم الجائع، ولكن بالسعي تماماً كما يخلق الحيوان من النّطفة، والشّجرة من النّواة، واللّيل، والنّهار من دوران ٱلأرْض... وهكذا كلّ ما في السّموات، وٱلأرْض من أسبابٍ، ومسببات، تُرد إلىٰ السّبب الأوّل كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[3].

أَللَّهُمَّ اشْدُدْ بِهِمْ عَضُدِي، وَأَقِمْ بِهِمْ أَوَدِي، وَكَثِّرْ بِهِمْ عَدَدِي، وَزَيِّنْ

---

(١) أُنظر، الدُّعاء العشرون.

(٢) النّور: ٣٣.

(٣) الأعلىٰ: ٢ ـ ٣.

بِهِمْ مَحْضَرِي، وَأَحْيِ بِهِمْ ذِكْرِي، وَاكْفِنِي بِهِمْ فِي غَيْبَتِي، وَأَعِنِّي بِهِمْ عَلَىٰ حَاجَتِي، وَاجْعَلْهُمْ لِي مُحِبِّينَ، وَعَلَيَّ حَدِبِينَ مُقْبِلِينَ مُسْتَقِيمِينَ لِيْ، مُطِيعِينَ غَيْرَ عَاصِينَ، وَلاَ عَاقِّينَ، وَلاَ مُخَالِفِينَ، وَلاَ خَاطِئِينَ، وَأَعِنِّي عَلَىٰ تَرْبِيَتِهِمْ، وَتَأْدِيبِهِمْ، وَبِرِّهِمْ، وَهَبْ لِيْ مِنْ لَدُنْكَ مَعَهُمْ أَوْلاَداً ذُكُوراً، وَاجْعَلْ ذَلِكَ خَيْراً لِي، وَاجْعَلْهُمْ لِي عَوناً عَلَىٰ مَا سَأَلْتُكَ.

هذا الجزء من الدُّعاء واضح لا يحتاج إلىٰ الشّرح، والتّفسير، وأيضاً تَقَدَّمَ بالحرف، أو بالمضمون في هذا الدُّعاء، وغيره، ولذا نكتفي بالإشارة إلىٰ المُراد من بعض المفردات، والفرق بين عطف الوالد علىٰ ولده، وعطف هذا علىٰ أبيه، ثُمَّ نذكر ما يهدف إليه الإمام بإشارة خاطفة.

(عَضُدِي) العضد: السّاعد وهو من المرفق إلىٰ الكتف، والمُراد به هنا القوة، والمساعدة، قال سبحانه: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا﴾[1]، أي يساعدك، ويعينك (أَوَدِيْ): ثقلي، وحملي، قال عزّ من قائل: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[2] أي لا يثقله حفظهما (حَدِبِينَ): مُشفقين.

بين عطف الوالد، والولد

أوصىٰ سبحانه الولد بوالديه، وأمره بالعطف عليهما، ولم يوص الوالد بشيء من ذلِكَ، والسّر واضح؛ لأنّ الولد بضعة من الوالد، بل هو نفسه، ولا عكس، قال الإمام أمير المُؤْمِنِين ﷺ لولده الإمام الحَسن ﷺ: « وجدتك بعضي، بل وجدتك كلّي

---

(١) القصص: ٣٥.

(٢) ٱلْبَقَرَة: ٢٥٥.

حتّىٰ كأنّ شيئاً لو أصابك أصابني»[١] وكتب ولد لوالده: جُعلت فداك. فكتب إليه والده: لا تقل مثل هذا، فأنت علىٰ يومي أصبر مِنّي علىٰ يومك. ومن الأمثال عندنا في جبل عامل: قَلْبِي علىٰ قلب وِلْدِي، وقلب وِلْدِي علَيَّ مِنْ حجر[٢]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾[٣] وما قال: إنّ من آبائكم، وأُمهاتكم عدواً لكم فاحذروهم، لأنّ عاطفة الوالدين ذاتية كما أشرنا، أمّا عاطفة الولد نحو أبويه فهي في ـ الغالب ـ مجرد المصلحة، وقد تكون هَـٰذِهِ المصلحة في موت والده. فينقلب عَلَيْهِ عدواً كما أشارت آية التّغابن، وفي الأشعار[٤]:

أرىٰ ولد الفتىٰ كَلاً عَلَيْهِ　　لقد سعد الَّذِي أمسىٰ عقيماً
فإمّا أنْ تربية عدواً　　وإمّا أنْ تخلفه يتيماً

وكنت ذات يَوْم في «التّكسي» ذاهباً إلىٰ المطبعة، وفيها مراهقان، فسمعت أحدهما يقول للآخر: هنيئاً لك، أبوك من ذوي الأملاك، والأموال. فقال له عَلناً، وبكلّ صراحة، ووقاحة: «لكن العكروت[٥] ما كان يموت» والكثير من الجيل

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٣/٣٨، ٱلْكِتَاب (٣١)، شرح نهج البلاغة لمعتزلي: ١٦/٥٧، شرح نهج البلاغة لعبده: ٣/٤٣، نظم درر السّمطين: ١٦٢، ينابيع الْمَوَدَّة: ٣/٤٣٨، تحف العقول: ٦٨، مناقب آل أبي طالب: ٣/١٩٩.

(٢) أُنظر، كِتَاب الأمثال البغدادية: ٣٥١.

(٣) التّغابن: ١٤.

(٤) ينسب هَذِهِ الشّعر إلىٰ القاضي أبي القاسم التنوخي (الصّغير)، قبل موته بقليل، دخل عَلَيْهِ القاضي أبي عبد ٱللَّه ابن الدّامغاني، قال فأخرج إليّ ولده من جاريةٍ له فلما رآها بكىٰ فقلت: تعيش إنْ شاء ٱللَّه، وتربيه، ويقر ٱللَّه عينك به، فقال: هيهات وٱللَّه ما يتربىٰ إلا يتيماً، وأنشد هَذِهِ الشّعر. أُنظر، معجم الأدباء: ١٤/١١٠ ـ ١٢٤.

(٥) العكروت: كلمة قبيحة في اللّهجة اللبنانية.

الجديد علىٰ هَٰذِهِ الطّوية، والسّجية.

وبعد، فإنّ الولد إمّا نعيم ليس كمثله إلا الجنّة، وإمّا جحيم دونه عذاب الحريق، والويل كلّ الويل لمن إبتلاه ٱللَّه بامرأة سوء، وولد عاق... والإمام ﷺ يدعو ٱللَّه ويناشده في أنْ يمده، ويسعده بأولاد يُحبهم، ويُحبونه، أذلة عَلَيْهِ، وعلىٰ ٱلْمُؤْمِنِين، أعزة علىٰ أعداء ٱللَّه، وأعدائه، وزَينٌ له في مغيبه، ومحضره، وفي الحديث: «إنّ ٱللَّه سبحانه رفع العذاب عن رجلٍ أَدْرَكَ له ولد صالح، فأصلح طريقاً، وآوىٰ يتيماً»[١].

وَأَعِذْنِي، وَذُرِّيَّتِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَإِنَّكَ خَلَقْتَنَا، وَأَمَرْتَنَا، وَنَهَيْتَنَا، وَرَغَّبْتَنَا فِي ثَوَابِ ما أَمَرْتَنَا، وَرَهَّبْتَنَا عِقَابَهُ، وَجَعَلْتَ لَنَا عَدُوّاً يَكِيدُنَا، سَلَّطْتَهُ مِنَّا عَلَىٰ مَا لَمْ تُسَلِّطْنَا عَلَيْهِ مِنْهُ، أَسْكَنْتَهُ صُدُورَنَا، وَأَجْرَيْتَهُ مَجَارِيَ دِمَائِنَا، لاَ يَغْفُلُ إِنْ غَفَلْنَا، وَلاَ يَنْسَىٰ إِنْ نَسِينَا، يُؤْمِنُنَا عِقَابَكَ، وَيَخَوِّفُنَا بِغَيْرِكَ، إِنْ هَمَمْنَا بِفَاحِشَةٍ شَجَّعَنَا عَلَيْهَا، وَإِنْ هَمَمْنَا بِعَمَلٍ صَالِحٍ ثَبَّطَنَا عَنْهُ، يَتَعَرَّضُ لَنَا بِالشَّهَوَاتِ، وَيَنْصِبُ لَنَا بِالشُّبُهَاتِ، إِنْ وَعَدَنَا كَذَبَنَا وَإِنْ مَنَّانا، أَخْلَفَنَا وَإِلّا تَصْرِفْ عَنَّا كَيْدَهُ... يُضِلَّنَا، وَإِلّا تَقِنَا خَبالَهُ... يَسْتَزِلَّنَا.

أَللَّهُمَّ فَاقْهَرْ سُلْطَانَهُ عَنَّا بِسُلْطَانِكَ حَتَّىٰ تَحْبِسَهُ عَنَّا بِكَثْرَةِ ٱلدُّعَاءِ لَكَ، فَنُصْبِحَ مِنْ كَيْدِهِ فِي ٱلْمَعْصُومِينَ بِكَ.

(وَأَعِذْنِي، وَذُرِّيَّتِي...) واضح، وتَقَدَّمَ[٢]. (فَإِنَّكَ خَلَقْتَنَا، وَأَمَرْتَنَا...) خَلَق

(١) أُنظر، الكافي: ٤/٦، أمالي الشّيخ الصّدوق: ٤١٤، وسائل الشّيعة: ٥٦١/١١ ح ٢.

(٢) أُنظر، الدُّعاء: الثّالث والعشرون.

سبحانه ٱلإنسَان، ومنحهُ العقل، والقُدرة، والحرية، وبهذه العناصر الثّلاثة مجتمعة يستحق الثّواب علىٰ الطّاعة، والعقاب علىٰ المعصية (وَرَهِّبْتَنَا عِقَابَهُ) أي خـوفتنا عقاب عصيان ما أمرتنا به، ونهيتنا عنه (وَجَعَلْتَ لَنَا عَدُوّاً) وهو الوسواس الخناس ٱلَّذِي يغلي في الصّدور من الحقد، والحسد، والعزم علىٰ غـيرهما مـن المـآثم... والدّليل علىٰ إرادة هذا المعنىٰ قوله: (أَسْكَنْتَهُ صُدُورَنَا، وَأَجْرَيْتَهُ مَجَارِيَ دِمَائِنَا)، أمّا قوله: (سَلَّطْتَهُ مِنَّا عَلَىٰ مَا لَمْ تُسَلِّطْنَا عَلَيْهِ) فمعناه أنّ هذا الوسواس الخبيث لا هو يذهب من تلقائه، ولا نحن نستطيع الفرار منه... وهذا صحيح لا ريب فيه، ومـن أجل ذٰلِكَ لا يحاسب سبحانه، ويعاقب علىٰ أي شيء يدور، ويمور في النّفس من الافكار، والنّوايا السّوداء إلا إذا ظهرت، وتجسمت في قولٍ، أو فعلٍ.

(يُؤْمِنُنَا عِقَابَكَ) يضمن لنا الأمن، والأمان من غـضبك، وعـذابك (وَيـخَوِّفُنَا بِغَيْرِكَ) ومن ذٰلِكَ أنّ ٱللَّه سبحانه قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾[1]، والنّفس الأمارة، أو الوسواس يـخوفنا ٱلْفَقر، إنْ أطعنا، وأنفقنا (إِنْ هَمَمْنَا بِفَاحِشَةٍ شَجَّعَنَا عَلَيْهَا...) يشير بهذا إلىٰ جهاد النّفس ٱلَّتي تحاول التّغلب بالهوىٰ علىٰ العقل، والتّقوىٰ (وَيَنْصِبُ لَنَا بِـالشُّبُهَاتِ) أظهر لنا الأفكار الخاطئة ٱلَّتي تُلبس ٱلْحَقّ ثوب ٱلْبَاطِل، وٱلْبَاطِل ثـواب الْـحَقّ، وتوقع السّذج البسطاء في الشّك، والحيرة.

(إِنْ وَعَدَنَا كَذَبَنَا...) قـال سـبحانه وتـعالىٰ: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾[2] (وَإِلَّا تَـصْرِفْ عَـنَّا كَـيْدَهُ يُـضِلَّنَا) إقـتباس مـن الآيـة: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾[3] أي إنْ لم تعني علىٰ

(١) ٱلْبَقَرَة: ٢٦٧.

(٢) النّساء: ١٢٠.

(٣) يوسف: ٣٣.

نَفْسِي أكن من الجاهلين (وَالِّا تَقِنَا خَبالَهُ): فساده (يَسْتَزِلَّنَا) يوقعنا بالزلل، والخطايا (فَاقْهَرْ سُلْطَانَهُ عَنَّا بِسُلْطَانِكَ...) هبّ لنا من لدنك صبراً عن الحرام، ونصراً علىٰ الهوىٰ حتّىٰ لا نعصيك في جميع الحالات (تَحْبِسَهُ عَنَّا بِكَثْرَةِ ألدُّعَاءِ لَكَ) حثثت علىٰ الدُّعاء، ووعدت بالإجابة، وقد دعونا أنْ تصد عنا كلّ مكروه، وتوسلنا بك، وأكثرنا، فكن لدعائنا مجيباً، ومن ندائنا قريباً.

أللَّهُمَّ أعْطِنِي كُلَّ سُؤْلِي، وَاقْضِ لِي حَوَائِجِي، وَلاَ تَمْنَعْنِي الإجَابَةَ وَقَدْ ضَمِنْتَهَا لِي، وَلاَ تَحْجُبْ دُعَائِي عَنْكَ، وَقَدْ أمَرْتَنِي بِهِ.

وَامْنُنْ عَلَيَّ بِكُلِّ مَا يُصْلِحُنِيْ فِيْ دُنْيَايَ، وَآخِرَتِي مَا ذَكَرْتُ مِنْهُ، وَمَا نَسِيتُ، أوْ أظْهَرتُ، أوْ أخْفَيْتُ، أوْ أعْلَنْتُ، أوْ أسْرَرْتُ.

وَاجْعَلْنِي فِي جَمِيعِ ذٰلِكَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ بِسُؤَالِي إيَّاكَ، الْمُنْجِحِينَ بِالطَّلَبِ إلَيْكَ، غَيْرِ الْمَمْنُوعِينَ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ، الْمُعَوَّدِينَ بِالتَّعَوُّذِ بِكَ، الرَّابِحِينَ فِي التِّجَارَةِ عَلَيْكَ، الْمجَارِيْنَ بِعِزِّكَ، الْمُوَسَّعِ عَلَيْهِمُ الرِّزْقُ الْحَلاَلُ مِنْ فَضْلِكَ الْوَاسِعِ بِجُودِكَ، وَكَرَمِكَ، الْمُعَزِّينَ مِنَ الذُّلِّ بِكَ، وَالْمجَارِينَ مِن الظُّلْمِ بِعَدْلِكَ، وَالْمُعَافَيْنَ مِنَ الْبَلاءِ بِرَحْمَتِكَ، وَالْمُغْنَيْنَ مِنَ الْفَقْرِ بِغِنَاكَ، وَالْمَعْصومِينَ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالزَّلَلِ، وَالْخَطَأ بِتَقْوَاكَ، وَالْمُوَفَّقِينَ لِلْخَيْرِ، وَالرُّشْدِ، وَألصَّوَابِ بِطَاعَتِكَ، وَالْمحَالِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الذُّنُوبِ بِقُدْرَتِكَ، التَّارِكِينَ لِكُلِّ مَعْصِيَتِكَ، السَّاكِنِينَ فِي جِوَارِكَ.

(أللَّهُمَّ أعْطِنِي كُلَّ سُؤْلِي ...) مطلوبي وهو قضاء حوائجي، فقد أنزلتها بك دون سِواكَ (وَلاَ تَمْنَعْنِي الإجَابَةَ، وَقَدْ ضَمِنْتَهَا لِي) بقولك: ﴿أدْعُونِيٓ أسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1]،

---

(١) غافر: ٦٠.

ثُم بيّن الإمام ﷺ هَذِهِ الْحَوَائِج بقوله: (وَامْنُنْ عَلَيَّ بِكُلِّ مَا يُصْلِحُنِي...) هذا هو هَم الْمُؤمِن، وهمته: الصّلاح، وعمل الْخَيْر في الدُّنْيَا، والنّجاة، والخلاص في الآخرة، لا التّكاثر، والتّفاخر (مَا ذَكَرْتُ مِنْهُ، وَمَا نَسِيتُ...) واضح، وتَقَدّمَ مثله[1].

(وَاجْعَلْنِي فِي جَمِيعِ ذٰلِكَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ بِسُؤَالِي إِيَّاكَ...) أسترشدك بدعائي بكلّ ما فيه صلاحي في الدُّنْيَا، وفوزي في الآخرة (غَيْرِ الْمَمْنُوعِينَ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ) أنْتَ يا إلهي تسمع الشّاكين إليك، ولا تمنع الْمُتَوَكِّلِين عَلَيْكَ، وأنا منهم، وأيضاً أنا من (الْمُعَوَّدِينَ بِالتَّعَوُّذِ بِكَ) لقد عوّدت الّذين يتعوذون بك، ويلوذون، أنْ لا تردهم خائبين (الرَّابِحِينَ فِي التِّجَارَةِ عَلَيْكَ) أي منك كقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾[2] أي من النّاس، والمجرور متعلق بالراجين، والمعنىٰ من عمل صالحاً لوجه ٱللّٰه تعالىٰ زاده من فضله، والإمام يسأل ٱللّٰه أنْ يجعله من العاملين له لا لسواه، ومن (الْمُجَارِيْنَ بِعِزِّكَ): المحفوظين بعناية ٱللّٰه، وحراسته (الْمُوَسَّعِ عَلَيْهِمُ الرِّزْقُ الْحَلَالُ...) ولا شيء أجل، وأحل من لقمة يأكلها المرء بكدحه، وسعيه لا بالرياء، ورداء الصّلحاء.

(الْمُعَزِّينَ مِنَ الذُّلِّ بِكَ) أي بطاعتك، وكم من أُناس طلبوا العزّ بالنسب، والثّراء، والخداع، والرّياء فاتضعوا، وذلوا (وَالْمُجَارِينَ مِنَ الظُّلْمِ بِعَدْلِكَ) أجرني بعدلك، وقدرتك من كلّ ظَالِم (وَالْمُعَافَيْنَ مِنَ الْبَلاءِ بِرَحْمَتِكَ...) ارْحَمْنِي برحمتك، وآمنن عليّ قبل الْبَلاء بعافيتك، وأيضاً أغنني بفضلك عن النّاس، وأبعدني بعنايتك عن الخطإ، والْخَطِيئة، ووفقني للعمل بطاعتك... وكلّ ذٰلِكَ تَقَدّمَ مراراً، وتكراراً. وأخيراً اجعلني في الآخرة من (السَّاكِنِينَ فِي جِوَارِكَ) ومن سكن

(١) أُنظر، الدُّعاء، الثّاني والعشرون.

(٢) المطففين: ٢.

في جوار العظيم ٱلْكَرِيمِ فهو في حرزٍ حارز، وحصنٍ مانع من كلّ سوء.

أَللَّهُمَّ أَعْطِنَا جَمِيعَ ذٰلِكَ بِتَوْفِيقِكَ، وَرَحْمَتِكَ، وَأَعِذْنَا مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ، وَأَعْطِ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ، وَالْمُسْلِمَاتِ، وَالْمُؤْمِنِيْنَ، وَالْمُؤْمِنَاتِ مِثْلَ الَّذِي سَأَلْتُكَ لِنَفْسِي، وَلِوُلْدِي فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، وَآجِلِ الآخِرَةِ.

إِنَّكَ قَرِيبٌ، مُجِيبٌ، سَمِيعٌ، عَلِيمٌ، عَفُوٌّ، غَفُورٌ، رَؤُوفٌ، رَحِيمٌ.

وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

(أَللَّهُمَّ أَعْطِنَا جَمِيعَ ذٰلِكَ...) إشارة إلىٰ كلّ ما تَقَدَّمَ من صحة الأبدان، والأديان إلىٰ وفرة الأرزاق، والسّكنىٰ في جوار ٱلرَّحْمَـٰنِ (وَأَعْطِ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ، وَالْمُسْلِمَاتِ...) ختم الإمام دُعَاءه هذا بالرجاء أنْ يوفق سبحانه، ويسهل السّبيل إلىٰ ما ذكر، وسأل لنفسه، ولذويه، وَأَهْل ٱلتَّوْحِيد، لأنّ من أخص خصائص الْمُؤْمِن أنْ يكون تعاونياً مع الجميع. وفي الحديث: «للمؤمن علىٰ أخيه الْمُؤْمِن ثلاثون حقاً...ويُحِبُّ له من الْخَيْر ما يُحِبُّ لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه»[1]... «المؤمنون كالجسد الواحد إذا ٱشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر الأعضاء بالسهر والحمي»[2] هذا، إلىٰ أنّ العلاقة ما بين أفراد المجتمع الواحد حتمية لتشابك المصالح، ووحدة المصير. (وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً...) تَقَدَّمَ مثله[3].

(١) أُنظر، الأختصاص للشيخ المفيد: ٢٣٤، أمالي الطّوسي: ٤٧٨، المجموع: ١٥٣/٩، المحلىٰ: ١٤٣/١١.

(٢) روي هذا الحديث بألفاظ متعددة كما جاء في حواشي الشرواني: ١٨٠/٩، كتاب المؤمن: ٣٨ ح ٨٥ و ٨٦، الكافي: ١٦٦/٢، شرح أُصول الكافي: ٣٤/٩، المهود المحمدية: ٥٨٨، البداية والنهاية: ٤٧/٧، فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٢٣٥/٣.

(٣) أُنظر، آخر الدُّعاء: العشرون.

الدُّعاء السّادس والعشرون

دُعَاؤُهُ لِجِيْرَانِهِ، وَأَوْلِيائِهِ

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَتَوَلَّنِي فِي جِيرَانِي، وَمَوَالِيَّ الْعَارِفِينَ بِحَقِّنَا، وَالْمُنَابِذِينَ لأَعْدَائِنَا بِأَفْضَلِ وَلاَيَتِكَ، وَوَفِّقْهُمْ لإِقَامَةِ سُنَّتِكَ، وَالأَخْذِ بِمَحَاسِنِ أَدَبِكَ فِي إِرْفَاقِ ضَعِيفِهِمْ، وَسَدِّ خَلَّتِهِمْ، وَعِيَادَةِ مَرِيضِهِمْ، وَهِدَايَةِ مُسْتَرْشِدِهِمْ، وَمُنَاصَحَةِ مُسْتَشِيرِهِمْ، وَتَعَهُّدِ قَادِمِهِمْ، وَكِتْمَانِ أَسْرَارِهِمْ، وَسَتْرِ عَوْرَاتِهِمْ، وَنُصْرَةِ مَظْلُومِهِمْ، وَحُسْنِ مُوَاسَاتِهِمْ بِالْمَاعُونِ، وَالْعَوْدِ عَلَيْهِمْ بِالْجِدَةِ، وَالإِفْضَالِ، وَإِعْطَاءِ مَا يَجِبُ لَهُمْ قَبْلَ السُّؤَالِ.

(وَتَوَلَّنِي) يقال: اَللّٰه وليك أي حافظك، وتولىٰ أمرك: قام به وأعتني، وهذا هو المقصود هنا (وَمَوَالِيَّ الْعَارِفِينَ بِحَقِّنَا) المُراد بالموالي هنا من دان، وتشيع لأهل اَلْبَيْت، أمّا حقهم فالمراد به الطّاعة فيما يقولون، والتّمسك بهم تماماً كالتمسك بالقرآن اَلْكَرِيمِ لحديث الثّقلين[1] وآية التّطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ

(١) (يا أيّها النّاس إني فرط، وأنتم واردون عليَّ الحوض، وإنّ عرضه ما بين بُصرى إلىٰ صنعاء

↔ (كانت بصرىٰ أسماً لقرية بالقرب من دمشق، وأُخرىٰ بالقرب من بغداد) فيه عدد النّجوم قدحان من فضّة، وإنّي سائلكم عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما. فنادىٰ منادٍ: وما الثقلان يا رَسُول ٱللَّه؟ قال: كِتَاب ٱللَّه، طرف بيد ٱللَّه وطرف بأيديكم، فاستمسكوا بـه، لا تـضلّوا ولا تبدّلوا، وعترتي أهْل بيتي وقد نبّأني اللّطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّىٰ يردا عليّ الحـوض، سألت ذٰلِكَ لهما ربّي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهما فـهم أَعْلَم منكم. (مجمع الزّوائد: ٩ / ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٥، الحاكم في المستدرك: ٣ / ١٠٩، ابـن كثير في البداية والنّهاية: ٥ / ٢٠٩).

أُنظر، مسند أحمد: ١ / ١١٨ و ١١٩، و: ٤ / ٢٨١ و ٣٦٨ و ٣٧٠ و ٣٧٢، سنن ابن ماجه: ١ / ٤٣ / ١١٦ ابن كثير في البداية والنّهاية: ٥ / ٢٠٩ و ٢١٢، تأريخ ابن عساكر: ٢ / ١٣ / ٥٠٨ و ٥١٣ ـ ٥١٦ و ٥٢٣ و ٥٤٤ و ٥٦٢ و ٥٦٩ الطّبعة الأُولىٰ بيروت، ينابيع المودّة: ٢٤٩ طـبعة اسلامبول: ٢٩٧ طبعة الحيدرية، كفاية الطّالب: ٦٣ طبعة الحيدرية: ١٧ طبعة الغري، المناقب للخوارزمي: ٨٠ و ٩٤ و ١٣٠، نظم درر السّمطين: ١١٢، كنز العمّال: ٦ / ٤٠٣ الطّبعة الأُولىٰ، و: ١٥ / ١١٥ / ٣٣٢ و ٤٠٢ الطّبعة الثانية، أنساب الأشراف للـبلاذري: ٢ / ١١٢، شـواهـد التّنزيل: ١ / ١٥٧ / ٢١١ و ١٩٢ / ٢٥٠، مجمع الزّوائد: ٩ / ١٠٥، منتخب كنز العمّال بهامش مسند أحمد: ٥ / ٣٢، شرح النّهج لابن أبي الحديد: ١ / ٢٠٩ و ٢٨٩ الطّـبعة الأُولىٰ بـمصر، و: ٢ / ٢٨٩، و: ٣ / ٢٠٨ طبعة مصر تحقيق محمّد أبو الفـضل، إسـعاف الرّاغـبين المـطبوع بهامش نور الأبصار: ١٥١ طبعة السّعيدية: ١٣٧ طبعة العثمانية، خـصـائص أمـير الْـمُؤْمِنِين للنسائي: ٩٦ طبعة الحيدرية: ٢٦ و ٢٧ طبعة مصر، الملل والنّـحل للشـهرستاني: ١ / ١٦٣، بيروت، مستدرك الحاكم: ٣ / ١٠٩، سنن ابن ماجه باب فضائل عليّ.

وراجع شواهد التّنزيل: ١ / ١٩٠ و ١٩١، البدايـة والنّـهاية لابـن كـثير: ٥ / ٢٠٩ و ٢١٠ و ٢١٣ وفيه «قلت لزيد: هل سمعته من رَسُول ٱللَّه ﷺ؟ فقال: ما كان في الدّوحات أحد إلّا رآه بعينه، وسمعه بأذنه. ثمّ قال ابن كثير: قال شيخنا أبو عبدٱللَّه الذّهبي: وهذا حديث صحيح». ثمّ قال: اللّهمّ اشهد. البداية والنّهاية لابن كثير: ٥ / ٢١٣، و: ٧ / ٣٤٩ طبعة القاهرة، روح المعاني ↔

أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]: وآية المباهلة[2]، وغير ذٰلِكَ.

↩ للآلوسي: ٦/ ٥٥، و: ٢/ ٢٤٩ طبعة المنيرية، شواهد التّنزيل: ١/ ١٥٧/ ٢١١ ـ ٢١٥ و ٢٥٠ الطّبعة الأُولىٰ بيروت، مناقب الإمام عليّ ﷺ لابن المغازلي: ١٩/ ٢٤ الطّبعة الأُولىٰ طهران، تأريخ اليعقوبي: ٢/ ٣٥، الغدير للعلّامة الأميني: ١/ ٢٣٠، تفسير ابن كثير: ٢/ ١٤ الطّبعة الأُولىٰ بمصر، و: ٣/ ٢٨١ طبعة بولاق.

(١) الأحزاب: ٣٣.

يقصد بذلك آلِ الرّسُول ﷺ، الّذين خصّهم اللّٰه بالمكارم، والفضائل، ونزّههم عن النّقائص بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب: ٣٣. وفرض مودتهم علىٰ جميع المسلمين بقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ الشّورىٰ: ٢٣.

أُنظر، أسباب النّزول للواحدي بسنده عن أحمد ص ٢٦٧ الطّبعة الأُولىٰ و ٢٣٩. وانظر الجامع لأحكام القُرآن للقرطبي: ١٤/ ١٨٤، الصّواعق المحرقة لابن حجر: ١٤١ و ١٤٣، تفسير القُرآن العظيم لابن كثير: ٣/ ٤٨٥ و ٤٨٦، النّسائي في الخصائص: ٩، ينابيع المودّة: ١/ ٥٤، الكشّاف للزمخشري: ١/ ١٩٣، مسند أحمد بْن حنبل: ٣/ ٢٥٩ ط ١٩٨٣، أنساب الأشراف للبلاذري: ١٠٤، الاعتقادمذهب السّلف للبيهقي: ١٨٦، المناقب لابن المغازلي: ١٨٩، ذخائر العقبىٰ للمحب الطّبري: ٢١، صحيح مسلم: ٧/ ١٢٠ و ١٢١.

(٢) ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ آل عمران: ٦١.

أتفق أهْل التّفسير علىٰ نزول هٰذِهِ الآية في وفد نصارىٰ نجران، واتفقوا أيضاً علىٰ أنّ المعنيّ به في لفظة «أبناءنا» هما الحَسن، والحُسين ﷺ، وفي لفظة «نساءنا» فاطمة الزّهراء ﷺ وفي لفظة «أنفسنا» هو الإمام عليّ بْن أبي طالب ﷺ كما صرّح بذلك أهْل العلم، لأنّ الرّسُول ﷺ أستعان بهم في الدُّعاء إلىٰ اللّٰه والتّأمين علىٰ دعائه لتحصل له الإجابة فيه. هذا من جهة، ومن جهة ثانية أنّ النّبيّ ﷺ مراراً، وتكراراً فسّر هٰذِهِ الآية بأنّ عليّ بْن أبي طالب ﷺ هو نفسه ﷺ ولسنا بصدد ذكر الرّوايات الّتي تفسّر هذا المعنىٰ لكن الآية نزلت في أهْل الْبَيْت: وهم: عليّ، ↩

⇐ وفاطمة، والحَسن، والحُسين: ومن شاء فليراجع المصادر التّالية.

فتح القدير للشوكاني: ١/٣١٦ الطّبعة الأولىٰ و٣٤٧ الطّبعة الثّانية طبعة مصطفىٰ الحلبي بمصر، تفسير ابن كثير: ١/٣٧٠ و ٣٧١ و ٣٧٦، و: ٢/٥٢ طبعة بيروت. تفسير الكشّاف للزمخشري: ١/٢٦٨ طبعة قم و ٣٧٠طبعة بيروت، تفسير الطّبري: ٣/٢٩٧ ـ ٢٩٩ طبعة دار الكتب العلمية بيروت وص ١٩٢ و ٣٣٠ و ٣٠١ طبعة الميمنية بمصر، و: ٢٢/٦، خلفاء ألرّسول للعلّامة البحراني: ١٠٧، غاية المرام: ٣٠٤ باب ٣/٤، تأريخ ابن كثير: ٥/٥٣ و ٥٤ طبعة السّعادة سَنَة ١٣٥١، إمتاع الأسماع للمقريزي: ٥٠٢، لوامع الحقائق للميرزا أحمد الاشتياني: ٣١ و ٣٢، تلخيص الشّافي: ٣/٦، كشف المُراد: ٤١١، كشف الغمّة: ١/٢٣٣، الصّراط المستقيم: ١/٢١٠، حقّ أليَقين: ١/٢٦٨، دلائل الصّدق: ٢/٣٨٦ و ١٢٥، حقّ أليَقين للسيّد شبّر: ١/ ٢٧٠، بحار الأنوار: ٣٥/٢٥٧ و ٢٥٨ نقلاً عن الفصول للشيخ المفيد في إحتجاج الإمام الرّضا ﷺ علىٰ المأمون.

أُسد الغابة لابن الأثير: ٤/٢٦، الإصابة لابن حجر العسقلاني: ٢/٧٢ طبعة الميمنية بمصر، مرآة الجنان لليافعي: ١/١٠٩، أسباب النّزول للواحدي: ٥٩ و ٧٤ الطّبعة الأُولىٰ.

دلائل النّبوّة لأبي نعيم: ١/٢٩٧، فرائد السّمطين للحمويني: أوائل السّمط الثّاني ح ٣٧١، السّيرة الحلبية للحلبي الشّافعي: ٣/٢١٢ طبعة البهية بمصر، السّيرة النّبوية لزين دحلان بهامش السّيرة الحلبية: ٣/٥. أحكام ألقُرآن للجصّاص: ٢/٢٩٥ ـ ٢٩٦ طبعة عبدألرَّحمَٰن محمّد بمصر و ٢٩٥ الطّبعة الثّانية تحقيق الفمحاوي، التّسهيل لعلوم التّنزيل للكلبي: ١/١٠٩، فتح البيان في مقاصد ألقُرآن: ٢/٧٢، زاد المسير لابن الجوزي: ١/٣٩٩، جامع الأُصول لابن الأثير: ٩/٤٧٠، العمدة لابن البطريق: ١٩٢ و ٢٩٦، الخصائص: ٩٧، تفسير الحبري: ٥٠، المستدرك للحاكم: ٣/١٥٠، تأريخ دمشق لابن عساكر: ١/٢٥٥ الطّبعة الثّانية، تفسير أبي السّعود مطبوع بهامش تفسير الرّازي: ٢/١٤٣ طبعة الدّار العامرة بمصر، تفسير الجلالين للسيوطي: ١/٣٣ طبعة مصر و٧٧ طبعة دار ألكِتاب العربي بيروت.

وراجع أيضاً الرّياض النّضرة للطبري الشّافعي: ٢/٢٤٨ الطّبعة الثّانية، الإتحاف في نسب ⇐

مَن هُم الشّيعة الإمامية؟

ليس من العدل، ولا المنطق في شيء أنْ يُنسب، ويُسند أي شيء إلىٰ فردٍ، أو فئةٍ، أو طائفةٍ إلا بدليل قاطع متناً، وسنداً، وبالخصوص فيما يعود إلىٰ العقيدة الدّينية، لأنّ الحدّ، والتّجريح فيها يُدرأ بالشبهات.

والطّريق الوحيد لمعرفة العقيدة، أيّة عقيده لقومٍ، أو طائفةٍ هو الكتب الدّينية عندهم، وعلىٰ الباحث المنصف أنْ يطلبها، ويرجع، وإنْ ألصق بهم شيئاً لا عين له، ولا أثر في هَذِهِ الكتب فهو كذّاب أشر، ومفتر قذر... وكُتب العقيدة عند الشّيعة الإمامية كِتَاب ٱللَّه، وسُنة نَبيّه، ومنها أخبار أَهْل ٱلْبَيْت ﷺ، وآثارهم، ومن طليعة هَذِهِ الآثار الصَّحِيفَة السَّجاديَّة. والإمام السّجاد ﷺ أشار في دعائه هذا إلىٰ أنّ شيعتهم هم القائمون بسُنة ٱللَّه، الآخذون بآدابه، والمُراد هنا بسنته تعالىٰ، وآداب شريعته، وأحكامه، وزيادة في التّدليل، والتّوضيح نذكر فيما يلي بعض ما قاله الإمام الصَّادِق حفيد الإمام السّجاد ﷺ، وغيره من الأئمة في خصائص الشّيعة، وصفاتهم:

= الأشراف للشبراوي الشّافعي: ٥، معالم التّنزيل للبغوي بهامش تفسير الخازن: ١ / ٣٠٢، مطالب السّؤول لابن طلحة الشّافعي: ١ / ١٨ طبعة النّجف، صحيح مسلم: ٢ / ٣٦٠ بشرح النّووي، و: ٧ / ١٢٠ طبعة محمّد عليّ صبيح، و: ٤ / ١٨٧١ طبعة مصر تحقيق محمّد فؤاد، و: ١٥ / ١٧٦ ط مصر، خصائص الوحي المبين: ٦٨ الفصل ٧، صحيح التّرمذي: ٤ / ٢٩٣ / ٣٠٨٥، و: ٥ / ٦٣٨ / ٣٧٢٤ و ١ / ٣٠١ / ٣٨٠٨ في باب فضائل أمير الْمُؤْمِنِين، مسند أحمد: ١ / ١٨٥ ط الميمنية، و: ٣ / ٩٧ / ١٦٠٨ ط دار المعارف، تفسير القرطبي: ٤ / ١٠٤، أحكام الْقُرْآن لابن عربي: ١ / ٢٧٥ الطّبعة الثّانية طبعة الحلبي و ١٧٥ طبعة السّعادة، صحيح مسلم: باب فضائل عليّ بن أبي طالب: ٢ / ٣٦٠ طبعة عيسىٰ الحلبي، و: ٤ / ١٨٨٣ / ٦١، الأربعين المنتقاة: باب ٣٨، كفاية الطّالب: ٦٤١ باب ٣٢ و ٨٥٥٤ و ١٤٢ طبعة الحيدرية.

جاء في سفينه البحار عن الإمام الصَّادِقِ: «إنّما شيعة عليّ مَن عفَّ بطنه، وفرجه، وآشتد جهاده، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، وخاف عقابه»[١]. وفي رواية ثانيه: «إنّما شيعتنا من تابعنا، ولم يخالفنا، ومَن إذا خفنا خاف، وإذا أمنا أمن، فاولئك شيعتنا»[٢] وهذا طبيعي، وبديهي، فالحنفي من آتبع أبا حنيفة، وكذلك المالكي، والشّافعي، والحنبلي...

وفي أُصول الكافي: «وآللَّه ما شيعتنا إلا من أطاع آللَّه»[٣]... «فإنّه لا يدرك ما عند آللَّه إلا بطاعته»[٤]. وفي رواية ثانية عن الإمام الباقر والد الإمام الصَّادِق: « يا معشر شيعة آلِ مُحمّد ﷺ وآللَّه ما معنا من آللَّه براءة، ولا بيننا وَبَيْنَ آللَّه قرابة، ولا لنا علىٰ آللَّه حجة ولا نتقرب إلىٰ إلا بالطاعة، فمن كان منكم مطيعاً لله تنفعه ولايتنا، ومن كان منكم عاصياً لله لم تنفعه ولايتنا. ويحكم لا تغتروا، ويحكم لا تغتروا»[٥]. ووراء هذا التّكرار ردّ علىٰ من أعتدىٰ، وأفترىٰ.

(وَسَدِّ خَلَّتِهِمْ، وَعِيَادَةِ مَرِيضِهِمْ) في أُصول الكافي: «إنّ رجلاً دخل علىٰ

---

(١) أُنظر، بحار الأنوار: ٣١٢/٧٥ ح ١٧، مستدرك سفينة البحار: ١٢٨/٦، الكافي: ٢٣٣/٢ ح ٩، الخصال: ٦٩٥ ح ٦٣، شرح أُصول الكافي: ١٦٠/٩.

(٢) أُنظر، بحار الأنوار: ٣٥٣/٨، مستدرك سفينة البحار: ١٣٠/٦، مسند الإمام الرضا: ١٥٩/١، قرب الإسناد للحميري: ٣٥٠، وسائل الشيعة: ٧٦/٢٧، مستدرك الوسائل: ١٢٨/١.

(٣) أُنظر، الكافي: ٧٣/٢، شرح الأخبار: ٥٠١/٣، بحار الأنوار: ٩٥/٦٧، وسائل الشّيعة: ٢٣٣/١٥.

(٤) أُنظر، الكافي: ٧٤/٢ ح ٢، المصنّف لعبد الرّزاق الصّنعاني: ١٢٦/١١، وسائل الشّيعة: ٤٥/١٧.

(٥) أُنظر، الكافي: ٧٥/٢ ح ٦، شرح أُصول الكافي: ٢٤١/٨، وسائل الشّيعة: ٢٣٤/١٥.

الإمام الصَّادِق ﷺ فسأله: كيف خلفت إخوانك؟ فأحسن الثّناء، وزكىٰ، وأطـرىٰ. فقال الإمام: كيف عيادة أغنيائهم علىٰ فقرائهم؟ قال: قليلة. قال: وكيف مشـاهدة أغنيائهم لفقرائهم؟ قال: قليلة. قال: فكيف صـلة أغـنيائهم لفـقرائـهم فـي ذات أيديهم؟ قال الرّجل: إنّك لتذكر أخلاقاً قلّ ما هي فيمن عندنا. فقال الإمام: كيف تزعم أنّهم شيعة؟»[1].

(وَحُسْنِ مُوَاسَاتِهِمْ بِالْمَاعُونِ): اسم لمنافع البيْت كالقدر، والدّلو، والسّراج، والملح، والماء[2]، والمُراد المساواة في كلّ شيء، وفي سفينة البحار: «أنّ الإمـام الكاظم بْن الصَّادِق ﷺ قال لرجل ـ يا عاصم ـ من الشّيعة: «كيف أنتم في التّواصل، والتّواسي؟ قال: علىٰ أفضل ما كان عَلَيْهِ أحد. قال: أيأتي أحدكم إلىٰ دكان أخيه، أو منزله عند الضّائقة، فيستخرج كيسه، ويأخذ ما يحتاج إليه، فلا ينكر عَلَيْهِ؟ قال: لا. فقال الإمام ﷺ: فلستم علىٰ ما أحبّ في التّواصل»[3]. وكانت هَذِهِ المواسـاة موجودة عند بعض الصّحابة، ولكن علىٰ عهد الرّسُول الأعظم ﷺ لا من بعده كما نعلم.

وَاجْعَلْنِي اللّهُمَّ أَجْزِي بِالإِحْسَانِ مُسِيئَهُمْ، وَأُعْرِضُ بِالتَّجَاوُزِ عَـنْ ظَالِمِهِمْ، وَأَسْتَعْمِلُ حُسْنَ الظَّنِّ فِي كَافَّتِهِمْ، وَأَتَوَلَّىٰ بِالْبِرِّ عَـامَّتَهُمْ، وَأَغُضُّ بَصَرِي عَنْهُمْ عِفَّةً، وَأُلِينُ جَانِبِيْ لَهُمْ تَوَاضُعاً، وَأَرِقُّ عَلَىٰ أَهْلِ الْبَلاءِ مِنْهُمْ رَحْمَةً، وَأُسِرُّ لَهُمْ بِالْغَيْبِ مَوَدَّةً، وَأُحِبُّ بَقَاءَ النِّعْمَةِ عِنْدَهُمْ

---

(١) أُنظر، أُصول الكافي: ٢/١٧٣ ح ١٠، شرح أُصول الكافي: ٩/٤٧، بحار الأنوار: ٦/١٦٨ ح ٢٧.

(٢) أُنظر، مجمع البحرين للطريحي: ٦/٣١٦، (منه ﵀)، لسان العرب لابن منظور: ١٣/٤١٠.

(٣) أُنظر، بحار الأنوار: ٧٤/٢٣١ ح ٢٨، مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ: ١٦٥.

نُصْحاً، وَأُوجِبُ لَهُمْ مَا أُوجِبُ لِحَامَّتِي، وَأَرْعَىٰ لَهُمْ مَا أَرْعَىٰ لِخَاصَّتِي.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْزُقْنِي مِثْلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَاجْعَلْ لِي أَوْفَىٰ الْحُظُوظِ فِيما عِنْدَهُمْ، وَزِدْهُمْ بَصِيرَةً فِي حَقِّي، وَمَعْرِفَةً بِفَضْلِي، حَتَّىٰ يَسْعَدُوا بِي، وَأَسْعَدَ بِهِمْ آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

(واجْعَلْنِي أَللَّهُمَّ أَجْزِي بِالإحْسَانِ مُسِيئَهُمْ...) طَلَب الإمام ﷺ بدعائه أولاً: أنْ يجعل ٱللَّه ـ تعالىٰ ذكره ـ شيعته من أهْل التُّقىٰ، والصَّلاح، ثُم عقب بالسؤال أنْ يجعله من أهْل الإمامة، والقيادة الّذين ينسون أنفسهم، ويتغلبون علىٰ الذّاتية، والأنانية، فيعرضون عن السّفيه، ويجزون المسيء بالإحسان.

(وَأَسْتَعْمِلُ حُسْنَ الظَّنِّ فِي كَافَّتِهِمْ) أمر تعالىٰ عِبادِه بالجود، وجاد عَلَيْهِمْ، وبالعفو، وعفا عنهم. وبالتراحم، ورحمهم...وهكذا لم يرض منهم لنفسه إلا بمثل الَّذي رضي به لهم من نفسه، فبالأوْلىٰ. إذا طَلَب الإمام من المأمومين أنْ يحبوه، ويثقوا به، أنْ يحبهم هو، ويثق بهم، قال أرسطو للإسكندر الكبير، «لا تأت إلىٰ الرّعية بما تكره أنْ يأتوا إليك به»[1]. وبهذه المحبة، والثّقة المتبادلة بين القائد، والمقود يتم التّعاون، ويستتب الأمن، ويسود العدل، وتُحل المشكلات، وتتحقق جميع الأهداف، والغايات.

(وَأَتَوَلَّىٰ بِالْبِرِّ عَامَّتَهُمْ) من شروط الإمام أنْ يكون أبرّ النّاس بالناس، وأرحمهم، قال سبحانه وتعالىٰ في نَبيّه ٱلْكَرِيمِ ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2] (وَأَغُضُّ بَصَرِي...)

---

(١) أُنظر، نور الحقيقة: ٢١٢، وتأريخ الاسكندر الكبير.

(٢) التَّوْبَة: ١٢٨.

أغضّ عن السّيئة، وأشكر الحَسنة (وَأَلِينُ جَانِبِيْ لَهُمْ) قال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1]... وقال سبحانه: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] (وَأَرِقُّ عَلَىٰ أَهْلِ الْبَلاءِ) أحنوا علَيْهِمْ، وأعمل جاهداً من أجلهم (وَأُسِرُّ لَهُمْ بِالْغَيْبِ مَوَدَّةً) إملأ قَلْبِي لكلّ طيب، وصالح إخلاصاً، وودّاً (وَأُحِبُّ بَقَاءَ النِّعْمَةِ عِنْدَهُمْ) أود من الأعماق أنْ يعيشوا في نعيم، وأمان مدىٰ اللّيالي، والأيام.

(وَأُوجِبُ لَهُمْ مَا أُوجِبُ لِحَامَّتِي) ٱجعلني أهتم بهم ٱهتمامي بأهلي، وخاصتي (وَأَرْعَىٰ لَهُمْ...) عطف تكرار (أَللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مِثْلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ...) اجْعَلْ سلوكهم، وسيرتهم معي تماماً كسلوكي، وسيرتي معهم وفاءً، وإخلاصاً (وَزِدْهُمْ بَصِيْرَةً فِي حَقِّي) في وجوب طاعتي لا لشيء إلا أهدي إلىٰ الْحَقّ، وبه أعدل، وأعمل (وَمَعْرِفَةً بِفَضْلِي): بأنّي من خزنة علمك، وحفظة دِيْنِك الّذين عنيتهم بقولك: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3] (حَتَّىٰ يَسْعَدُوا بِي): بهدايتي لهم إلىٰ سبيل الرّشاد، وفي الحديث: «وأيم ٱللّه لئن يهدي ٱللّه علىٰ يديك رجلاً خيرٌ لك مما طلعت عَلَيْهِ ٱلشَّمْسَ وغربت»[4] (وَأَسْعَدَ بِهِمْ): بإيمانهم، وجهادهم في سبيل طَاعَتِكَ، ومَرْضَاتِكَ (آمِينَ) ٱسم فعل مبني علىٰ الفتح بمعنىٰ اسْتَجِبْ.

---

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) الحجر: ٨٨.

(٣) النّحل: ٤٣.

(٤) أنظر، الكافي: ٥/٢٨، المبسوط للسرخسي: ١٠/٣١، كشف اللّثام: ٢/١٩٦، مختلف الشّيعة: ٤/٣٩٤.

الدّعاء السّابع والعشرون

دُعَاؤُهُ لِأَهْلِ الثُّغُورِ

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَحَصِّنْ ثُغُورَ الْمُسْلِمِينَ بِعِزَّتِكَ، وَأَيِّدْ حُمَاتَهَا بِقُوَّتِكَ، وَأَسْبِغْ عَطَايَاهُمْ مِنْ جِدَتِكَ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَكَثِّرْ عِدَّتَهُمْ، وَاشْحَذْ أَسْلِحَتَهُمْ، وَاحْرُسْ حَوْزَتَهُمْ، وَامْنَعْ حَوْمَتَهُمْ، وَأَلِّفْ جَمْعَهُمْ، وَدَبِّرْ أَمْرَهُمْ، وَوَاتِرْ بَيْنَ مِيَرِهِمْ، وَتَوَحَّدْ بِكِفَايَةِ مُؤَنِهِمْ، وَاعْضُدْهُمْ بِالنَّصْرِ، وَأَعِنْهُمْ بِالصَّبْرِ، وَالْطُفْ لَهُمْ فِي الْمَكْرِ.

(وَحَصِّنْ ثُغُورَ الْمُسْلِمِينَ...) الثُّغُور هنا تعم، وتشمل كلّ مكان يخاف منه هجوم العدو سواء أكان حداً كجبل عامل بين لبنان، وإسرائيل أم كان بعيداً عن الحدود، علماً بأنّه لا ثغور، وحدود، وحصون في العصر الرّاهن مع الطّائرات السّريعة المقاتلة، والصّواريخ عابرات القارات... وغير بعيد أنْ تقيم غداً، أو بعد غد دول للقنابل النّووية قواعد حربية علىٰ سطح ٱلْقَمَرَ. وعلىٰ أية حال فإنّ مراد الإمام هنا والقصد من الآية: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ

بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَاتَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾(١)، هو الإستعداد، والتّسلح العدو، والقوة الرّادعة له عن العدوان أيّاً كان نوعها، فإنّ الّذي يتبدل، ويتغير هو الشّكل، والمظهر لا أصل الفكرة، والجوهر.

الجهاد في الإسْلاَم

الجهاد أصل أصيل في الإسْلاَم حيث لا حقّ، ولا عدل بلا قوة رادعة، والقوة بلا حقّ، وعدل فساد، وأستبداد، قال سبحانه: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَاتَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾(٢)....وقال تعالىٰ: ﴿إِلَّاتَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾(٣) وقال تعالىٰ، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾(٤)، وأدل آية علىٰ مكانة الجهاد، وعَظَمَتِهِ قوله تعالىٰ: ﴿فَقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَاتُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾(٥) وهذا الخطاب الحاسم القاطع موجه للنبي وحده، والعدو ألوف مؤلفة، أمّا السّبب الموجب لنزول هَذِهِ الآية فهو قول من قال: ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾(٦). وقال عارف بمقاصد الْقُرْآن: وهكذا يعامل ٱللَّه رُسله القادة، علىٰ أساس نَفْسِي هو نسيانهم غريزة المحافظة علىٰ الذّات في سبيل إبلاغ رسالاتهم، وأداء واجبهم.

وفي الحديث: «يشفع يَوْم الْقِيَامَة ثلاثة: الأنبياء، ثُم ٱلْعُلَمَاء، ثُم ٱلشُّهَدَاء»(٧).

---

(١) الأنفال: ٦٠.

(٢) الأنفال: ٣٩.

(٣) الأنفال: ٧٣.

(٤) التَّوْبَة: ٧٣.

(٥) النساء: ٨٤.

(٦) النّساء: ٧٧.

(٧) أُنظر، كنز العمال: ١٠/١٥١ ح ٢٨٧٧٠، فيض القدير شرح الجامع الصّغير: ٦/٥٩٧، الجامع

وفي حديث آخر: «يشفع الشّهيد في سبعين من أَهْلِ بَيْتِهِ»[1].

وقال ختّال محتال: الإسْلاَم دين حربي! فآجـابه الشّـيخ مُـحمّد عـبده فـي الصّحف، وكِتَاب الإسْلاَم، والنّصرانية:« الإسْلاَم دين العفو والمسامحة بنصّ الآية: ﴿خُذِ ٱلعَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الـجَٰهِلِينَ﴾[2]. ولكن ٱلقِتَال فيه رد لاعتداء المعتدين علىٰ الْحَقّ وأهله إلىٰ أنْ يأمن شرهم، ويأمن السّلامة من غوائلهم... إنّ دَفْع الشّرّ بالشّر عند القُدرة عَلَيْهِ، وعدم الّتمكن من سواه طبيعة في ٱلاِنْسَان»[3].

وقال الإمام أمير الْمُؤْمِنِين ﷺ:« آحصد الشّرّ مـن صـدر غـيرك بـقلعه مـن صدرك»[4]. وأيضاً قال: «ردوا الحجر من حـيث جـاء، فـإنّ الشّـرّ لا يـدفعه إلا الشّرّ»[5]، أي إذا لم يمكن دفعه بالأحسن.

الصّغير: ٤٣٤/١ ح ٢٨٣٤ و: ٧٦١/٢ح ١٠٠١١، مجمع الزّوائد: ٣٨١/١٠، سنن ابن ماجه: ١٤٤٢/٢ ح ٤٣١٣.

(١) أُنظر، سنن أبي داود: ٥٦٧/١ ح ٢٥٢٢، السّنن الكبرىٰ: ١٦٤/٩، الجامع الصّغير: ٧٦١/٢ ح ١٠٠١٢، كنز العمال: ٤٠١/٤ ح ١١١١٩، تفسير ابـن كـثير: ١٨٧/٤، تـهذيب الكـمال: ٥٠/٩، تهذيب التّهذيب: ٢٠٤/٣.

(٢) الأعراف: ١٩٩.

(٣) أُنظر، الإسْلاَم والنّصرانية مع العلم والمدنية: ١٩٢، وهي مقالات نشرت في مجلة المـنار ـ طبعة ثانية بمطبعة المنار ١٣٢٣ هـ.

(٤) أُنظر، نهج البلاغة: ٤٢/٤، الحكمة (١٧٨)، شرح النّهج لابن أبي الحديد: ٤١١/١٨، شرح النّهج لابن ميثم البحراني: ٣٣٨/٥، عيون الحكم والمواعظ: ٨٢، شرح النّهج لمحمد عـبده: ١٩٤/٣.

(٥) أُنظر، نهج البلاغة: ٧٥/٤، الحكمة (٣١٤)، شرح أُصـول الكـافي: ٢٣٤/١، شـرح النّـهج للمعتزلي: ٢٢١/١٩.

(وَأَسْبِغْ عَطَايَاهُمْ مِنْ جِدَتِكَ) أسبغ اللّه عَلَيْكَ النّعمة: أتمها، وعطاياهم: رواتبهم، وتحسين حالهم، والجِدَة: الغنىٰ، والقُدرة، والمعنىٰ سهّل عَلَيْهِمْ الطّريق لحياة أَفْضَل (وَكَثِّرْ عِدَّتَهُمْ) بكسر العين: جماعتهم، وبضمها: القوة، والاستعداد (وَاشْحَذْ أَسْلِحَتَهُمْ) أشحذ السّيف: أحده، والمُراد هنا أنْ تفعل الأسلحة فعلها بالعدو من أي نوع كانت، وتكون (وَاحْرُسْ حَوْزَتَهُمْ) ناحيتهم (وَامْنَعْ): من المناعة، والحصانة (حَوْمَتَهُمْ) شدتهم، وعظمتهم.

(وَوَاتِرْ بَيْنَ مِيَرِهِمْ) واتِر: تابع، والمِيرة: الغذاء المنقول من بلد إلىٰ آخر، والمُراد هنا أنْ تكون الطّريق إلىٰ الجُنُود سالكة آمنة كي يصل إليهم جميع ما يحتاجون إليه من نجدة، وسلاح، وغذاء(وَتَوَحَّدْ بِكِفَايَةِ...) أنْتَ يا إلهي وحدك تفرض النّصر، وتمنح الصَّبَر في الجهاد، وتُلهم تدبير الأمر، وإحكامه ضد العدو ـ وهذا التّدبير، والإحكام هو الَّذِي أراده الإمام من كلمة (مَكْرِ) في دعائه ـ وما دمت المتفرد المتوحد بكلّ ذٰلِكَ فأمنن به علىٰ حُماة ثغور المسلمين، فإنّك المنان الْكَرِيمِ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَعَرِّفْهُمْ مَا يَجْهَلُونَ، وَعَلِّمْهُمْ مَا لاَ يَعْلَمُونَ، وَبَصِّرْهُمْ مَا لاَ يُبْصِرُونَ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَنْسِهِمْ عِنْدَ لِقَآئِهِمُ الْعَدُوَّ ذِكْرَ دُنْيَاهُمُ الْخَدَّاعَةِ الْغَرُورِ، وَامْحُ عَنْ قُلُوبِهِمْ خَطَرَاتِ الْمَالِ الْفَتُونِ.

وَاجْعَلِ الْجَنَّةَ نَصْبَ أَعْيُنِهِمْ، وَلَوِّحْ مِنْهَا لِأَبْصَارِهِمْ مَا أَعْدَدْتَ فِيهَا مِنْ مَسَاكِنِ الْخُلْدِ، وَمَنَازِلِ الْكَرَامَةِ، وَالْحُورِ الْحِسَانِ، وَالأَنْهَارِ الْمُطَّرِدَةِ بِأَنْوَاعِ الأَشْرِبَةِ، وَالأَشْجَارِ الْمُتَدَلِّيَةِ بِصُنُوفِ الثَّمَرِ، حَتَّىٰ لاَ يَهُمَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِالإِدْبَارِ، وَلاَ يُحَدِّثَ نَفْسَهُ عَنْ قِرْنِهِ بِفِرَارٍ.

(وَعَرِّفْهُمْ مَا يَجْهَلُونَ) من خطط الحرب، وأُصول ٱلْقِتَال (وَعَلِّمْهُمْ... وَبَصِّرْهُمْ) عطف تكرار (وَأَنْسِهِمْ عِنْدَ لِقَآئِهِمُ الْعَدُوَّ ذِكْرَ دُنْيَاهُمُ...) المنفعة العاجلة مطلوبة، والدُّنْيَا محبوبة لكلّ البشر بالطبع، والفطرة. قال الإمام عليّ‎ﷺ: «النّاس أبناء الدُّنْيَا، ولا يُلام الرّجل علىٰ حبّ أُمّه»[١]. إذاً الزّهد في الدُّنْيَا صعب، وعسير، ومن هنا سأل الإمام أنْ يقطع ٱللّٰه أمل المحاربين من الدُّنْيَا، ويجعل لهم سلطاناً علىٰ أنفسهم، وقهر شهواتهم، ونسيان أهلهم، وذويهم.

صاحب الحاجة:

وكلّ من يحرص علىٰ شهوتهِ، وقضاء حاجته الخاصة فهو عبد لها، وأسير، لا يقول، ويفعل إلا بوحيها، ولا وزن عنده للحقّ، والإيْمَان، ولا للعدل، والوجدان وإنْ خيّلَ إليه أنّه ذو دين، وضمير، وكرامة، وشهامة، قال الإمام عليّ‎ﷺ: «الأماني تُعمي عيون البصائر»[٢]، وفي الأمثال: «صاحب الحاجة أعمىٰ لا يرىٰ إلا قضاءها»[٣] وما رأيت أجبن، وأحقر، وأذل، وأصغر من ضعيف النّاس إذا إحتاج، أمّا ضعيف فيبيع دينه للشّيْطَان حتّىٰ ولو كان أغنىٰ الأغنياء.

(وَاجْعَلِ الْجَنَّةَ نَصْبَ أَعْيُنِهِمْ...) إذا أحبّ ٱلإنسَان الدُّنْيَا بفطرته كما أشرنا،

---

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٧٤/٤، الحكمة (٣٠٣)، شرح النّهج للمعتزلي: ٢٠٩/١٩، ينابيع الْمَوَدَّة: ٢٤٨/٢.

(٢) أُنظر، عيون الحكم والمواعظ: ٢٨، بحار الأنوار: ١٤/٧٥، بلفظ (أعين)، غرر الحكم: الحكمة (١٣٧٥)، شرح النّهج لابن أبي الحديد المعتزلي: ١٥١/١٨.

(٣) هذا المثل مشهور بين العامة والخاصة جاء علىٰ لسان أحد الحكماء وهو أبو سليمان إدريس ابْن إسحاق البالسي، ولكن بلفظ: صاحب الحاجة لا يروم إلا قضاءها). أُنظر، كشف الخفاء: ١٨/٢ تحت الرّقم (١٥٨٠).

فمحال أنْ يتركها إلا إلىٰ الأفضل، والأكمل، ولا شيء كالجنّة الّتي فيها مايلذ الأعين، وتشتهي الأنفس. وفي نهج البلاغة: «كلّ نعيم دون الجنّة محقور، وكلّ بَلاءٍ دون ٱلنَّار عافية»[1]. ولذا سأل الإمام أنْ يُعرّف سبحانه المجاهدين بحقيقة الجنّة، ونعيمها كما بشرهم بها كي يكونوا علىٰ علم بقيمة الصّفقة، وأنّها لمنفعتهم الذّاتية، وللعلو من شأنهم دنياً، وآخرة، فبذلوا الثّمن بنفس رَاضِيَة تمام الرّضا.

أَللَّهُمَّ افْلُلْ بِذَلِكَ عَدُوَّهُمْ، وَاقْلِمْ عَنْهُمْ أَظْفَارَهُمْ، وَفَرِّقْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَسْلِحَتِهِمْ، وَاخْلَعْ وَثَائِقَ أَفْئِدَتِهِمْ، وَبَاعِدْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَزْوِدَتِهِمْ، وَحَيِّرْهُمْ فِي سُبُلِهِمْ، وَضَلِّلْهُمْ عَنْ وَجْهِهِمْ، وَاقْطَعْ عَنْهُمُ الْمَدَدَ، وَانْقُصْ مِنْهُمُ الْعَدَدَ.

وَامْلأْ أَفْئِدَتَهُمُ الرُّعْبَ، وَاقْبِضْ أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْبَسْطِ، وَاخْزِمْ أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ النُّطْقِ، وَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ، وَنَكِّلْ بِهِمْ مَنْ وَرَاءَهُمْ، وَاقْطَعْ بِخِزْيِهِمْ أَطْمَاعَ مَنْ بَعْدَهُمْ.

بعد أنْ دعا الإمام ﷺ للمجاهدين المدافعين عن الحرية، والكرامة، والأرواح، والأموال، والأوطان ـ دعا علىٰ الأشرار الأقذار الّذين يعتدون علىٰ عباد ٱللّه، وبلاده، ويثيرون الحروب، والْفِتَن، وينهبون الأقوات، ويشردون الآمنين، دعا عَلَيْهِمْ وإنْ انتسبوا إلىٰ الإسْلاَم، وقال: (أَللَّهُمَّ افْلُلْ بِذَلِكَ عَدُوَّهُمْ) ذٰلِكَ إشارة إلىٰ ثبات أهْل الثُّغُور، وصبرهم علىٰ الجهاد، وعدم فرارهم من الزّحف، افْلُلْ: اهزم، واكسر، وضمير الغائبين في عدوهم يعود إلىٰ المجاهدين المحقين (وَاقْلِمْ عَنْهُمْ

---

(١) أُنظر، نهج البلاغة: الحكمة (٣٨٧)، شرح أُصول الكافي: ٢٦٧/١١، فيض القدير شرح الجامع الصّغير: ٤٦/٥، جامع الأخبار: ١٣٥، من لا يحضره الفقيه: ٣٩٢/٤.

أَظْفَارَهُمْ) إمنع أذاهم (وَفَرِّقْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَسْلِحَتِهِمْ) كناية عن حصارهم، والإحاطة بهم، ومنع الإمداد عنهم.

(وَاخْلَعْ وَثَائِقَ أَفْئِدَتِهِمْ) املأ قلوبهم بالخوف من جيش المسلمين، وبالقنوط من النّصر، والنّجاة (وَبَاعِدْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَزْوِدَتِهِمْ): جمع زاد علىٰ غير قياس، عطف تكرار علىٰ فرق بينهم وَبَيْنَ أسلحتهم، أو عطف عام علىٰ خاص، إنْ أُريد بالأزودة مطلق الإمداد، وبالأسلحة المعنىٰ ٱلظَّاهِر (وَحَيِّرْهُمْ فِي سُبُلِهِمْ) بحيث لا يستطيعون حيلة، ولا يهتدون إلىٰ النّصر سبيلاً (وَضَلِّلْهُمْ عَنْ وَجْهِهِمْ) أعم أبصارهم، وقلوبهم عما يضمرون، ويقصدون (وَاقْطَعْ عَنْهُمُ الْمَدَدَ) عطف تكرار علىٰ باعد بينهم وَبَيْنَ أزودتهم (وَامْلأْ أَفْئِدَتَهُمُ ٱلرُّعْبَ) عطف تفسير علىٰ أخلع وثائق أفئدتهم (وَٱقْبِضْ أَيْدِيَهُمْ عَنِ البَسْطِ) عطف تكرار علىٰ ٱقْلِمْ عَنْهُمْ أَظْفَارَهُمْ (وَٱخْزِمْ): ٱخرس وأمنع (وَشَرِّدْ بِهِمْ)؛: آهزمهم (وَنَكِّلْ بِهِمْ): أنزل بهم الكوارث، والزّلازل (وَاقْطَعْ بِخِزْيِهِمْ أَطْمَاعَ مَنْ بَعْدَهُمْ) آجعلهم درساً نافعاً لمن يُحدث نفسه بالعدوان علىٰ عبادك، وعيالك.

أَللَّهُمَّ عَقِّمْ أَرْحَامَ نِسَائِهِمْ، وَيَبِّسْ أَصْلاَبَ رِجَالِهِمْ، وَاقْطَعْ نَسْلَ دَوَابِّهِمْ، وَأَنْعَامِهِمْ، لاَ تَأْذَنْ لِسَمَائِهِمْ فِي قَطْرٍ، وَلاَ لأَرْضِهِمْ فِي نَبَاتٍ.

أَللَّهُمَّ وَقَوِّ بِذَلِكَ مِحَالَّ أَهْلِ الإسْلاَمِ، وَحَصِّنْ بِهِ دِيَارَهُمْ، وَثَمِّرْ بِهِ أَمْوَالَهُمْ، وَفَرِّغْهُمْ عَنْ مُحَارَبَتِهِمْ لِعِبَادَتِكَ، وَعَنْ مُنَابَذَتِهِمْ لِلْخَلْوَةِ بِكَ، حَتَّىٰ لاَ يُعْبَدَ فِي بِقَاعِ الأَرْضِ غَيْرُكَ، وَلاَ تُعَفَّرَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ جَبْهَةٌ دُونَكَ.

ما زال الدُّعاء علىٰ ٱلَّذين يسعون في ٱلأرْض فساداً سواء أكانوا مُلحدين أم ينطقون باسم ٱللَّه ٱلكَرِيمِ... ومن كَفّ أذاه عن النّاس فهو حمىٰ الشّريعة الإلهيه

المحمدية حتّىٰ ولو كان جاحداً؛ لأنّ حسابه علىٰ خالقه الَّذِي قال لنبيه ٱلْكَرِيمِ:﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾[1]... وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾[2]، وفوق ذٰلِكَ سمح الإسْلاَم للمسلمين أنْ يحسنوا لمن يخالفهم في العقيدة إذا هو كَفّ شرّه، وضرّه كما في الآية: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[3]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَاتَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4].

(عَقِّمْ أَرْحَامَ نِسَائِهِمْ، وَيَبِّسْ أَصْلاَبَ رِجَالِهِمْ) أصلاب، جمع صُلب بضم الصّاد، والمُراد به سلسلة فقرات الظَّهر الّتي تمتد من أعلاه إلىٰ أسفله، ودعا الإمامﷺ عَلَيْهِمْ بالعُقم نساءً، ورِجَالاً؛ لأنّ الحَيّة لا تلد إلا حَيَّةً[5]، وقال تعالىٰ:

---

(١) الأنْعَام: ٥٢.

(٢) الغاشية: ٢٥ـ٢٦.

(٣) الممتحنة: ٨.

(٤) ٱلبَقَرَة: ١٩٣.

(٥) مأخوذ من ٱلبَيْت الشّعري الآتي:

شنشنةأعرفهامن أخزم　　　وهل تلد الحية إلّاحَيَّةٌ

أُنظر، بحار الأنوار: ٤٥ / ١٤٣ وشطر هذا ٱلبَيْت لأبي أخزم الطّائي، وهو جدّ حاتم، أو جدّ جدّه، مات ٱبنه أخزم، وترك بنين فوثبوا يوماً علىٰ جدّهم فأدموه، فقال:

وأُنظر، مقتل الحُسين للخوارزمي: ٢ / ٧٣ ولكن بلفظ:

شنشنة أعرفها من أخزم　　　هل يلد الأرقم غير الأرقم

وأُنظر أيضاً، اللّهوف في قتلىٰ الطّفوف: ٨١، عوالم العلوم للشيخ عبد ٱللّٰه البحراني

↔

﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾(١) (وَاقْطَعْ نَسْلَ دَوَابِّهِمْ): جمع دابة، وهي لغة في كلّ من وما دبّ على الأرض، ثم تغلبت على ما يركب، ويحمل عَلَيْهِ فقط (وَأَنْعَامِهِمْ): الإبل، والبقر، والغنم، وكانت هَذِهِ الدّواب من أهم الوسائل، والأسباب للإنتاج، والمواصلات، ودعا عليها الإمام ﷺ لأنّهم كانوا يستعينون بها، ويتقوون في الحرب، والقِتَال.

(لاَ تَأْذَنْ لِسَمَائِهِمْ...) أمنع عنهم بركات السّموات، والأرض (وَقَوِّ بِذَلِكَ) إشارة إلى نزول الكوارث، والنّكبات بالأعداء الطّغاة (مِحَالَّ أَهْلِ الإِسْلاَمِ) المِحال بكسر الميم: إحكام التّدبير وبُعد النّظر، والقصد أنْ يجعل اللّه سبحانه ضعف الأشرار قوة للأخيار (وَحَصِّنْ بِهِ دِيَارَهُمْ) عطف تكرار على قوّ: لأنّ التّحصين من مظاهر القوة (وَثَمِّرْ بِهِ أَمْوَالَهُمْ) زد الإنتاج أضعافاً كثيرة (وَفَرِّغْهُمْ عَنْ مُحَارَبَتِهِمْ لِعِبَادَتِكَ) متعلق بفرّغهم (وَعَنْ مُنَابَذَتِهِمْ) عن مخالفتهم، والمعنى أنصر المجاهدين في سبيلك على الطّغاة المعتدين كي يتفرغوا للعمل من أجل حياة أفضَل... وإنْ قال قائل: لا شيء أفضَل من الجهاد. قلنا في جوابه: ليس الجهاد غاية في نفسه، بل وسيلة ليعيش النّاس في إخاءٍ، وهناءٍ لا في حربٍ، وشقاءٍ، ليتعاونوا يداً واحدة على ما فيه اللّه رضا، ولعباده خير، وصلاح.

أَللَّهُمَّ اغزُ بِكُلِّ نَاحِيَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَنْ بِإِزَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَأَمْدِدْهُمْ بِمَلاَئِكَةٍ مِنْ عِنْدِكَ مُرْدِفِينَ حَتَّى يَكْشِفُوهُمْ إِلَى مُنْقَطَعِ التُّرَابِ قَتْلاً فِي أَرْضِكَ، وَأَسْراً، أَوْ يُقِرُّوا بِأَنَّكَ أَنْتَ اللهُ

⇐ الإصفهاني: ١٧ / ٤٤٤، مقتل الحُسين لأبي مخنف: هامش ص ٢٣١، أمثال الميداني: ١ / ٣٢٩، مقاتل الطّالبيين: ٥٤٨، نور الأبصار: ٢٦٦.

(١) نوح: ٢٧.

الَّذِي لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ.

أَللَّهُمَّ وَاعْمُمْ بِذَلِكَ أَعْدَاءَكَ فِي أَقْطَارِ الْبِلاَدِ مِنَ الْهِنْدِ، وَالرُّومِ، وَالتُّرْكِ، وَالْخَزَرِ، وَالْحَبَشِ، وَالنُّوبَةِ، وَالزُّنْجِ، والسَّقَالِبَةِ، وَالدَّيَالِمَةِ، وَسَائِرِ أُمَمِ الشِّرْكِ الَّذِي تَخْفَىٰ أَسْمَاؤُهُمْ، وَصِفَاتُهُمْ، وَقَدْ أَحْصَيْتَهُمْ بِمَعْرِفَتِكَ، وَأَشْرَفْتَ عَلَيْهِمْ بِقُدْرَتِكَ.

(أَللَّهُمَّ اغْزُ بِكُلِّ نَاحِيَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ مَنْ بِإِزَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) الإزاء بكسر الهمزة: المقابل، والمجاور، ومن المعلوم أنّ المشركين كانوا في عهد الإمام السّجادﷺ أبغض النّاس للإسلام، وأشدهم علىٰ أهله، يتربصون بهم الدّوائر، ويبيتون لهم كم شر، والإمام يدعو ٱللّٰه سبحانه أنْ يسهل لأنصار الْحقّ، والعدل سبيل الغزو، والغلبة علىٰ أعدائه، وأعداء الإنسانية جمعاء (حَتَّىٰ يَكْشِفُوهُمْ إِلَىٰ مُنْقَطَعِ التُّرابِ قَتْلاً فِي أَرْضِكَ، وَأَسْراً) منقطع الشّيء: نهايته، والمُراد بالتراب هنا ٱلأرض بقرينة قوله في «أَرْضِكَ» والمعنىٰ أنصر أَللَّهُمَّ الُمحقين علىٰ المُبطلين حتّىٰ لا يبقىٰ علىٰ وجه ٱلأرض من بدايتها إلىٰ نهايتها ـ أحد في أرضك من المُعتدين، والمُفسدين (أَوْ يُقِرُّوا بِأَنَّكَ أَنْتَ...) أو يتوبوا، ويكفوا عن الفساد، والضّلال.

المهدي المنتظر ثورة إجتماعية، وإنسانية

(وَاعْمُمْ بِذَلِكَ أَعْدَاءَكَ فِي أَقْطَارِ الْبِلاَدِ...) يشير الإمام ﷺ بقوله هذا إلىٰ حديث جده ٱلرّسُول الأعظم ﷺ الّذِي رواه العشرات من رجال الشّيعة، وأكثر من مئة من رجال السّنة بمذاهبهم الأربعة[1] وهو: «لو لم يبق من الدُّنْيا إلا يَوْم واحد

(١) وضع علماء الشّيعة الإمامية العديد من المؤلفات في المهدي المنتظر، وتتبعوا رواة في هذا

لبعث ٱللَّه عزّ وجلّ رجلاً من أهْل بيتي يملأها ـ أي يملأ الدُّنْيَا ـ عدلاً كما مُلئت جوراً»[1].

وفي العديد من الرّوايات: «إنّ ٱللَّه سبحانه يخرج من ذرية مُحمّد ﷺ رجلاً يسهل له كلّ عسير، ويذلل له كلّ صعب، ويقرب به كلّ بعيد، ويقهر به كلّ جبار عنيد، ويسوق به بركات السّموات، وٱلأرْض، ولا يظلم أحد أحداً، ولا يخاف شيء من شيء، ولا يراق محجمة دم، وتستوي الأرزاق بين النّاس، ويقتسمون بالسوية[2]، ويكون الجميع علىٰ أحسن حال، وإذا سافر إنسان إلىٰ مكان بعيد لا يصحب معه زاداً، ولا مالاً»[3]... إلىٰ كلّ ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت. أُنظر

ــــــــــــــــ

= الباب، وقال صاحب البحار: إنّ بعض علماء الشّيعة وضع كتاباً سماه كشف المخفي في مناقب المهدي، روي فيه مئة وسبعة أحاديث في خروج المهدي من طُرق رجال المذاهب الأربعة، ذكرها بألفاظها وأسانيدها. أُنظر المجلد الـ١٣ من كِتَاب بحار الأنوار للمجلسي، والقسم الثّالث من الجزء الرّابع من أعيان الشّيعة للسيد الأمين. (منه ﷺ).

(١) أُنظر، مسند أحمد: ٩٩/١، سنن ابن ماجه: ٩٢٩/٢، سنن التّرمذي: ٣٤٣/٣، المصنّف: ١٧٠/٦، صحيح ابن حبان: ٢٨٣/١٣، المعجم الكبير: ١٣٣/١٠، موارد الظّمآن: ٤٦٣، كنز العمال: ٢٦٤/١٤ ح ٣٨٦٦١، فيض القدير شرح الجامع الصّغير: ٤٢٣/٥، الدّر المنثور: ٥٨/٦، سبل الهدىٰ والرّشاد: ١٧٢/١٠، ينابيع المَوَدَّة: ٢٤٥/٣، علل الدّار قطني: ١٦٠/١٠، ذخائر العقبىٰ: ١٣٦، شرح الأخبار: ٣٥٢/٣.

(٢) أبو نعيم الإصفهاني، لوحة: ٩٩ عقد الدرر: ٥٥٧/٤، سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم «٧١١»، مسند أحمد: ٣ /٣٧، نور الأبصار: ١٨٩، الإذاعة: ١٢٥، ملاحم ابن طاووس: ٦٩ و ٧٠، الفصول الفصول: ٢٩٨، عقد بيان الشافعي: ٥١٩، منتخب الأثر: ٤٧٢ ح ٢، كشف الغمة: ٢٦٣/٣، البحار: ٨٣/٥١ و ٩٧، الصواعق المحرقة: ١٠٢، غاية المرام: ٧٠٣، فرائد السمطين: ٢/ح ٢ مع إختلاف يسير.

(٣) الملاحم والفِتَن: لوحة ٩٨، عقد الدّرر: ١٥١.

كِتَاب الشَّجرة المباركة للشيخ عليّ اليزدي[١]، والبحار للمجلسي[٢]، وعليّ والْقُرْآن للمؤلف.

ورُبّ قائل: هذا كلام حلو، وجميل، ولكنه مجرد حلم، ووهم، وهل يمكن أنْ تقوم للبشر حياة علىٰ غير حربٍ، ونهبٍ، وحسدٍ، وحقدٍ، وتكاثرٍ، وتفاخر؟ **الجواب:** أجل، يمكن بكلّ توكيد، وإنّ ذٰلِكَ لواقع لا محالة، ولو بعد مئة حين، وحين.

أوّلاً: لأنّ دوام الحال من المحال، وبخاصة في الأحوال الإجتماعية.

ثانياً: لأنّه من صنع ٱلإِنسَان، وهو قادر علىٰ التّحويل، والتّغيير، فَكَم من أُمّة خرجت من الظّلمات إلىٰ النّور، من الغار إلىٰ أرقىٰ الحضارات، فوحدت الصّفوف بعد الشّتات، والتّفتيت، وأصبحت قوة تُرجىٰ، وتُخشىٰ في العالم كلّه بعد أنْ كانت لا شيء يذكر.

وهل من عاقل علىٰ وجه ٱلأَرْض يستطيع القول، والجزم بأنّ كرامة ٱلإِنسَان لنْ تقوم لها ـ بعد اليوم ـ قائمة، وإنّ الثّوارت الإصلاحية قد ذهبت إلىٰ غير رجعة؟... وما خروج المهّدي المنتظر إلا ثورة علىٰ الفساد في ٱلأَرْض، وعلىٰ كلّ ضارٍ، ومفترس يعيش، أو يحاول العيش علىٰ دماء ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ. وإذن فأين الخرافة، والسّخافة؟ وعلاّم الهجمات، والحفلات بالدّس، والافتراء، والسّخرية، والاستهزاء؟

---

(١) يقصد به كِتَاب (إلزام النّاصب في إثبات الحجة الغائب) للمولىٰ عليّ بن زين ٱلْعَابِدِينَ البارجيني اليزدي الحائري (ت ١٣٣٣ هـ) رتبه علىٰ تسعة أغصان ذات فروع، وفواكه، وريحانة، وزهر، وثمرات طبع بمباشرة ولده الشّيخ عليّ أكبر في سَنَة ١٣٥٢ هـ.

(٢) أُنظر، المجلد الثّالث عشر، الطّبع القديم.

أَللَّهُمَّ آشْغَلِ الْمُشْرِكِينَ بِالْمُشْرِكِينَ عَنْ تَنَاوُلِ أَطْرَافِ الْـمُسْلِمِينَ، وَخُذْهُمْ بِـالنَّقْصِ عَنْ تَنَقُّصِهِمْ، وَثَبِّطْهُمْ بِـالْفُـرْقَـةِ عَـنِ الاحْـتِشَادِ عَلَيْهِمْ.

أَللَّهُمَّ أَخْلِ قُلُوبَهُمْ مِنَ الأَمَنَـةِ، وَأَبْدَانَهُمْ مِنَ الْقُوَّةِ، وَأَذْهِلْ قُلُوبَهُمْ عَنِ الاحْتِيَالِ، وَأَوْهِنْ أَرْكَانَهُمْ عَنْ مُنَازَلَةِ الرِّجَـالِ، وَجَـبِّنْهُمْ عَـنْ مُقَارَعَةِ الأَبْطَالِ، وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ جُنْداً مِنْ مَلاَئِكَتِكَ بِبَأْسٍ مِـنْ بَأْسِكَ كَفِعْلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ تَقْطَعُ بِهِ دَابِرَهُمْ، وَتَحْصُدُ بِهِ شَوْكَتَهُمْ، وَتُفَرِّقُ بِـهِ عَدَدَهُمْ.

(أَللَّهُمَّ آشْغَلِ الْمُشْرِكِينَ بِالْمُشْرِكِينَ عَنْ تَـنَاوُلِ أَطْـرَافِ الْـمُسْلِمِينَ) المُـراد بالمشركين هُنا الزّمرة القذرة الباغية الّتي تخل بالأمن، وتعكر صفو الحياة بالسلب، و النّهب، وإثارة الْفِتَن، والحروب... ولا سبيل ـ في الحياة الدُّنْيَا ـ علىٰ مَن كَفّ أذاه عن عباد آللّٰه، وعياله كائناً مَن كان، لأنّ الدُّعاء مختص بمن يحاول الأعتداء علىٰ المسلمين، ولقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[1].

والخُلاصة: أنّ آتفاق الأشرار شرّ، ونقمة علىٰ الْعَالَمِين حتّىٰ ولو نطقوا بكلمة آلتَّوْحِيد، وآختلافهم خيرٌ، ورحمةٌ علىٰ النّاس أجمعين.

(وَخُذْهُمْ بِـالنَّقْصِ عَنْ تَنَقُّصِهِمْ) تقول: نقص الإنتاج هَٰذِهِ السَّنة، أي قلّ عما هو المعتاد، والمعهود. وتقول: تنقص ماء البئر، أي يـذهب مـاؤه شـيئاً فشـيئاً، والمعنىٰ أنّ الطّغاة ملأوا الدُّنْيَا فساداً، وعدواناً، فخذهم يا إلهي بالنقص، والتّنقص من الأموال، والأنفس كي يأمن العباد، والبلاد من شـرهم، وجـورهم (وَثَـبِّطْهُمْ

(١) ٱلْبَقَرَة: ١٩٣.

بِالْفُرْقَةِ عَنِ الاحْتِشَادِ عَلَيْهِمْ) يقال: ثبطه عن الأمر إذا أقعده، وصرفه عنه، والمعنىٰ أوقع العداوة، والبغضاء بين العُتاة المعتدين، وأشغلهم بأنفسهم عن الحشدِ، والجمع لحرب الآمنين.

(أَللَّهُمَّ أَخْلِ قُلُوبَهُمْ مِنَ الأَمَنَةِ) واملأها بالفزع، والهلع من قوة المسلمين، وهيبتهم... والآية اليوم معكوسة، فالمسلمون هم الّذين يخافون أنْ يتخطفهم الذّئاب، وكلّ ذي ناب، لا لشيء إلا لأنّهم عصوا اَللّه في نصحهِ، وقوله: ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[1] وفي نهج البلاغة: «فأعطوه طاعتكم غير ملومة، ولا مستنكره بها... واَللّه لتفعلن أو لينقلن اَللّه عنكم سلطان الإسْلاَم، ثُم لا ينقله إليكم أبداً حتّىٰ يأرز الأمر إلىٰ غيركم»[2]، (وَأَبْدَانَهُمْ مِنَ الْقُوَّةِ) والقوة اليوم للعلم، والمخترعات، لا للسواعد، والعظلات.

(وَأَذْهِلْ قُلُوبَهُمْ عَنِ الاحْتِيَالِ) عن التّجسس، والتّآمر، والدّعايات الكاذبة (وَأَوْهِنْ أَرْكَانَهُمْ عَنْ مُنَازَلَةِ الرِّجَالِ...) كناية عن القوة بشتىٰ مظاهرها حيث لا منازلة اليوم بين الرّجال، والأبطال، بل بين القواعد العسكرية، والأساطيل البحرية، والجوية، والأسلحة الجهنمية كما تَقَدَّمَ (تَقْطَعُ بِهِ دَابِرَهُمْ): آخرهم حتّىٰ لا يبقىٰ منهم أحد (شَوْكَتَهُمْ): قوتهم.

إسلام بغير مُسلمين

ولا أدري بأيّ شيء يدعو الإمام السّجادﷺ لو كان في هذا العصر، يرىٰ

---

(١) الأنفال: ٤٦.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ٨٢/٢، الخطبة (١٦٩)، شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ٢٩٥/٩، تأريخ الطّبري: ٤٦٥/٣.

الجيوش، والقواعد العسكرية، والتّسهيلات لأعداء الإسْلاَم، والمُسلين فـي قـلب بلادهم؟ وفي سفينة البحار: «يأتي زمان علىٰ أُمتي لا يبقىٰ للقرآن إلا رسمه، ولا للإسلام إلا إسمه، يُسمون بِهِ، وهم أبعد النّاس عنه مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدىٰ... فقهاء ذٰلِكَ الزّمان شرّ فقهاء تحت ظل السّماء»[1] وقال الشّيخ مُحمّد عبده: «قد تجد في أوربا مسلمين بغير إسلام، وفي البلاد الإسلامية إسلاماً بـغير مسلمين»[2].

اللَّهُمَّ، وَامْزُجْ مِيَاهَهُمْ بِالْوَبَاءِ، وَأَطْعِمَتَهُمْ بِالْأَدْوَاءِ، وَارْمِ بِـلاَدَهُمْ بِـالْخُسُوفِ، وَأَلِـحَّ عَلَيْهَا بِـالْقُذُوفِ، وَافْـرَعْهَا بِالْمُحُولِ.

وَاجْعَلْ مِيَرَهُمْ فِي أَحَصِّ أَرْضِكَ، وَأَبْعَـدِهَا عَنْهُمْ، وَامْنَـعْ حُصُونَهَا مِنْهُمْ، أَصِبْهُمْ بِالْجُوعِ الْمُقِيمِ، وَالسُّقْمِ الأَلِيمِ.

الماء، والوباء

(أَللَّهُمَّ، وَامْـزُجْ مِـيَاهَهُمْ بِـالْوَبَاءِ، وَأَطْـعِمَتَهُمْ بِـالْأَدْوَاءِ) الوبــاء، والأدواء الأمراض، والمُراد هُنا بذور المَرَض، وأسبابه بوجه عام كتلويث ٱلأَرْض، والماء، والْهَوَآء بالغازات السّامة، ونفايات المصانع، وغيرها من الجـراثـيم، والأقـذار...

---

(١) في هذا اليوم قرأت في الصّحف أنّ حزمة من المُعممين المنتسبين إلىٰ ٱلْفُقَهَاء، وَأَهْل الدِّين في لبنان ـ أرسلوهم إلىٰ الغرب بمهمة خاصة، هيئة ليست من العُلماء، وٱلْفُقَهَاء! نحن الآن في الشّهر العاشر من السّنة ١٩٧٨م. وعملاً بنص الآيـة ١٥٦ مـن ٱلْـبَقَرَة نـقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

أُنظر، مصادر الحديث: فـي ثـواب الأعـمال: ٢٥٣، شـرح أُصـول الكـافي: ٤٣٢/١٢، بحارالأنوار: ٢٥/١٠٨.

(٢) أُنظر، حياة الشّيخ مُحمّد عبده لمحمد راسم: ١٥٤.

ودُعَاء الإمام ﷺ يوميء إلىٰ أنّ الأمراض كلّها، أو جلها ترجع إلىٰ الأطعمة، والأشربة، ولا ريب في ذٰلِكَ عند أهْل الإختصاص. وفي الحديث الشّريف: «المعدة بيت الدّاء، والحمية رأس الدّواء، وعوّدوا بدناً ما أعتاد»[١]، وإنّما كانت المعدة بيت الدّاء؛ لأنّها مستودع الغذاء طعاماً، وشراباً. وبالمناسبة كان القدامىٰ يتصارعون، ويتطاحنون علىٰ الماء تماماً كما هي الحال الآن بين الدّول الكبرىٰ في التّنافس، والتّسابق إلىٰ الذّهب الأسود.

(وَارْمِ بِلاَدَهُمْ بِالْخُسُوفِ) خسفت ٱلأرْض: ٱنشقت، والمعنىٰ أنْ تنشق ٱلأرْض، وتبتلع ما علىٰ ظهرها مما يملكون، ويقتنون، قال سبحانه: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾[٢]، (وَأَلِحَّ عَلَيْهَا بِالْقُذُوفِ) بريح عاصفة قاصفة لا تبقي، ولا تُذر لهم من شيء (وَافْرَعْهَا بِالْمُحُولِ) فرع رأسه بالعصا: ضربه بها، وأرْض محول: جدبة (وَاجْعَلْ مِيَرَهُمْ): جمع مِيَرة، وهي الطّعام يُجلب من بلد لآخر (فِي أَحَصِّ أَرْضِكَ) في أكثرها جدباً، وأقلها خيراً (وَامْنَعْ حُصُونَهَا مِنْهُمْ...) ضمير الغائب في حصونها للمِيَرة، والمعنىٰ اجْعَلْ الأقوات في حصون حصينة لا يستطيع أعداء ٱللّه، والإنسانية الوصول إليها حتّىٰ يموتوا جوعاً، ومرضاً.

أَللَّهُمَّ، وَأَيُّمَا غَازٍ غَزَاهُمْ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِكَ، أَوْ مُجَاهِدٍ جَاهَدَهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ سُنَّتِكَ لِيَكُونَ دِينُكَ الأَعْلَىٰ، وَحِزْبُكَ الأَقوَىٰ، وَحَظُّكَ الأَوْفَىٰ فَلَقِّهِ الْيُسْرَ، وَهَيِّئْ لَهُ الأَمْرَ، وَتَوَلَّهُ بِالنُّجْحِ، وَتَخَيَّرْ لَهُ الأَصْحَابَ، وَاسْتَقْوِ لَهُ الظَّهْرَ، وَأَسْبِغْ عَلَيْهِ فِي النَّفَقَةِ.

---

(١) أُنظر، الخصال: ٥١٢، كشف الخفاء: ٢/٢١٤، زاد المسير: ٣/١٢٨، بحار الأنوار: ٥٩/٧٥.

(٢) القصص: ٨١.

وَمَتِّعْهُ بِالنَّشَاطِ، وَأَطْفِ عَنْهُ حَرَارَةَ الشَّوْقِ، وَأَجِرْهُ مِنْ غَمِّ الْوَحْشَةِ، وَأَنْسِهِ ذِكْرَ الأَهْلِ، وَالْوَلَدِ، وَأْثُرْ لَهُ حُسْنَ النِّيَّةِ، وَتَوَلَّه بِالْعَافِيَةِ، وَأَصْحِبْهُ السَّلاَمَةَ، وَأَعْفِهِ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَلْهِمْهُ الْجُرْأَةَ، وَارْزُقْهُ الشِّدَّةَ، وَأَيِّدْهُ بِالنُّصْرَةِ، وَعَلِّمْهُ السِّيَرَ، وَالسُّنَنَ، وَسَدِّدْهُ فِي الْحُكْمِ، وَاعْزِلْ عَنْهُ الرِّيَاءَ، وخَلِّصْهُ مِنَ السُّمْعَةِ، وَاجْعَلْ فِكْرَهُ، وَذِكْرَهُ، وَظَعْنَهُ، وَإِقَامَتَهُ فِيكَ، وَلَكَ.

فَإِذا صَادفَ عَدُوَّكَ، وَعَدُوَّهُ فَقَلِّلْهُمْ فِي عَيْنِهِ، وَصَغِّرْ شَأْنَهُمْ فِي قَلْبِهِ، وَأَدِلْ لَهُ مِنْهُمْ، وَلاَ تُدِلْهُمْ مِنْهُ فَإِنْ خَتَمْتَ لَهُ بِالسَّعَادَةِ، وَقَضَيْتَ لَهُ بِالشَّهَادَةِ فَبَعْدَ أَنْ يَجْتَاحَ عَدُوَّكَ بِالْقَتْلِ، وَبَعْدَ أَنْ يَجْهَدَ بِهِمُ الأَسْرُ، وَبَعْدَ أَنْ تَأْمَنَ أَطْرَافُ الْمُسْلِمِينَ، وَبَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ عَدُوُّكَ مُدْبِرِينَ.

(أَللَّهُمَّ، وَأَيُّمَا غَازٍ...) الغزو: السّير إلىٰ العدو، وقتاله في عقر داره، والجهاد أعمّ، وأشمل، والمِلّة: الشّريعة الدّينية، وأيضاً تطلق علىٰ الدّين بوجه عام، والسُّنّة: الشّريعة، والطّريقة... لمّا دعا الإمام ﷺ لأهل الثّغور، وحماة الحدود، دعا لكلّ من غزا، وجاهد لنصرة الْحَقّ، وإعزازه، وخذلان الْبَاطِل، وإذلاله (فَلَقِّهِ) جواب أي غاز، ومجاهد، والمعنىٰ أعط كلّ مكافح، ومناضل في سبيلك (الْيُسْرَ، وَهَيِّئْ لَهُ الأَمْرَ، وَتَوَلَّهُ بِالنُّجْحِ) أشمله بعنايتك، ورعايتك، وأكتب له الفوز، والنّجاح (وَتَخَيَّرْ لَهُ الأَصْحَابَ) من أهْل الصّدق، والوفاء لا من أهْل الكذب، والرّياء.

(وَاسْتَقْوِ لَهُ الظَّهْرَ) المُراد بالظهر هنا كلّ ما يُركب من سيارة، أو حمارة تبعاً للزمان، وتطوره (وَأَسْبِغْ عَلَيْهِ فِي النَّفَقَةِ) أغنه من فضلك، ووسع عَلَيْهِ من رِزْقِكَ (وَمَتِّعْهُ بِالنَّشَاطِ) نشط في عمله: أقبل عَلَيْهِ راغباً فيه، لا يشغله عنه شاغل

(وَأَطْفِ عَنْهُ حَرَارَةَ الشَّوْقِ) ألهمه الصَّبَر علىٰ فراق الأهـل، والصَّـحب، والوطـن (وَأَجِرْهُ مِنْ غَمِّ الْوَحْشَةِ) الغربة وحشة، فانس أَللَّهُمَّ وحشته، وأرحم غربته (وَأَثِرْ لَهُ حُسْنَ النِّيَّةِ) أجعله يؤثر النّية ٱلْحَسَنَة في غزوه، وجهاده، ومعنىٰ حُسن النّية في الجهاد أنْ يكون خالصاً لوجه ٱللَّه ٱلْكَرِيمِ (وَتَوَلَّه بِالْعَافِيَةِ) أمنن عَلَيْهِ بعافية الدُّنْيَا، والآخرة (وَأَصْحِبْهُ السَّلاَمَةَ) في دينهِ، وعقلهِ، وقلبهِ، وجسمهِ.

(وَأَعْفِهِ مِنَ الْجُبْنِ...) أبداً لا نجاح مع الجُبن في أي شيء، أمّا الجرأة العاقلة مع الصَّبَر فهي سبيل الفوز، والفلاح، قال الإمام أمير الْمُؤْمِنِين ﷺ: «قرنت الهـيبة بالخيبة، والحياء بالحرمان»[1] (وَعَلِّمْهُ السِّيَرَ، وَالسُّنَنَ) سهل عَـلَيْهِ سـبيل العـلم النّافع، بخاصة المعرفة بسير ٱلصَّالِحِينَ المُصلحين وسُنة النّبي ٱلْكَرِيمِ، وغني عن البيان أنّ لهذه المعرفة قيمتها في التّوجيه، والتّمييز بين ما ينبغي فعله، وما يـجب تركه (وَٱعْزِلْ عَنْهُ الرِّيَاءَ) لأنّه الدّاء العياء (وخَلِّصْهُ مِنَ السُّمْعَةِ): من حبّ الشّهرة (وَاجْعَلْ فِكْرَهُ...) الظّعن: السّير، والرّحيل، والمعنىٰ اجْعَلْ جميع أقواله، وأفعاله، ومقاصده فيما يرضيك بحيث لا يـقدم، بـل ولا يـعزم عـلىٰ أرتكـاب المـحارم، وأكتساب المآثم.

(فَإِذا صَافَّ عَدُوَّكَ، وَعَدُوَّهُ فَقَلِّلْهُمْ...) المُراد جنس العدو، ولذا أرجع إليـه ضمير الجمع، والمعنىٰ أجعله في قلب المعركة يخشاك، ولا يخشىٰ سِواكَ (وَأَدِلْ لَهُ مِنْهُـمْ...) أدالَ لفلان من خصمه: نصرهُ عَلَيْهِ، وأقتص له مـنه، والمـعنىٰ أنـصر الطَّيِّبين علىٰ الخُـبثاء المـعتدين، ولا عكس (فَـإِنْ خَـتَمْتَ لَـهُ...) ولغـيره مـن

---

(١) نهج البلاغة: ٦/٤، الحكمة (٢١)، شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ١٣١/١٨، ينابيع المَوَدَّة: ٢٣٤/٢، تأريخ دمشق: ٢٦٤/٥١، دستور معالم الحكم: ١٧، نزهة النّاظر وتنبيه الخـاطر: ٤٢، عيون الحكم والمواعظ: ٣٧١.

المجاهدين في سبيلك بالشهادة ـ فليكن ذٰلِكَ ثمناً لأنتصار الْحَقّ، والعدل علىٰ الظُّلم، والفساد.

وفي شتىٰ الأحوال فإنّ ٱللّٰه سبحانه لا يأذن بالحرب، وٱلْقِتَال لمجرد الْغَضَب، والعاطفة، وبلا تعقل، وتدبر، ولا إعداد العدة. وقديماً قيل: «لا يفل الحديد إلا الحديد»[1].

أَللَّهُمَّ، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ خَلَفَ غَازِياً، أَوْ مُرَابِطاً فِي دَارِهِ، أَوْ تَعَهَّدَ خَالِفِيهِ فِيْ غَيْبَتِهِ، أَوْ أَعَانَهُ بِطَائِفَةٍ مِنْ مَالِهِ، أَوْ أَمَدَّهُ بِعِتَادٍ، أَوْ شَحَذَهُ عَلَىٰ جِهَادٍ، أَوْ أَتْبَعَهُ فِي وَجْهِهِ دَعْوَةً، أَوْ رَعَىٰ لَهُ مِنْ وَرَآئِهِ حُرْمَةً... فَأَجْرِ لَهُ مِثْلَ أَجْرِهِ وَزْناً بِوَزْنٍ، وَمِثْلاً بِمِثْلٍ.

وَعَوِّضْهُ مِنْ فِعْلِهِ عِوَضاً حَاضِراً يَتَعَجَّلُ بِهِ نَفْعَ مَا قَدَّمَ، وَسُرُورَ مَا أَتَىٰ به، إِلَىٰ أَنْ يَنْتَهِيَ بِهِ الْوَقْتُ إِلَىٰ مَا أَجْرَيْتَ لَهُ مِنْ فَضْلِكَ، وَأَعْدَدْتَ لَهُ مِنْ كَرَامَتِكَ.

(**أَللَّهُمَّ، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ خَلَفَ غَازِياً، أَوْ مُرَابِطاً فِي دَارِهِ**) هذا المجرور متعلق بخلف، وفي مجمع البحرين للشيخ الطّريحي: «أصل المرابطة الملازمة، والمواظبة، وملازمة ثغر العدو... وأيضاً من المرابطة حبس الرّجل نفسه علىٰ تحصيل معالم الدّين، بل هو أبلغ في إسم المرابطة، فإنّ مهام الدّين أوْلىٰ بالأهتمام»[2]. وبعد أنْ

---

(١) هذا القول مأخوذ من شعر النّطاح:

وائل بعضها يقتل بعضاً ‏ ‏ ‏ ‏ لا يفل الحديد إلا الحديد

أُنظر، تأريخ خليفة بن خياط للعصفري: ٣٧١، تأريخ الطّبري: ٤٦٥/٦.

(٢) أُنظر، مجمع البحرين: ١٣٢/٢، النّهاية: ١٨٦/٢، لسان العرب: ٣٠٢/٧.

دعا الإمام لكلّ جندي، وفدائي يدافع بنفسه عن دينه، ووطنه. دعا للكفيل الَّذِي يخلف هذا المجاهد في دارهِ، وأهله، يرعاهم، ويقوم بحوائجهم في غيابة (أَوْ تَعَهَّدَ خَالِفِيَهِ فِيْ غَيْبَتِهِ) أي تردد، وتفقّد أهْل المجاهد، أو كفيلهم، وسأله عن حـالهم، وعرض الخدمة، والمساعدة (أَوْ أَعَانَهُ بِطَائِفَةٍ مِنْ مَالِهِ) أي أعان المجاهد بشـيء من المال (أَوْ أَمَدَّهُ بِعِتَادٍ) بسلاحٍ، وما أشبه.

(أَوْ شَحَذَهُ عَلَىٰ جِهَادٍ) حمله عَلَيْهِ، ورغبه فيه (أَوْ أَتْبَعَهُ فِي وَجْهِهِ دَعْوَةً) دعا له بالفوز، والنّصر، والمُراد بالوجه هنا الجهة المقصودة للمجاهد (أَوْ رَعَىٰ لَهُ مِـنْ وَرَآئِهِ حُرْمَةً) حفظ مكانته، وكرامته في غيابه (فَأَجْرِ لَهُ مِثْلَ أَجْرِهِ...) هذا جواب أيما مسلم... والمعنىٰ كلّ من أعان مجاهداً، أو أدخل عَلَيْهِ السّرور، أو علىٰ ذويه بجهة من الجهات ـ فاكتب له أجر المجاهد بالذات، ولا تنقصه عنه شـيئاً، فـإنّ خزائنك تفيض، ولا تغيض (وَعَوِّضْهُ مِنْ فِعْلِهِ عِوَضاً حَاضِراً...) أمنن عَلَيْهِ بخير الدُّنيا، والآخرة معاً (إِلَىٰ أَنْ يَنْتَهِيَ...) إلىٰ أنْ يـنتقل مـن دنياه إلىٰ رضـوانك، وجنانك.

أَللَّهُمَّ، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ أَهَمَّهُ أَمْرُ الإِسْلاَمِ، وَأَحْزَنَهُ تَحَزُّبُ أَهْلِ الشِّرْكِ عَلَيْهِمْ فَنَوَىٰ غَزْواً، أَوْ هَمَّ بِجِهَـادٍ فَقَعَدَ بِـهِ ضَعْفٌ، أَوْ أَبطَأَتْ بِهِ فَاقَةٌ، أَوْ أَخَّرَهُ عَنْهُ حَادِثٌ، أَوْ عَرَضَ لَهُ دُونَ إِرَادَتِهِ مَانِعٌ. فَاكْتُبِ اسْمَـهُ فِي الْعَابِـدِينَ، وَأَوْجِبْ لَـهُ ثَـوَابَ الْـمُجَاهِدِينَ، وَاجْـعَلْهُ فِـي نِـظَامِ الشُّهَـدَآءِ، وَالصَّالِحِينَ.

أَللَّهُمَّ صَـلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ، وَرَسُولِكَ، وَآلِ مُحَمَّدٍ صَلاَةً عَالِيَةً عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ مُشْرِفَةً فَوْقَ التَّحِيَّاتِ، صَلاَةً لاَ يَـنْتَهِي أَمَـدُهَا، وَلاَ يَنْقَطِعُ عَدَدُهَـا كَأَتَمِّ مَـا مَضَىٰ مِنْ صَلَوَاتِكَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ أَوْلِيـآئِكَ،

إِنَّـكَ الْمَنَّانُ الْحَمِيدُ الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ الْفَعَّالُ لِمَا تُرِيْدُ.

(أَللَّهُمَّ، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ أَهَمَّهُ أَمْرُ المسلمين) أُصول الكافي عن ٱلرَّسُول ﷺ: «من لا يهتم بأمور المسليمن فليس بمسلم»[1] وعن الإمام الصَّادِق ؑ: «عَلَيْكَ بالنصح لله في خَلْقِه، فلنْ تلقاه بعمل أفْضَل منه»[2] (وَأَحْزَنَهُ تَحَزُّبُ أَهْلِ الشِّـرْكِ عَـلَيْهِمْ فَنَوَىٰ غَزْواً...) يدعو الإمام ؑ لمنْ صح منه العزم علىٰ الجهاد، ثُم عرض له مانع من مرضٍ، أو عجزٍ مادي، أو أي شيء ـ أنْ يكتب ٱللّـه سبحانه (اسْـمَـهُ فِـي الْعَابِـدِينَ) ويوجب له (ثَوَابَ الشُّهَـدَآءِ، وَالصَّالِحِينَ) وهذا ثابت بنصّ ٱلْكِتَاب، والسُّنة، وما دُعَاء الإمام به إلا مجرد تشجيع، وتكريم لأرباب المقاصد الْـخَيْرية، والنّوايا الخالصة... وكلّ المسلمين يسألون ٱللّه أنْ يصلي علىٰ مُحمّد علماً مـنهم بأنّه يصلي عَلَيْهِ ومَلائِكَة السَّماء بلا دُعَاء، ورجاء.

قال سبحانه: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[3] وفي الحديث الشّريف: «من همّ بحسنة فلم يعملها كتبها ٱللّه عنده حسنة كاملة، ومن همّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب عَلَيْهِ»[4]، والآية: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[5]. وما مـن شك أنّ نـية الْـخَيْر

---

(١) أُنظر، الكافي: ٢/١٦٤ ح ٤، شرح أُصول الكافي: ٩/٢٩، وسائل الشّيعة: ١٦/٣٣٦، بـحار الأنوار: ٧١/٣٣٧.

(٢) أُنظر، الكافي: ٢/١٦٤ ح ٣، شرح أُصول الكافي: ٩/٢٩، بحار الأنوار: ٧١/٣٣٨.

(٣) النّساء: ١٠٠.

(٤) أُنظر، المحلىٰ لابن حزم ٱلظّـاهِري: ٤/١٩٣، الكـافي: ٢/٤٢٨، تـوحيد الصّـدوق: ٤٠٨، شرح أُصول الكافي: ١٠/١٦٢، وسائل الشّيعة: ١/٥٥، بحار الأنوار: ٦٨/٢٥٣.

(٥) الشّعراء: ٨٨ـ ٨٩.

بمجردها خير.

(أَللَّهُمَّ صَـلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، وَآلِ مُحَمَّدٍ صَلاَةً...) تبلغهم بـها أفضل ما يأملون من خيرك، وفضلك. إنّك الباسط، والقابض، والرّافع، والخافض. وفي الختام سَيِّد الأنام: «من صلّىٰ عليّ صلّىٰ ٱللّه عَلَيْهِ، ومن شاء فليقلل، ومـن شاء فليكثر»[1]. أَللَّهُمَّ صلِّ علىٰ مُحمّد، وَآلِهِ مُحمّد.

(١) أُنظر، الكافي: ٢/٤٩٢ ح ٧، شرح أُصول الكـافي: ١٠/٢٧٠، المـصنّف لابـن أبـي شـيبة الكوفي: ٢/٣٩٩، السّنن الكبرىٰ: ١/٥١٠، وسائل الشّيعة: ٧/١٩٤.

الدّعاء الثّامن والعشرون

دُعَاؤُهُ فِي التَّفَزُّعِ

أَللَّهُمَّ إِنِّي أَخْلَصْتُ بِانْقِطَاعِي إِلَيْكَ، وَأَقْبَلْتُ بِكُلِّي عَلَيْكَ، وَصَرَفْتُ وَجْهِي عَمَّنْ يَحْتَاجُ إِلَىٰ رِفْدِكَ، وَقَلَبْتُ مَسْأَلَتِي عَمَّنْ لَمْ يَسْتَغْنِ عَنْ فَضْلِكَ، وَرَأَيْتُ أَنَّ طَلَبَ الْمُحْتَاجِ إِلَى الْمُحْتَاجِ سَفَهٌ مِنْ رَأْيِهِ، وَضَلَّةٌ مِنْ عَقْلِهِ.

فَكَمْ قَدْ رَأَيْتُ يَا إِلٰهِيْ مِنْ أُنَاسٍ طَلَبُوا الْعِزَّ بِغَيْرِكَ فَذَلُّوا، وَرَامُوا الثَّرْوَةَ مِنْ سِوَاكَ فَافْتَقَرُوا، وَحَاوَلُوا الارْتِفَاعَ فَاتَّضَعُوا، فَصَحَّ بِمُعَايَنَةِ أَمْثَالِهِمْ حَازِمٌ... وَفَّقَهُ اعْتِبَارُهُ، وَأَرْشَدَهُ إِلَىٰ طَرِيقِ صَوَابِهِ بِاخْتِيَارِهِ.

(أَللَّهُمَّ إِنِّي أَخْلَصْتُ...) الإخلاص في القول أنْ تعبر شفتاك عمّا في نفسك، والإخلاص في العمل أنْ يكون بدافع من قلبك، والإخلاص لله أنْ لا ترىٰ أحداً سواه تماماً كما قال سَيِّد اَلشُّهَدَاء ﷺ: «ماذا وجد من فقدك، وما اَلَّذِي فقد من

وجدك؟ لقد خاب من رضـي دونك بـدلاً»[1] (وَرَأَيْتُ أَنَّ طَـلَبَ الْـمُحْتَاجِ إلَـىٰ الْمُحْتَاجِ...) أبداً لا أحد يعطيك شيئاً، وإنْ يك تقياً يأخذ ثمنه بالكامل منك، أو من اَللّٰه، أو من ثناء النّاس، لأنّه محتاج مثلك، وإنْ تنوعت الحاجات، والَّذِي يُعطي ولا يأخذ هو اَللّٰه الغني عن كلّ شيء، وإليه يفتقر كلّ شيء. وفي الأمثال: «يستف التّراب، ولا يخضع لأحدٍ علىٰ باب إلا لمن يثق بصدق حديثه»[2]. وتَقَدَّمَ مثله[3].

(فَكَمْ قَدْ رَأَيْتُ يَـا إلٰهِيْ مِنْ أُناسٍ...) اعتزوا بغيرك فـذلوا، لأنّ العـزة لكَ، وبكَ، ومنكَ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[4]، ولا أحد ينال منها شيئاً إلا الأخصّاء من خلقهِ (وَحَاوَلُوا الارْتِفَاعَ فَاتَّضَعُوا) لا رافع لمن وضع، ولا واضع لمن رفع (فَصحَّ بِمُعَايَنَةِ أَمْثَالِهِمْ حَازِمٌ...) المُراد بأمثالهم نـفس الّذين اعتزوا بغير اَللّٰه، وحازم فاعل المعاينة، والمُراد به نفس الإمام ﷺ، والمعنىٰ أنّ الإمام رأىٰ الذّل، والهوان في الّذين توكلوا، واعتمدوا علىٰ غـير اَللّٰـه، فـوفقه اعتباره، واختياره إلىٰ طريق الْحَقّ، والصّواب، وهو الإتكال علىٰ التّواب الوهاب.

فَأَنْتَ يَا مَوْلاَيَ دُونَ كُلِّ مَسْـؤُولٍ مَـوْضِعُ مَسْـأَلَتِي، وَدُونَ كُـلِّ مَطْلُوبٍ إلَيْهِ وَلِيُّ حَاجَتِي. أَنْتَ الْمَخْصُوصُ قَبْلَ كُلِّ مَدْعُوٍّ بِدَعْوَتِي لاَ يَشْرَكُكَ أَحَدٌ فِي رَجَائِي، وَلاَ يَتَّفِقُ أَحَدٌ مَعَكَ فِي دُعَائِي، وَلاَ يَنْظِمُهُ وَإيَّاكَ نِدَائِي.

لَكَ يَا إلٰهِي وَحْدَانِيَّةُ الْـعَدَدِ، وَمَـلَكَةُ الْـقُدْرَةِ الصَّـمَدِ، وَفَـضِيلَةُ

---

(١) أنظر، إقبال الأعمال: ٣٤٩، بحار الأنوار: ٢٢٦/٩٥.

(٢) أُنظر، الغارات لإبراهيم بْن مُحمّد الثّقفي: ٧٠/١، وينسب القول إلىٰ ابن أبي الحديد.

(٣) أُنظر، الدُّعاء الثّالث عشر: فقرة لمجرد التّعليم، والتّنوير.

(٤) فاطر: ١٠.

الْحَوْلِ، وَالْقُوَّةِ، وَدَرَجَةُ الْعُلُوِّ، وَالرِّفْعَةِ، وَمَنْ سِوَاكَ مَرْحُومٌ فِي عُمْرِهِ، مَغْلُوبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ، مَقْهُورٌ عَلَىٰ شَأْنِهِ؛ مُخْتَلِفُ الْحَالاَتِ، مُتَنَقِّلٌ فِي الصِّفَاتِ؛ فَتَعَالَيْتَ عَنِ الأَشْبَاهِ، وَالأَضْدَادِ، وَتَكَبَّرْتَ عَنِ الأَمْثَالِ، وَالأَنْدَادِ، فَسُبْحَانَكَ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ.

(فَأَنْتَ يَا مَوْلاَيَ دُونَ كُلِّ مَسْؤُولٍ...) هل من إله غيرك يُسأل، ويُجيب؟ وهل من أحدٍ سِواكَ يملك شيئاً من الكائنات حتّىٰ نرفع إليه الحاجات؟ أبداً (أَنْتَ) وحدك (الْمَخْصُوصُ قَبْلَ كُلِّ مَدْعُوٍّ بِدَعْوَتِي...) هذا تفسير، وتكرار لما قبله.

وخلاصته بالله وحده أستعين، وأستغيث، لأنّه أقرب من دعي، وأسمع من سئل، وأسرع من أجاب، وأكرم من أعطىٰ (وَلاَ يَنْظِمُهُ وَإِيَّاكَ نِدَائِي) لا أجمع، ولا أشرك أحداً في دعائي لكَ، وندائي. ثُم بين الإمام ﷺ السّبب الموجب لتوحيده في الدُّعاء، والرّجاء قال: (لَكَ يَا إِلٰهِي وَحْدَانِيَّةُ الْعَدَدِ) أي أَنْتَ الواحد الأحد في ذاته، وصفاته، قال المُلا صدرا: «لا تقسيم، ولا تكثير في الذّات، والصّفات، ولو لم يكن كذلك لم يكن إلهاً، لأنّ كلّ ما هو مركب فهو مفتقر إلىٰ أجزائه، وواجب الوجود غني عن كلّ شيء، وإليه يفتقر كلّ شيء، ومعنىٰ هذا أنّ وصف ٱللّٰه سبحانه بالوحدة هو تعظيم، وتكبير، أمّا وصف سواه بالوحدة تصغير، وتقليل»[1].

(وَمَلَكَةُ الْقُدْرَةِ الصَّمَدِ): من يقصد في الْحَوَائِجِ، وهو صفة للْقُدْرَةِ، ويستوي

---

(١) أُنظر، الحكمة المتعالية (الأسفار): ٢٢٣/٤، شرح الهداية الأثيرية: ٢٢٧٤.

وهو الفيلسوف الإلهي صدر الدّين مُحمّد بْن إبراهيم الشّيرازي المشهور بـ(ملا صدرا)، أو (صدر المتألهين)، وهو من أعاظم فلاسفة الإسْلاَم، بل هو من أقطابها، بل عمدتهم، تتلمذ في بداية حياته علىٰ الشّيخ البهائي، ثُم علىٰ المحقق مُحمّد باقر الدّاماد، ومن أعرف تلاميذه صهراه ملا مُحْسِن الفيض الكاشاني، والشّيخ عبد الرّزاق اللاهيجي صاحب شوارق الإلهام.

فيه التّذكير، والتّأثير، والمعنىٰ يملك سبحانه الْقُدْرَةِ المطلقة الّتي ينتهي إليها كلّ شيء، ويعتمد عليها في جميع الحاجات (وَفَضِيلَةُ الْحَوْلِ، وَالْقُوَّةِ) الْحَوْلِ، والطّول، والْقُوَّةِ، والقُدرةِ، والمناعة، والمتانة كلمات متقاربة متشابكة في الدّلالة، والمدلول (وَدَرَجَةُ الْعُلُوِّ، وَالرِّفْعَةِ) في ملكِهِ، وعَظَمَتِهِ، وكرمِهِ، وقدرتهِ، وعلمِهِ، وعدالتّه، وجلاله، ورَحْمَته، ليس كمثله شيء وهو السّميع البصير (وَمَنْ سِوَاكَ مَرْحُومُ...) أَنْتَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ، والواحد القهار، والغالب الجبار، وكلّ شيء سِواكَ فهو مسكين حقير. وضعيف فَقِير إلىٰ فضلك، ورَحْمَتِك.

(مُخْتَلِفُ الْحَالاَتِ، مُتَنَقِّلٌ فِي الصِّفَاتِ) يتغير ٱلإنسَان من حال إلىٰ حال في حياته، وبعد مماته... حتّىٰ الجماد لايستقر علىٰ حالٍ واحدة. وقديماً قال الفليسوف اليوناني الشّهير هيرقليطس (٥٤٠ ـ ٥٧٥ ق م): «كلّ شيء في تغير متصل ذاتاً لا عرضاً، ومن أقواله: نحن موجودون، وغير موجودين؛ لأنّ الفناء يدب فينا في كلّ لحظة، وقال أيضاً: ٱلنّار تتحول إلىٰ الْهَوَآء، والْهَوَآء إلىٰ الماء، والماء إلىٰ التّراب. وقال: أفنيت عمري في البحث عن الرّوح بلا طائل حيث لم أظفر بحقيقتها لشدة خفائها»[1]. وصدق ٱللّه العظيم: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾[2].

(١) أُنظر، مختصر الاسطقسات في الهندسة، وكِتَاب الأُصول، وكِتَاب الأركان، وكِتَاب المفتوح لعوالم الرّوح للسيد مُحمّد عليّ هبة الدّين الشّهرستاني (ت ١٣٨٦ هـ).

(٢) الإسراء: ٨٥.

الدّعاء التاسع والعشرون

دُعَاؤُهُ إذَا قُتِّرَ عَلَيْهِ الرِّزقُ

أَللَّهُمَّ إِنَّكَ ابْتَلَيْتَنَا فِي أَرْزَاقِنَا بِسُوءِ الظَّنِّ ، وَفِي آجَالِنَا بِطُولِ الأَمَلِ ، حَتَّىٰ الْتَمَسْنَا أَرْزَاقَكَ مِنْ عِنْدِ الْمَرْزُوقِينَ ، وَطَمِعْنَا بِآمَالِنَا فِي أَعْمَارِ الْمُعَمَّرِينَ .

فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ، وَهَبْ لَنَا يَقِيناً صَادِقاً تَكْفِينا بِهِ مِنْ مَؤُونَةِ الطَّلَبِ ، وَأَلْهِمْنَا ثِقَةً خَالِصَةً تُعْفِينَا بِهَا مِنْ شِدَّةِ النَّصَبِ .

وَاجْعَلْ مَا صَرَّحتَ بِهِ مِنْ عِدَتِكَ فِي وَحْيِكَ ، وَأَتْبَعْتَهُ مِنْ قَسَمِكَ فِي كِتَابِكَ ... قَاطِعاً لاهْتِمامِنَا بِالرِّزْقِ الَّذِيْ تَكَفَّلْتَ بِهِ ، وَحَسْماً لِلاشْتِغَالِ بِمَا ضَمِنْتَ الْكِفَايَةَ لَهُ ، فَقُلْتَ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ الأَصْدَقُ ، وَأَقْسَمْتَ وَقَسَمُكَ الأَبَرُّ الأَوْفَىٰ : (وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ)[1] ، ثُمَّ قُلْتَ : (فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ

(١) الذّاريات: ٢٢.

أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ)[١].

تَقَدَّمَ الدُّعاء طلباً للرزق[٢]، ثُم عاد الإمام هنا وكرر التّوسل إلىٰ ٱللّه في طَلَب الرّزق عملاً بقول جدّه ٱلرَّسُول الأكرم ﷺ: «رحم ٱللّه عبداً طَلَب من ٱللّه حاجة فألح في الدُّعاء»[٣] وفي حديث آخر: «إنّ ٱللّه لا يمل حتّىٰ تملوا»[٤]. وفيما قرأت: أنّ رجلاً قصد كريماً في حاجة فأحسن إليه، وبعد أمد جاءه، وقال له: أنا الَّذِي أحسنت إليه يَوْم كذا، وكذا. فقال له: مرحباً بمن توسل إلينا بنا، وقضىٰ حاجته.

(أَللَّهُمَّ إِنَّكَ ابْتَلَيْتَنَا فِي أَرْزَاقِنَا بِسُوءِ الظَّنِّ) ٱختبرتنا بالخوف من ٱلْفَقْر، وأَنْتَ أَعْلَم بأنفسنا منا، ولكن لتظهر أفعالنا الّتي نستحق بها الثّواب، أو العقاب (وَفِي آجَالِنَا بِطُولِ الأَمَلِ) وأيضاً ٱختبرتنا بالسهو عن الْمَوْت حتّىٰ كأنّه علىٰ غيرنا كتب، فكانت ثمرة ذٰلِكَ أنْ (الْتَمَسْنَا أَرْزَاقَكَ مِنْ عِنْدِ الْمَرْزُوقِينَ) نسترزق طالبي رِزْقِكَ، ونستعين بمن لا حول له، ولا قوة إلا بحولك، وقوتك، وٱنتهينا من نسيان الْمَوْت إلىٰ طمعنا (بِآمَالِنَا فِي أَعْمَارِ الْمُعَمَّرِينَ) وما من آفةٍ أَعْظَمْ من الإغترار بالصحة، والشّباب، والطّمع في طول الأجَل، لأنّ الْمَوْت أقرب شيء إلىٰ ٱلإنسَان، وقد رأينا الشّبان الغلمان أكثر من الشّيوخ حيث يندر من يكبر، وفي الأشعار:

يعمّر واحد فيغر قوماً ... وينسوا من يموت من الشّباب

(١) الذّاريات: ٢٣.

(٢) أُنظر، الدُّعاء الأوّل، والعشرون، والثّاني والعشرون، والخامس والعشرون.

(٣) أُنظر، الكافي: ٢/٤٧٥ ح ٦، شرح أُصول الكافي: ١٠/٢٤٥، وسائل الشّيعة: ٧/٥٩.

(٤) أُنظر، مسند أحمد: ٦/٤٠، سنن أبي داود: ١/٣٠٨، الموطأ: ١/١١٨، صحيح مسلم: ١/٢١٧.

(وَهَبْ لَنَا يَقِيناً صَادِقاً تَكْفِينا بِهِ مِنْ مَؤُونَةِ الطَّلَبِ) لا بد من طَلَب الرّزق، والسّعي وراءه، وإلا فسدت الحياة، واختل النّظام العام، وفي أُصول الكافي: «إذا جلس الرّجل في بيته وقال: أللّهمّ أرزقني. يقال له: ألم آمرك بالطلب؟»[1]، وعَلَيْهِ يكون المُراد بمؤنة الطّلب هنا ثقلها، وصعوبتها، لا نفيها من الأساس، والدّليل علىٰ إرادة هذا المعنىٰ قوله: (تُغْفِينَا بِهَا مِنْ شِدَّةِ النَّصَبِ) أي شدة التّعب، ومشقته. وتَقَدَّمَ في الدُّعاء[2].

وفي السّماء رزقكم

(وَٱجْعَلْ مَا صَرَّحتَ بِهِ مِنْ عِدَتِكَ فِي وَحْيِكَ...) العِدة بكسر العين: الوعد، والحسم، والقطع بمعنىٰ واحد، والمُراد بالوحي هنا قوله تعالىٰ: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[3]، والإمامﷺ يسأل اللّه سبحانه أنْ يجعل إيماننا بتقدير الرّزق الحلال، وقسمته عن طريق السّعي، والعمل ـ راسخاً، وقوياً لا يعترضه الرّيب، كي ندع التّنافس، والتّناحر علىٰ المال، وتملكه، ولا نندفع وراء الطّمع، والجشع.

وما من أحدٍ يشك، وينازع في أنّ حبّ المال لسد الحاجة مندوب إليه... ولكن عن الطّريق المأمور به، وهو أوسع من الطّريق المنهي عنه كما قال الإمام أمير المُؤْمِنِينﷺ: «وما أحلّ لكم أكثر مما حرم عليكم، فذروا ما قلّ لما كثر، وما ضاق لما آتسع، قد تكفل لكم بالرزق، وأمرتم بالعلم، فلا يكونن المضمون لكم طلبه

---

(١) أُنظر، الكافي: ٢/٥١١ ح ٢، شرح أُصول الكافي: ١٠/٣٠٤، دعوات الراوندي: ٣٣.
(٢) أُنظر، الدُّعاء العشرون: فقرة ولا تجعل عيشي كداً كداً.
(٣) الذّاريات: ٢٢ـ٢٣.

أوْلىٰ بكم من المفروض عليكم»[1] أي عليكم العمل، وعلىٰ ٱللّٰـه الرّزق. ومـن الجهل، والحماقة أنْ تطلبوا الرّزق، وتتركوا العمل. وإلىٰ هذا أشار الإمام السّجاد حفيد الإمام عليّ ﷺ بقوله: «لِـلاشْتِغَالِ بِـمَا ضَـمِنْتَ الْكِـفَايَةَ» أي نـطلب الرّزق المضمون بـالعمل، والإشـتغال بـالطريق المشـروع لسـد الحـاجة لا للـتضاهي، والتّباهي، وغير ذٰلِكَ من المحرمات.

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ١/٢٢٥، الخطبة (١١٤)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحـديد: ٧/٢٥١ و ٢٦٠.

الدّعاء الثلاثون

دُعَاؤُهُ فِي الْمَعُونَةِ علىٰ قضاءِ الدَّينِ

أَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَهَبْ لِيَ الْعَافِيَةَ مِنْ دَيْنٍ تُخْلِقُ بِهِ وَجْهِي، وَيَحَارُ فِيهِ ذِهْنِي، وَيَتَشَعَّبُ لَهُ فِكْرِي، وَيَطُولُ بِمُمَارَسَتِهِ شُغْلِي.

وَأَعُوذُ بِكَ يَا رَبِّ مِنْ هَمِّ الدَّيْنِ، وَفِكْرِهِ، وَشُغْلِ الدَّيْنِ، وَسَهَرِهِ. فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَعِذْنِي مِنْهُ. وَأَسْتَجِيرُ بِكَ يَا رَبِّ مِنْ ذِلَّتِهِ فِي الْحَيَاةِ، وَمِنْ تَبِعَتِهِ بَعْدَ الْوَفَاةِ. فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَجِرْنِي مِنْهُ بِوُسْعٍ فَاضِلٍ، أَوْ كَفَافٍ وَاصِلٍ.

(وَهَبْ لِيَ الْعَافِيَةَ مِنْ دَيْنٍ تُخْلِقُ بِهِ وَجْهِي) أخلق الثّوب: بلي، وخلق الوجه: ذهب رونقه، ونضاره، وفي نهج البلاغة: «ماء وجهك جامد يقطره السّؤال، فانظر عند مَنْ تقطره»[1] والمُراد بماء الوجه النّضارة، والدّين مال النّاس عندك، وفي

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٨١/٤، الحكمة (٣٤٦)، شرح أُصول الكافي: ١٩٨/١، شرح نهج البلاغة

ذمتك، وله أهميته البالغة عند الكبار، والصّغار، ولا شيء يوازيه إلا اللحم، والدّم. وفي الحديث: «دماؤكم عليكم حرام، وأموالكم عليكم حرام»(١). ومن هنا كان لباذل المال ودائنه أجر عند ٱللَّه، وفضل علىٰ المدان، والمبذول له، والإمام عليه السلام يرجو ٱللَّه سبحانه أنْ يعافيه، ويُغنيه من فضله عن مال النّاس ديناً، كان أو بذلاً، لأنّ كلاً منهما ثقيل، ووبيل.

(وَيَحَارُ فِيهِ ذِهْنِي...) في سفينة البحار عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الدَّين همّ بالليل، وذل بالنهار»(٢)... «ماالوجع إلا وجع العين»(٣)، «ولا الهمّ إلا همّ الدّين»(٤).. «أعوذ بالله من الكفر، والدَّين. فقيل له: يا رَسُول ٱللَّه أيعدل الدَّين الكفر؟ قال نعم»(٥) يريد الدَّين المغصوب (وَمِنْ تَبِعَتِهِ بَعْدَ الْوَفَاةِ) أي من الحساب، والعذاب لعدم الأداء، والوفاء مع القُدرة. قال الإمام الباقر عليه السلام: «كلّ ذنب يكفره القتل في سبيل ٱللَّه إلا الدَّين، فإنّه لا كفارة له إلا أنْ يؤدىٰ، ويقضىٰ، أو يعفو الَّذِي له الْحَقّ»(٦)، قال

← للمعتزلي: ١٩/٢٦١، ينابيع الْمَوَدَّة: ٢/٢٤٩.

(١) أُنظر، المعيار والموازنة لأبي جَعْفَر الإسكافي: ١٠٨، الاحكام لابن حزم: ٢/١٧٥، فتح الباري: ٨/٨٢.

(٢) أُنظر، بحار الأنوار: ١٠٠/١٤١، المقنع للصدوق: ٣٧٧، الكافي: ٥/٩٥ح ١١، كنز العمال: ٦/٢٣١ح ١٥٤٧٩ و ١٥٤٨٣، فيض القدير شرح الجامع الصّغير: ٣/١٦٨ح ٢٩٢٥، كشف الخفاء: ١/٢٧١ح ٨٥٢، الجامع الصّغير: ١/٤١٥ح ٢٩٢٥، الوسائل: ١٨/٣١٦، الفقيه: ٣/١١٠ح ٢، مسند الشّهاب: ٢/٩٧.

(٣) أُنظر، وسائل الشّيعة: ١٢/٧٨، لسان الميزان: ٣/١٢٢ و: ٤/٤٧٣، علل الشّرائع: ٢/٥٢٩.

(٤) أُنظر، المصادر السّابقة، بالإضافة إلىٰ الرّواشح السّماوية للمحقق الداماد: ٢٠١.

(٥) أُنظر، الخصال: ١/٤٤ح ٣٩، مسند أحمد: ٣/٣٨، السّنن الكبرىٰ: ٤/٤٥٣، سبل الهدىٰ والرّشاد: ٩/٢٨٣.

(٦) أُنظر، الكافي: ٥/٩٤ح ٦، الوسائل: ١٣/٨٣ح ١، علل الشّرائع: ٥٢٨ح ٤، تهذيب

الصَّادِق ﷺ: «مات رجل من الأنصار وعَلَيْهِ دين، فلم يصَلِّ عَلَيْهِ النّبي ﷺ، وقال للصّحابة: «لا تصلوا علىٰ صاحبكم حتّىٰ يقضىٰ عنه الدّين»[1] (وَبِوُسْعٍ فاضِلٍ): زائد عن مقدار الحاجة (أوْ كَفَافٍ) مقدار الحاجة من غير زياده، أو نقصان.

وجاء يهودي إلىٰ رَسُول ٱللَّه ﷺ يتقاضاه ديناً عَلَيْهِ لم يحل أجله بعد، فجذب ثوب النّبي وقال: «إنّكم مطل يا بني عبدالمطلب. فانتهره عُمر، وشدد له في القول: فالتفت ٱلرَّسُول ﷺ إلىٰ عُمر وقال: أنا، واليهودي كنا إلىٰ غير هذا منك أحوج يا عُمر. كان عَلَيْكَ أنْ ترغب إلىٰ اليهودي في حُسن التّقاضي، وإليّ بحُسن سداد الدّين»[2]. وكان هذا السّلوك من رَسُول ٱللَّه ﷺ سبباً في إسلام اليهودي.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِـهِ، وَاحْجُبْنِي عَنِ السَّرَفِ، وَالازْدِيَادِ، وَقَوِّمْنِي بِالْبَذْلِ، وَالاقْتِصَـادِ، وَعَلِّمْنِي حُسْنَ التَّـقْدِيرِ، وَاقْـبِضْنِي بِلُطْفِكَ عَنِ التَّبْذِيرِ، وَأَجْرِ مِنْ أَسْبَابِ الْحَلَالِ أَرْزَاقِي، وَوَجِّـهْ فِـي أَبْوَابِ الْبِرِّ إِنْفَاقِي، وَازْوِ عَنِّي مِنَ الْمَالِ مَا يُحْدِثُ لِي مَخْيَلَةً، أَوْ تَأَدِّياً إِلَىٰ بَغْيٍ، أَوْ مَا أَتَعَقَّبُ مِنْهُ طُغْيَـاناً.

(وَاحْجُبْنِي عَنِ السَّرَفِ...) وهو التّبذير، وتجاوز الحدّ المعقول، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ﴾[3]، والزّيادة عطف تكـرار، وأجـرىٰ عَـلَيْهِ الرّزق: أفاضه عَلَيْهِ (وَوَجِّهْ فِي أَبْوَابِ الْبِرِّ) أي في جهة البر، وأوزعني: أمنعني،

--- الأحكام: ١٨٤/٦.

(١) أنظر، بحار الأنوار: ١٤٣/١٠٠، وسائل الشّيعة: ٧٩/١٣، المحاسن للبرقي: ٣١٨/٢.

(٢) كان هذا اليهودي هو زيد بن سعنة قبل إسلامه. أنظر، الشّفا بتعريف حقوق المصطفىٰ: ١٠٩/١، موارد الظمآن: ٥١٧، الدر المنثور: ١٣٣/٣، الطّبقات الكبرىٰ: ٣٦١/١ قريب منه.

(٣) الإسراء: ٢٧.

ومَخيلة بفتح الميم من الخيلاء بمعنىٰ الكبر، والعجب، والتّأدي إلىٰ الشّيء: الوصول إليه، وأتعقب منه طغياناً: أرتكب بسببه حراماً، وطغياناً.

ومضمون هذا المقطع من الدُّعاء بجمله مجتمعة أنّ المال وحده لا يغني عن الدّين إذا لم يكن معه تدبير، وحسن تقدير، فقد يكون للمرء أملاك طائلة، ولكن يبذرها في سبيل الشّيْطَان، فيضطر إلىٰ الدّين، والرّهونات. لذا سأل الإمام ربّه سبحانه أنْ يقومه بالبذل، والإقتصاد، أي يجعله معتدلاً في بذلِهِ، وإنفاقه، فيأتيه المال من حلال، ويصرفه في الحلال، فلا يأخذ درهماً من غير حقّ، ولا يضع درهماً كما سأله أنْ يزوي عنه من المال ما يوجب الخيلاء، والكبرياء، ويؤدي إلىٰ الْبَغْيِ، والطّغيان.

أَللَّهُمَّ حَبِّبْ إلَيَّ صُحْبَةَ الْفُقَرَآءِ، وَأَعِنِّي عَلَىٰ صُحْبَتِهِمْ بِحُسْنِ الصَّبْرِ، وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا الفَانِيَةِ فَاذْخَرْهُ لِيْ فِي خَزَائِنِكَ البَاقِيَةِ، وَاجْعَلْ مَا خَوَّلْتَنِي مِنْ حُطَامِهَا، وَعَجَّلْتَ لِي مِنْ مَتَاعِهَا بُلْغَةً إلَىٰ جِوَارِكَ، وَوُصْلَةً إلَىٰ قُرْبِكَ، وَذَرِيعَةً إلَىٰ جَنَّتِكَ.

إنَّكَ ذو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ، وَأَنْتَ الْجَوَادُ الْكَرِيْمُ.

(**أَللَّهُمَّ حَبِّبْ إلَيَّ صُحْبَةَ الْفُقَرَآءِ**) يتعوذ الإمام ﷺ من ٱلْفَقْر، لأنّه كفر، ويحب صحبة ٱلْفُقَرَاء تواضعاً لله، وطاعة لأمره تعالىٰ حيث قال لنبيه ٱلْكَرِيمِ ﷺ وهو يوصيه بأهل ٱلْفَقْر، والمسكنة: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾[1]، وأيضاً قال لنجيه الأعظم: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ

(١) الكهف: ٢٨.

لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، قيل: المُراد المستضعفون منهم. وقال نبي الرَّحْمَة ﷺ: «أَللَّهُمَّ أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، وأبعثني مع المساكين»[٢]. وفي نهج البلاغة: «ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند ٱللَّه، وأحسن منه تيه ٱلْفُقَرَاء علىٰ الأغنياء إتكالاً علىٰ ٱللَّه»[٣].

(وَأَعِنِّي عَلَىٰ صُحْبَتِهِمْ بِحُسْنِ الصَّبْرِ) ٱلْفَقْر مأساة، ويعاني ٱلْفُقَرَاء من كفره، وجوره ما يعانون... فيتذمرون، ويشكون، لأنّ أكثر النّاس لا أصطبار لهم علىٰ المرارة، والكثير منهم لايأنفون من كشف الحالات، والكربات... ولا مناص من الإصغاء، والدُّعاء، وإلا زدتهم كرباً علىٰ كرب... وفي شتىٰ الإحوال فإنّ مجالسة ٱلْفُقَرَاء أسلم ديناً، ودنيا من مجالسة الأغنياء. قال الهادي البشير ﷺ: «لا تجالسوا الموتىٰ. قيل: ومَن هُم يا رَسُول ٱللَّه؟ قال: كلّ غني مترف»[٤]. وقال وصي النّبيﷺ: «مجالسة الأشرار تورث سوء الظّن بالأخيار»[٥]. وقال باقر العلوم ﷺ: «إياكم ومجالسة الأغنياء، فإنّ ٱلإِنسَان يجالسهم وهو يرىٰ أنّ لله عَلَيْهِ نعمة، فما

---

(١) الحجر: ٨٨.

(٢) أُنظر، سنن التّرمذي: ٥٧٧/٤ ح ٢٣٥٢، سنن ابن ماجه: ١٣٨١/٢ ح ٤١٢٦، سنن البيهقي: ١٢/٧.

(٣) أُنظر، نهج البلاغة: ٩٥/٤، الحكمة (٤٠٦)، شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ١٤٩/١٣ و: ٣٩/٢٠، شرح أُصول الكافي: ١٨٤/١، عيون الحكم والمواعظ: ٤٧٨، تأريخ بغداد: ٤٣٢/٩ البداية والنّهاية: ٢٤٢/١١.

(٤) أُنظر، الخصال: ٢٢٨ ح ٦٥، وسائل الشّيعة: ١٩٨/٢٠، بحار الأنوار: ١٢٩/٢، مستدرك البحار: ٥١/٤.

(٥) أُنظر، عيون أخبار الرّضا: ٥٨/١، أمالي الصّدوق: ٥٣١، صفات الشّيعة: ٦، الوسائل: ٢٦٥/١٦.

يقوم حتّىٰ يرىٰ أنْ ليس لله عَلَيْهِ نعمة»[1].

وفي كِتَاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان اَلتَّوْحِيدي: «أنّ أبا بكر بْن عبد اَلرَّحْمَنِ ابن الحارث كان لا يلي لمعاوية عملاً، ولا يقبل منه نائلاً. فقال له معاوية: هي الدُّنْيَا، فإمّا أنْ ترضع معنا، وإمّا أنْ ترتدع عنا»[2].

(وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا الفَانِيَةِ...) وأوضح تفسير لهذه الجملة، وأبلغ قول الإمام عليّ ‏ جدّ الإمام السّجاد ‏: «وٱعلموا أنّ ما نقص من الدُّنْيَا وزاد في الآخرة خير مما نقص من الآخرة وزاد في الدُّنْيَا فَكَم من منقوص رابح، ومزيد خاسر»[3].

---

(١) أُنظر، أمالي الصّدوق: ٢١٠/١ ح ٣، بحار الأنوار: ١٩٤/٧٤ ح ٢١، روضة الواعظين: ٤٧٣، وسائل الشّيعة: ٣٦/١٢، وفي بعض المصادر فقط صدر الحديث (إياكم ومجالسة الأغنياء)، كما في سنن التّرمذي: ١٥٥/٣، شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ١٥٩/٣، كنز العمال: ٣٩١/٣، مستدرك الحاكم: ٣١٢/٤، الخصال: ٨٧.

(٢) أُنظر، الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان اَلتَّوْحِيدي: ١٧٩/٣، طبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة.

(٣) أُنظر، نهج البلاغة: ٢٢٥/١، الخطبة (١١٤)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ٢٥١/٧، عيون الحكم والمواعظ: ٢٣٨٠، غرر الحكم: الحكمة (٦٩٦٠).

الدُّعاء الحادي والثَّلاثون

دُعَاؤُهُ بِالتَّوْبَةِ

أَللَّهُمَّ يَا مَنْ لاَ يَصِفُهُ نَعْتُ الْوَاصِفِينَ، وَيَا مَنْ لاَ يُجَاوِزُهُ رَجَاءُ الرَّاجِينَ، وَيَا مَنْ لاَ يَضِيعُ لَدَيْهِ أَجْرُ الْمُحْسِنِينَ، وَيَا مَنْ هُوَ مُنْتَهَىٰ خَوْفِ الْعَابِدِيْنَ، وَيَا مَنْ هُوَ غَايَةُ خَشْيَةِ الْمُتَّقِينَ...

هَذا مَقَامُ مَنْ تَدَاوَلَتْهُ أَيْدِي الذُّنُوبِ، وَقَادَتْهُ أَزِمَّةُ الْخَطَايَا، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، فَقَصَّرَ عَمَّا أَمَرْتَ بِهِ تَفْرِيطاً، وَتَعَاطَىٰ مَا نَهَيْتَ عَنْهُ تَغْرِيراً، كَالْجاهِلِ بِقُدْرَتِكَ عَلَيْهِ، أَوْ كَالْمُنْكِرِ فَضْلَ إِحْسَانِكَ إِلَيْهِ، حَتَّىٰ إِذَا انْفَتَحَ لَهُ بَصَرُ الْهُدَىٰ، وَتَقَشَّعَتْ عَنْهُ سَحَائِبُ الْعَمَىٰ أَحْصَىٰ مَا ظَلَمَ بِهِ نَفْسَهُ، وَفَكَّرَ فِيمَا خَالَفَ بِهِ رَبَّهُ، فَرَأَىٰ كَبِيْرَ عِصْيَانِهِ كَبِيْراً، وَجَلِيل مُخالفَتِهِ جَلِيْلاً.

تَقَدَّمَ دُعَاء التَّوْبَة في دُعَاء مستقل[1]، وشرحته بما فيه الكفاية، لذا أقتصرُ هُنا

(١) أُنظر. الدُّعاء الثَّاني عشر.

علىٰ ما يتناوله فهمي من ظاهر الكلمات مباشرةً، بلا بحثٍ، وتتبعٍ.

وإنّما عاد الإمام ﷺ إلىٰ التَّوْبَة؛ لأنّها من أهم الواجبات، وأقدسها، وقد نزلت بها سورة خاصة[1]، إضافة إلىٰ العديد من آياتها في سور شتىٰ تحث عليها بأروع الأساليب في التّشويق، والتّرغيب، منها الآية: ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَاتَتَوَلَّوْاْمُجْرِمِينَ﴾[2]، والآية: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[3] أي قبولها عَلَيْهِ تعالىٰ حتمٌ بحكمهِ هو، ومشيئته.

(أَللَّهُمَّ يَا مَنْ لاَ يَصِفُهُ نَعْتُ الْوَاصِفِينَ) إلا بأنّه الواحد الَّذِي ليس كمثله شيء وفي الحديث: «تكلموا في خلق الله، ولا تتكلموا في ذات ٱللَّـه»[4] (وَيَـا مَـنْ لاَ يُجَاوِزُهُ رَجَاءُ الرَّاجِينَ) إذا منعك أي إنسان حاجة طلبتها منه تجاوزته، وقصدت بها سواه، أمّا إذا كان سبحانه هو الَّذِي منعك، وحـرمك فـإلىٰ مَـن تشكـو، وتسأل، وترجو؟ (وَيَا مَنْ لاَ يَضِيعُ لَدَيْهِ أَجْرُ الْمحْسِنِينَ) لأنّه تعالىٰ أمرنا بالإحسان وقال: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[5] ومحال في حقهِ تـعالىٰ أنْ يُـحِبُّ مـنا مـا يكرهه من نفسه، لقد أمرنا بالعفو وعفا، وبالجود وجاد... (وَيَا مَنْ هُوَ مُنْتَهَىٰ خَوْفِ الْعَابِدِيْنَ) كلّ عارف بالله حقاً يخاف حسابه، وعقابه وإنْ كـان مُـطيعاً، ويـرجـو

---

(١) أُنظر، سُورَةُ ٱلتَّوْبَةِ: (١ ـ ١٢٩): ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ.... فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾

(٢) هود: ٥٢.

(٣) النّساء: ١٧.

(٤) أُنظر، الكافي: ١/٩٢ ح ٤، شرح أُصول الكافي: ٣/١٤٧، وسائل الشّيعة: ١١/٤٥٤، الهداية للصدوق: ١٤.

(٥) ٱلْبَقَرَة: ١٩٥.

رَحْمَته، ومغفرته وإنْ يكُ عاصياً (وَيَا مَنْ هُوَ غَايَةُ خَشْيَةِ الْمُتَّقِينَ) وقد حدد سبحانه الْمُتَّقِين بقوله: ﴿وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾[1] أي يتركون ما حرم ٱللّه خوفاً منه، وإنْ كانوا في أمنٍ، وأمان من لوم اللائمين، وأعين النّاس أجمعين.

(هَذا مَقَامُ مَنْ تَدَاوَلَتْهُ أَيْدِي الذُّنُوبِ...) ليس هذا إعتذاراً، وإقلاعاً عما فعل ـ كيف وهو الإمام المعصوم ـ بل أستغفاراً، وخضوعاً لذات الْجَلاَل، والكمال. وتَقَدَّمَ مثله[2]. (حَتَّىٰ إذَا انْفَتَحَ لَهُ بَصَرُ الْهُدَىٰ...) أنكشف له الواقع، وأتضح كضوء النّهار، وعرف أنّه لا سبيل إلىٰ النّجاة إلا بطاعة ٱللّه، فأقلع عن هَوَاهُ، وخطاياه، وأسلم وجهه إلىٰ ٱللّه عن توبةٍ خالصة، ورغبةٍ صادقة (فَرَأَىٰ كَبِيْرَ عِصْيَانِهِ كَثِيْراً...) قال النّبي ٱلكَرِيمِ ﷺ: «من رأىٰ إنّه مسيء فهو مُحْسِن، ومن رأىٰ إنّه مُحْسِن فهو مسيء»[3] والإمام يرىٰ الهفوة الصّغيرَة من أكبر الكبائر؛ لأنّه أدرىٰ النّاس بعقبىٰ الهفوات، والزّلات.

وبعد، فكلما أزداد ٱلإنسان علماً، وتقىٰ أتهم نفسه بالتّقصير، وتوقع منها الخطإ، وكلّما قلّ علمه، ودينه، وضاق تفكيره، وقصر نظره ـ نَزّه نفسه من العيوب، وبرأها من الذُّنوبِ، وقال: مَن مثلي!.

فَأَقْبَلَ نَحْوَكَ مُؤَمِّلاً لَكَ، مُسْتَحْيِياً مِنْكَ، وَوَجَّهَ رَغْبَتَهُ إلَيْكَ ثِقَةً بِكَ، فَأَمَّكَ بِطَمَعِهِ يَقِيناً، وَقَصَدَكَ بِخَوْفِهِ إخْلَاصاً.

---

(١) الأنبياء: ٤٨ـ٤٩.

(٢) أُنظر، الدُّعاء السّادس عشر، وغيره.

(٣) أُنظر، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٠/٣١٧، الحكمة (٦٤١).

قَدْ خَلاَ طَمَعُهُ مِنْ كُلِّ مَطْمُوعٍ فِيهِ غَيْرِكَ، وَأَفْرَخَ رَوْعُهُ مِنْ كُلِّ مَحْذُورٍ مِنْهُ سِوَاكَ. فَمَثَّلَ بَيْنَ يَدَيْكَ مُتَضَرِّعاً، وَغَمَّضَ بَصَرَهُ إِلَى الأَرْضِ مُتَخَشِّعاً، وَطَأْطَأَ رَأْسَهُ لِعِزَّتِكَ مُتَذَلِّلاً، وَأَبَثَّكَ مِنْ سِرِّهِ مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْهُ خَضُوعاً، وَعَدَّدَ مِنْ ذُنُوبِهِ مَا أَنْتَ أَحْصَىٰ لَهَا خُشُوعاً.

وَاسْتَغَاثَ بِكَ مِنْ عَظِيمِ مَا وَقَعَ بِهِ فِي عِلْمِكَ، وَقَبِيحِ مَا فَضَحَهُ فِي حُكْمِكَ مِنْ ذُنُوبٍ أَدْبَرَتْ لَذَّاتُهَا فَذَهَبَتْ، وَأَقَامَتْ تَبِعَاتُهَا فَلَزِمَتْ، لاَ يُنْكِرُ يَا إِلٰهِي عَدْلَكَ إِنْ عَاقَبْتَهُ، وَلاَ يَسْتَعْظِمُ عَفْوَكَ إِنْ عَفَوْتَ عَنْهُ، وَرَحِمْتَهُ؛ لأَنَّكَ الرَّبُّ الْكَرِيمُ الَّذِي لاَ يَتَعَاظَمُهُ غُفْرَانُ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ.

(فَأَقْبَلَ نَحْوَكَ مُؤَمِّلاً لَكَ) مَن أقبلَ علىٰ ٱللَّه أقبلَ ٱللَّه عَلَيْهِ كما تشير الآية الكريمة: ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[١]، وفي الحديث: «من تقرب إلىٰ ٱللَّه شبراً تقرب ٱللَّه إليه ذراعاً»[٢].

الحياء من ٱللَّه

(مُسْتَحْيِياً مِنْكَ) الحياء من العائبة سُنة ٱلصَّالِحِينَ، وأرفع درجاته ما كان من ٱللَّه سبحانه. فإذا لم تكن تراه فإنّه يراك. وقال ٱلرَّسُول الهادي ﷺ: «الاستحياء من ٱللَّه، حقّ الحياء أنْ تحفظ الرّأس، وما وعىٰ، والبطن وما حوىٰ، وأنْ تذكر الْمَوْت، والبلىٰ»[٣]، والمُراد بالتحفظ عما وعىٰ الرّأس النّهي عن اللصوصية، والشّيطنة الّتي

---

(١) ٱلبَقَرَة: ١٥٢.

(٢) أُنظر، مسند أحمد: ٣/٤٠، المعجم الكبير: ٢/١٥٥، الإصابة: ٢/٤٨٧، تأريخ بغداد: ١١/١٦.

(٣) أُنظر، سنن التّرمذي: ٤/٥٤، تحفة الاحوذي: ٧/١٣٠، شرح نهج البلاغة للمعتزلي:

تدبر المؤمرات، والإنقلابات الإستعمارية، وتثير الحروب، والْفِتَن الأهلية، وتنفث السّموم في النّشرات، والدّعايات، وترفع الشّعارات الكاذبة المضللة، وتصنع الأسلحة الجهنمية، وآلات التّجسس، والمواد السّامة الّتي تأتي علىٰ اليابس والأخضر... إلىٰ كلّ مكرٍ، وشرٍ، وسلبٍ، ونهبٍ، والمُراد بالتحفظ عما حوىٰ البطن النّهي عن الشّهوات، والمحرمات، أمّا ذكر الْمَوْت فهو عظة لمن أتعظ.

معنىٰ الثّقة بالله

(وَوَجِّهْ رَغْبَتَهُ إِلَيْكَ ثِقَةً بِكَ) ومعنىٰ الثّقة، وحسن الظّن بالله أنْ تسلم الأمر كلّه إليه، وتقبل ظاهراً، وباطناً جميع أقواله، وأفعاله علىٰ أنّها عين الْحَقّ، والعدل، والْخَيْر، والحكمة بلا شكّ، وأعتراض، ولا طَلَب للمبررات، والتّعليلات بآرائك، أو آراء سِواكَ؛ لأنّ حكمته تعالىٰ تماماً كذاته لا يدركها وهم، أو يحيط بها فهم، وبهذا نجد تفسير قوله تعالىٰ: ﴿لَايُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[1].

وفي حديث قدسي: «أنا عند حسن ظن العبد بي، إنْ خيراً فخير، وإنْ شراً فشر»[2] وفي حديث نبوي: «ما أعطي عبد خير الدُّنيا، والآخرة إلا بحسن ظنه بالله تعالىٰ، ورجائه له، وكَفّ الأذىٰ عن النّاس»[3] ومعنىٰ هذا أنّ بين ٱللّـه، وعِبَادِهِ أرتباطاً وثيقاً، أشبه ـ وإنْ بعُد القياس، والشّبه ـ بأرتباط الأب ٱلرَّحِيمِ بأولاده، هم

← ١٢٩/١، التّرغيب والتّرهيب للمنذري: ١٦٦/٣، العهود المحمدية: ٤٦٠.

(١) الأنبياء: ٢٣.

(٢) أُنظر، مصباح الشّريعة: ١٧٤، الكافي: ٧٢/٢، بحار الأنوار: ٣٦٦/٦٧، عوالي اللئالي: ٢٥/١.

(٣) أُنظر، فقه الرّضا: ٣٦٠، عدة الدّاعي: ١٣٥، الكافي: ٧٢/٢ح ٢، شرح أُصول الكافي: ٢٢٩/٨.

يثقون بلطفه، وعطفه، وهو يعمل لخيرهم، وسعادتهم، وكان النّبيﷺ ينهىٰ عن سوء الظّن بأيّ كان، ويقول: «إياكم والظّن، فإنه أكذب الحديث»(١). وكره أنْ ينقل إليه ظن السُّوء وحديثه، وقال: «لا تحدثوني عن أصحابي شيئاً، فإنّي أحبّ أنْ أخرج إليكم وأنا سليم الصّدر»(٢). وقد حرم الإسْلاَم الصّدق في إرشاد اللّص إلىٰ أمْوَال النّاس، والظّالم إلىٰ المظلوم الهارب من الظُّلم، وفي النّميمة.

(فَأَمَّكَ بِطَمَعِهِ يَقِيناً) قصدك واثقاً بفضلك، وفي دُعَاء آخر: «إنّي برحمتك أوثق منّي بعملي»(٣) (وَقَصَدَكَ بِخَوْفِهِ إِخْلَاصاً) خاف من عذابك ففر منه إلىٰ رَحْمَتِك مخلصاً في رجائه، وندائه (قَدْ خَلاَ طَمَعُهُ مِنْ كُلِّ مَطْمُوعٍ فِيهِ غَيْرِكَ) قطع الرّجاء إلا منك. وقد تَقَدَّمَ(٤) (وَأَفْرَخَ رَوْعُهُ مِنْ كُلِّ مَحْذُورٍ مِنْهُ سِوَاكَ...) أفرخ: انكشف، وذهب، والرّوع: الخوف، والفزع، والمعنىٰ لا خوف من شيء إطلاقاً إلا من لقاء اللّه غداً، والوقوف بين يديه لنقاش الحساب.

(وَغَمَّضَ بَصَرَهُ إِلَىٰ الأَرْضِ...) وقف علىٰ بابك خاشعاً مستجيراً، ومعترفاً بكلّ ما تعلمه منه، وتنكره عَلَيْهِ، ولا يملك من شيء إلا التّوسل بجودك، ورَحْمَتِك. وقد تَقَدَّمَ(٥) (لاَ يُنْكِرُ يَا إِلٰهِي عَدْلَكَ إِنْ عَاقَبْتَهُ...) إنْ تعذب فبعدلك، وإنْ تغفر فبفضلك. وتَقَدَّمَ(٦)، وبكلمة الإمام أمير المُؤْمِنينﷺ: «أَللّهُمَّ أنا عبدك، فإنْ كنت

---

(١) أُنظر، المحلىٰ: ١ / ٧١، مسند أحمد: ٢ / ٢٤٥، صحيح البخاري: ٦ / ١٣٦، صحيح مسلم: ٨ / ١٠.

(٢) أُنظر، مَكَارِم الأخْلاَق: ١٧، بحار الأنوار: ١٦/ ٢٣٠، تفسير ابن كثير: ٥٢٩/٣.

(٣) أُنظر، إقبال الأعمال: ٣١٩/١، بحار الأنوار: ١٢٦/٩٨، التّهذيب: ٨١/٣، الكافي: ٤٦/٥.

(٤) أُنظر، الدُّعاء الحادي والعشرون، وغيره.

(٥) أُنظر، الدُّعاء الثّاني عشر.

(٦) أُنظر، الدُّعاء العاشر.

مطيعاً فاكرمني وإنْ كنت عاصياً فارْحَمْنِي»[١].

أَللَّهُمَّ فَهَا أَنَا ذَا قَدْ جِئْتُكَ مُطِيعاً لِأَمْرِكَ فِيمَا أَمَرْتَ بِهِ مِنَ آلدُّعَاءِ، مُتَنَجِّزاً وَعْدَكَ فِيمَا وَعَدْتَ بِهِ مِنَ الإِجَابَةِ، إِذْ تَقُولُ: (آدْعُونِيَ أَسْتَجِبْ لَكُمْ)[٢].

أَللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَآلْقَنِي بِمَغْفِرَتِكَ كَمَا لَقِيتُكَ بِإِقْرَارِي؛ وَارْفَعْنِي عَنْ مَصَارِعِ الذُّنُوبِ كَمَا وَضَعْتُ لَكَ نَفْسِي، وَاسْتُرْنِي بِسِتْرِكَ كَمَا تَأَنَّيْتَنِي عَنِ الانْتِقَامِ مِنِّي.

أَللَّهُمَّ، وَثَبِّتْ فِي طَاعَتِكَ نِيَّتِيْ، وَأَحْكِمْ فِي عِبَادَتِكَ بَصِيرَتِي، وَوَفِّقْنِي مِنَ الأَعْمَالِ لِمَا تَغْسِلُ بِهِ دَنَسَ الخَطَايَا عَنِّي، وَتَوَفَّنِي عَلَىٰ مِلَّتِكَ، وَمِلَّةِ نَبِيِّكَ: مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ إِذَا تَوَفَّيْتَنِي.

(أَللَّهُمَّ فَهَا أَنَا ذَا قَدْ جِئْتُكَ...) فتحت باب الدُّعاء لكلّ من دعاك، وضمنت له الإجابة، وقد دعوتك، وسمعت دعائي، فانجز لِي ما وعدت، يا مَن وعده أصدق الوعد (وَآلْقَنِي بِمَغْفِرَتِكَ كَمَا لَقِيتُكَ بِإِقْرَارِي) أتيتك مُقِرّاً بالذنب، فاستقبلني بعفوك، ولا تحرمني من رَحْمَتِك (وَارْفَعْنِي عَنْ مَصَارِعِ الذُّنُوبِ) نجني من عذاب الأمكنة الّتي تعاقب بها المجرمين (كَمَا وَضَعْتُ لَكَ نَفْسِي) ذللتها لعظمتك (وَاسْتُرْنِي بِسِتْرِكَ) ولا تفضحني بسوء فعلي بين يديك، وأمام عبادك يَوْم ألقاك (كَمَا تَأَنَّيْتَنِي عَنِ الانْتِقَامِ مِنِّي) أمهلتنيْ بحلمك، ولم تعاجلني بالعقوبة حين أذنبت فأتمم لِي إنعامك بالستر، والعفو، إنّك خير المنعمين. وفي الأمثال: «خير الإنعام

(١) أُنظر، الكافي: ٢/٧٥ ح ٦، شرح أُصول الكافي: ٨/٢٤١، وسائل الشّيعة: ١٥/٢٣٤.
(٢) غافر: ٦٠.

بالإكمال»[١]. (وَثَبِّتْ فِي طَاعَتِكَ نِيَّتِي) أدم طاعتي لك حتّىٰ تقبضني إليك علىٰ هداك، ورضاك (وَأَحْكِمْ فِي عِبَادَتِكَ بَصِيرَتِي) اجْعَلْ عبادتي عن معرفةٍ، وإخلاص لتكون مقبولة لديك ومُرْضِيَّة.

الموازنة بين الْحَسَنَات، والسَّيِّئات

(وَوَفِّقْنِي مِنَ الأَعْمَالِ لِمَا تَغْسِلُ بِهِ دَنَسَ الخَطَايَا عَنِّي) قال سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[٢]. وعلىٰ هذا الأساس فمَن أساء، وأحسن، وهو مؤمن بالله يوازن بين حسناته، وسيئاته، فإنْ كانت الإساءة أكثر كان كمن لم يُحسن، وإنْ يكّ الإحسان أكثر كان كمَن لم يسيء، إذ الأكثر يغلب الإقل، وإنْ تساويا كان كمَن لم يصدر عنه شيء، والإمام ﷺ يسأل ٱللَّه أنْ يجعله من النّوع الثّاني.

(وَتَوَفَّنِي...) ﴿مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّـٰلِحِينَ﴾[٣]، وفي دُعَاء آخر: «لا تميتني علىٰ غضبك»[٤].

أَللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ فِي مَقَامِي هَذَا مِنْ كَبَائِرِ ذُنُوبِي، وَصَغَائِرِهَا، وَبَوَاطِنِ سَيِّئَاتِي، وَظَوَاهِرِهَا، وَسَوَالِفِ زَلاَّتِي، وَحَوَادِثِهَا، تَوْبَةَ مَنْ لاَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِمَعْصِيَةٍ، وَلاَ يُضْمِرُ أَنْ يَعُودَ فِي خَطِيئَةٍ.

---

(١) أُنظر، مجمع الأمثال للميداني: ٢/٢٥١، طبعة مصر.

(٢) الزّلزلة: ٧ـ٨.

(٣) يوسف: ١٠١.

(٤) أُنظر، البحار: ٩٥/٢٢٠، كلمات الإمام الحُسين، للقرشي: ٧٩٧، حياة الإمام الحُسين، للقرشي: ١/١٧٣.

وَقَدْ قُلْتَ يَا إِلٰهِي فِي مُحْكَمِ كِتابِكَ إِنَّكَ تَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِكَ، وَتَعْفُو عَنِ السَّيِّئاتِ، وَتُحِبُّ التَّوَّابِينَ. فَاقْبَلْ تَوْبَتِي كَمَا وَعَدْتَ، وَأَعْفُ عَنْ سَيِّآتِي كَمَا ضَمِنْتَ، وَأَوْجِبْ لِي مَحَبَّتَكَ كَمَا شَرَطْتَ.

وَلَكَ يَا رَبِّ شَرْطِي أَلَّا أَعُودَ فِي مَكْرُوهِكَ، وَضَمَانِي أَلَّا أَرْجِعَ فِي مَذْمُومِكَ، وَعَهْدِي أَنْ أَهْجُرَ جَمِيعَ مَعَاصِيكَ.

كَبار الذُّنُوب، وصغارها

(أَللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ فِي مَقَامِي هَذَا مِنْ كَبَائِرِ ذُنُوبِي، وَصَغَائِرِهَا) معصية ٱللَّه هفوة، وخلة ذميمة من حيث هي، لا يرتضيها مؤمن من نفسه، ولكن بعض الشرّ أهون من بعض... وما من شك أنّ ٱلإنسان ـ غير المعصوم ـ يصعب عَلَيْهِ الإجتناب عن كلّ المحقرات خفيفها، وثقيلها، وإلىٰ هذا أشار الهادي الشّفيع بقوله[1]:

إنْ تغفر أَللَّهُمَّ تغفر جمّا   وأي عبدٍ لكَ ما ألمّا

ومن هنا جاء تقسيم الذُّنُوب إلىٰ كبار، وصغار كتاباً، وسُنة، وإجماعاً، وعقلاً، فمن ٱلْكِتَاب: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾[2] والمُراد باللّمم هنا الصّغائر من الذُّنُوبِ. ومن السُّنة: «لا صَغيرَة مع الإصرار، ولا كَبيرَة مع الإستغفار»[3]. وعَلَيْهِ الإجماع قديماً، وحديثاً، ونعرف حكم العقل في ذٰلِكَ من

(١) أُنظر، السّنن الكبرىٰ: ١٠/١٨٥، تفسير الثّعالبي: ٥/٥٢٥، مستدرك الحاكم: ١/٥٥ و: ٢/٤٦٩ و: ٤/٢٤٥، كنز العمال: ٢/١٩٠ ح ٣٦٩٦، الدّر المنثور: ٦/١٢٧ و ٣٤٩، أُسد الغابة: ٥/٥١٦، الشرح الكبير: ١٢/٣٨.

(٢) النّجم: ٣٢.

(٣) أُنظر، كشف القناع: ٦/٥٣٣، الكافي: ٢/٢٨٨ ح ١، وسائل الشّيعة: ١١/٢٦٨ ح ٣، بدائع

تقسيم الجريمة في الشّرائع الوضعية إلىٰ جُنحة، وجناية[1].

وٱختلفت الأقوال، والآراء، وتضاربت في تحديد الجريمة الكبيره، والصَّغيرَة. وبالإجمال فإنّ الذُّنُوب، والآثام تتفاوت قوةً، وضعفاً تبعاً لما لها من آثار سيئة في حياة الفرد، أو المجتمع، فمن حرب الإبادة بالملايين، وٱستعمار الشّعوب، ونهب أقواتها إلىٰ كلمة قارصة، والأكل، والشّرب في آنية الذّهب، والفضة. والتّفصيل في كُتُب الفقه، والشّرائع.

(تَوْبَةَ مَنْ لاٰ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِمَعْصِيَةٍ) علماً بأنّ حديث النّفس بالمعصية ليس بمعصية توجب الحساب، والعقاب إلا تجاوز النّفس إلىٰ قولٍ، أو فعلٍ (وَلاَ يُضْمِرُ أَنْ يَعُودَ فِي خَطِيئَةٍ) معنىٰ التّوْبَة من الذّنب الرّجوع إلىٰ طاعة ٱللّٰه بعد الإنصراف عنها، ولا يتم هذا الرّجوع حقاً، وواقعاً إلا أنْ يعزم التّائب علىٰ البقاء مع ٱللّٰه، وطاعته، ويضمر عدم الرّجوع إلىٰ معصيته. ويأتي المزيد من التّوضيح بعد لحظة (وَقَدْ قُلْتَ يَا إِلٰهِي فِي مُحْكَمِ كِتَابِكَ...): ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[2]... ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[3]. (فَاقْبَلْ تَوْبَتِي كَمَا وَعَدْتَ...) واضح، وتَقَدَّمَ قبل قليل في قوله: « مُتَنَجِّزاً وَعْدَكَ فِيمَا وَعَدْتَ بِهِ مِنَ الإِجَابَةِ » (وَلَكَ يَا رَبِّ شَرْطِي أَلَّا أَعُودَ...) هذا الشّرط أصل أصيل في كلّ تائب؛ لأنّ التّوْبَة إقلاع عن الذّنب، ولا إقلاع مع الرّجوع، والعودة. وفي بعض الرّوايات: «المُقيم علىٰ الذّنب وهو منه مستغفر كالمستهزيء»[4].

↩ الصّنائع: ٦/٢٧٠.

(١) أُنظر، معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ١٤٣، المعجم القانوني: ٤٩٨/٢.

(٢) الشّورىٰ: ٢٥.

(٣) ٱلْبَقَرَة: ٢٢٢.

(٤) أُنظر، الكافي: ٤٣٥/٢ ح ١٠، بحار الأنوار: ٣٦/٦ ح ٥٤.

أَللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِمَا عَمِلْتُ فَاغْفِرْ لِي مَا عَلِمْتَ، وَاصْرِفْنِي بِقُدْرَتِكَ إِلَىٰ مَا أَحْبَبْتَ. أَللَّهُمَّ وَعَلَيَّ تَبِعَاتٌ قَدْ حَفِظْتُهُنَّ، وَتَبِعَاتٌ قَدْ نَسِيتُهُنَّ، وَكُلُّهُنَّ بِعَيْنِكَ الَّتِي لاَ تَنَامُ، وَعِلْمِكَ الَّذِي لاَ يَنْسَىٰ؛ فَعَوِّضْ مِنْهَا أَهْلَهَا، وَاحْطُطْ عَنِّي وِزْرَهَا، وَخَفِّفْ عَنِّي ثِقْلَهَا، وَاعْصِمْنِي مِنْ أَنْ أُقَارِفَ مِثْلَهَا.

أَللَّهُمَّ، وَإِنَّهُ لاَ وَفَاءَ لِي بِالتَّوْبَةِ إِلاَّ بِعِصْمَتِكَ، وَلاَ اسْتِمْسَاكَ بِي عَنِ الْخَطَايَا إِلاَّ عَنْ قُوَّتِكَ، فَقَوِّنِي بِقُوَّةٍ كَافِيَةٍ، وَتَوَلَّنِي بِعِصْمَةٍ مَانِعَةٍ.

(أَللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِمَا عَمِلْتُ...) أنتَ أَعْلَم مِنِّي بنفسي، فاغفر لِي كلّ تقصير علمته أنْتَ مِنّي، جهلته أنا، أو عرفته، ذكرته، أو نسيته (وَاصْرِفْنِي بِقُدْرَتِكَ إِلَىٰ مَا أَحْبَبْتَ) سهل عليّ الطّريق إلىٰ ما يرضيك (وَعَلَيَّ تَبِعَاتٌ): واجبات للناس، ومسؤوليات، قصرت في تأديتها، وتهاونت (وَكُلُّهُنَّ بِعَيْنِكَ): بعلمك (فَعَوِّضْ مِنْهَا أَهْلَهَا) من تاب من الذّنب كمَن لا ذنب له إلا فيما يعود إلىٰ حقّ النّاس، فإنّه لا يسقط إلا بالوفاء، أو العفو من له الْحَقّ[1]. والإمام يسأل ٱللَّه بفضله أنْ يقضي عنه يَوْم الحساب كلّ ما عَلَيْهِ للناس من حقّ. وتَقَدَّمَ مع الشّرح [2]. (وَاعْصِمْنِي مِنْ أَنْ أُقَارِفَ مِثْلَهَا) ٱقترف الذّنب: فعله، والمعنىٰ بعد التَّوْبَة إلىٰ عدم العودة لمثل ما فعلت قبلها.

كلّ شيء بيد ٱللّه

(وَإِنَّهُ لاَ وَفَاءَ لِي بِالتَّوْبَةِ إِلاَّ بِعِصْمَتِكَ...) كلّ شيء بيد ٱللَّه، وقبضته؛ لأنّه

---

(١) أُنظر، الوسائل: ١١/٣٥٨، مستند الشّيعة: ١٤/١٥٦، الكافي: ٢/٤٣٥ ح ١٠، الإقناع: ٢/١٩٨، البحار: ٩٣/٢٨١.

(٢) أُنظر، الدُّعاء الثّاني والعشرون.

خالق الأشياء كلّها مباشرة، أو بالواسطة حتّىٰ التَّوْبَة، والعزم علىٰ الطّاعة، وغيره من الأسباب الموجبة للقرب منه أو البعد عنه، والإمام ﷺ يطلب من ٱللّٰه سبحانه أنْ يمده بعونه، ويهيء له أسباب الطّاعة، وأجوائها كالتربية المؤمنة الصّالحة، والأُستاذ العالم النّاصح، والغنىٰ عن النّاس، ونحو ذٰلِكَ، ومثل هذا الدُّعاء دُعَاء فتية الكهف حيث قالوا: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[1]، ومثله أيضاً ما جاء في دُعَاء يَوْم عَرَفَة لسيّد ٱلشُّهَدَاء والد السّجاد ﷺ: «إلهي كيف أعزم وأنْتَ القاهر، وكيف لا أعزم، وأنْتَ الآمر... فاجْمَعْنِي عَلَيْكَ بخدمة توصلني إليك»[2]، أي هيء لِي أسباب العزم علىٰ طَاعَتِكَ، والعمل بخدمتك كي أكون قريباً منك لا بعيداً عنك، وقال سبحانه لنبيه الأكرم: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾[3]، وتَقَدَّمَ في الدُّعاء السّابع: «وَتَسَبَّبَتْ بِلُطْفِكَ الأَسْبَابُ».

أَللَّهُمَّ أَيُّما عَبْدٍ تَابَ إِلَيْكَ، وَهُوَ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ فَاسِخٌ لِتَوْبَتِهِ، وَعَائِدٌ فِي ذَنْبِهِ، وَخَطِيئَتِهِ؛ فَإِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَكُوْنَ كَذٰلِكَ، فَاجْعَلْ تَوْبَتِي هَذِهِ تَوْبَةً لا أَحْتَاجُ بَعْدَهَا إِلَىٰ تَوْبَةٍ، تَوْبَةً مُوجِبَةً لِمَحْوِ مَا سَلَفَ، وَالسَّلاَمَةِ فِيمَا بَقِيَ.

أَللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ جَهْلِي، وَأَسْتَوْهِبُكَ سُوْءَ فِعْلِي، فَاضْمُمْنِي إِلَىٰ كَنَفِ رَحْمَتِكَ تَطَوُّلاً، وَاسْتُرْنِي بِسِتْرِ عَافِيَتِكَ تَفَضُّلاً.

---

(١) الكهف: ١٠.

(٢) أُنظر، إقبال الأعمال: ٣٤٨، صحيفة الإمام الحُسين ﷺ: ٢١٤، كلمات الإمام الحُسين ﷺ: ٨٠٤، بحار الأنوار: ٢٢٥/٩٥.

(٣) الكهف: ٢٣ ـ ٢٤.

(أَللَّهُمَّ أَيُّما عَبْدٍ تَابَ...) أبرأ إليكَ ممن فسخ التَّوْبَة، وعاد إلىٰ الحوبة (أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَكُونَ كَذٰلِكَ...) أخلصت لك يا إلهي في توبةٍ، راسخةٍ، دائمة، وخالصةٍ، مخلصة لوجهك ٱلْكَرِيمِ، تمحو كلّ ذنب مضىٰ، وتوجب السّلامة من كلّ خطيئة فيما بقي من العمر (أَللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ جَهْلِي) كلّ من أساء إلىٰ نفسهِ بمعصية ٱللّه فهو سفيه، أو جاحد بالله، أو جاهل بعظمته، وكلّ من لم يعمل بعلمه فهو أسوأ حالاً، وعاقبة من السّفيه، والجاهل، وأضل سبيلاً، وفي الحديث: «إنّ أهْل ٱلنَّار ليتأذون من ريح العالم التّارك لعلمه»[1] (وَأَسْتَوْهِبُكَ سُوءَ فِعْلِي) أستغفرك مما قصرت، وفرطت (فَاضْمُمْنِي إِلَىٰ كَنَفِ رَحْمَتِكَ تَطَوُّلاً) الكَنَف: الحمىٰ، والظّل، والتّطول: التّفضل، والمعنىٰ أجعلني برحمتك، وفضلك في حرز حارز، وحصن حافظ من كلّ سوء (وَاسْتُرْنِي بِسِتْرِ عَافِيَتِكَ تَفَضُّلاً) لا تكشف عيوبي علىٰ رؤوس الأشهاد يَوْم تبلو أخبار العباد. وقد تَقَدَّمَ مثله[2].

أَللَّهُمَّ وَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ مَا خَالَفَ إِرَادَتَكَ، أَوْ زَالَ عَنْ مَحَبَّتِكَ مِنْ خَطَرَاتِ قَلْبِي، وَلَحَظَاتِ عَيْنِي، وَحِكَايَاتِ لِسَانِي، تَوْبَةً تَسْلَمُ بِهَا كُلُّ جَارِحَةٍ عَلَىٰ حِيَالِهَا مِنْ تَبِعَاتِكَ، وَتَأْمَنُ مِمَّا يَخَافُ الْمُعْتَدُونَ مِنْ أَلِيمِ سَطَوَاتِكَ.

أَللَّهُمَّ فَارْحَمْ وَحْدَتِي بَيْنَ يَدَيْكَ، وَوَجِيبَ قَلْبِي مِنْ خَشْيَتِكَ، وَاضْطِرَابَ أَرْكَانِي مِنْ هَيْبَتِكَ، فَقَدْ أَقَامَتْنِي يَا رَبِّ ذُنُوبِي مَقَامَ الْخِزْيِ بِفِنَائِكَ، فَإِنْ سَكَتُّ لَمْ يَنْطِقْ عَنِّي أَحَدٌ، وَإِنْ شَفَعْتُ فَلَسْتُ

(١) أُنظر، الكافي: ٤٤/١ ح ١، إرشاد الأذهان: ١٥/١، الخصال: ٥١، شرح أُصول الكافي: ١٣٩/٢.

(٢) أُنظر، الدُّعاء، الحادي عشر، وغيره.

بِأَهْلِ الشَّفَاعَةِ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَشَفِّعْ فِي خَطَايَـايَ كَرَمَكَ، وَعُدْ عَلَىٰ سَيِّئَاتِي بِعَفْوِكَ، وَلاَ تَجْزِنِي جَزَآئِي مِـنْ عُـقُوبَتِكَ، وَابْسُـطْ عَـلَيَّ طَوْلَكَ، وَجَلِّلْنِي بِسِتْرِكَ، وَافْعَلْ بِي فِعْلَ عَزِيزٍ تَضَرَّعَ إِلَيْهِ عَبْدٌ ذَلِيلٌ فَرَحِمَهُ، أَوْ غَنِيٍّ تَعَرَّضَ لَهُ عَبْدٌ فَقِيرٌ فَنَعَشَهُ.

(أَللَّهُمَّ وَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ مَا خَالَفَ إِرَادَتَكَ) تكرار لقوله آنفاً فـي هـذا الدُّعاء بالذات: أتوب إليك من كبار ذُنوبي، وصغارها... (أَوْ زَالَ عَنْ مَحَبَّتِـكَ مِنْ خَـطَرَاتِ قَلْبِي) لا حساب، ولا عقاب علىٰ خـطرات السُّـوء، ووسـوسته إلا إذا تجاوزت القلب إلىٰ قولٍ، أو فعلٍ حيث لا حـول ولا قـوة للإنسـان فـي دفـعها، ومقاومتها، وعَلَيْهِ تكون التَّوْبَة منها مجرد سُؤَال، ودُعَاء في أنْ لا تـؤثر أثـرها، وتعمل عملها (وَلَحَـظَاتِ عَيْنِي) المحرمة كالإشارة بالطرف إلىٰ شخص بقصد الهزء به، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾[1]، وكالنظرة الخبيثة المُريبة إلىٰ امرأة أجـنبية (وَحِكَـايَاتِ لِسَـانِي) كالثرثرة في الكفر، والفجور، والشَّتم، والبذاءة، والغيبة، والنَّميمة.

(كُلُّ جَارِحَةٍ عَلَىٰ حِيَالِهَا مِنْ تَبِعَاتِكَ) الجارحة: العضو، وعلىٰ حيالها: علىٰ انفرادها، وتبعاته تعالىٰ: أعمالنا، وأقوالنَّا الَّتي تستوجب العقاب، والمعنىٰ نزّه أَللَّهُمَّ كلّ عضو مِنّي عما يقبح، ويشين (وَتَأْمَنْ...) كلّ جوارحي من العذاب (فَـارْحَمْ وَحْدَتِي بَيْنَ يَدَيْكَ) أرحم ضعفي، وقلة حيلتي يَوْم ألقـاك (وَوَجِـيبَ قَـلْبِي...) خفقانه خوفاً من غضبك (وَاضْطِرَابَ أَرْكَانِي): أعضائي (فَـقَدْ أَقَـامَتْنِي يَـا رَبِّ

(١) المطففين: ٢٩ ـ ٣٠.

ذُنُوبِي...) بباب عزك مقام الذّليل المستسلم (فَإِنْ سَكَتُّ...) فلا دافع، ولا شافع إلا فضلك، وكرمك، ومعنىٰ قوله: (فَلَسْتُ بِأَهْلِ الشَّفَاعَةِ) لا شيء من أفعالي يشفع بي.

(وَعُدْ عَلَىٰ سَيِّئَاتِي بِعَفْوِكَ) تفضل بالعفو، والمغفرة، واجترحت (وَلاَ تَجْزِنِي جَزَآئِي مِنْ عُقُوبَتِكَ) أنا أستحق العقاب، والنّقمة، وأنتَ أهْل الصّفح، والرَّحْمَة، فعاملني بما أنتَ أهله، ولا تعاملني بما أنا أهله (وَابْسُطْ عَلَيَّ طَوْلَكَ): فضلك (وَجَلِّلْنِي) يقال: جَلَلَّ المَطَر الأرْض أي عمّها، وطمّها.

لو خلقتموه، لرحمتموه

(وَافْعَلْ بِي فِعْلَ عَزِيزٍ...) اَللّه سبحانه لا يرحم من لا يرحم، ولا يجود علىٰ من لا يجود. ومعنىٰ هذا ببديهة العقل، ومنطق الواقع أنّه تعالىٰ كريم رحِيمٌ، لا يخيب رجاء مَن لاذَ بهِ، ولجأ إليه. وجاء في الحديث ما معناه أنّ كلّ الكائنات تقول للّه في كلّ لحظة: ائذن لنا بهلاك ابن ءادَمَ، فإنّه أكلّ خيرك، وعبد غيرك. فيقول لها: «أهْل طاعتي في ضيافتي، وَأَهْل شكري في زيادتي، وَأهْل ذكري في نعمتي، وَأَهْل معصيتي لا آئيسهم من رحمتي إنْ تابوا فأنا حبيبهم، وإنْ دعوا فأنا مجيبهم، وإنْ مرضوا فأنا طبيبهم آداويهم بالمحن، والمصائب، ولأطهرهم من الذُّنُوبِ، والمعايب»[1]، عظمت كلمته: «لو خلقتموه، لرحمتموه، دعوني، وعبادي، إنْ تابوا إليّ فأنا حبيبهم، وإنْ لم يتوبوا فأنا طبيبهم»[2].

---

(١) أُنظر، عدة الدّاعي: ٢٣٨، أعلام الدّين: ٢٧٩، الجواهر السّنية: ٣٦٣، بحار الأنوار: ٤٢/٧٤.

(٢) لم أعثر علىٰ هذا المروي.

أَللَّهُمَّ لاَ خَفِيرَ لِي مِنْكَ فَلْيَخْفُرْنِي عِزُّكَ، وَلاَ شَفِيعَ لِيْ إِلَيْكَ فَلْيَشْفَعْ لِي فَضْلُكَ، وَقَدْ أَوْجَلَتْنِي خَطَايَايَ فَلْيُؤْمِنِّي عَفْوُكَ؛ فَمَا كُلُّ مَا نَطَقْتُ بِهِ عَنْ جَهْلٍ مِنِّي بِسُوْءِ أَثَرِي، وَلاَ نِسيَانٍ لِمَا سَبَقَ مِنْ ذَمِيمِ فِعْلِي؛ وَلٰكِنْ لِتَسْمَعَ سَمَاؤُكَ، وَمَنْ فِيهَا، وَأَرْضُكَ وَمَنْ عَلَيْهَا مَا أَظْهَرْتُ لَكَ مِنَ النَّدَمِ، وَلَجَأْتُ إِلَيْكَ فِيهِ مِنَ التَّوْبَةِ؛ فَلَعَلَّ بَعْضَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَرْحَمُنِي لِسُوءِ مَوْقِفِي، أَوْ تُدْرِكُهُ الرِّقَّةُ عَلَيَّ لِسُوءِ حَالِي، فَيَنَالَنِي مِنْهُ بِدَعْوَةٍ أَسْمَعُ لَدَيْكَ مِنْ دُعَائِي، أَوْ شَفَاعَةٍ أَوْكَدُ عِنْدَكَ مِنْ شَفَاعَتِي تَكُونُ بِهَا نَجَاتِي مِنْ غَضَبِكَ، وَفَوْزَتِي بِرِضَاكَ.

(أَللَّهُمَّ لاَ خَفِيرَ لِي مِنْكَ...) الخَفِير: المجير، والمعنىٰ لا يجيرني من غضبك مجير، ولا يمنع عذابك عنّي أي مانع، فاجرني بعزك الّذي لا يضام، وأمنع عنّي بإنعامك وغفرانك كلّ سوء (وَلاَ شَفِيعَ لِيْ إِلَيْكَ فَلْيَشْفَعْ لِي فَضْلُكَ) لا شفيع غداً إلاّ العمل الصّالح، ومهمة النّبي، أو الولي الشّفيع لديه تعالىٰ إعلان هذا العمل، والشّهادة به، وطلب العفو من اللّه علىٰ أساسه؛ لأنّ الشّفاعة بلا سببٍ جهل، ولذا قال سبحانه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾[1]. والإمام ﷺ يعترف بأنّه لا يملك أي شيء من أسباب الشّفاعة إلا الإيمان بكرم اللّه، وفضله. ومثله قول أبيه سيّد الشُّهَدَاء ﷺ: «إلهي إنّك تعلم وإنْ لم تدم الطّاعة مِنّي فعلاً جزماً فقد دامت محبةً، وعزماً»[2]. وتَقَدَّمَ في الدُّعاء العاشر (وَقَدْ أَوْجَلَتْنِي خَطَايَايَ فَلْيُؤْمِنِّي عَفْوُكَ) أوجلتني: روعتني، وقد تَقَدَّمَ[3].

(١) الأنبياء: ٢٨.
(٢) أنظر، بحار الأنوار: ٢٢٥/٩٥، صحيفة الإمام الحُسين ﷺ: ٢١٤.
(٣) أنظر، الدُّعاء السّادس عشر.

(فَمَا كُلُّ مَا نَطَقْتُ بِهِ) من كثرة الذُّنوب وعدم المجير، والشّفيع، والتَّوْبَة، والنّدم (عَنْ جَهْلٍ مِنِّي بِسُوءِ أَثَرِي، وَلاَ نِسيَانٍ لِمَا سَبَقَ مِنْ ذَمِيمِ فِعْلِي) سوء الأثر: سوء الفعل، ومثله ذميم الفعل، والمعنىٰ أنا عالم، وذاكر أنّ أعمالي غير صالحة، وما أعلنتها تصنعاً، أو تواضعاً، بل (لِتَسْمَعَ سَمَاؤُكَ وَمَنْ فِيهَا، وَأَرْضُكَ وَمَنْ عَلَيْهَا مَا أَظْهَرْتُ لَكَ مِنَ النَّدَمِ...) أعلنت علىٰ الدُّنيا توبتي، وانقطاعي إلىٰ اللّه ليسمعني عبدٌ من عباد اللّٰه الصَّالِحِينَ مستجاب الدّعوة لديه تعالىٰ، فيتأثر، وتأخذه الرّأفة، والرَّحْمَة، فيدعو ذا الْجَلاَل، والإكرام بفضلهِ، ومنّهِ أنْ يرفق بي، وعندها يستجيب له سبحانه، وأفوز بالغفران، والرّضوان.

أَللَّهُمَّ إنْ يَكُنِ النَّدَمُ تَوْبَةً إِلَيْكَ... فَأَنَا أَنْدَمُ النَّادِمِينَ، وَإِنْ يَكُنِ التَّرْكُ لِمَعْصِيَتِكَ إِنَابَةً فَأَنَا أَوَّلُ الْمُنِيبِينَ، وَإِنْ يَكُنِ الاسْتِغْفَارُ حِطَّةً لِلذُّنُوبِ فَإِنِّي لَكَ مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ.

أَللَّهُمَّ فَكَمَا أَمَرْتَ بِالتَّوْبَةِ، وَضَمِنْتَ الْقَبُولَ، وَحَثَثْتَ عَلَىٰ الدُّعَاءِ، وَوَعَدْتَ الإِجَابَةَ، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاقْبَلْ تَوْبَتِي، وَلاَ تَرْجِعْنِي مَرْجَعَ الخَيْبَةِ منْ رَحْمَتِك إنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ عَلَىٰ الْمُذْنِبِينَ، وَالرَّحِيمُ لِلْخَاطِئِينَ الْمُنِيبِينَ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ... كَمَا هَدَيْتَنَا بِهِ، وَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ... كَمَا اسْتَنْقَذْتَنَا بِهِ، وَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلاَةً تَشْفَعُ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَوْمَ الْفَاقَةِ إِلَيْكَ، إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَهُوَ عَلَيْكَ يَسِيرٌ.

هل التَّوْبَة ندم علىٰ ما كان، أو ترك المعصية إلىٰ غير رجعة، أو مجرد الإستغفار، أو كلّ ذٰلِكَ مطلوب حتماً، وجزماً؟ وأياً كان معنىٰ التَّوْبَة فإنّي تارك،

ونادم، ومستغفر، وعازم، وأنْتَ يا إلهي قلت: وقـولك الْـحَقّ، ووعـدك الصّـدق: ﴿أَفَلَايَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥوَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] وقـد تـبنا بكـلّ مـعنىٰ تنصرف كلمة التَّوْبَة إليه، وتدل عَلَيْهِ، فـنقبلها، ولا تـردنا خـائبين بـمُحمَّدٍ وَآلِـهِ الطَّاهِرِينَ، صلواتك عليهم أجمعين. وتَقَدَّمَ كلّ ذٰلِكَ مفصلاً، ومطولاً[2].

وبعد، فهذا هو النّهر، والمنهل العذب أُرشَدنا إليـه الإمـام السّـجاد، وزيـن العبادﷺ فهل من وارد؟. أَللَّهُمَّ لا شيء إلا منك. ولا قوة لنا إلا بك، فأيدنا بتوفيقك، وسددنابعونك علىٰ طَاعَتِكَ بمُحمّدٍ وآلِ مُحمّد عَـلَيْهِ، وعَـلَيْهِمْ أزكـىٰ التّـحيات، وأفْضَل الصّلوات.

(١) المائدة: ٧٤.

(٢) أُنظر، الدُّعاء الثّاني عشر، والسّادس عشر.

الدّعاء الثاني والثلاثون

دُعَاؤُهُ فِي صَلَاةِ اللّيلِ

أَللَّهُمَّ يَا ذَا الْمُلْكِ الْمُتَأبِّدِ بِالْخُلُودِ، وَالسُّلْطَانِ الْمُمْتَنِعِ بِغَيْرِ جُنُودٍ وَلاَ أَعْوَانٍ؛ وَالْعِزِّ الْبَاقِي عَلَىٰ مَرِّ الدُّهُورِ، وَخَوَالِي الأَعْوَامِ، وَمَوَاضِي الأَزْمَانِ، وَالأَيَّامِ، عَزَّ سُلْطَانُكَ عِزّاً لا حَدَّ لَهُ بِأَوَّلِيَّةٍ، وَلاَ مُنْتَهَىٰ لَهُ بِآخِرِيَّةٍ، وَاسْتَعْلَىٰ مُلْكُكَ عُلُوّاً سَقَطَتِ الأَشْيَاءُ دُونَ بُلُوغِ أَمَدِهِ؛ وَلاَ يَبْلُغُ أَدْنَىٰ مَا اسْتَأثَرْتَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ أَقْصَىٰ نَعْتِ النَّاعِتِينَ.

(أَللَّهُمَّ يَا ذَا الْمُلْكِ الْمُتَأبِّدِ بِالْخُلُودِ، وَالسُّلْطَانِ) كلّ شيء سوىٰ ٱللّٰه سبحانه فهو مملوك له، ومتسلط عَلَيْهِ بلا حدّ، ونهاية، وتنفذ فيه مشيئته مطلقاً، وكيف شاء وجوداً، وعدماً (الْمُمْتَنِعِ بِغَيْرِ جُنُودٍ، وَلاَ أَعْوَانٍ) ولماذا الجُنود، والأعوان وهو خالقهم، وخالق كلّ شيء؟ هذا إلىٰ الأعوان لرد العدوان، ولا عدوان عليهِ، ولا منهُ (وَالْعِزِّ الْبَاقِي عَلَىٰ مَرِّ الدُّهُورِ...) العز: القوة، والغلبة، وهي لله وحده ثابته له أبداً، ودائماً، لأنّها بالذات لا بالواسطة، وأية عزة في غيره فهي بهِ، ومنهُ تعالىٰ.

(وَاسْتَعْلَىٰ مُلْكُكَ...) العظيم يقهر، ولا يقهر (وَلاَ يَبْلُغُ أَدْنَىٰ مَا اسْتَأثَرْتَ بِهِ

مِنْ ذَلِكَ أَقْصَىٰ نَعْتِ النَّـاعِتِينَ) آستأثر بالشيء: آختص به دون سواه، وذلِكَ إشارة إلىٰ علوه الأعلىٰ، وشأنه الأسنىٰ، والمعنىٰ تعجز عن وصفه تعالىٰ أوهام الْوَاصِفِينَ تماماً كما عجزت عن رُؤْيَتِهِ أبصار النّاظرين. وفي نهج البلاغة: «إنْ كنت صادقاً أيـها المـتكلف لوصـف ربك، فـصف جِـبْرِيلُ، ومِـيكَائِيلُ، وجـنود المَـلائِكَة المقربين»[(١)]. ولذا قال ٱلرَّسُول الأعظم ﷺ: «تفكروا في خلق ٱللّٰه، ولا تفكروا في ذات ٱللّٰه»[(٢)].

ضَلَّتْ فِيْـكَ الصِّفَاتُ، وَتَفَسَّخَتْ دُونَكَ ٱلنُّـعُوتُ، وَحَـارَتْ فِـي كِبْرِيَائِكَ لَطَائِفُ الأَوْهَامِ.

كَذَلِكَ أَنْتَ اللهُ الأَوَّلُ فِي أَوَّلِيَّتِكَ، وَعَلَىٰ ذَلِكَ أَنْتَ دَائِمٌ لاَ تَـزُولُ، وَأَنَا الْعَبْدُ الضَّعِيفُ عَمَلاً... الجَسِيمُ أَمَلاً؛ خَرَجَتْ مِنْ يَدِي أَسْـبَابُ الْوُصُلاَت إلّا مَا وَصَلَهُ رَحْمَتُكَ، وَتَقَطَّعَتْ عَنِّي عِصَمُ الآمَالِ إلّا مَا أَنَا مُعْتَصِمٌ بِهِ مِنْ عَفْوِكَ، قَلَّ عِنْدِي مَا أَعْتَدُّ بِهِ مِنْ طَاعَتِكَ، وَكَثُرَ عَلَيَّ مَا أَبُوءُ بِهِ مِنْ مَعْصِيَتِكَ، وَلَنْ يَضِيقَ عَلَيْكَ عَفْوٌ عَنْ عَبْدِكَ وَإنْ أَسَاءَ... فَاعْفُ عَنِّي.

---

(١) أنظر، نهج البلاغة: ١٠٦/٢، الحكمة (١٨٢)، شرح نهج البلاغة للـمعتزلي: ٨٨/١٠، بـحار الأنوار: ٣١٤/٤.

(٢) أنظر، الجامع الصّغير لجلال الدّين السّيوطي: ٥١٤/١ ح ٣٣٤٧ و ٣٣٤٩، ولكن بـلفظ (ولا تفكروا في ٱللّٰه فتهلكوا)، وكنز العمال: ١٠٦/٣ ح ٥٧٠٥ و ٥٧٠٨، فيض القدير شرح الجامع الصّغير للمناوي: ٣٤٥/٣ و ٣٤٧، كشف الخفاء للعجلوني: ٣١١/١، تفسير الميزان: ٩٠/٤ و: ٥٣/١٩، تفسير ابن كثير: ٤١١/٤، الدّر المنثور: ١١٠/٢ و: ١٣٠/٦، مجمع الزّوائد: ٨١/١، إتحاف السّادة الْمُتّقِين: ١٦٢/١ و: ٥٣٦/٦، ذيل تأريخ بغداد: ١٤٧/٣.

(ضَلَّتْ فِيْـكَ الصِّفَاتُ...) الخالق أجل، وأعْظَمْ من أنْ يدرك المَخْلُوق كُـنه صفاته، فإنّ وصفه من تلقائه، وعندياته فوصفه جهالة، وضلالة، قال عزّ من قال: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1] وقال الإمام السّجاد ﷺ برواية الكافي: «لو اجتمع أهْل السّماء، والأرْض أنْ يصفوا اللّه بعظمته لم يقدروا»[2]. وليس معنىٰ هذا أنْ لا نصف اللّه بشيء إطلاقاً وإلا لزم التّعطيل، بل يجب وصفه بما وصف به نفسه في كتابه. قال الإمام الكاظم ﷺ: «صفوه بما وصف به نفسه، وكفوا عما سوىٰ ذٰلِكَ»[3].

(أَنْتَ اللهُ الأَوّلُ فِي أَوَّلِيّتِكَ، وَعَلَىٰ ذٰلِكَ أَنْتَ دَائِمٌ لاٰ تَزُوْلُ) كان الله ولم يكن معه شيء لأوليته، وأزليته، ويبقىٰ بعد فناء كلّ شيء لدوامهِ، وأبديته، وفي الآية من الحديد ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾[4]. وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء الأوّل.

من رضي عن نفسه أسخط اللّه عَلَيْهِ

(وَأَنَا الْعَبْدُ الضَّعِيْفُ عَمَلاً) لكَ، وفي طَاعَتِكَ (الجَسِيْمُ أَمَلاً) برحمتك، ومغفرتك، وفي دُعَاء آخر للإمام السّجاد ﷺ: «إنّي بمغفرتك، ورَحْمَتِك أوثق مِنّي بعملي»[5]. وفي هذا دلالة واضحة علىٰ أنّ ثواب اللّه، ورضوانه لا ينبغي أنْ يطلب

---

(١) الأنْعام: ١٠٠.

(٢) أُنظر، الكافي: ١/١٠٢ ح ٤، شرح أُصول الكافي: ٣/٢٠٩.

(٣) أُنظر، الكافي: ١/١٠٢ ح ٦، شرح أُصول الكافي: ٣/٩٥، مستدرك الوسائل: ١٢/٢٥٢، الفصول المهمة في أُصول الأئمة للحر العاملي: ١٧٢، إختيار معرفة الرّجال للطوسي: ٢/٥٦٤، بحار الأنوار: ٣/٢٦٦.

(٤) الحديد: ٣.

(٥) أُنظر، إقبال الأعمال: ١/٣١٩، بحار الأنوار: ٩٨/١٢٦، التّهذيب: ٣/٨١، الكافي: ٥/٤٦.

بالعمل الصّالح وحده وكفىٰ. بل بهِ، وبالثقة، وحسن الظّن بفضله تعالىٰ، ورَحْمَته، ومعنىٰ هذا أنّ كلّ من رأىٰ نفسه شيئاً مذكوراً أمام ٱللَّه، وعند ٱللَّه فما هو بشيء، وإنْ عمل ألوف ٱلصَّالِحَات إنّ ٱللَّه تعالىٰ لا يرضىٰ كلّ الرّضا إلا عمن يتوكل عَلَيْهِ، وعلىٰ رَحْمَته لا علىٰ عمله بالخصوص دون سواه، وإلا عمن يرجو فضله لا علىٰ سبيل الحتم، واللّزوم[1]. أجل لا بد أنْ يستشفع لديه، ويتوسل إليه بالعمل الصّالح ليحظىٰ بالثواب، والرّضا. وفي الحديث: «من رأىٰ إنّه مُسيء فهو مُحْسِن»[2]، والعكس أي من رأىٰ نفسه مُحسناً فهو مسيء؛ لأنّه قد تعالىٰ، وتعاظم، ومن الحكم الخالدة: «أحمق الحُمق الأغترار، الغرور، الفجور[3]... ردع النّفس عن تسويل الهوىٰ شيمة العقلاء، وردع النّفس عن الهوىٰ هو الجهاد الأكبر[4]... عشق النّفس للنفس هو المَرَض للنفس»[5].

وبهذا نجد تفسير قول الإمام السّجاد ﷺ: (خَرَجْتُ مِنْ يَدِي أَسْبَابُ

---

(١) أنتهيت من التّنقيب، والبحث الدّؤوب طوال عشرات السّنين في آثار آلِ ٱلرَّسُول ﷺ، إلىٰ الإيْمَان أنّ ٱللَّه سبحانه لا يقبل الدُّعاء، والطّلب -حتّىٰ من المُحقّ، والمطيع- إلا بأسلوب يليق بعظمته كالتذلل، والتّصاغر، والإعْتِرَاف بِالتَّقْصِير، وأنّ السّائل المتوسل لا يستحق شيئاً علىٰ الإطلاق، وإنّما يسترحم ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، ويستغفر الجواد الحليم، ولا يصطدم هذا مع ما أوجبه سبحانه علىٰ رَحْمَته، وفضله من جزاء الإحسان بمثله.

(٢) أُنظر، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣١٧/٢٠، الحكمة (٦٤١).

(٣) أُنظر، عيون الحكم والمواعظ: ٢٩٣، غرر الحكم: الحكمة (٥٧٢٣)، كشف الخفاء: ١٣٢/١، المعجم الكبير: ٢٦/٣، كنز العمال: ٦٣٣/٥ ح ١٤١١٤، إعجاز القُرْآن للباقلاني: ١٣٧.

(٤) أُنظر، غرر الحكم: الحكمة (٥٣٩٣)، مستدرك الوسائل: ١١٤/١٢، عيون الحكم والمواعظ: ٢٧٠.

(٥) أُنظر، كِتَاب علاج النّفس لمحمد بن إبراهيم المويلحي، طبعة الأهرام.

الوُصُلاَت...) أبداً لا أملك أي عمل أعتصم به، وأتوصل، وأعتمد عَلَيْهِ، وأتوكل لبلوغ ثوابك، ومَرْضَاتِكَ إلا عَفْوِكَ، ورَحْمَتِكَ، وبقول سَيِّد ٱلشُّهَدَاء والد الإمام السّجاد: «مِنّي مايليق بلؤمي، ومنك ما يليق بكرمك»[1] (قَلَّ عِنْدِي مَا أَعْتَدُّ بِهِ...) إنْ يك لِي شيء من الْحَسَنَات فإنّ سيئاتي طغت عليها، وفاقتها كماً، وكيفاً، ولكن (وَلَنْ يَضِيْقَ عَلَيْكَ عَفْوٌ عَنْ عَبْدِكَ وَإِنْ أَسَاءَ) عَفْوكَ أوسع بكثير من سيئات المذنبين، وذنوب المسيئين. وفي شعر المُناجاة[2]:

إلهي لئن جلتْ وجمتْ خطيئتي فعفوكَ عن ذنبي أجلُ وأوسعُ

أَللَّهُمَّ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَىٰ خَفَايَا الأَعْمَالِ عِلْمُكَ، وَانْكَشَفَ كُلُّ مَسْتُورٍ دُونَ خُبْرِكَ، وَلاَ تَنْطَوِي عَنْكَ دَقَائِقُ الأُمُورِ، وَلاَ تَعْزُبُ عَنْكَ غَيِّبَاتُ السَّرَائِرِ.

(أَللَّهُمَّ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَىٰ خَفَايَا الأَعْمَالِ عِلْمُكَ...) أشرف علىٰ الشّيء: أطلع عَلَيْهِ من علوٍ، ودون خُبرك بضم الخاء: عند علمك. ودقائق الأُمُور: صغارها، وغوامضها، ولا يعزب: لا يغيب، وغيبات السّرائر: ما تكنه الصّدور، والمعنىٰ أنْتَ يا إلهي تعلم ما أخفيت، وسترت حتّىٰ خطرات الفكر، وعزيمات القلب.

وَقَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيَّ عَدُوُّكَ الَّذِي اسْتَنْظَرَكَ لِغِوَايَتِي... فَأَنْظَرْتَهُ، وَاسْتَمْهَلَكَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ لإِضْلاَلِي... فَأَمْهَلْتَهُ، فَأَوْقَعَنِي؛ وَقَدْ هَرَبْتُ إِلَيْكَ مِنْ صَغَائِرِ ذُنُوبٍ مُوبِقَةٍ، وَكَبَائِرِ أَعْمَالٍ مُرْدِيَةٍ.

---

(١) أُنظر، صحيفة الإمام الحُسين ﷺ: ٢١٠، بحار الأنوار: ٩٥/٢٢٥، كلمات الإمام الحُسين ﷺ: ٨٠٣.

(٢) أُنظر، نهج السّعادة: ٦/٢٤٠.

حَتَّىٰ إِذَا قَـارَفْتُ مَعْصِيَتَـكَ، وَاسْتَوْجَبْتُ بِسُوءِ سَعْيِي سَخْطَتَكَ... فَتَلَ عَنِّي عِذَارَ غَدْرِهِ، وَتَلَقَّانِي بِكَلِمَةِ كُفْرِهِ، وَتَوَلَّىٰ الْـبَرَاءَةَ مِـنِّي، وَأَدْبَرَ مُوَلِّيَاً عَنِّي، فَأَصْحَرَنِي لِغَضَبِكَ فَـرِيداً، وَأَخْـرَجَنِي إِلَىٰ فِـنَاءِ نَقِمَتِكَ طَرِيداً؛ لاَ شَفِيعٌ يَشْفَعُ لِيْ إِلَيْـكَ، وَلاَ خَفِيرٌ يُؤْمِنُنِي عَلَيْـكَ، وَلاَ حِصْنٌ يَحْجُبُنِي عَنْكَ، وَلاَ مَلاَذٌ أَلْجَأُ إِلَيْهِ مِنْكَ.

(وَقَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيَّ عَدُوُّكَ...) الشَّيطَان... أبداً لا سبيل للشَّيطَان علىٰ الإمام، وغيره من الْمُتَّقِين بنص الْقُرْآن ٱلْكَرِيمِ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾[1]، وعَلَيْهِ يكون المُراد بقوله: اسْتَحْوَذَ عَلَيَّ وما يشـبه هـذا التـعبير مـجرد التَّـضَرُّع، والإسترحام، أو كناية عن الخوف من ٱللَّه، والحاجة إلىٰ فضله، أو ترويض النّفس، وعدم الرِّضـا عـنها[2]، أو كـلّ ذٰلِكَ، وغـير ذٰلِكَ مـما يـناسب مكـانة الأوليـاء، والصُّلحاء[3]. (وَاسْتَمْهَلَكَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ لإِضْلاَلِي فَأَمْهَلْتَهُ...) إشارة إلىٰ الآيـة: ﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾[4]، والحكمة من هذا الإمهال أنْ تظهر النّوايا، والأفعال الّتي تزين، أو تشين، فإنّ الحلم لا يعرف إلا عند الْغَضَب، والشّجاعة إلا ببمارسة الحرب (صَغَائِرِ ذُنُوبٍ مُوبِقَةٍ): مُهلكة (وَكَـبَائِرِ أَعْـمَـالٍ مُرْدِيَـةٍ) أيضاً مُهلكة، ولكن للهلاك منازل متفاوتات، فالعذاب الشّديد علىٰ الذّنب الكبير، وما دونه علىٰ الذّنب الصّغير.

---

(١) النّحل: ٩٩ـ١٠٠.

(٢) بعد قليل يأتي قول الإمام ﷺ: هذا مقام من استحيا لنفسه منك، وسخط عليها.

(٣) أنظر، الدُّعاء الحادي والثّلاثون.

(٤) الأعراف: ١٤ـ١٥.

(حَتَّىٰ إِذَا قَارَفْتُ): فعلت (فَتَلَ عَنِّي عِذَارَ غَدْرِهِ) فَتَلَ: صرف، وعِذَار ٱلإِنسَان: الشّعر الَّذِي يحاذي الأذن من طرف اللّحية، والمُراد به هنا الوجه، والمعنىٰ صرف الشَّيطَان وجهه عَنّي حين جدّ الجدّ (وَتَلَقَّانِي بكَلِمَةِ كُفْرِهِ) إشارة إلىٰ ما جاء في الآية: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1] أي كفرت الآن بما كنت قد دعوتكم إليه من معصية ٱللّٰه (وَتَوَلَّىٰ الْبَرَاءَةَ مِنِّي، وَأَدْبَرَ مُوَلِّيَاً عَنِّي) وقال: إنّي أخاف ٱللّٰه رَبَّ الْعَالَمِين!. وهكذا كلّ خائن محتال يُغري ضعاف العقول بالفساد، والضّلال، ويمنيهم الأماني، فإذا وقعت الواقعة تنصل، وتجاهل.

(فَأَصْحَرَنِي لِغَضَبِكَ فَرِيداً) جعلني تائهاً في بيداء الضّلالة متصدياً لحلول غضبك بي (وَأَخْرَجَنِي إِلَىٰ فِنَاءِ نَقِمَتِكَ طَرِيداً...) أخرجني من طَاعَتِكَ، وألقىٰ بي أمام عذابك، وسطوتك لا ناصر لِي، ولا شفيع (خَفِيرٌ يُؤْمِنُنِي عَلَيْكَ) أي لا مجير يجعلني في أمنٍ، وأمان من غضبك عليّ، وبكلمة أوضح لا يمنعني منك مانع. وقد تَقَدَّمَ[2]. (وَلاَ حِصْنٌ يَحْجُبُنِي عَنْكَ...) هَٰذِهِ الجملة، وما بعدها عطف تكرار.

فَهَٰذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ، وَمَحَلُّ الْمُعْتَرِفِ لَكَ، فَلاَ يَضِيقَنَّ عَنِّي فَضْلُكَ، وَلاَ يَقْصُرَنَّ دونِي عَفْوُكَ، وَلاَ أكُنْ أَخْيَبَ عِبَادِكَ التَّائِبِينَ، وَلاَ أَقْنَطَ وفُودِكَ الآمِلِينَ؛ وَاغْفِرْ لِي إِنَّكَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ.

---

(١) إبراهيم: ٢٢.

(٢) أُنظر، الدُّعاء الحادي والثّلاثون.

أَللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنِي فَتَرَكْتُ، وَنَهَيْتَنِي فَرَكِبْتُ، وَسَوَّلَ لِيَ الْـخَطَأَ خَاطِرُ السُّوءِ فَفَرَّطْتُ، وَلاَ أَسْتَشْهِدُ عَلَىٰ صِيَامِي نَهَـاراً، وَلاَ أَسْتَجِيرُ بِتَهَجُّدِي لَيْلاً، وَلاَ تُثْنِي عَلَيَّ بِإِحْيَائِهَا سُنَّةٌ حَـاشَا فُرُوضِـكَ الَّتِي مَنْ ضَيَّعَها هَلَكَ، وَلَسْتُ أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِفَضْلِ نَافِلَةٍ مَعَ كَثِيرِ مَا أَغْفَلْتُ مِنْ وَظَائِفِ فُرُوضِكَ، وَتَعَدَّيْتُ عَـنْ مَـقَامَاتِ حُـدُودِكَ إِلَـىٰ حُـرُمَاتٍ انْتَهَكْتُهَا، وَكَبَائِرِ ذُنُوبٍ اجْتَرَحْتُهَا، كَانَتْ عَافِيَتُكَ لِي مِنْ فَضَائِحِهَا سِتْراً.

(فَهَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ) أتيتك مستجيراً بعفوك حيث لا فرار منك إلا إليك (فَلاَ يَضِيقَنَّ عَنِّي فَضْلُكَ...) أمرت عبادك بالإحسان؛ لأنّك المحسن، وبـالعفو، لأنّك الحليم العظيم، فتصدق عليَّ من فضلك، وعَفوِكَ (وَلاَ أَكُنْ أَخْيَبَ عِبَادِكَ التَّائِبِينَ) لا يقطع الأمل من إحسانك تائب، ولا ييأس من عطائك طالب (وَلاَ أَقْـنَطَ وُفُـودِكَ الآمِلِينَ) أكرمت الوافدين عَلَيْكَ، والآمين بجودك، وأنا واحد من هؤلاء، فلا تردني باليأس، والخيبة.

(أَللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنِي فَتَرَكْتُ...) فعلتُ ما حرمتَ، وتركتُ ما أوجبتَ شأني في ذٰلِكَ شأن المعاكس المشاكس لأمرك، ونهيك (وَسَوَّلَ لِيَ الْـخَطَأَ خَـاطِرُ السُّـوءِ فَفَرَّطْتُ) كلّ من أطلق العنان لنفسهِ، وتـركها، وشأنـها فـلا تـختار إلا الأسـواء والأهواء... وما من أحدٍ يُذكر فيُشكر عـند ٱللّـه، والنّـاس إلا بـمغالبة النّـفس، والهوىٰ.

(وَلاَ أَسْتَشْهِدُ عَلَىٰ صِيَامِي نَهَـاراً، وَلاَ أَسْـتَجِيرُ بِـتَهَجُّدِي لَـيْلاً...) المُـراد بالتهجد هنا صلاة اللّيل. والمعنىٰ قصّرت في طاعة ٱللّٰه، وفرطت، ولا عمل لديّ آستشفع به، وأستشهد علىٰ أنّي عبد الإله حقاً، وصدقاً ما ترك واجـباً، ولا فـعل

محرماً... أجل لقد صمت، ولكن كنت أستثقل الصّيام، وأنتظر وقت الإفطار بحرقةٍ، ولهفةٍ، وأيضاً صليت أكثر من مرة صلاة اللّيل، ولكن من غير إقبالٍ، ونشاطٍ، وفوق ذٰلِكَ لم أحرص كما يجب علىٰ سُنة رَسُول ٱللَّـه ﷺ، وإقامتها (حَاشَا فُرُوضِكَ...) لقد أديت الواجبات، ولكن بحركات ساهية فاترة.

(وَلَسْتُ أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِفَضْلِ نَافِلَةٍ) كنوافل الصّلاة اليومية الّتي تتمم ما بها من نقص المثوبة، والفضيلة (مَعَ كَثِيرٍ مَا أَغْفَلْتُ مِنْ وَظَائِفِ فُرُوضِكَ) وقد تسأل: قبل لحظة أستثنىٰ الإمام ﷺ الفروض من التّقصير، والتّفريط حيث قال: «حَاشَا فُرُوضِكَ» فلماذا عدل، وقال: أَغْفَلْتُ مِنْ وَظَائِفِ فُرُوضِكَ؟ أليس هذا عين التّنافر، والتّناقض؟ الجواب: المُراد هنا نفي كمال الفروض لا أصل الفروض من الأساس تماماً كقول المعصوم: «لا صلاةَ لجارِ المسجد إلاّ في المسجدِ»[1] أي لا صلاة فاضلة، وكاملة إلا بالمسجد. فأين التّناقض؟

(وَتَعَدَّيْتُ عَنْ مَقَامَاتِ حُدُودِكَ...) أنا عصيتك، وأنتَ سترت حتّىٰ كأنّك قد غفرت، وقد تَقَدَّمَ[2].

وبعد، فإنّ الدّرس النّافع في هذا الدُّعاء هو إرشاد الضّال إلىٰ أنّ من يغتر بعبادته، ويقول أنا سعيد بطاعة ٱللَّـه ـ فما هو من أهْل العلم، والمعرفة في شيء، بل ولا من أهْل العبادة حقاً، وصدقاً. ونعوذ بالله من شر الجهل، بالجهل.

وَهٰذَا مَقَامُ مَنِ ٱسْتَحْيَىٰ لِنَفْسِهِ مِنْكَ، وَسَخِطَ عَلَيْهَا، وَرَضِيَ عَنْكَ،

---

(١) أُنظر، كنز العمال: ٧/٦٥٠ ح ٢٠٧٣٧، نصب الرّاية: ٤/٤١٣، التّهذيب: ١/٩٢ ح ٢٤٤، الوسائل: ٥/٩٤ ح ٦٣١٠، دعائم الإسْلاَم: ١/١٤٨، سنن الدّار قطني: ١/٤٢٠ ح ١ و٢، السّنن الكبرىٰ: ٣/٥٧ و ١١١ و ١٧٤.

(٢) أُنظر، الدُّعاء السّادس عشر.

فَتَلَقَّاكَ بِنَفْسٍ خَاشِعَةٍ، وَرَقَبَةٍ خَاضِعَةٍ، وَظَهْرٍ مُثْقَلٍ مِنَ الْخَطَايَا، وَاقِفاً بَيْنَ الرَّغْبَةِ إِلَيْكَ، وَالرَّهْبَةِ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَوْلَىٰ مَنْ رَجَاهُ، وَأَحَقُّ مَنْ خَشِيَهُ، وَاتَّقَاهُ، فَأَعْطِنِي يَا رَبِّ مَا رَجَوْتُ، وَآمِنِّي مَا حَذِرْتُ، وَعُدْ عَلَيَّ بِعَائِدَةِ رَحْمَتِكَ، إِنَّكَ أَكْرَمُ الْمَسْؤُولِينَ.

(اسْتَحْيَىٰ لِنَفْسِهِ مِنْكَ) قال لها: اخجلي من ٱللّٰه أيتها النّفس المتمردة (وَسَخِطَ عَلَيْهَا) لأنّها جموح، وحرون[1] (وَرَضِيَ عَنْكَ) عن فضلك، وإحسانك، وكلّ ما جاء من عندك (فَتَلَقَّاكَ بِنَفْسٍ خَاشِعَةٍ) توجه إليك، وأقبل عَلَيْكَ بنفسه الخاشعة لكمالك، وجلالك (وَرَقَبَةٍ خَاضِعَةٍ) مستسلمة لأمرك، وحكمك (وَظَهْرٍ مُثْقَلٍ مِنَ الْخَطَايَا وَاقِفاً بَيْنَ الرَّغْبَةِ إِلَيْكَ، وَالرَّهْبَةِ مِنْكَ) وهكذا كلّ مؤمن عالم بالله تعالىٰ، لا يقطع الرّجاء من عفوه تعالىٰ، ورَحْمَته، وإنْ كان عاصياً، ويخاف منه، ومن سطوته، وإنْ يك مُطيعاً (وَأَنْتَ أَوْلَىٰ...) أبداً لا رجاء إلا لفضلك، ورَحْمَتِك، ولا خوف إلا من غضبك، ونقمتك (وَعُدْ عَلَيَّ بِعَائِدَةِ رَحْمَتِكَ) تفضل عليّ بنعمة الرَّحْمَة، والرّضوان، إنّك التّواب الوهاب.

أَللَّهُمَّ وَإِذْ سَتَرْتَنِي بِعَفْوِكَ، وَتَغَمَّدْتَنِي بِفَضْلِكَ فِي دَارِ الْفَنَاءِ بِحَضْرَةِ الاكْفَاءِ... فَأَجِرْنِي مِنْ فَضِيحَاتِ دَارِ الْبَقَاءِ عِنْدَ مَوَاقِفِ الأَشْهَادِ مِنَ الْمَلائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَالرُّسُلِ الْمُكَرَّمِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ، مِنْ جَارٍ كُنْتُ أُكَاتِمُهُ سَيِّئَاتِي، وَمِنْ ذِي رَحِمٍ كُنْتُ أَحْتَشِمُ مِنْهُ فِي سَرِيرَاتِي، لَمْ أَثِقْ بِهِمْ رَبِّ فِي السَّتْرِ عَلَيَّ، وَوَثِقْتُ بِكَ

---

(١) فرس حرون: الّذي لا ينقاد، وإذا اشتد به الجري وقف وقد حرن يحرن حروناً، وحرن ـ بالضم ـ صار حروناً. لسان العرب: ١٣/١١٠ مادة «حرن».

رَبٌّ فِي الْمَغْفِرَةِ لِيْ، وَأَنْتَ أَوْلَىٰ مَنْ وُثِقَ بِهِ، وَأَعْطَفُ مَنْ رُغِبَ إِلَيْهِ، وَأَرْأَفُ مَنِ اسْتُرْحِمَ فَارْحَمْنِي.

(أَللَّهُمَّ وَإِذْ سَتَـرْتَنِي بِعَفْوِكَ، وَتَغَمَّـدْتَنِي...) تتابعت نعمك عليّ، وعـطاياك في الدُّنْيا، وشاهد ذٰلِكَ الجيران، والأقران، وغيرهم (فَأَجِرْنِي مِـنْ فَـضِيحَاتِ دَارِ الْبَقَاءِ...) تمم سُبُوغ نعمك بالعفو عنّي يَوْم الحسـاب، ولا تـفضحني بـين يـدي أوْلِيَآئِكَ من المَلائِكَة، والأنبياء، والصُّلحاء (مِنْ جَارٍ كُنْتُ أُكَاتِمُهُ...) هٰذِهِ صورة من صميم الحياة، فكلّ النّاس، أو جلهم يعملون في السّر ما يستحون مـنه فـي العلانية، والإمام ﷺ يتوسل بحضرة القدس، والْجَلَال أنْ لا ينشر غداً سره هذا علىٰ أعين الملأ، وأنْ يبقيه مطوياً في علمه تعالىٰ تماماً كما ستره في الدُّنْيا. وقد تَقَدَّمَ[1].

(وَوَثِقْتُ بِكَ رَبِّ...) أعترف بأنّي خفت، وأستخفيت عن عيون عبادك خشية منهم، وتجرأت عَلَيْكَ، ولم أخش بأسك، وأنْتَ الأحق بالخشية، ولكن سولت لِي نَفْسِي. والآن أستشفع إليك برحمتك، وعَفْوِكَ، وكـلّي ثِـقَةٌ بأنّك الغـفور الحـليم، وأرحم من كلّ رَّحِيمٍ.

أَللَّهُمَّ وَأنتَ حَدَرْتَنِي مَاءً مَهِيناً مِنْ صُلبٍ، مُتَضَايِقِ الْعِظَامِ، حَرِجِ الْمَسَالِكِ إِلَىٰ رَحِمٍ ضَيِّقَةٍ سَـتَرْتَهَا بِـالْحُجُبِ، تُـصَرِّفُنِي حَـالاً عَـنْ حَالٍ... حَتَّىٰ انْتَهَيْتَ بِيْ إِلَىٰ تَمَامِ الصُّورَةِ، وَأَثْبَتَّ فِيَّ الْجَوَارِحَ كَمَا نَعَتَّ فِي كِتَابِكَ نُطْفَةً، ثُمَّ عَلَقَةً، ثُمَّ مُضْغَةً، ثُمَّ عِظَاماً، ثُمَّ كَسَـوْتَ الْعِظَامَ لَحْماً، ثُمَّ أَنْشَأْتَنِي خَلْقاً آخَرَ كَمَا شِئْتَ[2].

---

(١) أُنظر، الدُّعاء الحادي عشر.

(٢) أقتباساً من الآية الكريمة: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ

حَتَّىٰ إِذَا احْتَجْتُ إِلَىٰ رِزْقِكَ، وَلَمْ أَسْتَغْنِ عَنْ غِيَاثِ فَضْلِكَ... جَعَلْتَ لِي قُوتاً مِنْ فَضْلِ طَعَامٍ، وَشَرَابٍ أَجْرَيْتَهُ لِأَمَتِكَ الَّتِي أَسْكَنْتَنِي جَوْفَهَا، وَأَوْدَعْتَنِي قَرَارَ رَحِمِهَا.

(أَللَّهُمَّ وَأَنتَ حَدَرْتَنِي مَاءً مَهِيناً مِنْ صُلبٍ، مُتَضَائِقٍ...) حدرتني: أنزلتني من علوٍ إلىٰ أسفلٍ، من ماءٍ: من مِنّي، مهين: حقير، صُلب بضم الصّاد: فقرات الظّهر أبتداءً من أعلاه إلىٰ أسفله (إِلَىٰ رَحِمٍ ضَيِّقَةٍ سَتَرْتَهَا بِالْحُجُبِ) وهي ظُلمات ثلاث: البطن، والرّحم، والمشية[1]. وفي دُعَاء عَرَفَة لسيّد ٱلشُّهَدَاء ﷺ: «ثم أسكنتني في ظُلمات ثلاث بين لحمٍ، وجلدٍ، ودمٍ»[2].

(تُصَرِّفُنِي حَالاً عَنْ حَالٍ...) إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[3].

(حَتَّىٰ إِذَا احْتَجْتُ إِلَىٰ رِزْقِكَ...) يتغذىٰ الجنين بالدّم، وحين يخرج من بطن أُمّه يتغذىٰ بلبنها، وفي دُعَاء سَيِّد ٱلشُّهَدَاء ﷺ: «ثم أخرجتني إلىٰ الدُّنيا تاماً سَويّاً،

﴿ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ المؤمنون: ١٢ ـ ١٤.

(١) أُنظر، تفسير مجاهد: ٥٥٦/٢، الدّر المنثور: ٣٢٢/٥، فتح القدير: ٤٥١/٤، القرآن وإعجازه العلمي: ١٠٤.

(٢) أُنظر، إقبال الأعمال: ٧٥/٢، بحار الأنوار: ٣٧٢/٥٧ و: ٣١٥/٩٤، مستدرك سفينة البحار: ٣٣/٧.

(٣) المؤمنون: ١٢ ـ ١٤.

وحفظتني في المهد طفلاً صبياً، ورزقني الغذاء لبناً مرياً، وعطفت عليّ قلوب الحواضن، وكفّلتني الأمهات الرّحائم. فتعاليت يا رحيمُ يا رحمن»[١].

وَلَوْ تَكِلُنِي يَا رَبِّ فِي تِلْكَ الْحَالاتِ إلَىٰ حَوْلِي، أَوْ تَضْطَرُّنِي إلَىٰ قُوَّتِي... لَكَانَ الحَوْلُ عَنِّي مُعْتَزِلاً، وَلَكَانَتِ الْقُوَّةُ مِنِّي بَعِيدَةً، فَغَذَوْتَنِي بِفَضْلِكَ غِذَاءَ البَرِّ اللَّطِيفِ، تَفْعَلُ ذَلِكَ بِي تَطَوُّلاً عَلَيَّ إلَىٰ غَايَتِي هَذِهِ، لاَ أُعْدَمُ بِرَّكَ، وَلاَ يُبْطِئُ بِي حُسْنُ صَنِيعِكَ، وَلاَ تَتَأَكَّدُ مَعَ ذَلِكَ ثِقَتِي، فَأَتَفَرَّغَ لِمَا هُوَ أَحْظَىٰ لِيْ عِنْدَكَ.

قَدْ مَلَكَ الشَّيْطَانُ عِنَانِي فِي سُوءِ الظَّنِّ، وَضَعْفِ الْيَقِينِ، فَأَنَا أَشْكُو سُوءَ مُجَاوَرَتِهِ لِي، وَطَاعَةَ نَفْسِي لَهُ، وَأَسْتَعْصِمُكَ مِنْ مَلَكَتِهِ، وَأَتَضَرَّعُ إلَيْكَ فِي صَرْفِ كَيْدِهِ عَني، وَأسْأَلُكَ فِي أَنْ تُسَهِّلَ إلَىٰ رِزْقِي سَبِيلاً.

فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَىٰ ابْتِدَآئِكَ بِالنِّعَمِ الْجِسَامِ، وَإلْهَامِكَ الشُّكْرَ عَلَىٰ الإحْسَانِ، وَالإِنْعَامِ، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَسَهِّلْ عَلَيَّ رِزْقِي، وَأَنْ تُقَنِّعَنِي بِتَقْدِيرِكَ لِيْ، وَأَنْ تُرْضِيَنِي بِحِصَّتِيْ فِيمَا قَسَمْتَ لِيْ، وَأَنْ تَجْعَلَ مَا ذَهَبَ مِنْ جِسْمِيْ، وَعُمُرِيْ فِي سَبِيْلِ طَاعَتِكَ، إنَّكَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ.

(وَلَوْ تَكِلُنِي يَا رَبِّ فِي تِلْكَ الْحَالاتِ) المتعددة المتباينة أيام كنت جنيناً ورضيعاً (إلَىٰ حَوْلِي): إلىٰ قوتي (أَوْ تَضْطَرُّنِي إلَىٰ قُوَّتِي) عطف تكرار.

(١) أنظر، إقبال الأعمال: ٧٥/٢، بحار الأنوار: ٢١٧/٩٥، صحيفة الإمام الحُسين ﷺ: ١٦٨، كلمات الإمام الحُسين ﷺ: ٧٩٤، حياة الإمام الحُسين ﷺ: ١٦٨/١.

إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

(لَكَانَ الْحَوْلُ عَنِّي مُعْتَزِلاً . . .) أبداً لا أحد، ولا شيء في غنىٰ عن كلّ الأشياء، ولا يفتقر إلىٰ غيره إلا الواحد الأحد، وكلّ شيء سواه مفتقر إلىٰ إمداده تعالىٰ، وعونه في وجودهِ، وبقائهِ، وسكونهِ، وحركته من أصغر صغير إلىٰ أكبر كبير في السّموات، والأرض وما بينهما وما تحت الثّرىٰ، فكيف بالجنين، والرّضيع؟ وليست كلمة ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الّتي يكررها المسلم في صلاته صباح، مساء إلا تعبيراً عن هذا العون، والإمداد، وعن العلاقه المباشرة بين العبد، وربّه.

(فَغَذَوْتَنِي بِفَضْلِكَ غِذَاءَ الْبَرِّ، اللَّطِيفِ) غذوتني أفضت عليَّ من نعمك ما يكفي، ويغني، والبَرّ بفتح الباء: المحسن، واللّطيف: من اللُّطف بمعنىٰ الرّفق، وقيل: هو الميسر لكلّ عسير، والجابر لكلّ كسير (تَفْعَلُ ذَلِكَ بِي تَطَوُّلاً): تفضلاً (إِلَىٰ غَايَتِي هَذِهِ) أنا في رعاية ٱللّه، وعنايته منذ أنشأني إلىٰ السّاعة الّتي أنا فيها حتّىٰ معونة الوالدّين، وغيرهما لِي هي بتيسير ٱللّه، ودافع منه.

(لاَ أَعْدَمُ بِرَّكَ) أسأل ٱللّه بخيره، وفضله أنْ لا يحرمني من فضلهِ، وخيرهِ (وَلاَ يُبْطِئُ بِي حُسْنُ صَنِيعِكَ) لا يتأخر عَنّي إنعام ٱللّه، وإحسانه (وَلاَ تَتَأَكَّدُ مَعَ ذَلِكَ ثِقَتِي) مع ذٰلِكَ إشاره إلىٰ عدم البرّ وبطء الإحسان، والمعنىٰ أطْلَب من ٱللّه سبحانه دوام بره، وسرعة إحسانه كيلا يُضعف الشَّيْطَان ثقتي بمن خلقني، ورزقني، بل تبقىٰ قوية، راسخة، وعندئذٍ (فَأَتَفَرَّغَ لِمَا هُوَ أَحْظَىٰ لِيْ عِنْدَكَ) متىٰ سهّلت يا إلهي، ويسّرت لِي طرق العيش ٱطمأنت نَفْسِي، وٱنصرفت إلىٰ سائر فروضك من الهداية، والإرشاد، وكلّ ما أقدر عَلَيْهِ من منفعة عبادك. وقد تَقَدَّمَ[1].

---

(١) أُنظر، الدُّعاء العشرون.

(قَدْ مَلَكَ الشَّيْطَانُ عِنَانِي فِي سُوءِ الظَّنِّ، وَضَعْفِ الْيَقِينِ...) تَقَدَّمَ عند تفسير قول الإمام ﷺ في هذا الدُّعاء بالذات: «وَقَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيَّ عَدُوُّكَ». أي الشَّيْطَان (وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ فِي أَنْ تُسَهِّلَ إِلَىٰ رِزْقِي سَبِيلاً) واضح، وتَقَدَّمَ في العديد من الأدعية[1]. (فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَىٰ ابْتِدَآئِكَ بِالنِّعَمِ الْجِسَامِ) عظيمة، وعميمة (وَإِلْهَامِكَ الشُّكْرَ عَلَىٰ الإِحْسَانِ، وَالإِنْعَامِ) لكَ الْحَمْد، والشكر علىٰ إحسانك، وشكرك من شكرك. وذكر (وَسَهِّلْ عَلَيَّ رِزْقِي) تكرار لقوله قبل لحظة: «أَنْ تُسَهِّلَ إِلَىٰ رِزْقِي سَبِيلاً» لأنّ الغنىٰ صيانة، وعافية، والْفَقْر ضعف، وبَلاء، ومنقصة بل موت، وكفر كما في الحديث. قال الإمام الصَّادِق ﷺ: «لا خير فيمن لا يُحِبُّ جمع المال من حلال، يكف به وجهه، ويقضي به دَينه»[2]. وعن ابن عقيل: «من قال: لا أحبّ المال فهو كذاب؛ لأنّه دَمٌ يجري في العروق»[3].

(وَأَنْ تُقَنِّعَنِي بِتَقْدِيرِكَ...) أجعلني راضياً بكلّ ما يرد عليّ من الرّزق الحلال كيلا أحسد، وأفسد (وَأَنْ تَجْعَلَ مَا ذَهَبَ مِنْ جِسْمِيْ، وَعُمُرِيْ...) اجْعَلْ أيامي، وساعاتي، وأفعالي كلّها حسنات، وخيرات لِي، ولعبادك. وقد تَقَدَّمَ[4].

أَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَارٍ تَغَلَّظْتَ بِهَا عَلَىٰ مَنْ عَصَاكَ، وَتَوَعَّدْتَ بِهَا مَنْ صَدَفَ عَنْ رِضَاكَ؛ وَمِنْ نَارٍ نُورُهَا ظُلْمَة، وَهَيِّنُهَا أَلِيمٌ، وَبَعِيدُهَا قَرِيبٌ، وَمِنْ نَارٍ يَأْكُلُ بَعْضَهَا بَعْضٌ، وَيَصُولُ بَعْضُهَا عَلَىٰ

(١) أُنظر، الدُّعاء العشرون، والثّاني والعشرون.

(٢) أُنظر، الكافي: ٥/٧٢ ح ٥، تهذيب الأحكام: ٧/٤، شرح أُصول الكافي: ٢/٩، وسائل الشّيعة: ١٧/٣٣.

(٣) أُنظر، فيض القدير شرح الجامع الصّغير: ١/٥٤٥ و: ٥/٦٤٤، قريب منه.

(٤) أُنظر، الدُّعاء الحادي عشر، والعشرون.

بَعْضٍ، وَمِنْ نَارٍ تَذَرُ الْعِظَامَ رَمِيماً، وَتَسْقِي أَهْلَهَا حَمِيماً، وَمِنْ نَارٍ لاَ تُبْقِي عَلَىٰ مَنْ تَضَرَّعَ إِلَيْهَا، وَلاَ تَرْحَمُ مَنِ اسْتَعْطَفَهَا، وَلاَ تَقْدِرُ عَلَىٰ التَّخْفِيفِ عَمَّنْ خَشَعَ لَهَا، وَاسْتَسْلَمَ إِلَيْهَا، تَلْقَىٰ سُكَّانَهَا بِأَحَرِّ مَا لَدَيْهَا مِنْ أَلِيمِ النَّكَالِ، وَشَدِيدِ الْوَبَالِ.

وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَقَارِبِهَا الْفَاغِرَةِ أَفْوَاهَهَا، وَحَيَّاتِهَا الصَّالِقَةِ بِأَنْيَابِهَا، وَشَرَابِهَا الَّذِي يُقَطِّعُ أَمْعَاءَ، وَأَفْئِدَةَ سُكَّانِهَا، وَيَنْزِعُ قُلُوبَهُمْ، وَأَسْتَهْدِيكَ لِمَا بَاعَدَ مِنْهَا، وَأَخَّرَ عَنْهَا.

(أَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مَنْ نَارٍ...) تغلظتَ: تشددتَ قال سبحانه:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[1] أي شدد عَلَيْهِمْ، وَصَدَفَ: أنصرف، نورها ظلمة، لهبها أسود، بعيدها قريب: يحس بحرها، وأثرها البعيد عنها، يأكل بعضها بعض: أشتدت حتّىٰ كأنّ بعضها يأكل بعضاً (الْعِظَامَ رَمِيماً) بالية (حَمِيماً): شديدة الحرارة (الْفَاغِرَةِ): الفاتحة (الصَّالِقَةِ بِأَنْيَابِهَا) لها أنياب ملساء، كالسيف المصقول...

وبعد، فإنّ الجبار، وخالق ٱلنّار، وصفها بما يغني عن كلّ وصف، وفيما قال، تقدست كلمته: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾[2]... ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾[3]... ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾[4]... ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾[5]... إلىٰ ما يفوق التّصور،

---

(١) التَّوبَة: ٧٣.

(٢) النّساء: ٥٥.

(٣) المدثر: ٢٨ ـ ٢٩.

(٤) ق: ٣٠.

(٥) المُلك: ٨.

وأجمع كلمة لوصفها قول الإمام أمير المُؤْمِنِين ﷺ: «ما خير بخير بعده ٱلنَّار، وما شر بشر بعده الْجَنَّة، وكلّ نعيم دون الْجَنَّة محقور، وكلّ بَلاءٍ دون ٱلنَّار عافية»[1]، ولا نجاة منها إلا لمن ذكرها، وخافها، وعمل للبعد عنها.

وبالمناسبة، جاء في ٱلتَّوْراة: «شفتا اللّئيم نار موقدة»[2]. وجاء في سفرالمزامير المزمور: «لسان الغش جمر»[3].

وفي الْقُرْآن ٱلْكَرِيمِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾[4]... ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[5].

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَجِرْنِي مِنْهَا بِفَضْلِ رَحْمَتِكَ، وَأَقِلْنِي عَثَرَاتِي بِحُسْنِ إقَالَتِكَ، وَلاَ تَخْذُلْنِي يَا خَيْرَ الْمُجِيرِينَ، أَللَّهُمَّ إِنَّكَ تَقِي الْكَرِيهَةَ، وَتُعْطِي الْحَسَنَةَ، وَتَفْعَلُ مَا تُرِيدُ، وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، إِذَا ذُكِرَ الأَبْرَارُ، وَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ... صَلاَةً لاَ يَنْقَطِعُ مَدَدُهَا، وَلاَ يُحْصَىٰ عَدَدُهَا صَلاَةً تَشْحَنُ الْهَوَآءَ، وَتَمْلأُ الأَرْضَ، وَالسَّمَاءَ.

---

(١) أُنظر، نهج البلاغة: الحكمة (٣٨٧)، شرح أُصول الكافي: ١١/٢٦٧، فيض القدير شرح الجامع الصّغير: ٥/٤٦، جامع الأخبار: ١٣٥، من لا يحضره الفقيه: ٤/٣٩٢.

(٢) أُنظر، سفر الأمثال الإصلاح: السّادس عشر.

(٣) أُنظر، سفر المزامير المزمور: ١٢٠.

(٤) ٱلْبَقَرَة: ١٧٤.

(٥) النّساء: ١٠.

صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَرْضَىٰ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعْدَ الرِّضَا...
صَلاَةً لاَ حَدَّ لَها، وَلاَ مُنْتَهَىٰ؛ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

(وَأَجِرْنِي مِنْهَا بِفَضْلِ رَحْمَتِكَ) لمّا وصف ٱلنَّار، وغرائبها، وحياتها، وعقاربها أستغاث بالله، وتضرع له أنْ يكتب له الأمان من شرها، وعذابها (وَأَقِلْنِي عَثَرَاتِي...) أقاله من العهدِ، والعقد: وافقه علىٰ فسخهِ، وحرره من الالتزام به، والعثرة: الزّلة، والْخَطِيئة، والمعنىٰ أغفر لِي خطيئتي يَوْم الدّين (وَلاَ تَخْذُلْنِي يَا خَيْرَ الْمجيرِينَ) «ما خاب من تمسك بك، وأمن من لجأ إليك»[1] (إِنَّكَ تَقِي الْكَرِيهَةَ، وَتُعْطِي الْحَسَنَةَ) أنْتَ المتفضل بالنعماء، والواقي من الْبَلاء (وَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، إِذَا ذُكِرَ الأَبْرَارُ) لأنّه سَيِّدهم، ورسولهم الهادي بأمرك، ولسانك (صَلاَةً تَشْحَنُ الْهَوَآءَ، وَتَمْلأُ الأَرْضَ، وَالسَّماءَ) كناية عن الكثرة الكاثرة الّتي لا يحصيها إلا من بيده كلّ الْخَيْرات، والكائنات.

والْحَمْد لله وحده الَّذِي هدانا بنبيه مُحمّد، وَأَهْلِ بَيْتِهِ، عَلَيْهِ وعَلَيْهِمْ صلوات عالية زاكية...

---

(١) أنظر، المزار للشهيد الأوّل: ٤٦، بحار الأنوار: ٢٨٧/٩٧ و: ٢٣٧/٩٨، مصباح الزّائر: ١٢٠.

الدُّعاء الثّالث والثّلاثون

دُعَاؤُهُ فِي الاسْتِخَارَةِ

أَللَّهُمَّ إنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِـهِ، وَاقْـضِ لِـي بِالْخِيَرَةِ، وَأَلْهِمْنَا مَعْرِفَةَ الاخْتِيَارِ، وَاجْعَلْ ذٰلِكَ ذَرِيعَةً إلَىٰ الرِّضَا بِمَا قَضَيْتَ لَنَا، وَالتَّسْلِيمِ لِمَا حَكَمْتَ؛ فَأَزِحْ عَنَّا رَيْبَ الارْتِيَابِ، وَأَيِّدْنَا بِيَقِينِ الْمُخْلِصِينَ، وَلاَ تَسُمْنَا عَجْزَ الْمَعْرِفَةِ عَمَّا تَخَيَّرْتَ،... فَنَغْمِطَ قَدْرَكَ، وَنَكْرَهَ مَوْضِعَ رِضَاكَ، وَنَجْنَحَ إلَىٰ الَّتِي هِيَ أَبْعَدُ مِنْ حُسْـنِ الْعَاقِبَةِ، وَأَقْرَبُ إلَىٰ ضِدِّ الْعَافِيَةِ.

معنىٰ الاسْتِخَارَة

(أَللَّهُمَّ إنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ...) معنىٰ الاسْتِخَارَة طَلَب ما يوجب العزم علىٰ ما فيه الْخَيْر، والصّلاح، وهذا هو مراد الإمام ﷺ من قوله: (وَأَلْـهِمْنَا مَـعْرِفَةَ الإخْتِيَارِ) أنْتَ، ونحن يا إلهي كما قلت: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَاتَعْلَمُونَ﴾[1] فاختر لنا

---

(١) آل عمران: ٦٦.

ما يرضيك، وينفعنا (وَاجْعَلْ ذَلِكَ ذَرِيعَةً...) أنهج بنا سبيل الرّضا، والتّسليم بحكمك، والْيَقِين بحكمتك من غير شك، وريب (وَلاَ تَسُمْنَا عَجْزَ الْمَعْرِفَةِ عَمَّا تَخَيَّرْتَ) لا تجعلنا عاجزين عن معرفة ما يرضيك (فَنَغْمِطَ قَدْرَكَ...) إنْ لم تُحسن إلينا، وتؤيدنا بالتوفيق إلىٰ ما تُحبّ قصرنا في طَاعَتِكَ، وتقدير عظمتك حقّ قدرها، وكلّ ذٰلِكَ شرّ علينا، ووبال... وأنتَ تعاليت الغني الحميد، والعزيز المجيد.

موضوع الاسْتِخَارَة

لا مكان للإستخارة فيما أمر به الشّارع، أو نهىٰ عنه، ولا مع العلم بأنّه منفعة، أو مضرة. بل مكانها، وموضوعها الجهل، والحيرة.

غايتها

والغاية منها إزالة الشّك، والتّردد، والعزم علىٰ التّرك، أو الفعل مع التّوكل عَلَيْهِ سبحانه.

حكمها

ذهب أكثر ٱلْفُقَهَاء إلىٰ شرعيتها، وكثير منهم قال: هي مُستحبة إستناداً إلىٰ روايات عن أهْل ٱلْبَيْت ﷺ.

أقسامها

ولها أقسام ثلاثة:

١ ـ إستخارة ذات الرّقاع[1]، وصورتها المتداولة هي ست أوراق صغار، علىٰ ٣

---

(١) أُنظر، أمالي الطّوسي: ٧٦/٢، بحار الأنوار: ١٦٤/٤٧ ح ٤ و: ٢٨٧/٨٨، وسائل الشّيعة:

منها أفعل، و ٣ لا تفعل مع البسملة، وهَٰذِهِ الجملة: خيرة من ٱللَّه العزيز الحليم لفلان ابن فلان. ثُم الصَّلاَة ركعتين تقرباً إِلىٰ ٱللَّه، والسّجود بعدهما مع القول مئة مرة: إستخير ٱللَّه برحمته خيرة بعافية، ثُم الجلوس، ويقول: أَللَّهُمَّ إختر لِي فِي جميع أُموري يسراً منك، وعافيه، ثُم يُخرج المصلي الأوراق من تحت مصلاه واحدة فواحدة، فإنْ توالت الثّلاث بإفعل فهي خير محض، وإنْ توالت بلا تفعل فهي شرّ محض، وإنْ تنوعت بين أفعل ولا تفعل أخرج خمس أوراق، وترك السّادسة، فإنْ كانت ٣ أفعل و ٢ لا تفعل فخير، والعكس بالعكس.

وأنكر ابن إدريس هَٰذِهِ الاسْتِخَارَة في سرائره(١).

٢ ـ الاسْتِخَارَة بالقرآن، وهي أنْ تقرأ سورة ٱلتَّوْحِيد، وتصلي علىٰ النّبي وَآلِهِ ٣ مرات. وتفتح كيف ٱتفق، وتقرأ السّطر الأوّل من الصّفحة اليمنىٰ، وتأخذ بالمدلول ٱلظَّاهِرِ في خيرٍ، أو شرٍ(٢).

٣ ـ الاسْتِخَارَة بحبات المسبحة، وهي أنْ يصلي المستخير علىٰ النّبي وَآلِهِ ٣ مرات، ثُم يقبض مجموعة من الحبات، ويعد إثنتين إثنتين، فإنْ بقيت واحدة فأفعل، وإنْ إثنتان فلا تفعل. وقيل: إنّ هَٰذِهِ الاسْتِخَارَة مروية عن الإمام الصَّادِقِ عليه السلام. وعن العلامة المجلسي عن والده عن شيخه البهائي: أنّه قال: سمعنا ذٰلِكَ مذاكرة من

⇐ ٢٠١/٥ ح ١، جامع البيان للطبري: ٤٩/٦، الكشاف للزمخسري: ٦٠٤، قاعدة القرعة لحسين الكرمي: ٢٧٩.

(١) أُنظر، السّرائر: ٣١٤/١، رسالة الاسْتِخَارَة لأبي المعالي الكلباسي: ١، جواهر الكلام: ١٦٨/١٢.

(٢) أُنظر، شرح أُصول الكافي: ٢٨٣/١١، وسائل الشّيعة: ٨٧٥/٤ ح ٧٨١٩، مستدرك الوسائل: ١٠٥/٨.

مشايخنا عن القائمﷺ[1]. ومثله، أو قريب في مفتاح الكرامة[2].

أمّا نحن فلم نر ما نركن إليه، ولكن وجدنا علماءنا علىٰ الاسْتِخَارَة، وإنا علىٰ آثارهم مقتدون. وفي شتىٰ الحالات فإنّ المسألة عقيدة، وإيمان، لا مسألة بينة، وبرهان، ومهما يكن فلا لزوم، ولا التزام بالشفع، والوتر.

حَبِّبْ إِلَيْنَا مَا نَكْرَهُ مِنْ قَضَائِكَ، وَسَهِّلْ عَلَيْنَا مَا نَسْتَصْعِبُ مِنْ حُكْمِكَ، وَأَلْهِمْنَا الانْقِيَادَ لِمَا أَوْرَدْتَ عَلَيْنَا مِنْ مَشِيَّتِكَ، حَتَّىٰ لاَنُحِبَّ تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ، وَلاَ تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ، وَلاَ نَكْرَهَ مَا أَحْبَبْتَ، وَلاَ نَتَخَيَّرَ مَا كَرِهْتَ.

وَاخْتِمْ لَنَا بِالَّتِي هِيَ أَحْمَدُ عَاقِبةً، وَأَكْرَمُ مَصِيراً؛ إِنَّكَ تُفِيدُ الْكَرِيمَةَ، وَتُعْطِي الْجَسِيمَةَ، وَتَفْعَلُ مَا تُرِيدُ؛ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

(حَبِّبْ إِلَيْنَا مَا نَكْرَهُ...) لله سبحانه حقوق، وتكاليف علىٰ عِبَادِهِ، والْحَقّ ثقيل، والتّكليف كلفة، وصعوبة بخاصة الصّوم، والزّكاة، والخمس، والجهاد، هذا من الواجبات، أمّا المحرمات فهي أشد صعوبة، لأنّها تستدعي قهر النّفس، وكبحها عن كثير من المنافع، والملذات، والمرء مشدود بميوله الشّخصية تلقائياً، ومن هنا قال ألرَّسُول الأعظيم ﷺ وهو عائد من بعض غزواته: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلىٰ الجهاد الأكبر»[3] وهو جهاد النّفس.

---

(١) أُنظر، بحار الأنوار: ٨٨/٢٦٥ و: ١٠٩/١٥٠، شرح أُصول الكافي: ١٢/٣٢٩، مستدرك الوسائل: ٦/٢٦٥.

(٢) أُنظر، مفتاح الكرامة: ٢/٢٧٨ باب الصَّلاَة.

(٣) أُنظر، حاشية رد المحتار: ٤/٢٩٥، شرح أُصول الكافي: ٨/٥١، مسند الرّضا: ١٢٤، جامع ⇐

والإمام ﷺ يدعو اللّٰه سبحانه أنْ يعينه علىٰ نفسهِ، وعلىٰ كلّ ما يعجز عنه من الْخَيْرات، والصَّالِحَات، وأنْ تستسلم لعدله تعالىٰ، وحكمته العليا في ما كتبه عليها تشريعاً، وتكويناً حتّىٰ ولو كان هلاكه، وهلاك المال، والعيال، ومن أدعية جده أمير الْمُؤْمِنين ﷺ: «نستعين بالله علىٰ رعاية حقوقه»[1]، وفي دُعَاء آخر: «نستعينه علىٰ هَذِهِ النّفوس البِطاء عما أمرت به، السّراع إلىٰ ما نهيت عنه»[2]. وقد تَقَدَّمَ[3].

(حَتَّىٰ لَانُحِبَّ تَأْخِيْرَ مَا عَجَّلْتَ...) قد يأمر سبحانه بتعجيل أمر لمصلحة في تعجيله، فيود العبد التّأجيل، ومن أمثلته، ما حكاه سبحانه عن بعض الصّحابة في الآية: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾[4]. وأيضاً قد يطلب العبد من خالقه أمراً فيؤخره تعالىٰ إلىٰ أمدٍ، أو يدخر له في الآخرة، فيتضايق ويقول: ﴿رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ﴾[5]! والْمُؤْمِن المخلص يتهم نفسه، ويرىٰ الْخَيْر فيما إختاره تعالىٰ عاجلاً كان أم آجلاً (وَاخْتِمْ لَنَا بِالَّتِي هِيَ أَحْمَدُ) المُهم أنْ لا ينزل علينا غضبه، وأنْ يميتنا علىٰ مَرْضَاتِه بالنبيّ وَآلِهِ عَلَيْهِمْ تحياته، وصلواته.

الأخبار: ١١٨، بحار الأنوار: ٧١/٦٧، شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ٥٤/١٠، فيض القدير شرح الجامع الصّغير: ١٤١/٣.

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ١٩٣/١، الخطبة (١٠٠)، شرح أُصول الكافي: ٥٠٦/١٢، شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ٦/٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ٨٤/٧.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ٢٢٣/١، الخطبة (١١٤ و ١٣٣)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٥٠/٧.

(٣) أُنظر، الدُّعاء الخامس عشر، والحادي والعشرون.

(٤) النّساء: ٧٧.

(٥) الفجر: ١٦.

الدُّعاء الرَّابع والثّلاثون

دُعَـاؤُهُ إذَا ابْتُلِي أَو رَأَىٰ مُبْتَلَىً بِفَضِيحَـةٍ أوْ بِذَنْبٍ

أَللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَىٰ سِتْرِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ، وَمُـعَافَاتِكَ بَـعْدَ خُـبْرِكَ، فَكُلُّنَا قَدِ اقْتَرَفَ الْعَائِبَةَ فَلَمْ تَشْهَرْهُ، وَارْتَكَبَ الْفَاحِشَةَ فَلَم تَفْضَحْهُ، وَتَسَتَّـرَ بِالْمَسَاوِي فَلَمْ تَدْلُلْ عَلَيْهِ.

كَمْ نهْيٍ لَكَ قَدْ أَتَيْنَاهُ، وَأَمْرٍ قَدْ وَقَـفْتَنَا عَـلَيْهِ فَـتَعَدَّيْنَاهُ، وَسَـيِّئَةٍ اكْتَسَبْنَاهَا، وَخَطِيئَةٍ ارْتَكَبْنَـاهَا، كُنْتَ الْمُطَّلِعَ عَلَيْهَا دُونَ النَّاظِرِينَ، وَالْقَادِرَ عَلَىٰ إِعْلاَنِهَا فَوْقَ الْقَادِرِينَ، كَانَتْ عَافِيَتُكَ لَنَا حِـجَاباً دُونَ أَبْصَارِهِمْ، وَرَدْماً دُونَ أَسْمَاعِهِمْ.

(أَللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَىٰ سِتْرِكَ...) واضح، وقد تَقَدَّمَ[1]. (وَمُعَافَاتِكَ بَعْدَ خُبْرِكَ) تلقيت من عصاك بالحلم، ولم تعاجله بالنقمة، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾[2]. وبعض الحمقىٰ يعترضون علىٰ

---

(١) أُنظر، الدُّعاء السَّادس عشر، وغيره.

(٢) فاطر: ٤٥.

هَذِهِ السّياسة الإلهية[1]. (قَدِ اقْتَرَفَ الْعَائِبَةَ...) عطف تكرار (كَمْ نهْيٍ لَكَ...) نهيتَ عن الحرام فارتكبناه، وأمرت بالواجب فتركناه. وقد تَقَدَّمَ[2]. (كُنْتَ الْمُطَّلِعَ عَلَيْهَا...) لقد أخفيتُ كثيراً من ذُنوبِي، وعيوبي عن عبادك، ولو شئت يا إلهي أنْ تفضحني علىٰ رؤوس الأشهاد لفعلت، ولكن (كَانَتْ عَافِيَتُكَ لَنَا حِجَاباً) عافيتك: إعفاؤك لِي من الفضيحة (رَدْماً): حاجزاً.

فَاجْعَلْ مَا ستَرْتَ مِنَ الْعَوْرَةِ، وَأَخْفَيْتَ مِنَ الدَّخِيلَةِ... وَاعِظاً لَنَا، وَزَاجِراً عَنْ سُوْءِ الْخُلْقِ، وَاقْتِرَافِ الْخَطِيئَةِ، وَسَعْياً إِلَىٰ التَّوْبَةِ الْمَاحِيَةِ، وَالطَّرِيْقِ الْمَحْمُودَةِ، وقَرِّبِ الْوَقْتَ فِيهِ، وَلاَ تَسُمْنَا الْغَفْلَةَ عَنْكَ إِنَّا إِلَيْكَ رَاغِبُونَ، وَمِنَ الذُّنُوبِ تَائِبُونَ.

وَصَلِّ عَلَىٰ خِيَرَتِكَ أَللَّهُمَّ مِنْ خَلْقِكَ مُحَمَّدٍ وَعِتْرَتِهِ الصَّفْوَةِ مِنْ بَرِيَّتِكَ الطَّاهِرِينَ، وَاجْعَلْنَا لَهُمْ سَامِعِينَ، وَمُطِيعِينَ كَمَا أَمَرْتَ.

(فَاجْعَلْ مَا ستَرْتَ مِنَ الْعَوْرَةِ) كلّ شيء تستره عن النّاس أنفة، وحياة فهو عار وعورة (وَأَخْفَيْتَ مِنَ الدَّخِيلَةِ): السّر، والسّريرَة (وَاعِظاً لَنَا، وَزَاجِراً عَنْ سُوْءِ الْخُلْقِ...) يعصي العبد فيستر سبحانه، ويُمهل كي يستدرك، ويستبدل المعصية بالطاعة، والتَّوْبَة، والسّعيد من يغتنم فرصة الإمهال، فيتوب، ويصلح، ويأمن عذاب السّعير، والشّقي يغتر بالستر، والإمهال، ويتمادىٰ في الغي، والضّلال، فيأخذه ٱللَّه فذنبه إلىٰ جَهَنّم وبئس المصير.

---

(١) أُنظر، الدُّعاء الأوّل.

(٢) أُنظر، الدُّعاء الثّاني والثّلاثون.

الدُّعاء الخامس والثّلاثون

دُعَاؤُهُ فِي الرِّضَا بِالقَضَآء

الْحَمْدُ للهِ رِضىً بِحُكْمِ اللهِ، شَهِدْتُ أَنَّ اللهَ قَسَمَ مَعَايِشَ عِبَادِهِ بِالْعَدْلِ، وَأَخَذَ عَلَىٰ جَمِيعِ خَلْقِهِ بِالْفَضْلِ. أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلاَ تَفْتِنِّي بِمَا أَعْطَيْتَهُمْ، وَلاَ تَفْتِنْهُمْ بِمَا مَنَعْتَنِي، فَأَحْسُدَ خَلْقَكَ، وَأَغْمِطَ حُكْمَكَ.

(**الْحَمْدُ للهِ رِضىً بِحُكْمِ اللهِ**) هذا هو شعار أهل البيت عليهم السلام: «رضا الله رضانا... لك العتبىٰ حتّىٰ ترضىٰ»[1] تماماً كما قال جدهم المصطفىٰ صلى الله عليه وآله: «إنْ لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي»[2] (**شَهِدْتُ أَنَّ اللهَ قَسَمَ مَعَايِشَ عِبَادِهِ بِالْعَدْلِ**) والعدل عدلان: عدل في المواساة، وعدل في النّظام بوضع كلّ شيء في موضعه بدقة،

(١) أُنظر، شرح الأخبار: ٣/١٤٦، مثير الاحزان: ٢٩، اللّهوف: ٢٣.

(٢) أُنظر، كنز العمال: ٢/١٧٥ ح ٣٦١٣، البداية والنّهاية: ٣/١٦٦، بحار الأنوار: ١٩/٢٢، نهج السّعادة: ٦/٢٣٨، فيض القدير شرح الجامع الصّغير: ٢/١٥١، تفسير القرطبي: ١٦/٢١١، تفسير ابن كثير: ٤/١٧٦.

وحكمة: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[1] والمُراد بالعدل هنا عدل النّظام، والحكمة. وفي شتىٰ الأحوال فإنّ ٱللّٰه سبحانه بسط الرّزق لجميع الخلائق، وقدر الأقوات تبعاً لسد الحاجات، وٱلْفَقْر من صنع ٱلأرض لا من صنع السَّماء بنصّ الصَّادِق عن آبائه عن جده ٱلرَّسُول الأعظمﷺ: «ما ٱفتقر النّاس، وما ٱحتاجوا، وما جاعوا، ولا عروا إلا بذنوب الأغنياء»[2] وقد تَقَدَّمَ[3].

(وَلاَ تَفْتِنِّي بِمَا أَعْطَيْتَهُمْ) أكفني ما أهمني، ولا تبتلني بالفقر، وحسد الأغنياء، وَأَهْل الثّراء (وَلاَ تَفْتِنْهُمْ بِمَا مَنَعْتَنِي) إذا منعت عنّي فضلك، وقدرت أنْ أعيش فَقِيراً وضعيفاً، فلا ٱعتراض، ولكن إحفظ مقامي بين النّاس، ولا تبتل أحداً منهم بالعدوان علىٰ حَقِّي، وكرامتي. وقال سَيِّد ٱلشُّهَدَاء ﷺ: «وفي نَفْسِي فذللني، وفي أعين النّاس فعظمني»[4].

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَطَيِّبْ بِقَضَائِكَ نَفْسِي، وَوَسِّعْ بِمَوَاقِعِ حُكْمِكَ صَدْرِي، وَهَبْ لِي الثِّقَةَ لِأُقِرَّ مَعَهَا بِأَنَّ قَضَاءَكَ لَمْ يَجْرِ إلاَّ بِالْخِيَرَةِ، وَاجْعَلْ شُكْرِي لَكَ عَلَىٰ مَا زَوَيْتَ عَنِّي... أَوْفَرَ مِنْ شُكْرِي إِيَّاكَ عَلَىٰ مَا خَوَّلْتَنِي.

وَٱعْصِمْنِي مِن أَنْ أَظُنَّ بِذِي عَدْمٍ خَسَاسَةً، أَوْ أَظُنَّ بِصَاحِبِ ثَرْوَةٍ

---

(١) طه: ٥٠.

(٢) أُنظر، الرّسالة السّعدية: ١٥٧، وسائل الشّيعة: ٤/٦، من لا يحضره الفقيه: ٧/٢، مدارك الأحكام: ٨/٥.

(٣) أُنظر، الدُّعاء الأوّل: فقرة الرّزق.

(٤) أُنظر، إقبال الأعمال: ٣٠٦/١ و: ٧٩/٢، العدد القوية للحلي: ٣٧٦، بحار الأنوار: ٣١٨/٩٤.

فَضْلاً، فَإِنَّ الشَّرِيفَ مَنْ شَرَّفَتْهُ طَاعَتُكَ، وَالْعَزِيزَ مَنْ أَعَزَّتْهُ عِبَادَتُكَ.
فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَمَتِّعْنَا بِثَرْوَةٍ لاَ تَنْفَدُ، وَأَيِّدْنَا بِعِزٍّ لاَ يُفْقَدُ،
وَأَسْرِحْنَا فِي مُلْكِ الأَبَدِ.

إِنَّكَ الْوَاحِدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ تَلِدْ، وَلَمْ تُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُواً أَحَدٌ.

(وَطَيِّبْ بِقَضَائِكَ نَفْسِي...) الرِّضا بقضائه تعالىٰ، وسعة الصّدر لحكمه، والثّقة الكامله بعدله، وحكمته، كلّ ذٰلِكَ، ونحوه معناه التّسليم المطلق لأمره بلا اعتراض، ولا طَلَب التّعليل، والتّبرير بأفهامنا، وآرائنا، لأنّ اللّٰه سبحانه حقّ، وعلم بالذات، وعلىٰ حدّ قول الفارابي: «علم كّله، والعلم بالذات لا يعلل بالاجتهاد، والْحَقّ من حيث هو لا يبرر بما يجوز الْبَاطِل عَلَيْهِ»[1]. وقد تَقَدَّمَ[2].

(بِأَنَّ قَضَاءَكَ لَمْ يَجْرِ إِلاَّ بِالْخِيَرَةِ) أي لا يقضي سبحانه، ويحكم إلا بالأفضل الأكمل، ولا يسخط علىٰ حكمه إلا ناقص، وجاهل (وَاجْعَلْ شُكْرِي لَكَ عَلَىٰ مَا زَوَيْتَ): صرفت، ومنعت، ومعناه وما بعده أنا عبدك الذّاكر الشّاكر أعطيت أم أمسكت، لأنّ إمساكك عَنّي لم يكن عن غفلة، وإهمال، بل لمصلحة، أنتَ بها أدرىٰ، وأعْلَم، وفي دُعَاء الافتتاح: «فإنْ أبطأ عَنّي عتبت بجهلي عَلَيْكَ، ولعل الَّذِي أبطأ عَنّي هو خير لِي لعلمك بعاقبة الأُمور... فارحم عبدك الجاهل»[3].

---

(١) أبو نصر الفارابي إسماعيل بن حماد الفارابي كان من أذكياء العالم وأعاجيب الدُّنْيا لأنّه كان من الفاراب إحدىٰ بلاد التّرك من عشيرة تركية، ولع باللغة العربية، وأسرارها، وأخذ يطوف من مظان وجوده، وأخذ عن السّيرافي، والفارسي (ت ٣٩٣ هـ). أُنظر، الكنىٰ والألقاب: ١/١٤٤، شرح الإشارات: ٣/٣١٥.

(٢) أُنظر، الدُّعاء الرّابع عشر، وغيره.

(٣) أُنظر، مصباح المتهجد: ٥٦٤، نهاية الاحكام: ٣/٨٩، إقبال الأعمال: ١/١٣٩، بحار الأنوار: ٩٥/٤٤.

مقياس الفضيلة

(وَأَعْصِمْنِي مِن أَنْ أَظُنَّ بِذِي عَدْمٍ خَسَاسَةً...) ومَن آحتقر فَقيراً لفقره فهو الخسيس الحقير، لأنّ الفضيلة لا تقاس بالبطون، والليرات، ولا بالجدود، والآباء، ولا بقاذفات القنابل، ومدمرات المنازل علىٰ رؤوس أهلها المساكين (فَإِنَّ الشَّرِيفَ مَنْ شَرَّفَتْهُ طَاعَتُكَ، وَالْعَزِيزَ مَنْ أَعَزَّتْهُ عِبَادَتُكَ) وما عبد آللّٰه عابد، ولا أطاعه طائع بمثل كَفّ أذاه عن النّاس... أَللَّهُمَّ إلا من أسدىٰ لأخيه معروفاً، أو نفّس عنه كربة، أو قضىٰ له حاجة[1]... وهذا هو السّاكن، والمقيم في ظل العَرْش العظيم، وكنف العزّ القديم يَوْم لا عَرْش إلا عرشه، ولا عزّ إلا عزّه.

(وَمَتِّعْنَا بِثَرْوَةٍ لاَ تَنْفَدُ) وكلّ ثروة نافدة بائدة إلا ثروة العمل الصّالح النّافع بدليل قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾[2]، (وَأَيِّدْنَا بِعِزٍّ لاَ يُفْقَدُ) ولا عزّ لجاهٍ، أو مالٍ، ولا لجُبة، ولحية، ولا لجنسٍ، وعرقٍ، بل للإخلاص، والصّدق، والجهاد، وكلمة الْحَقّ ضد الطّغيان، والعدوان.

(وَأَسْرِحْنَا فِيْ مُلْكِ الأَبَدِ) أي في أرضك، وملكك بدليل قول الإمام ﷺ بلا فاصل: (إِنَّكَ الْوَاحِدُ الأَحَدُ...) وقوله: «وَخَلَقَ لَهُمُ النَّهَارَ مُبْصِراً لِيَبْتَغُوا فِيهِ مِنْ فَضْلِهِ، وَلِيَتَسَبَّبُوا إِلىٰ رِزْقِهِ؛ وَيَسْرحُوا في أَرْضِهِ»[3]. وعَلَيْهِ يكون المعنىٰ مدّنا يا إلهي بالقوة، والمعونة كي ننتشر في أرضك، ونبتغي من فضلك إمتثالاً لأمرك وقولك: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4].

---

(١) أُنظر، مستدرك الوسائل: ١٢/٢٩٨، بحار الأنوار: ٤٨/١٧٤، المعجم الأوسط: ٢/٨٦.

(٢) الرَّعْد: ١٧.

(٣) أُنظر، الدُّعاء السّادس.

(٤) ٱلْجُمُعَة: ١٠.

الدّعاء السّادس والثّلاثون

دُعَاؤُهُ عِنْدَ سَمَاعِ الرَّعْدِ وَالْبَرْقِ

أَللَّهُمَّ إِنَّ هٰذَيْنِ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِكَ، وَهٰذَيْنِ عَوْنَانِ مِنْ أَعْوَانِكَ... يَبْتَدِرَانِ طَاعَتَكَ بِرَحْمَةٍ نَافِعَةٍ، أَوْ نَقِمَةٍ ضَارَّةٍ، فَلاَ تُمْطِرْنَا بِهِمَا مَطَرَ السَّوْءِ، وَلاَ تُلْبِسْنَا بِهِمَا لِبَاسَ الْبَلاَءِ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا نَفْعَ هٰذِهِ السَّحَائِبِ، وَبَرَكَتَهَا، وَاصْرِفْ عَنَّا أَذَاهَا، وَمَضَرَّتَهَا؛ وَلاَ تُصِبْنَا فِيهَا بِآفَةٍ، وَلاَ تُرْسِلْ عَلَىٰ مَعَايِشِنَا عَاهَةً.

أَللَّهُمَّ وَإِنْ كُنْتَ بَعَثْتَهَا نَقِمَةً، وَأَرْسَلْتَهَا سَخْطَةً... فَإِنَّا نَسْتَجِيرُكَ مِنْ غَضَبِكَ، وَنَبْتَهِلُ إِلَيْكَ فِي سُؤَالِ عَفْوِكَ؛ فَمِلْ بِالْغَضَبِ إِلَىٰ الْمُشْرِكِينَ، وَأَدِرْ رَحَىٰ نَقِمَتِكَ عَلَىٰ الْمُلْحِدِينَ.

(أَللَّهُمَّ إِنَّ هٰذَيْنِ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِكَ) هٰذَيْنِ: إشارة إلىٰ البرق، والرَّعْد، وآيتان: علامتان قال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[1]... ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ

(١) الرّوم: ٢٤.

مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾[١] (وَهٰذَيْنِ عَوْنَانِ مِنْ أَعْوَانِكَ) وليس المُراد بالعون هنا المعونة، والمساعدة، لأنّه تعالىٰ يوجد ما يريد بكلمته، ومشيئته وكفىٰ بل المُراد بالعون مجرد الطّاعة في تأدية البشارة بالرحمة، أو الإنذار بالنقمة كما قال الإمام: (يَبْتَدِرَانِ): يسارعان إلىٰ (طَاعَتَكَ بِرَحْمَةٍ نَافِعَةٍ، أَوْ نَقِمَةٍ ضَارَّةٍ) الرَّحْمَة: الغيث، والنّقمة: الصّاعقة، وما أشبه، وقول الإمام هذا اقتباس من آية الرّوم السّابقة.

(فَلاَ تُمْطِرْنَا بِهِمَا مَطَرَ السَّوْءِ) كالسيول المغرقة، والصّواعق المحرقة (وَلاَ تُلْبِسْنَا بِهِمَا لِبَاسَ الْبَلاَءِ) لا يكن الرّعد، وَالْبَرق إنذاراً لنا بالطمر، والغمر في الأسواء، والأدواء (وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا نَفْعَ هَذِهِ السَّحَائِبِ...) كلّ ذٰلِكَ، وأكثر منه وقد تَقَدَّمَ[٢]. (وَإِنْ كُنْتَ بَعَثْتَهَا...) إنْ تلك السّحاب، وبرقها، ورعدها للوعيد، والإنذار بالشر، والعذاب فرحماتك يا رَبَّ الأرباب... أنْ تسمع شكوانا، ولا تخيب أملنا، ورجانا، واصرف عذابك عنا إلىٰ العُصاة الجاحدين بالحق، والعدل، والمشركين الّذين عبدوا الأموال من دونك، وأثاروا من أجلها الحروب، والقِتَال، وانتهكوا الحرمات، وأفسدوا طعم الحياة.

وما من شك أنّ اللّه يستجيب الدُّعاء بشرطه، وقيوده، قال سبحانه: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٣]... ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٤]... ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ

---

(١) ٱلْبَقَرَة: ١٩.
(٢) أنظر، الدُّعاء التّاسع عشر.
(٣) غافر: ٦٠.
(٤) الأنبياء: ٧٦.

يُبْعَثُونَ﴾[1]... إلىٰ غير ذٰلِكَ[2].

أَللَّهُمَّ أَذْهِبْ مَحْلَ بِلاَدِنَا بِسُقْيَاكَ، وَأَخْرِجْ وَحَرَ صُدُورِنَا بِـرِزْقِكَ، وَلاَ تَشْغَلْنَا عَنْكَ بِغَيْرِكَ، وَلاَ تَقْطَعْ عَنْ كَافَّتِنَا مَادَّةَ بِرِّكَ؛ فَإِنَّ الغَنِيَّ مَنْ أَغْنَيْتَ، وَإِنَّ السَّالِمَ مَنْ وَقَيْتَ، مَا عِنْدَ أَحَدٍ دُونَكَ دِفَـاعٌ، وَلاَ بِأَحَدٍ عَنْ سَطْوَتِكَ امْتِنَاعٌ؛ تَحْكُمُ بِمَا شِئْتَ عَلَىٰ مَنْ شِئْتَ، وَتَقْضِي بِـمَـا أَرَدْتَ فِيمَنْ أَرَدْتَ.

فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَىٰ مَا وَقَيْتَنَا مِنَ الْبَلاءِ، وَلَكَ الشُّكْرُ عَلَىٰ مَا خَوَّلْتَنَا مِنَ النَّعْمَاءِ... حَمْداً يُخَلِّفُ حَمْدَ الْحَامِدِينَ وَرَاءَهُ، حَمْداً يَمْلأُ أَرْضَـهُ، وَسَمَاءَهُ.

إِنَّـكَ الْمَنَّانُ بِجَسِيمِ الْمِنَنِ، الْوَهَّابُ لِعَظِيمِ النِّـعَمِ، القَـابِلُ يَسِـيرَ الْحَمْدِ، الشَّاكِرُ قَلِيلَ الشُّكْرِ، الْمُحْسِنُ الْمُجْمِلُ ذُو الطَّوْلِ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ.

(أَللَّهُمَّ أَذْهِبْ مَحْلَ بِلاَدِنَا بِسُقْيَاكَ) ﴿وَتَـرَى ٱلْأَرْضَ هَـامِدَةً فَـإِذَآ أَنـزَلْنَا عَـلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾[3]، وقد تـقَدَّمَ[4] (وَأَخْـرِجْ وَحَـرَ صُدُورِنَا بِرِزْقِكَ، وَلاَ تَشْغَلْنَا عَنْكَ بِغَيْرِكَ...) الوَحَرَ: الغيظ، والمعنىٰ أرزقنا مـن العيش الكفاية كيلا تنصرف عنك نفوسنا، وتمتليء بالغيظ، وتشتعل بالحسد لمن

---

(١) الصّافات: ١٤٣ ـ ١٤٤.

(٢) أُنظر الدُّعاء العشرون فقرة: ضع مع الدُّعاء شيئاً من القِطْران.

(٣) الحَجّ: ٥.

(٤) أُنظر، الدُّعاء التّاسع عشر.

أقتنىٰ، وأستَغنىٰ. وقد تَقَدَّمَ[١]. (وَلاَ تَقْطَعْ عَنْ كَافَّتِنَا مَادَّةَ بِرِّكَ...) كافّتنا: جميعنا، ومادة بِرِّكَ: دوام خيرك، والمعنىٰ اجْعَلْ نعمتك علينا نامية دائمة (فَإِنَّ الغَنِيَّ مَنْ أَغْنَيْتَ...) لا غنىٰ إلا بك، ومنك، ولا فرار من سطوتك إلا إليك، وعَلَيْكَ وحدك المعول في كلّ شيء. وقد تَقَدَّمَ[٢].

(تَحْكُمُ بِمَا شِئْتَ عَلَىٰ مَنْ شِئْتَ...) ولا دافع، ومانع لما تريد. قال بعض العارفين: «كلّ شيء ينتهي عند هَذِهِ الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[٣]، ومثلها في الوضوح: ﴿إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾[٤]، (حَمْداً يُخَلِّفُ حَمْدَ الْحَامِدِينَ...) هذا، وما بعده كناية عن الكثرة الكاثرة. ومثله في الدُّعاء الأوّل: «حَمْداً لاَ مُنْتَهَىٰ لِحَدِّهِ، وَ لاَ حِسَابَ لِعَدَدِهِ، وَ لاَ مَبْلَغَ لِغَايَتِهِ، وَ لاَ انْقِطَاعَ لأَمَدِهِ...»[٥].

الْمَنَّانُ: (المُنعِم) (الْمِنَنِ): النِّعم (الْمجْمِلُ): صاحب الجميل، والمعروف (ذُو الطَّوْلِ): ذو الفضل، والعطاء.

---

(١) أُنظر، الدُّعاء العشرون.

(٢) أُنظر، الدُّعاء الثّالث عشر، وغيره.

(٣) هود: ١٠٧.

(٤) آل عمران: ١٥٤.

(٥) أُنظر، فقرة الْحَمْد في الدُّعاء الأوّل.

الدّعاء السّابع والثّلاثون

دُعَاؤُهُ فِي الشُّكْرِ

أَللَّهُمَّ إِنَّ أَحداً لاَ يَبْلُغُ مِنْ شُكْرِكَ غَايَةً... إِلّا حَصَلَ عَلَيْهِ مِنْ إِحْسَانِكَ مَا يُلْزِمُهُ شُكْراً، وَلاَ يَبْلُغُ مَبْلَغاً مِنْ طَاعَتِكَ وَإِنْ اجْتَهَدَ... إِلاَّ كَانَ مُقَصِّراً دُونَ اسْتِحْقَاقِكَ بِفَضْلِكَ، فَأَشْكَرُ عِبَادِكَ عَاجِزٌ عَنْ شُكْرِكَ، وَأَعْبَدُهُمْ مُقَصِّرٌ عَنْ طَاعَتِكَ.

(**أَللَّهُمَّ إِنَّ أَحداً لاَ يَبْلُغُ مِنْ شُكْرِكَ غَايَةً...**) التّوفيق للشكر نعمة طارئة تستدعي الشُّكْر عليها، ومعنىٰ هذا أنّه يُجِبُ الشُّكْر علىٰ كلّ شكر إلىٰ ما لا نهاية، وأيضاً معنىٰ هذا أنّ من نطق بكلمة الشُّكْر، ينبغي أنْ يكررها حتّىٰ الممات، وهنا يكمن سرّ العجز عن شكرهِ تعالىٰ كما هو أهْل له (**وَلاَ يَبْلُغُ مَبْلَغاً مِنْ طَاعَتِكَ وَإِنْ اجْتَهَدَ...**) لو حاول العبد، وأجتهد مدىٰ الأعصار ـ إنْ عاشها ـ أنْ يؤدي شكر نعمة واحدة من نعمهِ تعالىٰ ما أستطاع إلىٰ ذٰلِكَ سبيلاً، فكيف إذا تجاوزت النّعم حدّ الإحصاء، ولذا قال الإمام: (**فَأَشْكَرُ عِبَادِكَ عَاجِزٌ عَنْ شُكْرِكَ، وَأَعْبَدُهُمْ مُقَصِّرٌ عَنْ طَاعَتِكَ**) في مقدور العبد أنْ يُحسن لمن أبتدأه بالإحسان بقدر ما أحسن،

وزيادة، إنْ يك المحسن عبداً مثله، أمّا إذا كان المحسن هو المعبود، والخالق فمحال، لأنّه تعالىٰ المصدر لكلّ فضل، وإحسان، والغني بالذات عن كلّ شيء، وإليه يفتقر كلّ شيء.

لاٰ يَجِبُ لِأَحَدٍ أَنْ تَغْفِرَ لَهُ بِاسْتِحْقَاقِهِ، وَلاٰ أَنْ تَرْضَىٰ عَنْهُ بِاسْتِيجَابِهِ؛ فَمَنْ غَفَرْتَ لَهُ فَبِطَوْلِكَ، وَمَنْ رَضِيتَ عَنْهُ فَبِفَضْلِكَ، تَشْكُرُ يَسِيرَ مَا شُكِرْتَهُ، وَتُثِيبُ عَلَىٰ قَلِيلِ مَاتُطَاعُ فِيهِ، حَتَّىٰ كَأَنَّ شُكْرَ عِبَادِكَ الَّذِيْ أَوْجَبْتَ عَلَيْهِ ثَوَابَهُمْ، وَأَعْظَمْتَ عَنْهُ جَزَاءَهُمْ... أَمْرٌ مَلَكُوا اسْتِطَاعَةَ الامْتِنَاعِ مِنْهُ دُونَكَ، فَكَافَيْتَهُمْ، أَوْ لَمْ يَكُنْ سَبَبُهُ بِيَدِكَ فَجَازَيْتَهُمْ.

(لاٰ يَجِبُ لِأَحَدٍ أَنْ تَغْفِرَ لَهُ بِاسْتِحْقَاقِهِ...) ٱتفق ٱلْعُلَمَاء أنّ العاصي يستحق العقاب، وٱختلفوا: هل الثّواب منه تعالىٰ للمطيع تفضل، أو إستحقاق؟[1] والْحَقّ أنّه تفضل بالأصل، وٱستحقاق بالواسطة، لأنّ الطّاعة واجبة، ولا شكر، وأجر علىٰ واجب، ولكنه تعالىٰ هو الَّذِي أوجب، وكتب علىٰ نفسه الرَّحْمَة بعباده. وتَقَدَّمَ الكلام عن ذٰلِكَ مفصلاً[2]. (تَشْكُرُ يَسِيرَ مَا شُكِرْتَهُ...) تعطي الجليل علىٰ الحقير، وتعفو عن الكثير.

(حَتَّىٰ كَأَنَّ شُكْرَ عِبَادِكَ...) أنتَ يا إلهي الَّذِي أقدرت عبدك علىٰ الطّاعة، وفعل الْخَيْر، وهديته إليه، وقربته منه... فعليه، وهذي هي الحال أنْ يشكرك هو علىٰ ذٰلِكَ لأنّك الوهاب المتفضل، ولكن كرمك أبىٰ إلا أنْ تكون أنتَ الشّاكر لمن أعطيت، ووهبت. فسبحانك من غالبٍ واهبٍ، وقادرٍ غافرٍ (أَمْرٌ مَلَكُوا اسْتِطَاعَةَ

---

(١) أُنظر، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١١/ ٩٠، المستصفىٰ للغزالي: ٤٩، بحار الأنوار: ٦٨/ ٢٠٠.

(٢) أُنظر، الدُّعاء العاشر فقرة: الثّواب تفضل، أو إستحقاق؟

الامْتِنَاعِ مِنْهُ دُونَكَ...) إذا سألت أخاك حاجة فلبّىٰ وجب له الشُّكْر عَلَيْكَ حيث لا تملك القُدرة علىٰ قهره، وقسره علىٰ الإجابة، ومع ذٰلِكَ ٱسْتِجَابَ. وليس الأمر كذلك بالنسبة إليه تعالىٰ، لأنّ الكون كلّه في قبضته، ومع هذا يكافيء العبد، ويجازيه بالثواب حتماً، وجزماً، لو أطاع، تماماً كما يشكر ٱلإنسَان أخاه علىٰ إحسانه، وزيادة. وهنا يكمن سرّ الإلوهية، ووجوب العبادة للذات القُدسية وحدها لا شريك، ولا مثيل.

بَلْ مَلَكْتَ - يَا إِلٰهِي - أَمْرَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَمْلِكُوا عِبَادَتَكَ، وَأَعْدَدْتَ ثَوَابَهُمْ قَبْلَ أَنْ يُفِيضُوا فِي طَاعَتِكَ.

وَذٰلِكَ أَنَّ سُنَّتَكَ الإِفْضَالُ، وَعَادَتَكَ الإِحْسَانُ، وَسَبِيلَكَ الْعَفْوُ؛ فَكُلُّ الْبَرِيَّةِ مُعْتَرِفَةٌ بِأَنَّكَ غَيْرُ ظَالِمٍ لِمَنْ عَاقَبْتَ، وَشَاهِدَةٌ بِأَنَّكَ مُتَفَضِّلٌ عَلَىٰ مَنْ عَافَيْتَ، وَكُلٌّ مُقِرٌّ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِالتَّقْصِيرِ عَمَّا اسْتَوْجَبْتَ.

فَلَوْلاَ أَنَّ ٱلشَّيْطَانَ يَخْتَدِعُهُمْ عَنْ طَاعَتِكَ... مَا عَصَاكَ عَاصٍ، وَلَوْلاَ أَنَّهُ صَوَّرَ لَهُمُ ٱلبَاطِلَ فِي مِثَالِ الْحَقِّ... مَا ضَلَّ عَنْ طَرِيقِكَ ضَالٌّ.

(بَلْ مَلَكْتَ يَا إِلٰهِي أَمْرَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَمْلِكُوا عِبَادَتَكَ) ٱبتدأهم بالنعم من المهد - حيث لا طاعة ولا عِبَادَة - إلىٰ اللّحد، ومعنىٰ هذا أنّه تعالىٰ يعطي، ولا يأخذ، كيف؟ ومن أية يدّ يأخذ، وله كلّ شيء حتّىٰ اليد الّتي تعطي، وصاحبها؟ (وَأَعْدَدْتَ ثَوَابَهُمْ قَبْلَ...) شرع سبحانه، وقدر الأجر، والثّواب كماً، وكيفاً لكلّ من أطاع تبعاً لطاعته قبل أنْ يوجد. ويسمىٰ هذا النّحو من التّشريع بالقضيه الحقيقية التي يعم حكمها، ويشمل السّابق، والحاضر، واللاحق (أَنَّ سُنَّتَكَ): طريقتك، وشأنك أنْ تنعم، وتكرم، وتشكر، وتغفر.

(فَكُلُّ الْبَرِيَّةِ مُعْتَرِفَةٌ بِأَنَّكَ غَيْرُ ظَالِمٍ...) يعترف الْمُؤْمِن بخلقه، ومنطقه، والكافر بخلقه لا منطقه، وفي دُعَاء لسيّد اَلشُّهَدَاء ﷺ: «تعرفت لكلّ شيء فما جهلك شيء... كيف تخفىٰ، وأنْتَ اَلظَّاهِر؟ وكيف تغيب، وأنْتَ رقيب؟»[١]، ونجد تفسير هذا وذاك في الآية: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[٢] بلسان المقال، والحال معاً، أو بلسان الْخَلْق، والحال (وَكُلٌّ مُقِرٌّ) بلسان المقال، أو الحال (عَلَىٰ نَفْسِهِ بِالتَّقْصِيرِ...) فيما يجب عَلَيْهِ لله تعالىٰ من الشُّكْر، والطّاعة.

(فَلَوْلاَ أَنَّ اَلشَّيْطَانَ يَخْتَدِعُهُمْ عَنْ طَاعَتِكَ مَا عَصَاكَ عَاصٍ) يومىء هذا إلىٰ أنّ اَلإنسَان ليس شريراً، وذئباً بطبعه. وإنّما يتكيف تبعاً للتربية، والظّروف، والبيئة كما في الحديث: «كلّ مولود يولد علىٰ الفطره حتّىٰ يكون أبواه يهودانه، أو ينصرانه»[٣]. وفي دُعَاء عَرَفَة لسيّد اَلشُّهَدَاء ﷺ: «لم تخرجني لرأفتك، ولطفك بِي، وإحسانك إليّ في دولة أيام الكفر الّذين نقضوا عهدك، وكذبوا رسلك»[٤]. (وَلَوْلاَ أَنَّهُ صَوَّرَ لَهُمُ اَلبَاطِلَ...) عطف تكرار.

فَسُبْحَانَكَ! مَا أَبْيَنَ كَرَمَكَ فِي مُعَامَلَةِ مَنْ أَطَاعَكَ، أَوْ عَصَاكَ؟ تَشْكُرُ لِلْمُطِيعِ مَا أَنْتَ تَوَلَّيْتَهُ لَهُ، وَتُمْلِي لِلْعَاصِي فِيمَا تَمْلِكُ مُعَاجَلَتَهُ

(١) أُنظر، إقبال الأعمال: ١/٣٣٩ ـ ٣٥٠، بحارالأنوار: ٢١٦/٩٨، صحيفة الإمام الحُسين: ٢٢٠.
(٢) الإسراء: ٤٤.
(٣) أُنظر، صحيح مسلم: ٢٠٤٧/٤ ح ٢٦٥٨، الموطأ: ٢٤١/١ ح ٥٢، مسند أحمد: ٢٣٣/٢، السّنن الكبرىٰ: ٢٠٣/٦، مجمع الزّوائد: ٢١٨/٧.
(٤) أُنظر، إقبال الأعمال: ٧٤/٢، بحار الأنوار: ٣٧٢/٥٧، تفسير نور الثّقلين: ٥٢٣/٣، حياة الإمام الحُسين ﷺ: ١٦٧/١، كلمات الإمام الحُسين ﷺ: ٧٩٣.

فِيْهِ، أَعْطَيْتَ كُلاًّ مِنْهُمَا مَا لَمْ يَجِبْ لَهُ، وَتَفَضَّلْتَ عَلَىٰ كُلٍّ مِنْهُمَا بِمَا يَقْصُرُ عَمَلُهُ عَنْهُ.

وَلَوْ كَافَأْتَ الْمُطِيعَ عَلَىٰ مَا أَنْتَ تَوَلَّيْتَهُ... لأَوْشَكَ أَنْ يَفْقِدَ ثَوَابَكَ، وَأَنْ تَزُولَ عَنْهُ نِعْمَتُكَ؛ وَلكِنَّكَ بِكَرَمِكَ جَازَيْتَهُ عَلَىٰ الْمُدَّةِ الْقَصِيرَةِ الْفَانِيَةِ بِالْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ الْخَالِدَةِ، وَعَلَىٰ الْغَايَةِ الْقَرِيبَةِ الزَّائِلَةِ بِالْغَايَةِ الْمَدِيدَةِ الْبَاقِيَةِ.

(فَسُبْحَانَكَ! مَا أَبْيَنَ كَرَمَكَ...) ٱللّٰه واسع كريم، لا يبالي كم أعطىٰ، ولمن أعطىٰ مطيعاً كان أم عاصياً (تَشْكُرُ لِلْمُطِيْعِ مَا أَنْتَ تَوَلَّيْتَهُ لَهُ) تُجزي علىٰ ٱلْحَسَنَة ـ وهي منك بأضعافها، وتُعطي علىٰ العمل القليل في أمدٍ قصير نعيماً قائماً، وملكاً في الآخرة دائماً.

لماذا أملىٰ سبحانه، وأمهل؟

(وَتُمْلِي لِلْعَاصِي فِيْما تَمْلِكُ مُعَاجَلَتَهُ...) ٱللّٰه سبحانه يُمهل العاصي حتّىٰ كأنّه يهمله، ولو شاء لأخذه علىٰ الفور أخذ عزيز جبار. وذٰلِكَ لأُمور ثلاثة:

أولا: إنّما يعجل من يخاف الفوت.

ثانياً: عسىٰ أنْ يرجع إلىٰ رشده، ويؤوب.

ثالثاً: لتنقطع جميع أعذاره. وتكون الحجّة عَلَيْهِ أكمل، وأبلغ (أَعْطَيْتَ كُلاًّ مِنْهُمَا مَا لَمْ يَجِبْ لَهُ) ضمير التّثنية للمطيع، والعاصي، والمعنىٰ أنّه تعالىٰ شكر المُطيع، وأمهل العاصي تفضلاً منه، وكرماً، وإلا فما لهذا حقّ في الإمهال، ولا لذاك فرض من الثّواب، (وَلَوْ كَافَأْتَ الْمُطِيعَ عَلَىٰ مَا أَنْتَ تَوَلَّيْتَهُ...) لا يسوغ للمطيع أنْ يطلب الأجر، والمكافأة علىٰ طاعته، لأنّه ما فعلها إلا بالقدرة الّتي هي من عند ٱللّٰه

سبحانه. وبكلام آخر: إذا دعاك جارك إلىٰ مائدته، ولبيت فهل تطلب منه أُجرة الدّعوة، وعوض الطّعام الَّذي أكلت! (وَلكِنَّكَ بِكَرَمِكَ جَازَيْتَهُ عَلَىٰ الْمُدَّةِ الْقَصِيرَةِ الفَانِيَةِ بِالْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ الْخَالِدَةِ، وَعَلَىٰ الْغَايَةِ الْقَرِيبَةِ الزَّائِلَةِ بِالْغَايَةِ الْمَدِيدَةِ الْبَاقِيَةِ) ما من شك أنّ القائم الدّائم أفضَل، وأَعْظمْ من الرّاحل الزّائل: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾[1] وفي نهج البلاغة: «لا تجارة كالعمل الصّالح، ولا ربح كالثواب»[2].

ثُمَّ لَمْ تَسُمْهُ الْقِصَاصَ فِيمَا أَكَلَ مِنْ رِزْقِكَ الَّذِي يَقْوَىٰ بِهِ عَلَىٰ طَاعَتِكَ، وَلَمْ تَحْمِلْهُ عَلَىٰ الْمُنَاقَشَاتِ فِي الآلاتِ الَّتِي تَسَبَّبَ بِاسْتِعْمَالِهَا إلَىٰ مَغْفِرَتِكَ؛ وَلَوْ فَعَلْتَ ذٰلِكَ بِهِ... لَذَهَبَ بِجَمِيعِ مَاكَدَحَ لَهُ، وَجُمْلَةِ مَا سَعَىٰ فِيهِ، جَزَآءً لِلصُّغْرَىٰ مِنْ أَيادِيْكَ، وَمِنَنِكَ، وَلَبَقِيَ رَهِيناً بَيْنَ يَدَيْكَ بِسَائِرِ نِعَمِكَ؛ فَمَتَىٰ كَانَ يَسْتَحِقُّ شَيْئاً مِنْ ثَوَابِكَ؟ لا مَتَىٰ؟!.

هَذَا يا إلٰهِي حَالُ مَنْ أَطَاعَكَ، وَسَبِيلُ مَنْ تَعَبَّدَ لَكَ.

يُعطي سبحانه باستمرار

(ثُمَّ لَمْ تَسُمْهُ الْقِصَاصَ فِيمَا أَكَلَ مِنْ رِزْقِكَ...) لَمْ تَسُمْهُ القصاص: أطلقته، وسامحته، ولم تقتص منه، والمُراد بالآلات هنا أعضاء الإنسان، وكلّ ما له أثر، وصلة بوجود الفعل سواء أكان محسوساً كالعين، واليد أم غير محسوس كالعقل،

---

(١) النّحل: ٩٦.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ٢٧/٤، الحكمة (١١٣)، عيون الحكم والمواعظ: الحكمة (٥٣١)، بحار الأنوار: ١٤/٧٥.

والإرادة. هذا هو المفهوم من قول الإمام ﷺ: (الآلاتِ الَّتِي تَسَبَّبَ بِاسْتِعْمَالِهَا) والمعنىٰ الجملي أنّ المُطيع قد ركع لله، وسجد، وضحىٰ، وجاهد، وشكر، وحمد، كلّ ذٰلِكَ، وغيره من خيرٍ قد فعله وأتىٰ به بأدوات، وأسباب هي من صنع ٱللّٰـه وفضله، إضافة إلىٰ أنواع والمعاش... إلىٰ ما لا يبلغه الإحصاء من مننه تعالىٰ، ونعمه.

ولو أراد سبحانه أنْ يدقق، ويضايق لقال لعبده السّميع المطيع فضلاً عن العاصي: أنْتَ فعلت خيراً، ما في ذٰلِكَ ريب، ولكن هل تستحق مِنّي عَلَيْهِ الجزاء باسم العدل، والانصاف؟ تعال إلىٰ العرض، ونقاش حساب: لقد أعطيتك سلفاً، وقبل أنْ تفعل شيئاً، العقل، والشّعور، والسّمع، والبصر، والشّم، والنّطق، والقلب، والرّأس، واليدين، والرّجلين، والدّم، والعروق، وكلّ ما فيك من قوىٰ ما ظهر منها، وما بطن، وعَلَيْهِ فما من خيرٍ فعلت إلا وهو من ثمار، وآثار ما أملكه منك، ولا تملك أنْتَ منه شيئاً حتّىٰ الإرادة، والإختيار. وفي النّهاية يستصغر المُطيع العاقل نفسه، وطاعته لا محالة، ويوقن بأنّه لو كدح مدىٰ حياته في ليلِهِ، ونهاره علىٰ أنْ يؤدي شكر صغيرة من نعم ٱللّٰه ما ٱستطاع إلىٰ ذٰلِكَ سبيلاً. وهذا معنىٰ قول الإمامﷺ :(وَلَوْ فَعَلْتَ ذٰلِكَ بِهِ) أي لو دققت الحساب معه (لَذَهَبَ بِجَمِيْعِ مَا كَدَحَ لَهُ، وَجُمْلَةِ مَا سَعَىٰ فِيهِ، جَزَآءً لِلصُّغْرىٰ مِنْ أَيادِيْكَ) فضلاً عن النِّعِم الكبرىٰ الَّتي لا تُعد، ولا تُحصىٰ.

(وَلَبَقِيَ رَهيناً بَيْنَ يَدَيْكَ بِسَائِرِ نِعَمِكَ) فاغره جودك، وعطاؤك، وأسره لطفك، وآلاؤك، فكيف يطلب الجزاء، والوفاء وهو رهين الدّيون تماماً كالذي حكم عَلَيْهِ القاضي بالإفلاس لأنّ ما عَلَيْهِ من الأموال يزيد أضعافاً مضاعفة علىٰ ما لديه من متاع ثابت، ومنقول؟ (لا مَتَىٰ يا إِلٰهِي حَالُ مَنْ أَطَاعَكَ...) أبداً لا يستحق أجراً

علىٰ خالقه بالغاً ما بلغ من الصّلاح، والكفاح، بل يبقىٰ مديناً لفضله حتّىٰ ولو قام اللّيل، وصام النّهار طول حياته، وأفطر علىٰ التّراب، وماء الرّماد. وقد تَقَدَّمَ[١]. وأخيراً، فإنّ اَللّٰه يُعطي باستمرار، وسخاء بلا عوض؛ لأنّه الغني، ولا غنىٰ عنه...

فَأَمَّا الْعَاصِيْ أَمْرَكَ، وَالْمُوَاقِعُ نَهْيَكَ... فَلَمْ تُعَاجِلْهُ بِنَقِمَتِكَ، لِكَيْ يَسْتَبْدِلَ بِحَالِهِ فِي مَعْصِيَتِكَ... حَالَ الإِنَابَةِ إِلَىٰ طَاعَتِكَ، وَلَقَدْ كَانَ يَسْتَحِقُّ فِي أَوَّلِ مَا هَمَّ بِعِصْيَانِكَ كُلَّ مَا أَعْدَدْتَ لِجَمِيعِ خَلْقِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، فَجَمِيعُ مَا أَخَّرْتَ عَنْهُ مِنْ وَقْتِ الْعَذَابِ، وَأَبْطَأْتَ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ سَطَوَاتِ النَّقِمَةِ وَالْعِقَابِ... تَرْكٌ مِنْ حَقِّكَ، وَرِضىً بِدُونِ وَاجِبِكَ.

فَمَنْ أَكْرَمُ مِنْكَ يَا إِلٰهِي، وَمَنْ أَشْقَىٰ مِمَّنْ هَلَكَ عَلَيْكَ؟ لاَ! مَنْ؟ فَتَبَارَكْتَ أَنْ تُوصَفَ إِلاَّ بِالإِحْسَانِ، وَكَرُمْتَ أَنْ يُخَافَ مِنْكَ إِلاَّ الْعَدْلُ، لاَ يُخْشَىٰ جَوْرُكَ عَلَىٰ مَنْ عَصَاكَ، وَلاَ يُخَافُ إِغْفَالُكَ ثَوَابَ مَنْ أَرْضَاكَ. فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَهَبْ لِيْ أَمَلِي، وَزِدْنِي مِنْ هُدَاكَ مَا أَصِلُ بِهِ إِلَىٰ التَّوْفِيقِ فِي عَمَلِي، إِنَّكَ مَنَّانٌ كَرِيمٌ.

(فَأَمَّا الْعَاصِيْ أَمْرَكَ، وَالْمُوَاقِعُ نَهْيَكَ) أمرته فأحجم، ونهيته فأقدم (فَلَمْ تُعَاجِلْهُ بِنَقِمَتِكَ...) وقد تَقَدَّمَ نصّه بالحرف: «أَمَرَنَا لِيَخْتَبِرَ طاعَتَنا، وَنَهَانَا لِيَبْتَلِيَ شُكْرَنَا فَخَالَفْنَا عَنْ طَرِيْقِ أَمْرِهِ، وَرَكِبْنا مُتُونَ زَجْرِهِ؛ فَلَم يَبْتَدِرْنا بِعُقُوبَتِهِ، وَلَمْ يُعَاجِلْنَا بِنِقْمَتِهِ بَلْ تَأَنَّانا بِرَحْمَتِهِ تَكَرُّماً، وَانْتَظَرَ مُراجَعَتَنا بِرَأْفَتِهِ حِلْماً»[٢]. وأيضاً

---

(١) أُنظر، الدُّعاء السّادس عشر.

(٢) أُنظر، الدُّعاء الأوّل.

تَقَدَّمَ في نفس الدُّعاء الَّذِي نحن بصدده، فقرة لماذا أملىٰ سبحانه، وأمهل ؟

(وَلَقَدْ كَانَ يَسْتَحِقُّ فِي أَوَّلِ مَا هَمَّ بِعِصْيَانِكَ...) نيّة الْخَيْر تعكس طيب الذّات، والسّريرة، ونيّة الشّرّ، والسُّوء توشي بالخبث، واللّؤم. ويقول الإمام ﷺ أنّ الخبيث اللّئيم الَّذِي همّ بمعصيتك يا إلهي يستحق منك (كُلَّ مَا أَعْدَدْتَ لِجَمِيعِ خَلْقِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ) أي جميع عقوبة الجريمة الّتي نوىٰ، وهمّ بأقترافها تماماً كما لو مارسها، وأتىٰ بها (فَجَمِيعُ مَا أَخَّرْتَ عَنْهُ مِنْ وَقْتِ الْعَذَابِ...) ولكن شاءت حكمتك، ورَحْمَتِك العفو من نوىٰ السُّوء، ولم يتجاوز بقولٍ، أو فعلٍ تفضلاً منك، وكرماً. وفي الحديث: «من همّ بحسنة فلم يعملها كتبها ٱللّٰه له كاملة، ومن همّ بسيئة ولم يفعلها لم يكتبها عَلَيْهِ»[1]. وقد تَقَدَّمَ[2].

(فَمَنْ أَكْرَمُ مِنْكَ يَا إِلٰهِي ؟) أعطيت، وهديت، ورحمت، وعافيت، وسترت، وأمهلت. تباركت، وتعاليت (وَمَنْ أَشْقَىٰ مِمَّنْ هَلَكَ عَلَيْكَ) أي بأمرك، وعلىٰ يدك، لأنّه تعالىٰ لا يهلك إلا من يستحق العذاب، والْهَلاَك ببديهة العقل، ونصّ الْقُرْآن الْكَرِيم: ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[3]... ﴿فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾[4]... ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَـٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾[5]... ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾[6]، وغير ذٰلِكَ كثير، وتَقَدَّمَ في الدُّعاء الأوّل (لاَ مَنْ) لا: نافية، ومن هنا بمعنىٰ أحد أي لا أحد أشقىٰ

(١) أُنظر، مسند أحمد: ٣١٠/١، صحيح البخاري: ١٨٧/٧، صحيح مسلم: ٨٣/١، فتح الباري: ٢٧٩/١١.

(٢) أُنظر، الدُّعاء السّابع والعشرون.

(٣) الأنْعَام: ٤٧.

(٤) الأنْعَام: ٦.

(٥) القصص: ٥٨.

(٦) الأنفال: ٤٢.

ممن هَلَك (فَتَبَارَكْتَ): تقدست، وتنزهت عن مجانسة مخلوقاتك، وعن كلّ وصف إلا وصف الْجَلاَل، والكمال، كالعدل، والإحسان (لاَ يُـخْشَىٰ جَـوْرُكَ عَـلَىٰ مَـنْ عَصَاكَ...) ٱللَّه عادل، ومُحْسِن، والإحسان فوق العدل، وسبحانه يُجزي ٱلْحَسَنَة بمثلها، بل وبأضعاف كثيرة، ويُجزي السّيئة بمثلها، ولا يزيد مثقال ذرة، بل ويعفو عن كثير. وصلِّ أللَّهُمَّ علىٰ الهادي الُـمختار، وَآلِـهِ الأطـهار (وَهَبْ لِـيْ أَمَـلِي): مأمولي، ومطلوبي (التَّوْفِيقِ فِي عَمَلِي) حـتّىٰ تكـون أعـمالي أحسـن الأعـمال، وأنفعها لعبادك، وأرضاها عَنّي لديك. إنّك الوهاب المنان تُـعطي ولا تـبالي لمـن أعطيت، وكم أعطيت.

الدُّعاء الثّامن والثّلاثون

دُعَاؤُهُ فِي الاعْتِذَارِ

اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ مَظْلُومٍ ظُلِمَ بِحَضْرَتِي فَلَمْ أَنْصُرْهُ، وَمِنْ مَعْرُوفٍ أُسْدِيَ إِلَيَّ فَلَمْ أَشْكُرْهُ، وَمِنْ مُسِيءٍ اعْتَذَرَ إِلَيَّ فَلَمْ أَعْذِرْهُ، وَمِنْ ذِي فَاقَةٍ سَأَلَنِي فَلَمْ أُوثِرْهُ، وَمِنْ حَقِّ ذي حَقٍّ لَزِمَنِي لِمُؤْمِنٍ فَلَمْ أُوَفِّرْهُ، وَمِنْ عَيْبِ مُؤْمِنٍ ظَهَرَ لِي فَلَمْ أَسْتُرْهُ، وَمِنْ كُلِّ إِثْمٍ عَرَضَ لِيْ فَلَمْ أَهْجُرْهُ.

أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ يَا إِلٰهِي مِنْهُنَّ، وَمِنْ نَظَائِرِهِنَّ... اعْتِذَارَ نَدَامَةٍ، يَكُونُ وَاعِظاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ أَشْبَاهِهِنَّ. فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ نَدَامَتِي عَلَىٰ مَا وَقَعْتُ فِيهِ مِنَ الزَّلَّاتِ، وَعَزْمِي عَلَىٰ تَرْكِ مَا يَعْرِضُ لِيْ مِنَ السَّيِّئَاتِ تَوبَةً تُوجِبُ لِيْ مَحَبَّتَكَ يا مُحِبَّ التَّوَّابِيْنَ.

(اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِنْ مَظْلُومٍ ظُلِمَ...) أي خذلان مظلوم، وكلّ تعاليم الإسْلاَم، وقيمه، وحوافزه تتجه، وتوجه إلىٰ خدمة الإنسَان، وحياة يسودها الحبّ، والإخاء، والعدل، والحرية، وَالتَّعَاون علىٰ ما فيه مصلحة الفرد، والجماعة، ومن

هنا حثّ الإسْلاَم علىٰ جهاد الظُّلم، والمُعتدين، وأعتبر الظّالم خارجاً عن الإسْلاَم[١] «والسّاكت عن الْحَقّ شيطاناً أخرس»[٢]. والإمامﷺ في دعائه هنا يتوب إلىٰ ٱللَّه سبحانه من تقصيره في الذّب، والدّفاع عن المظلومين، وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ في الآية: ﴿وَمَا لَكُمْ لَاتُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾[٣]. وقال الإمامﷺ: «ما من مؤمن يخذل أخاه، وهو قادر علىٰ نصرته إلا خذله ٱللَّه في الدُّنْيَا، والآخرة»[٤].

(وَمِنْ مَعْرُوفٍ أُسْدِيَ إِلَيَّ فَلَمْ أَشْكُرْهُ) شكر المنعم واجب[٥] أياً كان، ويكون تقديساً لمبدأ العطاء من حيث هو، ومن لا يأخذ، ولا يُعطي فالحيوان خيرٌ منه، لأنّ النّاس ينتفعون به في الكثير من الجهات، ولا شيء أسوأ، أو أضر علىٰ الإنسانية جمعاء ممن يستهلك، ولا ينتج كالذين يجولون بين الموائد، ويتصدرون المجالس، ويحملون ألقاباً جوفاء، ولا عمل لهم إطلاقاً إلا مضغ الْهَوَآء.

(وَمِنْ مُسِيءٍ أعْتَذَرَ إِلَيَّ فَلَمْ أَعْذِرْهُ) ولا من أحدٍ لا يقبل العذر إلا السّفيه، واللّئيم، لأنّ من طَلَب منك الصّفح فقد أعترف لكَ بالفضل، وأقر علىٰ نفسه بالنزق، والعجلة. وفي الأمثال: «ما مسيء من أعْتَذَرَ»[٦]. وقال قائل لرابعة العدوية: أريد التَّوْبَة من ذُنُوبِي فهل يقبل ٱللَّه توبتي؟ فقالت: إنّ ٱللَّه يدعو، المدبر فكيف يطرد

---

(١) أُنظر الدُّعاء الرّابع عشر، فقرة: الظّالم كافر.

(٢) أُنظر، الأذكار النّووية: ٣٣٥، فقه السّنة: ٦١١/٢، دراسات في الحديث والمحدثين: ١٤٧.

(٣) النّساء: ٧٥.

(٤) أُنظر، أمالي الصّدوق: ٥٧٤، البحار: ٣١٢/٧٤ ح ٦٧، كِتَاب الْمُؤمِن: ٦٧ ح ١٧٨، عقاب الأعمال: ٢٣٠.

(٥) أُنظر، حاشية رد المحتار: ١ / ٣٨٤، الأحكام للآمدي: ١ / ٨٧، عصمة الأنبياء للفخر الرّازي: ٣٦.

(٦) أُنظر، مجمع الأمثال للميداني: ٢٦١/٢، طبعة مصر.

المقبل ؟[١].

(وَمِنْ ذِيْ فَاقَةٍ سَأَلَنِي فَلَمْ أُوثِرْهُ) إذا كانت حاجة السّائل لضرورة مُلحة، وأستيقن المسئول ذٰلِكَ، وهو قادر علىٰ قضائها ـ وجبت عَلَيْهِ إعانته تماماً كما يجب إنقاذ الغريق، وإطفاء الحريق. قال الإمام الصَّادِق عليه السلام: «مَن أتاه أخوه في حاجة يقدر عليها، فلم يقضها سلط ٱللَّه عَلَيْهِ شجاعاً ينهش إبهامه في قبره إلىٰ يَوْم الْقِيَامَة»[٢]. ومن المعلوم أنّه لا عقاب إلا علىٰ ترك واجب، أو فعل محرم.

(وَمِنْ حَقٍّ ذي حَقٍّ لَزِمَنِي لِمُؤْمِنٍ فَلَمْ أُوَفِّرْهُ) ماطلت، وتهاونت في حقوق النّاس علماً بأنّها لاتسقط إلا بالوفاء، أو المسامحة. وقد تَقَدَّمَ[٣].

النّحلة، والخُنْفساء

(وَمِنْ عَيْبِ مُؤْمِنٍ ظَهَرَ لِي فَلَمْ أَسْتُرْهُ). الخُنْفساء تقتات العذرة، وتطلبها أنّىٰ كانت، وتكون... وتموت من ريح المسك، والورد، وتبعث من جديد إذا أعيدت إلىٰ الرّوث، والجيفة، علىٰ عكس النّحلة، فإنّها تنفر من الأقذار، ولا تحوم إلا علىٰ طيب الّثمار، والأزهار. وهكذا ٱلإنسَان الطّيب يُدفن السّيّئات، ويُذيع الْحَسَنَات، أمّا ذو السّريره الوخيمة اللّئيمه فإنّه تماماً كالخُنْفساء، يُدفن الْحَسَنَات، ويُذيع السّيّئات، بل ينتعش عنها، ويطير بها كما تنتعش الجعل إذا هبت عَلَيْهِ ريح الخباثة،

(١) رابعة العدوية، البصرية، الزّاهدة، العابدة، الخاشعة، أُمّ عمرو، رابعة بنت إسماعيل قرة العين للعرفاء، والصّوفية، عاشت ثمانين سَنَة، وتوفيت (١٣٥ أو ١٨٠). أُنظر، صفة الصّفوة لابن الجوزي: ٤/ ٣٠٠، طبقات الأولياء: ٣٥، شذرات الذّهب: ٢/ ١١٠، النّجوم الزّاهرة.

(٢) أُنظر، الكافي: ٢/١٩٣ ح ٥، ثواب الأعمال: ٢٩٦، الأختصاص للمفيد: ٢٥٠، أمالي الطّوسي: ٦٧٦.

(٣) أُنظر، الدُّعاء الحادي والثّلاثون.

والتّتانة. وفي نهج البلاغة: «لا تعجل في عيبِ أحدٍ بذنبه، فلعله مغفور له»[١]. وأيضاً فيه ما معناه: «تعييرك أخاك بالذنب أكبر إثماً من ذنبه»[٢]. وفي الأشعار، والأمثال: « الإناء ينضح بما فيه[٣]... شبيه الشّيء منجذب إليه»[٤]. وفي الفلسفة: «الأشياء المتماثلة تؤدي إلىٰ نتائج متماثلة[٥]... الأثر يدل علىٰ المؤثر»[٦].

(وَمِنْ كُلِّ إِثْمٍ عَرَضَ لِيَ فَلَمْ أَهْجُرْهُ...) كلنا يخطيء، ولا عيب في الخطأ، وإنّما العيب أنْ نصر عَلَيْهِ، ونخادع، ونكابر، ومن لا يرجع إلىٰ الإنابة فما له من دواء. وقد تَقَدَّمَ[٧] (وَٱجْعَلْ نَدَامَتِي عَلَىٰ مَا وَقَعْتُ فِيهِ مِنَ الـزَّلَّاتِ...) قسم بعض العارفين الذُّنُوب إلىٰ ثلاثة أقسام:

الأوّل: ممارسة الحرام بالفعل.

والثّاني: عدم الإحتراز، والتّحفظ.

الثّالث: الرّضا عن النّفس، والطّاعة، والعبادة، وقول الإمام ﷺ: (مَا يَعْرِضُ لِيَ مِنَ ٱلسَّيِّئَاتِ) يعمّ الجميع. وقد تَقَدَّمَ[٨].

---

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٢/٢٣، الخطبة (١٤٠)، عيون الحكم والمواعظ: ٥٥٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٩/٥٩، وسائل الشّيعة: ١٥/٢٩١، بحار الأنوار: ٧٢/٢٦١.

(٢) أُنظر، المصادر السّابقة.

(٣) أُنظر، صفة الصّفوة: ١/٢٤٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٥/١٣٩، كشف الغمة: ٢/٢٤٣.

(٤) أُنظر، تاج العروس: ٦/٢١٧، فيض القدير شرح الجامع الصّغير: ٤/٤٩٢ و: ٦/٣٤٥، كشف الخفاء: ٢/٤.

(٥) أُنظر، بدائع الصّنائع: ٥/١٣٦، الفروق اللّغوية لأبي هلال العسكري: ١٦٨.

(٦) أُنظر، شرح أُصول الكافي: ٨/١٥٧، حياة الإمام الرّضا: ١٥١، أحكام الجنائز للألباني: ١٧٥.

(٧) أُنظر، الدُّعاء الرّابع والعشرون.

(٨) أُنظر، الدُّعاء الثّاني عشر، والدُّعاء الحادي والثّلاثون، وغيرهما.

الدُّعاء التّاسع والثّلاثون / دُعَاؤُهُ فِي طَلَبِ الْعَفْوِ

الدُّعاء التّاسع والثّلاثون

دُعَاؤُهُ فِي طَلَبِ الْعَفْوِ

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْسِرْ شَهْوَتِي عَنْ كُلِّ مَحْرَمٍ، وَازْوِ حِرْصِي عَنْ كُلِّ مَأْثَمٍ، وَامْنَعْنِي عَنْ أَذَىٰ كُلِّ مُؤْمِنٍ، وَمُؤْمِنَةٍ، وَمُسْلِمٍ، وَمُسْلِمَةٍ.

أَللَّهُمَّ وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَالَ مِنِّي مَا حَظَرْتَ عَلَيْهِ، وَانْتَهَكَ مِنِّي مَا حَجَرْتَ عَلَيْهِ، فَمَضَىٰ بِظُلاَمَتِي مَيِّتاً، أَوْ حَصَلَتْ لِي قِبَلَهُ حَيّاً، فَاغْفِرْ لَهُ مَا أَلَمَّ بِهِ مِنِّي، وَاعْفُ لَهُ عَمَّا أَدْبَرَ بِهِ عَنِّي، وَلاَ تَقِفْهُ عَلَىٰ مَا ارْتَكَبَ فِيَّ، وَلاَ تَكْشِفْهُ عَمَّا اكْتَسَبَ بِي.

وَاجْعَلْ مَا سَمَحْتُ بِهِ مِنَ الْعَفْوِ عَنْهُمْ، وَتَبَرَّعْتُ بِهِ مِنَ الصَّدَقَةِ عَلَيْهِمْ... أَزْكَىٰ صَدَقَاتِ الْمُتَصَدِّقِينَ، وَأَعْلَىٰ صِلاَتِ الْمُتَقَرِّبِينَ، وَعَوِّضْنِي مِنْ عَفْوِيْ عَنْهُمْ عَفْوَكَ، وَمِنْ دُعَائِي لَهُمْ رَحْمَتَكَ، حَتَّىٰ يَسْعَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بِفَضْلِكَ، وَيَنْجُوَ كُلٌّ مِنَّا بِمَنِّكَ.

(وَاكْسِرْ شَهْوَتِي عَنْ كُلِّ مَحْرَمٍ، وَازْوِ حِرْصِي...) أَللَّهُمَّ أغنني بحلالك عن

حرامك، وبطاعتك عن معصيتك. وقد تَـقَدَّمَ: «أَللَّهُمَّ إِنِّـي أَعُـوذُ بِكَ مِـنْ هَـيَجَانِ الْحِرصِ، وَسَوْرَةِ الْغَضَبِ»[١]

كَفّ الأذىٰ

(وَامْنَعْنِي عَنْ أَذَىٰ...) حثّ الإسْلاَم علىٰ ترك الأذىٰ تماماً كما حثّ علىٰ ترك الكفر، قال سبحانه: ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٢] وقال تعالىٰ: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٣]...وقال تعالىٰ: ﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾[٤]. وفي كِتَاب الوسائل عن الإمام الصَّادِقِ عليه السلام: «أَفْضَل الجـهاد مـن أصـبح لا يـهم بـظلم أحد»[٥]... قال سبحانه فـي حـديث قـدسي: «فـليأذن بـحرب مِـنّي مـن آذىٰ عبدي»[٦]. وفي سفينة البحار قال النّبي صلى الله عليه وآله: «تصدق عن نفسك بكف الأذىٰ يا أبا ذر»[٧]. وفي حديث آخر: «علىٰ المسلم أنْ يتصدق عن نفسه في كلّ يَوْم. فقيل: ومن يستطيع ذٰلِكَ يا رَسُول ٱللَّه؟ قال: كلّكم يستطيع أنْ يكف شرّه عن النّاس»[٨].

---

(١) أُنظر، الدُّعاء الثّامن.

(٢) ٱلْبَقَرَة: ٨٩.

(٣) الأعراف: ٤٤.

(٤) الإسراء: ٩٩.

(٥) أُنظر، وسائل الشّيعة: ١٦/٣٤، السّرائر: ٣/٦١٥، المـحاسن: ١/٢٩٢، الكـافي: ٢/٣٣٤، شرح أُصول الكافي: ٩/٣٨٢، الجامع الصّغير: ٢/٥٧٢، كـنز العـمال: ٣/٥٠٤ ح ٧٦٣٠ و: ٤/٣٠٧.

(٦) أُنظر، وسائل الشّيعة: ١٢/٢٦٤، المحاسن: ١/٩٧، الكـافي: ٢/٣٥٠ح ١. شـرح أُصـول الكافي: ٩/٤٢٢.

(٧) أُنظر، بحار الأنوار: ٧٨/٣٣٨، قريب منه، مستدرك الوسائل: ٢/١٢٩ و: ٤/١٠٧.

(٨) أُنظر، كنز العمال: ٦/٤٣٤ ح ١٦٤٢١، بالإضافة إلىٰ المصادر السّابقة.

إلىٰ كثير من الأحديث.

وما من دينٍ، أو شريعةٍ، أو مذهب يُعطي، ويثيب علىٰ مجرد السّلب، وترك الأذىٰ إلا الإسْلاَم، فإنّه الدّين الوحيد الّذِي قرأنا له العديد من النّصوص الّتي تعتبر كَفّ الأذىٰ فضيلة الفضائل، ذٰلِكَ لأنّه لا حرب، ودكتاتورية، ولا قوي، وضعيف مع كَفّ الأذىٰ، وعدم الضّغط علىٰ الحريات، بل أمنٍ، وأمان، وحرية كاملة لكلّ إنسان في أنْ يتعلم، ويعمل، ويعيش علىٰ جهوده، ومواهبه كيف شاء، وأحبّ بلا حدود إلا حدود الْحَقّ، ولا قيود إلا قيود العدل.

(وَأَيُّمَا عَبْدٍ نالَ مِنِّي مَا حَظَرْتَ...): ما منعت، وَانْتَهَكَ مِنّي: أستحل مِنّي، وظُلامتي بضم الظّاء: مظلمتي أي ما حلّ بِي من الظُّلم، وقبله بكسر القاف: عنده، والإمام ﷺ في هذا الدُّعاء يعفو عمن اعتدىٰ عَلَيْهِ بجهة من الجهات، ثُم ذهب إلىٰ سبيله مع الأحياء، أو الأموات دون أنْ ينتصف منه بوفاء، أو قصاص، يعفو عنه لأنّ العفو سُنة الأنبياء، والأولياء، وطلباً لعفوه تعالىٰ حيث قال: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوٓا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وليس معنىٰ هذا أنّ الظّالم لا يعاقب إطلاقاً بعد العفو من المظلوم، بل يسقط عنه الْحَقّ الشّخصي، أمّا الْحَقّ العام، أو حقّ اللّه كما نقول نحن فأمره بيد اللّه وحده (وَاجْعَلْ مَا سَمَحْتُ بِهِ مِنَ الْعَفْوِ...) صدقة زاكية نافعة لِي، ولهُ (وَعَوِّضْنِي مِنْ عَفْوِيْ عَنْهُمْ عَفْوَكَ) أنا ما عفوت إلا طاعة لأمرك، وطمعاً في عَفْوِكَ، ورَحْمَتِك، وقد تَقَدَّمَ[2].

عليّ والنّص علىٰ إمامته

(حَتَّىٰ يَسْعَدَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنَّا بِفَضْلِكَ وَيَنْجُوَ كُلٌّ مِنَّا بِمَنِّكَ): بنعمتك، هو بعفوي،

---

(١) النّور: ٢٢.

(٢) أنظر، الدُّعاء الرّابع عشر، فقرة: «وَعَوِّضْنِي مِنْ ظُلْمِهِ لِي عَفْوَكَ».

وأنا أفوز بعفوك، وشتان ما بين الصّفقتين!. قال الإمام أمير الْمُؤْمِنِين عليه السلام حين ضربه ابن ملجم: «إنْ أبق فأنا ولي دمي، وإنْ أفن فالفناء ميعادي، وإنْ أعف فالعفو لِي قربة، وهو لكم حسنة، فاعفوا ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[1]، وأيضاً قال لأولاده: أطيبوا طعامه، وألينوا فراشه[2].

أيّ شيء هذا؟ أجود، وحلم، أو أريحية، وفطرية عربية، أو طبيعة بشرية؟ أبداً لا شيء إلا روح عليّ، ويقينه بالله، والرّغبة في مَرْضَاتِه. وبعدها ألف ضربة بسيف الجلاد علىٰ رأسهِ، ورؤوس أوْلاَدَه، وأحفاده... وإذا لم يكن هذا الرّوح، والْيَقِين هو المنبع، والمصدر لإمامة عليّ، وعصمته. فلا أساس، ولا مدرك علىٰ الإطلاق نصّاً كان، أو إجماعاً.

أَللَّهُمَّ، وَأَيُّما عَبْدٍ مِنْ عَبِيْدِكَ أَدْرَكَهُ مِنِّي دَرَكٌ، أَوْ مَسَّهُ مِنْ نَاحِيَتِي أَذىً، أَوْ لَحِقَهُ بِي، أَوْ بِسَبَبِي ظُلْمٌ فَفُتُّهُ بِحَقِّهِ، أَوْسَبَقْتُهُ بِمَظْلَمَتِهِ، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَرْضِهِ عَنِّي مِنْ وُجْدِكَ، وَأَوْفِهِ حَقَّهُ مِنْ عِنْدِكَ، ثُمَّ قِنِي مَا يُوجِبُ لَهُ حُكْمُكَ، وَخَلِّصْنِي مِمَّا يَحْكُمُ بِهِ عَدْلُكَ،

---

(١) النّور: ٢٢.

أنظر، نهج البلاغة: ٢١/٣، ألكِتَاب (٢٣)، شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ٤٠٣/٤، شرح مُحمّد عبده: ٢٤/٢، الكافي: ٢٩٩/١، أنساب الأشراف: ٤٩٥، الطّبقات الكبرىٰ: ٣٧/٣، تأريخ دمشق: ٥٥٩/٤٢، أسد الغابة: ٣٧/٤، الإمامة والسّياسة: ١٨١/١، الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانية جورج جرداق: ١٠٠٤/٤.

(٢) أنظر، نهج البلاغة: ٢١/٣، ألكِتَاب (٢٣)، شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ٤٠٣/٤، شرح مُحمّد عبده: ٢٤/٢، الكافي: ٢٩٩/١، أنساب الأشراف: ٤٩٥، الطّبقات الكبرىٰ: ٣٧/٣، تأريخ دمشق: ٥٥٩/٤٢، أسد الغابة: ٣٧/٤، الإمامة والسّياسة: ١٨١/١، الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانية جورج جرداق: ١٠٠٤/٤.

فَإِنَّ قُوَّتِي لا تَسْتَقِلُّ بِنَقِمَتِكَ، وَإِنَّ طَاقَتِي لا تَنْهَضُ بِسُخْطِكَ، فَإِنَّكَ إِنْ تُكَافِنِي بِالْحَقِّ... تُهْلِكْنِي، وَإِلَّا تَغَمَّدْنِي بِرَحْمَتِكَ... تُوبِقْنِي.

(وَأَيُّما عَبْدٍ مِنْ عَبِيْدِكَ أَدْرَكَهُ مِنِّي دَرَكٌ...) أَدْرَكَهُ: لحقه، ودَرَك بفتح الدّال والرّاء: ما يترتب على الشّيء من خير، وشر، والمُراد به هنا الأذى، والظُّلم حيث قال الإمام بلا فاصل: (أَوْ مَسَّهُ مِنْ نَاحِيَتِي أَذَىً، أَوْ لَحِقَهُ بِي، أَوْ بِسَبَبِي ظُلْمٌ فَفُتُّهُ بِحَقِّهِ) أي قصرت في إرضاء من ظلمته، والمعنى غيري ظلمني فعفوت عنه، وأنا أيضاً ظلمت من ظلمت، ولم أتسامح منه، وأرضه بطريقٍ، أو بآخر، ولا هو اقتص منّي (وَأَرْضِهِ عَنِّي - يا إلهي - مِنْ وُجْدِكَ...) بضم الواو: الوسع، والغني، والمعنى أنتَ ذو الْجَلاَل، والإكرام، والغنى، والإنعام فاتمم عليّ نعمتك، واقض من فضلك عَنّي كلّ دينٍ، وحقٍ عليَّ لعبد من عبادك. وقد تَقَدَّمَ[1].

الْكَرِيم لا يدقق

(فَإِنَّكَ إِنْ تُكَافِنِي بِالْحَقِّ تُهْلِكْنِي) إذا استقصيت في الحساب، ودققت فلا ينجو من عدلك، وعذابك إلا مَن مننت عَلَيْهِ بِالْعِصْمَة (وَإِلَّا تَغَمَّدْنِي بِرَحْمَتِكَ تُوبِقْنِي): تُهلكني. وفي الدُّعاء الأوّل: «وَلَمْ يُعَاجِلْنَا بِنِقْمَتِهِ، بَلْ تَأَنَّانا بِرَحْمَتِهِ تَكَرُّماً». ويأتي في الدُّعاء[2]: «لا تَسْتَطيعُ حَرَّ شَمْسِكَ، فَكَيْفَ تَسْتَطيعُ حَرَّ نارِكَ؟ وَالّتي لا تَسْتَطيعُ صَوْتَ رَعْدِكَ؛ فَكَيْفَ تَسْتَطيعُ صَوْتَ غَضَبِكَ»؟

وقال أعرابي يا رَسُول اللَّه! فقال: مَن يحساب الْخَلْق يَوْم الْقِيَامَة؟ فقال: اللَّه عزّوجلّ. قال الأعرابي: نجونا وربِّ الكعبة! قال: وكيف ذٰلِكَ يا أعرابي؟! قال:

---

(١) أُنظر، الدُّعاء الرّابع عشر، والحادي والثّلاثون.

(٢) أُنظر، الدُّعاء الخمسون.

لأنَّ ٱلْكَرِيمِ إذا قدر عفا، وإذا حاسب سامح»[1].

أَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَوْهِبُكَ يَا إِلٰهِي مَا لا لم يَنْقُصُكَ بَذْلُهُ، وَأَسْتَحْمِلُكَ مَا لا يَبْهَظُكَ حَمْلُهُ. أَسْتَوْهِبُكَ ـ يَا إِلٰهِي ـ نَفْسِيَ الَّتِيْ لَمْ تَخْلُقْهَا لِتَمْتَنِعَ بِهَا مِنْ سُوءٍ، أَوْ لِتَطَرَّقَ بِهَا إِلىٰ نَفْعٍ، وَلٰكِنْ أَنْشَأْتَهَا إِثْبَاتاً لِقُدْرَتِكَ عَلَىٰ مِثْلِهَا، وَاحْتِجَاجاً بِهَا عَلَىٰ شَكْلِهَا.

وَأَسْتَحْمِلُكَ مِنْ ذُنُوبِي مَا قَدْ بَهَظَنِي حَمْلُهُ، وَأَسْتَعِينُ بِكَ عَلَىٰ مَا قَدْ فَدَحَنِي ثِقْلُهُ. فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَهَبْ لِنَفْسِي عَلَىٰ ظُلْمِهَا... نَفْسِيْ، وَوَكِّلْ رَحْمَتَكَ بِاحْتِمَالِ إِصْرِي؛ فَكَمْ قَدْ لَحِقَتْ رَحْمَتُكَ بِالْمُسِيئِينَ، وَكَمْ قَدْ شَمِلَ عَفْوُكَ ٱلظَّالِمِينَ.

(أَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَوْهِبُكَ يَا إِلٰهِي مَا لا لم يَنْقُصُكَ بَذْلُهُ...) أستوهبك: أسألك أنْ تهب لِي. وأستحملك: أرفع عَنّي حملي، وثقلي، ولا يبهظك: لا يعجزك. يدعو ٱللَّه الَّذِي لا ينقص العطاء شيئاً من مُلكه، وسلطانه ـ أنْ يرحمه من فضله بعتق رقبته من ٱلنَّار علماً بأنّ الإمام ﷺ لا ذنب له، وخطيئة، ولكن يحثنا علىٰ التَّوْبَة، والتّوسل إليه بخشوع كي يرحم، ويغفر. وقد تَقَدَّمَ[2].

(أَسْتَوْهِبُكَ يَا إِلٰهِي نَفْسِيَ الَّتِيْ لَمْ تَخْلُقْهَا لِتَمْتَنِعَ بِهَا مِنْ سُوءٍ، أَوْ لِتَطَرَّقَ بِهَا إِلىٰ نَفْعٍ)تطرّق بها بتشديد الرّاء: آتخذ منها وسيلةً، وطريقاً، والمعنىٰ خلقتَ نَفْسِي، وأَنْتَ غني عنها، وعن الْعَالَمِين كما قلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[3]، وقال تعالىٰ:

(١) أُنظر، تنبيه الخواطر: ١/٩. كنز العمال: ١٤/٦٢٨ ح ٣٩٧٤٩. كشف الخفاء: ٢/١١٠ ح ١٩٢٥.

(٢) أُنظر، الدُّعاء الثّالث عشر.

(٣) العنكبوت: ٦.

﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[١]، وفي نهج البلاغة: «لم تخلق الْخَلْق لوحشة، ولا أستعملتهم لمنفعة... ولا ينقص سُلْطَانَك من عصاك، ولا يزيد مُلكك من أطاعك»[٢].

(وَلٰكِنْ أَنْشَأْتَهَا إِثْبَاتاً لِقُدْرَتِكَ عَلَىٰ مِثْلِهَا، وَاحْتِجَاجاً بِهَا عَلَىٰ شَكْلِهَا) أنشأها: خلقها، والضّمير للنفس، والمعنىٰ أنّ ٱللّٰه سبحانه خَلَق النّفس ليُثبت، ويُثبّت القلوب علىٰ الإيمَان باليوم الآخر، لأنّ الَّذِي خلقها أوّل مرة قادر علىٰ أنْ يبعثها بعد الْمَوْت، وبتعبير أبلغ، وأجمع: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٣].

(وَأَسْتَحْمِلُكَ مِنْ ذُنُوبِي...) أغفر لِي ذُنُوبِي، وأرحني من عذابها، وتَقَدَّمَ قبل لحظة (وَأَسْتَعِينُ بِكَ عَلَىٰ مَا قَدْ فَدَحَنِي:...): بهظني، وأتعبني، والعطف للتكرار (وَهَبْ لِنَفْسِي عَلَىٰ ظُلْمِهَا نَفْسِيْ) قال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[٤] والمرتهن هو ٱللّٰه جلّ وعزّ، والرّاهن ٱلإنسَان، وعَلَيْهِ يكون الرّاهن، والرّهينة شيئاً واحداً، ولذا جعل الإمام ﷺ الهبة عين الموهوب له، والعطية نفس المستعطي (وَوَكِّلْ رَحْمَتَكَ بِاحْتِمَالِ إِصْرِي): ثقلي، وذنبي، والمعنىٰ لا يجيرني من ثقل الأوزار إلا رَحْمَتِك الواسعة، فكلني إليها، ولا تكلني إلىٰ عدلك، فلا طاقة لنا به.

---

(١) فاطر: ١٥.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ٢١٠/١، الخطبة (١٠٩)، شرح النّهج للمعتزلي: ١٩٤/٧، بحار الأنوار: ٣١٨/٤.

(٣) يس: ٨١ ـ ٨٢.

(٤) المدثر: ٣٨.

وهذا سَيِّد اَلشُّهَدَاء الَّذِي أعطىٰ اَللَّه كلّ شيء حتّىٰ الأهل، والأصحاب، والرّأس، والقلب، واللّحم، والصّدر، يقول لله: «عدلك مُهلكي، ومن كلّ عدلك مهربي»[١]. فيا له من درس لشيعتك يا أبا عبداَللَّه، ولكل من يرىٰ نفسه سعيداً محبوراً، وشيئاً مذكوراً! (فَكَمْ قَدْ لَحِقَتْ رَحْمَتُكَ بِالْمُسِيئِينَ) ما أنا بأوّل من أذنب، وأساء فرحمته، ولا الوحيد الَّذِي رغب إليك فأعطيته (وَكَمْ قَدْ شَمِلَ عَفْوُكَ اَلظَّالِمِينَ) عطف تكرار.

فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْنِي أُسْوَةَ مَنْ قَدْ أَنْهَضْتَهُ بِتَجَاوُزِكَ عَنْ مَصَارِعِ الْخَاطِئِينَ، وَخَلَّصْتَهُ بِتَوْفِيقِكَ مِنْ وَرَطَاتِ الْمُجْرِمِينَ، فَأَصْبَحَ طَلِيقَ عَفْوِكَ مِنْ إِسَارِ سُخْطِكَ، وَعَتِيقَ صُنْعِكَ مِنْ وَثَاقِ عَدْلِكَ؛ إِنَّكَ إِنْ تَفْعَلْ ذٰلِكَ يَا إِلٰهِي... تَفْعَلْهُ بِمَنْ لَا يَجْحَدُ اسْتِحْقَاقَ عُقُوبَتِكَ، وَلَا يُبَرِّئُ نَفْسَهُ مِنِ اسْتِيجَابِ نَقِمَتِكَ؛ تَفْعَلُ ذٰلِكَ يَا إِلٰهِي بِمَنْ خَوْفُهُ مِنْكَ أَكْثَرُ مِنْ طَمَعِهِ فِيكَ، وَبِمَنْ يَأْسُهُ مِنَ النَّجَاةِ أَوْكَدُ مِنْ رَجَائِهِ لِلْخَلَاصِ؛ لَا أَنْ يَكُونَ يَأْسُهُ قُنُوطاً، أَوْ أَنْ يَكُونَ طَمَعُهُ اغْتِرَاراً؛ بَلْ لِقِلَّةِ حَسَنَاتِهِ بَيْنَ سَيِّئَاتِهِ، وَضَعْفِ حُجَجِهِ فِي جَمِيعِ تَبِعَاتِهِ.

(وَاجْعَلْنِي أُسْوَةَ مَنْ قَدْ أَنْهَضْتَهُ بِتَجَاوُزِكَ...) أُسوة بضم الهمزة، وكسرها: القدوة، وأنهضته: أقمته، والمُراد بمصارع الخاطئين هنا عذاب الجحيم، ووَرطات: جمع وَرطة بفتح الواو بمعنىٰ الهلكة، والقصد رجوتك يا إلهي أنْ تغفر، وترحم، فاستَجِبْ رجائي، ودعائي، ونجني من عذابك، واجعلني بذلك قدوة لكلّ من تاب، ولاذ برحمتك (فَأَصْبَحَ طَلِيقَ عَفْوِكَ مِنْ إِسَارِ سُخْطِكَ...) أبداً لا نجاة من أسر

(١) أُنظر، زاد المعاد للمجلسي: ١٤٦، البلد الأمين: ٢٥١، كلمات الإمام الحُسين ﷺ: ٧٩٩.

غضبك، ونقمتك، ولا عتق من حكمك العادل إلا أنْ يصدر العفو منك لا شريك لك. وقد تَقَدَّمَ(١).

(إِنْ تَفْعَلْ ذَلِكَ) إشارة إلىٰ العفو (تَفْعَلْهُ بِمَنْ لَا يَجْحَدُ اسْتِحْقَاقَ عُقُوبَتِكَ . . .) بل يقر، ويعترف بِالتَّقْصِير، والذّنب (تَفْعَلُ ذٰلِكَ يَا إِلٰهِي بِمَنْ خَوْفُهُ مِنْكَ أَكْثَرُ مِنْ طَمَعِهِ فِيكَ . . .) ذكرنا فيما سبق أنّ في قلب الْمُؤْمِن نورين: نور الخوف من نقمة وإنْ أطاعه، ونور الرّجاء لرحمة ٱللّٰه وإنْ عصاه. ومن يرجو ثواب ٱللّٰه دون أنْ يخشىٰ منه فقد طمع في غير مطمع. ومن يخاف ٱللّٰه دون أنْ يرجوه فقد نفي عنه صفة الحلم، والرَّحْمَة، والجود، والمغفرة! وهذا هو الكفر، وتَقَدَّمَ، وأُكرر قول سَيِّد ٱلشُّهَدَاء: «لا ينقطع عنك رجائي وإنْ عصيتك، كما أنّ خوفي لا يزايلني وإنْ أطعتك»(٢).

وخوف ٱلْعُلَمَاء من ٱللّٰه تعالىٰ يكون علىٰ قدر علمهم به، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾(٣). وفي دُعَاء عَرَفَة لسيّد ٱلشُّهَدَاء: «أَللّٰهُمَّ إجعلني أخشاك كأنّي أراك»(٤)، ولا أحد أعْلَم بالله سبحانه من النّبي، وَأَهْلِ بَيْتِهِ. وهنا كان خوف الإمام منه أكثر من طمعه فيه، وما من شك أنّ الخوف إذا طغىٰ علىٰ الرّجاء ضعفت الشّهْوة، والعاطفة، وأحجمت النّفس، وأرتدعت، وإذا طغىٰ الرّجاء علىٰ الخوف طمحت النّفس إلىٰ أهوائها، وملذاتها، وتجرأت،

---

(١) أُنظر، الدُّعاء الثّالث عشر، وغيره.

(٢) أُنظر، إقبال الأعمال: ٣٣٩، بحار الأنوار: ٢٢٧/٩٥، كلمات الإمام الحُسين: ٨٠٥.

(٣) فاطر: ٢٨.

(٤) أُنظر، زاد المعاد: ١٤٦، البلد الأمين: ٢٥١، جمال الأسبوع: ١٣٤، مستدرك الوسائل: ٢٥/١٠.

وأقدمت.

(لَا أَنْ يَكُونَ يَأْسُهُ قُنُوطاً...) يقول الإمام‏ﷺ: ما أردت بقولي: إنّ خوفي العذاب أقوىٰ من طمعي في الخلاص منه ـ القنوط من رَحْمَة ٱللَّه، كلا، وألف كلا، كيف؟: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[1]، وأيضاً ما أردت بالطمع ما يغري بمعصية ٱللَّه، وكلّ ٱلَّذِي قصدت من ذا وذاك أنْ سيئاتي أكثر من حسناتي، وأنّ لله الحجة عليَّ إنْ أدّب، وعذّب، ولا حجّة لِي علىٰ الإطلاق. وفي شتىٰ الإحوال، فإنّ رجائي من ٱللَّه لا ينقطع، وإنْ عصيته. كما أنّ خوفي من غضبه لا يزول، وإنْ أطعته. وتلقىٰ الإمام‏ﷺ هذا الدّرس عن أبيه الحُسين عن أخيه الحَسن عن أبيه أمير المُؤمِنِين عن سَيِّد الكونين ﷺ عن ٱللَّه تقدست أسماؤه.

فَأَمَّا أَنْتَ يَا إِلٰهِي فَأَهْلٌ أَنْ لاَ يَغْتَرَّ بِكَ الصِّدِّيقُونَ، وَلاَ يَيْأَسَ مِنْكَ الْمُجْرِمُونَ؛ لِأَنَّكَ ٱلرَّبُّ الْعَظِيمُ الَّذِيْ لاَ يَمْنَعُ أَحَداً فَضْلَهُ وَلاَ يَسْتَقْصِي مِنْ أَحَدٍ حَقَّهُ.

تَعَالىٰ ذِكْرُكَ عَنِ الْمَذْكُورِينَ، وَتَقَدَّستْ أَسْمَآؤُكَ عَنِ الْمَنْسُوبِينَ، وَفَشَتْ نِعْمَتُكَ فِيْ جَمِيْعِ الْمَخْلُوقِينَ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَىٰ ذٰلِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

(فَأَمَّا أَنْتَ يَا إِلٰهِي فَأَهْلٌ أَنْ لاَ يَغْتَرَّ بِكَ الصِّدِّيقُونَ): جمع صدّيق بتشديد الدّال، وهو ٱلَّذِي يفعل ما يقول، ولا يقول مالا يفعل، ولا يعرف الكذب بحال. وفي الحديث: «إنّ الرّجل ليصدق فيكتب عند ٱللَّه صديقاً... ومن صدق لسانه زكىٰ عمله»[2]. ومعنىٰ عدم ٱغترار الصّديقين بالله أنّهم يخافون من أناته، وإمهاله، ولا

---

(١) الحجر: ٥٦.

(٢) أُنظر، الكافي: ٢/١٠٥ ح ٨، مصادقة الإخوان للصدوق: ٧٦، شرح أُصول الكافي: ٨/٢٩٩،

يتهاونون بأيّ ذنب قائلين من غير فهم: ٱللَّه غَفُورٌ رَّحِيمٌ «يَوْم ٱللَّه يهون ٱللَّـه». وفي نهج البلاغة: «أشد الذُّنُوب ما ٱستهان به صاحبه»[1]. وقد تَقَدَّمَ[2].

(وَلاَ يَيْأَسَ مِنْكَ الْمجْرِمُونَ؛ لِأَنَّكَ الرَّبُّ الْعَظِيمُ الَّذِيْ لاَ يَمْنَعُ أَحَـداً فَضْلَهُ...) ٱللَّه هو ٱلْكَرِيمِ، وٱلْكَرِيمِ يُقيل العثرة، وهو ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ، وٱلرَّحِيمِ يغيث كلّ ملهوف، وهو القوي المتين، والقوي يعين الضّعيف كائناً من كان، وهو الغني بالذات لايغيض فضله، ولا تنقص خزائنة، ومـن كـان عـلىٰ هـذا الْـجَلاَل، والإكـرام لا يستقصي، ولا يدقق. وقد تَقَدَّمَ[3]. (وَفَشَتْ نِعْمَتُكَ فِيْ جَمِيْعِ الْـمخْلُوقِينَ) حـتّىٰ الطُّغاة، والعُتاة، هذا في الدُّنْيا، أمّا في الآخرة فلكلّ نـفس مـا كسـبت، وهـم لا يظلمون[4].

وسائل الشّيعة: ٥١٤/٨، بحار الأنوار: ٦/٦٨، مسند أحمد: ٤٣٠/١، سنن الدّارمي: ٣٠٠/٢، صحيح مسلم: ٢٩/٨، مستدرك الحاكم: ١٢٧/١، السّنن الكبرىٰ: ١٩٦/١٠، المصنّف لابن أبي شيبة الكوفي: ١٢٣/٦.

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٨١/٤، الحكمة (٣٨٤)، شرح النّهج للبحراني: ٤٦٧/٥، شـرح النّـهج للمعتزلي: ٢٤٦/٢٠.

(٢) أُنظر، الدُّعاء العشرون.

(٣) أُنظر، هذا الدُّعاء في فقرة: ٱلْكَرِيمِ لا يُدقق.

(٤) ٱقتباساً من الآية ٢٨١ من سورة ٱلْبَقَرَة: ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

الدُّعاء الأربعون

دُعَاؤُهُ عِنْدَ ذِكْرِ الْمَوْتِ

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْفِنَا طُولَ الْأَمَلِ، وَقَصِّرْهُ عَنَّا بِصِدْقِ الْعَمَلِ... حَتَّىٰ لاَ نُؤَمِّلَ اسْتِتْمَامَ سَاعَةٍ بَعْدَ سَاعَةٍ، وَلاَ اسْتِيفَاءَ يَوْمٍ بَعْدَ يَوْمٍ، وَلاَ اتِّصَالَ نَفَسٍ بِنَفَسٍ، وَلاَ لُحُوقَ قَدَمٍ بِقَدَمٍ؛ وَسَلِّمْنَا مِنْ غُرُورِهِ، وَآمِنَّا مِنْ شُرُورِهِ.

الأمَل

(وَاكْفِنَا طُولَ الْأَمَلِ) لا حياة بلا عمل، ولا عمل بلا أمَل، وكلّ أمَل في نجاح العمل الصّالح فهو خير، وفضيلة. وهذا الأمَل هو المقصود بقول الرّسول الأعظم ﷺ: «الأمَل رَحْمَة، ولولاه ما أرضعت والدة ولدها، ولا غرس غارس شجرة»[1]. وفي الأمثال: «غرسوا فأكلنا، ونغرس فيأكلون»[2]. إنّ الحياة سلسلة،

(١) أُنظر، كنز العمال: ٣/٤٩١ ح ٧٥٦٠، تأريخ بغداد: ٢/٥٠، نزهة النّاظر وتنبيه الخاطر: ٢١.

(٢) أُنظر، مجمع الأمثال للميداني: ٢/٣٢٤، طبعة مصر.

حلقاتها الأجيال تماماً كالجسم الواحد بأعضائه المتماسكة... والأَمَل المذموم هو الَّذِي يلهي عن الْحَقّ، ويقود إِلىٰ الْبَاطِل، والغرور بالعاجل، والزّائل، وهذا الأَمَل هو المُراد من قوله تعالىٰ: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾(١)، وإياه عني الإمام ﷺ بدعائه: وَٱكْفِنَا طُـولَ الأَمَـلِ.

(وَقَصِّرْهُ عَنَّا بِصِدْقِ الْعَمَلِ) وكلّ عمل يستهدف غـاية إلهـية، وإنسـانية فـهو صدق، وخير (حَتَّىٰ لاَ نُؤَمِّلَ اسْتِتْمامَ سَاعَةٍ بَعْدَ سَاعَةٍ...) قضت الحكمة الإلهية أنْ يجهل ٱلإنسَان منتهىٰ أجله حتّىٰ إذا خرج من بيته لا يضمن العودة حياً، وإذا دخله لا يدري أيخرج منه واقفاً علىٰ قدمية، أو محمولاً علىٰ الأعواد، بل يتوقع في كلّ ثانية أنْ لا يبلغ الّتي بعدها، والسّر أنْ ينتهز فرص الْخَيْر، ويعمل لدُنياه، وآخرته معاً، ولا يسوف، ويفرط. وفي نهج البلاغة: «ثمرة التّفريط النّدامة، وثمرة الحـزم السّلامة»(٢). (وَسَلِّمْنَا مِنْ غُرُورِهِ، وَآمِنَّـا مِنْ شُـرُوْرِهِ) ضمير الغـائب يـعود إِلىٰ طول الأمَل، ومن شروره البخل، والْحِرص، والجبن، ونسيان الآخرة.

وَانْصِبِ المَوْتَ بَيْنَ أَيْدِينَا نَصْباً، وَلاَ تَجْعَلْ ذِكْرَنَا لَهُ غِبّاً.

وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ صَالِحِ الأَعْمَالِ... عَمَلاً نَسْتَبْطِئُ مَعَهُ الْمَصِيرَ إِلَيْكَ، وَنحْـرِصُ لَهُ عَلَىٰ وَشْكِ اللَّحَاقِ بِكَ، حَتَّىٰ يَكُـونَ الْـمَوْتُ مَأْنَسَـنَا الَّذِي نَأْنَسُ بِهِ، وَمَأْلَفَنَا الَّذِي نَشْتَاقُ إِلَيْهِ، وَحَامَّتَنَا الَّتِي نُحِبُّ الدُّنُوَّ مِنْهَا. فَإِذَا أَوْرَدْتَهُ عَلَيْنَا، وَأَنْزَلْتَهُ بِنَا... فَأَسْعِدْنَا بِهِ زَائِراً، وَآنِسْنَا بِهِ قَادِماً، وَلاَ تُشْقِنَا بِضِيافَتِهِ، وَلاَ تُخْزِنَا بِزِيارَتِهِ؛ وَاجْعَلْهُ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ

(١) الحجر: ٣.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ٤٣/٤، الحكمة (١٨١)، شرح النهج للبحراني: ٢٣٩/٥، شرح النهج للمعتزلي: ٤١٤/١٨، شرح النهج لعبده: ١٩٤/٣، عيون الحكم والمواعظ: ٢٠٨.

مَغْفِرَتِكَ، وَمِفْتَاحاً مِنْ مَفَاتِيحِ رَحْمَتِكَ.

أَمِتْنَا مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ، طائِعِينَ غَيْرَ مُسْتَكْرِهِينَ، تَائِبِينَ غَيْرَ عاصِينَ، وَلاٰ مُصِرِّينَ، يَا ضَامِنَ جَزَاءِ الْمُحْسِنِينَ، وَمُسْتَصْلِحَ عَمَلِ الْمُفْسِدِينَ.

(وَانْصِبِ المَوْتَ بَيْنَ أَيْدِينَا نَصْباً) لأنّ ذكره، وتصوره يحرك إلىٰ طَلَب الفضائل، وعمل الْخَيْرات، ويمنع من الرّذائل، والموبقات، وقال الإمام الصَّادِق: «ذكر الْمَوْت يميت الشّهوات، والأهواء، ويقطع منابت الغفلة، ويقوي القلب بمواعيد ٱللَّه، ويطفيء نار الْحِرص»[١]. (وَلاَ تَجْعَلْ ذِكْرَنَا لَهُ غِبّاً): قليلاً بل دائماً وفي كلّ حين (وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ صَالِحِ الأَعْمَالِ...) ما ننال به الكرامة، والسّعادة يَوْم نلقاك بحيث نتعجل الْمَوْت لنحظىٰ بالفوز العظيم، وكلّ محق يستبشر بالموت ليفوز بما عند ٱللَّه. وحين قال النّبيّ ﷺ لعليّ: «كيف صبرك إذا أتتك الشّهادة؟ قال: ليس هذا من مواطن الصَّبَر، ولكن من مواطن البشرىٰ، والشُّكْر»[٢]، ولذا قال عندما ضربه ابن ملجم: «فزتُ وربِّ الكعبة»[٣].

(وَنحْرِصُ لَهُ عَلَىٰ وَشْكِ اللَّحَاقِ بِكَ) أي اللّحَاق بأجره تعالىٰ، وثوابه،

---

(١) أُنظر، مستدرك الوسائل: ٢/١٠٥، مَكَارِم الأَخْلاَق: ٤٦٤، بحار الأنوار: ٦/١٣٣ ح ٣٢، مصباح الشّريعة: ١٧١.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ٢/٥٠، الخطبة (١٥٦)، المحتضر للحلي: ٤٠، أُسد الغابة: ٤/٣٤، نهج السّعادة: ١/٣٨٣، المعجم الكبير: ١١/٢٩٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٩/٢٠٥، كنز العمال: ١٨/١٩٤.

(٣) أُنظر، فضائل الصّحابة لأحمد: ٥٨، أنساب الأشراف: ٤٨٨، أُسد الغابة: ٤/٣٨، تأريخ مدينة دمشق: ٤٢/٥٦١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٩/٢٠٧، مسند أحمد بن حنبل: ٣/١٣٧.

والمعنىٰ اجْعَلْنا يا إلهي من أهْل الْحَقّ، والْخَيْر الّذين يحبون الْمَوْت، ويحرصون عَلَيْهِ للوصول إلىٰ أجرك، وثوابك بعد أنْ أعدوا له عدته. وفي نهج البلاغة: «أعدوا للموت عدته، فإنّه يأتي بأمر عظيم، وخطب جليل، بخير لا يكون معه شر أبداً، أو بشر لا يكون معه خير أبداً»[1]. ولكلّ أهْل (حَتَّىٰ يَكُونَ الْمَوْتُ مَأنَسَنَا الَّذِي نَأنَسُ بِهِ...) كلّ من ٱتقىٰ ٱللّه، وكان علىٰ بيّنة من أمره يأنس بالموت، ويألفه، ويستعجله، لأنّ ما عند ٱللّه خير، وأبقىٰ (وَحَامَّتَنَا): خاصتنا.

(فَإذَا أوْرَدْتَهُ عَلَيْنَا فَأسْعِدْنَا بِهِ...) أبداً لا خوف علىٰ الّذين ٱتقوا، وعملوا ٱلصَّالِحَات، ولا هم يحزنون عند الإحتضار، وبعد الْمَوْت، بنصّ الْقُرْآن ٱلْكَرِيم: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2] أمّا الّذين عملوا السّيّئات فلهم الويل، وأليم العذاب: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[3](وَاجْعَلْهُ بَاباً مِنْ أبْوَابِ مَغْفِرَتِكَ، وَمِفْتَاحاً...): طريقاً يؤدي إلىٰ رَحْمَة ٱللّه، وغفرانه، وجنته، ورضوانه.

وبعد، فقد جاء في الأخبار، والآثار أنّ ٱلإنسَان يستجمع مشاعره بالكامل قبل الْمَوْت بلحظة، ويتلهف علىٰ ما فات، ويود لو ٱستطاع أنْ يتدارك، ولكن جاء الأجَل الَّذِي لا يتقدم، ولا يتأخر، والعاقل يأخذ بالحزم، ويستعد قبل الحتف، ولا يغتر بجاه، ومال، وصحة، وشباب. وهو سبحانه المسؤول أنْ يشملنا بإفضاله بالنبيّ ﷺ وَآلِهِ ﷺ. عَلَيْهِمْ أزكىٰ، الصّلوات.

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٢٨/٣، ٱلْكِتَاب (٢٧)، نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦٢/١٥، تحف العقول: ١٧٨.

(٢) النّحل: ٣٢.

(٣) مُحمّد: ٢٧ ـ ٢٨.

الدُّعاء الحادي والأربعون

دُعَاؤُهُ فِي طَلَبِ السِّتْرِ وَالوِقايَةِ

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَفْرِشْنِي مِهَادَ كَرَامَتِكَ، وَأَوْرِدْنِي مَشَارِعَ رَحْمَتِكَ، وَأَحْلِلْنِي بُحْبُوحَةَ جَنَّتِكَ.

وَلاَ تَسُمْنِي بِالرَّدِّ عَنْكَ، وَلاَ تَحْرِمْنِي بِالْخَيْبَةِ مِنْكَ، وَلاَ تُقَاصَّنِي بِمَا اجْتَرَحْتُ، وَلاَ تُنَاقِشْنِي بِمَا اكْتَسَبْتُ، وَلاَ تُبْرِزْ مَكْتُومِي، وَلاَ تَكْشِفْ مَسْتُورِي.

وَلاَ تَحْمِلْ عَلَىٰ مِيزانِ الإِنْصَافِ عَمَلِي، وَلاَ تُعْلِنْ عَلَىٰ عُيُونِ الْمَلأِ خَبَرِي؛ أَخْفِ عَنْهُمْ مَا يَكُونُ نَشْرُهُ عَلَيَّ عَاراً، وَاطْوِ عَنْهُمْ مَا يُلْحِقُنِي عِنْدَكَ شَنَاراً.

شَرِّفْ دَرَجَتِي بِرِضْوَانِكَ، وَأَكْمِلْ كَرَامَتِي بِغُفْرَانِكَ، وَانْظِمْنِي فِي أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَوَجِّهْنِي فِي مَسَالِكِ الآمِنِينَ، وَاجْعَلْنِي فِي فَوْجِ الْفَائِزِينَ، وَاعْمُرْ بِي مَجَالِسَ الصَّالِحِينَ؛ آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

هذا الدُّعاء واضح لا يحتاج إلىٰ شرح، وتفسير، إضافة إلىٰ أنّ مضامينه، ومعانيه آمتداد، وتكرار لما سبق، ولذا نوجز، ولا نفرط في التّعبير، ولولا العادة المألوفة لكنّا في مندوحة عن الأسطر التّالية:

(وَأَفْرِشْنِي مِهَادَ كَرَامَتِكَ) المِهاد: بكسر الميم: الفراش، والمعنىٰ أبسط لِي فراش الكرامة عندك، وبكلمة أكرم لديك منزلتي (وَأَوْرِدْنِي مَشَارِعَ رَحْمَتِكَ) مشارع جمع مشرعة: موضع الشّرب، والمعنىٰ تفضل علينا بسلامتك، ورَحْمَتِك (وَأَحْلِلْنِي بُحْبُوحَةَ جَنَّتِكَ) أنزلني في ساحتها، ومنّ عليَّ بنعمتها (وَلاَ تَسُمْنِي): لا تذلني، وتهني (وَلاَ تُقَاصَّنِي بِمَا اجْتَرَحْتُ) لا تجزني بما آرتكبت من إثم (وَلاَ تُنَاقِشْنِي...) لا تحاسبني بالحقّ، والعدل، بل بالرحمة، والفضل (وَلاَ تُبْرِزْ مَكْتُومِي) لا تفضحني بسيئاتي (وَلاَ تَحْمِلْ عَلَىٰ مِيزانِ الإنْصَافِ...) هذا، وما بعده تكرار لما سبق؛ لأنّ معناه في جوهره عاملني برحمتك، وإحسانك لا بعدلك، وإنصافك.

(شَرِّفْ دَرَجَتِي بِرِضْوَانِكَ...) أكرم لديك منزلتي، وأبقني علىٰ كرامتي إفضالاً منك، وإحساناً (وَانْظِمْنِي فِي أَصْحَابِ الْيَمِينِ) اجْمَعْني بالمتقين، وجدّ عليَّ بما تجود به عَلَيْهِمْ (وَوَجِّهْنِي فِي مَسَالِكِ الآمِنِينَ...) والفائزين، وآلصَّالِحِينَ، وكلّ أُولاء من أصحاب اليمين. وفي دُعَاء آخر: «أللَّهُمَّ ألحقني بصالح من مضىٰ، واجْعَلْني من صالح من بقي، وخذ بِي سبيل آلصَّالِحِينَ»[1].

---

(١) أُنظر، مصباح المتهجد: ١٤٣ و ٢٧٣ و ٥٩٦، الكافي: ٥٨٦/٢، إقبال الأعمال: ١٧٣/١ بحار الأنوار: ١١٦/٨٣ و: ٩٢/٩٥.

الدُّعاء الثّاني والأربعون

دُعَاؤُهُ عِنْدَ خَتْمِهِ الْقُرْآنَ

أَللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعَنْتَنِي عَلَىٰ خَتْمِ كِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَهُ نُوراً، وَجَعَلْتَهُ مُهَيْمِناً عَلَىٰ كُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلْتَهُ، وَفَضَّلْتَهُ عَلَىٰ كُلِّ حَدِيثٍ قَصَصْتَهُ، وَفُرْقَاناً فَرَقْتَ بِهِ بَيْنَ حَلالِكَ، وَحَرَامِكَ، وَقُرْآناً أَعْرَبْتَ بِهِ عَنْ شَرَائِعِ أَحْكَامِكَ؛ وَكِتَاباً فَصَّلْتَهُ لِعِبَادِكَ تَفْصِيلاً، وَوَحْياً أَنْزَلْتَهُ عَلَىٰ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَنْزِيلاً.

وَجَعَلْتَهُ نُوراً نَهْتَدِي مِنْ ظُلَمِ الضَّلالَةِ، وَالْجَهَالَةِ بِاتِّبَاعِهِ، وَشِفَاءً لِمَنْ أَنْصَتَ بِفَهْمِ التَّصْدِيقِ إِلَىٰ اسْتِمَاعِهِ، وَمِيزَانَ قِسْطٍ لاَ يَحِيفُ عَنِ الْحَقِّ لِسَانُهُ، وَنُورَ هُدىً لاَ يُطْفَأُ عَنِ الشَّاهِدِينَ بُرْهَانُهُ، وَعَلَمَ نَجَاةٍ لاَ يَضِلُّ مَنْ أَمَّ قَصْدَ سُنَّتِهِ وَلاَ تَنَالُ أَيْدِي الْهَلَكَاتِ مَنْ تَعَلَّقَ بِعُرْوَةِ عِصْمَتِهِ.

الإسْلاَم دين العقل

(أَللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعَنْتَنِي عَلَىٰ خَتْمِ كِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَهُ نُوراً) يدعو إلىٰ الوحدة

الإنسانية جمعاء. بلا حدود من ٱلأرض، ولا قيود من الجنسيات، والطّبقات، واللّغات، ولا تباين، وتعدد في الدّين، والمذهب، بل ولا في الأُمّة، والدولة، فالناس كلّهم سواء كأسنان المُشط، ربهم واحد، وأبوهم واحد، وهو من تراب، وٱلإنسَان الأكرم، والأعظم من ترك لأخيه ٱلإنسَان شيئاً جديداً، ومفيداً. وهذا هو بالذات دين العقل، والفطرة، والحياة ٱلَّذِي به يستدل علىٰ كلّ فكرة، ومبدأ، ولا يستدل عَلَيْهِ بغيره، لأنّه من المعطيات الأولية ٱلّتي إليها تنتهي الأدلة النّظرية، ومن أرتاب في أنّ الإسْلاَم هو دين العقل، والفطرة، أحلناه إلىٰ ٱلقُرآن وهو بين يديه، ويدي كلّ طالب وراغب[1].

(وَجَعَلْتَهُ مُهَيْمِناً عَلَىٰ كُلِّ كِتَابٍ) ٱقتباس من قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[2] أي رقيباً يشهد بصحة الصّحيح، وتحريف المحرف (وَفَضَّلْتَهُ عَلَىٰ كُلِّ حَدِيثٍ قَصَصْتَهُ) ٱقتباس من: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ﴾[3] لأنّ ٱلقُرآن ٱلكَرِيم هو ٱلكِتَاب الوحيد ٱلَّذِي وضع مخططاً لحياة النّاس في كلّ عصرٍ، ومصر يخلصها من الجهل، والفساد، والعبودية، والإستبداد.

شخصية مُحمّد

قرأتُ في مجلة العربي الكويتية[4] نقلاً عن سيرة النّبي لشبلي نعماني: «ٱلّذين

---

(١) أُنظر، الدُّعاء الرّابع عشر، فقرة: الإسْلاَم دين الجهاد، وفقرة: لا هدف من الدّين إلا ٱلإنسَان في الدُّعاء العشرين، وفقرة: كَفّ الأذىٰ في الدُّعاء التّاسع والثّلاثين.

(٢) المائدة: ٤٨.

(٣) يوسف: ٣.

(٤) أُنظر، العدد ٢٣٢ في الصّفحة: ٢٣.

ظهروا قبل ٱلرَّسُول مُحمّدﷺ بعامة كانوا نماذج لفضائل معينة ـ وعلىٰ سبيل المثال ـ مدرسة المسيح كانت للتحمل، والصَّبر، والسّلام، والتّسامح، والتّواضع، ولا مكان فيها للصفات الرّفيعة اللازمة للإدارة، والحكم، بينما لا مجال فيما جاء عن نوح، وموسىٰ للتسامح العام. ومن أجل ذٰلِكَ دعت الحاجة إلىٰ قائد جديد في كلّ مرحلة من مراحل الإنسانية. هذا القائد يستطيع أنْ يرفع سيفه، وأنْ يعيش معتكفاً أيضاً، قائد يستطيع أنْ يمارس حياة الحاكم، والفاتح، والتّالي لأسماء ٱللّٰه الحسنىٰ، يستطيع أنْ يعيش حياة ٱلْفَقْر بالرضا، وحياة الغنىٰ بالقلب ٱلْكَرِيمِ، هذا ٱلرَّسُول الكامل بين الخالق، والكون، هَٰذِهِ الشّخصية المحيطة هي شخصية مُحمّد»[1].

(وَفُرْقاناً فَرَقْتَ بِهِ بَيْنَ حَلالِكَ، وَحَرَامِكَ) ٱقتباس من هَٰذِهِ الآية: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[2]. وسمي الْقُرْآن فرقاناً لفصله بين الْحَقّ، والْبَاطِل (وَقُرْآناً أَعْرَبْتَ بِهِ عَنْ شَرَائِعِ أَحْكَامِكَ) الإسْلاَم عقيدةً، وشريعةً، وأصل الأصول في عقيدته ٱلتَّوْحِيد، والأصل، والأساس في شريعته العدل، والمصلحة، وعليهما تبتني أحكام ٱللّٰه تحليلاً، وتحريماً، فحيث يكون العدل، والمصلحة يكون الحلال، وحيث يكون الظُّلم، والمفسدة يكون النّهي، والحرام (وَكِتَاباً فَصَّلْتَهُ لِعِبَادِكَ تَفْصِيلاً) قال سبحانه: ﴿الٓر كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[3]. وقلت في التّفسير الكاشف حول هَٰذِهِ الآية: «المعنىٰ أنّ الْقُرْآن ٱلْكَرِيمِ واضح المعاني، مُحكم النّظم، لا نقص فيه، ولا خلل، لأنّه ممن يقدر الأُمور، ويدبرها علىٰ أساس العلم، والحكمة»[4]. قال بعض العارفين: إنّ لله

(١) أُنظر، الدُّعاء الثّاني، فقرة: طبيعة الدّعوة، وشخصية الدّاعي.

(٢) الفرقان: ١.

(٣) هود: ١.

(٤) أُنظر، تفسير الكاشف: ٢/ ٢١٤، للمؤلف.

كتابين: واحدد تكويني وهو هذا الكون، والآخر تدويني وهو الْقُرْآن، وكلّ منهما مُحكم من جميع جهاته علىٰ أتم الوجوه، وأكملها»[١].

ليس اَللّه بأصم

(وَجَعَلْتَهُ نُوراً نَهْتَدِي مِنْ ظُلَمِ الضَّلَالَةِ، وَالْجَهَالَةِ بِاتِّبَاعِهِ) بالعمل بموجبه لا بمجرد التّغني به، والصّياح بكلماته من مكبرات الصّوت علىٰ المآذن، وفي المحافل... وسمع رجل من أهْل اَللّه، والعلم به من يجهر بقراءته فقال له: «إنْ كنت تريد اَللّه فاخفض صوتك، فإنّ اَللّه ليس بأصم، وإنْ كنت تريد النّاس؛ فإنّهم لم يغنوا عنك شيئاً»[٢]. وفي أُصول الكافي: قال رَسُول اَللّهﷺ: «سيجيء بعدي أقوام يرجعون الْقُرْآن ترجيع الغناء، والنّوح، والرّهبانية، لا يجوز تراقيهم، قلوبهم مقلوبة، وقلوب من يعجبهم شأنهم»[٣]. وفي أحياء العلوم عن النّبي ﷺ: «أنْتَ تقرأ الْقُرْآن ما نهاك، فإذا لم ينهك فلست تقرأه»[٤]. أكثر منافقي هَذِهِ الأُمّة قراؤها. وعن الإمام عليّ ﷺ: «ألا لا خير في عِبَادَة لا فقه فيها، ألا لا خير في قراءة ليس فيها

---

(١) لم أعثر علىٰ قائله.

(٢) مأخوذ من قولهﷺ: (إنّ ربكم ليس بأصم، ولا غائب، وهو بين رحالكم، وفي رواية: رواحلكم)، أُنظر، سنن التّرمذي: ٥/١٧٢، تحفة الأحوذي: ٩/٣٠١، السّنن الكبرىٰ: ٦/٩٧، صحيح ابن خزيمة: ٤/١٤٩.

(٣) أُنظر، الجامع لأحكام الْقُرْآن: ١/٧١، شرح مشكاة المصابيح: ٢/٦١٨، الإتقان: ١/١٠١، مجمع البيان: ١/١٦، وسائل الشّيعة: ٦/٢١٠ ح ١، التّغني بالقرآن لبيب السّعيد: ٤٢، الموطأ: ١/ح ١٠.

(٤) أُنظر، إحياء علوم الدّين: ٢/١٠٥، مجمع الزّوائد: ١/١٨٤، كنز العمال: ١/٦٠٦ ح ٢٧٧٦، تهذيب التّهذيب: ٩/٣٧٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠/٢٣ تحت عنوان شرح المختار (١٧٧).

تدبر»[1].

(وَشِفَـآءً لِمَنْ أَنْصَتَ بِفَهْمِ التَّصْدِيقِ إِلَىٰ اسْتِمَاعِهِ) الْقُرْآن دواء، وشفاء من داء الكفر، والنّفاق، والجهل، والفساد، والضّلال، والأحقاد، ومن كلّ رذيلة بشرط الإصغاء له، والإتعاظ به كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2]... ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[3] «إِنَّمَا» للحصر[4]، وبها تدل هَٰذِهِ الآية أنّ من ذُكّر بالله، وآياته فتجنبها دون أنْ يخشىٰ فهو تماماً كالذي عناه تعالىٰ بقوله: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾[5].

ميزان الآخرة

(وَمِيزَانَ قِسْطٍ لاَ يَحِيفُ عَنِ الْحَقِّ لِسَانُهُ...) القِسْط: العدل، ولا يحيف: لا يميل عن الْحَقّ، والمعنىٰ بالقرآن تقاس جميع العقائد، والآراء، والأقوال، والأفعال. ومن جملة ما قاله الملا صدرا في الأسفار: «ميزان الآخرة هو الْقُرْآن الَّذِي أنزله المعلم الأوّل، وهو ٱللّه، علىٰ المعلم الثّالث، وهو ٱلرَّسُول ﷺ بواسطة المعلم الثّاني، وهو جبْرِيلُ. فبأحكام الْقُرْآن يقاس علم ٱلإنسَان، وعقله، وجميع أقواله، وأفعاله،

(١) أنظر، الكافي: ١/٣٦ح ٣، شرح أصول الكافي: ٢/٦٩، إرشاد الأذهان: ١/١٧، المعالم: ٢١.
(٢) الأعراف: ٢٠٤.
(٣) الأنفال: ٢.
(٤) أُنظر، المعتبر: ١/٨١، منتهىٰ المطلب: ٣/١٧٤، المجموع: ١/٣١١، البحر الرّائق لابن نجيم: ١/٥٠.
(٥) الأعلىٰ: ١٠ـ١٢.

وتعرف حسناته من سيئاته»[١].

أَللَّهُمَّ فَإذْ أَفَدْتَنَا الْمعُونَةَ عَلَىٰ تِلاَوَتِهِ، وَسَهَّلْتَ جَوَاسِيَ أَلْسِنَتِنَا بِحُسْنِ عِبَارَتِهِ، فَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَرْعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ، وَيَدِينُ لَكَ بِاعْتِقَادِ التَّسْلِيمِ لِمُحْكَمِ آياتِهِ، وَيَفْزَعُ إلَىٰ الإِقْرَارِ بِمُتَشَابِهِهِ، وَمُوضَحَاتِ بَيِّنَاتِهِ.

أَللَّهُمَّ إنَّكَ أَنْزَلْتَهُ عَلَىٰ نَبِيِّكَ مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُجْمَلاً، وَأَلْهَمْتَهُ عِلْمَ عَجَائِبِهِ مُكَمَّلاً، وَوَرَّثْتَنَا عِلْمَهُ مُفَسَّراً، وَفَضَّلْتَنَا عَلَىٰ مَنْ جَهِلَ عِلْمَهُ، وَقَوَّيْتَنَا عَلَيْهِ لِتَرْفَعَنَا فَوْقَ مَنْ لَمْ يُطِقْ حَمْلَهُ.

(أَللَّهُمَّ فَإذْ أَفَدْتَنَا الْمعُونَةَ عَلَىٰ تِلاَوَتِهِ، وَسَهَّلْتَ جَوَاسِيَ أَلْسِنَتِنَا بِحُسْنِ عِبَارَتِهِ) جَواسي ألسنتنا: حركات ألسنتنا، والعبارة:

البيان، والمعنىٰ أعنت يا إلهي، وسهلت السّبيل لأنْ نتلو كتابك بالكامل، فأتمم إنعامك هذا بالهداية إلىٰ تدبيره، ورعايته، والعمل بموجبه، وإلا فمجرد التّلاوة لا تحقق الهدف المطلوب.

مَن يُجيب عن كلّ سُؤال فهو مجنون؟

(التَّسْلِيمِ لِمُحْكَمِ آياتِهِ، وَيَفْزَعُ إلَىٰ الإِقْرَارِ بِمُتَشَابِهِهِ) المُحكم: الواضح الَّذي يمكن العلم بالمراد من ظاهره مثل لا إله إلا اللّـه، والمتشابه[٢]: المُبهم الَّذي لا يكمن العلم بالمراد حيث لا ظاهر له مثل «آلـمّ»[٣]. ويفزع: يلجأ، والمعنىٰ وفق

(١) أُنظر، الأسفار: ٢/٢٥٤، طبعة القاهرة.

(٢) أُنظر، المحكم والمتشابه للسيد المرتضىٰ علم الهدىٰ (ت ٤٣٦ هـ).

(٣) ألْبَقَرَة: ١.

عبادك الْمُؤْمِنِين إلىٰ التمييز بين الظَّاهِر، والمُبهم من آيات القُرْآن كيلا يقتحموا الشّبهات، ويتعسفوا في التّأويل[(١)]. قال الإمام أمير الْمُؤْمِنِين ﷺ: « أنّ الرّاسخين في العلم هُم الّذين أغناهم عن اقتحام السّدد المضروبة دون الغيوب الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب»[(٢)]، وما أكثر ما نجهل... وقال ﷺ: «إنّ ٱللَّه افترض عليكم الفرائض فلا تضيعوها، وحدّ لكم حدوداً فلا تعتدوها، ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها، وسكت لكم عن أشياء، ولم يدعها نسياناً فلا تتكلفوها»[(٣)].

وقال الإمام الصّادِق ﷺ: «إنّ مَن أجاب عن كلّ ما يسأل عنه فهو المجنون»[(٤)].

(أَللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْزَلْتَهُ عَلَىٰ نَبِيِّكَ مُحَمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ مُجْمَلاً، وَأَلْهَمْتَهُ عِلْمَ عَجَائِبِهِ مُكَمَّلاً) في القُرْآن آيات، منها كاملات بينات أشار إليها الإمام ﷺ بقوله «مُكَمَّلاً» أي كاملة البيان يعرف النّبي ﷺ المُراد منها دون الرّجوع إلىٰ ٱللَّه سبحانه في تفسيرها كآية تحريم الزّواج بالأقارب[(٥)]، وآية تحريم الميتة، والدّم،

(١) أُنظر، الأنتصار: ١٦، حلية ٱلْعُلَمَاء: ٢٣٨/١، الاستذكار لابن عبد البر: ١١/٢، روضة الطّالبين: ١٣٣/٢.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ١٦٢/١، الخطبة (٩١)، شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ٤٠٣/٦، تفسير الميزان: ٦٩/٣، تأريخ بغداد: ٧٧/١٣، تأريخ مدينة دمشق: ٣٣٨/٦٠، الكافي: ٣٩٤/٨.

(٣) أُنظر، نهج البلاغة: ٢٤/٤، الحكمة (١٠٥)، شرح النّهج للمعتزلي :٢٦٧/١٨، شرح النّهج للبحراني :٢٩٤/٥.

(٤) أُنظر، وسائل الشّيعة: ١٦٥/٢٧، معاني الأخبار: ٢٣٨/٢.

(٥) النّساء: ٢٣.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ الَّـٰتِى أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ الرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ الَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ الَّـٰتِى دَخَلْتُم
←

والخنزير[١]... وبعض آيات الْقُرْآن، رموز، وإشارات لا يعرف النّبي ﷺ معانيها بالتفصيل إلا ببيان ثانٍ من اللَّه تعالىٰ، وأشار إليها الإمام بقوله «مُجْمَلاً» مثل ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٢] فإنّ اللَّه عزّ وجلّ بيّن لنبيه الْكَرِيمِ كيفية الصَّلاَة، ومقدار الزّكاة بوحي ثانٍ، وهو ما يعبر عنه بالسُّنة النّبوية. أمّا غرائب الْقُرْآن الْكَرِيمِ، وعجائبه الّتي أشار إليها الإمامﷺ فتشمل، وتعم كلّ ما فيه، لأنّه معجزة المعاجز من ألفهِ إلىٰ يائهِ.

(وَوَرَّثْتَنَا عِلْمَهُ مُفَسَّراً) كلّ علوم الْقُرْآن الْكَرِيمِ، والرَّسُول العظيم هي عند الأئمة الأطهار من أَهْلِ بَيْتِهِ بنصّ الحديث المتواتر المعروف بحديث الثّقلين حيث جعلهم عدلاً للقرآن الّذين فيه تبيان كلّ شيء، وقد جاء هذا الحديث في أربعين كتاباً، أو أكثر من كُتُب السُّنة، وقد تتبعها الشّيخ قوام الدّين الوشنوي، وسجل أسماءها مع النّص في رسالة خاصة بعنوان «حديث الثّقلين»[٣].

(وَفَضَّلْتَنَا عَلَىٰ مَنْ جَهِلَ عِلْمَهُ) كلّ أَهْل السّماء، والأَرْض يفضلون العلم علىٰ

= بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

(١) المائدة: ٣.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

(٢) البقرة: ١١٠.

(٣) سبقت الإشارة إلىٰ ذٰلِكَ في شرح الدُّعاء الرّابع والعشرين.

الجهل بالطبع، والفطرة، وهل من أحد يوازن بينهما؟ أَللَّـهُمَّ إلا مَـن يـتخبط فـي ظُلمات الحقد، والتّعصب الموروث (وَقَوِّيْتَنَا عَلَيْهِ) أي علىٰ فهمِهِ، والعلم بأسراره، وأهدافه تماماً كما هو في علم ٱللَّه، ورَسُول ٱللَّه، وأيضاً قوّاهم سبحانه علىٰ العمل بجميع أحكامه، وآدابه (لِتَرْفَعَنَا فَوْقَ مَنْ لَمْ يُطِقْ حَـمْلَهُ) يشـير بـهذا إلىٰ الّـذين يمتطون الدّين إلىٰ الدُّنْيا، وما أكثرهم في كلّ عصر، بخاصة في العـصر الرّاهـن، والسّر التّضخم الهائل في أمْوَال النّفط. وفي رواية عن الإمام الصَّادِق عليه السلام: «إنَّ في جَهَنّم (خمساً) أفلا تسألون ما طحنها؟ فقيل له: فما طحنها؟ قال: العُلماء الفجرة، والقُراء الفسقة، والجبابرة الظّلمة، والوزراء الخونة، والعُرفاء الكذبة»[1].

أَللَّهُمَّ فَكَمَا جَعَلْتَ قُلُوبَنَا لَـهُ حَـمَلَةً، وَعَـرَّفْتَنَا بِـرَحْمَتِكَ شَـرَفَهُ، وَفَضْلَهُ، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ الْخَطِيْبِ بِهِ، وَعَلَى آلِهِ الْخُزَّانِ لَهُ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَعْتَرِفُ بِأَنَّـهُ مِنْ عِنْدِكَ حَتَّىٰ لاَ يُعَارِضَنَا الشَّكُّ فِي تَصْدِيقِهِ، وَلاَ يَخْتَلِجَنَا الزَّيْغُ عَنْ قَصْدِ طَرِيقِهِ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِـهِ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَعْتَصِمُ بِحَبْلِهِ، وَيَـأْوِي مِنَ الْمُتَشَـابِهَاتِ إِلَىٰ حِـرْزِ مَعْقِلِهِ، وَيَسْكُـنُ فِـي ظِـلِّ جَـنَاحِهِ، وَيَـهْتَدِي بِـضَوْءِ صَـاحِبِهِ، وَيَـقْتَدِي بِـتَبَلُّجِ إِسْـفَارِهِ، وَيَسْـتَصْبِحُ بِمِصْبَاحِهِ، وَلاَ يَلْتَمِسُ ٱلْهُدَىٰ فِي غَيْرِهِ.

(أَللَّهُمَّ فَكَمَا جَعَلْتَ قُلُوبَنَا ...) أوعية لكتابك، وخزنة لعلمك (فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ الْخَطِيْبِ بِهِ ...): البشير النّذير بالقرآن (وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَعْتَرِفُ بِأَنَّـهُ مِنْ عِنْدِكَ ...)

---

(١) أُنظر، الخصال: ٢٩٦، ثواب الأعمال: ٢٥٣، روضة الواعظين: ٥٠٧، مستدرك الوسـائل: ٢٥١/٤.

وقد تسأل: إنّ قول الإمام عليه السلام أوّلاً: «جَعَلْتَ قُلُوبَنَا لَهُ حَمَلَةً» معناه الاعْتِرَاف بأنّ القُرْآن من عند ٱللّٰه، فكيف قال بعده: «اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِكَ»؟ أليس هذا تحصيلاً للحاصل تماماً كقول القائل: اجْعَلْ الماء ماءً؟

الجواب: المُراد بالإعتراف الثّاني البقاء، والإستمرار علىٰ الإيْمَان، والْيَقِين به كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾[1] أي بقي وأستمر علىٰ إيمانه، وتوبته حيث لا توبة بلا إيمان.

(وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَعْتَصِمُ بِحَبْلِهِ): من المُهتدين بنوره (وَيَأْوِي مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ...) إذا عرضت له معضلة، ومشكلة بحث عن حلّها في نصوص القُرْآن فإنْ آهتدىٰ إلىٰ الحل فذاك، وإلا فأحجم، وفوض الأمر إليه تعالىٰ (وَلاَ يَلْتَمِسُ ٱلْهُدَىٰ فِي غَيْرِهِ) قال ٱلرّسُول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «من آبتغىٰ الهدىٰ في غير القُرْآن أضله ٱللّٰه»[2]. ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[3].

أللَّهُمَّ وَكَمَا نَصَبْتَ بِهِ مُحَمَّداً عَلَماً لِلدَّلاَلَةِ عَلَيْكَ، وَأَنْهَجْتَ بِآلِهِ سُبُلَ الرِّضَا إِلَيْكَ... فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلِ الْقُرْآنَ وَسِيلَةً لَنَا إِلَىٰ أَشْرَفِ مَنَازِلِ الْكَرَامَةِ، وَسُلَّماً نَعْرُجُ فِيهِ إِلَىٰ مَحَلِّ السَّلاَمَةِ، وَسَبَباً نُجْزَىٰ بِهِ النَّجاةَ فِي عَرْصَةِ الْقِيَامَةِ، وَذَرِيعَةً نُقْدِمُ بِهَا عَلَىٰ نَعِيمِ دَارِ الْمُقَامَةِ.

---

(١) طه: ٨٢.

(٢) أُنظر، إعجاز القُرْآن لمحمد إسماعيل إبراهيم: ٣٢، مستدرك سفينة البحار: ٣٠٤/٨ و: ٥٠١/١٠ قريب منه، ومناقب أمير المُؤْمِنين للكوفي: ٣٠/٢، شرح الأخبار: ٣١٠/٢.

(٣) الرّعْد: ٣٣.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاحْطُطْ بِالْقُرْآنِ عَنَّا ثِقْلَ الْأَوْزَارِ، وَهَبْ لَنَا حُسْنَ شَمَائِلِ الْأَبْرَارِ، وَاقْفُ بِنَا آثَارَ الَّذِينَ قَامُوا لَكَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَأَطْرَافَ النَّهَارِ، حَتَّىٰ تُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ دَنَسٍ بِتَطْهِيرِهِ، وَتَقْفُوَ بِنَا آثَارَ الَّذِينَ اسْتَضَاءُوا بِنُورِهِ، وَلَمْ يُلْهِهِمُ الْأَمَلُ عَنِ الْعَمَلِ فَيَقْطَعَهُمْ بِخُدَعِ غُرُورِهِ.

(أَللَّهُمَّ وَكَمَا نَصَبْتَ بِهِ مُحَمَّداً عَلَماً لِلدَّلاَلَةِ عَلَيْكَ) الضّمير في «بِهِ» الْقُرْآن ونصبت أقمت، وأرسلت، والمعنىٰ أرسل سبحانه مُحمّداً إلىٰ عِبَادِهِ، وعياله برسالة ترشد الْخَلْق إلىٰ الْحَقّ، وتُكرم كلّ إنسان، وتصونه من العنف، والجور، والجهل، والْفَقْر، وتوفر له حياة فاضلةً، وكريمةً (وَأَنْهَجْتَ بِآلِهِ سُبُلَ الرِّضَا إِلَيْكَ) أَنْهَجْتَ: أوضحت، والمعنىٰ أنّ الأئمة من العترة الطّاهرة أمتداد لجدهم ٱلرَّسُول ﷺ في هداية الْخَلْق إلىٰ الْحَقّ، والسّبيل إلىٰ رضوانه تعالىٰ، وجنانه (وَاجْعَلِ الْقُرْآنَ وَسِيلَةً لَنَا إِلَىٰ أَشْرَفِ مَنَازِلِ الْكَرَامَةِ...) وفقنا إلىٰ العمل بالقرآن لنحظىٰ لديك بالسلامة، والكرامة، وهذا من الإمام عليه السلام أصدق شاهد علىٰ أنّ أَهْل ٱلْبَيْت عليهم السلام لا يتوسلون إلىٰ ٱللَّه سبحانه بالأنساب، ولا يدعون التّفوق علىٰ النّاس، لأنّهم شعب ٱللَّه المختار، كيف؟ وهم يروون عن جدهم ﷺ: «كلكم لآدم، وءَادَمَ من تراب»[1]، ويقرأون قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَـٰكُمْ﴾[2] وفي أُصول الكافي عن الإمام الباقر عليه السلام: «واللَّه ما معنا من ٱللَّه براءة، ولا بيننا وَبَيْنَ ٱللَّه قرابة، ولا لنا علىٰ ٱللَّه حجّة، ولا نتقرب إليه إلا بالطاعة»[3]. وبالعلم، والعمل أصبحوا خلفاء ٱللَّه في

---

(١) أُنظر، شرح النّهج للمعتزلي: ٣٨١/١٧، سنن البيهقي: ١١٨/٩، سبل الهدىٰ والرّشاد: ٢٤٢/٥.

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) أُنظر، الكافي: ٧٥/٢ ح ٦، شرح أُصول الكافي: ٢٤١/٨، وسائل الشّيعة: ٢٣٤/١٥، أمالي

أرضه، وحجته علىٰ عِبَادِهِ.

(أَللَّهُمَّ أَحْطُطْ بِالْقُرْآنِ عَنَّا ثِقْلَ الأَوْزَارِ) أهدنا إلىٰ العمل بالقرآن، وأحكامه هدايةً تطهرنا من الذُّنُوبِ الماضية، وتعصمنا من الذُّنُوبِ الآتية (وَهَبْ لَنَا حُسْنَ شَمَائِلِ الأَبْرَارِ...) ألحقنا بعبادك ٱلصَّالِحِينَ ٱلّذين يقيمون الصَّلاَة طرفي النّهار، وآناء من اللّيل (حَتَّىٰ تُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ دَنَسٍ بِتَطْهِيرِهِ) الدّنس: الذّنب، والمعنىٰ مدّنا يا إلهي بالعون، والتّوفيق إلىٰ العمل بالقرآن لتكون نفوسنا تقيةً نقيةً من كلّ ما يشينها، ويدنسها (وَتَقْفُوَ بِنَا آثَارَ...) اجْعَلْنا من التّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ للعاملين بالقرآن (وَلَمْ يُلْهِهِمُ الأَمَلُ عَنِ الْعَمَلِ...) لا تخدعهم حلاوة الدُّنْيا عن نعيم الآخرة، بل يعملون لهذهِ، وتلك لا باعتبار أنّهما مختلفتين منفصلتين، بل لأنّ العمل الصّالح النّافع هو الوسيلة إلىٰ خير الآخرة. وكررنا فيم سبق أنّ دنيا الحلال دعامة مجد، وعزّ للدين بشهادة سَيِّد المرسلين حيث قال: «الْمُؤْمِن القوي خيرٌ، وأحبّ إلىٰ ٱللّٰه من الْمُؤْمِن الضّعيف»[1]، «واليد العُليا خيرٌ من اليد السُّفلىٰ»[2].

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَٱجْعَلِ القُرْآنَ لنا فِي ظُلَمِ اللَّيالِي مُونِساً، وَمِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ، وَخَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ حَارِساً،

✤ الصّدوق: ٣٧١.

(١) أُنظر، شرح صحيح مسلم: ٢٢/٦، فتح الباري: ١٩٣/١٣، مسند الحميدي: ٤٧٤/٢، السّنن الكبرىٰ: ١٥٩/٦ ح ٨٠٤٥٧ و ٨٠٤٥٩، مسند أبي يعلىٰ: ١٢٤/١١، صحيح ابن حبان: ٢٩/١٣، فيض القدير شرح الجامع الصّغير: ١١٠/١، سبل السّلام من أدلة الأحكام لابن حجر العسقلاني: ٢٠٧/٤.

(٢) أُنظر، مجمع الزّوائد: ٩٨/٣ و: ١٣٩/٨، المصنّف لابن أبي شيبة للكوفي: ١٦٢/٨، المجموع: ٢٤٥/٦، مستدرك الوسائل: ١٦١/٧ و ٢٤٠، مسند الشّهاب: ٩٧ ح ٥٣٨، طبعة ١٣٦١هـ.

وَلأَقْدَامِنَا عَنْ نَقْلِهَا إِلَىٰ الْمَعَاصِيْ حَابِساً، وَلِأَلْسِنَتِنَا عَنِ الْخَوْضِ فِي الباطِلِ مِنْ غَيْرِ مَا آفَةٍ مُخْرِساً، وَلِجَوَارِحِنَا عَنِ اقْتِرَافِ الآثامِ زَاجِراً، وَلِمَا طَوَتِ الغَفْلَةُ عَنَّا مِنْ تَصَفُّحِ الاعْتِبَارِ نَاشِراً، حَتَّىٰ تُوصِلَ إِلَىٰ قُلُوبِنَا فَهْمَ عَجَائِبِهِ، وَزَوَاجِرَ أَمْثَالِهِ الَّتِي ضَعُفَتِ الْجِبَالُ الرَّوَاسِي عَلَىٰ صَلاَبَتِهَا عَنِ احْتِمَالِهِ.

حديث اللّيْل

(واْجْعَلِ القُرْآنَ لنا فِي ظُلَمِ اللَّيالِي مُونِساً) لحديث اللّيْل متعةٌ، ونكهةٌ. وهناك كُتُب في اللّغة الآجنبية، تحمل إسم حديث اللّيْل. قرأت عنها، وما قرأتها لأنّ ثقافتي عربية بحت، وإذا حرمت من لغة الإجانب فإنّي قرأت العديد من المترجمات عن لغات شتىٰ، وفي مواضيع مختلفة... وإذا كان حديث اللّيْل مع الحبيب فهناك الفردوس، والنّشوة، وحديث الْقُرْآن في كلّ آنٍ أحبّ الأحاديث لدىٰ الّذين يحبون في ٱللّه، ومن أجله يكرهون، فكيف إذا كان حديث الْقُرْآن في غسق اللّيْل، وسكونه؟.

(وَمِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ...): أحابيله، وأباطيله، قال سبحانه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1] وفي أُصول الكافي عن أمير الْمُؤْمِنِين ﷺ: «ٱلْبَيْت الَّذِي يقرأ فيه الْقُرْآن، ويذكر ٱللّه عزّ وجلّ فيه تكثر بركته، وتحضره المَلائِكَة، وتهجره الشّياطين»[2] وعن الإمام الصَّادِق ﷺ: «إنّه ليعجبني أنْ

---

(١) الأعراف: ٢٠٠.

(٢) أُنظر، الكافي: ٢/٦١٠، شرح أُصول الكافي: ١١/٣٧، وسائل الشّيعة: ٦/١٩٩، تحفة

يكون في ٱلْبَيْت مُصحف يطرد ٱللَّه عزّ وجلّ به الشّياطين»[1]. (وَلأَقْدَامِنَا عَنْ نَقْلِهَا إِلَىٰ الْمَعَاصِيْ خَابِساً) قال سبحانه: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[2]. وفي الحديث: «من مشىٰ علىٰ ٱلأَرْض ٱختيالاً لعنته ٱلأَرْض من تحته، والسَّماء من فوقه»[3]. فكيف بمن سعىٰ في ٱلأَرْض الفساد؟.

(وَلِمَا طَوَتِ الغَفْلَةُ عَنَّا مِنْ تَصَفُّحِ الاعْتِبَارِ نَاشِراً) طوىٰ الحديث: كتمه، وتصفح الشّيء: نظره بتأمل، وإمعان، والمعنىٰ اجْعَلْ الْقُرْآن لنا عاصماً من سِنة الغفلة كي ننظر إِلىٰ الدُّنْيَا، وزينتها بأعين تُبصر، وتعتبر، وفي الحديث: «الْقُرْآن هدىٰ من الضّلالة، وتبيان من العمىٰ، وٱستقالة من العثرة، ونور من الظّلمة، وضياء من الأحداث، وعصمة من الهلكة، ورشد من الغواية، وبيان من الْفِتَن، وبلاغ من الدُّنْيَا إِلىٰ الآخرة، فيه كمال دينكم، وما عدلَ أحدٌ عن الْقُرْآن إلا إِلىٰ ٱلنَّار»[4].

الْقُرْآن، والزّمان

(حَتَّىٰ تُوصِلَ إِلَىٰ قُلُوبِنَا فَـهْمَ عَجَائِبِهِ) وروىٰ صاحب الكافي أنّ الإمام السّجاد صاحب هذا الدُّعاء قال: «آيات الْقُرْآن خزائن، فكلّما فتحت خزانة

⇐ الأحوذي: ٢/٤٣٦، المصنّف للصنعاني: ٣/٣٦٩و: ٧/١٦٦، المعجم الكبير: ٩/١٢٩، الجامع الصّغير: ١/٤٩٦.

(١) أُنظر، الكافي: ٢/٦١٣، ثواب الأعمال: ١٠٣، شرح أُصول الكافي: ١١/٤٣، الوسائل: ٦/٢٠٦.

(٢) النّور: ٢٤.

(٣) أُنظر، مستدرك الوسائل: ٨/٢٣٨ و: ١٢/٣١، مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ: ١١٠.

(٤) أُنظر، الكافي: ٢/٦٠٠، شرح أُصول الكافي: ١١/١٦، المزار: ٥٧٧، بحار الأنوار: ٨٩/٢٦.

ينبغي لك أنْ تنظر ما فيها»[١]. قال الإمام ﷺ هذا منذ (١٣) قرناً، أو تزيد، ومعناه أنّ مضامين الْقُرْآن تزداد وضوحاً بالإمعان، والتّدبر، وبالفهم، والعلم، وهذا ما حدث بالفعل حيث كشف العلم الحديث عن حقائق، وأسرار، لها أُصول، وجذور في الْقُرْآن ٱلْكَرِيمِ، وفيما قرأت: «أنّ القرون القادمة ستوضح معاني كلمات ٱللّٰه للبشر أكثر فأكثر».

(وَزَوَاجِرَ أَمْثَالِهِ) في الْقُرْآن أمثال ضربها ٱللَّه سبحانه، تزجر عن الموبقات، والمحرمات، وفي نهج البلاغة: «فالقرآن آمر زاجر»[٢]، أي يأمر بالخير، والصّلاح، ويزجر عن الشّرّ، والفساد (ضَعُفَتِ الْجِبَالُ الرَّوَاسِي عَلَىٰ صَلاَبَتِهَا عَنِ احْتِمَالِهِ) ٱلإنسَان هو الَّذِي يتحمل المسؤولية عن التّكليف، لأنّ ٱللَّه سبحانه منحه العقل، والحرية، والإرادة، والقُدرة علىٰ التّنفيذ، ولا شيء من ذٰلِكَ في الْجِبَال كي تكلف، وتُحاسب، وتُسال، وعَلَيْهِ يكون ضعف الْجِبَال هنا كناية عن عدم تكليفها من الأساس، وأنّ المسؤول عن التّكليف، وأمانة ٱللَّه سبحانه هو ٱلإنسَان، ويجب أنْ يحرص كلّ الْحِرص علىٰ الطّاعة، والتّنفيذ[٣].

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَدِمْ بِالْقُرْآنِ صَلاَحَ ظَاهِرِنَا، وَاحْجُبْ بِهِ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ عَنْ صِحَّةِ ضَمَائِرِنَا، وَاغْسِلْ بِهِ دَرَنَ قُلُوبِنَا، وَعَلاَئِقَ أَوْزَارِنَا، وَاجْمَعْ بِهِ مُنْتَشَرَ أُمُورِنَا، وَأَرْوِ بِهِ فِي مَوْقِفِ

(١) أُنظر، الكافي: ٢/٦٠٩، وسائل الشّيعة: ٦/١٩٨.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ٢/١١١، الخطبة (١٨٣)، شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ١٠/١١٥، نهج السّعادة: ٨/٤٠٩، بحار الأنوار: ٨٩/٢٠، مستدرك سفينة البحار: ٣/١٠٢.

(٣) أُنظر ما قاله المؤلف في التّفسير المبين حول الآية ٧٢ من الأحزاب: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.

الْعَرْضِ عَلَيْكَ ظَمَأَ هَوَاجِرِنَا، وَاكْسُنَا بِهِ حُلَلَ الأَمَانِ يَوْمَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ فِي نشُورِنَا.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْبُرْ بِالْقُرْآنِ خَلَّتَنَا مِنْ عَدَمِ الإمْلاَقِ، وَسُقْ إِلَيْنَا بِهِ رَغَدَ الْعَيْشِ، وَخِصْبَ سَعَةِ الأَرْزَاقِ، وَجَنِّبْنَا بِهِ الضَّرَائِبَ الْمَذْمُومَةَ، وَمَدَانِيَ الأَخْلاَقِ.

(وَأَدِمْ بِالْقُرانِ صَلاَحَ ظاهِرِنا، وَاحْجُبْ بِهِ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ...) اجْعَلْنا بالقرآن من الّذين أستقاموا علىٰ الطّريق المثلىٰ في المظهر، والمخبر، وتَقَدَّمَ بالمحتوىٰ، والمضمون هو، وكلّ، أو جلّ البقية الباقية من هذا الدُّعاء، ولا جدوىٰ من طول الشّرح، أجل قد نقف هنيهة حول بعض الكلمات، إنْ يك في الوقوف شيء من الفائدة.

خطرات الوساوس

الوساوس: جمع وسواس، وهو حديث النّفس الّذِي يمر بالفكر من حين إلىٰ حين، ولا مفر منه لكبير، أو صغير[1]، ولكن العاقل يمضي في سبيلة كأنْ لم يكن شيء، أمّا ٱلإنسَان الخرافي فيندفع وراءه، ويبني الدّور، والقصور في الْهَوَآء من زبد الماء، وهَٰذِهِ هي الرّعونة بالذات، ومثله تماماً من يفقد الصَّبَر، ويهيج لأتفه الأسباب... إنّ التّميز بين الوهم، والواقع هو الحجر الأساس لبناء شخصية قوية تواجه الأحداث، والمشكلات بأعصاب باردة راكدة، وتعالجها بالحكمة، وتنجو منها بسلام.

(وَٱغْسِلْ بِهِ دَرَنَ قُلُوبِنَا، وَعَلاَئِقَ أَوْزَارِنَا) درن القلوب: اللّؤم، والحقد، وما

---

(١) أُنظر، تاج العروس: ٤/٢٧١.

أشبه، والعلائق: الصّلات، والعلاقات، والأوزار: الذُّنوب، والمعنىٰ طهرنا بالقرآن من المعاصي، والرّذائل، وكلّ ما يتصل بها من قريب، أو بعيد (وَاجْمَعْ بِهِ مُنْتَشَرَ أُمُورِنَا) انتشار الأُمور: تمزق الطّاقات، والقوىٰ، والمعنىٰ اجمع شملنا، ووحّد قوانا (وَأَرْوِ بِهِ فِي مَوْقِفِ الْعَرْضِ عَلَيْكَ ظَمَأَ هَوَاجِرِنَا) أَرْوِ: اسق، وموقف العرض: الوقوف بين يدي اللّٰه لنقاش الحساب، والظّمأ: العطش، والهواجر: جمع الهاجرة بمعنىٰ شدة الحر (وَاكْسُنَا بِهِ حُلَلَ...) أعذنا من عذاب السّعير يَوْم الْقِيَامَة، وقد تَقَدَّمَ[1].

(وَاجْبُرْ بِالْقُرْآنِ خَلَّتَنَا مِنْ عَدَمِ الإِمْلَاقِ) خَلتنا بفتح الخاء: حاجتنا، والإملاق: الْفَقْر، و «مِنْ» بيانية، والمعنىٰ أنّ الحاجة الّتي نطلبها منك يا اللّٰه هي عدم الْفَقْر، وتَقَدَّمَ مرات، ومرات (وَسُقْ إِلَيْنَا بِهِ رَغَدَ الْعَيْشِ) الرّغد: السّعة، والعطف للتكرار، ومثله ما بعده (الضَّرَائِبَ): جمع ضريبة، وهي الطّبيعة، والسّجية (وَمَدَانِيَ الأَخْلَاقِ) أسافلها، ورذائلها.

وَاعْصِمْنَا بِهِ مِنْ هُوَّةِ الكُفْرِ، وَدَوَاعِي النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَكُوْنَ لَنَا فِي الْقِيَامَةِ إِلَىٰ رِضْوَانِكَ، وَجِنَانِكَ قَائِداً، وَلَنَا فِي الدُّنْيا عَنْ سَخَطِكَ، وَتَعَدِّي حُدُودِكَ ذَائِداً، وَلِمَا عِنْدَكَ بِتَحْلِيلِ حَلَالِهِ، وَتَحْرِيم حَرَامِهِ شَاهِداً.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَهَوِّنْ بِالْقُرْآنِ عِنْدَ الْمَوْتِ عَلَىٰ أَنْفُسِنَا كَرْبَ السِّيَاقِ، وَجَهْدَ الأَنِينِ، وَتَرَادُفَ الْحَشَارِجِ إِذَا بَلَغَتِ النُّفُوسُ التَّرَاقِيَ، وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ؟ وَتَجَلَّىٰ مَلَكُ الْمَوْتِ لِقَبْضِهَا مِنْ حُجُبِ

(١) انظر، الدّعاء الخامس والعشرون، وغيره.

الْغُيُوبِ، وَرَمَاهَا عَنْ قَوْسِ الْمَنَايَا بِأَسْهُمِ وَحْشَةِ الْفِرَاقِ، وَدَافَ لَهَا مِنْ ذُعَافِ الْمَوْتِ كَأْساً مَسْمُومَةَ الْمَذَاقِ، وَدَنا مِنَّا إِلَىٰ الآخِرَةِ رَحِيلٌ، وَانْطِلاَقٌ، وَصَارَتِ الأَعْمَالُ قَلاَئِـدَ فِي الأَعْنَاقِ، وَكَانَتِ الْقُبُورُ هِيَ الْمَأوَىٰ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمِ التَّلاَقِ.

(وَاَعْصِمْنَا بِهِ مِنْ هُوَّةِ الكُفْرِ، وَدَوَاعِـي النِّفَاقِ...) الهُوّة: الحُفرة، والدّواعي: البواعث، وكلّ من يعمل بكتاب ٱللّٰه فهو في حصنٍ، حصين. وقد تَقَدَّمَ[1]. وأيضاً في هذا الدُّعاء بحفظ الحبس عن المعاصي، والخواض بالباطل (وَلِمَا عِنْدَكَ بِتَحْلِيلِ حَلاَلِهِ، وَتَحْرِيم حَرَامِهِ شَاهِداً) في الحديث: «إنّ الْقُرآن يشهد بالخير لمن عمل به، وبالشر علىٰ من حرف، وخالف»[2] (كَرْبَ السِّيَاقِ) الكـرب: الشِّـدَّة، والمشـقة، والسّياق: نزع الرّوح من البدن (وَتَرادُفَ الْحَشَارِجِ): جمع حشرجة بمعنىٰ تـردد النّفس عند الْمَوْت (التَّرَاقِيَ): جمع ترقوة، وهي عَظْمَة في أعلىٰ الصّدر بين العاتق، وثغرة النّحر، قال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾[3]، أي هل مـن راق يرقيه، أو طبيب يداويه (وَدَافَ) يقال: داف الدّواء بالماء إذا خلطه به (ذُعَافِ الْمَوْتِ) أي سمه القاتل لساعته (رَحِيلٌ وَانْطِلاَقٌ) رحيل مـن فـضاء ٱلأرض إلىٰ زنزانة مظلمة، طولها ست أقدام بعرض قدمين ونصف (وَصَارَتِ الأَعْمَالُ قَلاَئِـدَ فِي الأَعْنَاقِ) ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[4]. وقد تَقَدَّمَ[5].

---

(١) اُنظر، الدُّعاء الخامس والعشرون، وغيره.

(٢) اُنظر، عوالي اللئالي: ١/٦٥، قريب منه.

(٣) الْقِيَامَة: ٢٦ ـ ٢٧.

(٤) الطّور: ٢١.

(٥) اُنظر، الدُّعاء الأربعون.

وبعد، فلا أحد أجهل، وأشقىٰ ممن يعيش كما يحلو له بلا حدود، وقيود، ولا يرىٰ إلا قضاء وطره، غير مكترث بعاقبةٍ، ومآل! ولو لم يكن من شيء إلا الْمَوْت الَّذِي يعم الخلائق بالكامل ـ لكفىٰ به واعضاً، ومخوّفاً. والخوف يبعث العاقل علىٰ التحفظ، والاحتراز.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي حُلُولِ دَارِ البِلَىٰ، وَطُولِ الْمُقَامَـةِ بَيْنَ أَطْبَـاقِ الثَّـرىٰ؛ وَاجْعَلِ القُبُورَ بَعْدَ فِرَاقِ الدُّنْـيَا خَـيْرَ مَنَازِلِنَا، وَافْسَحْ لَنَا بِرَحْمَتِكَ فِي ضِيقِ مَـلاَحِدِنَا، وَلاَ تَـفْضَحْنَا فِـي حَاضِرِي الْقِيَامَةِ بِمُوبِقَاتِ آثامِنَا.

وَارْحَمْ بِالْقُرْانِ فِيْ مَوْقِفِ الْعَرْضِ عَلَيْكَ ذُلَّ مَقَامِنَا، وَثَبِّتْ بِهِ عِنْدَ اضْطِرَابِ جِسْرِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْمَجَازِ عَلَيْهَـا زَلَلَ أَقْدَامِنَا، وَنَوِّرْ بِهِ قَبْلَ الْبَعْثِ سُدَفَ قُبُورنا؛ وَنَجِّنَا بِهِ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَشَـدَائِـدِ أَهْوَالِ يَوْمِ الطَّامَّةِ، وَبَيِّضْ وُجُوهَنَا يَوْمَ تَسْوَدُّ وُجُوهُ الظَّلَمَةِ فِي يَوْمِ الْحَسْرَةِ، وَالنَّدَامَةِ، وَاجْعَلْ لَنَا فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ وُدّاً، وَلاَ تَجْعَلِ الْحَيَاةَ عَلَيْنَا نَكَداً.

(وَبَارِكْ لَنَا فِي حُلُولِ دَارِ البِلَىٰ) وهي الرّنزانة الّتي أشرنا إليـها قـبل لحـظة، والمُراد بالبركة الإحـساس بالكرامة لا بالمهانة الّتي يحسها، ويعاني منها السّـجناء في دار الحياة. وفي الآية: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾[1]، حيث يثيب، ويكرم سبحانه الّذين يُنزلهم في داره، وجواره بالخيرات، والمسرات (وَطُولِ الْمُقَامَـةِ بَيْنَ أَطْبَـاقِ الثَّـرىٰ) أطباق: جـمع طـبق أي الغـطاء، والثرىٰ:

(١) المؤمنون: ٢٩.

التّراب، والمعنىٰ نُدفن بعد الْمَوْت في حفرة تنقطع في ظلمتها آثارنا، وتغيب أخبارنا، ومن فوقنا يعلو التّراب المتراكم، ونبقىٰ في هذا الظّلام الأبهم إلىٰ قيام السّاعة. وقد تَقَدَّمَ[١].

(وَاجْعَلِ القُبُورَ...) في الحديث: «القبر روضة من رياض الجنّة، أو حُفرة من حُفر ٱلنَّار»[٢]. ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[٣]. أبداً لا خوف علىٰ البريء السّليم من الآثام، وإنْ كان تحت الثّرىٰ، وإنّما الخوف كلّ الخوف علىٰ من خان، وأعتدىٰ، وإنْ تحصن بالألوف، والسّيوف (وَلاَ تَفْضَحْنَا فِي حَاضِرِي الْقِيَامَةِ بِمُوبِقَاتِ آثَامِنَا) كلّ النّاس يحضرون، ويشهدون الْقِيَامَة، وموبقات الآثام: الذُّنُوب المهلكة، وفي دُعَاء آخر: «نعوذ بك أَللَّهُمَّ من الذُّنُوبِ الّتي تُنزل الْبَلاء، ... وتقطع الرّجاء...، وتورث الشّقاء»[٤]. وقد تَقَدَّمَ[٥] (وَٱرْحَمْ بِالْقُرْآنِ فِيْ مَوْقِفِ الْعَرْضِ ...) بين يديك لنقاش الحساب من ٱستسلم لعزتك، وٱفتقر إلىٰ جودك، وفضلك. وقد تَقَدَّمَ قبل قليل (وَثَبِّتْ بِهِ عِنْدَ اضْطِرَابِ جِسْرِ جَهَنَّمَ...) أي ثبتنا علىٰ صراط الْقُرْآن الَّذِي من ٱستقام عَلَيْهِ فإلىٰ الجنّة، ومن زلّ، ومال عنه فإلىٰ ٱلنَّار.

(أَهْوَالِ يَوْمِ الطَّامَّةِ): الدّاهية، والمُراد بها هنا الْقِيَامَة، قال سبحانه: ﴿فَإِذَا

---

(١) أنظر، الدُّعاء الثّالث.

(٢) أُنظر، سنن التّرمذي: ٤/٥٥، الجامع الصّغير: ١/٢٤٢، كنز العمال: ١٥/٥٤٦ ح ٤٢١٩، إثبات الهداة: ٤/ ٥٤٤ ح ١٨٨، الذّكرىٰ للشهيد الأوّل: ٧٧، عوالي اللئالي: ١/١٤٥، الخرائج والجرائح: ١/١٧٢ ح ٢.

(٣) الأَنْعَام: ١٣٢.

(٤) أُنظر، إقبال الأعمال: ١/٣٤٤، مصباح المتهجد: ٥٧٢، بحار الأنوار: ٩٥/١٣٧.

(٥) أُنظر، الدُّعاء الثّلاثون، وغيره.

جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا سَعَىٰ﴾[١]، وقالوا: ما من طامة إلا وفوقها طامة، والقِيَامَة فوق كلّ طامة (وَبَيِّضْ وُجُوهَنَا يَوْمَ تَسْوَدُّ وُجُوهُ الظَّلَمَةِ) بياض الوجه هنا كناية عن الفرح بالنعيم، وسواده عن الحزن الأليم بالجحيم، أمّا ٱلظَّالِمُونَ فلهم ألوان من التّنيكل، والعذاب الأليم.

مودة آلِ ٱلرَّسُول

(وَاجْعَلْ لَنَا ـ نحن أَهْل ٱلْبَيْت ـ فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ وُدّاً) في الجزء الأوّل من كِتَاب فضائل الخمسة من الصّحاح السّتة للفيروز آبادي أنّ الآية: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[٢] نزلت في قربىٰ ٱلرَّسُول ﷺ[٣].

---

(١) النّازعات: ٣٤ ـ ٣٥.

(٢) الشّورىٰ: ٢٣.

(٣) أقول: آختلفت الأقوال، وتضاربت الآراء في تأويل معنىٰ القُربة في هَٰذِهِ الآية الكريمة.

وعند مراجعتنا للمصادر التّأريخية، والحديثية، والتّفسيرية نرىٰ أنّ الآراء قد أجمعت بأنّ المُراد من القربة هُم أَهْل الكساء المطهّرون: عليّ، وفاطمة، والحسنان. كما جاء في تفسير الكشّاف للزمخشري: ٤/ ٢١٩ ـ ٢٢٠ طبعة منشورات البلاغة قم، وفتح القدير للشوكاني: ٤ / ٥٣٤. وأورد حديثاً في سبب النّزول أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس قال: لمّا نزلت ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قالوا: يا رَسُول ٱللَّه مَن هؤلاء الّذين أمرنا ٱللَّه بمودّتهم؟ قال: عليّ، و فاطمة، وولدها. وفي رواية أُخرىٰ ولاوولدهم». وقيل: قال: عليّ، وفاطمة، و الحَسن، والحُسين.

وقد أجمع الجمهور علىٰ ذَٰلِكَ ماعدا ابن كثير في تفسيره: ٤/ ١١٢ فقد أسقط ذكر الإمام عليّ ﷺ لأنّه نقل الحديث عن ابن أبي حاتم، ولكن عند المراجعة تبيّن أنّ ابن أبي حاتم لم يسقط الاسم بل ثبت آسم عليّ ﷺ في تفسيره للآية ناقلاً الحديث عن سعيد بْن جبير عن ابن عباس.

⇔

وأيضاً في كِتَاب الفيروز آبادي أنّ الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾(١) نزلت في آلِ ٱلرَّسُول ﷺ(٢).

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ، وَرَسُولِكَ كَمَا بَلَّغَ رِسَالَتَكَ، وَصَدَعَ بِأَمْرِكَ، وَنَصَحَ لِعِبَادِكَ.

أَللَّهُمَّ اجْعَلْ نَبِيَّنَا صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَقْرَبَ النَّبِيِّينَ

↩ أُنظر، فرائد السّمطين للجويني: ١/ ٢٠، و: ٢/ ١٣/ ٣٥٩، شواهد التّنزيل للحاكم الحسكاني: ٢/ ١٣٠ ح ٨٢٢ ـ ٨٢٨ و ٨٣٠ ـ ٨٣٤ و ٨٣٨، غاية المرام: ٣٠٦، فضائل الخمسة: ١/ ٢٥٠ و ٢٥٩ و ٢٦٢ عن الصّواعق، وعن كنز العمّال: ١/ ٢٠٨، حلية الأولياء: ٢٠١/٣، المناقب: ٢٩ ح ٦٢ و ٦٩ أو في حديث ٨٢٤ من الشّواهد للحاكم قال ﷺ: عليّ، وفاطمة، وولدها. يردّدها. الطّبري في كتابه الولاية كما رواه عنه القاضي النّعمان المصري ح ٧٣. ورواه الطّبراني المعجم الكبير (ترجمة الإمام الحَسن ؑ): ١/ ١٢٥ تحت الرقم ٢٦٤١، و: ٣/ ١٣٩ الطّبعة الأُولىٰ، مجمع الزّوائد: ٧/ ١٠٣ و ٩/ ١٤٦ و ١٦٨، كفاية الطّالب للحافظ الكنجي: ٩٠ و ٩١ و ٩٣ و ٣١٣ و ٣١٧ طبعة الحيدرية وفي هامشه عن الكشّاف: ٢/ ٣٣٩، ذخائر العقبىٰ: ٢٥، نور الأبصار: ١٠١، الصّواعق المحرقة: ١٠١ و ١٣٥ و ١٣٦ طبعة الميمنية بمصر، و ص ١٦٨ و ٢٢٥ طبعة المحمدية، القول الفصل لابن طاهر الحدّاد: ١/ ٤٧٤ و ٤٨٠ و ٤٨٢ طبعة جاوا، ردّاً علىٰ من قال إنّ هٰذِهِ الآية منسوخة، وإنّها نزلت بمكّة.

(١) مريم: ٩٦.

(٢) أُنظر، فضائل الخمسة: ٣٢٣/١، تذكرة الخواص: ١٠، الصّواعق المحرقة: ١٠٢، رشفة الصّادي: ٢٥، نور الأبصار: ١١٢، المواهب اللدنية: ١٤/٧، الرياض النّضرة: ٢٠٧/٢، كفاية الطّالب: ١٢١، مناقب الخوارزمي: ١٨٨، مجمع الزّوائد: ١٢٥/٩، مناقب أمير الْمُؤْمِنِين، سليمان الكوفي: ١/ ١٩٤، شرح الأخبار: ١/ ١٥٨، مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٢٨٩، تفسير القرطبي: ١١/ ١٦١، تفسير فرات: ٢٤٩، الدّر المنثور للسيوطي: ٤٨٧/٤، الفضائل لابن شاذان: ١٢٤.

مِنْكَ مَجْلِساً، وَأَمْكَنَهُمْ مِنْكَ شَفَاعَةً، وَأَجَلَّهُمْ عِنْدَكَ قَدْراً، وَأَوْجَهَهُمْ عِنْدَكَ جَاهاً.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَشَرِّفْ بُنْيَانَهُ، وَعَظِّمْ بُرْهَانَهُ، وَثَقِّلْ مِيزَانَهُ، وَتَقَبَّلْ شَفَاعَتَهُ، وَقَرِّبْ وَسِيلَتَهُ، وَبَيِّضْ وَجْهَهُ، وَأَتِمَّ نُورَهُ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ، وَأَحْيِنَا عَلَىٰ سُنَّتِهِ، وَتَوَفَّنَا عَلَىٰ مِلَّتِهِ، وَخُذْ بِنَا مِنْهَاجَهُ، وَاسْلُكْ بِنَا سَبِيلَهُ، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ، وَأَوْرِدْنَا حَوْضَهُ، وَاسْقِنَا بِكَأْسِهِ.

أَللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ... صَلاةً تُبَلِّغُهُ بِهَا أَفْضَلَ مَا يَأْمُلُ مِنْ خَيْرِكَ، وَفَضْلِكَ، وَكَرَامَتِكَ، إِنَّكَ ذُوْ رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ، وَفَضْلٍ كَرِيمٍ.

أَللَّهُمَّ اجْزِهِ بِمَا بَلَّغَ مِنْ رِسَالاتِكَ، وَأَدَّىٰ مِنْ آيَاتِكَ، وَنَصَحَ لِعِبَادِكَ، وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِكَ أَفْضَلَ مَا جَزَيْتَ أَحَداً مِنْ مَلاَئِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَنْبِيَائِكَ الْمُرْسَلِينَ الْمُصْطَفَيْنَ. وَالسَّلاَمُ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

في أُصول الكافي عن رَسُول ٱللَّه ﷺ: «إجعلوني في أوّل الدُّعاء، وفي آخره، وفي وسطه»[1]، وأيضاً فيه عن الإمام الصّادِق؈: «من كانت له حاجة إلىٰ ٱللَّه عزّ وجلّ فليبدأ بالصلاة علىٰ مُحمّد وَآلِهِ، ثُمَّ يسأل حاجته، ثُمَّ يختم بالصلاة علىٰ مُحمّد وَآلِهِ. فإنّ ٱللَّه سبحانه أكرم من أنْ يقبل الطّرفين، ويدع الوسط»[2] ومثله في

---

(١) أُنظر، الكافي: ٢/٤٩٢، كشف القناع: ١/٤٤٣، شرح أُصول الكافي: ١٠/٢٦٨، المصنّف للصنماني: ٢/ ٢١٦، مَكَارِم الأَخْلَاق: ٢٧٤، تفسير ابن كثير: ٣/٥٢٢، الشّفا بتعريف حقوق المصطفىٰ: ٢/٦٥.

(٢) أُنظر، الكافي: ٢/٤٩٢، شرح أُصول الكافي: ١٠/٢٧٣، وسائل الشّيعة: ٧/٩٥، مَكَارِم

نهج البلاغة[1]. وكلّ صلاة علىٰ مُحمّد دون آلِهِ فهي بتراء لا وزن لها، ولا أثر. فقد روىٰ البخاري، ومسلم أنّ الصّحابة سألوا النّبيﷺ: «كيف نصلي عَلَيْكَ؟ فأجاب قولوا: أَللَّهُمَّ صلِّ علىٰ مُحمّد وعلىٰ آلِهِ مُحمّد[2]... ومن هنا تكررت الصّلوات عَلَيْهِ وعَلَيْهِمْ في أدعية أهْل الْعِصْمَة. والدُّعاء الثّاني من الصَّحِيفَة السَّجاديَّة يختص بالصلاة عَلَيْهِ وعلىٰ آلِهِ، كما سبق.

وأيضاً أشتهر عن النّبيﷺ:« لا يؤْمِنُ أحدُكمْ حتّىٰ أكونَ أحبَّ إليهِ مِنْ وَلَدِهِ ووالدِهِ والنّاسِ أجمعين»[3]، ذٰلِكَ بأنّ حبّ مُحمّدﷺ هو حبّ لله، وللإنسان،

⇐ الأخْلاَق: ١٩/٢.

(١) أُنظر، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ١٩٧/٦، تفسير القرطبي: ٢٣٥/١٤.

(٢) وقال ﷺ: لا تصلوا عليّ الصَّلاَة البتراء، قالوا: وما الصَّلاَة البتراء يا رَسُول ٱللّٰه؟ قال: تقولون: أَللَّهُمَّ صلِّ علىٰ محمدٍ، وتسكتون، بل قولوا: أَللَّهُمَّ صلِّ علىٰ محمدٍ وعلىٰ آلِ محمد. (أنظر، صحيح البخاري: ١٤٦/٤، صحيح مسلم: ١٦/٢، الصّواعق المحرقة لابن حجر: ١٣١، فتح القدير للشوكاني: ٤ / ٢٨٠ نقله عن صحيح مسلم، تفسير الخازن: ٥ / ٢٥٩).

(٣) أُنظر، مسند أحمد: ٢٠٧/٣ و ٢٧٥ و ٢٧٨، بحار الأنوار: ٨٨/٢٢ و: ٢/٦٥، مغني المحتاج لمحمد بْن الشّربيني: ٢٢٢/٤، صحيح مسلم: ٤٩/١، شرح صحيح مسلم: ١٥/٢، سنن ابن ماجه: ٢٦/١، كشف القناع للبهوتي: ٣٠/٥: الدّيباج علىٰ مسلم: ٦٠/١، منتخب مسند عبد بْن حميد: ٣٥٥، السّنن الكبرىٰ: ٥٣٤/٦ و: ٤٨١/٧ ح ١١٧٤٤ و ١١٧٤٦، مسند أبي يعلىٰ: ٣٧٨/٥ و: ٢٣/٦، صحيح ابن حبان: ٤٠٦/١، المعجم الأوسط: ٣٥٥/٨، مسند الشّاميين: ١٤/٤ ح ٢٥٩٣ و ص: ٩٢ ح ٣٣٣٨، كِتَاب الأربعون الصّغرىٰ للبيهقي: ٨٥، كنز العمال: ٣٧/١ ح ٧٠ و ٧١ و ص: ٤١ ح ٩١، و: ١٨٣/١٢ ح ٣٤٥٨١ و ٣٤٥٨٤، فيض القدير شرح الجامع الصّغير: ٥٧١/٦، الشّفا بتعريف حقوق المصطفىٰ للقاضي عياض: ١٨، سبل الهدىٰ والرّشاد: ٤٧٦/١٠ و: ٤٣٠/١١، سنن الدّارمي: ٣٠٧/٢، صحيح البخاري: ٩/١، كشف ⇐

وإيمان بنداء العقل، والحرية، والعدل، ولا أحد يبغض مُحمّداً إلا من كان علىٰ سُنَّة أبي جهل.

وبعد، فإنّ ما ختم به الإمام ﷺ هذا الدُّعاء من الصّلوات علىٰ جدّه ٱلرَّسُولﷺ هو تكرار لما جاء في الدُّعاء الثّاني، وغيره من أدعية الصَّحِيفَة، هذا إلىٰ أنّ المُراد من هَٰذِهِ الصّلوات علىٰ مُحمّد ﷺ واضح يفهمه الأُمي، والمتعلم علىٰ السّواء، ولمجرد اليمن، والتّبرك نشير إلىٰ بعض الكلمات.

(وَصَدَعَ بِأَمْرِكَ) بلّغه، وجهر به (وَنَصَحَ لِعِبَادِكَ) وتحمل الصّعاب في هَٰذِهِ السّبيل (أَللَّهُمَّ اجْعَلْ نَبِيَّنا صَلَوٰاتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَقْرَبَ النَّبِيِّينَ...) هذا بيان لمقام ٱلرَّسُول الأعظم عند ٱللَّه سبحانه، بأُسلوب الدُّعاء، والرّجاء، وأيضاً فيه إشارة إلىٰ أنّه ما من أحدٍ يستحق علىٰ ٱللَّه أجراً بالحتم حتّىٰ مُحمّد ﷺ إلا من باب الرَّحْمَة الّتي كتبها سبحانه علىٰ نفسه علماً بأنّ رَحْمَته لا يكتبها لأحدٍ إلا بموجب حكمته (وَشَرِّفْ بُنْيَانَهُ) أرفع شأنه فوق كلّ شأن. وفي نهج البلاغة: «أَللَّهُمَّ أعلِ علىٰ بناء البانين بناءه»[1] (وَعَظِّمْ بُرْهَانَهُ) بإظهاره علىٰ كلّ حجّة، ودليل (وَثَقِّلْ مِيزَانَهُ) بالحسنات (وَقَرِّبْ وَسِيلَتَهُ) قرّب منك منزلته، وحقق رغبته (وَأَحْيِنَا عَلَىٰ سُنَّتِهِ...) ثبتنا علىٰ الإسْلاَم، ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا (أَللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلاةً تُبَلِّغُهُ بِهَا...) ما يُحِبُّ، ويرضىٰ، وأيضاً صلِّ عَلَيْهِ، وعلىٰ آلِهِ بعد أنْ يرضىٰ صلاةً تنمو، وتعلو ببقائك، ودوامك.

⇐ الخفاء للعجلوني: ٣٤٤/٢ ح ٢٩٥٥، تفسير ابن كثير: ٣٥٦/٢. مع تقديم وتأخير في عبارة وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ.

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ١٢٢/١، الخطبة (٧٢)، شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ١٤٢/٦، المعيار والموازنة: ٢٧٣.

الدُّعاء الثَّالث والأربعون

دُعَاؤُهُ إذا نظرَ إلىٰ الهلال

أيُّهَا الخَلْقُ المُطِيعُ، الدَّائِبُ السَّرِيعُ، المُتَرَدِّدُ فِي مَنَازِلِ التَّقْدِيْرِ، المُتَصَرِّفُ فِي فَلَكِ التَّدْبِيرِ، آمَنْتُ بِمَنْ نَوَّرَ بِكَ الظُّلَمَ، وَأَوْضَحَ بِكَ البُهَمَ؛ وَجَعَلَكَ آيَةً مِنْ آياتِ مُلْكِهِ، وَعَلاَمَةً مِنْ عَلاَمَاتِ سُلْطَانِهِ، وَامْتَهَنَكَ بِالزِّيادَةِ، وَالنُّقْصَانِ، وَالطُّلُوعِ، وَالأُفُولِ، وَالإِنَارَةِ، وَالكُسُوفِ، فِي كُلِّ ذٰلِكَ أَنْتَ لَهُ مُطِيعٌ، وَإِلىٰ إِرَادَتِهِ سَرِيعٌ.

... سُبْحَانَهُ مَا أَعْجَبَ مَا دَبَّرَ فِي أَمْرِكَ! وَأَلْطَفَ مَا صَنَعَ فِي شَأْنِكَ! جَعَلَكَ مِفْتَاحَ شَهْرٍ لأَمْرٍ حادِثٍ.

(أيُّهَا الخَلْقُ المُطِيعُ، الدَّائِبُ السَّرِيعُ، المُتَرَدِّدُ فِي مَنَازِلِ...) الخَلْق: المخلُوق كاللفظ، والأكل بمعنىٰ الملفوظ، والمأكول، والدّائب: من جدّ في عملهِ، وواظب عَلَيْهِ. وَالْقَمَرَ مطيع لله تعالىٰ بمعنىٰ أنّه يتحرك في فلكهِ، ومداره تبعاً لقوانين أودعها سبحانه في الطّبيعة، ولو حاد عنها لاختل نظامه، أو نظام بأسره... هذا إلىٰ أنّه تعالىٰ خالق الأشياء كلّها، أوجد بعضها من لا شيء، وبعضها الآخر من

الشَّيء الَّذِي أوجده من لا شيء، أمّا المنازل فهي إشارة إلىٰ ما قاله علماء الفلك: إنّها (٢٨)، ينزل ٱلْقَمَرَ كلّ لَيْلَةٍ في واحد منها، ويستتر في ليلتين إذا كان الشّهر (٣٠) يوماً، وفي لَيْلَةٍ واحدة إذا كان (٢٩) يوماً. والمنازل ٱلْقَمَرِيَة تحدد أيام الشّهر ٱلْقَمَرِي[1]. أمّا ٱلشَّمْسَ فتحدد ساعات النّهَار.

وبالمناسبة نشير أنّ الفيلسوف اليوناني «انكساجوراس» أدْرَك بالفراسة، واللّفتة الواعية قبل الميلاد بخمسة قرون: أنّ ٱلْقَمَرَ مجرد جسم يشبه ٱلأَرْض، وفي القرن الثّالث قبل الميلاد قال: «بلوتارك»: في ٱلْقَمَرَ أودية، وتلال تماماً كالأرْض. وهذا ما ثبت بالحس بعد صعود ٱلإنسَان علىٰ ٱلْقَمَرَ[2].

(آمَنْتُ بِمَنْ نَوَّرَ بِكَ الظُّلَمَ) قيل: إنّ نور ٱلْقَمَرَ مستمد من ضياء ٱلشَّمْسَ[3]. وما نحن بتأويل الكواكب بعالمين[4] (وَأَوْضَحَ بِكَ الْبُهَمَ): المجهولات، والمشكلات، والعطف هنا للتكرار، والتّفسير (وَجَعَلَكَ آيَةً...) وفي كلّ شيء له آية تدل علىٰ أنّه واحد[5] (وَامْتَهَنَكَ بِالزِّيادَةِ وَالنُّقْصَانِ...) أمتهنك: أستخدمك،

(١) أُنظر، المطالع البدرية في المنازل ٱلْقَمَرِية لأبي بكر بْن عبدٱللّٰه بْن مُحمّد تقي الدّين الشافعي المعروف بابن البدري (ت ٨٩٤ هـ)، النّهاية: ١٢٢/٥، تفسير القرطبي: ٢٩١/١٥.

(٢) أُنظر، الاكتشافات العلمية من خلال الْقُرْآن والسُّنة النّبوية لإبراهيم مجذوب: ٢٤٥.

(٣) أُنظر، شرح أُصول الكافي: ٣٦٩/١١، الحديقة الهلالية للشيخ البهائي: ١٣٩، كشف القناع: ٣٦٨/١.

(٤) أقتباساً من الآية ٤٤ من سورة يوسف: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾.

(٥) نُسب هذا ٱلْبَيْت لأبي العتاهية كما جاء في ديوانه: ٦٢ طبعة دار الكتب العلمية، وسبل الهدىٰ والرّشاد: ٢٧/٣، البداية والنّهاية: ٣٧٥/١٢، تأريخ بغداد: ٢٥١/٦، تأريخ دمشق: ٤٥٣/١٣، تفسير القرطبي: ٣١٣/٤، تفسير ابن كثير: ٢٦/١ و ٦٢ و: ٤٥/٣، تفسير الثّعالبي:

وسيّرك، والأفول: الغياب، وٱلْقَمَرَ لا ينقص، ويزيد، ولا يغيب، ويؤوب، وإنّما جاء التّعبير بهذه الألفاظ بٱعتبار رؤية البصر لا البصيرة، وٱلظَّاهِر دون الواقع.

كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ

(مَا أَعْجَبَ مَا دَبَّرَ فِيْ أَمْرِكَ...) كلّ ما في الكون من الذّرة الصَّغيرَة إلىٰ المجرة الكبيرة، عجيب في صنعهِ، وتدبيره، ومحال أنْ يحدث صدفة من غير علم، وقصد وحكمة، ومن قال بالإتفاق، والصّدفة تاه في الظُّلمات، وٱنتقل من شكٍ إلىٰ شك، ومن هنا قال فولتير: «وجود ٱللَّه فرض ضروري، لأنّ الفكرة المضادة حماقات»[1].

(جَعَلَكَ مِفْتَاحَ شَهْرٍ حَادِثٍ) كلّ شَهْر، وكلّ يَوْم، وكلّ ساعة، وكلّ شيء في تغير دائم ـ سوىٰ الخالق ـ شئنا أم أبينا، هكذا قال العلم الحديث، ومن قبله بقرون قال ٱلْقُرآن ٱلْكَرِيمِ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[2] وضمير «هُوَ» يعود إلىٰ اليوم، والمُراد به هنا مطلق الوقت، وما يقع فيه. وفي أُصول الكافي عن الإمام الصَّادِق ﷺ: «إنّما العلم ما يحدث بالليل، والنّهار يوماً بيوم، وساعة بساعة»[3]. وقد تَقَدَّمَ[4].

◄ ١٤٩/٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤١٢/٦، المجازات النّبوية للشريف الرّضي: ٢٢١، شرح أُصول الكافي: ١٤٧/٣.

وفي كلّ شيء لهُ آيةٌ تدلُّ علىٰ أنّه واحـد

(١) أُنظر، البرهان علىٰ ضعف ٱلإنسَان للدكتور ميخائيل: ٣١٦، طبع بيروت.

(٢) ٱلرَّحْمَـٰنِ: ٢٩.

(٣) أُنظر، الكافي: ٢٢٥/١، شرح أُصول الكافي: ٣٠٥/٥، الوافي: ٥٥٤/٣، بحار الأنوار: ١١٧/٤٨.

(٤) أُنظر، الدُّعاء السّادس.

فَأَسْأَلُ اللهَ رَبِّي، وَرَبَّكَ، وَخَالِقِي، وَخَالِقَكَ، وَمُقَدِّرِي وَمُقَدِّرَكَ، وَمُصَوِّرِي، وَمُصَوِّرَكَ: أَنْ يُصَلِّي عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ هِلاَلَ بَرَكَةٍ لاَ تَمْحَقُهَا الأَيَّامُ، وَطَهَارَةٍ لاَ تُدَنِّسُهَا الآثامُ؛ هِلاَلَ أَمْنٍ مِنَ الآفاتِ، وَسَلاَمَةٍ مِنَ السَّيِّئَاتِ، هِلاَلَ سَعْدٍ لاَ نَحْسَ فِيْهِ، وَيُمْنٍ لاَ نَكَدَ مَعَهُ، وَيُسْرٍ لاَ يُمَازِجُهُ عُسْرٌ، وَخَيْرٍ لاَ يَشُوبُهُ شَرٌّ؛ هِلاَلَ أَمْنٍ، وَإِيمَانٍ، وَنِعْمَةٍ، وَإِحْسَانٍ، وَسَلاَمَةٍ، وَإِسْلاَمٍ.

(وَخَالِقِي، وَخَالِقَكَ، وَمُقَدِّرِي، وَمُقَدِّرَكَ، وَمُصَوِّرِي، وَمُصَوِّرَكَ) التقدير يسبق الْخَلْق، والتّصوير، لأنّه تخطيط، وتصميم قال سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾(١) أي عن قصدٍ، وتخطيطٍ، وعلمٍ، وإتقان لحكمة بالغة: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلاً سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾(٢)، والْخَلْق هنا يسبق التّصوير قال عزّ من قائل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ﴾(٣) و «ثُمَّ» للترتيب، أي خلق ءادمَ من تراب، وأولاده من نطفة، ثُمَّ صوّرهم، ومثّلهم علىٰ هيئة ٱلإنسَان الكامل بأعضائه، وشكله، كما قال تعالىٰ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾(٤).

(وَأَنْ يَجْعَلَكَ هِلاَلَ بَرَكَةٍ لاَ تَمْحَقُهَا الأَيَّامُ) محق الشّيء: أبطله، ومحاه، والْبَرَكَة: النّماء، والزّيادة... وخير الأوقات علىٰ الإطلاق ما تُمحىٰ فيه السّيّئات، وتُثبت الْحَسَنَات، وكلّ شيء ما عدا ذٰلِكَ فإلىٰ زوال، والزّائل ليس بشيء، وإنْ كان ملك سليمان (وَطَهَارَةٍ لاَ تُدَنِّسُهَا الآثامُ) ولا إثم كإثارة الحروب، والْفِتَن، والفساد

(١) الفرقان: ٢.
(٢) آل عمران: ١٩١.
(٣) الأعراف: ١١.
(٤) المؤمنون: ١٤.

في ٱلأرْض بالإعتداء علىٰ حقوق النّاس.

الأمان، والإيمَان

والكلمة الجامعة لخصال الْخَيْر بالكامل قوله: (هِلاَلَ أَمْنٍ، وَإِيمَانٍ) حيث لا طيب للعيش، ولا خير الحياة بلا أمنٍ، وأمان، وهل للصحة، والمال، والسّلطان من طعم مع الخوف، والهلع؟ بل الُمخف أحسن حالاً من المُثقل ألف مرة في يَوْم الشُّدَّة والمحنة... أمّا الإيمَان فأمان من سوء العذاب في الآخرة، وحاجز عن تقحم الفساد، وأذىٰ العباد في الحياة الدُّنْيَا، وما تقدمت الإنسانية خُطوة إلىٰ الأمام إلا بالجهاد، والإيْمَان، وما تأخرت، وتخلفت إلا بالخوف، وضعف العقيدة.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَرْضَىٰ مَنْ طَلَعَ عَلَيْهِ، وَأَزْكَىٰ مَنْ نَظَرَ إلَيْهِ، وَأَسْعَدَ مَنْ تَعَبَّدَ لَكَ فِيهِ، وَوَفِّقْنَا فِيهِ لِلتَّوْبَةِ، وَأَعْصِمْنَا فِيهِ مِنَ الْحَوْبَةِ، وَاحْفَظْنَا فِيهِ مِنْ مُبَاشَرَةِ مَعْصِيَتِكَ، وَأَوْزِعْنَا فِيهِ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَأَلْبِسْنَا فِيهِ جُنَنَ الْعَافِيَةِ، وَأَتْمِمْ عَلَيْنَا بِاسْتِكْمَالِ طَاعَتِكَ فِيهِ الْمِنَّةَ.

إِنَّكَ الْمَنَّانُ الْحَمِيدُ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.

(وَاجْعَلْنَا مِنْ أَرْضَىٰ مَنْ طَلَعَ عَلَيْهِ) وفقني فيه إلىٰ العمل بطاعتك، ومَرْضَاتِكَ (وَأَزْكَىٰ مَنْ نَظَرَ إلَيْهِ...) وفي دُعَاء آخر: «أَللَّهُمَّ إنّ النّاس إذا نظروا إلىٰ الهِلاَل نظر بعضهم إلىٰ وجوه بعض، ويتبرك بعضهم ببعض، وإنّي نظرت إلىٰ أسمائك ـ أي سبحت، وهللت، وكبرت ـ وأسماء نبيك، ووليك، وأَوْلِيَآئِكَ ـ أي صليت عَلَيْهِمْ وسلمت وإلىٰ كتابك»[1] قرأت بعض آياته (وَأَعْصِمْنَا فِيهِ مِنَ الْحَوْبَةِ): الْخَطِيئة

(١) أنظر، مَكَارِمِ الأخْلاَق للطبرسي: ٣٤٢، الدّروع الواقية لابن طاووس: ٣٧، بحار الأنوار:

(وَأَوْزِعْنَا) ألهمنا (جُنَنَ): جمع جُنة بضم الجيم بمعنىٰ السَّتْر، والوقـاية (الْـمِنَّةَ): النِّعمة، والإحسان، والمنَّان: المُنعم، والمحسن.

وبعد، فإنّ الهدف الأوّل من دُعَاء الهِلاَل أنْ لا تمضي علينا ساعة من ساعاته إلا بخير، وأنْ نغتنم الفرصة للتفكير عما اجترحنا من سيئات، ولا نزداد فيه خساراً، وإصراراً علىٰ المُوبقات.

•

⇔ ٢٤٥/٩٢.

الدّعاء الرّابع والأربعون

دُعَاؤُهُ لِدُخُولِ شَهْرِ رَمَضَانَ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِحَمْدِهِ، وَجَعَلَنَا مِنْ أَهْلِهِ، لِنَكُونَ لإحْسَانِهِ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلِيَجْزِيَنَا عَلَىٰ ذٰلِكَ جَزَآءَ الْمُحْسِنِينَ. وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي حَبَانَا بِدِينِهِ، وَاخْتَصَّنَا بِمِلَّتِهِ، وَسَبَّلَنَا فِي سُبُلِ إِحْسَانِهِ، لِنَسْلُكَهَا بِمَنِّهِ إِلَىٰ رِضْوَانِهِ... حَمْداً يَتَقَبَّلُهُ مِنَّا، وَيَرْضَىٰ بِهِ عَنَّا.

وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْ تِلْكَ السُّبُلِ شَهْرَهُ شَهْرَ رَمَضَانَ، شَهْرَ الصِّيَامِ، وَشَهْرَ الإسْلَامِ، وَشَهْرَ الطَّهُورِ، وَشَهْرَ التَّمْحِيصِ، وَشَهْرَ الْقِيَامِ، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾[1].

الإيمان

تكلم الْعُلَمَاء قديماً، وحديثاً حول الإيمَان، وأطالوا الخلاف، والكلام فيما

(١) البَقَرَة: ١٨٥.

بينهم: هل هو عين الإسلام، أو أخصّ منه؟ وهل العمل جزء من مفهومه، وهويته؟ وهل ينقص، ويزيد كماً، وكيفاً؟[١] ومهما يكن فإنّ الإيْمَان بشتىٰ مظاهره لا ينفصل إطلاقاً عن الحبّ، سواء أكان إيماناً بالله أم بالوطن، أم بأيْ مبدأ من المبادىء، ومن المعلوم بالبديهة أنّ الُمحب يُضحي في سبيل محبوبه، ويصبر علىٰ المكاره من أجله تماماً كما تتحمل الأُم المَشاق، والمَتاعب لراحة وليدها.

وشَهْر الصّيام هو شَهْر الْقُرْآن الَّذِي دعا إلىٰ الإيْمَان بالله، والعمل بطاعته، والكفر بما عداه من كلّ أنواع الجور، والظّلال، والفساد، والاستغلال... وعَلَيْهِ فإنّ الْمُؤمِن حقاً، وصدقاً يستقبل هذا الشّهر بالحبّ، والابتهاج تماماً كما يستقبل الحبيب الَّذِي طال غيابه. وكان سَيِّد الْعَابِدِينَ، وإمام السّاجدين ﷺ يترقب مجيء رَمَضَان بحرارة المُشتاق، ويستقبل هِلاله بهذا الدُّعاء الَّذِي آفتتحه بقوله:

(الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِحَمْدِهِ) الحَمْدُ علىٰ الحَمْد تماماً كالشُّكر علىٰ الشُّكر، يتسلسل إلىٰ ما لا نهاية، وقد تَقَدَّمَ الكلام عنه[٢]. (وَجَعَلَنَا مِنْ أَهْلِهِ) لنتفرغ إلىٰ صيامه، وقيامه، وإلىٰ التَّوْبَة، والعمل الصّالح، ويجزينا سبحانه علىٰ ذٰلِكَ جزاء المُحسنين (وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي حَبَانَا بِدِينِهِ): خصّنا بِهِ (وَآخْتَصَّنَا بِمِلَّتِهِ) عطف تكرار، لأنّ المُراد بالملة الدّين (وَسَبَّلَنَا): سيّرنا.

(وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي جَعَلَ مِنْ تِلْكَ آلسُّبُلِ شَهْرَهُ، شَهْرَ رَمَضَانَ...) ما أكثر سُبل الْخَيْر لمن يُريده، وينشده! ويكون بالقصد، والقول، والفعل، وأيضاً بالمكان، والزّمان، ومَن فعلَ خيراً في مكان كريم، أو زمان مبارك فهو نورٌ علىٰ نور، وشبّه

(١) أُنظر، البحر الرّائق: ٥/٢٠٤، سَعد السّعود: ٢٤٤، سنن ابن ماجه: ١/٢٨ ح ٧٤، شرح صحيح مسلم: ١/١٤٤.

(٢) أُنظر، الدُّعاء الأوّل، فقرة: الحَمْدُ.

الشَّيخ مُحمّد عبد ٱللَّه دراز فضل رَمَضَان علىٰ الشّهور بفضل الرّبيع، وفضله علىٰ سائر الفصول، قال: «إنّ الرّبيع يورق فيه الشّجر، ويتفتح فيه الزّهر، وتطيب فيه التُّربة، وتبارك فيه الحبّة، فتؤتي أكلها أضعافاً كثيرة... وهكذا رَمَضَان هو ربيع الأرواح، كلّ ما أزلفت فيه النّفس من خيرٍ يزكوا، وينمو: صيامه، وقيامه، وصدقاته، وغدواته، وروحاته كلّها مباركة مضاعفة الأجر، وحسبه أنّ فيه لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ، وما أدراك ما لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ»[1]. ولا أدري: هل قرأ الشّيخ دراز قول الإمام الباقر ﷺ: «لكلّ شيء ربيع، وربيع الْقُرْآن شَهْر رَمَضَان»[2]؟

فَأَبَانَ فَضِيْلَتَهُ عَلَىٰ سَائِرِ الشُّهُورِ بِمَا جَعَلَ لَهُ مِنَ الْحُرُمَاتِ الْمَوْفُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَشْهُورَةِ؛ فَحَرَّمَ فِيْهِ ما أَحَلَّ فِي غَيْرِهِ إِعْظَاماً، وَحَجَرَ فِيْهِ الْمَطَاعِمَ، وَالْمَشَارِبَ إِكْرَاماً؛ وَجَعَلَ لَهُ وَقْتاً بَيِّناً لاَ يُجِيزُ جَلَّ وَعَزَّ أَنْ يُقَدَّمَ قَبْلَهُ، وَلاَ يَقْبَلُ أَنْ يُؤَخَّرَ عَنْهُ.

ثُمَّ فَضَّلَ لَيْلَةً وَاحِدَةً مِنْ لَيَالِيهِ عَلَىٰ لَيَالِي أَلْفِ شَهْرٍ، وَسَمَّاهَا لَيْلَةَ

---

(١) أُنظر، كتابه: «في الدّين، والأخْلاَق، والقومية»، وهو مُحمّد بْن عبدٱللَّه دراز، فقيه متأدب مصري أزهري، ولد في قرية محلة دياي بمصر، وانتسب إلىٰ معهد الإسكندرية الدّيني، وحصل علىٰ الشّهادة الثّانوية الأزهرية، وكذلك علىٰ الشّهادة العالمية، ثُم تعلم اللّغة الفرنسية، وٱختير للتدريس بالقسم العالي بالأزهر، ثُمّ أُرسل في بعثة علميةإلىٰ فرنسا، وحصل علىٰ شهادة الدّكتوراة من السّوربون، وٱشترك في المؤتمر الإسلامي بمدينة لاهور الباكستانية وتوفّي بها فجأة في ١٦ جُمادىٰ الآخرة سَنَة ١٩٥٨م. أُنظر ترجمته في الأعلام للزركلي، وهداية العارفين.

(٢) أُنظر، الكافي: ٢/٦٣٠ ح ١٠، ثواب الأعمال: ١٠٣، شرح أُصول الكافي: ١١/٧٥، معاني الأخبار: ٢٢٨.

الْقَدْرِ، تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْـرٍ، سَـلاَمٌ، دَائِمُ الْبَرَكَةِ إِلَىٰ طُلُوعِ الْفَجْرِ، عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بِمَا أَحْكَمَ مِنْ قَضَائِهِ.

(فَأَبَانَ فَضِيلَتَهُ عَلَىٰ سَائِرِ الشُّهُورِ...) خطب رَسُول ٱللَّه ﷺ في شَهْر رَمَضَان، فقال في خطابه من جملة ما قال: «قد أقبل إليكم شَهْر ٱللَّه بـالبركة، والرَّحْـمَة، والمغفرة، هو عند ٱللَّه أفضَل الشّهور، وأيامه أفضَل الأيام، ولياليه أفضَل اللّيالي، وساعاته أفضَل السّاعات، وقد دُعيتم فيه إلىٰ ضيافة ٱللَّه، وجُعلتم فيه مـن أهْـل كرامة ٱللَّه... فاسألوا ٱللَّه بنيّة صادقة، وقلوب طاهرة... من فطّر منكم صائماً كان له بذلك عتق رقبة ـ قالوا: يا رَسُول ٱللَّه! ليس كلّنا يقدر علىٰ ذٰلِكَ ـ قال: ٱتقوا ٱلنّار ولو بشق تمرة... ولو بشربة ماء...»[1] «مَن كَفّ شرّه عن النّاس كَـفّ ٱللَّـه غضبه عنه يَوْم الْقِيَامَة»[2].

(فَحَرَّمَ فِيْهِ ما أَحَلَّ...) قال سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3] فقوله تعالىٰ: لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ بـيان لحكـمة الصّـيام، وأنّ الهدف منه أنْ يملك ٱلإنسَان الصّائم زمام شهوته، ويـنتصر عـقلُه عـلىٰ طـيشهِ،

(١) أُنظر، أمالي الصّدوق: ١٥٤، إقبال الأعمال: ٢٦/١، بشارة المصطفىٰ: ٤٣٥، ينابيع الْمَوَدَّة: ١٦٦/١، صحيح مسلم: ٧٠٤/٢، النّهاية: ٤٩١/٢ و ٥١٧، الفائق: ٦٧٠/١، روضة الطّالبين: ٢٠٤/٢، الكافي: ١٥١/٢.

(٢) أُنظر، كنز العمال: ٤٣٤/٦ ح ١٦٤٢١، فقه الرّضا: ٣٦٠، عدة الدّاعي: ١٣٥، الكافي: ٧٢/٢ ح ٢، شرح أُصول الكافي: ٢٢٩/٨. والدُّعاء التّاسع والثّلاثون فقرة: كَفّ الأذىٰ، والمـصادر السّابقة.

(٣) ٱلْبَقَرَة: ١٨٣.

وحُمقه، ودينُه علىٰ عاطفتِهِ، ونزقه (وَجَعَلَ لَهُ وَقْتاً بَيِّناً...) للصوم حدّ، وللصّلاة حدّ، ولكلّ حكم من أحكامه حدّ لا يتقدم عَلَيْهِ، ولا يتأخر عنه. وفي أُصول الكافي عن الإمام الباقر ﷺ: «جعل سبحانه لكلّ شيء حدّاً، وجعل عَلَيْهِ دليلاً يدل عَلَيْهِ، وجعل علىٰ من تعدّىٰ علىٰ الحدّ حداً»[1].

لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ

(ثُمَّ فَضَّلَ لَيْلَةً وَاحِدَةً مِنْ لَيَالِيهِ عَلَىٰ لَيَالِي أَلْفِ شَهْرٍ، وَسَمَّاهَا لَيْلَةَ ٱلْقَدْرِ ...)
لا أحد من المسلمين يشك في فضل لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ، وبركاتها قال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾[2]، وأيضاً لا شك أنّها من ليالي رَمَضَان، لأنّ أوّل آية هبط بها جِبْرِيلُ ﷺ علىٰ قلب مُحمّد ﷺ كانت في شَهْر رَمَضَان: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[3]، فإذا عطفنا عليها الآية الأولىٰ من ٱلْقَدْرِ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[4] جاءت النّتيجة أنّ لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ هي أحدىٰ ليالي رَمَضَان، وتعددت الأقوال في تعيين هَٰذِهِ اللّيلة من الشّهر المبارك، وسكت ٱلْقُرْآن ٱلْكَرِيمِ عن تعيينها لحكمة لا تُبدلها الأقوال، ولا تُدركها الأفهام[5]. سُبْحانَكَ! لا نعلم من أحكامك، وحكمتك إلا ما علمتنا.

---

(١) أُنظر، الكافي: ١/٥٩ ح ٢ و: ٧/١٧٦ ح ١١، شرح أُصول الكافي: ٢/٢٧٦، المهذب البارع: ١/١٠، بصائر الدّرجات: ٦.

(٢) الدُّخان: ٣.

(٣) ٱلْبَقَرَة: ١٨٥.

(٤) ٱلْقَدْرِ: ١.

(٥) أُنظر، الخصائص الكبرىٰ للسيوطي: ٢/١١٨، شرح أُصول الكافي: ٥/٢٧٢، الغارات: ١/١٨٧، فتح الباري: ١/١٨٧، تفسير القرطبي: ٢٠/١٣٤، فتح القدير للشوكاني: ٥/٤٧٢، سير أعلام النّبلاء للذهبي: ١١/٣٥٦.

وقال الشّيخ مُحمّد عبده: «لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ هي لَيْلَةِ عِبَادَة، وخشوع، وتذكّر بنعمة الْحَقّ، والدّين، ولكن المُسلمين في هَذِهِ الأيام يتحدثون فيها بما لا ينظر ٱللَّه إليهم، ويسمعون شيئاً من كِتَاب ٱللَّه لا ينظورن فيه، ولا يعتبرون بمعانيه، بل إنْ أصغوا إنّما يصغون إلىٰ نغمة تالي الْقُرْآن... ولهم خيالات في لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ لا تُليق بعقول الأطفال فضلاً عن الرّاشد من الرّجال»[1].

أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَلْهِمْنَا مَعْرِفَةَ فَضْلِهِ، وَإِجْلاَلَ حُرْمَتِهِ، وَالتَّحَفُّظَ مِمَّا حَظَرْتَ فِيهِ، وَأَعِنَّا عَلَىٰ صِيَامِهِ بِكَفِّ الْجَوَارِحِ عَنْ مَعَاصِيكَ، وَاسْتِعْمَالِهَا فِيهِ بِمَا يُرْضِيكَ.

... حَتَّىٰ لاَ نُصْغِي بِأَسْمَاعِنَا إِلَىٰ لَغْوٍ، وَلاَ تُسْرِعُ بِأَبْصَارِنَا إِلَىٰ لَهْوٍ، وَحَتَّىٰ لاَ نَبْسُطَ أَيْدِيَنَا إِلَىٰ مَحْظُورٍ، وَلاَ نَخْطُوَ بِأَقْدَامِنَا إِلَىٰ مَحْجُورٍ، وَحَتَّىٰ لاَ تَعِيَ بُطُونُنَا إِلاَّ مَا أَحْلَلْتَ، وَلاَ تَنْطِقَ أَلْسِنَتُنَا إِلاَّ بِمَا مَثَّلْتَ، أَو قُلْتَ، وَلاَ نَتَكَلَّفَ إِلَّا ما يُدْنِي مِنْ ثَوَابِكَ، وَلاَ نَتَعَاطَىٰ إِلاّ الَّذِي يَقِيْ مِنْ عِقَابِكَ.

ثُمَّ خَلِّصْ ذٰلِكَ كُلَّهُ مِنْ رِئَاءِ الْمُرَائِينَ، وَسُمْعَةِ الْمُسْمِعِينَ، لاَ نُشْرِكُ فِيهِ أَحَداً دُونَكَ، وَلاَ نَبْتَغِيْ فِيهِ مُرَاداً سِوَاكَ.

(١) هو الشّيخ محمّد عبده بن حسن خير ٱللَّه، من آل التّركماني، فقيه، مفسر، متكلم، حكيم، أديب، لغوي، سياسي، ولد في شنيرا من قرىٰ الغربية بمصر، ونشأ في محلة نصر بالبحيرة، وتعلم بالجامع الأحمدي بطنطا، ثُمَّ بالأزهر، تولىٰ منصب القضاء، ثُمَّ مستشاراً في محكمة الأستئناف، فمفتياً للديار المصرية. أُنظر، ترجمته في الأعلام للزركلي، ومقدمة تفسير الْقُرْآن ٱلْكَرِيمِ الَّذِي لم يتمه.

(وَأَلْهِمْنَا مَعْرِفَةَ فَضْلِهِ...) أعنّا، وسهّل لنا طريق العلم، والعمل الّذي أفترضته علينا في شَهْرك هذا، ولا تجعلنا فيه من الكُسالىٰ، والمُقصرين (وَأَعِنَّا عَلَىٰ صِيَامِهِ بِكَفِّ الْجَوَارِحِ عَنْ مَعَاصِيكَ...) والجوارح: الأعضاء. قال الإمام الصّادق‌‌ﷺ: «ليس الصّيام من الشّراب، والطّعام وحده، وإنْ علىٰ كلّ جارحة حقاً للصيام، فإذا صمت فليصم سمعك، وبصرك، وجلدك، ولسانك، وبطنك، وفرجك، وأحفظ يديك عن الأذىٰ»[1]. «إنّ النّبي ﷺ سمع امرأة تسب جارية لها، وهي صائمة، فدعا رَسُول ٱللّٰه ﷺ بطعام، وقال لها: كُلي، فقالت: إنّي صائمة. فقال: كيف تكونين صائمة، وقد سببت جاريتك، إنّ الصّوم ليس من الطّعام، والشّراب فقط»[2].

(ثُمَّ خَلِّصْ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ رِئَاءِ الْمُرَائِينَ...) مَن قدر علىٰ الحرام، وتركه لوجه ٱللّٰه لا رياءً، ولا خوفاً من النّاس ـ فهو مأجور، ما في ذٰلِكَ ريب، وهو مُراد الإمام‌ﷺ من دعائه هذا، ومَن ترك الحرام عن عجزٍ، أو خوفٍ مع قُدرته عَلَيْهِ، فما هو بمأجور، ولا مأزور. قال الإمام أمير الْمُؤْمِنِين ﷺ: «من الْعِصْمَة تعذر المعاصي»[3]، مَن قدر علىٰ الحرام، وتركه رياءً، أو خوفاً فليس بمأجور، بل هو مذموم، وملوم، ولكنه لا يعاقب، لأنّ الرّياء كالحسد، وغيره من النّوايا الخبيثة لا يتبعها شيء إلا أنْ يكون معه قول، أو فعل.

---

(١) أنظر، الكافي: ٤/٨٧ ح ١، إقبال الأعمال: ١/١٩٥، الفقيه: ٢/١٠٩ ح ١٨٦٢، البحار: ٩٦/٢٩٢.

(٢) أُنظر، الوسائل: ١٠/١٦٣، إقبال الأعمال: ١/١٩٥، الكافي: ٤/٨٧ ح ٣، مصباح المتهجد: ٦٢٧.

(٣) أُنظر، نهج البلاغة: ٤/٨١، الحكمة (٣٤٥)، عيون الحكم والمواعظ: ٤٧٢، شرح النّهج للمعتزلي: ١٩/٢٦٠.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَقِفْنَا فِيهِ عَلَىٰ مَوَاقِيتِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ بِحُدُودِهَا الَّتِي حَدَّدْتَ، وَفُرُوضِهَا الَّتِي فَرَضْتَ، وَوَظَائِفِهَا الَّتِي وَظَّفْتَ، وَأَوْقَاتِهَا الَّتِي وَقَّتَّ، وَأَنْزِلْنَا فِيهَا مَنْزِلَةَ الْمُصِيبِينَ لِمَنَازِلِهَا، الْحَافِظِينَ لِأَرْكَانِهَا الْمُؤَدِّينَ لَهَا فِي أَوْقَاتِهَا، عَلَىٰ مَا سَنَّهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فِي رُكُوعِهَا، وَسُجُودِهَا، وَجَمِيعِ فَوَاضِلِهَا عَلَىٰ أَتَمِّ الطُّهُورِ، وَأَسْبَغِهِ، وَأَبْيَنِ الْخُشُوعِ، وَأَبْلَغِهِ.

يختص هذا المقطع من الدُّعاء بالصّلاة، وأجزائها، وشروطها، وأحكامها، ومستحباتها، وكلّ ذٰلِكَ وما إليه معروف مسطور في كُتب الفقه من الرّسائل العملية إلىٰ جواهر النّجفي، ووسائل الحر العاملي، أمّا مكانها من الدّين فهي عموده، وأمّا سرها فالأمر بالمعروف، والنّهي عن المُنكر: (مِنْ ٱللَّه أكبر إلىٰ الصَّلاَة علىٰ مُحمّد وَآلِهِ والسّلام علىٰ عباد ٱللَّه ٱلصَّالِحِينَ المُتقين... وتكلمت عن حكمة الصَّلاَة، وفوائدها في التّفسير الكاشف، وفي ظلال نهج البلاغة، وسبقني إلىٰ ذٰلِكَ العشرات من الأوّلين، والآخرين، وكتبوا أفْضَل، وأجمل مما كتبتُ في الصَّلاَة أحكاماً، وتفصيلاً، وأسراراً، وتعليلاً، ولكن ما قرأتُ لواحدٍ من الشّيوخ الّذين كتبوا، ونشروا عن الصَّلاَة ـ أية إشارة إلىٰ السّر الموجب لتهاون شباب الجيل بالصّلاة علماً بأنّ توضيح هذا السّر هو الأهم لأنّ العديد من الشّباب يؤمنون ـ نظرياً ـ بالله، ورَسولِهِ، واليوم الآخر. بل البعض من هؤلاء يغارون علىٰ الإسْلاَم، والمسلمين غيرة الشّيوخ، وزيادة، وربما كَتب مَن كَتب، ولم أقتصّ أثره.

واقع الشّباب المؤلم

ومن قراءتي الصُّحف، وغيرها تبين لِي أنّ الصّهيونية العالمية بتضامنها،

وتلاحمها مع الإستعمار تهدف إلىٰ السّيطرة، والتّغلب علىٰ العالم كلّه، بخاصة العالم الإسلامي، والعربي. أمّا التّصميم، والمخطط للوصول إلىٰ هذا الهدف فهو زرع الشّقاق، وبذور الإنحلال، والفساد في عقول، وأفكار الشّباب عن طريق الصُّحف، والإذاعات، والكُتب، والتّدريس في المدارس، والجامعات الأجنبية، وغير ذٰلِكَ من الدّعايات المضللة. وفيما يلي أذكر بعض الأمثلة مما قرأت:

«بدأ التّخطيط الصّهيوني للغزو الفكري، والثّقافي في العالم الإسلامي بالمؤتمر المشهور الّذِي ترأسه هيرتزل عام ١٨٧٧م... ومن هذا التّخطيط تقديم نظريات علمية في مجال الطّبيعة، والنّفس، والإقتصاد، والسّياسة علىٰ نحو ما يراه (دارون) في التّطور، و (فرويد) في الدّراسات النّفسية، و (ماركس) في التّفسير المادي للتأريخ، و (مكيا فيللي) في السّياسة، وإنْ لم يقل هؤلاء: إنّ القصد من نظرياتهم هو مُعاداة الإسْلاَم، وكلّ هؤلاء يهود، ولا يمكن أنْ يكون هذا من باب الصّدفة»[١].

ومما قرأت: «الصّهيونية تزرع الشّقاق، وبذور الإنحلال، والفساد في خفاءٍ، ونفاقٍ، وغدرٍ لإضعاف الرّوح القومية، وإفساد الوطنية في أبناء الشّعوب كي يتحولوا فريسة سهلة بين فكي السّياسة الصّهيونية... وهناك أرقام تثبت ممارسة هذا النّشاط المُدمر في مختلف البلاد بخاصة العربية منها تسهيلاً لإخضاعها عن طريق محق التّقاليد وكلّ موروث تماماً كما فعلت في الولايات المتحدة»[٢].

هذا غيضٌ من فيض، وأتمنىٰ أنْ لا يجهل ذٰلِكَ أي مسلم، وعربي ليعرف عدوه

(١) أُنظر، جريدة الأهرام بتأريخ: ١٩٧٨/٤/١٤ مقالاً بعنوان «الصّهيونية مع الغزو الفكري، والثّقافي».(منه ﷺ).

(٢) أُنظر، مجلة الكفاح العربي البيروتية بتأريخ: ١٩٧٨/١١/٢٧م، بعنوان « ديانة الشّرّ الصّهيونية»، (منه ﷺ).

الأصيل، وعدو ٱللّٰه، والإنسانية قبل أنْ يسأل عن الحكمة في وجوب الصَّلاَة لله «في ضوء معطيات العلم الحديث»!...

وَوَفِّقْنَا فِيهِ لِأَنْ نَصِلَ أَرْحَامَنَا بِالبِرِّ، وَالصِّلَةِ، وَأَنْ نَتَعَاهَدَ جِيرَانَنَا بِالإِفْضَالِ، وَالْعَطِيَّةِ؛ وَأَنْ نُخَلِّصَ أَمْوَالَنَا مِنَ التَّبِعَاتِ، وَأَنْ نُطَهِّرَهَا بِإِخْرَاجِ الزَّكَوَاتِ.

وَأَنْ نُرَاجِعَ مَنْ هَاجَرَنَا، وَأَنْ نُنْصِفَ مَنْ ظَلَمَنَا؛ وَأَنْ نُسَالِمَ مَنْ عَادَانَا... حَاشَا مَنْ عُودِيَ فِيكَ وَلَكَ، فَإِنَّهُ الْعَدُوُّ الَّذِي لاَ نُوالِيهِ، وَالحِزْبُ الَّذِي لاَ نُصَافِيهِ.

وَأَنْ نَتَقَرَّبَ إِلَيْكَ فِيهِ مِنَ الأَعْمَالِ الزَّاكِيَةِ بِمَا تُطَهِّرُنا بِهِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَتَعْصِمُنَا فِيهِ مِمَّا نَسْتَأْنِفُ مِنَ الْعُيُوبِ، حَتَّىٰ لاٰ يُورِدَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ مَلاَئِكَتِكَ إِلّا دُونَ مَا نُورِدُ مِنْ أَبْوابِ الطَّاعَةِ لَكَ، وَأَنْوَاعِ القُرْبَةِ إِلَيْكَ.

(وَوَفِّقْنَا فِيهِ لِأَنْ نَصِلَ أَرْحَامَنَا) قال سبحانه: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[1] أي وصلوا ٱلأرحام، وفي الآية: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾[2] (وَأَنْ نَتَعَاهَدَ جِيرَانَنَا بِالإِفْضَالِ) في الآية: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾[3]. أي يوصيكم ٱللّٰه بالجار سواء أكان رَحماً أم أجنبياً (وَأَنْ نُخَلِّصَ أَمْوَالَنَا...) ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾[4] (وَأَنْ نُرَاجِعَ مَنْ هَاجَرَنَا) أنْ نصل من قطعنا، وقد

---

(١) النّساء: ١.

(٢) محمّد: ٢٢.

(٣) النّساء: ٣٦.

(٤) المعارج: ٢٤ـ ٢٥.

تَقَدَّمَ[١]. وقال الإمام الصَّادِق ﷺ: «فمن قالَ لكَ: إنْ قلت واحدة سمعت عشراً، فقل له: إنْ قلت عشراً لم تسمع واحدة»[٢].

(وَأَنْ نُنْصِفَ مَنْ ظَلَمَنَا) ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾[٣] أفعلوا بالظالم مثل فعله بكم، ومن زاد في القصاص تشفياً ينتقم اللّه منه. وقد تَقَدَّمَ[٤]. (وَأَنْ نُسَالِمَ مَنْ عَادَانَا حَاشَا مَنْ عُودِيَ فِيْكَ، وَلَكَ...) حاشا من عُودي: إلا من عاديناه. والمعنىٰ نحن نصفح عمن أساء إلىٰ شخصنا بالخصوص، ونسامحه طاعة لقولك يا إلهنا: ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٥]، ولكن لا هوادة عندنا إطلاقاً لمن عاديناه فيك، ومن أجلك. أيضاً طاعة لقولك: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾[٦].

(وَأَنْ نَتَقَرَّبَ إِلَيْكَ فِيْهِ مِنَ الأَعْمَالِ...) ضمير «فِيْهِ» لشهر رَمَضَان، والمعنىٰ تكرم، وتفضل يا إلهي علينا بالتوفيق في شَهْرك العظيم إلىٰ أعمال تطهرنا من الذُّنُوبِ، وتحفظنا من العيوب، وتقربنا من مَرْضَاتِكَ، وتبتعد بنا عن سخطك. وقد تَقَدَّمَ[٧]. (حَتَّىٰ لا يُورِدَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ مَلاَئِكَتِكَ...) كِتَاب الأعمال لا يغادر صغيرة، ولا كبيرة إلا أحصاها بنص الآية: ﴿مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[٨]، وعَلَيْهِ يكون

---

(١) أُنظر، الدُّعاء العشرون.

(٢) أُنظر، مستدرك الوسائل: ١١/٢٩٠، منية المريد: ١٥٠، بحار الأنوار: ١/٢٢٦ ح ١٧.

(٣) اَلْبَقَرَة: ١٩٤.

(٤) أُنظر، الدُّعاء الثّاني والعشرون، والتّاسع والثّلاثون.

(٥) اَلْبَقَرَة: ٢٣٧.

(٦) الممتحنة: ١.

(٧) أُنظر، الدُّعاء العشرون.

(٨) الكهف: ٤٩.

المعنىٰ المُراد: حتّىٰ نكون بصالح الأعمال أقرب إليك من المَلك الَّذِي جعلته رقيباً علينا، ورفع لعظمتك كتاباً، وتقريراً مفصلاً عن أعمالنا.

أَللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ بِحَقِّ هَذَا الشَّهْرِ، وَبِحَقِّ مَنْ تَعَبَّدَ لَكَ فِيهِ مِنِ ابْتِدَائِهِ إِلَىٰ وَقْتِ فَنَائِهِ: مِنْ مَلَكٍ قَرَّبْتَهُ، أَوْ نَبِيٍّ أَرْسَلْتَهُ، أَوْ عَبْدٍ صَالِحٍ اخْتَصَصْتَهُ... أَنْ تُصَلِّيَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَهِّلْنَا فِيهِ لِمَا وَعَدْتَ أَوْلِيَاءَكَ مِنْ كَرَامَتِكَ، وَأَوْجِبْ لَنَا فِيهِ مَا أَوْجَبْتَ لِأَهْلِ الْمُبَالَغَةِ فِي طَاعَتِكَ، وَاجْعَلْنَا فِي نَظْمِ مَنِ اسْتَحَقَّ الرَّفِيعَ الأَعْلَىٰ بِرَحْمَتِكَ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَجَنِّبْنَا الإِلْحَادَ فِي تَوْحِيدِكَ، وَالتَّقْصِيرَ فِي تَمْجِيدِكَ، وَالشَّكَّ فِي دِينِكَ، وَالْعَمَىٰ عَنْ سَبِيلِكَ، وَالإِغْفَالَ لِحُرْمَتِكَ، وَالانْخِدَاعَ لِعَدُوِّكَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

(أَللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ بِحَقِّ هَذَا الشَّهْرِ...) مِن بدايته إلىٰ نهايته، وبحقّ كلّ من رضيت عن أعماله فيه، وبكلّ من له شأن لديك نبياً كان، أو ملكاً، أو عبداً تقياً (أَنْ تُصَلِّيَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَهِّلْنَا فِيهِ...) إجعلنا أهلاً لكرامتك، ورَحْمَتِك، ونيل الدّرجات الرّفيعة لديك. وهذا تكرار، أو تلخيص لمضمون ما تَقَدَّمَ في أُسلوب آخر.

(وَجَنِّبْنَا الإِلْحَادَ...) وأين الإِلْحَاد من زين العباد! وإذن فالمعنىٰ ما نحن من الّذين عنيتهم بقولك لنجيك الحبيب: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾[1]، بل من الّذين يشكرون اَللّٰه أنْ هداهم للإيمان (وَالشَّكَّ فِي دِينِكَ) أي في الإِسْلاَم لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلَامُ﴾[2]، (وَالْعَمَىٰ عَنْ سَبِيلِكَ): عن كتابك، وسُنة نبيك

(١) الحجرات: ١٧.

(٢) آل عمران: ١٩.

(وَالإِغْفَالَ لِحُرْمَتِكَ): لحلالك، وحرامك (وَالانْخِدَاعَ لِعَدُوِّكَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) بطاعته، ومعصيتك.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَإِذَا كَانَ لَكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِيْ شَهْرِنَا هَذَا رِقَابٌ يُعْتِقُهَا عَفْوُكَ، أَوْ يَهَبُهَا صَفْحُكَ... فَاجْعَلْ رِقَابَنَا مِنْ تِلْكَ الرِّقَابِ، وَاجْعَلْنَا لِشَهْرِنَا مِنْ خَيْرِ أَهْلٍ، وَأَصْحَابٍ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأمْحَقْ ذُنُوبَنَا مَعَ آمِّحَاقِ هِلاَلِهِ، وَآسْلَخْ عَنَّا تَبِعَاتِنَا مَعَ آنْسِلاَخِ أَيَّامِهِ، حَتَّىٰ يَنْقَضِي عَنَّا، وَقَدْ صَفَّيْتَنَا فِيهِ مِنَ الْخَطِيئاتِ، وَأَخْلَصْتَنَا فِيهِ مِنَ السَّيِّئاتِ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَإِنْ مِلْنَا فِيهِ فَعَدِّلْنا، وَإِنْ زِغْنَا فِيهِ فَقَوِّمْنَا، وَإِنِ اشْتَمَلَ عَلَيْنَا عَدُوُّكَ الشَّيْطَانُ فَاسْتَنْقِذْنَا مِنْهُ.

أللَّهُمَّ اشْحَنْهُ بِعِبَادَتِنَا إِيَّاكَ، وَزَيِّنْ أَوْقَاتَهُ بِطَاعَتِنَا لَكَ، وَأَعِنَّا فِي نَهَارِهِ عَلَىٰ صِيَامِهِ، وَفِي لَيْلِهِ عَلَىٰ الصَّلاَةِ، وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْكَ، وَالخُشُوعِ لَكَ، وَالذِّلَّةِ بَيْنَ يَدَيْكَ، حَتَّىٰ لاَ يَشْهَدَ نَهَارُهُ عَلَيْنَا بِغَفْلَةٍ، وَلاَ لَيْلُهُ بِتَفْرِيطٍ.

(وَإِذَا كَانَ لَكَ فِيْ كُلِّ لَيْلَةٍ...) مِن هُنا إلىٰ آخر الدُّعاء واضح بنفسه، وتوضيح الواضح مُحال تماماً كقتل المقتول، أو كلام فارغ كتفسير الماء بالماء، فلم يبق إلا الإشارة إلىٰ بعض الأحاديث، قال آلرَّسُول الأعظمﷺ: «وإنّ لله عزّ وجلّ في كلّ لَيْلَةٍ من شَهْر رَمَضَان عُتقاء، وطُلقاء من آلنَّار إلا من أفطر علىٰ مُسكر، فإذا كـان آخر لَيْلَةٍ منه أعتق مثل ما أعتق في جميعه»[1]. وما من شك أنّ عُتقاء شَهْر الصّيام

(١) أُنظر، الكافي: ٤/٦٨ ح ٧، الوسائل: ١٢/٢٣٧ ح ٤، أمالي الصّدوق: ١١٣، ثواب الأعمال: ٦٥.

كلّهم من الصّائمين، ولا أحد منهم مفطر بلا عذر، بدليل قولهﷺ: إلا من أفطر علىٰ مُسكر.

(وَأمْحَقْ ذُنُوبَنَا مَعَ امِّحاقِ هِلاَلِهِ) ليالي المحاق ثلاث من آخر الشّهر ٱلْقَمَري لذهاب نوره[١]، والسّعيد من تذهب ذنوبه بذهاب يومه، أو شَهْره، أو سَنته، وأسعد منه من لا ذنب له (وَأَسْلَخْ عَنَّا تَبِعَاتِنَا): خطايانا، والعطف للتكرار (وَإِنْ زِغْنَا فِيهِ فَقَوِّمْنَا) وقد تسأل: «إنّ ٱللّه سبحانه يعامل العبد تبعاً لعمله كما قال في الآية: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[٢]، والإمام يقول لله: إذا زغنا فلا تزغ قلوبنا، ألا يومىء هذا إلىٰ ما يشبه الإعتراض؟.

الجواب: يسأل الإمام في دعائه هذا أنْ يعامله سبحانه بفضله، لا بعدله، ولا يكلّه إلىٰ نفسهِ إنْ بدرت منه بادرة، بل يشمله بعنايته، ويهديه إلىٰ التَّوْبَة، والإنابة تماماً كما قال في أوّل الدُّعاء التّاسع: «أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَصَيِّرْنَا إلىٰ مَحْبُوبِكَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَزِلْنَا عَنْ مَكْرُوهِكَ مِنَ الإِصْرَارِ».

(أللَهُمَّ اشْحَنْهُ) الضّمير لرمضان، واشْحَنْهُ: املأهُ (وَزَيِّنْ أَوْقَاتَهُ بِطَاعَتِنَا لَكَ) عطف تكرار (وَأَعِنَّا فِي نَهَارِهِ...) أحسن معونتنا علىٰ الجدّ، والإجتهاد حتّىٰ نبلغ من طَاعَتِكَ في ليل رَمَضَان، ونهاره ما يرضيك (لاَ يَشْهَدَ نَهَارُهُ عَلَيْنَا بِغَفْلَةٍ) عن وعيدك، وتهديدك (وَلاَ لَيْلُهُ بِتَفْرِيطٍ) في شكرك، وطَاعَتِكَ.

أَللَّهُمَّ، وَاجْعَلْنَا فِي سَائِرِ الشُّهُورِ، وَالأَيَّامِ كَذَلِكَ مَا عَمَّرْتَنَا، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا

---

(١) أُنظر، مسالك الافهام: ٣٧/٧، لسان العرب: ٧٠/١، تاج العروس: ٦٧/٧.

(٢) الصّف: ٥.

خَـٰلِدُونَ ﴾[1]، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾[2]، وَمِنَ الَّذِينَ ﴿يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾[3].

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَكُلِّ أَوَانٍ، وَعَلَىٰ كُلِّ حَالٍ عَدَدَ مَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ مَنْ صَلَّيْتَ عَلَيْهِ، وَأَضْعَافَ ذٰلِكَ كُلِّهِ بِالأَضْعافِ الَّتِي لاٰ يُحْصِيهَا غَيْرُكَ، إِنَّكَ فَعَّالٌ لِمَا تُرِيدُ.

(أَللَّهُمَّ وَاجْعَلْنَا فِي سَائِرِ الشُّهُورِ، وَالأَيَّامِ...) في حصنٍ حصين من الذُّنُوبِ، والعيوب حتّىٰ نلقاك بسلامٍ آمنين (الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ...): الجنّة، وهي للذين آمنوا وعملوا ٱلصَّالِحَات، وكرر سبحانه ذٰلِكَ في العديد من الآيات دون أنْ يبين المُراد من هَذِهِ الأعمال الصّالحة، ثُمَّ أنزل سورة خاصة حدد فيها عدد صفات ٱلْمُؤْمِنِين وأعمالهم في بيان لا لبس فيه، وإيهام وهي: «سُورَةُ ٱلْمُؤْمِنُونَ»، وأشار الإمام ﷺ في دعائه هذا إلىٰ ماجاء في الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾[4] أي ينفقون مما أعطاهم ٱللّٰه، ومع ذٰلِكَ يخافون أنْ لا يتقبل منهم، وأيضاً يسرعون إلىٰ كلّ خير، ولا يتوانون، ومن أجل هذا يسبقون النّاس إلىٰ الجنّة (أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ...) صلاةً لا يُحصيها إلا أنْتَ. وقد تَقَدَّمَ مراراً[5].

---

(١) المؤمنون: ١١.

(٢) المؤمنون: ٦٠.

(٣) المؤمنون: ٦١.

(٤) المؤمنون: ٦٠ ـ ٦١.

(٥) أُنظر، الدُّعاء الثّاني، والسّادس، والعشرون، والثّاني والثّلاثون.

الدّعاء الخامس والأربعون

دُعَاؤُهُ لِوَدَاعِ شَهْرِ رَمَضَان

أَللَّهُمَّ يَا مَنْ لاَ يَرْغَبُ فِي الْجَزَاءِ، وَيَا مَنْ لاَ يَنْدَمُ عَلَىٰ الْعَطَآءِ، وَيَا مَنْ لاَ يُكَافِئُ عَبْدَهُ عَلَىٰ السَّوآءِ.... مِنَّتُكَ ابْتِدَاءٌ؛ وَعَفْوُكَ تَفَضُّلٌ، وَعُقُوبَتُكَ عَدْلٌ، وَقَضَاؤُكَ خِيَرَةٌ، إِنْ أَعْطَيْتَ لَمْ تَشُبْ عَطآءَكَ بِمَنٍّ، وَإِنْ مَنَعْتَ لَمْ يَكُنْ مَنْعُكَ تَعَدِّيا.

تَشْكُرُ مَنْ شَكَرَكَ، وَأَنْتَ أَلْهَمْتَهُ شُكْرَكَ، وَتُكَافِئُ مَنْ حَمِدَكَ، وَأَنْتَ عَلَّمْتَهُ حَمْدَكَ.

كان الدُّعاء السّابق في أستقبال رَمَضَان، وهذا الدُّعاء في وداعه، وما من شك أنّ الْمُؤْمِن يودع رَمَضَان وداع مُحبٍّ، لا قالٍ علىٰ عكس الشّره النّهم. وفي الحديث: «أنّ النّبي ﷺ قال لبعض الصّحابة: هٰذِهِ آخر جمعة من شَهْر رَمَضَان فودعه»[1] (أَللَّهُمَّ يَا مَنْ لاَ يَرْغَبُ فِي الْجَزَاءِ) لأنّه الغني، ونحن الْفُقَرَاء، ولا نقش

(١) أُنظر، فضائل الأشهر الثّلاثة للشيخ الصدوق: ١٣٩، إقبال الأعمال: ٤٢٢/١، وسائل الشّيعة:

بلا عَرْش. وقد تَقَدَّمَ[١]. وتسأل: ما معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾[٢]؟

الجواب: المُراد بالتقوىٰ هنا الرّضا، والمعنىٰ أنّه تعالىٰ يُريد من عِبَادِهِ أنْ يتقوه حقّ تقاته، فإنْ أستجابوا كان التَّقْوَىٰ رضاً له، ولهم علماً بأنّ مرضاة ٱللّه هي أيضاً لخيرِ العباد، ومنافعهم.

(وَيَا مَنْ لاَ يَنْدَمُ عَلَىٰ الْعَطَآءِ) لأنّه تعالىٰ يُعطي، ويمنع عن علمٍ، وحكمةٍ، وعدلٍ، والنّدامة ثمرة الجهل، والتّفريط. تعالىٰ ٱللّه عن ذٰلِكَ علواً كبيراً ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾[٣] (وَيَا مَنْ لاَ يُكَافِئُ عَبْدَهُ عَلَىٰ السَّوآءِ) لأنّه يجزي ٱلْحَسَنَة بأضعاف مضاعفة، ويعفو عن السّيئة، وإنْ دعت الحكمة إلىٰ العقاب، فبعد الإنذار، والإمهال أمداً غير قصير، لعل المُسيء يتذكر، أو يخشىٰ، وكلّ ذٰلِكَ تفضل، وإحسان. وقد تَقَدَّمَ[٤]. (مِنَّتُكَ ابْتِدَاءٌ) المِنَّة: النّعمة، وكلّ سخاء هو أبتداء لا معاملة، ومبادلة (وَعَفْوُكَ تَفَضُّلٌ) من غير وجوب، وإلزام، ولكن عفوه لا يكون، ولن يكون إلا عن حكمةٍ، وعلمٍ بأنّ المعفو عنه أهْل، ومحل.

(وَعُقُوبَتُكَ عَـدْلٌ) حيث تجزي المُسيء بما فعل، ولا يُظلم فتيلا. وتسأل: قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَـٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ

← ٣٦٥/١٠، بحار الأنوار: ١٧٢/٩٥، حيث قال ﷺ: «أَللّٰهُمَّ لا تجعله آخر العهد من صيامنا إياه، فإنْ جعلته فاجعلني مرحوماً، ولا تجعلني محروماً...».

(١) أُنظر، الدُّعاء السّادس عشر.

(٢) الْحَجّ: ٣٧.

(٣) الرَّعْد: ٨.

(٤) أُنظر، الدُّعاء السّادس عشر.

﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾(١). والمُضاعفة الزّيادة عن الإستحقاق، والواجب؟ الجواب: ليس المُراد بالمُضاعفة هنا الزّيادة، وإنّما هي كناية عن العذاب الأليم على الذّنب العظيم (وَقَضَاؤُكَ خِيَرَةٌ) بكسر الخاء: من الخِير لا من الإختيار: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٢) (إِنْ أَعْطَيْتَ لَمْ تَشُبْ عَطَآءَكَ بِمَنٍّ) وهو أنْ تظهر، وتعلن أنّك المتفضل المحسن، وهذا من أقبح القبائح، ومبطل لعمل الخير، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾(٣) (وَإِنْ مَنَعْتَ لَمْ يَكُنْ مَنْعُكَ تَعَدِّيا) بل عن أستحقاق، وحكمةٍ (وَ تَشْكُرُ مَنْ شَكَرَكَ) تكافيء القليل بالكثير علماً بأنّك أملك منا بأنفسنا، وقد تقدَّمَ(٤).

تَسْتُرُ عَلَىٰ مَنْ لَوْ شِئْتَ فَضَحْتَهُ، وَتَجُودُ عَلَىٰ مَنْ لَوْ شِئْتَ مَنَعْتَهُ، وَكِلاَهُمَا أَهْلٌ مِنْكَ لِلْفَضِيحَةِ، وَالْمَنْعِ.

غَيْرَ أَنَّكَ بَنَيْتَ أَفْعَالَكَ عَلَىٰ التَّفَضُّلِ، وَأَجْرَيْتَ قُدْرَتَكَ عَلَىٰ التَّجَاوُزِ، وَتَلَقَّيْتَ مَنْ عَصَاكَ بِالحِلْمِ، وَأَمْهَلْتَ مَنْ قَصَدَ لِنَفْسِهِ بِالظُّلْمِ.

تَسْتَنْظِرُهُمْ بِأَناتِكَ إِلَىٰ الإِنَابَةِ، وَتَتْرُكُ مُعَاجَلَتَهُمْ إِلَىٰ التَّوْبَةِ، لِكَيْلَا يَهْلِكَ عَلَيْكَ هَالِكُهُمْ، وَلاَ يَشْقَىٰ بِنِعْمَتِكَ شَقِيُّهُمْ... إِلاَّ عَنْ طُولِ الإِعْذَارِ إِلَيْهِ، وَبَعْدَ تَرَادُفِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ؛ كَرَماً مِنْ عَفْوِكَ يَا كَرِيمُ،

---

(١) الفرقان: ٦٨ ـ ٦٩.

(٢) غافر: ٢٠.

(٣) ٱلْبَقَرَة: ٢٦٤.

(٤) أُنظر، الدُّعاء الثّاني عشر، والسّابع والثّلاثون.

وَعَائِدَةٌ مِنْ عَطْفِكَ يَا حَلِيمُ.

(تَسْتُرُ عَلَىٰ مَنْ لَوْ شِئْتَ فَضَحْتَـهُ) تَسْتُرُ القبيح، وتظهرُ الجميل، وهكذا يفعل كلّ شريف، ونبيل علىٰ عكس الخسيس اللّئيم الَّذِي يدفن الجميل، ويشهّر بالقبيح. وقد تَقَدَّمَ[1]. أقرأ فقرة النّحلة، والخُنفساء[2]. (وَتَجُودُ عَلَىٰ مَنْ لَوْ شِئْتَ...) أنْتَ يا إلهي سترت، وأغنيت، وعافيت مَن لا يستحق منك إلا الهوان، والحـرمان. وقـد تَقَدَّمَ[3].

القائد الْحَقّ

(غَيْرَ أَنَّكَ بَنَيْتَ أَفْعَالَكَ عَلَىٰ التَّفَضُّلِ...) هذا هو الإله الَّذِي نعبد، يأمر بالجود، ويجود، وبالعفو، ويعفو، وبالحلم، ويحلم، وبالإمهال، ويُمهل... وهكذا كلّ داعٍ، وقائدٍ، وواعظٍ، وعالمٍ، بمقياس الْحَقّ، والعدل، يبدأ بنفسه، ويمارس أمره، ونهيه في سلوكهِ، وأفعاله، لا في ألفاظٍ منمقة، وعباراتٍ طنانة، وإلا فهو دجال، ومحتال، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[4]، وقال تعالىٰ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[5]... وقال تـعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[6]. فما نطق ﷺ بكلمة إلا بعد أنْ يـصدقها، ويـؤكدها بالفعل... وجاء في سيرته المقدسة أنّه أُصيب في بعض الغزوات حتّىٰ سـال الدّم

(١) أُنظر، الدُّعاء السّادس.
(٢) أُنظر، الدُّعاء الثّامن والثّلاثون.
(٣) أُنظر، الدُّعاء الثّالث عشر.
(٤) الصّف: ٢.
(٥) ٱلْبَقَرَة: ٤٤.
(٦) الأحزاب: ٢١.

الزّكي علىٰ وجهه، ودخلت حلقتان من المغفر في رأسه الشّريف، وما أكثر ما يروي التّأريخ في هذا المجال عن قادة الْحَقّ[١].

(وَتَسْتَنْظِرُهُمْ بِأَنَاتِكَ): بالتأني، والمعنىٰ تؤخرهم صابراً عَلَيْهِمْ، عسىٰ أنْ يرجعوا إلىٰ الرُّشد، والهداية (وَتَتْرُكُ مُعَاجَلَتَهُمْ) هذا تفسير، وتوضيح لتستنظرهم بأناتك، وقد تَقَدَّمَ[٢]. (لِكَيْلَا يَهْلِكَ عَلَيْكَ هَالِكُهُمْ) وهو الَّذِي يستحق الْهَلاَك، والعذاب لأنّه تعالىٰ لا يهلك أحداً إلا بالحقّ، والعدل وأيضاً تَقَدَّمَ في الدُّعاء السّابع والثّلاثين، (وَلاَ يَشْقَىٰ بِنِعْمَتِكَ شَقِيُّهُمْ) وهو الَّذِي يطغيه الغنىٰ. وفي نهج البلاغة: «لا تكن عند النّعماء بطراً، ولا عند البأساء فشلاً»[٣] (إلاَّ عَنْ طُولِ الإِعْذَارِ...) آستثناء من لا يهلك، والمعنىٰ أنّ ٱللَّه سبحانه يدع لمن لا يملك حجّة، ولا عذراً (وَعَائِدَةٌ): هِبةٌ، وعطية.

أَنْتَ الَّذِيْ فَتَحْتَ لِعِبَادِكَ بَاباً إِلَىٰ عَفْوِكَ، وَسَمَّيْتَهُ التَّوْبَةَ، وَجَعَلْتَ عَلَىٰ ذٰلِكَ البَابِ دَلِيلاً مِنْ وَحْيِكَ لِئَلاَّ يَضِلُّوا عَنْهُ، فَقُلْتَ تَبَارَكَ اسْمُكَ: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤]،

---

(١) أُنظر، صحيح مسلم: ١٧٨/٥ ح ١٧٩١، مسند أحمد: ٣١/١، صحيح البخاري: ٢٢٧/٣، سنن ابن ماجه: ١١٤٧/٢، سنن أبي داود: ٣٨٠/٢، سنن التّرمذي: ٢٩٤/٤.

(٢) أُنظر، الدُّعاء السّابع والثّلاثون.

(٣) أُنظر، نهج البلاغة: ٥٨/٣، ٱلْكِتَاب (٣٣)، شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ١٣٨/١٦، نهج السّعادة: ٢٩٦/٥.

(٤) التّحريم: ٨.

فَمَا عُذْرُ مَنْ أَغْفَلَ دُخُولَ ذٰلِكَ الْمَنْزِلِ بَعْدَ فَتْحِ الْبَابِ، وَإِقَامَةِ الدَّلِيلِ.

(أَنْتَ الَّذِيْ فَتَحْتَ لِعِبَادِكَ بَاباً...) يدعو سبحانه إلىٰ رَحْمَته، ومغفرته كلّ طالب وراغب، بل ويدعو من كفر، وأدبر (وَجَعَلْتَ عَلَىٰ ذٰلِكَ البَابِ دَلِيلاً...) إعلاناً من السّماء لا من المحتكرين، والمستغلين، بأنّ ﭐللَّه يُحِبُّ ﭐلتَّوَّابِينَ، ويُحِبُّ ﭐلْمُتَطَهِّرِينَ، فهلموا إلىٰ أبوابه، وثوابه، وتَقَدَّمَ في الدُّعاء الثّاني عشر، والسّادس عشر، وهما في التَّوْبَة خاصة، وأيضاً سبق الحديث عنها في غيرهما من الفصول ﴿تُوبُوا إِلَىٰ ٱللَّه - إلىٰ - عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] (فَمَا عُذْرُ مَنْ أَغْفَلَ...)، أبداً ما ترك سبحانه عذراً لمُعتذر.

وَأَنْتَ الَّذِي زِدْتَ فِي السَّوْمِ عَلَىٰ نَفْسِكَ لِعِبَادِكَ، تُرِيدُ رِبْحَهُمْ فِي مُتَاجَرَتِهِمْ لَكَ، وَفَوْزَهُمْ بِالْوِفَادَةِ عَلَيْكَ، وَالزِّيَادَةِ مِنْكَ؛ فَقُلْتَ تَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَيْتَ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾[2]، وَقُلْتَ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾[3]، وَقُلْتَ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾[4]؛ وَمَا أَنْزَلْتَ مِنْ نَظَائِرِهِنَّ فِي الْقُرْآنِ مِنْ تَضَاعِيفِ الْحَسَنَاتِ.

---

(١) التّحريم: ٨.
(٢) الأنعام: ١٦٠.
(٣) ٱلبَقَرَة: ٢٦١.
(٤) ٱلبَقَرَة: ٢٤٥.

في نهج البلاغة: «أيّها النّاس، إنّما أنتم في هَذِهِ الدُّنْيَا غرض تنتضل فيه المنايا مع كلّ جرعة شرق، وفي كلّ أكلة غصص...»[١] إنّ ٱللّٰه سبحانه يتجلىٰ لعباده في كتابه ومثله عن الإمام الصّادق، ولكن لكتاب ٱللّٰه أسرار، وأهداف لا يعلمها إلا ٱلّذين يعرفون ٱللّٰه، ويقدرونه حقّ قَدْرِهِ كالنبي، وَآلِهِ ﷺ. وفي هذا الدُّعاء يكشف الإمام بأسلوب المناجاة عن بعض هَذِهِ الأسرار، ونعني بها بعض وسائل الإقناع ٱلّتي ٱستخدمها سبحانه، وخاطب بها العباد لجذبهم إليه، وٱستمالتهم إلىٰ دينه، وشريعته، والتّخلي عن سائر الأديان، والمعتقدات الزّائفة الباطلة. وإليك الشّرح، والتّفسير لما كشف عنه الإمام في هذا الدُّعاء:

التّجارة الرّابحة

(وَأَنْتَ ٱلَّذِي زِدْتَ فِي السَّوْمِ...) الخطاب مع ٱللّٰه سبحانه، والسّوم من البائع عرض السّلعة مع تحديد الّثمن، ومن المشتري طَلَب الشّراء بما يريد من الّثمن، ومعنىٰ هَذِهِ الكلمات المُشرقة بجملتها أنّ ٱللّٰه يطلب من عِبَادِهِ أنْ يؤمنوا به، ويعملوا بدينه، وشريعته، كما يطلب التّاجر من النّاس أنْ يشتروا ما لديه من سلعةٍ، ومتاع. وأيضاً التّاجر يستميل المستهلك بالإعلام، والدّعاية، وٱللّٰه سبحانه ينشر دعوته، ويتصدىٰ لأعدائها، بالحكمة، والموعظة ٱلْحَسَنَة كما في الآية: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٢]، وقال سبحانه لموسىٰ، وهارون حين أرسلهما إلىٰ فروعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[٣]. وفي الخطاب ٱلّذي وجه إلىٰ رَسُول ٱللّٰه محمّد ﷺ، كما جاء

---

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٢/٢٨ و: ٤/٤٤، شرح نهج البلاغة: ٩/٩١، كشف الغمة: ١/١٧١، بحار الأنوار: ٧٥/٤.

(٢) النّحل: ١٢٥.

(٣) طه: ٤٤.

في الآية: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾[١]. وسماحة الخُلق عند ٱلرَّسُولﷺ هي بذاتها أبلغ أثراً من كلّ إعلام، ودعاية، وبها ملك قلوب النّاس، ودخلوا في دين ٱللَّه أفواجاً بشهادة العناية الإلهية: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٢] حيث ربط سبحانه إقبال النّاس عَلَيْهِ، وهدايتهم بِهِ بخُلقه ٱلْكَرِيمِ العظيم. ٱقرأ في الدُّعاء السّادس فقرة (الشّخصية اللامعة الجذابة). وفي الدُّعاء الثّاني (طبيعة الدعوة، وشخصية الداعي)، وفي الدُّعاء الثّاني والأربعين (شخصية مُحمّد). وأيضاً يأتي إنْ شاء ٱللَّه.

أجل، إنّ ٱللَّه سبحانه يدعو النّاس إليه، ويساوم كالتاجر، ولكن مع الفروق الّتي تنطوي عليها هَٰذِهِ المُناجاة، وهي:

١ ـ إنّ ٱللَّه سبحانه يُعطي كلّ شيء، ولا يأخذ من أحد شيئاً؛ لأنّه لا يحتاج إلىٰ شيء، والتّاجر لا يُعطي حتّىٰ يأخذ.

٢ ـ إنّ ٱللَّه يُعطي بٱستمرار، وكلّ الخلائق يعجزون عن ذٰلِكَ.

٣ ـ إنّ التّاجر يُعطي الفانيات، وٱللَّه يُعطي الباقيات ٱلصَّالِحَات.

٤ ـ إنّ الهدف الأوّل، والنّهائي للتاجر من تجارته هو الرّبح الشّخصي، والمنفعة الخاصة، وفيها يجد الغبطة، والسّعادة، أمّا ربح التّجارة مع ٱللَّه سبحانه فهو بالكامل للمشتري، ولا شيء منه للبائع. وهذا ما أراده الإمام بقوله: «تُرِيدُ رِبْحَهُمْ فِي مُتَاجَرَتِهِمْ لَكَ، وَفَوْزَهُمْ بِالْوِفَادَةِ عَلَيْكَ، وَالزِّيادَةِ مِنْكَ»، حتّىٰ الدُّعاة إليه تعالىٰ، وحَمَلَة رسالته يعطون، ولا يأخذون: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾[٣].

---

(١) الأنعام: ١٤٧.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

(٣) الفرقان: ٥٧.

٥ ـ إنّ التّاجر يُعطي بمقدار ما يأخذ من المال، واللّه سبحانه يُعطي على ٱلحَسَنَة الواحدة أضعافاً تزيد إلىٰ عشرة أمثال، أو إلىٰ سبعمئة، أو إلىٰ ما لا يبلغه الإحصاء وفقاً لنوايا المحسن، وصفاته، ومقاصده.

وَأَنْتَ الَّذِي دَلَلْتَهُمْ بِقَوْلِكَ مِنْ غَيْبِكَ، وَتَرْغِيبِكَ الَّذِي فِيهِ حَظُّهُمْ عَلَىٰ مَا لَوْ سَتَرْتَهُ عَنْهُمْ لَمْ تُدْرِكْهُ أَبْصَارُهُمْ، وَلَمْ تَعِهِ أَسْمَاعُهُمْ، وَلَمْ تَلْحَقْهُ أَوْهَامُهُمْ؛ فَقُلْتَ: ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾(١)، وَقُلْتَ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾(٢)، وَقُلْتَ: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(٣).

فَسَمَّيْتَ دُعَاءَكَ عِبَادَةً، وَتَرْكَهُ اسْتِكْبَاراً؛ وَتَوَعَّدْتَ عَلَىٰ تَرْكِهِ دُخُولَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ؛ فَذَكَرُوكَ بِمَنِّكَ، وَشَكَرُوكَ بِفَضْلِكَ، وَدَعَوْكَ بِأَمْرِكَ، وَتَصَدَّقُوا لَكَ طَلَباً لِمَزِيدِكَ، وَفِيهَا كَانَتْ نَجَاتُهُمْ مِنْ غَضَبِكَ، وَفَوْزُهُمْ بِرِضَاكَ.

القُرْآن، ومصادر المعرفة

(وَأَنْتَ الَّذِي دَلَلْتَهُمْ بِقَوْلِكَ مِنْ غَيْبِكَ...) قال الماديون: لا طريق للمعرفة إلاّ الحواس، والتّجربة. والقُرْآن يقر، ويعترف بهذا المصدر، قال في الآية: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ

---

(١) ٱلبَقَرَة: ١٥٢.

(٢) إبراهيم: ٧.

(٣) غافر: ٦٠.

بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾(١) وأيضاً قال في الآية: ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾(٢)، ومعنىٰ هذا بوضوح أنّ الحواس من مصدر المعرفة، ولكنها ليست أقواها، ولا أشملها، بل هناك مصدران آخران وهما: العقل، والوحي، وقد جمع سبحانه المصادر الثّلاثة في الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾(٣). فالعلم إشارة إلىٰ الحواس، والتّجربة، والهُدىٰ إلىٰ العقل، والْكِتَاب المنير إلىٰ الوحي من ٱللّه الّـذي خَلَق الحواس، والعقل(٤).

وقد أشار الإمام ﷺ في دعائه هنا إلىٰ المصادر الثّلاثة، فكلمة (مِنْ غَـيْبِكَ) تومىء إلىٰ الوحي، وقوله: (لَمْ تُدْرِكْهُ أَبْصَارُهُمْ، وَلَمْ تَعِـهِ أَسْمَاعُهُمْ) صريح فـي الحواس، والمُراد بالأوهام في قوله:(وَلَمْ تَلْحَقْـهُ أَوْهَـامُهُمْ) العـقول (اذْكُـرُونِي أَذْكُرْكُمْ) أطيعوني: أثيبكم (وَاشْكُرُوا لِيْ وَلاَ تَكْفُرُونِ): آذكروا نعمتي الّتي أنعمت عليكم بالحمد، والطّاعة، وأعمال الْخَيْر، ولا تجحدوها بالعصيان، والّتمرد (لَـئِنْ شَكَـرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ، وَلَئِنْ كَفَـرْتُمْ إِنَّ عَذابِيْ لَشَدِيدٌ) هذا نصّ الآية(٥)، ومعناها من شكر نعمة ٱللّه زاده أضعافاً، ومن جحدها فجزاؤه جَهَنّم وبئس المهاد.

(ادْعُونِيْ أَسْتَجِبْ لَكُمْ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَـهَنَّمَ دَاخِرِينَ) أيضاً نصّ الآية(٦)، وداخرين: صاغرين، وقال كثير من المفسرين(٧): إنّ

---

(١) الأعراف: ١٧٩.

(٢) السّجدة: ٢٧.

(٣) الْحَجّ: ٨.

(٤) أُنظر، تفسير الميزان: ٤٨/١ و ٨٨ و ٣٦٩، نظرات في الكـتب الخـالدة: ٧٠، شـرح أُصـول الكافي: ٢٥٣/٣، نحو إنقاذ التّأريخ الإسلامي، حسن بن فرحان المالكي: ٣٠٣.

(٥) إبراهيم: ٨.

(٦) غافر: ٦٠.

المُراد بأدعوني أعبدوني، وباسْتَجِبْ أثب، ونحن علىٰ هذا الرّأي حيث قال سبحانه بلا فاصل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(٨) ولم يقل عن دعائي. هذا ما قلناه في التّفسير الكاشف قبل أنْ نقرأ في الصّحيفة السّجاديّة قول الإمام ﷺ: (فَسَمَّيْتَ دُعَاءَكَ عِبَادَةً) ومعنىٰ هذا أنّ المُراد بالعبادة في هَذِهِ الآية الدُّعاء، وليس المُراد بالدُّعاء العبادة كما قلنا تبعاً للمفسرين.

(فَذَكَرُوكَ بِمَنِّكَ) إنّ عبادك يا إلهي ذكروك بالطاعة، والتّعظيم ليفوزوا بجنات النّعيم، وأنْتَ أرشدتهم، وهديتهم إلىٰ هَذِهِ السّبيل، بقولك: اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ، (وَشَكَرُوكَ بِفَضْلِكَ) وأيضاً أنْتَ طلبت منهم أنْ يشكروا نعمتك لتزيدهم أضعافاً حيث قلت: لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكمْ، (وَدَعَوْكَ بِأَمْرِكَ) إذ قلت: ادْعُونِيْ أَسْتَجِبْ لَكُمْ، (وَتَصَدَّقُوا لَكَ) أي لوجهك ٱلْكَرِيمِ (طَلَباً لِمَزِيدِكَ) وطمعاً بما وعدت به المتصدقين بأنّ الدّرهم الواحد في سبيل ٱللّٰه كمثل حبّة أنبتت سبع سنابل في كلّ سُنبلة مئة حبّة (وَفِيهَا) أي، وبسبب هَذِهِ الأعمال ٱلصَّالِحَات من الذّكر، والشُّكر، والدُّعاء، والصّدقة نجوا من الجحيم، وفازوا بالنعيم.

وَلَوْ دَلَّ مَخْلُوقٌ مَخْلُوقاً... مِنْ نَفْسِهِ... عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِيْ دَلَلْتَ عَلَيْهِ عِبَادَكَ مِنْكَ... كَانَ مَوْصُوفاً بِالإحْسَان، وَمَنْعُوتاً بِالامْتِنَانِ، أَوْ بِالإمْتِنَانِ، ومحمُوداً بكلِّ لِسَانٍ.

فَلَكَ الْحَمْدُ مَا وُجِدَ فِي حَمْدِكَ مَذْهَبٌ، وَمَا بَقِيَ لِلْحَمْدِ لَفْظٌ تُحْمَدُ بِهِ، وَمَعْنىً يَنْصَرِفُ إلَيْهِ.

يَا مَنْ تَحَمَّدَ إلَىٰ عِبَادِهِ بِالإحْسَانِ، وَالْفَضْلِ، وَغَمَرَهُمْ بِالْمَنِّ،

---

(٧) أُنظر، تفسير الثّعالبي: ٥/١٢٠، تفسير التّبيان: ٣٣٢/٣.

(٨) غافر: ٦٠.

وَالطَّوْلِ، مَا أَفْشَىٰ فِيْنَا نِعْمَتَكَ، وَأَسْبَغَ عَلَيْنَا مِنَّتَكَ، وَأَخَصَّنَا بِبِرِّكَ!، هَدَيْتَنَا لِدِيْنِكَ الَّـذِي اصْطَفَيْتَ، وَمِلَّتِـكَ الَّتِي ارْتَضَيْتَ، وَسَـبِيلِكَ الَّذِي سَهَّلْتَ، وَبَصَّرْتَنَا الزُّلْفَةَ لَدَيْكَ، وَالوُصُولَ إِلَىٰ كَـرَامَتِكَ.

(وَلَوْ دَلَّ مَخْلُوقٌ مَخْلُوقاً... مِنْ نَفْسِهِ... عَلَىٰ مِثْلِ الَّذِيْ دَلَلْتَ عَلَيْهِ...) أي لو أنّ عبداً من عباد ٱللّٰه ٱدعىٰ دعوة، وأقام عليها حجّة من حجج ٱللّٰـه سـبحانه لصدقناه حامدين مع العلم، والْيَقِين أنّه فعل ما فعل بعنايته تعالىٰ، وتوفيقه، ولو قطع عنه العون لم يجد السّبيل إلىٰ شيء، فـبالأولىٰ أنْ نشكـر٢، ونـحمد مـن سـبّب الأسباب بقدرته (فَلَكَ الْحَمْدُ مَا وُجِدَ فِي حَمْدِكَ مَذْهَبٌ): مسلك، والمعنىٰ نحمدك ما دمنا قادرين علىٰ الحَمْد (وَمَا بَقِيَ لِلْحَمْدِ لَفْظ...) أي مدىٰ الدّهر. وتَقَدَّمَ في الدُّعاء الأوّل فقرة الحَمْدُ.

(يَـا مَنْ تَحَمَّدَ إِلَىٰ عِبَـادِهِ...) طَلَب منهم أنْ يحمدوه علىٰ الإحسان، والنّعِم الجسام، وقد تَقَدَّمَ[١]. (وَغَمَرَهُمْ بِالْمَنِّ، وَالطَّوْلِ...): الفضل، والعطاء، والمـعنىٰ خصّ عِبَادِه بنعم لا تُحصىٰ. وقد تَقَدَّمَ[٢]. (هَدَيْتَنَا لِدِيْنِكَ الَّـذِي اصْطَفَيْتَ) الإِسْلاَم هو دين الْحَقّ الَّذِي أصطفاه سبحانه، وأرتضاه لعباده لا شيء إلاّ لأنّه دين الحبّ، والإستقامة، وَالتّعَاون، والتّسـامح لا دين التّناحر، والتّفاخر (وَبَصَّرْتَنَا الزُّلْفَةَ لَدَيْكَ، وَالوُصُولَ إِلَىٰ كَـرَامَتِكَ) الزُّلفة بضم الزّاي: القُربة، والدّرجـة، والمـعنىٰ أرشـدنا سبحانه إلىٰ سواء السّبيل، ولا يعمىٰ عنه إلاّ أعمىٰ. وقد تَقَدَّمَ فـي هـذا الدُّعـاء، وغيره.

---

(١) أُنظر، الدُّعاء الثّاني عشر.

(٢) أُنظر، الدُّعاء السّادس والثّلاثون.

أَللَّهُمَّ، وَأَنْتَ جَعَلْتَ مِنْ صَفَايَا تِلْكَ الْوَظَائِفِ، وَخَصَائِصِ تِلْكَ الْفُرُوضِ... شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي اخْتَصَصْتَهُ مِنْ سَائِرِ الشُّهُورِ، وَتَخَيَّرْتَهُ مِن جَمِيعِ الأَزْمِنَةِ، وَالدُّهُورِ، وَآثَرْتَهُ عَلَىٰ كُلِّ أَوْقَاتِ السَّنَةِ بِمَا أَنْزَلْتَ فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ، وَالنُّورِ، وَضَاعَفْتَ فِيهِ مِنَ الإِيْمَانِ، وَفَرَضْتَ فِيْهِ مِنَ الصِّيَامِ، وَرَغَّبْتَ فِيهِ مِنَ الْقِيَامِ، وَأَجْلَلْتَ فِيهِ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ.

ثُمَّ آثَرْتَنَا بِهِ عَلَىٰ سَائِرِ الأُمَمِ، وَاصْطَفَيْتَنَا بِفَضْلِهِ دُوْنَ أَهْلِ الْمِلَلِ.

(وَأَنْتَ جَعَلْتَ مِنْ صَفَايَا): جمع الصّفي بمعنىٰ الخالص من الشّوائب (الْوَظَائِفِ): جمع وظيفة هي ما يُعيّن من عملٍ، أو رزقٍ، وغير ذلِكَ (وَخَصَائِصِ تِلْكَ الْفُرُوضِ شَهْرَ رَمَضَانَ...) الخصائص: الصّفات الخاصة بالشيء دون سواه، والفروض: جمع فرض بمعنىٰ المفروض، وشَهْر مفعول جعلت، والمعنىٰ إنّك يا إلهي جعلت شَهْر رَمَضَان بفضائله، وأعماله صفوة الشّهور، وأفْضَل الأوقات (وَضَاعَفْتَ فِيهِ مِنَ الإِيْمَانِ) المُراد بمضاعفة الإيْمَان قوته، ورجحانه. وما من شك أنّ الصّبَر علىٰ الصّيام يدل علىٰ صدق العقيدة، ورسوخها (وَفَرَضْتَ فِيْهِ مِنَ الصِّيَامِ...) واضح، وقد تَقَدَّمَ[1]. (ثُمَّ آثَرْتَنَا): أكرمتنا بِهِ، وفضلتنا (عَلَىٰ سَائِرِ الأُمَمِ) وتسأل: كان الصّيام قبل الإسْلاَم بنصّ الآية: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[2]، وعَلَيْهِ فلا إيثار، وأختيار؟. الجواب: المُراد بالإيثار ظرف الصّوم لا الصّوم بالذات.

(١) أُنظر، الدُّعاء الرّابع والأربعون.

(٢) ٱلْبَقَرَة: ١٨٣.

فَصُمْنَا بِأَمْرِكَ نَهَارَهُ، وَقُمْنَا بِعَوْنِكَ لَيْلَهُ؛ مُتَعَرِّضِينَ بِصِيَامِهِ، وَقِيَامِهِ لِمَا عَرَّضْتَنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِكَ، وَتَسَبَّبْنَا إِلَيْهِ مِنْ مَثُوبَتِكَ.

وَأَنْتَ الْمَلِيءُ بِمَا رُغِبَ فِيهِ إِلَيْكَ، الْجَوَادُ بِمَا سُئِلْتَ مِنْ فَضْلِكَ، الْقَرِيبُ إِلَىٰ مَنْ حَاوَلَ قُرْبَكَ.

وَقَدْ أَقَامَ فِينَا هَذَا الشَّهْرُ مَقَامَ حَمْدٍ، وَصَحِبَنَا صُحْبَةَ مَبْرُورٍ، وَأَرْبَحَنَا أَفْضَلَ أَرْبَاحِ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ قَدْ فَارَقَنَا عِنْدَ تَمَامِ وَقْتِهِ، وَانْقِطَاعِ مُدَّتِهِ، وَوَفَاءِ عَدَدِهِ.

فَنَحْنُ مُوَدِّعُوهُ وِدَاعَ مَنْ عَزَّ فِرَاقُهُ عَلَيْنَا، وَغَمَّنَا، وَأَوْحَشَنَا انْصِرَافُهُ عَنَّا؛ وَلَزِمَنَا لَهُ الذِّمَامُ الْمَحْفُوظُ، وَالْحُرْمَةُ الْمَرْعِيَّةُ، وَالْحَقُّ الْمَقْضِيُّ.

(فَصُمْنَا بِأَمْرِكَ...) قمنا بواجب شَهْر رَمَضَان ليلاً، ونهاراً (مُتَعَرِّضِينَ بِصِيَامِهِ وَقِيَامِهِ...) الهدف الأساس من أعمال الْخَير في هذا الشَّهر المُبارك أنْ تنشر علينا من رَحْمَتِك، تمن بثوابك (وَأَنْتَ الْمَلِيءُ...) عملنا في شَهْرك لوجهك ٱلْكَرِيمِ راغبين في فضلك، وأنْتَ الغني الحميد، وٱلْكَرِيمِ المجيد (وَقَدْ أَقَامَ فِينَا هَذَا الشَّهْرُ مَقَامَ حَمْدٍ) ودعنا شَهْر رَمَضَان، وهو شاكر حامد جهادنا فيه ليل نهار (وَصَحِبَنَا صُحْبَةَ مَبْرُورٍ) أحسنا صحبته، وأكرمنا وفادته (وَأَرْبَحَنَا أَفْضَلَ أَرْبَاحِ الْعَالَمِينَ) ربحنا الكثير بوجود رَمَضَان.

(ثُمَّ قَدْ فَارَقَنَا...) آرتحل عنا بأيامه، وما كان أسرعها، وأعجلها! وهكذا الحياة كلّها لحظات (فَنَحْنُ مُوَدِّعُوهُ...) آسفين، مستوحشين (الذِّمَامُ) والحرمة، والحرام كلمات متشابكة، متقاربة.

فَنَحْنُ قَائِلُونَ:

السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ اللهِ الأَكْبَرَ، وَيَا عِيْدَ أَوْلِيَائِهِ. السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا أَكْرَمَ مَصْحُوبٍ مِنَ الأَوْقَاتِ، وَيَا خَيْرَ شَهْرٍ فِي الأَيَّامِ، وَالسَّاعَاتِ.

السَّلاَمُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ قَرُبَتْ فِيهِ الآمالُ، وَنُشِرَتْ فِيهِ الأَعْمَالُ. السَّلاَمُ عَلَيْكَ مِنْ قَرِينٍ جَلَّ قَدْرُهُ مَوْجُوداً، وَأَفْجَعَ فَقْدُهُ مَفْقُوداً، وَمَرْجُوٌّ آلَمَ فِرَاقُهُ.

السَّلاَمُ عَلَيْكَ مِنْ أَلِيفٍ آنَسَ مُقْبِلاً فَسَرَّ، وَأَوْحَشَ مُنْقَضِياً فَمَضَّ. السَّلاَمُ عَلَيْكَ مِنْ مُجَاوِرٍ رَقَّتْ فِيهِ الْقُلُوبُ، وَقَلَّتْ فِيهِ الذُّنُوبُ. السَّلاَمُ عَلَيْكَ مِنْ نَاصِرٍ أَعَانَ عَلَى الشَّيْطَانِ، وَصَاحِبٍ سَهَّلَ سُبُلَ الإِحْسَانِ.

أَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ مَا أَكْثَرَ عُتَقَاءَ اللهِ فِيكَ، وَمَا أَسْعَدَ مَنْ رَعَىٰ حُرْمَتَكَ بِكَ!. أَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ مَا كَانَ أَمْحَاكَ لِلذُّنُوبِ، وَأَسْتَرَكَ لِأَنْوَاعِ الْعُيُوبِ!؛ أَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ مَا كَانَ أَطْوَلَكَ عَلَى الْمُجْرِمِينَ، وَأَهْيَبَكَ فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ!.

أَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ لاَ تُنَافِسُهُ الأَيَّامُ. أَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ هُوَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلاَمٌ. أَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ غَيْرَ كَرِيهِ الْمُصَاحَبَةِ، وَلاَ ذَمِيمِ الْمُلاَبَسَةِ. أَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ كَمَا وَفَدْتَ عَلَيْنَا بِالْبَرَكَاتِ، وَغَسَلْتَ عَنَّا دَنَسَ الْخَطِيئَاتِ. أَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ غَيْرَ مُوَدَّعٍ بَرَماً، وَلاَ مَتْرُوكٍ صِيَامُهُ سَأَماً.

أَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ مِنْ مَطْلُوبٍ قَبْلَ وَقْتِهِ، وَمَحْزُونٍ عَلَيْهِ قَبْلَ فَوْتِهِ.

أَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ كَمْ مِنْ سُوءٍ صُرِفَ بِكَ عَنَّا، وَكَمْ مِنْ خَيْرٍ أُفِيضَ بِكَ عَلَيْنَا. أَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ لَيْلَةِ الْقَدْرِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ.

أَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ ما كَانَ أَحْرَصَنَا بِالأَمْسِ عَلَيْكَ، وَأَشَدَّ شَوْقَنَا غَداً إِلَيْكَ. أَلسَلاَمُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ فَضْلِكَ الَّذِي حُرِمْنَاهُ!، وَعَلَىٰ مَاضٍ مِنْ بَرَكَاتِكَ سُلِبْنَاهُ.

هذا الجزء من الدُّعاء لا يحتاج إلىٰ تفسير؛ لأنّه مجرد تحية للشهر المبارك، والثّناء عَلَيْهِ بما أهله، وتعداد ماله من جليل الصّفات مع التّوجع، والأسف علىٰ فراقه. لذا نوجز، ولا نطيل.

(فَنَحْنُ قَائِلُونَ: أَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ اللهِ الأَكْبَرَ) بنزول الْقُرآن فيه من دون الشّهور: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[1] (وَيَا عِيدَ أَوْلِيَائِهِ) أَهْل ٱللَّه يُعيّدون، ويفرحون بشهر ٱللَّه الأكبر؛ لأنّه ذكرىٰ للذاكرين (يَـا أَكْرَمَ مَصْحُـوبٍ...) لأنّه ينادي: هلموا إليَّ، وٱغتنموا هَذِهِ الفرصة: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2] (مِنْ شَهْرٍ قَرُبَتْ فِيهِ الآمالُ) بذهاب السّيّئات، ومجيء الْحَسَنَات (وَنُشِرَتْ فِيهِ الأَعْمَالُ) في صُحفها، حيث تُعلن يَوْم الْقِيَامَة علىٰ رؤوس الأشهاد؛ إنْ خيراً فخير، وإنْ شرّاً فشر، قال سبحانه في سورة التّكوير: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾[3].

---

(١) ٱلْبَقَرَة: ١٨٥.

(٢) النّور: ٢٢.

(٣) التّكوير: ١٠ ـ ١٤.

(مِنْ قَرِينٍ جَلَّ قَدْرُهُ مَوْجُوداً) رَمَضَان رفيع الشَّأن، جليل القدر؛ لأنّ ٱللَّه هو ٱلَّذِي قدّسه، وعظّمه، فمن قام بواجبه فقد قدّر ٱللَّه حقّ قدْره، ووفىٰ بعهده، والمقصر هو الخاسر (وَأَفْجَعَ فَقْدُهُ مَفْقُوداً) أحدث ذهابه فراغاً لا يسده شيء (وَمَرْجُوٍّ آلَمَ فِرَاقُهُ) أي والسّلام عَلَيْكَ من مرجوٍ، والمعنىٰ تألم لفراقك يا شَهْر رَمَضَان كلّ مَن يرجو لقاء ربه، ويعمل لرحمته، ومغفرته (مِنْ نَاصِرٍ أَعَانَ عَلَىٰ الشَّيْطَانِ) رَمَضَان من أعدىٰ أعداء الشَّيْطَان؛ لأنّ كلّ صائم يلعنه، ويأمر بمعصيته بلسان المقال، أو الحال (وَصَاحِبٍ سَهَّلَ سُبُلَ الإِحْسَانِ) والشّاهد علىٰ ذٰلِكَ كثرة البذل، والإنفاق في سبيل الْخَيْر، وإقبال الصّائمين علىٰ المعابد، والمساجد، وختاماً زكاة الفطر.

(مَا أَكْثَرَ عُتَقَاءَ اللهِ فِيكَ) من ٱلنَّار، وفي ذٰلِكَ الكثير من الأخبار (مَا كَانَ أَطْوَلَكَ عَلَىٰ الْمجْرِمِينَ) رَمَضَان يرحب به المتقون، ويألمون لفراقه، علىٰ عكس ٱلفَاسِقِينَ، يتبرمون، ويفرحون بذهابه، لأنّه النَّطاسي[1] ٱلَّذِي يستأصل الأهواء، والشّهوات الشّريرة، ويأبىٰ المجرمون إلا الهوىٰ، والضّلال (لاَ تُنَافِسُهُ الأَيَّامُ) لا تعارضه، ولا تباريه أجراً، وذخراً (مِنْ شَهْرٍ هُوَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلاَمٌ) من عمل بموجب شَهْر رَمَضَان فهو في أمنٍ، وأمان من غضب ٱللَّه، وعذابه، يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، (غَيْرَ كَرِيهِ الْمُصَاحَبَةِ ...) تكرار لقوله قبل لحظة: وَصَاحِبٍ سَهَّلَ سُبُلَ الإِحْسَانِ (غَيْرَ مُوَدَّعٍ بَرَماً ...) ومللاً من وجودك، بل حزناً، وأسفاً علىٰ فراقك. أيضاً تَقَدَّمَ قبل قليل.

(كَمْ مِنْ سُوءٍ صُرِفَ ...) وجودك أنزل علينا الْخَيْرات، والبركات، ودَفَع عنا الأسواء، والآفات (وَعَلَىٰ فَضْلِكَ ٱلَّذِي حُرِمْنَاهُ ...) بذهابك يا شَهْر رَمَضَان فاتنا

(١) النَّطاسي: هو الطّبيب الحاذق، العالم. أُنظر، لسان العرب: ١٥/٤٣٦.

الكثير من رَحْمَة اللّه، وفضله. وقد تَقدَّمَ هذا المعنىٰ.

أَللَّهُمَّ إِنَّا أَهْلُ هَذَا الشَّهْرِ الَّذِي شَرَّفْتَنَا بِهِ، وَوَفقتَنَا بِمَنِّكَ لَهُ حِينَ جَهِلَ الأَشْقِيَاءُ وَقْتَهُ، وَحُرِمُوا لِشَقَائِهِم فَضْلَهُ، أَنْتَ وَلِيُّ مَا اٰثَرْتَنَا بِهِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ، وَهَدَيْتَنَا مِنْ سُنَّتِهِ، وَقَدْ تَوَلَّيْنَا بِتَوْفِيقِكَ صِيَامَهُ، وَقِيَامَهُ عَلَىٰ تَقْصِيرٍ، وَأَدَّيْنَا فِيهِ قَلِيلاً مِنْ كَثِيرٍ.

أَللَّهُمَّ فَلَكَ الْحمدُ إِقْرَاراً بِالإِسَاءَةِ، وَاعْتِرَافاً بِالإِضَاعَةِ، وَلَك مِنْ قُلُوبِنَا عَقْدُ النَّدَمِ، وَمِنْ أَلْسِنَتِنَا صِدْقُ الاعْتِذَارِ؛ فَأْجُرْنَا عَلَىٰ مَا أَصَابَنَا فِيهِ مِنَ التَّفْرِيطِ... أَجْراً نَسْتَدْرِكُ بِهِ الْفَضْلَ الْمَرْغُوبَ فِيهِ، وَنَعْتَاضُ بِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الذُّخْرِ الْمَحْرُوصِ عَلَيْهِ.

وَأَوْجِبْ لَنَا عُذْرَكَ عَلَىٰ مَا قَصَّرْنَا فِيهِ مِنْ حَقِّكَ، وَابْلُغْ بِأَعْمَارِنَا مَا بَيْنَ أَيْدِينَا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُقْبِلِ، فَإِذَا بَلَّغْتَنَاهُ فَأَعِنَّا عَلَىٰ تَنَاوُلِ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ مِنَ الْعِبَادَةِ، وَأَدِّنَا إِلَىٰ الْقِيَامِ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَأَجْرِ لنا مِنْ صَالِحِ العَمَلِ مَا يَكون دَرَكاً لِحَقِّكَ فِي الشَّهْرَيْنِ مِنْ شُهُورِ الدَّهْرِ.

(أَللَّهُمَّ إِنَّا أَهْلُ هَذَا الشَّهْرِ...) أي العاملون بموجبه (حِينَ جَهِلَ الأَشْقِيَاءُ...) في الحديث: «من علامات الشّقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وشدة الحِرص في طالب الدُّنْيا، والإصرار علىٰ الذّنب»[1]. وقال الإمام أمير الْمُؤْمِنِين ﷺ: «الشّقي من انخدع لهواه»[2]... «وأشقىٰ النّاس من باع دينه لدنياه»[3]. (أَنْتَ وَلِيُّ مَا اٰثَرْتَنَا بِهِ

(١) أُنظر، الكافي: ٢/٢٩٠ ح ٦، شرح أصول الكافي: ٩/٢٨٥، مجمع الزّوائد: ١٠/٢٢٦، وسائل الشّيعة: ١٥/٣٣٧، الخصال: ٢٤٣ ح ٩٦، تحف العقول: ٤٧.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ١/١٥٠، الخطبة (٨٦)، تحف العقول: ١٥١، بحار الأنوار: ٧٤/٢٩١.

مِنْ مَعْرِفَتِهِ...) أَنْتَ الهادي، والمعين علىٰ العلم بحقّ شَهْر رَمَضَان، والعمل به، والدّليل علىٰ إرادة هذا المعنىٰ قوله بلا فاصل: (وَقَدْ تَوَلَّيْنَا بِتَوْفِيقِكَ صِيَامَهُ، وَقِيَامَهُ عَلَىٰ تَقْصِيرٍ) أيّ كان علينا أنْ نجد، ونجتهد في طاعة ٱللّٰه تعالىٰ أكثر مما فعلنا. وكلّ نبي، وتقي يرىٰ نفسه مقصراً في القيام بحقّ الخالق الرّازق، قال سَيّد ٱلشُّهَدَاء ﵇ وهو يلفظ النّفس الأخير: «أَللّٰهُمَّ إنّي أدعوك محتاجاً، وأرغب إليك فقيراً، وأفزع إليك خائفاً»[1]. وكلّنا يعلم أنّ الحُسين ﵇ أعطىٰ ٱللّٰه كلّ شيء. ولا أحد يرىٰ أنّه قد أدىٰ حقوق ٱللّٰه بالكامل، إلا جهول ضال.

(اللّٰهُمَّ فَلَكَ الْحمدُ إِقْرَاراً بِالإِسَاءَةِ...) أي بِالتَّقْصِير. ومن أدعية أهْل ٱلْبَيْت﵈: «أَللّٰهُمَّ لا تخرجنا من التَّقْصِير»[2]، أي من الاِعْتِرَاف به، وعن الإمام الباقر ﵇: «أنّه قال - ياجابر - لبعض أصحابه: «لا أخرجك ٱللّٰه من النّقص، والتَّقْصِير»[3]، أي من أنْ ترىٰ النّقص، والتَّقْصِير في عملك، وطَاعَتِكَ لله (وَلَكَ مِنْ قُلُوبِنَا عَقْدُ النَّدَمِ): التَّوْبَة من التَّقْصِير (وَمِنْ أَلْسِنَتِنَا صِدْقُ الاعْتِذَارِ) بمطابقة القول للفعل، والواقع (فَأْجُرْنَا عَلَىٰ مَا أَصَابَنَا فِيهِ مِنَ التَّفْرِيطِ...) ضمير «فِيهِ» لشهر رَمَضَان، والمعنىٰ نحن يا إلهي معترفون بِالتَّقْصِير في طَاعَتِكَ، وفي حقّ شَهْر رَمَضَان، وقد فاتنا بذلك الكثير من ثوابك، فهل تعوضنا ثواباً حاضراً لا لشيء إلا

(٣) أُنظر، عيون الحكم والمواعظ: ١١٧، أمالي الصّدوق: ٤٧٨ ح ٤، أمالي الطّوسي: ٤٣٥، معاني الأخبار: ١٩٨.

(١) أُنظر، مصباح المتهجد: ٨٢٧، إقبال الأعمال: ٣/٣٠٤، بحار الأنوار: ١٠١/٣٤٧.

(٢) روي الحديث عن أبي الحَسن موسىٰ الكاظم﵇، بلفظ قال لبعض ولده: (يابني عَلَيْكَ بالجد، ولا تخرجن نفسك من حدّ التَّقْصِير في عِبَادَة ٱللّٰه عزّ وجلّ، وطاعته؛ فإنّ ٱللّٰه لا يعبد حق عبادته). أُنظر، توحيد الصّدوق: ٤٠٥، شرح أُصول الكافي: ٨/٢٣٢، السّرائر: ٣/٥٩١.

(٣) أُنظر، الكافي: ٢/٧٢ ح ٢، وسائل الشّيعة: ١/٧٢ ح ٤، بحار الأنوار: ٦٩/٢٣٥ ح ١٧.

لمجرد الاعْتِرَاف بالذّنب، والْخَطِيئة؟

(وَأَوْجِبْ لَنَا عُذْرَكَ...) أعذرنا على الإهمال. وفي نهج البلاغة: «العمر الَّذِي أعذر اللَّه فيه إلىٰ ابن ءَادَمَ ستون سَنَة»[1]، أي لا عذر بعد السّتين (وَابْلُغْ بِأَعْمَارِنَا مَا بَيْنَ أَيْدِيْنَا...) كلّ ما يستقبله الإنسان حتماً فهو بين يديه تماماً كالوضع الَّذِي هو عَلَيْهِ بالفعل، أو كان فيه بالأمس، ومن ذٰلِكَ قوله تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾[2]، والمعنىٰ أطل أعمارنا إلىٰ رَمَضَان المُقبل (فَإِذَا بَلَّغْتَنَاهُ فَأَعِنَّا...) علىٰ صيامه، وسائر واجباته، ومستحباته حتّىٰ تكون أعمالنا في شَهْر رَمَضَان المُقبل (دَرَكاً لِحَقِّكَ فِي الشَّهْرَيْنِ مِنْ شُهُورِ الدَّهْرِ) الدَّرك: البلوغ، والإدراك، والشّهران: رَمَضَان الماضي، والمُقبل، والمُراد بالدهر هنا مدة العمر، والمعنىٰ وفقنا في كلّ شَهْر، وكلّ يَوْم لأَنْ نعمل صالحاً يكون أستدراكاً لتقصيرنا في رَمَضَان مضىٰ، وآخر يأتي.

أَللَّهُمَّ وَمَا أَلْمَمْنَا بِهِ فِي شَهْرِنَا هَذَا مِنْ لَمَمٍ، أَوْ إِثْمٍ، أَوْ وَاقَعْنَا فِيهِ مِنْ ذَنْبٍ، وَاكْتَسَبْنَا فِيهِ مِنْ خَطِيئَةٍ عَلَىٰ تَعَمُّدٍ مِنَّا، أَوِ انْتَهَكْنَا بِهِ حُرْمَةً مِنْ غَيْرِنَا، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاسْتُرْنَا بِسِتْرِكَ، وَاعْفُ عَنَّا بِعَفْوِكَ، وَلاَ تَنْصِبْنَا فِيهِ لأَعْيُنِ الشَّامِتِينَ، وَلاَ تَبْسُطْ عَلَيْنَا فِيهِ أَلْسُنَ الطَّاغِينَ، وَاسْتَعْمِلْنَا بِمَا يَكُونُ حِطَّةً، وَكَفَّارَةً لِمَا أَنْكَرْتَ مِنَّا فِيهِ بِرَأْفَتِكَ الَّتِي لاَ تَنْفَدُ، وَفَضْلِكَ الَّذِي لاَ يَنْقُصُ.

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٧٧/٤، الحكمة (٣٢٦)، شرح أُصول الكافي: ٤٢/١٢، شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ٢٣٨/١٩، وسائل الشّيعة: ١٠١/١٦، عيون الحكم والمواعظ: ٥٩، بحار الأنوار: ١٢٠/٦.

(٢) الزّمر: ٦٨.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْبُرْ مُصِيبَتَنَا بِشَهْرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي يَوْمِ عِيدِنَا، وَفِطْرِنَا، وَاجْعَلْهُ مِنْ خَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْنَا، أَجْلَبِهِ لِعَفْوٍ، وَأَمْحَاهُ لِذَنْبٍ، وَاغْفِرْ لَنَا ما خَفِيَ مِنْ ذُنُوبِنَا، وَمَا عَلَنَ.

(أَللَّهُمَّ وَمَا أَلْمَمْنَا بِهِ فِي شَهْرِنَا هَذَا مِنْ لَمَمٍ...) أَلْمَمْنَا: باشرنا، واللّمم: الصّغائر من الذُّنوبِ، والإثمِ: يعمّ، ويشمل الكبائر، والصّغائر من الخطايا، والذُّنوبِ، والمعنىٰ آغفر لِي كلّ ذنب عملته، سترته، أو أعلنته. وقد تَقَدَّمَ[1]. (وَاسْتُرْنَا بِسِتْرِكَ...) لا تفضحنا بما فينا من عيوب، وذنوب. أيضاً تَقَدَّمَ في الدُّعاء الحادي والثّلاثين، وغيره (وَاسْتَعْمِلْنَا بِمَا يَكُونُ حِطَّةً وَكَفَّارَةً...) وفقنا لعمل الحسنات الّتي تُذهب السّيّئات. وقد تَقَدَّمَ[2]. (وَاجْبُرْ مُصِيبَتَنَا بِشَهْرِنَا) اجْعَلْ شهر رمضان شفاء لنا من كلّ داء (وَبَارِكْ فِي يَوْمِ عِيدِنَا...) لا عيد حقاً، وواقعاً لأحدٍ منّا علىٰ الإطلاق إلا نفس اليوم الّذِي نتوب فيه من كلّ ذنب لوجه ٱللّٰه تعالىٰ، ولا نعود إلىٰ معصيته في شيء. وفي نهج البلاغة: «وكلّ يَوْم لا يعصىٰ ٱللّٰه فيه فهو عِيد»[3].

أَللَّهُمَّ اسلَخْنَا بِانْسِلاَخِ هَذَا الشَّهْرِ مِنْ خَطَايَانَا، وَأَخْرِجْنَا بُخُرُوجِهِ مِنْ سَيِّئَاتِنَا، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَسْعَدِ أَهْلِهِ بِهِ، وَأَجْزَلِهِمْ قِسَماً فِيهِ، وَأَوْفَرِهِمْ حَظّاً مِنْهُ.

أَللَّهُمَّ وَمَنْ رَعَىٰ حَقَّ هَذَا الشَّهْرِ حَقَّ رِعَايَتِهِ، وَحَفِظَ حُرْمَتَهُ حَقَّ حِفْظِهَا، وَقَامَ بِحُدُودِهِ حَقَّ قِيَامِهَا، وَأتَّقَىٰ ذُنُوبَهُ حَقَّ تُقَاتِهَا، أَوْ تَقَرَّبَ

---

(١) أُنظر، الدُّعاء الحادي والثّلاثون، وغيره.

(٢) أُنظر، الدُّعاء الرّابع والعشرون، وغيره.

(٣) أُنظر، نهج البلاغة: ٤/١٠٠، الحكمة (٤٢٨)، نهج السّعادة: ٣/١٦١.

إِلَيْكَ بِقُرْبَةٍ، أَوْجَبْتَ رِضَاكَ لَهُ، وَعَطَفْتَ رَحْمَتَكَ عَلَيْهِ .....، فَهَبْ لَنَا مِثْلَهُ مِنْ وُجْدِكَ، وَأَعْطِنَا أَضْعَافَهُ مِنْ فَضْلِكَ، فَإِنَّ فَضْلَكَ لاَ يَغِيضُ، وَإِنَّ خَـزَائِنَكَ لاَ تَنْقُصُ، بَـلْ تَفِيضُ، وَإِنَّ مَعَـادِنَ إِحْسَانِكَ لاَ تَفْنَىٰ، وَإِنَّ عَطَاءَكَ لَلْعَطَآءُ الْمُهَنَّا.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْتُبْ لَنَا مِثْلَ أُجُورِ مَنْ صَـامَهُ، أَوْ تَعَبَّدَ لَكَ فِيْهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

(أَللَّهُمَّ اسلَخْنَا بِانْسِلاَخِ هَذَا الشَّهْرِ...) طهرنا في رَمَضَان مـن كـلّ رجس، ودَنس. وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء الرّابع والأربعين (وَاجْعَلْنَا...) بشهر رَمَضَان سعداء لا أشقياء (أَللَّهُمَّ وَمَنْ رَعَىٰ حَقَّ هَذَا الشَّهْرِ حَقَّ...) كلّ من اتقىٰ، وكَفّ عن معاصيك في هذا الشّهر المبارك، وقام بواجبه علىٰ أكمل وجه، وتقرب إليك فيه بالخيرات، والمستحبات، وكتبت له الأجر، والثّواب الجزيل ـ (فَهَبْ لَنَا مِثْلَهُ) من الأجر كمّاً، وكيفاً (مِنْ وُجْدِكَ): من غناك، وبكلام آخر ارفعنا في شَهْر رَمَـضَان إلىٰ مـراتب العاملين، ودرجات الصَّالِحِينَ. وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء السّابع عشـر (فَإِنَّ فَضْلَكَ، لاَ يَغِيضُ، وَإِنَّ خَـزَائِنَكَ لاَ تَنْقُصُ، بَـلْ تَفِيضُ....) خزائن رَحْمَته تعالىٰ لا حدّ لها، ولا نهاية تماماً كالذات القُدسية، والقُدرة الإلهية. وقد تَقَدَّمَ[1]. (لَلْعَطَآءُ الْـمُهَنَّا): السّائغ الَّذِي لا يكدره شيء (وَاكْتُبْ لَنَا مِثْلَ أُجُورِ مَنْ صَامَهُ، أَوْ تَعَبَّدَ لَكَ فِيْهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) ولا غرابة في ذٰلِكَ، فإنّ اللّٰه واسع كريم، يُعطي الكثير علىٰ صدق النّية بمجردها، وفي نهج البلاغة: «فإنّه مَن مات منكم علىٰ فراشه، وهو علىٰ معرفة حقّ ربّه، وحقّ رسوله، وَأَهْلِ بَيْتِهِ مات شهيداً، ووقع أجره علىٰ اللّٰه، واستوجب ثواب

(١) أنظر، الدُّعاء الخامس، والثّالث عشر.

ما نوىٰ من صالح عمله، وقامت النّية مقام إصلاته لسيفه»[١] في سبيل اللّه.

أَللّٰهُمَّ إِنَّا نَتُوبُ إِلَيْكَ فِي يَوْمِ فِطْرِنَا الَّذِي جَعَلْتَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ عِيداً، وَسُرُوراً، وَلأَهْلِ مِلَّتِكَ مَجْمَعاً، وَمُحْتَشداً... مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ أَذْنَبْنَاهُ، أَوْ سُوءٍ أَسْلَفْنَاهُ، أَوْ خَاطِرِ شَرٍّ أَضْمَرْنَاهُ...، تَوْبَةَ مَنْ لاَ يَنْطَوِيْ عَلَىٰ رُجُوعٍ إِلَىٰ ذَنْبٍ، وَلاَ يَعُودُ بَعْدَهَا فِي خَطِيئَةٍ، تَوْبَةً نَصوحاً خَلَصَتْ مِنَ الشَّكِّ، وَالارْتِيَابِ، فَتَقَبَّلْهَا مِنَّا، وَارْضَ عَنَّا، وَثَبِّتْنَا عَلَيْهَا.

أَللّٰهُمَّ ارْزُقْنَا خَوْفَ عِقَابِ الْوَعِيدِ، وَشَوْقَ ثَوَابِ الْمَوْعُودِ، حَتَّىٰ نَجِدَ لَذَّةَ مَا نَدْعُوكَ بِهِ، وكَآبَةَ مَا نَسْتَجِيْرُكَ مِنْهُ، وَاجْعَلْنَا عِنْدَكَ مِنَ التَّوَّابِيْنَ الَّذِينَ أَوْجَبْتَ لَهُمْ مَحَبَّتَكَ، وَقَبِلْتَ مِنْهُمْ مُرَاجَعَةَ طَاعَتِكَ؛ يَا أَعْدَلَ الْعَادِلِينَ.

(إِنَّا نَتُوبُ إِلَيْكَ) ضمير المتكلم هنا لا يراد به التّعظيم، لأنّ التّائب لا يعظم نفسه، بل المُراد به مشاركة الْخَلْق طراً في الخشوع، والرّجوع إليه تعالىٰ، لأنّ التَّوْبَة تتضمن هذا المعنىٰ (وَلأَهْلِ مِلَّتِكَ مَجْمَعاً): لأهل دِيْنِك حيث يجتمع المسلمون في عيد الفطر للصّلاة، والتّهاني، وغير ذٰلِكَ (مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ) متعلق بنَتُوبُ إِلَيْكَ (تَوْبَةَ مَنْ لاَ يَنْطَوِيْ...) لا يضمر الرّجوع إلىٰ ما كان عَلَيْهِ. وتَقَدَّمَ في الدُّعاء الحادي والثّلاثين، وغيره (أَللّٰهُمَّ ارْزُقْنَا خَوْفَ عِقَابِ الْوَعِيدِ...) أرزقنا الطّاعة لكَ رهبةً من عذابك، ورغبةً في جنتك (حَتَّىٰ نَجِدَ لَذَّةَ مَا نَدْعُوكَ بِهِ...) ومصدر اللّذة الأمل بالثواب، أمّا الكآبة فمصدرها الخوف من العقاب. وقد تَقَدَّمَ[٢] (وَاجْعَلْنَا عِنْدَكَ مِنَ

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ١٣٣/٢، الخطبة (١٩٠)، أُصول الكافي: ١٤٩/١٢، شرح النهج للمعتزلي: ١١١/١٣، ينابيع الْمَوَدَّة: ٨٧/١ و: ٤٥٣/٣.

(٢) أُنظر، الدُّعاء الثّاني والعشرون.

التَّوَّابِيْنَ...) أمتنا مُهتدين غير ضالين، وتائبين غير مصرين. وقد تَقَدَّمَ[١].

أَللَّهُمَّ تَجَاوَزْ عَنْ آبَآئِنَا، وَأُمَّهَاتِنَا، وَأَهْلِ دِيْنِنَا جَـمِيعاً مَـنْ سَـلَفَ مِنْهُمْ، وَمَنْ غَبَرَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ نَبِيِّنَا وَآلِهِ...؛ كَمَا صَلَّيْتَ عَـلَىٰ مَـلاَئِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ؛ وَصَلِّ عَلَيْهِ وَآلِهِ...؛ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ أَنْبِيَائِكَ الْمُرْسَلِينَ؛ وَصَلِّ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، وَأَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ؛ صَلاَةً تَبْلُغُنَا بَرَكَتُهَا، وَيَنَالُنَا نَفْعُهَا، وَيُسْتَجَابُ لَنَا دُعَاؤُنَا.

إِنَّكَ أَكْرَمُ مَنْ رُغِبَ إِلَيْهِ، وَأَكْفَىٰ مَنْ تُوُكِّلَ عَلَيْهِ، وَأَعْطَىٰ مَنْ سُئِلَ مِنْ فَضْلِهِ، وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

(أَللَّهُمَّ تَجَاوَزْ): أعف، وأصفح (مَنْ سَلَفَ): مَن مضىٰ (وَمَنْ غَبَرَ): مَن بقي، والمعنىٰ الجملي أغفر لعبادك الْمُؤْمِنِين الحاضر منهم، والماضي، ومَن هو آتٍ إلىٰ يَوْم يبعثون (أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ نَبِيِّنَا وَآلِهِ) أكثر ما صليت علىٰ أحدٍ من خَلْقِك، وأفضَل ماأتيت أحداً من عبادك، إنّك ألكَريمِ العظيم.

---

(١) أنظر، الدُّعاء الأربعون.

الدُّعاء السّادس والأربعون

دُعَاؤُهُ لِلْعِيدِ، الْفِطْرِ، وَالْجُمُعَةِ

يَا مَنْ يَرْحَمُ مَنْ لاَ يَرْحَمُهُ الْعِبَادُ، وَيَا مَنْ يَقْبَلُ مَنْ لاَ تَقْبَلُهُ الْبِلاَدُ، وَيَا مَن لاَ يَحْتَقِرُ أَهْلَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَيَا مَنْ لاَ يُخَيِّبُ الملِحِّيْنَ عَلَيْهِ، وَيَا مَنْ لاَ يَجْبَهُ بِالرَّدِّ أَهْلَ الدَّالَّةِ عليهِ.

وَيَا مَنْ يَجْتَبِي صَغِيرَ مَا يُتْحَفُ بِهِ، وَيَشْكُرُ يَسِيرَ مَا يُعْمَلُ لَهُ؛ وَيَامَنْ يَشْكُرُ عَلَى الْقَلِيلِ؛ وَيُجَازِيْ بِالْجَلِيلِ؛ وَيَا مَنْ يَدْنُو إِلَى مَنْ دَنا مِنْهُ؛ وَيَا مَنْ يَدعُو إِلَى نَفْسِهِ مَنْ أَدْبَرَ عَنْهُ، وَيَا مَنْ لاَ يُغَيِّرُ النِّعْمَةَ، وَلاَ يُبَادِرُ بِالنَّقِمَةِ. وَيَا مَنْ يُثْمِرُ الْحَسَنَةَ حَتَّى يُنْمِيَهَا، وَيَتَجَاوَزُ عَنِ السَّيِّئَةِ حَتَّى يُعَفِّيَهَا.

لله رحمتان

(يَا مَنْ يَرْحَمُ مَنْ لاَ يَرْحَمُهُ الْعِبَادُ) اَللّٰه سبحانه ربّ الْعَالَمِين جميعاً، ولا يختص بفئةٍ دون فئة، أو شعبٍ دون شعب، أو بالأقوياء دون الضّعفاء، والأتقياء دون

الأشقياء، وهو سبحانه ﴿ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أي له رحمتان: عامة تشمل المُستحق، وغير المُستحق من بني ٱلإنسَان، وأيضاً تعم كلّ ما في الكون، ولولاها لم يكن شيء على الإطلاق. وقيل: هَذِهِ الرَّحْمَة العامة يدل عليها ٱسم ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِي وسعت رَحْمَته كلّ شيء، ولا يُسمىٰ به غيره. الرَّحْمَة، والاجتهاد، وأعمال الْخَيْرات، والْحَسَنَات، والذّرية المؤمنة البارة، والزّوجة المطيعة الصّالحة. وقيل: تدل علىٰ هَذِهِ الرَّحْمَة الخاصة، كلمة ٱلرَّحِيمِ، وإليها الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[1] .... ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[2]. والعبد الضّعيف الَّذِي لا يقدر علىٰ شيء، ولا راحم من العباد، ومعين ـ يشمله سبحانه برحمته العامة، والخاصة، وبالأخص إذا توسل بالله، وتوكل عَلَيْهِ.

(وَيَا مَنْ يَقْبَلُ...) عطف تكرار (وَيَا مَن لاَ يَحْتَقِرُ أَهْلَ الْحَاجَةِ إلَيْهِ) قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَاتَنْهَرْ﴾[3]...

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾[4]، ومحال في حقّه تعالىٰ أنْ يفعل الشّيء الَّذِي نهىٰ عنه. وفي نهج البلاغة: «فوت الحاجة أهون من طلبها إلىٰ غير أهلها»[5]. هذا إلىٰ أنّه تعالىٰ هو الَّذِي خَلَق ٱلإنسَان مفتقراً إليه أكثر من أيّ كائن بنص الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[6].

---

(١) آل عمران: ٧٤.

(٢) المائدة: ٥٤.

(٣) الضّحىٰ: ١٠.

(٤) ٱلْبَقَرَة: ٢٦٤.

(٥) أُنظر، نهج البلاغة: ٤/١٥، الحكمة (٦٦)، شرح النّهج للمعتزلي: ٢١١/١٨، الوسائل: ٣٠٩/٦.

(٦) فاطر: ١٥.

فكيف يحتقر من سأله مضطراً إلىٰ فضله، ورَحْمَته؟ (وَيَا مَنْ لاَ يَجْبَهُ بِالرَّدِّ أَهْلَ الدَّالَّةِ عَلَيهِ) يَجْبَهُ: يستقبله بمكروه، والدَّالَّةِ: ما تدل علىٰ ما لك من منزلة، ومكانة عند من تثق به، وحطم موسىٰ الألواح في سَورة من سورات غضبه، ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ﴾[1]؛ ولكنه أستدرك فوراً: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[2]. فغفر له، وأنزل سبحانه غضبه علىٰ الّذين عبدوا العجل من دون ٱللّٰه.

(وَيَا مَنْ يَجْتَبِي صَغِيرَ مَا يُتْحَفُ بِهِ) ٱللّٰه سبحانه يتقبل القليل من عبده، ويثيب عَلَيْهِ، شريطة أنْ يكون لوجهه ٱلْكَرِيمِ. وفي الحديث: «تصدقوا ولو بشق تمرة»[3]. وفي نهج البلاغة: «لا يقل عمل مع تقوىٰ: وكيف يقل ما يتقبل»[4]... «لا تستح من إعطاء القليل، فإنّ الحرمان أقل منه»[5]... «افعلوا الْخَيْر، ولا تحقروا منه شيئاً، فإنّ صغيره كبير، وقليله كثير، ولا يقولن أحدكم: إنّ أحداً أولىٰ بفعل الْخَيْر مِنّي، فيكون وٱللّٰه كذلك»[6]. (وَيَشْكُرُ يَسِيرَ مَا يُعْمَلُ لَهُ) عطف تكرار (وَيَامَنْ يَشْكُرُ عَلَىٰ

(١) الأعراف: ١٥٠.

(٢) الأعراف: ١٥١.

(٣) أُنظر، الكافي: ٥/٥١٤، جواهر العقود: ١/٢٨٧، مسالك الافهام: ١/٧٦، الوسائل: ٦/٢٦٥ ح ١ و ٥.

(٤) أُنظر، عيون الحكم والمواعظ: ٥٤١، شرح أُصول الكافي: ٨/٢٤٠، تحف العقول: ٢٧٨، الوسائل: ١٥/٢٥١.

(٥) أُنظر، نهج البلاغة: ٤/١٥، الحكمة (٦٧)، روضة الواعظين: ٣٨٤، شرح النّهج للمعتزلي: ١٨/٢١٢.

(٦) أُنظر، نهج البلاغة: ٤/٩٩، الحكمة (٤٢٢)، شرح النّهج للمعتزلي: ٢٠/٦٦، شرح أُصول الكافي: ٨/٤٠٣.

الْقَلِيْلِ، وَيُجَازِيْ بِالْجَلِيلِ) يكافيء القليل بالكثير، بل يُعطي أبتداء. وقد تَقَدَّمَ(١).

(وَيَا مَنْ يَدْنُو إِلَىٰ مَنْ دَنا ...) فـتح سبحانه بـابه ٱلْكَـرِيمِ لكـلّ راغب، ورحب بالمُقبل، ودعا المُدبر إلىٰ مائدة عرضها السّموات، وٱلأرض، وفيها مـا تشـتهي الأنفس، وتلذ الأعين، وما لا يخطر علىٰ قلب. من دون تغيير، ولا زوال (وَيَا مَنْ لاَ يُغَيِّرُ النِّعْمَةَ ...) شريطة أنْ لايستعين المرء بنعمة ٱللّه علىٰ معصية ٱللّه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(٢). وفـي الآيـة: ﴿لَـئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَـئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾(٣). وقد تَقَدَّمَ في الدُّعـاء الخامس والأربعين (وَيَا مَنْ يُثْمِرُ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ يُنْمِيَهَا) إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِـالْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾(٤)، وغـير ذٰلِكَ مـن الآيـات (وَيَـتَجَاوَزُ عَـنِ السَّيِّئَةِ ..) إشارة إلىٰ قوله سبحانه: ﴿وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾(٥). وقد تَقَدَّمَ(٦).

... انْصَرَفَتِ الآمَالُ دُونَ مَدىٰ كَرَمِكَ بِالحَاجَاتِ، وَامْتَلأَتْ بِفَيْضِ جُودِكَ أَوْعِيَةُ الطِّلِبات، وَتَفَسَّخَتْ دُونَ بُلُوغِ نَعْتِـكَ الصِّفَاتُ.

فَلَكَ الْعُلُوُّ الأَعْلَىٰ فَوْقَ كُلِّ عَالٍ، وَالْجَلاَلُ الأَمْجَدُ فَوْقَ كُلِّ جَلاَلٍ، كُلُّ جَلِيْلٍ عِنْدَكَ صَغِيرٌ، وَكُلُّ شَرِيفٍ فِي جَنْبِ شَرَفِكَ حَقِيرٌ.

خَابَ الْوَافِدُونَ عَلَىٰ غَيْرِكَ، وَخَسِرَ الْـمُتَعَرِّضُونَ إلاَّ لَكَ، وَضَـاعَ

(١) أُنظر، الدُّعاء الثّاني عشر، وغيره.

(٢) الأنفال: ٥٣.

(٣) إبراهيم: ٧.

(٤) الأنعام: ١٦٠.

(٥) المائدة: ١٥.

(٦) أُنظر، الدُّعاء الحادي والثّلاثون، والخامس والأربعون.

الْمُلِمُّونَ إلّا بِكَ، وَأَجْدَبَ الْمُنْتَجِعُـونَ إلاَّ مَنِ انْتَجَعَ فَضْلَكَ.

بَابُكَ مَفْتُوحٌ لِلرَّاغِبِينَ، وَجُودُكَ مُبَـاحٌ لِلسَّائِلِينَ، وَإغاثَتُكَ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمُسْتَغِيثِينَ.

(انْصَرَفَتِ الآمَالُ دُونَ مَدىٰ كَرَمِكَ بِالحَاجَاتِ) قضيت حوائـج الـمحتاجين، وحققت آمال الآملين من جودك، وكرمك الَّذِي لا منتهىٰ لحده، ولا حساب لعده، ولا آنقطاع لأمده (وَامْتَلأَتْ بِفَيْضِ جُودِكَ أَوْعِيَةُ الطِّلِبات): الحـاجات، والعـطف للتكرار. وتَقَدَّمَ في الدُّعاء الثّالث عشر بأُسلوب أجمع، وأوسع (وَتَـفَسَّخَتْ دُونَ بُلُوغِ نَعْتِـكَ الصِّفَاتُ) تَفَسَّخَتْ: عجزت، والمعنىٰ عجزت عن نعته تعالىٰ أوهـام الْوَاصِفِينَ، وألسنة الذّاكرين. وتَقَدَّمَ في الدُّعاء الثّاني والثّلاثين (فَـلَكَ الْـعُلُوُّ...) والكمال المطلق وحدك لا شريك لك. وفي نهج البلاغة: «سبق في العُلو فلا شيء أعلىٰ منه، وَقَرُب في الدّنو فلا شيء أقرب منه»[1]. أي علا بكماله، وقرُب بعلمه.

(كُلُّ جَلِيْلٍ عِنْدَكَ صَغِيرٌ...) لأنّك غني عن كلّ شيء، ولا غنىٰ لأي شيء عنك (خَابَ الْوَافِدُونَ عَلَىٰ غَيْرِكَ...) لأنّ كرمك لا يضيق بسؤال السّائلين، وأنّ يـدك بالعطايا أعلىٰ من كلّ يد (وَضَاعَ الْمُلِمُّونَ إلّا بِكَ) الْمُلِمُّونَ: النّازلون، وفي دُعَـاء آخر: «أللّهُمَّ بك أنزلت فقري، وفاقتي، ومسألتـي»[2]، (وَأَجْـدَبَ الْـمُنْتَجِعُـونَ) أَجْدَبَ المكان: آنقطع عنه المَطَر، وآنتجع: طَلَب المعروف (وَإغاثَتُكَ قَـرِيبَةٌ مِـنَ الْمُسْتَغِيثِينَ) الغوث: النّصرة، والمعونة. وتَقَدَّمَ في الدُّعاء السّادس عشر، وغيره.

لاَ يَخِيبُ مِنْـكَ الآمِلُونَ، وَلاَ يَيْأَسُ مِنْ عَطَائِكَ الْـمُتَعَرِّضُونَ، وَلاَ

---

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ١/٩٨، ألْكِتَاب (٤٩)، شرح النّـهج للـمعتزلي: ٣/٢١٦، شـرح أُصـول الكافي: ٨/٣٩٠.

(٢) أُنظر، إقبال الأعمال: ١/٣٧٩، بحار الأنوار: ٩٥/١٦٣.

يَشْقَىٰ بِنَقْمَتِكَ الْمُسْتَغْفِرُونَ ؛ رِزْقُكَ مَبْسُوطٌ لِمَنْ عَصَاكَ ، وَحِلْمُكَ مُعْتَرِضٌ لِمَنْ نَاوَاكَ .

عَادَتُكَ الإحْسَانُ إلَىٰ الْمُسِيئِينَ ، وَسُنَّتُكَ الإبْقَاءُ عَلَىٰ الْمُعْتَدِينَ ، حَتَّىٰ لَقَدْ غَرَّتْهُمْ أَنَاتُكَ عَنِ الرُّجُوعِ ، وَصَدَّهُمْ إمْهَالُكَ عَنِ النُّزُوعِ ؛ وَإنَّمَا تَأَنَّيْتَ بِهِمْ لِيَفِيئُوا إلَىٰ أَمْرِكَ ، وَأَمْهَلْتَهُمْ ثِقَةً بِدَوَامِ مُلْكِكَ ؛ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ... خَتَمْتَ لَهُ بِهَا ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ... خَذَلْتَهُ لَهَا .

كُلُّهُمْ صَائِرُونَ إلَىٰ حُكْمِكَ ، وَأُمُورُهُمْ آئِلَةٌ إلَىٰ أَمْرِكَ ، لَمْ يَهِنْ عَلَىٰ طُولِ مُدَّتِهِمْ سُلْطَانُكَ ، وَلَمْ يَدْحَضْ لِتَرْكِ مُعَاجَلَتِهِمْ بُرْهَانُكَ .

حُجَّتُكَ قَائِمَةٌ لاَ تُدْحَضُ ، وَسُلْطَانُكَ ثَابِتٌ لاَ يَزُولُ .

(لاَ يَخِيبُ مِنْكَ الآمِلُونَ...) واضح، وتَقَدَّمَ قبل قليل (وَلاَ يَشْقَىٰ بِنَقْمَتِكَ الْمُسْتَغْفِرُونَ) التّائبون. وفي الحديث: «لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار»[١]. وفي الآية: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٢]. (رِزْقُكَ مَبْسُوطٌ لِمَنْ عَصَاكَ) بل، ويقوىٰ به علىٰ المعصية. وفي نهج البلاغة: «الحذر الحذر، فوٱللّه لقد ستر حتّىٰ كأنّه قد غفر»[٣]. وتَقَدَّمَ في الدُّعاء السّابع والثّلاثين، (وَحِلْمُكَ مُعْتَرِضٌ لِمَنْ نَاوَاكَ) مُعْتَرِضٌ: متصدٍّ، أو موجود، ونَاوَاكَ: عَادَاك. وقد

(١) أُنظر، كشف القناع: ٥٣٣/٦، الكافي: ٢٨٨/٢ ح ١، وسائل الشّيعة: ٢٦٨/١١ ح ٣، بدائع الصّنائع: ٢٧٠/٦.

(٢) الأنفال: ٣٣.

(٣) أُنظر، نهج البلاغة: ٧/٤، الحكمة (٣٠)، غرر الحكم: ٢٦١١، فيض القدير شرح الجامع الصّغير: ٢٨٦/٣.

تَقَدَّمَ في الدُّعاء الخامس والأربعين، (عَادَتُكَ الإحْسَانُ إلَىٰ الْمُسِيئِينَ) تكرار لقوله قبل قليل: «يَتَجَاوَزُ عَنِ السَّيِّئَةِ» (وَسُنَّتُكَ الإبْقَاءُ...) جرت حكمتك البالغة أنْ لا تعاجل المُسيء، والمُعتدي بالعذاب كي يستبدل المعصية بالتّوبة. وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء السّابع والثّلاثين.

(وَأمْهَلْتَهُمْ ثِقَةً بِدَوَامِ مُلْكِكَ) الّذِي لا يفوته المُقيم، ولا يعجزه الهارب، وفي دُعَاء آخر: «إنّما يعجل من يخاف الفوت»[1] (فَمَنْ كَانَ مِنْ أهْلِ السَّعَادَةِ) الّذين عملوا عمل السُّعداء، قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَـٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾[2]، (وَمَنْ كَانَ مِنْ أهْلِ الشَّقَاوَةِ) الّذين عملوا عمل الأشقياء، قال تعالىٰ ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾[3]، وبأُسلوب آخر: الإعتقاد، والعمل يتركان لحرية ألإنسان، لا لشيء إلا ليتحمل تبعة سلوكه، ومسؤولية إختياره (كُلُّهُمْ صَائِرُونَ إلَىٰ حُكْمِكَ...) أبداً، لا مفر منك إلا إليك. وتَقَدَّمَ في الدُّعاء الحادي والعشرين (لَمْ يَهِنْ عَلَىٰ طُولِ مُدَّتِهِمْ سُلْطَانُكَ...) المُراد بالسُّلطان هنا حجّة ألله علىٰ عِبَادِهِ، والمعنىٰ أنّ إمهاله تعالىٰ للعتاة لا يبطل حجته عَلَيْهِمْ، ولا تضعف بمرور الزّمن، بل هي قائمة، ولازمة مدىٰ الدّهر، بل الإمهال حجّة أُخرىٰ، أو تكون به أقوىٰ، وأبلغ. وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء الخامس والأربعين، وأيضاً يأتي بعد قليل.

فَالْوَيْلُ الدَّائِمُ لِمَنْ جَنَحَ عَنْكَ، وَالْخَيْبَةُ الْخَاذِلَةُ لِمَنْ خَابَ مِنْكَ،

---

(١) أنظر، مصباح المتهجد: ٥٦٣، أمالي الصّدوق: ٥٤٢، مَكَارِمِ الأَخْلَاق: ٢٩٥، الوسائل: ١٣/٢٨٠.

(٢) محمّد: ١٧.

(٣) ألبَقَرَة: ١٠.

وَالشَّقَاءُ الأَشْقَىٰ لِمَنِ اغْتَرَّ بِكَ، مَا أَكْثَرَ تَصَرُّفَهُ فِي عَذَابِكَ، وَمَا أَطْوَلَ تَرَدُّدَهُ فِيْ عِقَابِكَ؛ وَمَا أَبْعَدَ غَايَتَهُ مِنَ الْفَرَجِ، وَمَا أَقْنَطَهُ مِنْ سُهُولَةِ الْمخْرَجِ!!

... عَدْلاً مِنْ قَضَائِكَ لاَ تَجُورُ فِيهِ، وَإِنْصَافاً مِنْ حُكْمِكَ لاَ تَحِيفُ عَلَيْهِ؛ فَقَدْ ظَاهَرْتَ الْحُجَجَ، وَأَبْلَيْتَ الأَعْذَارَ، وَقَدْ تَقَدَّمْتَ بِالْوَعِيْدِ، وَتَلَطَّفْتَ فِي التَّرْغِيْبِ، وَضَرَبْتَ الأَمْثَالَ، وَأَطَلْتَ الإِمْهَالَ؛ وَأَخَّرْتَ، وَأَنْتَ مُسْتَطِيعٌ لِلْمُعَاجَلَةِ، وَتَأَنَّيْتَ، وَأَنْتَ مَلِيءٌ بِالْمُبَادَرَةِ.

لَمْ تَكُنْ أَنَاتُكَ عَجْزاً، وَلاَ إِمْهَالُكَ وَهْناً، وَلاَ إِمْسَاكُكَ غَفْلَةً، وَلاَ انْتِظَارُكَ مُدَارَاةً، بَلْ لِتَكُونَ حُجَّتُكَ أَبْلَغَ، وَكَرَمُكَ أَكْمَلَ؛ وَإِحْسَانُكَ أَوْفَىٰ، وَنِعْمَتُكَ أَتَمَّ؛ كُلُّ ذٰلِكَ كَانَ، وَلَمْ تَزَلْ؛ وَهُوَ كَائِنٌ وَلاَ تَزَالُ.

حُجَّتُكَ أَجَلُّ مِنْ أَنْ توصَفَ بِكُلِّهَا، وَمَجْدُكَ أَرْفَعُ مِنْ أَنْ تُحَدَّ بِكُنْهِهِ، وَنِعْمَتُكَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَىٰ بِأَسْرِهَا، وَإِحْسَانُكَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُشْكَرَ عَلَىٰ أَقَلِّهِ.

(فَالْوَيْلُ الدَّائِمُ لِمَنْ جَنَحَ عَنْكَ) الْوَيْلُ: الْهَلاَك، والهوان: وجنح، مالَ، وانحرف، ومن انحرف عن إرادته تعالىٰ فقد مالَ إلىٰ الشرّ، والْبَاطِل، والضّلال، والفساد (وَالْخَيْبَةُ الْخَاذِلَةُ لِمَنْ خَابَ مِنْكَ) أخيب النّاس سعياً من تخلت عنه عناية اللّه، ووكلته إلىٰ نفسه (وَالشَّقَاءُ الأَشْقَىٰ لِمَنِ اغْتَرَّ بِكَ) أشقىٰ الشقاء لمن عصاك غير خائف من غضبك، وعذابك (مَا أَكْثَرَ تَصَرُّفَهُ...) أي تقلبه، وتردد في أنواع من عذاب جهنّم خالداً فيها إلا ما شاء ربّك (وَمَا أَطْوَلَ تَرَدُّدَهُ فِيْ عِقَابِكَ، وَمَا أَبْعَدَ

غَايَتَهُ مِنَ الْفَرَجِ) أي لا فَرَج له، ولا مخرج (وَمَا أَقْنَطَهُ مِنْ سُهُولَةِ الْمخْرَجِ!!) يئس من النّجاة، والخلاص (عَدْلاً مِنْ قَضَائِكَ...) قضاؤك العدل، وحكمك الفصل. وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء الخامس والأربعين.

الحجّة ضد الخصم، وشروطها

(فَقَدْ ظَاهَرْتَ الْحُجَجَ، وَأَبْلَيْتَ الأعْـذَارَ...) تـظاهرت الحُـجَجَ: تكـاثرت، وتعاضدت حتّىٰ أعجزت، وأفحمت المنكر، والجاحد، وأبـليت الأعـذار: بـيّنتها كاملةً، واضحةً علىٰ وجه لا يدري الطّرف الآخر بماذا يعتذر، ويتعلل. وللـحجّة الدّامغة القاطعة شروط، وأهمها:

١ ـ أنْ تدل علىٰ المعنىٰ المـقصود دلالة واضـحة، لا يـبقىٰ معها أحـتمال للتأويل، أو للتخصيص.

٢ ـ أنْ تكون الحجّة علىٰ مستوىٰ الخـصم وعـياً، وثـقافة بـحيث يـتمثلها، ويهضمها بيسرٍ، وسهولة.

٣ ـ أنْ تكون مُقنعة بذاتها، وطبيعتها، يستجيب لها الضّـمير الحـي، والعـقل الخالص، ولا ينكرها إلا مُعاند، ومكابر بشهادة كلّ عالم مُنصف.

وقد دعا الْقُرآن النّاس إلىٰ التّعقل، والتّبصر في كلّ شيء أبتداءً من أنفسهم، وما يأكلون، ويشربون، وما يزرعون، ويمارسون، وأنتهاءً بآفاق الكون، وأشيائه من الذّرة الصّغيرَة إلىٰ المجرة الكبيرة، وحشد العديد من الآيات الكونية، وضرب الكثير من الأمثال، وتَقَدَّمَ بالعبر، والعظات ترغيباً، وترهيباً، وتبشيراً، وإنذراً، وما أبـقىٰ لأحدٍ من حجّة يتعلل بها، ومعذرة يلجأ إليها.

(وَأَطَلْتَ الإمْهَالَ...) ولو تعجل ما ترك علىٰ ظهرها من دابة. وتقدمت هَذِهِ

الحقيقة، أو الجُملة، وما يتبعها مرات، منها في الدُّعـاء الأوّل، والسّـادس عشـر، والخامس والأربـعين (كُـلُّ ذٰلِكَ كَـانَ) ذٰلِكَ: إشـارة إلىٰ مـا تـقَدَّمَ مـن الوعـيد، والتّرغيب، والإنتظار (وَلَمْ تَزَلْ) حججك يا إلٰهي قائمة لازمة إلىٰ أبد الدّهر (وَهُوَ كائِنٌ) ضمير الغائب يعود إلىٰ كلمة «ذٰلِكَ» والمعنىٰ ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[1]. (وَلاَ تَزَالُ حُجَّتُكَ أَجَلُّ مِنْ أَنْ تـوصَفَ) وصـفاً كاملاً، وجامعاً مانعاً (وَمَجْدُكَ أَرْفَـعُ مِنْ أَنْ تُحَدَّ) بحقيقته، وإنّما يتجلىٰ بخلقك، وآثارك، والمُراد بمجده تعالىٰ عزته، وجلاله، وما من شك أنّ المَخْلُوق يعجز عن الإحاطة بالخالق (وَنِعْمَتُكَ أَكْثَرُ...) واضح، وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء السّابع والثّلاثين، وغيره.

وَقَدْ قَصَّرَ بِيَ السُّكُوتُ عَـنْ تَـحْمِيدِكَ، وَفَـهَّهَنِي الإمْسَـاكُ عَـنْ تَمْجِيدِكَ، وَقُصَارَايَ الإقْرَارُ بِالْحُسُورِ لاَ رَغْبَةً ـ يا إلٰهي ـ بَلْ عَجْزاً، فَهَا أَنَا ذَا أَؤُمُّكَ بِالْوِفَادَةِ، وَأَسأَلُكَ حُسْنَ الرِّفَادَةِ.

فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِـهِ، وَأَسْمَعْ نَجْوَايَ، وَاسْتَجِبْ دُعَـائِي؛ وَلاَ تَخْتِمْ يَوْمِيَ بِخَيْبَتِي، وَلاَ تَجْبَهْنِي بِالرَّدِّ فِي مَسْأَلَتِي؛ وَأَكْرِمْ مِنْ عِنْدِكَ لم مُنْصَرَفِي، وَإِلَيْكَ مُنْقَلَبِي.

إِنَّكَ غَيْرُ ضَائِقٍ بِمَا تُرِيْدُ، وَلاَ عَاجِزٍ عَمَّا تُسْأَلُ، وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ؛ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

(عَـنْ تَـحْمِيدِكَ) أي تكـرار الحَـمْد لكَ، أُنـظر الدُّعـاء الأوّل فـقرة الحَـمْدُ (وَفَهَّهَنِي): عجز لساني عن النُّطق (وَقُصَارَايَ الإقْرَارُ بِالْحُسُورِ لاَ رَغْبَةً ـ يا إلٰهي

(١) الأحزاب: ٦٢.

ـبَلْ عَجْزاً) قُصَارَايَ: غاية جهدي، وكلّ ما عندي، والحُسُور: الضّعيف، أو المُتلهف، والمعنىٰ كلّ ما لدي هو الإعْتِرَاف بأنّي ما سكتُ عن التّحميد، والتمجيد إلا عن ضعفٍ، وعجزٍ لا عن قصدٍ، وعمدٍ (فَهَا أَنَا ذَا أَؤُمُّكَ): أقصدك (بِالْوِفَادَةِ) بالقدوم، والتّوجه إليك طلباً لفضلك (وَأَسأَلُكَ حُسْنَ الرِّفَادَةِ): العطاء، والمعونة (وَأَسْمَعْ نَجْوَايَ): اسْتَجِبْ دعائي، وما بعده تكرار (وَلاَ تَخْتِمْ يَوْمِيَ بِخَيْبَتِي) أسعدني في يومي هذا بقبول دعوتي، ومسألتي (وَأَكْرِمْ مِنْ عِنْدِكَ...) مُنّ عليّ بالسّلامة، والكرامة في ذهابي، وإيابي (إِنَّكَ غَيْرُ ضَائِقٍ...) بل واسع الإحسان، وباسط اليدين بالرّحمة، وقادر علىٰ كلّ شيء، ما شئت كان، وما لم تشأ لم يكن.

الدُّعاء السّابع والأربعون

دُعَاؤُهُ فِي يومِ عَرَفَةَ

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ بَدِيْعَ السَّموَاتِ، وَالأَرْضِ، ذَا الْجَلاَلِ، وَالإِكْرَامِ، رَبَّ الأَرْبَابِ، وَإِلٰهَ كُلِّ مَأْلُوهٍ، وَخَالِقَ كُلِّ مَخْلُوقٍ، وَوَارِثَ كُلِّ شَيْءٍ؛ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَلاٰ يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ شَيْءٍ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبٌ.

عَرَفَة إسم جبل بالقرب من مكّة، يقف عَلَيْهِ حجاج بيت ٱللّه الحرام في اليوم التّاسع من ذي الحجّة، وأيضاً يطلق عَلَيْهِ عرفات[1]. كما في الآية: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾[2]: جمع عَرَفَة. ولهذا الموقف ٱلْكَرِيمِ العديد من الأدعية عن النّبي، وَأَهْلِ بَيْتِهِ ﷺ منها هذا الدُّعاء للإمام السّجادؑ، وآخر لوالده سَيِّد ٱلشُّهَدَاءؑ،

(١) هو جبل يبعد عن مكة حوالي أربعة عشر ميلاً. وهي ميدان فسيح ولا بد للحاج أنْ يدخل عَرَفَة في يَوْم مخصوص بالشروط الّتي نصّ عليها ٱلْفُقَهَاء كما جاء في الصّحاح: ٤/١٤٠١، معجم البلدان: ٤/١٠٤، الفروق اللغوية: ٣٥٤.

(٢) ٱلْبَقَرَة: ١٩٨.

ونقلنا منه ـ فيما سبق ـ بعض الكلمات لأكثر من مناسبة. ومن قصدنا الآن دمج الكثير منه في هذا الدُّعاء، لأنّ الموضوع، والباعث، والهدف واحد، والمصدر واحد، وهو نور الوحي، والرّسالة.

(أَللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ بَدِيْعَ السَّموَاتِ، وَالأَرْضِ)، أمّا والد السجاد، فقد أفتتح دُعَاءه بقوله: «الحَمْدُ لله الَّذِي ليس لقضائه دافع[1] ولا لعطائه مانع، ولا كصنعه صنع صانع، وهو الجواد الواسع، فطر أجناس البدائع»[2]. أي خَلَق الْخَلْق بشتىٰ أنواعه من غير تمثيل، ومعونة معين (ذَا الْجَلاَلِ، وَالإِكْرَامِ) ذَا الاستغناء المطلق، والفضل العام (رَبَّ الأَرْبَابِ) لا أحد يشاركه في الْمُلْك، والرّبوبية (وَإِلهِ كُلِّ مَأْلُوهٍ): معبود، المعنىٰ هو سبحانه المعبود حقاً لكلّ معبود بزعم المشركين (وَوَارِثَ كُلِّ شَيْءٍ) يبقىٰ بعد كلّ شيء، وإليه ينتهي كلّ شيء (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) لأنّه خالق كلّ شيء: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[3]. (لاَ يَعْزُبُ): لا يغيب (رَقِيبٌ): حفيظ. وفي دُعَاء سَيِّد الشُّهَدَاء: «أم كيف تغيب، وأنْتَ الرّقيب الحاضر؟»[4].

أَنْتَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الأَحَدُ الْمُتَوَحِّدُ، الْفَرْدُ الْمُتَفَرِّدُ، وَأَنْتَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْكَرِيمُ الْمُتَكَرِّمُ، الْعَظِيمُ الْمُتَعَظِّمُ، الْكَبِيرُ الْمُتَكَبِّرُ، وَأَنْتَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، العَلِيُّ الْمُتَعَالِ، الشَّدِيْدُ الْمِحَالِ.

---

(١) كأنّه إشارة إلىٰ يَوْم الطّف، (منه).

(٢) أُنظر، إقبال الأعمال: ٧٤/٢، مستدرك الوسائل: ٢٥/١٠، البحار: ٢١٣/٩٥، حياة الإمام الحُسين: ١٦٧/١.

(٣) النّحل: ١٧.

(٤) أُنظر، إقبال الأعمال: ٣٣٩ ـ ٣٥٠، بحار الأنوار: ٢٢٧/٩٥، كلمات الإمام الحُسين: ٨٠٦.

وَأَنْتَ اللهُ لا إلٰهَ إِلَّا أَنْتَ، الـرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ، الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ؛ وَأَنْتَ اللهُ لاٰ إلٰهَ إِلَّا أَنْتَ، السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، الْقَدِيمُ الْـخَبِيرُ، وَأَنْتَ اللهُ لَا إلٰـهَ إِلَّا أَنْتَ، الْكَرِيمُ الْأَكْرَمُ، الدَّائِمُ الْأَدْوَمُ.

وَأَنْتَ اللهُ لاٰ إلٰهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ، وَالْآخِرُ بَعْدَ كُلِّ عَدَدٍ؛ وَأَنْتَ اللهُ لاٰ إلٰهَ إِلَّا أَنْتَ، الدَّانِي فِي عُلُوِّهِ، وَالْعَالِي فِي دُنُوِّهِ.

وَأَنْتَ اللهُ لَا إلٰهَ إِلَّا أَنْتَ، ذُو الْبَهَاءِ وَالْمَجْدِ، وَالْكِـبْرِيَاءِ وَالْـحَمْدِ؛ وَأَنْتَ اللهُ لاٰ إلٰهَ إِلَّا أَنْتَ، الَّذِي أَنْشَأْتَ الْأَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ سِنْخٍ، وَصَوَّرْتَ مَا صَوَّرْتَ مِنْ غَيْرِ مِثَالٍ، وَابْتَدَعْتَ الْمُبْتَدَعَاتِ بِلاَ احْتِذَاءٍ.

(الأَحَـدُ الْمُتَوَحِّدُ الْفَرْدُ الْمُتَفَرِّدُ) لله سبحانه الوحدة التّامة الكاملة من كلّ وجه، وفي جميع الصّفات الذّاتية. وفي أُصول الكافي: «إنّ الإمـام السّجاد سُئل عـن التَّوْحِيد؟ فقال: إنّ اللّٰه تعالىٰ علم أنّه يكون في آخر الزّمان أقوام متعمقون، فأنزل ﴿قُـلْ هُـوَ اللّٰـهُ أَحَدٌ﴾[١] والآيـات مـن سـورة الحـديد إلىٰ قـوله: ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[٢]، فمن رام وراء ذٰلِكَ فقد هَلَك»[٣]. (الْمُتَكَرِّمُ) هو اَلْكَرِيمِ مع نوع من المبالغة (الْمُتَعَظِّمُ... الْمُتَكَبِّرُ) التّعظم، والكبرياء صفتا مـدح لله، وذم فـي غـيره لأنّهما ذاتيتان لعلوهِ، وجلالهِ، وعزتهِ، وكماله. وفي الحديث القُدسي: «الكـبرياء ردائي، والعظمة إزاري، من نازعني واحداً منهما ألقيته في اَلنَّار»[٤].

(١) الإخلاص: ١.

(٢) الحديد: ٦.

(٣) أُنظر، الكافي: ١/٩١ ح ٣، توحيد الصّدوق: ٢٨٣ ح ٢، بـحار الأنـوار: ٦٤/٣٧٢، تـفسير الميزان: ١٩/١٤٧.

(٤) أُنظر، التّرغيب والتّـرهيب: ٣/٥٦٣ ح ١٤، سـنن ابـن مـاجة: ٢/١٣٩٧ ح ٤١٧٤، إعـانة

(أَنْتَ العَلِيُّ الْمُتَعَالِ) لا شيء فوقه تعالىٰ، وكلّ شيء دونه. والمتعال نوع من المبالغة في العلو (الْمِحَـالِ): المكايدة لأهل الكيد، والمكر. قال سبحانه: ﴿إِنَّـهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَـيْدًا﴾[1]، أي يجازيهم جزاء الماكرين، ويحطمهم بسـلاحهم، فالكيد، والمكر قبيح بالأبرياء، وحسنٌ جداً بأهل المكر، والغدر. قال الإمام أمير الْمُؤْمِنِين ﷺ: «الوفاء لأهل الغدر غدر عند اللّٰه، والغدر بأهل الغـدر وفـاء عـند اللّٰه»[2]. (الـرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ)[3] (الْعَلِيمُ) لا تُخفىٰ عَلَيْهِ خافية دانية كانت، أم قاصية (الْحَكِيمُ) يضع كلّ شيء موضعه تبعاً للمصلحة: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[4]... ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[5] (السَّـمِيعُ الْـبَصِيرُ) لا بجارحة، أو أداة، بل يحيط بما يُسمع، ويُرىٰ ذاتاً، ومباشرة (الْقَدِيمُ) لا أوّل لأوّله (الدَّائِمُ) لا آخر لآخره (الأَدْوَمُ) مبالغة في الدوام.

(الدَّانِي فِي عُلُوِّهِ، وَالْعَالِي فِي دُنُوِّهِ) دنىٰ بـعلمهِ، ورَحْـمَته، وعـلا بـجَلالِهِ، وكماله. وفي نهج البلاغة: «علا بحوله، ودنا بطوله»[6]. والحول: القُدرة، والطَّول: العطاء. وفي دُعَاء سَيِّد الشُّهَدَاء ﷺ: «لكَ الحَمْد، والَمجد، وعلو الجَد»[7]. أي علو

➜ الطّالبين: ١٥٦/١، شرح أُصول الكافي: ٢٣٩/١، مستدرك الوسائل: ٣١/١٢.

(١) الطّارق: ١٥_١٦.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ٥٧/٤، الحكمة (٢٥٩)، دعائم الإسْلاَم: ٣٦٨/١، شرح أُصول الكافي: ١٠٢/١٩.

(٣) أُنظر، الدُّعاء السّادس والأربعون فقرة: لله رحمتان.

(٤) طه: ٥٠.

(٥) الفرقان: ٢.

(٦) أُنظر، نهج البلاغة: ١٣٢/١، الخطبة (٨٣)، نهج السّعادة: ١٧١/٣، شرح النّـهج لـلمعتزلي: ٢٤١/٦.

(٧) أُنظر، إقبال الأعمال: ٢ / ٨٦.

العظمة، قال سبحانه: ﴿جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾[1] (أَنْشَأْتَ الأَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ سِنْخٍ) من غير أصل سابق، وبكلمة خلقت أشياء من لا شيء (وَصَوَّرْتَ مَا صَوَّرْتَ مِنْ غَيْرِ مِثَالٍ) وجود ٱللَّه تعالىٰ سابق لوجود الكون، ثُم أوجده سبحانه حيث لا مثيل هناك. ولا نظير (وَابْتَدَعْتَ الْمُبْتَدَعَاتِ بِلاَ ٱحْتِذَاءٍ) عطف تكرار، لأنّ الابتداع ٱبتداء، وٱختراع لا علىٰ فعلٍ مماثل، وتقليد لأي فاعل.

أَنْتَ الَّذِي قَدَّرْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَقْدِيراً، وَيَسَّرْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَيْسِيراً، وَدَبَّرْتَ مَا دُونَكَ تَدْبِيراً؛ وَأَنْتَ الَّذِي لَمْ يُعِنْكَ عَلَىٰ خَلْقِكَ شَرِيكٌ، وَلَمْ يُوَازِرْكَ فِي أَمْرِكَ وَزِيرٌ، وَلَمْ يَكُنْ لَكَ مُشَاهِدٌ، وَلاَ نَظِيرٌ.

أَنْتَ الَّذِي أَرَدْتَ... فَكَانَ حَتْماً مَا أَرَدْتَ، وَقَضَيْتَ... فَكَانَ عَدْلاً مَا قَضَيْتَ، وَحَكَمْتَ... فَكَانَ نِصْفاً مَا حَكَمْتَ.

أَنْتَ الَّذِي لاَ يَحْوِيكَ مَكَانٌ، وَلَمْ يَقُمْ لِسُلْطَانِكَ سُلْطَانٌ، وَلَمْ يُعْيِكَ بُرْهَانٌ، وَلاَ بَيَانٌ؛ أَنْتَ الَّذِي أَحْصَيْتَ كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً، وَجَعَلْتَ لِكُلِّ شَيْءٍ أَمَداً، وَقَدَّرْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَقْدِيراً؛ أَنْتَ الَّذِي قَصُرَتِ الأَوْهَامُ عَنْ ذَاتِيَّتِكَ، وَعَجَزَتِ الأَفْهَامُ عَنْ كَيْفِيَّتِكَ، وَلَمْ تُدْرِكِ الأَبْصَارُ مَوْضِعَ أَيْنِيَّتِكَ.

(أَنْتَ الَّذِي قَدَّرْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَقْدِيراً) كلّ شيء في خَلْقِه تعالىٰ مدبر، ومتقن، ومقدر، ومحكم، ولا شيء منه خارج عن القصد، والحكمة (وَيَسَّرْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَيْسِيراً) إلىٰ الغاية الّتي خلقته من أجلها (وَدَبَّرْتَ مَا دُونَكَ تَدْبِيراً) المُراد بما دونك هنا ما عندك من الْمُلْك، والمعنىٰ ملكت الْمُلْك كلّه فأتقنته بحكمتك، ودبرته بِلُطْفِكَ

(١) الجن: ٣.

(لَمْ يُعِنْكَ عَلَىٰ خَلْقِكَ شَرِيكٌ) ولا مهندس، ومشير (وَلَمْ يُوَازِرْكَ فِي أَمْرِكَ وَزِيرٌ) من الموازرة بمعنىٰ المعاونة، وعَلَيْهِ يكون العطف للتكرار (وَلَمْ يَكُنْ لَكَ مُشَاهِدٌ، وَلاَ نَظِيرٌ) ما من أحدٍ رآك حين خلقت الكائنات، وما من أحدٍ يقدر علىٰ خلق ذبابة فما دونها (أَنْتَ الَّذِي أَرَدْتَ فَكَانَ حَتْماً مَا أَرَدْتَ) لا مرد لأمرك (وَقَضَيْتَ فَكَانَ عَدْلاً مَا قَضَيْتَ) ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾[1]... ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾[2].

(أَنْتَ الَّذِي لاَ يَحْوِيكَ مَكَانٌ) لأنّه ليس بجسم، ولو كان له مكان لافتقر إليه، وٱللّه غني عن كلّ شيء، وهو في كلّ مكان بعلمهِ، ورَحْمَته (وَلَمْ يَقُمْ لِسُلْطَانِكَ سُلْطَانٌ) هو القاهر الغالب لكلّ ذي جاه، وسلطان، وفي دُعَاء سَيِّد ٱلشُّهَدَاء ﷺ: «الحَمْدُ لله الَّذِي علا فقهر، والحَمْدُ لله الَّذِي ملك فقدر»[3]، (وَلَمْ يُعْيِكَ) من العجز، والأعياء (بُرْهَانٌ، وَلاَ بَيَانٌ) أي إنّ كتابه تعالىٰ معجز البيان، ومنير البرهان (أَحْصَيْتَ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) أحطت بكلّ شيء علماً (وَجَعَلْتَ لِكُلِّ شَيْءٍ أَمَدًا) ضرب سبحانه لكلّ شيء أجلاً موقوتاً، وحداً محدوداً (وَقَدَّرْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَقْدِيْراً) (قَصُرَتِ الأَوْهَامُ عَنْ ذَاتِيَّتِكَ): عن كنهك، وحقيقتك، والمعنىٰ عجزت العقول عن إدراك الذّات القُدسية، ولذا جاء في الحديث: «تفكروا في ٱللّه، ولا تفكروا في ذات ٱللّه»[4]. (وَعَجَزَتِ الأَفْهَامُ عَنْ كَيْفِيَّتِكَ) أي عما يليق بك من صفات الجَلاَل،

---

(١) الأنْعَام: ١١٥.

(٢) آل عمران: ١٨.

(٣) أُنظر، إقبال الأعمال: ١/٨٥، الكافي: ٢/٥٠٤، مصباح المتهجد: ٥٤٣، عدة الدّاعي: ٢٤٦.

(٤) أُنظر، الجامع الصّغير لجلال الدّين السّيوطي: ١/٥١٤ ح ٣٣٤٧ و ٣٣٤٩، ولكن بلفظ (ولا

والكمال المُطلق (أَيْنِيَّتِكَ) من أين بمعنىٰ الإستفهام عن مكان الوجود، ولا مكان لوجوده تعالىٰ كي يدرك بالبصر، أو البصيرة. وفي نهج البلاغة: «لا يبصر بعين، ولا يحدّ بأين»(١).

أَنْتَ الَّذِي لاٰ تُحَدُّ فَتَكُونَ مَحْدُوداً، وَلَمْ تُمَثَّلْ فَتَكُونَ مَوْجُوداً، وَلَمْ تَلِدْ فَتَكُونَ مَوْلُوداً.

أَنْتَ الَّذِي لاٰ ضِدَّ مَعَكَ فَيُعَانِدَكَ، وَلاٰ عِدْلَ فَيُكَاثِرَكَ، وَلاَ نِدَّ لَكَ فَيُعَارِضَكَ؛ أَنْتَ الَّذِي ابْتَدَأَ، وَاخْتَرَعَ، وَاسْتَحْدَثَ، وَابْتَدَعَ، وَأَحْسَنَ صُنْعَ مَا صَنَعَ.

سُبْحانَكَ! مَا أَجَلَّ شَأْنَكَ، وَأَسْنَىٰ فِي الأَمَاكِنِ مَكَانَكَ، وَأَصْدَعَ بِالْحَقِّ فُرْقَانَكَ!

سُبْحَانَكَ مِنْ لَطِيفٍ مَا أَلْطَفَكَ، وَرَؤُوفٍ مَا أَرْأَفَكَ، وَحَكِيمٍ مَا أَعْرَفَكَ! سُبْحَانَكَ مِنْ مَلِيكٍ مَا أَمْنَعَكَ، وَجَوَادٍ مَا أَوْسَعَكَ، وَرَفِيعٍ مَا أَرْفَعَكَ، ذُو الْبَهاءِ، وَالْمَجْدِ، وَالْكِبْرِيَاءِ، وَالْحَمْدِ.

(لاٰ تُحَدُّ فَتَكُونَ مَحْدُوداً، وَلَمْ تُمَثَّلْ فَتَكُونَ مَوْجُوداً) أي بالوجود الحسي، أو الذهني علىٰ ما هو عَلَيْهِ، لأنّ ذاته القُدسية لا بداية لها، ولا نهاية، ومعنىٰ هذا أنّها

تفكروا في اللّه فتهلكوا)، وكنز العمال: ٣/١٠٦ ح ٥٧٠٥ و ٥٧٠٨، فيض القدير شرح الجامع الصّغير للمناوي: ٣/٣٤٥ و ٣٤٧، كشف الخفاء للعجلوني: ١/٣١١، تفسير الميزان: ٤/٩٠ و: ١٩/٥٣، تفسير ابن كثير: ٤/٤١١، الدّر المنثور: ٢/١١٠ و: ٦/١٣٠، مجمع الزّوائد: ١/٨١، إتحاف السّادة الْمُتّقين: ١/١٦٢ و: ٦/٥٣٦، ذيل تأريخ بغداد: ٣/١٤٧.

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٢/١٠٦، الخطبة (١٨٢)، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠/٨٨، البحار: ٤/٣١٤.

فوق الحس، والتّصور المحدودين، فكيف يحاط بها، أو بشيء منها، وقد تكرر هذا المعنىٰ في كلمات أَهْل ٱلْبَيْت بشتىٰ الأساليب، منها قول الباقر ﷺ: «إِنّ ٱللّه تعالىٰ خلو من خَلْقِه، وخَلْقِه خلو منه، وكلّ ما وقع عَلَيْهِ ٱسم شيء فهو مَخْلُوق ما خلا ٱللّه عزّ وجلّ»[١] ... «تفكروا في الْخَلْق، ولا تفكروا في الخالق»[٢]؛ لأنّ الخالق كامل بالذات، والمخْلُوق ناقص كذلك، والنّاقص لا يتسع للكامل، والضّعيف لا يتحمل القادر (وَلَمْ تَلِدْ فَتَكُونَ مَوْلُوداً)؛ لأنّ مَن كان لهُ ولد كان هو مولوداً بطريق التّناسل كالحيوان، أو بطريق النّشوء كالنبات.

(لاَ ضِدٌّ مَعَكَ فَيُعَانِدَكَ) الضّد: المخالف، وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء الثّامن والعشرين، وغيره (وَلاَ عِدْلَ) بكسر العين: النّظير (وَلاَ نِدٌّ) أيضاً المثيل، والنّظير (ابْتَدَأَ، وَاخْتَرَعَ، وَاسْتَحْدَثَ، وَابْتَدَعَ، وَأَحْسَنَ صُنْعَ مَا صَنَعَ) وفي دُعَاء سَيِّد ٱلشُّهَدَاء ﷺ: «الحَمْدُ لله الَّذِي ليس لقضائه دافع، ولا لعطائه مانع، ولا كصنعه صنع صانع، وهو الجواد الواسع، فطر أجناس البدائع»[٣]، حيث لا قدرة كقدرته، ولا علم كعلمه؛ لأنّه مبدأ كلّ قدرة، وعلم (سُبْحَانَكَ! مَا أَجَلَّ شَأْنَكَ) سُبْحانَكَ! من عظيم ما أعظمك! (وَأَسْنَىٰ فِي الأَمَاكِنِ مَكَانَكَ) أسنىٰ: أرفع، ومكانك: مقامك، قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾[٤]، وعَلَيْهِ يكون العطف للتكرار، والتّفسير

---

(١) أُنظر، بحار الأنوار: ٣٢٢/٣، تفسير الميزان: ١٠١/١.

(٢) أُنظر، الجامع الصّغير: ٥١٤/١ ح ٣٣٤٦، كنز العمال: ١٠٦/٣ ح ٥٧٠٦، تفسير القرطبي: ٣١٤/٤.

(٣) أُنظر، إقبال الأعمال: ٧٤/٢، مستدرك الوسائل: ٢٥/١٠، البحار: ٢١٣/٩٥، حياة الإمام الحُسين: ١٦٧/١.

(٤) إبراهيم: ١٤.

(وَأَصْدَعَ بِالْحَقِّ فُرْقَانَكَ!) صدع بالحقّ: أظهره، ونطق به، والفرقان: ما يفرق بين الْحَقّ، والْبَاطِل، والمعنىٰ ما أقوىٰ، وأصدق حجتك، وبرهانك. وقد تَقَدَّمَ قبل قليل بلفظ البيان، والبرهان.

(سُبْحَانَكَ مِنْ لَطِيفٍ مَا أَلْطَفَكَ) في الآية: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾[1]، أي بهم برٌ رفيق. وفي الدُّعاء الثّاني والثّلاثين: «فَغَذَوْتَنِي بِفَضْلِكَ غِذَاءَ الْبَرِّ اللَّطِيفِ». وفي الحديث: «ٱللَّه لطيف لعلمه بالشيء اللّطيف»[2]، أي بدقائق الأُمور، وغوامضها. وعَلَيْهِ يسوغ أنْ تستعمل كلمة اللّطيف في الرّفق، وفي العلم بالدقيق الغامض. وبهذا يكون المعنىٰ سُبْحانَكَ! من رفيق بعبادك، سُبْحانَكَ! من عليم بكلّ غامض، ودقيق (وَرَؤُوفٍ مَا أَرْأَفَكَ) والرّأفة رحمةٌ، وزيادة، ولذا قدم سبحانه ذكر الرّؤف علىٰ ٱلرَّحِيمِ في كلّ آية جمعت بينهما. وفي دُعَاء سَيِّد ٱلشُّهَدَاء ﷺ: «إلهي وَصَفْتَ نفسك باللّطف، والرّأفة لِي قبل وجود ضعفي أفتمنعني منهما بعد وجود ضعفي؟»[3]. هذا هو خطاب أهْل ٱللَّه مع ٱللَّه، لا فرق بينه وَبَيْنَ الوحي من حيث الصّدق، وإيثار الْحَقّ.

(وَحَكِيمٍ مَا أَعْرَفَكَ!) بالإتقان، والتّدبير، والمصالح، والمفاسد، وكلّ شيء (سُبْحَانَكَ مِنْ مَلِيكٍ مَا أَمْنَعَكَ) قهرت بملكك كلّ مالك، وأمتنعت بقدرتك عن كلّ شيء، ولا شيء يمتنع منك (وَجَوَادٍ مَا أَوْسَعَكَ) واضح وتَقَدَّمَ مرات، منها في هذا الدُّعاء بالذات (وَرَفِيعٍ مَا أَرْفَعَكَ) تكرار لقوله قبل لحظة: «مَا أَجَلَّ شَأنَكَ، وَأَسْنَىٰ

---

(١) الشّورىٰ: ١٩.

(٢) أُنظر، مستدرك سفينة البحار: ٩/٢٥٦، مجمع البحرين: ٤/١٢١.

(٣) أُنظر، بحار الأنوار: ٩٥/٢٢٥، البلد الأمين: ٢٥١، زاد المعاد: ١٤٦، صحيفة الحُسين ﷺ: ٢١٠.

فِي الأمَاكِنِ»، وذكرنا في الدُّعاء السّادس أنّ من شأن الأدعية التّكرار (ذُو الْبَهاءِ) بهاء ٱللّه تعالىٰ: كمالِه، وجلالِه، وعزتِه، وعَظَمَتِهِ (وَالْـمجْدِ) لعـظمته فـي ذاتـه، وصفاتِهِ، وأفعاله (وَالْكِبْرِيَاءِ) أُنظر، تفسير الْكَبِيرُ الْـمُتَكَبِّرُ فـي أوّل هـذا الدُّعـاء (وَالْحَمْدِ) ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾[1].

سُبْحَانَكَ بَسَطْتَ بِالْخَيْرَاتِ يَدَكَ، ما وَعُرِفَتِ الْهِدَايَةُ مِنْ عِـنْدِكَ، فَمَنِ ٱلْتَمَسَكَ لِدِينٍ، أوْ دُنْيا... وَجَدَكَ.

سُبْحَانَكَ خَضَعَ لَكَ مَنْ جَرىٰ فِي عِلْمِكَ، وَخَشَعَ لِعَظَمَتِكَ مَـا دُونَ عَرْشِكَ، وَانْقَادَ لِلتَّسْلِيمِ لَكَ كُـلُّ خَـلْقِكَ؛ سُـبْحَانَكَ لاَ تُـجَسُّ، وَلاَ تُحَسُّ، وَلاَ تُمَسُّ، وَلاَ تُكَادُ، وَلاَ تُمَاطُ، وَلاَ تُنَازَعُ، وَلاَ تُجَارىٰ، وَلاَ تُمَارىٰ، وَلاَ تُخَادَعُ، وَلاَ تُمَاكَرُ.

سُبْحَانَكَ سَبِيلُكَ جَدَدٌ، وَأَمْرُكَ رَشَدٌ، وَأَنْتَ حَيٌّ صَمَدٌ؛ سُـبْحَانَكَ قَـوْلُكَ حُكْـمٌ، وَقَـضَآؤُكَ حَـتْمٌ، وَإِرَادَتُكَ عَـزْمٌ؛ سُـبْحَانَكَ لاَ رَادَّ لِمَشِيَّتِكَ، وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِكَ؛ سُبْحَانَكَ قَاهِرَ الأَرْبَابِ، بَاهِرَ الآيَاتِ، فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ بَارِئَ النَّسَمَاتِ.

(سُبْحَانَكَ بَسَطْتَ بِالْخَيْرَاتِ يَدَكَ) وفي دُعَاء سَيِّد ٱلشُّهَدَاءِ ﷺ: «يا مَن أياديه عندي لا تحصىٰ، يا مَن نعمه عندي لا تجازىٰ، يا مَن عارضني بالخير، والإحسان، وعارضته بالإساءة، والعصيان»[2]، (وَعُرِفَتِ الْهِدَايَةُ مِنْ عِنْدِكَ)، أيضاً في دُعَـاء سَيِّد ٱلشُّهَدَاء: «يا من هداني بالإيمان قبل أنْ أعـرف شكـر الإمـتنان»[3] (فَـمَنِ

---

(١) الإسراء: ٤٤.

(٢) أُنظر، إقبال الأعمال: ٣٣٩ ـ ٣٥٠، البلد الأمين: ٢٥١ ـ ٢٥٨، بحار الأنوار: ٢٢١/٩٥.

(٣) أُنظر، إقبال الأعمال: ٨١/٢، بحار الأنوار: ٢٢١/٩٥، صحيفة الإمام الحُسين ﷺ: ١٨٨.

ٱلْتَمَسَكَ لِدِينٍ): للصفح، والعفو عن الذُّنُوبِ، وفي دُعَاء سَيِّد ٱلشُّهَدَاء ﷺ: «يا مَن وسع المستقيلين رأفةً، وعلماً»⁽¹⁾ (أَوْ دُنْيا وَجَدَكَ) كما قلت في كتابك العزيز: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾⁽²⁾ (خَضَعَ لَكَ مَنْ جَرىٰ فِي عِلْمِكَ، وَخَشَعَ لِعَظَمَتِكَ مَا دُونَ عَرْشِكَ...) أي ما تحته، والمعنىٰ كلّ ما ومَن في الكون خاضع لأمرك، وخاشع لعظمتك لأنّك العلي الأعلىٰ الَّذِي ليس كمثله شيء.

(سُبْحَانَكَ لاَ تُحَسُّ): لا تدرك بالحواس (وَلاَ تُجَسُّ) لا يمكن التّجسس عَلَيْكَ، ومعرفة ما لديك، وقيل غير ذَٰلِكَ (وَلاَ تُمَسُّ) باليد، وغيرها (وَلاَ تُكَادُ) لا تخدع (وَلاَ تُمَاطُ) مَاط عنه: تنحىٰ عنه، وأبتعد، والمُراد هنا لا مفر منك إلا إليك (وَلاَ تُنَازَعُ) لأنّك العلي الكبير، وفوق كلّ قدير (وَلاَ تُمَارىٰ): لا تجادل، قال سبحانه: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾⁽³⁾، أي تجادلونه (سَبِيلُكَ جَدَدٌ) بفتح الجيم، والدّال: الطّريق الصّلبة المستقبلة، والمعنىٰ دِينِك هو الدّين القويم، والصّراط المستقيم (وَأَمْرُكَ رَشَدٌ) بفتح الرّاء، والشّين: الهدىٰ، والْخَيْر (حَيٌّ صَمَدٌ): مقصد الخلائق في الحاجات، والْمُهِمَّات الَّذِي لا يقضي دونه أمر (قَوْلُكَ حُكْمٌ) مبرم (وَقَضَآؤُكَ حَتْمٌ) قضاؤه تعالىٰ علمه السّابق بحدوث الشّيء علىٰ حاله، ووضعه، وما من شك أنّ المعلوم لا ينفك، ويتخلف عن علمه.

(وَإِرَادَتُكَ عَزْمٌ) المُراد بالعزم هنا الحتم، فقد جاء في أُصول الكافي عن الإمام الرّضا ﷺ: «الإرادة من الْخَلْق الضّمير، وما يبدو لهم بعد ذَٰلِكَ من الفعل، وأمّا من ٱللّٰه تعالىٰ فإرادته إحداثه لا غير ذَٰلِكَ لأنّه لا يروي، ولا يهم، ولا يفكر، وهَٰذِهِ الصّفات

---

(1) أُنظر، حياة الإمام الحُسين ﷺ: ١/١٧٨، زاد المعاد: ١٤٦، بالإضافة إلىٰ المصادر السّابقة.

(2) النّمل: ٦٢.

(3) النّجم: ١٢.

منفيه عنه وهي صفات الْخَلْق، فإرادة ٱللّٰه الفعل لا غير ذٰلِكَ يقول له: كُنْ فيكون بلا لفظ، ولا نطق بلسان، ولا همّة، ولا تفكر، ولا كيف لذلك، كما أنّه لا كيف له»[1] (لاَ رَادَّ لِمَشِيَّتِكَ...) توكيد، وتكرار (بَاهِرَ الآيَاتِ) غلبت آياتك، ودحضت بيناتك كلّ حجّة، ودليل (فَاطِرَ السَّمَوَاتِ): أبدعتها من غير مثال يحتذىٰ (بَارِئَ النَّسَمَاتِ): خالق النّفوس.

لَكَ الْحَمْدُ حَمْداً يَدُومُ بِدَوامِكَ، وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْداً خَالِداً بِنِعْمَتِكَ، وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْداً يُوَازِي صُنْعَكَ، وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْداً يَزِيدُ عَلَىٰ رِضَاكَ، وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْداً مَعَ حَمْدِ كُلِّ حَامِدٍ، وَشُكْراً يَقْصُرُ عَنْهُ شُكْرُ كُلِّ شَاكِرٍ.

... حَمْداً لاَ يَنْبَغِي إِلَّا لَكَ، وَلاَ يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَّا إِلَيْكَ؛ حَمْداً يُسْتَدَامُ بِهِ الأَوَّلُ، وَيُسْتَدْعَىٰ بِهِ دَوَامُ الآخِرِ.

حَمْداً يَتَضَاعَفُ عَلَىٰ كُرُورِ الأَزْمِنَةِ، وَيَتَزَايَدُ أَضْعَافاً مُتَرَادِفَةً؛ حَمْداً يَعْجِزُ عَنْ إِحْصَآئِهِ الْحَفَظَةُ، وَيَزِيدُ عَلَىٰ مَا أَحْصَتْهُ فِي كِتَابِكَ الْكَتَبَةُ.

حَمْداً يُوَازِنُ عَرْشَكَ الْمَجِيدَ، وَيُعَادِلُ كُرْسِيَّكَ الرَّفِيعَ. حَمْداً يَكْمُلُ لَدَيْكَ ثَوَابُهُ، وَيَسْتَغْرِقُ كُلَّ جَزَآءٍ جَزَآؤُهُ؛ حَمْداً ظَاهِرُهُ وَفْقٌ لِبَاطِنِهِ، وَبَاطِنُهُ وَفْقٌ لِصِدْقِ ٱلنِّيَّةِ فِيهِ. حَمْداً لَمْ يَحْمَدْكَ خَلْقٌ مِثْلَهُ، وَلاَ يَعْرِفُ أَحَدٌ سِوَاكَ فَضْلَهُ.

---

(١) أُنظر، الكافي: ١/١٠٩، شرح أُصول الكافي: ٣/٢٦٧، اوائل المقالات: ٣٦٩، مسألة في الإرادة للشيخ المفيد: ١١، بحار الأنوار: ٤/١٣٨.

حَمْداً يُعَانُ مَنِ اجْتَهَدَ فِي تَعْدِيْدِهِ، وَيُؤَيَّدُ مَـنْ أَغْـرَقَ نَـزْعَاً فِـي تَوْفِيَتِهِ؛ حَمْداً يَجْمَعُ مَا خَلَقْتَ مِنَ الْحَمْدِ، وَيَنْتَظِمُ مَا أَنْتَ خَالِقُهُ مِنْ بَعْدُ؛ حَمْداً لاَ حَمْدَ أَقْرَبُ إِلَىٰ قَوْلِكَ مِنْهُ، وَلاَ أَحْمَدَ مِمَّنْ يَحْمَدُكَ بِهِ.

حَمْداً يُوجِبُ بِكَرَمِكَ الْمَزِيدَ بِوُفُورِهِ، وَتَصِلُهُ بِمَزِيْدٍ بَعْدَ مَزِيْدٍ طَوْلاً مِنْكَ، حَمْداً يَجِبُ لِكَرَمِ وَجْهِكَ، وَيُقَابِلُ عِزَّ جَلاَلِكَ.

من حمد ٱللَّه سبحانه فقد توجه إليه، وأثنىٰ عَلَيْهِ معترفاً بربوبيته، وجـلاله، وأنعمه، وإفضاله. وما من مَخْلُوق إلا ويسبح بحمد خالقهِ بـطبعه، ووضـعه، قـال سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[1]. ومن هنا كان تكرار الحَمْد، والشُّكْر لله تكراراً لعبادته تماماً كالركوع، والسّجود، والطّواف حول ٱلبَيْت العتيق، والإمام عليّ بْن الحُسين عليه السلام عَـبَدَ ٱللَّـه سبحانه حتّىٰ ٱشتهر بالسجاد، وزين العباد، وهذا الجزء من دعائه مظهر من مظاهر عبادته، وٱنقطاعه لخالقه، وهو في غاية الوضوح لا يحتاج إلىٰ الشّرح، والتّفسير، وأيضاً تقدمت كلماته، أو الكثير منها في الأدعية السّابقة، لذا ندع توضيح الواضح، وإعادته، ونذكر فيما يلي بعض ما جاء في التّحميد، والتمجيد: قـال سـبحانه: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ﴾[2]. وتكرار الأمر بالتحميد في العـديد مـن الآيات. وفي أُصول الكافي عن الإمام الصَّادِق عليه السلام: «إحمد ٱللَّه؛ فإنّه لا يبقىٰ أحد يصلي إلا دعا له، لأنّه يقول في صلاته: سمع ٱللَّه لمن حمده»[3]. وكـان رَسُـول

---

(١) الإسراء: ٤٤.

(٢) غافر: ٥٥.

(٣) أُنظر، الكافي: ٢/٥٠٣ ح ١، روض الجنان: ٢٧٤، شرح أُصول الكـافي: ١٠/٣٨٩، عـدة الدّاعي: ٢٤٥، الوسائل: ٤/٩٤٠ ح ٢، بحار الأنوار: ٨١/١٩٢.

اَللّٰه ﷺ إذا أصبح قال: «الحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِين كثيراً علىٰ كلّ حال ثلاثمئة وستين مرة، وإذا أمسىٰ قال مثل ذٰلِكَ»[1]. «كلّ دُعَاء لا يكون قبله تحميد فهو أبتر»[2].

رَبِّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الْمُنْتَجَبِ، الْمُصْطَفَىٰ، الْـمُكَرَّمِ، الْمُقَرَّبِ. . . ، أَفْضَلَ صَلَوَاتِكَ، وَبَارِكْ عَلَيْهِ أَتَمَّ بَرَكَاتِكَ، وَتَرَحَّمْ عَلَيْهِ أَمْتَعَ رَحَمَاتِكَ.

رَبِّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ. . . ، صَلاَةً زَاكِيَةً، لاَ تَكُونُ صَلاَةٌ أَزْكَىٰ مِنْهَا، وَصَلِّ عَلَيْهِ صَلاَةً نَامِيَةً، لاَ تَكُونُ صَلاَةٌ أَنْمَىٰ مِنْهَا، وَصَلِّ عَلَيْهِ صَلاَةً رَاضِيَةً، لاَ تَكُونُ صَلاَةٌ فَوْقَهَا.

رَبِّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ. . . ، صَلاَةً تُرْضِيهِ، وَتَزِيدُ عَلَىٰ رِضَاهُ، وَصَلِّ عَلَيْهِ صَلاَةً تُرْضِيكَ، وَتَزِيدُ عَلَىٰ رِضَاكَ لَهُ، وَصَلِّ عَلَيْهِ صَلاَةً لاَ تَرْضَىٰ لَهُ إِلَّا بِهَا، وَلاَ تَرىٰ غَيْرَهُ لَهَا أَهْلاً.

رَبِّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، صَلاَةً. . . ، تُجَاوِزُ رِضْوَانَكَ، وَيَتَّصِلُ اتِّصَالُهَا بِبَقَائِكَ، وَلاَ يَنْفَدُ كَمَا لاَ تَنْفَدُ كَلِمَاتُكَ.

رَبِّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ. . . صَلاَةً تَنْتَظِمُ صَلَوَاتِ مَلاَئِكَتِكَ، وَأَنْبِيَائِكَ، وَرُسُلِكَ، وَأَهْلِ طَاعَتِكَ؛ وَتَشْتَمِلُ عَلَىٰ صَلَوَاتِ عِبَادِكَ مِنْ جِنِّكَ، وَإِنْسِكَ، وَأَهْلِ إِجَابَتِكَ، وَتَجْتَمِعُ عَلَىٰ صَلاَةِ كُلِّ مَنْ ذَرَأْتَ، وَبَرَأْتَ مِنْ أَصْنَافِ خَلْقِكَ.

---

(١) أنظر، الكافي: ٢/٥٠٤ ح ٣ و ٤، شرح أُصول الكافي: ١٠/٢٨٩، وسائل الشّيعة: ٧/١٧١، علل الشّرائع: ٢/٣٥٣.

(٢) أُنظر، الكافي: ٢/٥٠٤، شرح أُصول الكافي: ١٠/٢٩٠، وسائل الشّيعة: ٧/٨٢.

رَبِّ صَلِّ عَلَيْهِ وَآلِهِ... صَلاَةً تُحِيطُ بِكُلِّ صَلاَةٍ سَالِفَةٍ، وَمُسْتَأْنَفَةٍ، وَصَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ صَلاَةً مَرْضِيَّةً لَكَ، وَلِمَنْ دُونَكَ، وَتُنْشِئُ مَعَ ذَلِكَ صَلَوَاتٍ تُضَاعِفُ مَعَهَا تِلْكَ ٱلصَّلَوَاتِ عِنْدَهَا، وَتَزِيدُهَا عَلَىٰ كُرُورِ الأَيَّامِ زِيَادَةً فِي تَضَاعِيفَ لاَ يَعُدُّهَا غَيْرُكَ.

أمر سبحانه بالصّلاة له في العديد من الآيات، وأيضاً أمر بالصّلاة علىٰ نَبيّه ٱلْكَرِيمِ مُحمّد في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[1]، وفي حديث شريف: «أكثروا الصَّلاَةَ علىٰ مُحمّد، وعلىٰ آلِ مُحمّد»[2]. وفي آخر: «أرفعوا أصواتكم بالصّلاة علىٰ مُحمّد وَآلِهِ»[3]. وفي ثالث: «مَن صلّىٰ عليَّ صلّىٰ ٱللّه عَلَيْهِ، ومَلائِكَتِه»[4]. وفي رابع: «مَن ذكرت عنده ولم يصَلِّ عليّ دخل ٱلنّار»[5].. إلىٰ كثير من أحاديث هذا الباب، وهنا يكمن سرّ تكرار الصَّلاَة عَلَيْهِ وعلىٰ آلِهِ في العبادة، والأدعية، والأنديه، وعند ذكره، وفي كلّ مناسبة، وحين.

وللإمام السّجاد ﷺ دُعَاء خاص بالصلاة علىٰ سَيِّد الكونين وَآلِهِ، وهو الثّاني في صحيفة، وآخر خاص بصحابته، ثُم كرر الصَّلاَة علىٰ مُحمّد وَآلِهِ في جميع

---

(١) الأحزاب: ٥٦.

(٢) أُنظر، فقه الرّضا: ٣٣٩، مصباح المتهجد: ٣٤٤، السّرائر: ٣/٥٧٧.

(٣) أُنظر، الكافي: ٢/٤٩٣، ثواب الأعمال: ١٥٩، شرح أُصول الكافي: ١٠/٢٧١، بحار الأنوار: ٩١/٥٩.

(٤) أُنظر، مسند زيد: ٣٣، إعانة الطّالبين: ١/٢٨٠، مواهب الجليل: ٢/١٠٣، حاشية رد المحتار: ١/٤٢٩.

(٥) أُنظر، شرح أُصول الكافي: ١٠/٢٦٩، مستدرك الوسائل: ٥/٣٥٢، فتح الباري: ١١/١٤٤.

أدعيته السّابقة، واللاحقة، وبالخصوص في هذا الدُّعاء الَّذِي نحن بصدده حيث ذكر ٱلرَّسُول المنتخب المقرب بأكمل الصّفات، وألحّ علىٰ ٱللَّه سبحانه، وأطال في أنْ يصلي عَلَيْهِ صلاةً تتجاوز الحدّ كماً، وكيفاً، وتكلمت ـ فيما سبق ـ عن الصَّلاَة، وعلىٰ مُحمّد وَآلِهِ وعن شخصيته ﷺ، وذكرت طرفاً من أقوال المستشرقين المنصفين، وغيرهم من الغربيين الّذين يهتمون بالدّراسات الإنسانية، والإسلامية[1].

ومن أجل ذٰلِكَ أدع شرح هذا الجزء «الواضح» الخاص بالصلاة علىٰ مُحمّد، إلىٰ الأهم، والأكثر فائدة، وهو الفقرة التّالية:

مُحمّد هو الوحيد في كتابٍ جديد

الآن، وبعد أشهر مما نقلت، وذكرت عن مُحمّدﷺ في كتابي هذا ـ قرأتُ مقالاً في مجلة العربي الكويتية العدد (٢٤١) تأريخ كانون الأوّل سَنَة (١٩٨٧م) للأُستاذ أحمد بهاء الدّين، بعنوان المئة الأوائل، جاء في ما يلي:

ظهر أخيراً في الولايات المتحدة الأميركية كِتَاب جديد للدكتور «مايكل هارث» الَّذِي يحمل أربع شهادات: الأُولىٰ في الرّياضيات، والثّانية في القانون، والثّالثة في الفيزياء، والرّابعة في الفلك، وهو الآن مسئول علمي عن التّطبيقات العلمية لعلوم الفضاء، ومن أخص صفاته أنّه يبذل جهداً جباراً خارقاً في القراءة، والمطالعة بخاصة تأريخ العالم، وحضارته بكلّ وجوهها، وٱسم كتابه الجديد «المئة»! وموضوعه أهم مئة رجل في التّأريخ الإنساني كلّه، وقد أخذ علىٰ نفسهِ أنْ يترتب المئة في الذّكر تبعاً لأهمية كلّ واحد منهم، فالأوّل عظمةً هو الأوّل ذِكراً،

---

(١) أُنظر شرح الدُّعاء الثّاني فقرة: طبيعة الدّعوة، وشخصية الدّاعي، والدُّعاء السّادس فقرة: الشّخصية اللامعة الجذابة، والدُّعاء الثّاني والأربعون فقرة: شخصية مُحمّد.

وهكذا الثّاني، والثّالث...

وقد إختار الأوّل من المئة مُحمّداًﷺ، ويدلنا هذا ـ كما قال بهاء الدّين ـ أنّ المؤلف علىٰ درجة عالية من التّجرد٢، وعدم الإنحياز، لأنّه مسيحي علماً بأنّه جعل السّيد المسيح عليه السلام في الرّقم الثّالث، وموسىٰ الكليم عليه السلام في الرّقم السّادس عشر، وبرر المؤلف المسيحي إختياره مُحمّداً للأوّلية بقوله:

«إنّ إختياري مُحمّداً ليكون الأوّل في قائمة أهم رجال التّأريخ قد يدهش القراء. لكنه الرّجل الوحيد في التّأريخ كلّه الَّذِي نجح أعلىٰ نجاح علىٰ المستويين: الدّيني، والدّنيوي. فهناك رُسل، وحكماء بدأوا رسالات عظيمة، ولكنهم ماتوا دون إتمامها كالمسيح في المسيحية...، أو شاركهم فيها غيرهم، أو سبقهم فيها غيرهم، أو سبقهم إليها سواهم كموسىٰ في اليهودية، ولكن مُحمّداً هو الوحيد الَّذِي رسالته الدّينية كاملة، وتحددت كلّ أحكامها، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته؛ لأنّه أقام إلىٰ جانب الدّين دولة جديدة، ووحّد القبائل في شعب، والشّعوب في أُمّة، ووضع لها كلّ أسس حياتها، ورسم أُمور دنياها، ووضعها في موضع الإنطلاق إلىٰ العالم...أيضاً في حياته».

ثُمَّ يضيف المؤلف المسيحي إلىٰ ذٰلِكَ: «إنّ معظم الّذين غيروا التّأريخ ظهروا في قلب أحد المراكز الحضارية في العالم... ولكن مُحمّداً هو الوحيد الَّذِي نشأ في بقعة من صحراء جرداء مجردة تماماً من كلّ مقومات الحضارة، والتّقدم، ولكنه جعل من البدو البسطاء المتحاربين قوة معنوية هائلة قهرت بعد ذٰلِكَ إمبرطوريات فارس، وبيزنطية، وروما المتقدمة بما لا يقاس. وفي تأريخ الغزو في كلّ زمان، ومكان يكون الغزو عسكرياً. ولكن الرّسالة المحمدية جعلت معظم البلاد الّتي فتحها خلفاؤه عرباً تماماً، وتغيرت لغةً، وديناً، وقوميةً... وَثَبَّتْ ذٰلِكَ وأستقر بما

ليس له مثيل في تأريخ الفتح في العالم... كذلك لا يوجد نصّ في تأريخ الرّسالات نقل عن رجل واحد، وبقي بحروفه كاملاً دون تحريف سوىٰ الْقُرْآن الَّذِي نقله مُحمّد، الأمر الَّذِي لا ينطبق علىٰ ٱلتَّوْراة مثلاً، أو ٱلإِنجِيل... ومن أجل ذٰلِكَ وجدت أنّ مُحمّداً هو صاحب الْحَقّ الوحيد في أنْ أعتبره صاحب أَعْظَمْ تأثير علىٰ الإطلاق في التّأريخ الإنساني».

هذا ما قرأتهُ عن مُحمّد، وأنا أكتب في الصَّلاَة عَلَيْهِ وعلىٰ آلِهِ في شَهْر كانون الأوّل ١٩٧٨م، وأيضاً بهذا التّأريخ قرأت عن الإسْلاَم الَّذِي جاء به مُحمّدﷺ مايلي:

نشرت مجلة المستقبل الّتي تصدر الآن في باريس العدد (٩٥) تأريخ (١٦) كانون الأوّل مقالاً بعنوان: «الإسْلاَم ولعبة الأُمم»، جاء فيه:

موضوع الإسْلاَم في هَٰذِهِ الأيام يشغل الصّحافة اليومية الغربية، فجريدة لوموند الفرنسية نشرت سلسلة مقالات للمستشرق الفرنسي (مكسيم رودنسون) عن العودة إلىٰ الأُصول الإسلامية (أي عودة المسلمين إلىٰ الإسْلاَم)، وجريدة الهيرالد تربيون نشرت أكثر من تعليق حول الإسْلاَم، والسّبب المباشر لهذا الإهتمام الجديد بالإسلام هو ثورة إيران باسم الإسْلاَم ضد الظُّلم، والطّغيان... لقد آكتشف الغرب فجأة أنّ الدّين الإسلامي ما زال حيّاً في نفوس (٧٠٠) مليون إنسان[1]، وهذا يهدد مصالح الغرب... ولكنه نتيجة طبيعة في مجتمعات خرجت حديثاً من تحت نير

---

(١) في مجلة العربي الكويتية العدد (٢٢٣) تأريخ حزيران (١٩٧٧م) ص: ٥٠ مانصه بالحرف: «إنّ ربع سُكان الكرة الأرضية الآن ألف مليون ينتمون إلىٰ الإسْلاَم، والرّبع الآخر يعتنق المسيحية، والرّابع الثّالث موزع بين الهندوكية، والبوذية، واليهودية، والمجوسية، وبقايا أديان أُخرىٰ، والرّبع الأخير يعتنق الشّيوعية» أي اللادينية.

الإستعمار، وترفض في الوقت ذاته تبني عقيدة مادية.

وفي العدد المذكور من مجلة المستقبل مقال آخر بعنوان (عاشوراء الشّاة) في ساعاتها الأخيرة، ختمه الكاتب بالعلاقة بين ثورة كربلاء، وثورة إيران.

وأيضاً قرأت في مجلة الحوادث الّتي تصدر الآن بلندن العدد (١١٤٥) تأريخ (١٥) كانون الأوّل (١٩٧٨م)، مقالاً بعنوان: «مطلبان لا مطلب واحد للشعوب المقهورة» جاء فيه: (إنّ شدة هجوم الغرب علىٰ الإلحاد الشّيوعي يوحي بأنّ الغرب إذا لم يكن متديناً فإنّه يحترم الدّين، ويسمح للمتدينين بأنْ يمارسوا الحياة الدينية غير أنّ مواقف الغرب بحكوماته، وصحافته من ثورة إيران ـ الّتي تهدد مصالح الغرب ـ يثير الإستغراب... وهنا يلتقي الغرب، والشّرق ضد الإسْلاَم...إنّ الدّين قد أصبح محركاً للشعوب، وليس أفيوناً لها كما قال ماركس).

أبداً، لا ذنب للإسلام عند خصومه إلا ذنب الطّاهرة عند العاهرة، والمخلص عند الخائن، والضّاري الشّقي عند البر التّقي، وهل يطلب من الصّهاينة، والمستعمرين القدامىٰ، والجدد أنْ يهادنوا الإسْلاَم، والْقُرآن الّذي يثير الشّعوب، والأجيال ضد كلّ جائر، وكافر بقوله: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]....﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾[2]....، ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[3]....﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾[4]....،

(١) الأعراف: ٤٤.
(٢) النّساء: ٧٥.
(٣) النّساء: ٧٦.
(٤) التّوبة: ١٢.

﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[1]... . إلىٰ عشرات الآيات، والأحاديث.

رَبِّ صَلِّ عَلَىٰ أَطَائِبِ أَهْلِ بَيْتِهِ ٱلَّذِينَ ٱخْتَرْتَهُمْ لِأَمْرِكَ، وَجَعَلْتَهُمْ خَزَنَةَ عِلْمِكَ، وَحَفَظَةَ دِينِكَ، وَخُلَفَاءَكَ فِي أَرْضِكَ، وَحُجَجَكَ عَلَىٰ عِبَادِكَ، وَطَهَّرْتَهُمْ مِنَ الرِّجْسِ، وَٱلدَّنَسِ تَطْهِيراً بِإِرَادَتِكَ، وَجَعَلْتَهُمُ الْوَسِيلَةَ إِلَيْكَ، وَالْمَسْلَكَ إِلَىٰ جَنَّتِكَ.

رَبِّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلاَةً... تُجْزِلُ لَهُمْ بِهَا مِنْ تُحَفِكَ خ ل، (أَوْ نِحَلِكَ)، وَكَرَامَتِكَ، وَتُكْمِلُ لَهُمُ الأَشْيَاءَ مِنْ عَطَايَاكَ، وَنَوَافِلِكَ، وَتُوَفِّرُ عَلَيْهِمُ الْحَظَّ مِنْ عَوَائِدِكَ، وَفَوَائِدِكَ.

رَبِّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ... صَلاَةً لاَ أَمَدَ فِي أَوَّلِهَا، وَلاَ غَايَةَ لِأَمَدِهَا، وَلاَ نِهَايَةَ لِآخِرِهَا؛ رَبِّ صَلِّ عَلَيْهِمْ زِنَةَ عَرْشِكَ وَمَا دُونَهُ، وَمِلْءَ سَمٰوَاتِكَ، وَمَا فَوْقَهُنَّ، وَعَدَدَ أَرَضِيكَ، وَمَا تَحْتَهُنَّ، وَمَا بَيْنَهُنَّ، صَلاَةً تُقَرِّبُهُمْ مِنْكَ زُلْفَىٰ، وَتَكُونُ لَكَ، وَلَهُمْ رِضىً، وَمُتَّصِلَةً بِنَظَائِرِهِنَّ أَبَداً.

أهل ٱلْبَيْت

(رَبِّ صَلِّ عَلَىٰ أَطَائِبِ أَهْلِ بَيْتِهِ ٱلَّذِينَ ٱخْتَرْتَهُمْ لِأَمْرِكَ...) في صحيح مسلم القسم الثّاني من الجزء الثّاني: «قالت عائشة: خرج النّبي ﷺ غداة، وعَلَيْهِ مرط (أي كساء غير مخيط) فجاء الحَسن فأدخله، ثُمَّ جاء الحُسين فأدخله، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثُمَّ جاء عليّ فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ

(١) ٱلْبَقَرَة: ٢٥٤.

ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

وتسأل: من أي نوع هي الإرادة الإلهية في هَذِهِ الآية ؟ هل هي من نوع الأمر، والتّشريع، وإذن فلا مبرر للتخصيص بأهل ٱلْبَيْت؛ لأنّه تعالىٰ يأمر بالبعد عن المعصية كلّ المكلفين، أو هي من نوع التّكوين أي تقول للشيء كن فيكون، وإذن فلا فضيلة لأهل ٱلْبَيْت ما داموا غير مختارين ؟.

الجواب: ـ لا إرادة تشريعية، ولا تكوينية، وإنّما مجرد حكاية عن الْعِصْمَة، والطّهارة بالفعل في أهْل ٱلْبَيْت ﷺ، وأسندها سبحانه إلىٰ إرادته، لأنّه المبدأ الأوّل لكلّ شيء. وقد تَقَدَّمَ الكلام حول أهْل ٱلْبَيْت في شرح الدُّعاء الثّاني والأربعين فقرة مودة آلِ ٱلرَّسُول.

(وَالْمَسْلَكَ إِلَىٰ جَنَّتِكَ...) في الجزء الثّاني من كِتَاب فضائل الخمسة للفيروز آبادي: أنّ النّبي ﷺ قال: «مثل أهْل بيتي كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق»[2].

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

أُنظر، صحيح مسلم باب فضائل أهْل ٱلْبَيْت: ٢ / ٢٦٨ طبعة عيسىٰ الحلبي بمصر، و: ١٥ / ١٩٤ طبعة مصر أيضاً بشرح النّووي، ذخائر العقبىٰ للطبري الشّافعي: ٢٤، فتح البيان لصدّيق حسن خان: ٧ / ٣٦٥، فتح القدير للشوكاني: ٤ / ٢٧٩، شواهد التّنزيل للحسكاني الحنفي: ٢ / ٥٦ ح ٦٧٦ ـ ٦٨٤ تحقيق الشّيخ المحمودي، المستدرك للحاكم: ٣ / ١٤٧، الدّرّ المنثور للسيوطي: ٥ / ١٩٨، كفاية الطّالب للحافظ الكنجي الشّافعي: ٥٤ و ٣٧٣ و ٣٧٤ طبعة الحيدرية، نظم درر السّمطين للزرندي الحنفي: ١٣٣.

(٢) أُنظر، فضائل الخمسة: ٢ / ١٠٠، وروىٰ هذا الحديث الحاكم في مستدرك الصّحيحين: ٢ / ٣٤٣، طبعة سَنَة ١٣٢٤ هـ، حلية الأولياء: ٤ / ٣٠٦ طبعة سَنَة ١٣٥١ هـ، والخطيب البغدادي:

(مِنْ تُحَفِكَ خ ل ، (أَوْ نِحَلِكَ): جمع نِحلة وهي العطية (وَنَوَافِلِكَ): جمع نافلة أي هبة مجانيه (مِنْ عَوَائِدِكَ): جمع عائدة أيضاً الصّلة، والمنفعة، ومثلها الفائدة، وكلّ هٰذِهِ الكلمات متقاربة، ومتشابهة في معناها (زُلْفىٰ): قُربىٰ، ومنزلة، ودرجة (وَمُتَّصِلَةً بِنَظَائِرِهِنَّ أَبَداً): بلا انفصال، وانقطاع.

أَللَّهُمَّ إِنَّكَ أَيَّدْتَ دِينَكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ بِإِمَامٍ أَقَمْتَهُ عَلَماً لِعِبَادِكَ، وَمَنَاراً فِي بِلاَدِكَ، بَعْدَ أَنْ وَصَلْتَ حَبْلَهُ بِحَبْلِكَ، وَجَعَلْتَهُ الذَّرِيعَةَ إِلَىٰ رِضْوَانِكَ، وَافْتَرَضْتَ طَاعَتَهُ، وَحَذَّرْتَ مَعْصِيَتَهُ، وَأَمَرْتَ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ (أَوَامِرِه خ ل) وَالانْتِهَاءِ عِنْدَ نَهْيِهِ، وَأَلَّا يَتَقَدَّمَهُ مُتَقَدِّمٌ، وَلاَ يَتَأَخَّرَ عَنْهُ مُتَأَخِّرٌ، فَهُوَ عِصْمَةُ اللاَّئِذِينَ، وَكَهْفُ الْمُؤْمِنِينَ، وَعُرْوَةُ الْمُسْتَمْسِكِينَ، وَبَهَاءُ الْعَالَمِينَ.

أَللَّهُمَّ فَأَوْزِعْ لِوَلِيِّكَ شُكْرَ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيْهِ، وَأَوْزِعْنَا مِثْلَهُ فِيهِ، وَآتِهِ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً، وَافْتَحْ لَهُ فَتْحاً يَسِيراً، وَأَعِنْهُ بِرُكْنِكَ الأَعَزِّ، وَاشْدُدْ أَزْرَهُ، وَقَوِّ عَضُدَهُ، وَرَاعِهِ بِعَيْنِكَ، وَاحْمِهِ بِحِفْظِكَ، وَانْصُرْهُ بِمَلاَئِكَتِكَ، وَامْدُدْهُ بِجُنْدِكَ الأَغْلَبِ، وَأَقِمْ بِهِ كِتَابَكَ، وَحُدُودَكَ، وَشَرَائِعَكَ، وَسُنَنَ رَسُولِكَ صَلَوَاتُكَ أَللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

وَأَحْيِ بِهِ مَا أَمَاتَهُ الظَّالِمُونَ مِنْ مَعَالِمِ دِينِكَ، وَاجْلُ بِهِ صَدَأَ الْجَوْرِ

⇐ ١٢/ ١٩ طبعة سَنَة ١٣٤٩ هـ، وغيرهم، (منه ﷺ). وغاية المرام: ٢٣٨ باب ٣٢ من المقصد الأوّل رقم ١٠، المعارف لابن قتيبة: ٢٥٢، التّهذيب: ٤/ ٢٤٩، و: ٨/ ٩، و: ٣/ ٥٨، الصّواعق المحرقة لابن حجر: ١٥٢ و١٨٦، مودّة القربىٰ: ٣٣، الاحتجاج للطبرسي: ١/ ١٥٦، ينابيع المودّة: ٢٨، عيون الأخبار للدينوري: ١/ ٢١١، (منه ﷺ).

عَنْ طَرِيقَتِكَ، وَأَبِنْ بِهِ الضَّرَّآءَ مِنْ سَبِيلِكَ، وَأَزِلْ بِهِ النَّاكِبِينَ عَنْ صِرَاطِكَ، وَامْحَقْ بِهِ بُغَاةَ قَصْدِكَ عِوَجاً، وَأَلِنْ جَانِبَهُ لِأَوْلِيَآئِكَ، وَابْسُطْ يَدَهُ عَلَىٰ أَعْدَائِكَ، وَهَبْ لَنَا رَأْفَتَهُ، وَرَحْمَتَهُ، وَتَعَطُّفَهُ، وَتَحَنُّنَهُ.

وَاجْعَلْنَا لَهُ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، وَفِي رِضَاهُ سَاعِينَ، وَإِلَىٰ نُصْرَتِهِ وَالْمُدَافَعَةِ عَنْهُ مُكْنِفِينَ، وَإِلَيْكَ وَإِلَىٰ رَسُولِكَ صَلَوَاتُكَ أَللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذَلِكَ مُتَقَرِّبِينَ.

(أَللَّهُمَّ إِنَّكَ أَيَّدْتَ دِينَكَ) وهو الإسلام لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[1] (بِإِمَامٍ أَقَمْتَهُ عَلَماً لِعِبَادِكَ...) قضىٰ سبحانه أنّ ٱلأرض لا تخلو من عالم بالله، وعامل بشريعته، وداعٍ إليه، وإليها، يكون حجّة علىٰ الجاهل المُقصر، والفاسق المستهتر (وَصَلْتَ حَبْلَهُ بِحَبْلِكَ...): طاعته بطاعتك (فَهُوَ عِصْمَةُ ٱللَّائِذِينَ) من الخطايا، والذُّنوب (وَكَهْفُ الْمُؤْمِنِينَ) في رد الشّبهات، وحلّ المشكلات (وَعُرْوَةُ الْمُسْتَمْسِكِينَ) أي من عمل بقوله نجا من عذاب الآخرة (وَبَهَآءُ الْعَالَمِينَ) هذا الوصف للمعصوم، لأنّه هو وحده من بين النّاس نور العَالَمين، ولذا دعا له الإمام ﷺ بقوله: (أَللَّهُمَّ فَأَوْزِعْ لِوَلِيِّكَ...) ألهمه الشُّكر علىٰ أنْ جعلته نوراً ورحمةً لّلعَالَمين (وَأَوْزِعْنَا مِثْلَهُ فِيهِ) أي كما تلهمه شكرك أيضاً ألهمنا نحن هذا الشُّكر بسببه.

الدّولة الإنسانية

(وَآتِهِ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً...) يسأل ٱللّه سبحانه أنْ يمد الإمام المعصوم

---

(١) آل عمران: ١٩.

بعونه حتّىٰ يقيم دولة إنسانية تجمع البشرية بكاملها تحت لواء واحد يسود فيها الأمن، والعدل، والإخاء، والرّخاء الّذي يعم جميع النّاس علىٰ السّواء، وتختفي فيها الحروب، والإحتكارات، والأحقاد، وتؤكد الرّوايات عن النّبي، وَأَهْل البيته ﷺ، أنّ هَذِهِ الدّولة آتية لا ريب فيها، وإليها ينتهي العالم بأكماله لا محالة، لأنّها دعوة الفطرة الّتي لا يختلف فيها عاقلان، ولأنّ اَللّٰه واحد، فيجب أنْ يكون الدّين واحداً والدولة واحدة، وأنْ يخضع العالم كلّه لشريعة واحدة (وَأَحْيِ بِهِ مَا أَمَاتَهُ الظَّالِمُونَ...)، وهم أصحاب الأسلحة المهلكة، والقوة الباطشة، والميول الجشعة، والأعمال البشعة (وَامْحَقْ بِهِ بُغَاةَ قَصْدِكَ عِوَجاً)، وهم الّذين يحرفون الدّين، ويأكلون أمْوَال اَلْيَتَامَىٰ، والمساكين (وَأَلِنْ جَانِبَهُ...) جَعَلَهُ رحمةً للمُحقين، وصاعقةً علىٰ المُبطلين (وَاجْعَلْنَا لَهُ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ...) الحقوق بين النّاس كلّها متكافئة متبادلة، لا يستوجب بعضها إلا ببعض حتّىٰ بين الرّاعي، والرّعية، قال الإمام أمير الْمُؤْمِنِين ﷺ: «قعد جعل اَللّٰه سبحانه إليّ علكيم حقاً بولاية أمركم، ولكم عليّ من الْحَقّ مثل الّذي لِيّ عليكم... ولا يجري لأحد إلا جرىٰ عَلَيْهِ، ولا يجري عَلَيْهِ إلا جرىٰ له»[1].

أَللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَىٰ أَوْلِيَائِهِمُ الْمُعْتَرِفِينَ بِمَقَامِهِمْ، الْمُتَّبِعِينَ مَنْهَجَهُمْ، الْمُقْتَفِينَ آثَارَهُمْ، الْمُسْتَمْسِكِينَ بِعُرْوَتِهِمْ، الْمُتَمَسِّكِينَ بِوَلاَيَتِهِمْ، الْمُؤْتَمِّينَ بِإِمَامَتِهِمْ، الْمُسَلِّمِينَ لِأَمْرِهِمْ، الْمُجْتَهِدِينَ فِي طَاعَتِهِمْ، الْمُنْتَظِرِينَ أَيَّامَهُمْ، الْمَادِّينَ إِلَيْهِم أَعْيُنَهُمْ...، الصَّلَوَاتِ الْمُبَارَكَاتِ، الزَّاكِيَاتِ، النَّامِيَاتِ، الغَادِيَاتِ، الرَّائِحَاتِ.

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٢/١٩٨، الخطبة (٢١٦)، شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ١١/٨٨، الكافي: ٨/٣٥٢.

وَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ، وَعَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ، وَاجْمَعْ عَلَىٰ التَّقْوَىٰ أَمْرَهُمْ، وَأَصْلِحْ لَهُمْ شُؤُونَهُمْ، وَتُبْ عَلَيْهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَخَيْرُ الْغَافِرِينَ؛ وَاجْعَلْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ السَّلاَمِ؛ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

من خصائص الشّيعة

(أَللَّهُمَّ، وَصَلِّ عَلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمُ ...) لما ذكر الإمامﷺ السّادة الأطهار من آلِ الرّسول الأعظم ﷺ بأُسلوب الدُّعاء ـ أشار إلىٰ شيعتهم الموالين بنفس الأُسلوب، وذكر من أخص خصائصهم أربعة أوصاف، وهي:

١ ـ الإيْمَان بأنّ الأئمة الهُداة معصومون عن الخطإ، والْـخَطِيئة، وأنّ قولهم، وفعلهم، وتقريرهم يحكي، ويعكس قول جدهم النّبي ﷺ، وفعله، وتقريره، وإلىٰ ذٰلِكَ أشار الإمام ﷺ بقوله: (الْمُعْتَرِفِينَ بِمَقَامِهِمْ).

إيماننا نظري لا عملي

٢ ـ الطّاعة لله في كلّ شيء، ولا يعصونه في شيء، وإلىٰ هذا أشار الإمامﷺ بقوله: (الْمُتَّبِعِينَ مَنْهَجَهُمْ، الْمُقْتَفِيْنَ آثَارَهُمْ...)، لأنّ الهدف الأوّل، والأساس من الإمامة هو إصلاح المؤتم عملياً لا نظرياً... فالكثير منا يؤمن، ويوقن بالله تماماً كما لو رآه بالحسّ، والعيان بحيث لو كُشف له الغطاء ما آزداد يقيناً، ولكن عند التّنفيذ، والعمل ننسىٰ عذاب آللّه، ولا نخشاه، ويطغىٰ شيطان الأهواء علىٰ ما نملك من دينٍ، وإيمان، وعقل أيضاً! ولا وزن لهذا الإيْمَان، بل هو حجّة تخرسنا عن الجواب، وتزيدنا عذاباً علىٰ عذاب، وبهذا يكمن السّر في قول سَيِّد آلشُّهَدَاءﷺ: «أَللَّهُمَّ إجعلني أخشاك كأنّي أراك، وأسعدني بتقواك، ولا تشقني بمعصيتك»[1].

(١) أُنظر، زاد المعاد: ١٤٦، البلد الأمين: ٢٥١، جمال الأسبوع: ١٣٤، مستدرك الوسائل: ١٠/ ٢٥.

ولم يقل: إجعل إيماني من يراك وكفى. أنظر شرح الدُّعاء السّادس والعشرون فقرة: مَن هُم الشّيعة؟.

٣ ـ التّسليم بكلّ ما يرد عن الأئمة الولاة لأمره تعالىٰ بلا شك، وتردد لا في الظّاهر، ولا في الباطن. وهذا هو المراد بقول الإمام ﷺ: (الْمُسَلِّمِينَ لِأَمْرِهِمْ الْمجْتَهِدِيْنَ فِي طَاعَتِهِمْ).

٤ ـ الإيْمَان بدولة المهدي المنتظر الّتي تُسيطر علىٰ شرق الأرْض، وغربها، ويظهر فيها دين اللّٰه علىٰ الدّين كلّه، ولا يبقىٰ علىٰ ظهرها عين، ولا أثر لشركٍ، أو فُسق، ولا لظلمٍ، وخوفٍ أو فقرٍ... أبداً، لا شيئ إلا الْحَقّ، والعدل، والحبّ، والإخاء، والإستقامة، والمساواة، والرّخاء كما أشرنا قبل قليل في فقرة الدّولة الإنسانية. وإلىٰ هَذِهِ الدّولة أشار الإمام ﷺ بقوله: (الْمُنْتَظِرِيْنَ أَيَّامَهُمْ، الْمَادِّينَ إِلَيْهِمْ أَعْيُنَهُمْ) وأيضاً تَقَدَّمَ في شرح الدُّعاء السّابع والعشرين فقرة: المهدي المنتظر ثورة إجتماعية، وإنسانية.

(الغَادِيَاتِ، الرَّائِحَاتِ) أي ليل نهار (فِي دَارِ السَّلاَمِ): الجنّة.

أَللَّهُمَّ هَذَا يَوْمُ عَرَفَةَ، يَوْمٌ شَرَّفْتَهُ، وَكَرَّمْتَهُ، وَعَظَّمْتَهُ، نَشَرْتَ فِيهِ رَحْمَتَكَ، وَمَنَنْتَ فِيهِ بِعَفْوِكَ، وَأَجْزَلْتَ فِيهِ عَطِيَّتَكَ، وَتَفَضَّلْتَ بِهِ عَلَىٰ عِبَادِكَ.

أَللَّهُمَّ، وَأَنَا عَبْدُكَ الَّذِي أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ قَبْلَ خَلْقِكَ لَهُ، وَبَعْدَ خَلْقِكَ إِيَّاهُ، فَجَعَلْتَهُ مِمَّنْ هَدَيْتَهُ لِدِينِكَ، وَوَفَّقْتَهُ لِحَقِّكَ، وَعَصَمْتَهُ بِحَبْلِكَ، وَأَدْخَلْتَهُ فِيْ حِزْبِكَ، وَأَرْشَدْتَهُ لِمُوَالاَةِ أَوْلِيَآئِكَ، وَمُعَادَاةِ أَعْدَائِكَ.

ثُمَّ أَمَرْتَهُ فَلَمْ يَأْتَمِرْ، وَزَجَرْتَهُ فَلَمْ يَنْزَجِرْ، وَنَهَيْتَهُ عَنْ مَعْصِيَتِكَ فَخَالَفَ أَمْرَكَ إِلَىٰ نَهْيِكَ، لاَ مُعَانَدَةً لَكَ، وَلاَ اسْتِكْبَاراً عَلَيْكَ، بَلْ دَعَاهُ

هَوَاهُ إِلَىٰ مَا زَيَّلْتَهُ، وَإِلَىٰ مَا حَذَّرْتَهُ، وَأَعَانَهُ عَلَىٰ ذٰلِكَ عَدُوُّكَ، وَعَدُوُّهُ، فَأَقْدَمَ عَلَيْهِ عَارِفاً بِوَعِيدِكَ، رَاجِياً لِعَفْوِكَ، وَاثِقاً بِتَجَاوُزِكَ، وَكَانَ أَحَقَّ عِبَادِكَ ـ مَعَ مَا مَنَنْتَ عَلَيْهِ ـ أَلَّا يَفْعَلَ.

(**أَللَّهُمَّ هَذَا يَوْمُ عَرَفَةَ، يَوْمٌ شَرَّفْتَهُ...**) وفي الحديث: «**الْحَجّ عَرَفَة**»[1]. وعن الإمام الباقر ﷺ: «مايقف أحد في تلك الْجِبَال إلا آسْتجَابَ ٱللّه له براً كان، أو فاجراً، فأمر البر فيستجاب له في آخرته، ودنياه، وأمّا الفاجر فيستجاب له في دنياه»[2] (**أَللَّهُمَّ وَأَنَا عَبْدُكَ الَّذِي أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ قَبْلَ خَلْقِكَ لَهُ...**) للإنسان ـ وغير آلإنسَان أيضاً ـ وجودان: **الوجود الأوّل** في عالم الغيب كوجود الولد في صُلب والده، فإنّه موجود فيه بلا ريب، ولكن علمه عند ٱللّٰه دون سواه. **الوجود الثّاني** في عالم الشّهادة أي خروجه من صُلب والده إلىٰ رحم والدته، ثُم إلىٰ الخارج المحسوس الملموس، ومراد الإمام ﷺ بالنعمة عَلَيْهِ قبل خَلْقِه أنّ ٱللّه سبحانه أوجده في عالم الغيب، وهو علمه تعالىٰ حيث قدر، وهيأ الأسباب الموجبة لوجوده في عالم الشّهادة، ومثله تماماً في دُعَاء سَيّد ٱلشُّهَدَاء ﷺ: «آبتدأتني يا إلهي بنعمتك قبل أنْ أكون شيئاً مذكوراً»[3] أي في عالم الشّهادة، وإلا فقد كان شيئاً موجوداً في عالم الغيب عن النّاس.

---

(١) أُنظر، كنز العمال: ٦٣/٥، سنن البيهقي: ١٧٣/٥، سنن التّرمذي: ١٨٨/٢، مستدرك الصّحيحين: ٢٧٨/٢.

(٢) أُنظر، الكافي: ٢٥٦/٤ قريب منه، الوسائل: ١١٣/٨، عدة الدّاعي: ٣٥، مسند الإمام الرّضا ﷺ: ٢١٥/٢.

(٣) أُنظر، إقبال الأعمال: ٢٤٠، بحار الأنوار: ٣١٥/٩٤، البلد الأمين: ٢٥٢، المجد القوية: ٣٧٢، تفسير نور الثّقلين: ٥٣٣/٣.

المولود، والفطرة

(فَجَعَلْتَهُ مِمَّنْ هَدَيْتَهُ لِدِينِكَ..) من المعلوم بالحسّ، والبديهة أنّ السّبيل الأوّل لتكوين العقيدة الدّينية عند الطّفل هو دين أمهِ، وأبيهِ، وتقليده للكبار في محيطه، وبيئته، ويؤكد هذا حديث «كلّ مولود يولد علىٰ الفطرة حتّىٰ يكون أبواه يهودانه، أو ينصرانه»[1]. ومعنىٰ هذا أنّ الطّفل يمتلك الإستعداد الكافي للتدين بدين الْحَقّ، ولكن التّربية، والبيئة هي الّتي تنحرف بهِ عنه. وفي دُعَاء سَيِّد ٱلشُّهَدَاء عليه السلام: «لم تخرجني لرأفتك بي، ولطفك لِي، وإحسانك إليَّ في دولة أيام الكفرة الّذين نقضوا عهدك، وكذبوا رسلك، لكنك أخرجتني رأفة منك، وتحنناً عليّ للذي سبق لِي من الهُدىٰ الَّذِي فيه يسرتني، وفيه أنشأتني»[2]. وهو عهد الإسْلاَم الَّذِي أخرج النّاس من الظُّلمات إلىٰ النّور، وما من شك أنّ من أَعْظَمْ النّعِم علىٰ ٱلإنسَان أنْ يتولد ممن يدين بدين الْحَقّ، وينشأ في حجر الطُّهر، والقداسة.

(ثُمَّ أَمَرْتَهُ فَلَمْ يَأْتَمِرْ، وَزَجَرْتَهُ فَلَمْ يَنْزَجِرْ...) وفي دُعَاء سَيِّد ٱلشُّهَدَاء عليه السلام: «يا من قلّ له شُكري فلم يحرمني، وعظمت خطيئتي فلم يفضحني، ورآني علىٰ المعاصي فلم يخذلني... إلهي ما أقربك مِنّي، وأبعدني عنك»[3]. (فَخَالَفَ أَمْرَكَ إِلَىٰ نَهْيِكَ، لاَ مُعَانَدَةً لَكَ، وَلاَ ٱسْتِكْبَاراً عَلَيْكَ، بَلْ دَعَاهُ هَوَاهُ إِلَىٰ مَا زَيَّلْتَهُ...) من زُلت

---

(١) أُنظر، مسند أحمد: ٢٣٣/٢ و ٣٩٣ و ٤٨١، صحيح البخاري: ١٠٤/٢، سنن التّرمذي: ٣٠٣/٣.

(٢) أُنظر، إقبال الأعمال: ٧٤/٢، بحار الأنوار: ٣٧٢/٥٧، تفسير نور الثّقلين: ٥٢٣/٣، صحيفة الحُسين: ١٦٨.

(٣) أُنظر، البلد الأمين: ٢٥١، زاد المعاد: ١٤٦، حياة الإمام الحُسين عليه السلام: ١٧٥، صحيفة الحُسين: ١٨٨.

الشّيء عن مكانه إذا نحيته، وأبعدته، والمعنىٰ ما تَجرأ علىٰ معاصيك يا إلهي جلاً بها، ولا عناداً لأمرك، أو تكبراً علىٰ طَاعَتِكَ، كلا، بل غلبه الهوىٰ، وفتنته الدُّنْيَا، وأظله الشَّيطَان، (فَأَقْدَمَ عَلَيْهِ) أي علىٰ ما حـذر سبحانه، ونـهي عـنه (عَـارِفاً بِوَعِيْدِكَ، رَاجِياً لِعَفْوِكَ...) اغتر بمغفرة الغافر، وفضله الزّاخر، ولكن الأجدر أنْ يخاف، ويحذر، لأنّ مَن خاف أمن، ومن استسلم للطمع تاه في الظُّلمات، وارتبك في الهلكات.

وَهَا أَنَا ذَا بَيْنَ يَدَيْكَ صَاغِراً، ذَلِيلاً، خَاضِعاً، خَاشِعاً، خَائِفاً، مُعْتَرِفاً بِعَظِيمٍ مِنَ الذُّنُوبِ تَحَمَّلْتُهُ، وَجَلِيلٍ مِنَ الْخَطَايَا اجْتَرَمْتُهُ، مُسْـتَجِيراً بِصَفْحِكَ، لاَئِذاً بِرَحْمَتِكَ، مُوقِناً أَنَّـهُ لاَ يُـجِيرُنِي مِـنْكَ مُـجِيرٌ، وَلاَ يَمْنَعُنِي مِنْكَ مَانِعٌ.

فَعُدْ عَلَيَّ بِمَا تَعُودُ بِهِ عَلَىٰ مَنِ اقْتَرَفَ مِنْ تَغَمُّدِكَ، وَجُدْ عَـلَيَّ بِـمَا تَجُودُ بِهِ ـ عَلَىٰ مَنْ أَلْقَىٰ بِيَدِهِ إِلَيْكَ ـ مِنْ عَفْوِكَ، وَامْنُنْ عَلَيَّ ـ بِمَا لاَ يَتَعَاظَمُكَ أَنْ تَمُنَّ بِهِ عَلَىٰ مَنْ أَمَّلَكَ ـ مِنْ غُفْرَانِكَ، وَاجْعَلْ لِي فِي هَذَا الْيَوْمِ نَصِيباً أَنَالُ بِهِ حَظّاً مِنْ رِضْوَانِكَ.

وَلاَ تَرُدَّنِي صِفْراً مِمَّا يَنْقَلِبُ بِهِ الْمُتَعَبِّدُونَ لَكَ مِنْ عِبَادِكَ؛ وَإِنِّي وَإِنْ لَمْ أُقَدِّمْ مَا قَدَّمُوهُ مِنَ الصَّـالِحَاتِ، فَـقَد قَـدَّمْتُ تَـوْحِيدَكَ، وَنَـفْيَ الأَضْدَادِ، وَالأَنْدَادِ، وَالأَشْبَاهِ عَنْكَ؛ وَأَتَيْتُكَ مِنَ الأَبْوَابِ الَّتِي أَمَرْتَ أَنْ تُؤْتَىٰ مِنْها؛ وَتَقَرَّبْتُ إِلَيْكَ بِمَا لاَ يَقْرُبُ بِهِ أَحَدٌ مِنْكَ إِلَّا بِالتَّقَرُّبِ بِهِ.

ثُمَّ أَتْبَعْتُ ذٰلِكَ بِالإِنَابَةِ إِلَيْكَ، وَالتَّذَلُّلِ، وَالاسْتِكَانَةِ لَكَ، وَحُسْـنِ الظَّنِّ بِكَ، وَالثِّقَةِ بِمَا عِنْدَكَ، وَشَفَعْتُهُ بِرَجَائِكَ الَّذِي قَلَّ مَا يَخِيبُ عَلَيْهِ رَاجِيكَ.

(وَهَا أَنَا ذَا بَيْنَ يَدَيْكَ صَاغِراً، ذَلِيلاً...) كلّه واضح، وقد تَقَدَّمَ مرات[١]. ومع هذا نُشير، ونكرر، لمجرد التّدبر، والتّذكير، أنّ الإمام ﷺ يعلم بأنّه في حصن من الْعِصْمَة يحجبه عن معصية ٱللَّه، ولكنه يعلم أيضاً بأنّ من الكلام الَّذِي لا يسمعه سبحانه، ولا يرفعه إليه كلام العبد الَّذِي يبريء نفسه، ويقول: أنا المحسن، أو المُطيع الَّذِي يستحق من ٱللَّه الأجر، والثّواب، وأنّه تعالىٰ لا يستجيب إلا لمتضرعٍ خاضعٍ، ومتصاغرٍ جازعٍ كما في هذا الدُّعاء، وغيره، وفي دُعَاء سَيِّد ٱلشُّهَدَاء ﷺ الَّذِي أعطىٰ ٱللَّه كلّ شيء يقول له: «إنّ عدلك مهلكي، ومن عدلك مهربي، فإنْ تعذبني فبذنوبي يا مولاي! بعد حجتك عليَّ، وإنْ تعف فبحلمك، وجودك، وكرمك... إلهي مِنّي ما يليق بلؤمي، ومنك ما يليق بكرمك... أسألك فَكَاكِ رَقَبَتِي من ٱلنَّار»[٢] رقبة الحُسين الّتي قُطعت فى سبيل ٱللَّه (رهينة الذُّنُوب بين يدي ٱللَّه، ورقابنا طليقة بريئة!!) وهكذا حزب الشَّيْطَان يرون السّيّئات حسنات، أمّا حزب ٱلرَّحْمَـٰنِ فيتجردون حتّىٰ عن رؤية الطّاعات، والقُربات، وقد تَقَدَّمَ[٣].

(وَإِنِّي وَإِنْ لَمْ أُقَدِّمْ مَا قَدَّمُوهُ مِنَ ٱلصَّالِحَاتِ...) إنْ لم يكن لدي من عمل أتقرب به إليك فإنّي أستشفع لديك بإيماني أنّك الخالق الَّذِي لا مُعاند له، ولا نظير، والصّمد الَّذِي لا كفوَ له، ولا شريك، والدّائم القائم، والمُبديء المُعيد (وَأَتَيْتُكَ مِنَ الأَبْوَابِ...) كالتّوْبَة، والثّقة بفضلك، ورَحْمَتِك، ومودة القُربىٰ (قَلَّ مَا يَخِيبُ عَلَيْهِ رَاجِيْكَ) واضح، وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء السّادس عشر، والسّادس والأربعين.

(١) أُنظر، الدُّعاء العاشر، والسّادس عشر، والحادي والعشرون.

(٢) أُنظر، صحيفة الإمام الحُسين ﷺ: ٢١٠، بحار الأنوار: ٢٢٥/٩٥، كلمات الإمام الحُسين ﷺ: ٨٠٣.

(٣) أُنظر، الدُّعاء الثّاني والثّلاثون فقرة: من رضي عن نفسه أسخط ٱللَّه عَلَيْهِ.

وَسَأَلْتُكَ مَسْأَلَةَ الْحَقِيرِ الذَّلِيلِ الْبَائِسِ الْفَقِيرِ الْخَائِفِ الْمُسْتَجِيرِ؛ وَمَعَ ذَلِكَ خِيفَةً، وَتَضَرُّعاً، وَتَعَوُّذاً، وَتَلَوُّذاً؛ لاَ مُسْتَطِيلاً بِتَكَبُّرِ الْمُتَكَبِّرِينَ، وَلاَ مُتَعَالِياً بِدَالَّةِ الْمُطِيعِينَ، وَلاَ مُسْتَطِيلاً بِشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ؛ وَأَنَا بَعْدُ أَقَلُّ الأَقَلِّينَ، وَأَذَلُّ الأَذَلِّينَ، وَمِثْلُ الذَّرَّةِ، أَوْ دُونَهَا.

فَيَا مَنْ لَمْ يُعَاجِلِ الْمُسِيئِينَ، وَلاَ يَنْدَهُ الْمُتْرَفِينَ، وَيَا مَنْ يَمُنُّ بِإِقَالَةِ الْعَاثِرِينَ، وَيَتَفَضَّلُ بِإِنْظَارِ الْخَاطِئِينَ.... أَنَا الْمُسِيءُ الْمُعْتَرِفُ الْخَاطِئُ الْعَاثِرُ؛ أَنَا الَّذِي أَقْدَمَ عَلَيْكَ مُجْتَرِئاً، أَنَا الَّذِي عَصَاكَ مُتَعَمِّداً، أَنَا الَّذِي اسْتَخْفَى مِنْ عِبَادِكَ وَبَارَزَكَ.

أَنَا الَّذِي هَابَ عِبَادَكَ، وَأَمِنَكَ، أَنَا الَّذِي لَمْ يَرْهَبْ سَطْوَتَكَ، وَلَمْ يَخَفْ بَأْسَكَ، أَنَا الْجَانِي عَلَىٰ نَفْسِهِ، أَنَا الْمُرْتَهَنُ بِبَلِيَّتِهِ، أَنَا الْقَلِيلُ الْحَيَاءِ، أَنَا الطَّوِيلُ الْعَنَاءِ.

(وَسَأَلْتُكَ مَسْأَلَةَ الْحَقِيرِ...) هذي هي بالذات علاقة العارفين بالله مع ٱللَّـه، علاقة المَخْلُوق بالخالق، والمرزوق بالرازق، والحقير بالعظيم، والذّليل بالعزيز، والمُستجدي بالمُعطي... وهذا هو توحيد المُؤمن حقاً، وصدقاً لا يرىٰ إلا ٱللَّه، ولا يثق بجهدِهِ، وجهاده بالغاً ما بلغ إلا أنْ يرحم ٱللَّـه، ويتكرم (وَأَنَا بَعْدُ أَقَلُّ الأَقَلِّينَ...) هذا ضرب من التّواضع لعظمة ٱللَّه، وإذعان لعزته، وما من شك أنّه عين العزّة، والرّفعة (وَيَا مَنْ لَمْ يُعَاجِلِ الْمُسِيئِينَ) واضح وقد تَقَدَّمَ مرات، منها في الدُّعاء السّابع والثّلاثين، أُنظر في شرحه فقرة لماذا أملي سبحانه، وأمهل؟ وفي دُعَاء سَيِّد ٱلشُّهَدَاء: «يا مَن لم يعجل علىٰ من عصاه من خَلْقِه، يا من ٱستنقذ ٱلسَّحَرَة بعد طول الجحود»[1]. يشير بهذا إلىٰ ٱلسَّحَرَة الّذين عبدوا فِرْعَوْن من دون

---

(١) أُنظر، بحارالأنوار: ٩٥/٢٢٠، كلمات الإمام الحُسين ﷺ: ٧٩٨، حياة الإمام الحُسين ﷺ:

ٱللَّه أمداً طويلاً، ومع ذٰلِكَ أمهلهم سبحانه، ثُم تحدوا موسىٰ ﷺ كليم ٱللَّه، ورسوله فلم يعاجل سبحانه بالعذاب، فكانت النَّتيجة أنْ آمنوا بالله، وكفروا بفرعون: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾[1].

(وَلاَ يَنْدَهُ الْمُتْرَفِينَ) من نَدَه فلان فلاناً إذا زجره، وطرده، والمُراد هنا إنَّ ٱللَّه سبحانه لم يزجر المترفين الطّغاة بتعجيل العقاب (بِـإقَالَةِ الْـعَاثِرِينَ): تـعفو عـن السَّيِّئات، وتَقَدَّمَ في الدُّعاء الحادي والثّلاثين، وغيره (وَيَتَفَضَّلُ بِإنْظَارِ الْخَاطِئِينَ) عطف تكرار علىٰ «لَمْ يَعَاجِلِ الْمُسِيئِينَ» (أَنَا الْمُسِيءُ الْمُعْتَرِفُ الْخَاطِئُ...) تَقَدَّمَ في قليل في قوله: «أَمَرْتَهُ فَلَمْ يَأْتَمِرْ، وَزَجَرْتَهُ فَلَمْ يَـنْزَجِرْ...» وبـرجـاء العـفو، والمغفرة نذكر ما قاله سَيِّد ٱلشُّهَدَاء ﷺ: «إلهي أمرتني فعصيتك، ونهيتني فارتكبت نهيك، فأصبحت لا ذا براءة فأعْتَذَرَ، ولا ذا قوة فأنتصر فبأي شيء أستقبلك؟»[2].

هذا وأنْتَ ـ يا أبا عبدٱللَّه ـ صاحب كربلاء، ولا تضحية، ودماء أقدس، وأزكىٰ، وأسعد، وأتقىٰ من دمك... فمسكين أنا، وأمثالي. بأي شـيء نسـتقبل الخـافض الرّافع؟ ٱللَّهُمَّ إنّك تعلم أنّي أحبّ الحُسين، وجـدّ الحُـسين، وأبـا الحُـسين، وأمّ الحُسين، وأخا الحُسين، وأولاد الحُسين، وأحفاد الحُسين علىٰ جـميعهم أفـضَل الصّلوات مادام مجدك، وجَلالك. وقلت أنْتَ، عظمت كلمتك، بلسان نجيّك: «المرءُ مع مَن أحبّ»[3]. أقولها رجاءً لرحمتك مع الخوف منك.

◆ ١/ ١٧٤.

(١) طه: ٧٢.

(٢) أُنظر، بـحار الأنـوار: ٢٢٢/٩٥، زاد المـعاد: ١٤٦، البـلد الأمـين: ٢٥١، كـلمات الإمـام الحُسين ﷺ: ٨٠٠.

(٣) أُنظر، مسند أحمد: ٣٩٢/١ و: ٢٢٧/٣، السّنن الكبرىٰ: ٤٤٢/٣ ح ٥٨٧٣، مـناقب أمـير

(أَنَا الَّذِي لَمْ يَرْهَبْ سَطْوَتَكَ، وَلَمْ يَخَفْ بَأْسَكَ...) وتسأل: أعلن الإمام ﷺ خوفه من ٱللَّه مراتٍ، ومرات، منها ما جاء بالحرف الوحد في الدُّعاء التّاسع والثّلاثين: «تَفْعَلُ ذٰلِكَ يَا إِلٰهِي بِمَنْ خَوْفُهُ مِنْكَ أَكْثَرُ مِنْ طَمَعِهِ فِيكَ.... فكيف نقض هنا ما أبرم في أدعيته السّابقة، واللاحقة، وقال: لَمْ يَرْهَبْ سَطْوَتَكَ، وَلَمْ يَخَفْ بَأْسَكَ؟

الجواب: ليس المُراد بنفي الخوف، والرَّهْبَة هنا المعنىٰ ٱلظَّاهِر، بل المُراد مُحاسبة النّفس، وجهادها الَّذِي سماه ٱلرَّسُول الأعظم ﷺ الجهاد الأكبر، هذا إِلىٰ أنّ الشّرط الأساس في لُغة الدُّعاء، والمُناجاة أنْ تكون بلسان التّذلل، والإنكسار كما أشرنا قبل أسطر.

بِحَقِّ مَنِ انْتَجَبْتَ مِنْ خَلْقِكَ، وَبِمَنِ ٱصْطَفَيْتَهُ لِنَفْسِكَ؛ بِحَقِّ مَنِ ٱخْتَرْتَ مِنْ بَرِيَّتِكَ، وَمَنِ ٱجْتَبَيْتَ لِشَأْنِكَ؛ بِحَقِّ مَنْ وَصَلْتَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِكَ، وَمَنْ جَعَلْتَ مَعْصِيَتَهُ كَمَعْصِيَتِكَ؛ بِحَقِّ مَنْ قَرَنْتَ مُوَالاتَهُ بِمُوَالاتِكَ، وَمَنْ نُطْتَ مُعَادَاتَهُ بِمُعَادَاتِكَ.

تَغَمَّدْنِي فِي يَوْمِيَ هٰذَا بِمَا تَتَغَمَّدُ بِهِ مَنْ جَارَ إِلَيْكَ مُتَنَصِّلاً، وَعَاذَ بِاسْتِغْفَارِكَ تَائِباً؛ وَتَوَلَّنِي بِمَا تَتَوَلَّىٰ بِهِ أَهْلَ طَاعَتِكَ، وَالزُّلْفَىٰ لَدَيْكَ، وَالْمَكَانَةِ مِنْكَ؛ وَتَوَحَّدْنِي بِمَا تَتَوَحَّدُ بِهِ مَنْ وَفَىٰ بِعَهْدِكَ، وَأَتْعَبَ نَفْسَهُ فِيْ ذَاتِكَ، وَأَجْهَدَهَا فِي مَرْضَاتِكَ.

↩ الْمُؤْمِنِين للكوفي: ٤٤٧/٢، المعتبر للحلي: ٢٩٤/٢، سنن التّرمذي: ٢٢/٤ ح ٢٤٩٢ و ص: ٥٩٥ ح ٢٣٨٥ و: ٢٠٥/٥، سنن ابن ماجه: ١١١٨/٢ ح ٢٣٦٨، مجمع الزّوائد: ٣٦٤/٩، عوالي الئالي: ٩٩/٣ ح ١٢٢، المجموع: ٥٢٥، إعانة الطّالبين: ٩٩/٢، علل الشّرائع للشيخ الصّدوق: ١٣٩/١، فتح الباري: ٤٦٠/١٠.

وَلاَ تُؤَاخِذْنِي بِتَفْرِيطِيْ فِي جَنْبِكَ ، وَتَعَدِّي طَوْرِيْ فِي حُدودِكَ ، وَمُجَاوَزَةِ أَحْكَامِكَ ؛ وَلاَ تَسْتَدْرِجْنِي بِإِمْلاَئِكَ لِي ... اَسْتِدْرَاجَ مَنْ مَنَعَنِي خَيْرَ مَا عِنْدَهُ ، وَلَمْ يَشْرَكْكَ فِي حُلُولِ نِعْمَتِهِ بِي .

وَنَبِّهْنِي مِنْ رَقْدَةِ الْغَافِلِينَ ، وَسِنَةِ الْمُسْرِفِينَ ، وَنَعْسَةِ الْمَخْذُولِينَ ؛ وَخُذْ بِقَلْبِي إِلَىٰ مَا اَسْتَعْمَلْتَ بِهِ اَلْقَانِتِيْنَ ، وَاَسْتَعْبَدْتَ بِهِ الْمُتَعَبِّدِينَ ، وَاَسْتَنْقَذْتَ بِهِ الْمُتَهَاوِنِينَ .

(بِحَقِّ مَنِ انْتَجَبْتَ مِنْ خَلْقِكَ ...) الإنتجاب ، والإصطفاء ، والإختيار ، والإجتباء من الكلمات المترادفة المتشابكة في معناها ، وما يراد منها ، ونَاط : علّق ، ووصل . ومُحمّد ﷺ هو لسان اَللّٰه ، وبيانه بنصّ الْقُرْآن اَلْكَرِيم : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[1]... ﴿مَّن يُطِعِ اَلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اَللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[2]، والإمام السّجاد ﷺ يسأل اَللّٰه سبحانه بما لجدّه النّبي ﷺ عنده من المنزلة ، والكرامة أنْ يستر ذنوبه ، ويحفظه من كلّ مكروه وعبر عن ذٰلِكَ بقوله : (تَغَمَّدْنِي فِي يَوْمِيَ هَذَا بِمَا تَتَغَمَّدُ بِهِ مَنْ جَأَرَ إِلَيْكَ) أي رفع صوته بالدُّعاء متضرعاً إليك (مُتَنَصِّلاً) تنصل مما نسب إليه : نفاه ، وتبرأ منه . والمعنىٰ عاملني يا إلهي معاملة الَّذِي تضرع ، والتّجأ إليك ، وتاب من ذنوبه ، وعيوبه .

(وَتَوَلَّنِي بِمَا تَتَوَلَّىٰ بِهِ أَهْلَ طَاعَتِكَ ...) اَشملني برعايتك كما تشمل المقربين لديك (وَتَوَحَّدْنِي ...) : خصني بما تخص به الوفي التّقي الَّذِي جاهد في سبيلك ، وعمل من أجل مَرْضَاتِكَ (وَلاَ تُؤَاخِذْنِي ...) بأعمالي ، بل بغفرانك ، وإحسانك .

---

(١) الحشر : ٧.

(٢) النّساء : ٨٠.

وتَقَدَّمَ في الدُّعاء العاشر، وغيره (وَلاَ تَسْتَدْرِجْنِي بِإمْلاَئِكَ لِي): الإستدارج: أنْ يسوق سبحانه المغضوب عَلَيْهِ إلىٰ الْهَلاَكِ شيئاً فشيئاً، ودرجة درجة تماماً كمن يرتقي درج السّلم. والإملاء: الإمهال، والتّأخير، ونعوذ بالله من المخبآت، والمفاجآت (ٱسْتِدْرَاجَ مَنْ مَنَعَنِي خَيْرَ مَا عِنْدَهُ، وَلَمْ يَشْرَكْكَ فِي حُلُولِ نِعْمَتِهِ بِي) يفترض الإمام ﷺ بقوله هذا وجود إنسان أنعم ٱللّه عَلَيْهِ، فاحتكر نعمة ٱللّه، ولم ينفق منها لوجه ٱللّه، فأملىٰ له سبحانه، وأمهله حتّىٰ إذا تعدىٰ، وتمادىٰ في طغيانه أخذه ٱللّه أخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ.

والإمام ﷺ يتعوذ بالله أنْ يكون علىٰ شاكلة هذا الشّقي المغرور.

(وَنَبِّهْنِي مِنْ رَقْدَةِ الْغَافِلِينَ) أيقظني من السّهو، والغفلة عن طَاعَتِكَ، وفي نهج البلاغة: «ولا تغفل فلست بمغفول عنك»[1]. وتَقَدَّمَ في الدُّعاء السّابع عشر (وَسِنَةِ الْمُسْرِفِينَ...) عطف تكرار (ٱلْقَانِتِينَ): القائمين الدّائمين علىٰ الطّاعة (الْمُتَعَبِّدِينَ): العاملين لله لا لسواه (الْمُتَهَاوِنِينَ) بأمر ٱللّه، ونهيه، ثُمّ تابوا فتاب ٱللّه عَلَيْهِمْ.

وَأَعِذْنِي مِمَّا يُبَاعِدُنِي عَنْكَ، وَيَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ حَظِّي مِنْكَ، وَيَصُدُّنِي عَمَّا أُحَاوِلُ لَدَيْكَ؛ وَسَهِّلْ لِي مَسْلَكَ الْخَيْرَاتِ إِلَيْكَ، وَالْمُسَابَقَةِ إِلَيْهَا مِنْ حَيْثُ أَمَرْتَ، وَالْمُشَاحَّةَ فِيهَا عَلَىٰ مَا أَرَدْتَ.

وَلاَ تَمْحَقْنِي فِيمَنْ تَمْحَقُ مِنَ الْمُسْتَخِفِّينَ بِمَا أَوْعَدْتَ؛ وَلاَ تُهْلِكْنِي مَعَ مَنْ تُهْلِكُ مِنَ الْمُتَعَرِّضِينَ لِمَقْتِكَ؛ وَلاَ تُتَبِّرْنِي فِيمَنْ تُتَبِّرُ مِنَ

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٩٣/٤، الحكمة (٣٩١)، شرح النّهج للمعتزلي: ٣٣٩/١٩، عيون الحكم والمواعظ: ٨٤، غرر الحكم: ٤٤/١ الحكمة (١٣٨)، مستدرك الوسائل: ٤٧/١٢.

الْمُنْحَرِفِينَ عَنْ سُبُلِكَ.

وَنَجِّنِي مِنْ غَمَرَاتِ الْفِتْنَةِ، وَخَلِّصْنِي مِنْ لَهَوَاتِ الْبَلْوىٰ، وَأَجِرْنِي مِنْ أَخْذِ الإِمْلاَءِ؛ وَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ عَدُوٍّ يُضِلُّنِي، وَهَوىً يُوبِقُنِي، وَمَنْقَصَةٍ تَرْهَقُنِي.

وَلاَ تُعْرِضْ عَنِّي إِعْرَاضَ مَنْ لاَ تَرْضَىٰ عَنْهُ بَعْدَ غَضَبِكَ؛ وَلاَ تُؤْيِسْنِي مِنَ الأَمَلِ فِيكَ؛ فَيَغْلِبَ عَلَيَّ الْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَتِكَ؛ وَلاَ تَمْنَحْنِي بِمَا لاَ طَاقَةَ لِي بِهِ، فَتَبْهَظَنِي مِمَّا تُحَمِّلُنِيهِ مِنْ فَضْلِ مَحَبَّتِكَ.

وَلاَ تُرْسِلْنِي مِنْ يَدِكَ إِرْسَالَ مَنْ لاَ خَيْرَ فِيهِ، وَلاَ حَاجَةَ بِكَ إِلَيْهِ، وَلاَ إِنَابَةَ لَهُ؛ وَلاَ تَرْمِ بِي رَمْيَ مَنْ سَقَطَ مِنْ عَيْنِ رِعَايَتِكَ، وَمَنِ اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْخِزْيُ مِنْ عِنْدِكَ.

(وَأَعِذْنِي مِمَّا يُبَاعِدُنِي عَنْكَ...) أهدني إليك، وقربني منك، ووفقني إلىٰ العمل لثوابك، ونوالك. وقد تَقَدَّمَ[1]. (وَسَهِّلْ لِي مَسْلَكَ الْخَيْرَاتِ...) وفقني للأعمال الصَّالِحَات. واجعلني من أهل السّبق إلىٰ الْخَيْرات (وَالْمُشَاحَّةَ فِيهَا): التّزاحم، والتّنافس بين أهل الْخَيْر علىٰ عمل الْخَيْر (وَلاَ تَمْحَقْنِي فِيمَنْ تَمْحَقُ) نجني من سخطك، وعذابك. (وَلاَ تُهْلِكْنِي..) عطف تكرار (وَلاَ تُتَبِّرْنِي..) لا تهلكني أيضاً عطف تكرار، قال سبحانه:﴿وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾[2] أي أهلكنا إهلاكاً (وَنَجِّنِي مِنْ غَمَرَاتِ الْفِتْنَةِ): من شدائد المصائب، والمحن (وَخَلِّصْنِي مِنْ لَهَوَاتِ): جمع لَهَاة، وهي لحمة مشرفة في أقصىٰ سقف الفم.

---

(١) أُنظر، الدُّعاء الخامس، والحادي والعشرون، والثّاني والعشرون.

(٢) الفرقان: ٣٩.

(وَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ عَدُوٍّ يُضِلُّنِي، وَهَوىً يُوبِقُنِي، وَمَنْقَصَةٍ تَرْهَقُنِي) حُلْ: اَحجز، ويوبقني: يهلكني، وترهقني: تحملني ما لا أطيق، والمُراد بالعدو هنا كلّ ما يغري بالإنحراف عن جادة الْحَقّ، والْخَيْر، ويبعث علىٰ ممارسة الشرّ، والْبَاطِل، سواء أكان هذا الباعث من داخل اَلإنسَان، أم من خارجه. وما من شك أنّ صاحب الوعي، والحزم لا يأمن مكر عدوه حتّىٰ ولو كان هذا العدو نفسه التّي بين جنبيه، بل يكبحها، ويردعها، والإمام ﷺ يدعو اَللَّه سبحانه أنْ يعينه علىٰ نفسه، وعلىٰ كلّ مخادع، ومراوغ (وَلاَ تُعْرِضْ عَنِّي ...) اَللَّه سبحانه يدعو إليه من أدبر عنه، فكيف يعرض عمن أقبل عَلَيْهِ؟ وإذن فالمعنىٰ عاملني بلطفك، ورَحْمَتِك لا بما أستحق.

(وَلاَ تُؤْيِسْنِي مِنَ الأَمَلِ فِيكَ) الخطاب، أو المُناجاة مع اَللَّه سبحانه، وعَلَيْهِ يتجه السّؤال: ألم يهدد، جلّ جلاله، ويتوعد الّذين يئسوا من رَحْمَته، بالعذاب الأليم، ويعلن ذٰلِكَ بقوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]؟ فهل بعد هذا يقال لله تعالىٰ: «لاَ تُؤْيِسْنِي»؟

الجواب: يُريد الإمام ﷺ بقوله: « لاَ تُؤْيِسْنِي» أنْتَ يا إلهي ثقتي، ورجائي فحقق ما أملت، ورجوت قبل أنْ يغلبني اليأس. ولذا قال بلا فاصل: (فَيَغْلِبَ عَلَيَّ الْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَتِكَ) وفي الدُّعاء الثّالث عشر: «وَتَوَلَّنِي بِنُجْحِ طَلِبَتِي، وَقَضَاءِ حَاجَتِي، وَنَيْلِ سُؤْلِي قَبْلَ زَوَالِي عَنْ مَوْقِفِي هَذَا...، وَلاَ تَقْطَعْ رَجَائِي عَنْكَ، وَلاَ تَبُتَّ سَبَبِي مِنْكَ» (وَلاَ تَمْنَحْنِي بِمَا لاَ طَاقَةَ لِيْ بِهِ) هذا اَقتباس من الآية: ﴿رَبَّنَا وَلَاتُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾[2]. قال بعض المفسرين: أي لا تكلفنا بما لا يطاق!. ويدحض هذا التّفسير قوله تعالىٰ في نفس الآية: ﴿لَايُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[3]

---

(١) العنكبوت: ٢٣.
(٢) ٱلْبَقَرَة: ٢٨٦.
(٣) ٱلْبَقَرَة: ٢٨٦.

وإذن التّكليف غير مراد من هَذِهِ الآية، بل المُراد العذاب، والعقوبة، والمعنىٰ أجرنا من عذابك، فإنّه لا طاقة لنا بهِ، ولا بعدلك. قال الشّيخ الأنصاري في رسائله باب البراءة: «فلا يبعد أنْ يراد بما لا يطاق في الآية العذاب، والعقوبة، فمعنىٰ (لَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ) ، لا تورد علينا ما لا نطيقه من العقوبة»[١].

(وَلاَ تُرْسِلْنِي مِنْ يَدِكَ...) المُراد بيده تعالىٰ لطفه، وعنايته، والمعنىٰ أشملني بلطفك، ولا تكلني إلىٰ نَفْسِي الأمارة الغرارة. وفي نهج البلاغة: «إنّ أبغض الرّجال إلىٰ ٱللَّه تعالىٰ لعبداً وكلّه ٱللَّه إلىٰ نفسه جائراً عن قصد السّبيل سائراً بغير دليل»[٢]. وتَقَدَّمَ مراراً، منها في الدُّعاء الثّاني والثّلاثين (وَلاَ إِنَابَةَ لَهُ) أي لا رجوع لهذا المنبوذ المرذول، إلىٰ خالقه سبحانه بعد أنْ أسقطه، وتخلىٰ عنه. أستجير بك يا ٱللَّه! ومنك أطّلب الوصول إليك (وَلاَ تَرْمِ بِيَ) في سلة المُهملات، ومهاوي الهلكات.

بَلْ خُذْ بِيَدِيْ مِنْ سَقْطَةِ الْـمُتَرَدِّدِينَ، وَوَهْـلَةِ الْـمُتَعَسِّفِيْنَ، وَزَلَّـةِ الْمَغْرُورِينَ، وَوَرْطَةِ الْهَالِكِينَ؛ وَعَافِنِي مِـمَّا ابْـتَلَيْتَ بِـهِ طَـبَقَاتِ عَبِيدِكَ، وَإِمَائِكَ، وَبَلِّغْنِي مَبَالِغَ مَـنْ عُـنِيتَ بِـهِ، وَأَنْـعَمْتَ عَـلَيْهِ، وَرَضِيتَ عَنْهُ، فَأَعَشْتَهُ حَمِيداً، وَتَوَفَّيْتَهُ سَعِيداً.

وَطَوِّقْنِي طَوْقَ ٱلإِقْلاَعِ عَمَّا يُحْبِطُ الْحَسَنَاتِ، وَيَذْهَبُ بِالْبَرَكَاتِ، وَأَشْعِرْ قَلْبِيَ ٱلازْدِجَارَ عَنْ قَبَائِحِ ٱلسَّيِّئَاتِ، وَفَوَاضِحِ الْحَوْبَاتِ.

(١) أُنظر، فرائد الأُصول للشيخ مرتضىٰ الأنصاري: ٢/٣١.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ١/٥١، من كلامه (١٧)، شرح النّهج للمعتزلي: ٧/١٠٧، عيون الحكم والمواعظ: ١٥٣، غرر الحكم: ٢٣٠، بحار الأنوار: ٢/٥٨، تأريخ دمشق: ٣٢/٣٤، تأريخ اليعقوبي: ٢/٢١١، قريب منه.

وَلاَ تَشْغَلْنِي بِمَا لاَ أُدْرِكُهُ إِلَّا بِكَ عَمَّا لاَ يُرْضِيكَ عَنِّي غَيْرُهُ، وَانْزَعْ مِنْ قَلْبِي حُبَّ دُنْيَا دَنِيَّةٍ، تَنْهىٰ عَمَّا عِنْدَكَ، وَتَصُدُّ عَنِ ابْتِغَاءِ الْوَسِيلَةِ إِلَيْكَ، وَتُذْهِلُ عَنِ التَّقَرُّبِ مِنْكَ.

وَزَيِّنْ لِيَ التَّفَرُّدَ بِمُنَاجَاتِكَ بِاللَّيْلِ، وَالنَّهَارِ، وَهَبْ لِي عِصْمَةً تُدْنِينِي مِنْ خَشْيَتِكَ، وَتَقْطَعُنِي عَنْ رُكُوبِ مَحَارِمِكَ، وَتَفُكُّنِي مِنْ أَسْرِ الْعَظَائِمِ.

وَهَبْ لِي التَّطْهِيرَ مِنْ دَنَسِ الْعِصْيَانِ، وَأَذْهِبْ عَنِّي دَرَنَ الْخَطَايَا، وَسَرْبِلْنِي بِسِرْبَالِ عَافِيَتِكَ، وَرَدِّنِي رِدَآءَ مُعَافَاتِكَ، وَجَلِّلْنِي سَوَابِغَ نَعْمَائِكَ، وَظَاهِرْ لَدَيَّ فَضْلَكَ، وَطَوْلَكَ.

(وَ خُذْ بِيَدِيْ مِنْ سَقْطَةِ الْـمُتَرَدِّدِينَ) فـي بـؤرة الفساد، والضّلال (وَوَهْلَةِ الْمُتَعَسِّفِيْنَ) المُراد بالوهلة هنا الوهم، والإشتباه، والمُتَعَسِّف: المتكلف بغير علم، ولا هدىٰ (وَزَلَّةِ الْمَغْرُورِينَ) الزّلّـة: الْـخَطِيئة، والمـغرور كـلّه خـطايا، ورزايـا (وَوَرْطَةِ الْهَالِكِينَ) الوَرْطَة: الدّاهية الّتي لا خلاص منها، ومناص. وفـي نـهج البلاغة: «أحذروا الذُّنُوب المورطة، والعيوب المسخطة»[١]. وكلّ من ترك واجباً، أوفعل محرماً بلا عذر شرعي فهو من الهالكين. ونكرر ما سبق أكثر من مرة: إنّ اللّه سبحانه لا يجعل الإنسان صالحاً إلا إذا صح منه العزم، وسعىٰ له سعيه تماماً، كالعلم بعد الدّرس، والثمرة بعد الغرس. واللّه سبحانه أمر عِبَادِهِ بالتوكل عَلَيْهِ في العمل لا في البطالة، والكَسَل.

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ١/١٤٦، شرح النّهج للمعتزلي: ٦/٣٧٥، عيون الحكم: ١٠٣، البحار: ٧٤/٤٢٩.

(وَعَافِنِي مِمَّا ابْتَلَيْتَ بِهِ طَبَقَاتِ عَبِيدِكَ) المُراد بالطبقات هنا بقرينة السّياق الفئات، والجماعات الضّالة كالمتردين، والمتعسفين، والمغرورين، والهالكين (وَبَلِّغْنِي مَبَالِغَ مَنْ عُنِيتَ بِهِ، وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ...) وٱللَّه سبحانه يهتم، ويعتني بجميع خَلْقِهِ دون ٱستثناء، وهل من عاقل يهدم مابنىٰ، ويفسد ما غرس؟ ولكن أبىٰ ٱللَّه إلا أنْ يجري الأُمور علىٰ أسبابها، ومن أسباب الهداية لأي إنسان أنْ يصح منه العزم كما أشرنا، فإنْ أصر علىٰ الضّلال فهو، وما يختار: ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾[1]... ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[2]. (وَطَوِّقْنِي طَوْقَ الإِقْلاَعِ عَمَّا يُحْبِطُ الْحَسَنَاتِ...) ٱجعلني في حصنٍ حصين من السّيِّئات الّتي تذهب الْحَسَنَات، وقريب منه هذا الدُّعاء: «أعُوذُ بك أَللَّهُمَّ من الذُّنُوبِ التّي تغير النّعِم، وتحدث النّقم، وتورث النّدم... وتنزل الْبلاء، وتجلب الشّقاء»[3]. وكم من حسنة محت سيئات، وسيئة محت حسنات (وَأَشْعِرْ قَلْبِيَ...) عطف تكرار وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء الحادي والعشرين (الْحَوْبَاتِ) جمع حَوْبَة وهي الإثم، والْخَطِيئة.

(وَلاَ تَشْغَلْنِي بِمَا لاَ أُدْرِكُهُ إِلَّا بِكَ عَمَّا لاَ يُرْضِيكَ عَنِّي غَيْرُهُ) عَمَّا لاَ يُرْضِيكَ متعلق بلاَ تَشْغَلْنِي، وغيره فاعل لاَ يُرْضِيكَ، ومن المعلوم أنّ الشّيء الَّذِي لا يَرضىٰ ٱللَّه بسواه هو السّمع، والطّاعة لأمره تعالىٰ، ونهيه، وتقدير الكلام، ومعناه لا تشغلني يا إلهي عن طَاعَتِكَ بالخروج عن حدي المحدود، والخوض فيما لا أَعْلَم،

(١) يونس: ١٠٨.
(٢) الأنفال: ٢٣.
(٣) أُنظر، الكافي: ٢/٥٩٠، شرح أُصول الكافي: ١٠/٤٨٩، إقبال الأعمال: ١/١١٥ و: ٢/١٩٧، بحار الأنوار: ٩١/١١٠ و ٢٣١، مصباح المتهجد: ١٤٦.

لأنّك ما يسرت، وسهلت لِي الطّريق إلىٰ معرفته (وَٱنْزَعْ مِنْ قَلْبِي حُبَّ دُنْيَا...) أي دُنْيَا الحرام، ولذا وصفها الإمام بالخسيسة الدّنية، والنّاهية الصّادة عمّا فيه لله رضىً، وللناس خير، وصلاح، إنّ الدّين، ودُنْيَا الْخَيْر شيء واحد، كلّ منهما وسيلة لصالح ٱلإنسان، ومرضاة ٱللّه، وثوابه (وَزَيِّنْ لِيَ ٱلتَّفَرُّدَ بِمُنَاجَاتِكَ بِاللَّيْلِ، وَالنَّـهَارِ...) واضح، وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء الثّاني والأربعين.

(وَهَبْ لِي عِصْمَةً تُدْنِينِي مِنْ خَشْيَتِكَ...) هذا وما بعده تكرار لما سبق في هذا الدُّعاء بالذات، والأدعية السّابقة[1]. (وَهَبْ لِي ٱلتَّطْهِيرَ مِنْ دَنَسِ الْعِصْيَانِ...) عطف تكرار، لأنّ ٱلتَّطْهِيرَ مِنْ الْعِصْيَانِ عين الإنقطاع عن الحرام. (وَسَرْبِلْنِي بِسِرْبَالِ عَافِيَتِكَ...) السّربال القميص، والرّداء: ما يلبس فوق الثّياب، كالعباءة، والجبة، والْعَافِيَة: السّلامة من الأذىٰ دُنيا، وآخرة، والمعافاة: غناك عن النّاس، وغناهم عنك. وفيما دعا به ٱلرَّسُول الأعظم ﷺ: «إنْ لم يكن بك غضب عليَّ فلا أُبالي...، ولكن عافيتك أوسع لِي»[2]، وفيه إيماء إلىٰ أنّ الأفضل أنْ تجمع بين الأمرين: الرّضا، والْعَافِيَة. (وَظَاهِرْ لَدَيَّ فَضْلَكَ، وَطَوْلَكَ) تابع عليّ عطاءك، وإحسانك.

وَأَيِّدْنِي بِتَوْفِيقِكَ، وَتَسْدِيْدِكَ، وَأَعِنِّي عَلَىٰ صالِحِ النِّيَّةِ، وَمَرْضِيِّ الْقَوْلِ، وَمُسْتَحْسَنِ الْعَمَلِ.

وَلاَ تَكِلْنِي إِلَىٰ حَوْلِي وَقُوَّتِي دُونَ حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ، وَلاَ تَخْزِنِي يَوْمَ تَبْعَثُنِي لِلِقَائِكَ، وَلاَ تَفْضَحْنِي بَيْنَ يَدَيْ أَوْلِيَائِكَ؛ وَلاَ تُنْسِنِي

---

(١) أُنظر، الدُّعاء والخامس، والسّادس عشر، والحادي والثّلاثون.

(٢) أُنظر، كنز العمال: ٢/١٧٥ ح ٣٦١٣، البداية والنّهاية: ٣/١٦٦، تفسير القرطبي: ١٦/٢١١.

ذِكْرَكَ، وَلاَ تُذْهِبْ عَنِّي شُكْرَكَ؛ بَلْ أَلْزِمْنِيهِ فِي أَحْوَالِ السَّهْوِ عِنْدَ غَفَلاَتِ الْجَاهِلِينَ لِآلائِكَ، وَأَوْزِعْنِي أَنْ أُثْنِيَ بِمَا أَوْلَيْتَنِيهِ، وَأَعْتَرِفَ بِمَا أَسْدَيْتَهُ إِلَيَّ.

وَاجْعَلْ رَغْبَتِي إِلَيْكَ فَوْقَ رَغْبَةِ الرَّاغِبِينَ....، وَحَمْدِي إِيَّاكَ فَوْقَ حَمْدِ الْحَامِدِيْنَ؛ وَلاَ تَخْذُلْنِي عِنْدَ فَاقَتِي إِلَيْكَ؛ وَلاَ تُهْلِكْنِي بِمَا أَسْدَيْتُهُ إِلَيْكَ، وَلاَ تَجْبَهْنِي بِمَا جَبَهْتَ بِهِ الْمُعَانِدِينَ لَكَ.

فَإِنِّي لَكَ مُسَلِّمٌ، أَعْلَمُ أَنَّ الْحُجَّةَ لَكَ، وَأَنَّكَ أَوْلَىٰ بِالْفَضْلِ، وَأَعْوَدُ بِالإِحْسَانِ، وَأَهْلُ التَّقْوَىٰ، وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ؛ وَأَنَّكَ بِأَنْ تَعْفُوَ أَوْلَىٰ مِنْكَ بِأَنْ تُعَاقِبَ؛ وَأَنَّكَ بِأَنْ تَسْتُرَ أَقْرَبُ مِنْكَ إِلَىٰ أَنْ تَشْهَرَ.

فَأَحْيِنِي حَيَاةً طَيِّبَةً، تَنْتَظِمُ بِمَا أُرِيدُ، وَتَبْلُغُ مَا أُحِبُّ مِنْ حَيْثُ لاَ آتِي مَا تَكْرَهُ، وَلاَ أَرْتَكِبُ مَا نَهَيْتَ عَنْهُ.

وَأَمِتْنِي مِيتَةَ مَنْ يَسْعَىٰ نُورُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ.

التّوفيق

(وَأَيِّدْنِي بِتَوْفِيقِكَ، وَتَسْدِيْدِكَ..) قال سبحانه حكاية لقول شعيب: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾[1]، ومعناه أنْ يطلب العبد من خالقه تعالىٰ العون، والتّأييد لبلوغ الصّلاح، والسّلامة في النّية، والقصد، والرّشد، والهداية في الدّين، والعقيدة، وفي العلم، والمعرفة، والْحَقّ، والصّدق في الأقوال، والْخَيْر، والنّجاح في الأفعال. وما من شك أنّ إرادة التّوفيق من التّوفيق. أيضاً ما من شك أنّ ٱللّٰه يستجيب، ويهب هذا

(١) هود: ٨٨.

التّوفيق، والتّسديد لكلّ طالب، وراغب. لأنّه تعالىٰ يُحِبُّ من عِبَادِهِ الْخَيْر، والصّلاح، والإستقامة، ولكن الطّلب المجرد عن الطّاعة لا وزن له، ولا أثر، كيف؟ وهل من العقل، والمنطق أنْ نطلب الرّضا ممن أغضبناه، والسّمع، والإستجابة لمن عصيناه؟ قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[١].

(وَلاَ تَكِلْنِي إِلَىٰ حَوْلِي وَقُوَّتِي...)، الحول: القُدرة علىٰ التّصرف، ولا قوة، وقدرة للمخلوق إلا بخالقه، وأي قوي، وغني يأمن المفاجآت، والمخبآت؟ وفي نهج البلاغة: «ما قال النّاس لشيء طوبىٰ له إلا وقد خبأ له الدّهر يَوْم سوء»[٢].

ولا دافع له، ولا مانع له إلا أنْ يشاء ٱللَّه. وفي دعاء سَيِّد ٱلشُّهَدَاء عليه السلام: «إلهي كيف تكلني وقد توكلت لِي»؟[٣]

(وَلاَ تَخْزِنِي ...) واضح، وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء السّادس، وغيره، (وَأَوْزِعْنِي ...) ألهمني الثّناء علىٰ فضلك، وإحسانك، وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء العشرين، والثّالث والعشرين، (وَلاَ تَخْذُلْنِي...)، واضح، وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء الثّاني والثّلاثين، (وَأَنَّكَ بِأَنْ تَعْفُوَ أَوْلَىٰ مِنْكَ بِأَنْ تُعَاقِبَ...)؛ لأنّه تعالىٰ الغني ذو الرَّحْمَة وهو القائل: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[٤]، ويأتي

---

(١) ٱلْبَقَرَة: ١٨٦.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ٤/٦٩، الحكمة (٢٨٦)، عيون الحكم والمواعظ: ٤٨٢، شرح النّهج للمعتزلي: ١٩/١٧٨.

(٣) أُنظر، بحار الأنوار: ٩٥/٢٢٥، البلد الأمين: ٢٥١، زاد المعاد: ١٤٦، كلمات الإمام الحُسين عليه السلام: ٨٠٣.

(٤) النّساء: ١٤٧.

في الدُّعاء الخمسين «وَلَوْ أَنَّ عَذابي مِمَّا يَزِيدُ في مُـلْكِكَ لَسأَلْـتُكَ الصَّـبْرَ عَـلَيهِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لكَ»، وقيل للإمام السّجاد: «إنّ الحسن البصري قـال: ليس العجب ممن هَلَك كيف هَلَك، وإنّما العجب ممن نجا كيف نجا؟. قال الإمام أمّا أنا فأقول: ليس العجب من نجا كيف نجا؟، وإنّما العجب ممن هَلَك كيف هَلَك؟ مع سعة رَحْمَةِ ٱللَّه»[1].

(فَأَحْيِنِي حَيَاةً طَيِّبَةً...) اقتباس مـن قـوله تـعالىٰ: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[2]، والحياةالطّـيبة فـي الدُّنيا الرّزق الحلال، وفي الآخرة الجنّة. وقد تَقَدَّمَ فيالدُّعـاء الأوّل، والعشـرين، وغـير ذٰلِكَ (وَتَبْلُغُ مَا أُحِبُّ مِنْ حَيْثُ لاَ آتِي مَا تَكْرَهُ)، هبني ما أحبّ، شريطة أنْ لا تكـرهه أنتَ. وفي الدُّعاء الحادي والعشرين «حَتَّىٰ لاَ أُحِبَّ شَيْئاً مِنْ سُخْطِكَ، وَلاَ أَسْخَطَ شَيْئـاً مِنْ رِضَـاكَ». وكلّنا يحفظ قوله تعالىٰ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3].

(وَأَمِتْنِي مِيتَةَ مَنْ يَسْعَىٰ نُورُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ)، اقـتباس مـن الآيـة: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾[4]، من آمن بالله، وعمل بموجب إيمانه سار في الحياة الدُّنيا علىٰ هدىً من ربـه، وفـي يَـوْم الحساب، والجزاء يشع من هذا الإيْمَان، والهدىٰ نور محسوس تماماً كنور المصباح

(١) أُنظر، أمالي المرتضىٰ: ١/١١٣، بـحار الأنـوار: ٧٥/١٥٣، إعـلام الورىٰ بأعـلام الهـدىٰ: ١/٤٨٩.

(٢) النّحل: ٩٧.

(٣) ٱلْبَقَرَة: ٢١٦.

(٤) الحديد: ١٢.

المحمول، يتحكم به حامله كيف شاء، ويستضيء أنّىٰ يريد. وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء الثّاني والعشرين.

وَذَلِّلْنِي بَيْنَ يَدَيْكَ، وَأَعِزَّنِي عِنْدَ خَلْقِكَ، وَضَعْنِي إِذَا خَلَوْتُ بِكَ، وَارْفَعْنِي بَيْنَ عِبَادِكَ، وَأَغْنِنِي عَمَّنْ هُوَ غَنِيٌّ عَنِّي، وَزِدْنِي إِلَيْكَ فَاقَةً، وَفَقْراً.

وَأَعِذْنِي مِنْ شَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ، وَمِنْ حُلُولِ الْبَلاَءِ، وَمِنَ الذُّلِّ، وَالْعَنَاءِ؛ تَغَمَّدْنِي فِيمَا اطَّلَعْتَ عَلَيْهِ مِنِّي بِمَا يَتَغَمَّدُ بِهِ الْقَادِرُ عَلَىٰ الْبَطْشِ لَوْلاَ حِلْمُهُ، وَالآخِذُ عَلَىٰ الْجَرِيرَةِ لَوْلاَ أَنَاتُهُ.

وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً، أَوْ سُوءً فَنَجِّنِي مِنْهَا لِوَاذاً بِكَ؛ وَإِذْ لَمْ تُقِمْنِي مَقَامَ فَضِيحَةٍ فِي دُنْيَاكَ... فَلاَ تُقِمْنِي مِثْلَهُ فِيْ آخِرَتِكَ؛ وَاشْفَعْ لِي أَوَائِلَ مِنَنِكَ بِأَوَاخِرِهَا، وَقَدِيمَ فَوَائِدِكَ بِحَوَادِثِهَا.

وَلاَ تَمْدُدْ لِيَ مَدّاً يَقْسُو مَعَهُ قَلْبِي، وَلاَ تَقْرَعْنِي قَارِعَةً يَذْهَبُ لَهَا بَهَآئِي، وَلاَ تَسُمْنِي خَسِيسَةً يَصْغُرُ لَهَا قَدْرِي، وَلاَ نَقِيصَةً يُجْهَلُ مِنْ أَجْلِهَا مَكَانِي؛ وَلاَ تَرُعْنِي رَوْعَةً أُبْلِسُ بِهَا، وَلاَ خِيفَةً أُوجِسُ دُونَهَا.

اجْعَلْ هَيْبَتِي فِي وَعِيدِكَ، وَحَذَرِي مِنْ إِعْذَارِكَ وَإِنْذَارِكَ، وَرَهْبَتِي عِنْدَ تِلاَوَةِ آيَاتِكَ، وَاعْمُرْ لَيْلِي بِإِيقَاظِي فِيهِ لِعِبَادَتِكَ، وَتَفَرُّدِي بِالتَّهَجُّدِ لَكَ، وَتَجَرُّدِي بِسُكُونِي إِلَيْكَ، وَإِنْزَالِ حَوَائِجِي بِكَ، وَمُنَازَلَتِي إِيَّاكَ فِي فَكَاكِ رَقَبَتِي مِنْ نَارِكَ، وَإِجَارَتِي مِمَّا فِيهِ أَهْلُهَا مِنْ عَذَابِكَ.

(وَذَلِّلْنِي بَيْنَ يَدَيْكَ، وَأَعِزَّنِي عِنْدَ خَلْقِكَ)، وفي دعاء سَيِّد الشُّهَدَاء: «وفي

نَفْسِي فذللني، وفي أعين النّاس فعظمني»[١]، طلب الإمام ﷺ، من ٱللَّه سبحانه وتعالىٰ أنْ يتصور كبيراً كيلا يرىٰ النّاس صغاراً، وليكون قدوة في التّواضع، والْخَلْق ٱلْكَرِيمِ، وأيضاً طلب منه تعالىٰ أنْ يكون عظيماً عند النّاس لا حباً بالسمعة، والشّهرة، بل ليكون لدعوته أحسن الوقع، والأثر في النّفوس، فتنفذ إلىٰ أعماقها، وتعمل عليها للخير، والرّشاد، والصّلاح، وعلىٰ هذا الأساس قال ٱلْعُلَمَاء: «يجب أنْ تتوافر في النّبي خير الصّفات، وأكملها لئلا تنفر منه الأذواق السّليمة، ولا ينتقض الغرض المطلوب من بعثه.

(وَأَغْنِنِي عَمَّنْ هُوَ غَنِيٌّ عَنِّي) وما من شك أنّ الغنىٰ خير، وعافية، وقد أمتن سبحانه وتعالىٰ علىٰ نَبيّه ٱلْكَرِيمِ بالغنىٰ: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلاً فَأَغْنَىٰ﴾[٢]، وفي الحديث: «أَللَّهُمَّ إنّي أسألك الهدىٰ، والتُّقىٰ، والعفاف، والغنىٰ»[٣]، فقد قرن سبحانه وتعالىٰ الغنىٰ بالهدىٰ، والتُّقىٰ كما قرن ٱلْفَقْر بالفحشاء في الآية: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٤]. وقد تَقَدَّمَ الكلام عن ذٰلِكَ في الدُّعاء العشرين فقرة ٱلْفَقْر، (وَزِدْنِي إِلَيْكَ فَاقَةً، وَفَقْراً)، الفاقة: الحاجة، وٱلْفَقْر، وٱلْفَقْر إلىٰ ٱللَّه عِزّ، وإلىٰ النّاس ذُلّ؛ لأنّ ٱلْفَقْر إليه تعالىٰ انقطاع عن الْخَلْق إلىٰ الخالق وحده. وفي دُعاء سَيِّد ٱلشُّهَدَاء ﷺ: «أنا ٱلْفَقِير في غناي،

---

(١) أنظر، إقبال الأعمال: ١/٣٠٦ و: ٢/٧٩، العدد القوية للحلي: ٣٧٦، بحار الأنوار: ٩٤/٣١٨.
(٢) الضّحىٰ: ٨.
(٣) أُنظر، مسند أحمد: ١/٣٨٩، إقبال الأعمال: ٢/٢٩٨، المجموع: ٤/٦٥٣، مغني المحتاج: ١/٤٩٧.
(٤) ٱلْبَقَرَة: ٢٦٨.

فكيف لا أكون فَقِيراً في فَقْري»[1]، أي الغني فَقِير إليه تعالىٰ، فكيف بالفقير؟

(وَأَعِذْنِي مِنْ شَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ...) واضح، وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء الثّامن.(تَغَمَّدْنِي فِيمَا اطَّلَعْتَ عَلَيْهِ مِنِّي...) استر عيوبي، وذُنوبي، وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء السّادس عشر، والثّاني والثّلاثين، والتّاسع والثّلاثين.(وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً، أَوْ سُوءً فَنَجِّنِي مِنْهَا لِوَاذاً بِكَ)، المراد بالفتنة هنا العذاب، والسُّوء: الآفة، والشّرّ، والأذىٰ، والفساد، لِواذاً: لا تذاً، والمعنىٰ نسألك أَللَّهُمَّ النّجاة من كلّ شر، وعذاب تنزله بأهل الكفر، والبَغْي (وَإِذْ لَمْ تُقِمْنِي مَقَامَ فَضِيحَةٍ فِي دُنْيَاكَ...) شملتني في دنياي بحلمك، وأناتك. فأمنن عليَّ في آخرتي بعفوك، ورَحْمَتِك (وَاْشْفَعْ لِي أَوَائِلَ مِنَنِكَ...)، أضف نعمك، وإحسانك في الآخرة إلىٰ نعمك عليّ، وإحسانك إليّ في الدّنيا (وَلاَ تَمْدُدْ لِيَ مَدّاً يَقْسُو مَعَهُ قَلْبِي) أسألك أَللَّهُمَّ أنْ لا يكون ما أنعمت عليّ به من العمر المديد، والصّحة، والمال - إمهالاً، وإملاءً يقودني إلىٰ الإثم، والضّلال كالذين عنيتهم بقولك: ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[2].

(وَلاَ تَقْرَعْنِي قَارِعَةً يَذْهَبُ لَهَا بَهَآئِي...)، لا تنزل بي نازلة تذهب بهيبتي، ويصغر لها قدري عند عبادك (وَلاَ تَرُعْنِي رَوْعَةً أُبْلِسُ بِهَا)، لاَ تَرُعْنِي: لا تفزعني، أُبْلِسُ: تحيّر، والمعنىٰ لا تخيفني بما يدهشني، ويؤلمني، (وَلاَ خِيفَةً أُوجِسُ دُونَهَا)، ودون هنا بمعنىٰ عند، والعطف للتكرار.

---

(١) أُنظر، بحار الأنوار: ٩٥/٢٢٥، البلد الأمين للكفعمي: ٢١٥، زاد المعاد للمجلسي: ١٤٦، الإقبال لابن طاووس: دعاء عَرَفَة، صحيفة الحسين ﷺ جمع الشّيخ جواد القيومي: ٢١١، بالإضافة إلىٰ كلّ كُتب مناسك الْحَجّ.

(٢) آل عمران: ١٧٨.

خوف المطيعين

(اَجْعَلْ هَيْبَتِي فِي وَعِيدِكَ...) الوعيد بالشر، والعذاب، والوعيد بالخير، والثّواب، والهيبة، والرّهْبَة، والحذر كلمات تتضمن معنىٰ الخوف، وهو مراد الإمام عليه السلام منها، وما من شك أنّ الخوف من ٱللّه تعالىٰ يأتي علىٰ قدَر العلم به تماماً كالإيمان يقاس رسوخه برسوخ العلم بعظمته جلّ جلاله. وبهذا نطق الْقُرْآن ٱلْكَرِيمِ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[1]... ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[2]. وفي هاتين الآيتين دلالة واضحة أنّ الدّين علم في اصطلاح الْقُرْآن. وقد يظن الجاهلون أنّ الخوف من ٱللّه لا يجب، ولا ينبغي إلا من المعاصي، أمّا خوف المطيع فلا موجب له! ولكن أهْل العلم بالله يرجون مغفرته، ورَحْمَته مع المعصية، ويخافونه أشد الخوف مع الطّاعة لظن التَّقْصِير، وعدم القبول لشائبة العجب، أو الرّياء، أو الخلل بفوات جزء، أو شرط، أو للتهاون في الخشوع، والإقبال عَلَيْهِ تعالىٰ كما يجب. وفي دعاء سَيِّد ٱلشُّهَدَاء عليه السلام: «إنْ رجائي لا ينقطع عنك وإنْ عصيتك، كما أنّ خوفي لا يزايلني وإنْ أطعتك»[3].

(وَاعْمُرْ لَيْلِي بِإِيقَاظِي فِيهِ لِعِبَادَتِكَ) اشغل لَيْلِي بالعبادة لا بالنوم (وَتَفَرُّدِي بِالتَّهَجُّدِ لَكَ، وَتَجَرُّدِي بِسُكُونِي إِلَيْكَ)، تفرد: كان فرداً، وتهجداً: سهر اللّيْل للعبادة، وتجرد: تفرغ، وسكوني: أنسي، وراحتي، واطمئناني، والمعنىٰ اصرفني يا إلهي بكياني كلّه روحاً، وجسماً إلىٰ عِبَادَتِك في كلّ لَيْلَةٍ من ليالي عمري، وحياتي،

---

(١) فاطر: ٢٨.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) أنظر، إقبال الأعمال: ٣٣٩، بحار الأنوار: ٢٢٧/٩٥، كلمات الإمام الحُسين عليه السلام: ٨٠٥.

عسىٰ أنْ أكون واحداً من الّذين عنيتهم، ومدحتهم بقولك: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾[1]. وفي نهج البلاغة: «أمّا اللّيل فصافون أقدامهم، تالين لأجزاء القُرْآنْ يرتلونها ترتيلاً»[2]، وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء الثّاني والأربعين.

(وَإِنْزَالِ حَوَائِجِي بِكَ)، واضح، وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء الثّالث عشر، (وَمُنَازَلَتِي إِيَّاكَ فِي فَكَاكِ رَقَبَتِي) المراد بالمنازلة هنا المراجعة، والمسألة المرة تلو المرة، وجاءت بصيغة المفاعلة لمجرد المبالغة في الإلحاح، والتّكرار، وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء الخامس، (وَإِجَارَتِي مِمَّا فِيهِ أَهْلُهَا مِنْ عَذَابِكَ)، الضّمير في أهلها يعود إلىٰ رَقَبَتِي، ومن عذابك بيان لما فيه، والمعنىٰ رَقَبَتِي يا إلهي تستحق عذابك، وأنا أستجير بك راجياً أنْ تُطلقها، وتحررها من غضبك، وعذابك.

وَلاَ تَذَرْنِي فِي طُغْيَانِي عَامِهاً، وَلاَ فِي غَمْرَتِي سَاهِياً حَتَّىٰ حِينٍ، وَلاَ تَجْعَلْنِي عِظَةً لِمَنِ اتَّعَظَ، وَلاَ نَكَالاً لِمَنِ اعْتَبَرَ، وَلاَ فِتْنَةً لِمَن نَظَرَ؛ وَلاَ تَمْكُرْ بِيَ فِيمَنْ تَمْكُرُ بِهِ، وَلاَ تَسْتَبْدِلْ بِيَ غَيْرِي.

وَلاَ تُغَيِّرْ لِيْ إِسْماً، وَلاَ تُبَدِّلْ لِي جِسْماً، وَلاَ تَتَّخِذْنِي هُزُوَاً لِخَلْقِكَ، وَلاَ سُخْرِيّاً لَكَ، وَلاَ تَبَعاً إِلَّا لِمَرْضَاتِكَ، وَلاَ مُمْتَهَناً إِلَّا بِالانْتِقَامِ لَكَ.

وَأَوْجِدْنِي بَرْدَ عَفْوِكَ، وحَلاَوَةَ رَحْمَتِكَ، وَرَوْحِكَ، وَرَيْحَانِكَ،

---

(١) الزّمر: ٩.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ٢/١٦١، الخطبة (١٩٣)، شرح النّهج للمعتزلي: ١٠/١٣٢، كنز العمال: ٣/٧١٩ ح ٨٥٦٦، تحف العقول: ١٥٩، كشف التّمحيص لمحمد بْن همام الإسكافي: ٧١، الكافي: ٢/١٣٢.

وَجَنَّةِ نَعِيمِكَ؛ وَأَذِقْنِي طَعْمَ الْفَرَاغِ لِمَا تُحِبُّ بِسَعَةٍ مِنْ سَعَتِكَ، وَالاجْتِهَادِ فِيمَا يُزْلِفُ لَدَيْكَ، وَعِنْدَكَ.

وَأَتْحِفْنِي بِتُحْفَةٍ مِنْ تُحَفَاتِكَ، وَاجْعَلْ تِجَارَتِي رَابِحَةً، وَكَرَّتِي غَيْرَ خَاسِرَةٍ؛ وَأَخِفْنِي مَقَامَكَ، وَشَوِّقْنِي لِقَاءَكَ؛ وَتُبْ عَلَيَّ تَوْبَةً نَصُوحاً لاَ تُبْقِ مَعَهَا ذُنُوباً صَغِيرَةً، وَلاكَبِيرَةً، وَلاَ تَذَرْ مَعَهَا عَلاَنِيَةً، وَلاَ سَرِيرَةً.

(وَلاَ تَذَرْنِي فِي طُغْيَانِي عَامِهاً)، العمه في البصيرة، والعمىٰ في البصر، وهَذِهِ الجملة اقتباس من قوله تعالىٰ: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[1]، والمعنىٰ اشملني بهدايتك، وعنايتك، ولا تتركني لإلحاح الشّهوات، وتضليل الشّبهات. وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء الثّامن. (وَلاَ فِي غَمْرَتِي سَاهِياً حَتَّىٰ حِينٍ) الغمرة: الشّدة، وهذا اقتباس من الآية: ﴿فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾[2]، والمعنىٰ مدني بحراستك، ولا تدعني في شدتي غافلاً عن نَفْسِي حتّىٰ يباغتني الْموْت أو العذاب. (وَلاَ تَجْعَلْنِي عِظَةً لِمَنِ اتَّعَظَ)، لا تنزل بي نازلة يتعظ بها الآخرون. وفي نهج البلاغة: «اتعظوا بمن كان قبلكم قبل أنْ يتعظ بكم من بعدكم»[3]. (وَلاَ نَكَالاً لِمَنِ اعْتَبَرَ)، عطف تكرار.

(وَلاَ فِتْنَةً لِمَن نَظَرَ) أي لا تجعلني ضعيفاً فيستخف بي من أحبّ، وأراد. وفي الآية: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾[4]، أي لا تجعلنا ضعافاً ينكل بنا

---

(١) الأعراف: ١٨٦.

(٢) المؤمنون: ٥٤.

(٣) أُنظر، نهج البلاغة: ١/٧٩، الخطبة (٣٢)، عيون الحكم والمواعظ: ٨٩، شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ٢/١٧٥.

(٤) الممتحنة: ٥.

ٱلْكُفَّار.(وَلاَ تَمْكُرْ بِيَ فِيمَنْ تَمْكُرُ بِهِ) يفتح سبحانه وتعالىٰ أبواب النِّعِم، والْخَيْرات لمن لا يسمعون، ولا يتعظون حتّىٰ إذا فرحوا بها أخذهم بغتة وهو لا يشعرون، والإمامعليه السلام يدعو ٱللَّه سبحانه وتعالىٰ أنْ لا يكون من هَذِهِ الزّمرة (وَلاَ تَسْتَبْدِلْ بِيَ غَيْرِي) أيضاً يدعو الإمام عليه السلام أنْ لا يكون من الّذين خاطبهم ٱللَّه تعالىٰ بقوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَـٰلَكُم﴾[1]. (وَلاَ تُغَيِّرْ لِي إِسْماً) فتجعله شقياً بعد أنْ كان سعيداً (وَلاَ تُبَدِّلْ لِي جِسْماً)، كما تفعل بأهل ٱلنَّار:﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾[2].

(وَلاَ تَتَّخِذْنِي هُزُوَاً لِخَلْقِكَ): للجناس (وَلاَ سُخْرِيّاً لَكَ)، ومعنىٰ سخريته تعالىٰ إنزال الخزي، والهوان بمن يستحق، ومن هذا الباب: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[3]، أي أهملهم، (وَلاَ تَبَعاً إِلَّا لِمَرْضَاتِكَ)، أبداً لا أخضع إلا لكَ. وفي دعاء جدّهم ٱلرَّسُولصلى الله عليه وآله: «أَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بك من ٱلْفَقْر إلا إليك، ومن الذّل إلا لك، ومن الخوف إلا منك»[4].(وَلاَ مُمْتَهَناً إِلَّا بِالانْتِقَامِ لَكَ)، لا ينالني أي مكروه إلا في سبيل ٱللَّه.(وَأَوْجِدْنِي بَرْدَ عَفْوِكَ ...) اصفح، وارحم، وافتح لنا أبواب نعمتك، وجنتك،

---

(١) مُحمّد: ٣٨.

(٢) النّساء: ٥٦.

(٣) التَّوْبَة: ٦٧.

(٤) أُنظر، مسند أحمد: ٢/٣٠٥ و ٣٢٥، سنن أبي داود: ١/٣٤٤ ح ١٥٤٤، الأدب المفرد للبخاري: ١٤٦، السّنن الكبرىٰ: ٤/٤٥٠ و: ٧/١٢، صحيح ابن حبان: ٣/٣٠٥، بحار الأنوار: ٩٤/٢٣٣، كِتَاب الدُّعاء للطبراني: ٤٠٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦/١٩١، موارد الظّمآن: ٦٠٥، الجامع الصّغير: ١/٢٣٤، كنز العمال: ٢/١٨٩ ح ٣٦٨٨ و ٣٧٤٦، إرواء الغليل: ٣/٣٥٤، سير أعلام النّبلاء: ١٥/٤٩٢، مستدرك الحاكم: ١/٥٤٠، سنن النّسائي: ٨/٢٦١، المبسوط للسرخسي: ٣٠/٢٥٣.

وقد تَقَدَّمَ مرات، ومرات، (وَأَذِقْنِي طَعْمَ الْفَرَاغِ...) اغنني، وأوسع عليَّ في رزقي، وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء العشرين، وغيره، (وَالاجْتِهَادِ فِيمَا يُزْلِفُ لَدَيْكَ، وَعِنْدَكَ) في طَاعَتِكَ، ورضوانك، وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء الحادي والعشرين، وغيره، (وَأَتْحِفْنِي بِتُحْفَةٍ): بهدية ثمينة.

(وَاجْعَلْ تِجَارَتِي رَابِحَةً...)، المراد بالتجارة هنا الطّاعة، والرّبح الثّواب، وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء الخامس والعشرين، وغيره، (وَكَرَّتِي غَيْرَ خَاسِرَةٍ): رجوعي إليك، وإلحاحي عَلَيْكَ (وَأَخِفْنِي مَقَامَكَ) لا تظهر عند حسابي غداً بهيبتك أمامي فيهتز، ويرتعش كياني. وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء الثّاني عشر، وغيره، (وَشَوِّقْنِي لِقَاءَكَ)، واضح، وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء الحادي والعشرين، (وَتُبْ عَلَيَّ تَوْبَةً نَصُوحاً...) تَقَدَّمَ مرات بخاصة في الدُّعاء الحادي والثّلاثين.

وَانْزَعِ الْغِلَّ مِنْ صَدْرِي... لِلْمُؤْمِنِينَ، وَاعْطِفْ بِقَلْبِي عَلَى الْخَاشِعِينَ، وَكُنْ لِي كَمَا تَكُونُ لِلصَّالِحِينَ، وَحَلِّنِي حِلْيَةَ الْمُتَّقِينَ، وَاجْعَلْ لِيَ لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْغَابِرِيْنَ، وَذِكْراً نَامِياً فِي الآخِرِينَ، وَوَافِ بِيَ عَرْصَةَ الأَوَّلِينَ؛ وَتَمِّمْ سُبُوغَ نِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَظَاهِرْ كَرَامَاتِهَا لَدَيَّ.

امْلأْ مِنْ فَوَائِدِكَ يَدَيَّ، وَسُقْ كَرَائِمَ مَوَاهِبِكَ إِلَيَّ، وَجَاوِرْ بِيَ الأَطْيَبِينَ مِنْ أَوْلِيَآئِكَ فِي الْجِنَانِ الَّتِي زَيَّنْتَهَا لِأَصْفِيَآئِكَ، وَجَلِّلْنِي شَرَآئِفَ نِحَلِكَ فِي الْمَقَامَاتِ الْمُعَدَّةِ لِأَحِبَّائِكَ، وَاجْعَلْ لِيَ عِنْدَكَ مَقِيْلاً آوِي إِلَيْهِ مُطْمَئِنّاً، وَمَثَابَةً أَتَبَوَّأُهَا، وَأَقَرُّ عَيْناً.

(وَانْزَعِ الْغِلَّ مِنْ صَدْرِي...) الْغِلَّ: الحقد، والبغضاء، وفي الحديث: «شر

النّاس من أبغض النّاس، وأبغضه النّاس»[١]، وقال أحد فلاسفة اليونان: «علىٰ النّاس أنْ يبادروا إلىٰ إزالة الحقد أكثر من مبادرتهم إلىٰ إطفاء الحريق»[٢]؛ لأنّ النار تحرق بعض البيوت، والحقد يثير الحروب التي تدمر البلاد وتهلك العباد. (وَاعْطِفْ بِقَلْبِي عَلَىٰ الْخَاشِعِيْنَ) إجعلني محباً لأبرار الطَّيِّبين، ومناصراً للمستضعفين. وفي الحديث: «فمن أحبّ عبداً في ٱللّه فإنّما أحبّ ٱللّه، ولا يُحِبُّ ٱللّه تعالىٰ إلا من أحبّه ٱللّه»[٣]، ونجد تفسير الحبّ في ٱللّه بالآية: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ (أي أعداء ٱللّه)رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[٤]. (وَكُنْ لِي كَمَا تَكُونُ لِلصَّالِحِينَ) الّذين يرجىٰ منهم الْخَيْر، ولا أحد يخشىٰ من شرهم.

(وَحَلِّنِي حِلْيَةَ الْمُتَّقِينَ) الحِلْيَة بكسر الحاء: ما يزين به من مصوغ المعادن، والحجارة الكريمة، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾[٥]، والمعنىٰ ألبسني زينة الْمُتّقين، وتَقَدَّمَ فيالدُّعاء العشرين. (وَاجْعَلْ لِيَ لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْغَابِرِيْنَ)، وفي الآية: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْأَخِرِينَ﴾[٦]، والمعنىٰ: اجْعَلْ لِي ذكراً جميلاً فيمن بقي من خَلْقِك من اليوم إلىٰ يَوْم الدِّين. (وَذِكْراً نَامِياً فِي الآخِرِينَ) عطف تكرار. (وَوَافِ بِيَ عَرْصَةَ الأَوَّلِينَ) وافاه: أتاه، والعَرْصَة بفتح العين: البقعة الواسعة، والمعنىٰ أحشرني غداً مع السّابقين الأوّلين إلىٰ الْخَيْرات، وكرر الإمامؑ هذا المعنىٰ بأسلوب أوضح، وهو قوله بعد لحظة:

---

(١) أُنظر، مستدرك سفينة البحار: ٣٨٧/٥، بحار الأنوار: ٥٤/٧٥ و: ١٢٤/٧٧.

(٢) أُنظر، أدبيات فلاسفة اليونان لعبدٱللّه بْن ميخائيل طراد المقدسي، طبعة شيخو: ٢٤١.

(٣) أُنظر، مصباح الشّريعة المنسوب للإمام الصّادقؑ: ١٩٤، بحار الأنوار: ٢٥١/٦٦ ح ٣٠.

(٤) الفتح: ٢٩.

(٥) فاطر: ٣٣.

(٦) الشّعراء: ٨٤.

«وَجَاوِرْ بِيَ الأَطْيَبِينَ مِنْ أَوْلِيَآئِكَ فِي الْجِنَانِ الَّتِي زَيَّنْتَهَا لِأَصْفِيَآئِكَ».

(وَتَمِّمْ سُبُوغَ نِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَظَاهِرْ كَرَامَاتِهَا لَدَيَّ) وقد تَقَدَّمَ هذا الدُّعاء بالذات ما نصه بالحرف: «وَجَلِّلْنِي سَوَابِغَ نَعْمَائِكَ، وَظَاهِرْ لَدَيَّ فَضْلَكَ، وَطَوْلَكَ» (وَامْلأْ مِنْ فَوَائِدِكَ يَدَيَّ)،كناية عن العطاء الجزيل، والْخَير الكثير (وَسُقْ كَرَائِمَ مَوَاهِبِكَ إِلَيَّ)، الطّلب الأوّل يعود إلىٰ الكم، وهذا إلىٰ الكيف لأنّ الكرائم هي الغوالي والنّفائس (وَجَلِّلْنِي شَرَآئِفَ نِحَلِكَ...) أعددت لمن تُحب أجراً كريماً، وثواباً عظيماً، فتفضل عليَّ كما تفضلت عليهم، وقد تَقَدَّمَ في هذا الدُّعاء بالذات «تُجْزِلُ لَهُمْ بِهَا مِنْ تُحَفِكَ خ ل، (أَوْ نِحَلِكَ)، وَكَرَامَتِكَ، وَتُكْمِلُ لَهُمُ الأَشْيَآءَ مِنْ عَطَايَاكَ...»، (وَاجْعَلْ لِيَ عِنْدَكَ مَقِيْلاً...) مكاناً (آوِي إِلَيْهِ) للراحة، والمراد هنا الجنّة، قال سبحانه وتعالىٰ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾[1]، (وَمَثَابَةً أَتَبَوَّأُهَا، وَأَقَرُّ عَيْناً)، مثابة: ثواب، تبوّأ المكان: حلّ فيه، وقرة العين: السّرور.

وَلاَ تُقَايِسْنِي بِعَظِيمَاتِ الْجَرَائِرِ، وَلاَ تُهْلِكْنِي يَوْمَ تُبْلَىٰ ٱلسَّرَائِرُ؛ وَأَزِلْ عَنِّي كُلَّ شَكٍّ، وَشُبْهَةٍ، وَاجْعَلْ لِي فِي الْحَقِّ طَرِيقاً، مِنْ كُلِّ رَحْمَةٍ؛ وأَجْزِلْ لِي قِسَمَ الْمَوَاهِبِ مِنْ نَوَالِكَ، وَوَفِّرْ عَلَيَّ حُظُوظَ الإِحْسَانِ مِنْ إِفْضَالِكَ.

وَاجْعَلْ قَلْبِي وَاثِقاً بِمَا عِنْدَكَ، وَهَمِّيَ مُسْتَفْرَغاً لِمَا هُوَ لَكَ؛ وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا تَسْتَعْمِلُ بِهِ خَالِصَتَكَ، وَأَشْرِبْ قَلْبِي عِنْدَ ذُهُولِ ٱلعُقُولِ طَاعَتَكَ.

(١) الفرقان: ٢٤.

وَٱجْمَعْ لِي ٱلْغِنىٰ، وَٱلْـعَفَافَ، وَالدَّعَـةَ، وَالْـمُعَافَاةَ، وَالصِّـحَّةَ، وَٱلسَّعَةَ، وَالطُّمَأْنِينَةَ، وَالْعَافِيَةَ، وَلاَ تُحْبِطْ حَسَنَاتِي بِمَا يَشُوبُهَا مِنْ مَعْصِيَتِكَ، وَلاَ خَلَوَاتِي بِمَا يَعْرِضُ لِيَ مِنْ نَزَغَاتِ فِتْنَتِكَ.

(وَلاَ تُقَايِسْنِي بِعَظِيمَاتِ الْجَرَائِرِ): جمع جريرة أي لا تقس عقوبتي بجرمي، وجريرتي، وبتعبير الدُّعاء المكرر، والمشهور: «عاملني بعفوك لا بعدلك»[1]. (وَلاَ تُهْلِكْنِي يَوْمَ تُبْلَىٰ ٱلسَّرَائِرُ)، اقتباس من الآية: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾[2]، أي يكشف عن كلّ سر كان في القلب خفياً عقيدةً كان، أو ظناً، أو قصداً، ويوضع هذا السّر غداً علىٰ المحك تمييزاً بالإختبار لما خبث، وطاب، وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء الثّاني والثّلاثين. (وَأَزِلْ عَنِّي كُلَّ شَكٍّ، وَشُبْهَةٍ) الشّك: أنْ تردد، ولا تعتقد نفياً، أو إثباتاً، والشّبهة: أنْ تعتقد خطأً من حيث لا تشعر، وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء الثّاني والعشرين بهذا النّص: «وَهَبْ لِي نُوراً أَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ، وَأَهْتَدِي بِهِ فِي الظُّلُماتِ، وَأَسْتَضِيءُ بِهِ مِنَ الشَّكِّ وَالشُّبُهَاتِ».

(وَاجْعَلْ لِي فِي الْحَقِّ طَرِيقاً، مِنْ كُلِّ رَحْمَةٍ)، في الْحَقّ أي في علمك يا إلهي الَّذِي هو عين الْحَقّ، والواقع، ومن هنا بمعنىٰ إلىٰ، والمعنىٰ سهل عليَّ الطّريق الموصل إلىٰ كلّ نوع، ولون من فضلك، ورَحْمَتِك. (وأَجْزِلْ لِي قِسَمَ الْمَوَاهِبِ مِنْ نَوَالِكَ)، اجْعَلْ حظي من عطاياك كبيراً، وكثيراً، وقد تَقَدَّمَ قبل لحظة هذا المعنىٰ في قوله: «وَسُقْ كَرَائِمَ مَوَاهِبِكَ إِلَيَّ». (وَوَفِّرْ عَلَيَّ حُظُوظَ الإِحْسَانِ مِنْ إِفْضَالِكَ) عطف تكرار (وَاجْعَلْ قَلْبِي وَاثِقاً بِمَا عِنْدَكَ)، معنىٰ الثّقة بالله الغنىٰ به عن كلّ شيء، والرّجوع إليه في كلّ شيء، وحدد الإمام أمير الْمُؤْمِنِين ﷺ صدق الإِيْمَان بقوله:

---

(١) أُنظر، نور البراهين للجزائري: ٣٩/١، شرح أُصول الكافي: ٢١٤/١٠، قريب منه.

(٢) الطّارق: ٩.

«لا يصدق إيمان عبد حتّىٰ يكون بما في يد ٱللّه أوثق منه بما في يده»(١) وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء الثّاني والثّلاثين.

(وَهَمِّيَ مُسْتَفْرَغاً لِمَا هُوَ لَكَ)، اجْعَلْ كلّ أفعالي، وأقوالي لوجهك ٱلْكَرِيمِ، وقد تَقَدَّمَ قبل قليل في هذا الدُّعاء: «وَأَذِقْنِي طَعْمَ الْفَرَاغِ لِمَا تُحِبُّ» (وَاسْتَعْمِلْنِي بِـمَا تَسْتَعْمِلُ بِهِ خَالِصَتَكَ)، ٱجعلني من أهْل التُّـقىٰ، والزّلفـة عـندك. وأخـتصصتهم بفضلك. وأستعملتهم في الْخَيْرات، والمـبرات (وَأَشْرِبْ قَلْبِي عِنْدَ ذُهُـولِ ٱلعُـقُولِ طَاعَتَكَ)، إذا تجرأت عقول أهْل الهوىٰ، والعمىٰ علىٰ معصيتك فاشغل جوانحي، وجوارحي كلّها بطاعتك عن كلّ طاعة. وقد تَـقَدَّمَ فـي الدُّعـاء الحـادي عشـر، والحادي والعشرين، وغير ذٰلِكَ (وَٱجْمَعْ لِي ٱلْغِنىٰ ....)، خير الدُّنيا، والآخرة. وقد تَقَدَّمَ بصورة أطول، وأوسع في الدُّعاء الثّالث عشر، والثاني والعشرين، وغير ذٰلِكَ (وَلاَ تُحْبِطْ حَسَنَاتِي) لا تجعلني من الّذين يخربون بيوتهم بأيديهم. وقد تَقَدَّمَ في هذا الدّعاء نفسه ما نصه بالحرف: «وَطَوِّقْنِي طَوْقَ ٱلإِقْلاَعِ عَمَّا يُحْبِطُ الْحَسَنَاتِ، وَيَذْهَبُ بِالْبَرَكَاتِ».

(وَلاَ خَلَوَاتِي بِمَا يَعْرِضُ لِيَ مِنْ نَزَغَاتِ فِتْنَتِكَ) خلواتي: صلواتي، وعبادتي، والمراد بالنزغات هنا خطرات الوسواس، وفتنته تعالىٰ: محنته، وابتلاؤه، والمعنىٰ لا تبطل أعمالي بتصور أسود يمر بالخاطر أبتلىٰ به، وأمتحن، ونسبه الإمـام إلىٰ ٱللّه؛ لأنّه خالق الأشياء كلّها. وسبق القول بأنّ الأفكار لا أثر لها ما دامت في طيّ الكتمان. وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء الثّاني والأربعين.

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٧٤/٤، الحكمة (٣١٠)، شرح النّهج لمحمد عبده: ٢٢٧/٣، شرح النّهج للمعتزلي: ٢١٦/١٩، بحار الأنوار: ٣١٣/٦٤و: ٣٧/١٠٠.

وَصُنْ وَجْهِي عَنِ الطَّلَبِ إِلَىٰ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ، وَذُبَّنِي عَنِ ٱلتِمَاسِ مَا عِنْدَ ٱلفَاسِقِينَ، وَلاَ تَجْعَلْنِي لِلظَّالِمِينَ ظَهِيراً، وَلاَ لَهُمْ عَلَىٰ مَحْوِ كِتَابِكَ يَداً وَنَصِيراً.

وَحُطْنِي مِنْ حَيْثُ لاَ أَعْلَمُ حِيَاطَةً تَقِيْنِي بِهَا، وَافْتَحْ لِيَ أَبْوَابَ تَوْبَتِكَ، وَرَحْمَتِكَ، وَرَأْفَتِكَ، وَرِزْقِكَ ٱلوَاسِعِ، إِنِّي إِلَيْكَ مِنَ الرَّاغِبِينَ.

وَأَتْمِمْ لِي إِنْعَامَكَ، إِنَّكَ خَيْرُ الْمُنْعِمِيْنَ، وَاجْعَلْ بَاقِيَ عُمْرِيْ فِي الْحَجِّ، وَالْعُمْرَةِ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ يَاربَّ الْعَالَمِينَ؛ وَصَلَّىٰ ٱللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَالسَّلاَمُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَبَدَ الآبِدِينَ.

(وَصُنْ وَجْهِي عَنِ الطَّلَبِ...) واضح، وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء العشرين، وغيره.

فوت الحاجة أهون

(وَذُبَّنِي عَنِ ٱلتِمَاسِ مَا عِنْدَ ٱلفَاسِقِينَ)، السّؤال من حيث هو ذل، وهوان إلا أنْ يكون المسؤول الخالق الرّازق. فكيف إذا السّائل أشرف، وأرفع عن المسئول ديناً، وخلقاً؟ قال الإمام أمير الْمُؤْمِنِين ﷺ: «ماء وجهك جامد يقطره السّؤال، فانظر عند من تقطره»[1].. «فوت الحاجة أهون من طلبها إلىٰ غير أهلها»[2]، والمعنىٰ إنْ أحوجك الدّهر فاسأل أهْل الدّين، والإيمان، والنّجدة، والمروءة، لأنّ سؤال

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٨١/٤، الحكمة (٣٤٦)، شرح النّهج للمعتزلي: ٢٦١/١٩، ينابيع الْمَوَدَّة: ٢٤٩/٢.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ١٥/٤، الحكمة (٦٦)، شرح النّهج للمعتزلي: ٢١١/١٨، ينابيع الْمَوَدَّة: ٢٣٩/٢.

الفاسق، والظَّالم يستدعي السّكوت عن الْحَقّ، والمعروف، وتجاهل الْبَاطِل، والمنكر، وبه يذهب من دين السّائل أكثر مما ينال من دنيا المسئول، وقول الإمام: صُنْ ديني... واضح في هذا المعنىٰ، وكم قرأنا عن أهْل ٱللَّه كيف فروا بدينهم من أهْل المال، والسّلطان. وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء العشرين.

وفيما روىٰ الرّواة أنّ اثنين من ٱلْعُلَمَاء كانا في عهد الأُمويين، وكان أحدهما يسكت عن الْحَقّ، ويمالىء الظّلمة، ويركن إليهم لأنّه يقبل عطاياهم، والآخر يرفضها، وينطق بالحقّ، ويجبههم به غير هياب. وفي ذات يَوْم ٱلتقىٰ الحاكم بالنزيه المخلص، فقال له: أدع لنا، فقال: كيف أدع لكم، والألوف تدعوا عليكم؟ أيستجاب لواحد، ولا يستجاب للكثرة الكاثرة؟ فقال الجائر: ولماذا خَلَق ٱللَّه الذّباب؟ قال: ليذل به الجبابرة. قال الحاكم الظّالم: فأين رَحْمَة ٱللَّه؟ قال: هي للمُحسنين لا للمسيئين[1]. وهكذا كلّ من تجرد عن الأهواء، والأغراض ينطق بالحقّ، ولا يخشىٰ في ٱللَّه لومة لائم، أمّا المرتزقة فيعبثون بدين ٱللَّه، ويحللون حرامه بالتأويل، والتّعليل.

(وَلاَ تَجْعَلْنِي لِلظَّالِمِينَ ظَهِيراً) أُنظر شرح الدُّعاء الرّابع عشر فقرة الظّالم كافر

---

(١) قال أحمد بْن عمرو بْن المقدام الرّازي: وقع الذُّباب علىٰ وجه المنصور فذبّه فعاد فذبّه فعاد حتّىٰ أضجره، وكان عنده جعفر بْن محمّد عليه السلام في ذٰلِكَ الوقت، فقال المنصور: يا أبا عبد ٱللَّه لأيّ شيء خَلَق ٱللَّه عزّ وجلّ الذُّباب؟ قال: ليذلّ به الجبابرة. فسكت المنصور. أُنظر تأريخ دمشق: ١٣/٦٠، تهذيب الكمال: ٥/٩٣ و: ٢٨/٤٣٩، سير أعلام النّبلاء: ٦/٢٦٤ و: ٧/٢٠٢، المناقب لابن شهرآشوب: ٣/ ٣٧٥، و: ٤ / ٢٥١ طبعة أُخرىٰ، علل الشّرايع: ٢ / ٤٩٦ ح ١، كشف الغمّة: ٢ / ١٥٨، حلية الأولياء لأبي نعيم الإصبهاني: ٣ / ١٩٨، مطالب السّؤول: ٨٢، نور الأبصار: ٢٩٩، أخبار الدّول وآثار الأوّل للقرماني: ١١٢، المختار في مناقب الأخبار: ١٧، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ٣٥٣، الأنوار القُدسية للسنهوتي: ٣٨.

(وَحُطْنِي مِنْ حَيْثُ لاَ أَعْلَمُ حِيَاطَةً...) احفظني بعينك الَّذِي لا تنام من كلّ سوء من حيث لا أحس، وأشعر، وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء السّادس، وغيره (وَافْتَحْ لِيَ أَبْوَابَ تَوْبَتِكَ، وَرَحْمَتِكَ) أبواب توبته، ورَحْمَته مفتوحة لكلّ تائب ومسترحم، والسّبل إلىٰ رزقه لا يبلغها الإحصاء تماماً كنعمته، وهي بينة واضحة لكلّ من سعىٰ لها سعيها، وتَقَدَّمَ في الدُّعاء الثّاني والثّلاثين، وغيره. والحَمد لله رَبَّ الْعَالَمِينَ. وصلّىٰ اللّٰه علىٰ مُحمّد وَآلِهِ الطَّيِّبِين الطَّاهِرِينَ، والسّلام عَلَيْهِ، وعليهم أبد الآبدين.

الدُّعاء الثّامن والأربعون

دُعَاؤهُ فِي يَوْمِ الأَضْحىٰ وَالْجُمُعَةِ

أَللَّهُمَّ هَذَا يَوْمٌ مُبَارَكٌ مَيْمُونٌ، وَالمُسْلِمُونَ فِيْهِ مُجْتَمِعُونَ فِي أَقْطَارِ أَرْضِكَ، يَشْهَدُ اَلسَّائِلُ مِنْهُمْ، وَالطَّالِبُ، وَالرَّاغِبُ، وَالرَّاهِبُ، وَأَنْتَ اَلنَّاظِرُ فِي حَوَائِجِهِمْ؛ فَأَسْأَلُكَ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ، وَهَوَانِ مَا سَأَلْتُكَ عَلَيْكَ.... أَنْ تُصَلِّيَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.

وَأَسْأَلُكَ أَللَّهُمَّ رَبَّنَا بِأَنَّ لَكَ المُلْكَ، وَلَكَ الْحَمْدَ، لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أَنْتَ، الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ، ذُو الْجَلاَلِ، وَالإِكْرَامِ، بَدِيْعُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ، مَهْمَا قَسَمْتَ بَيْنَ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ خَيْرٍ، أَوْ عَافِيَةٍ، أَوْ بَرَكَةٍ، أَوْ هُدىً، أَوْ عَمَلٍ بِطَاعَتِكَ، أَوْ خَيْرٍ تَمُنُّ بِهِ عَلَيْهِمْ، تَهْدِيهِمْ بِهِ إِلَيْكَ، أَوْ تَرْفَعُ لَهُمْ عِنْدَكَ دَرَجَةً، أَوْ تُعْطِيهِمْ بِهِ خَيْراً مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا، وَالآخِرَةِ... أَنْ تُوَفِّرَ حَظِّي، وَنَصِيبِي مِنْهُ.

(هَذَا يَوْمٌ مُبَارَكٌ...) الإشارة إلىٰ اليوم العاشر من ذي الحجّة، وتجب فيه

الأُضحية علىٰ مَن حجّ إلىٰ ٱلبَيْت الحرام، وتُستحب علىٰ أهْل كلّ بيت في كلّ عام، وإنْ يحجّ واحد منهم، وقيل: بل تجبّ. وهذا القول متروك (وَالْمُسْلِمُونَ فِيْهِ مُجْتَمِعُونَ فِي أَقْطَارِ أَرْضِكَ...) للصّلاة، والدُّعاء يسألون ٱللّٰه العفو، والْعَافِيَة. وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء الخامس والأربعين (وَهَوَانِ مَا سَأَلْتُكَ عَلَيْكَ) أي هو علىٰ ٱللّٰه يسير لأنّه علىٰ كلّ شيء قدير (الْحَنَّانُ): الكثير الرَّحْمَة (الْمَنَّانُ) الكثير الإنعام (ذُو الْجَلاَلِ، وَالإِكْرَامِ) لا جلال، ولا كرامة إلا لهُ. ومنه (بَدِيْعُ السَّمٰوٰاتِ، وَالأَرْضِ) أوجدتهما من غير مثال سابق. وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء السّابع والأربعين.

(مَهْمَا قَسَمْتَ...) آشركني في كلّ ما تفضلت به علىٰ عبادك ٱلصَّالِحِينَ، واجْعَلْ حظي منه أوفر الحظوظ. وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء السّابع والأربعين.

وَأَسْأَلُكَ ٱللَّهُمَّ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لاَ إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ ... أَنْ تُصَلِّيَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، عَبْدِكَ، وَرَسُولِكَ، وَحَبِيبِكَ، وَصَفْوَتِكَ، وَخِيَارَاتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ الأَبْرَارِ الطَّاهِرِينَ الأَخْيَارِ...، صَلاَةً لاَ يَقْوَىٰ عَلَىٰ إِحْصَائِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَأَنْ تُشْرِكَنَا فِي صَالِحِ مَنْ دَعَاكَ فِي هَذَا ٱلْيَوْمِ مِنْ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ يَارَبَّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْ تَغْفِرَ لَنَا، وَلَهُمْ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

أَللَّهُمَّ إِلَيْكَ تَعَمَّدْتُ بِحَاجَتِي، وَبِكَ أَنْزَلْتُ ٱلْيَوْمَ فَقْرِي، وَفَاقَتِي، وَمَسْكَنَتِي، وَإِنِّي بِمَغْفِرَتِكَ، وَرَحْمَتِكَ، أَوْثَقُ مِنِّي بِعَمَلِي، وَلَمَغْفِرَتُكَ، وَرَحْمَتُكَ أَوْسَعُ مِنْ ذُنُوبِي.

فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَتَوَلَّ قَضَاءَ كُلِّ حَاجَةٍ هِيَ لِيَ بِقُدْرَتِكَ عَلَيْهَا، وَتَيْسِيرِ ذالِكَ عَلَيْكَ، وَبِفَقْرِي إِلَيْكَ، وَغِنَاكَ عَنِّي؛

فَإِنِّي لَمْ أُصِبْ خَيْراً قَطُّ إِلاّ مِنْكَ، وَلَمْ يَصْرِفْ عَنِّي سُوءاً قَطُّ أَحَدٌ غَيْرُكَ، وَلاَ أَرْجُو لِأَمْرِ آخِرَتِي، وَدُنْيَايَ سِوَاكَ.

(وَأَسْأَلُكَ أَللَّهُمَّ... أَنْ تُصَلِّيَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ...) تَقَدَّمَ، وتكرر مرات، ولا بدع فإنّ ٱلشَّمْس تشرق في كلّ يَوْم، وهي علىٰ روعتها تماماً، وكيومها الأوّل. أُنظر شرح الدُّعاء الثّاني فقرة (طبيعة الدعوىٰ، وشخصية الداعي)، والدُّعاء السّادس فقرة (الشّخصية اللامعة الجذابة)، والدُّعاء الثّاني والأربعون فقرة (شخصية مُحمّد)، والدُّعاءالسّابع والأربعون فقرة (مُحمّد هو الوحيد في كِتَاب جديد).

(وَأَنْ تُشْرِكَنَا فِي صَالِحِ مَنْ دَعَاكَ) يطلب الإمام ﷺ مِن ٱللّٰه سبحانه أنْ يشركه في دُعَاء من دعاه من عِبَادِهِ ٱلصَّالِحِينَ حتّىٰ ولو كان الدُّعاء خاصاً بصيغة «أدعوك» والأفضل أنْ يكون عاماً كـ«ندعوك» و«نسألك». قال رَسُول ٱللّٰه ﷺ: «إذا دعا أحدكم فليعمم، فإنّه أوجب للدعاء»[1] (أَللَّهُمَّ إِلَيْكَ تَعَمَّدْتُ بِحَاجَتِي) قصدتك دون سِواكَ، لأنّك أرحم الرّاحمين (وَبِكَ أَنْزَلْتُ ٱلْيَوْمَ فَقْرِي) لأنّك أكرم الأكرمين.

من خصائص العالم، والجاهل

(وَإِنِّي بِمَغْفِرَتِكَ، وَرَحْمَتِكَ أَوْثَقُ مِنِّي بِعَمَلِي...) كلّ عاقل، وعالم يتوقع الخطإ من نفسه فيما يرىٰ، ويقول، ويفعل مهما ٱحتاط، وتحفظ ـ بخاصة من آمن بالله، واليوم الآخر ـ وبالرغم من ذٰلِكَ فعليه أنْ يمضي، ولا يتوقف، وأنْ يعمل بموجب ما يرىٰ راجياً الصّواب، وعدم الاشتباه، وإلا لأحجم عن كلّ شيء، والجاهل الأرعن هو ٱلَّذِي يصر علىٰ أنّ كلّ ما يصدر عنه حقّ لا ريب فيه، وكلّما

(١) أُنظر، الكافي: ٢/٤٨٧ ح ١، شرح أُصول الكافي: ١٠/٢٦٤، ثواب الأعمال: ١٦٢، البحار: ٩٠/٣٤٠.

أزداد ٱلإنسَان جهلاً ٱزداد رفضاً للنقد، وإعجاباً برأيه، وإصراراً عَلَيْهِ. أمّـا العـالم فعلىٰ العكس كلّما ٱزداد علماً ٱزداد توقعاً للخطإ، وقبولاً للنقد برحابة صدر. أجل العالم ٱلْمُؤْمِن يثق بمغفرة ٱللَّه، ورَحْمَته أكثر مما يثق بوجوده، لأنّه علىٰ علم ٱلْيَقِين برحمة ٱللَّه، ومغفرته، وأنّهما أوسع من كلّ ذنب، بل ومن الدُّنْيَا، والآخرة. وفـي دُعَاء سَيِّد ٱلشُّهَدَاء: «يا رحمن الدُّنْيَا، والآخرة، ورحيمهما، ليس كمثلك مسؤول، ولا سِواكَ مأمول»[1].

(وَتَوَلَّ قَضَآءَ كُلِّ حَاجَةٍ هِيَ لِيَ بِقُدْرَتِكَ عَلَيْهَا) أقض حاجتي أنْتَ دون سِواكَ بقدرتك الّتي لا تعجز عن شيء، وإنْ عظم. وتَقَدَّمَ مرات، منها في الدُّعـاء الثّـاني والعشرين (فَإنِّي لَمْ أُصِبْ خَيْراً قَطُّ إلَّا مِنْكَ) وتسأل: أليس التّعاون بين النّاس هو أساس الحياة؟ وهل لأحد من غنىٰ عن النّاس إلا أنْ يكون من وحوش الغاب، أو من مَلائِكَة السَّماء؟ ويروىٰ أنّ الإمام سمع رجلاً يدعو ٱللَّه أنْ يغنيه عن النّاس، فقال له: لا بد من معونة النّاس، ولكن أدع أنْ يغنيك عن شرار النّاس. فـما هـو المبرر لقول الإمامﷺ: لَمْ أُصِبْ خَيْراً قَطُّ إلاَّ مِنَ ٱللَّه؟ **الجواب**: أجل بعض النّاس يستعين ببعض، ما في ذٰلِكَ ريب، ولكن كلّ النّاس يستمدون المعونة، والتّـيسير، والنّجاح منه تعالىٰ.

أَللَّهُمَّ مَنْ تَهَيَّأَ، وَتَعَبَّأَ، وَأَعَدَّ، وَاسْتَعَدَّ، لِوَفَادَةٍ إلَىٰ مَخْلُوقٍ، رَجَاءَ رِفْدِهِ، وَنَوَافِلِهِ، وَطَلَبِ نَيْلِهِ، وَجَائِزَتِهِ، فَإلَيْكَ يَا مَوْلاَيَ كَانَتِ الْيَومَ تَهْيِئَتِي، وَتَعْبِئَتِي، وَإعْدَادِي، وَٱسْتِعْدَادِي، رَجَآءَ عَفْوِكَ، وَرِفْدِكَ، وَطَلَبِ نَيْلِكَ، وَجَائِزَتِكَ.

---

(١) أُنظر، إقبال الأعمال: ٨٥/٢، بحار الأنوار: ٢٢٣/٩٥، حياة الإمام الحُسينﷺ: ١٧٨/١.

أَللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَلاَ تُـخَيِّبِ الْـيَوْمَ ذالِكَ مِـنْ رَجَائِي، يَا مَنْ لاَ يُحْفِيهِ سَائِلٌ، وَلاَ يَنْقُصُهُ نَائِلٌ؛ فَإِنِّي لَمْ آتِكَ ثِـقَةً مِنِّي بِعَمَلٍ صَالِحٍ قَدَّمْتُهُ، وَلاَ شَفَاعَةِ مَخْلُوقٍ رَجَوْتُهُ ... إِلَّا شَـفَاعَةَ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ سَلاَمُكَ.

أَتَيْتُكَ مُقِرّاً بِالْجُرْمِ، وَالإِسَاءَةِ إِلَىٰ نَفْسِي، أَتَيْتُكَ أَرْجُو عَظِيمَ عَفْوِكَ الَّذِيْ عَفَوْتَ بِهِ عَنِ الْخَاطِئِينَ، ثُمَّ لَمْ يَمْنَعْكَ طُـولُ عُكُـوفِهِمْ عَـلَىٰ عَظِيمِ الْجُرْمِ ... أَنْ عُدْتَ عَلَيْهِمْ بِالرَّحْمَةِ، وَالْمَغْفِرَةِ.

فَيَا مَنْ رَحْمَتُهُ وَاسِعَةٌ، وَعَفْوُهُ عَظِيمٌ، يَا عَظِيمُ يَا عَظِيمُ، يَا كَرِيمُ يَا كَرِيمُ، صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَعُدْ عَلَيَّ بِرَحْمَتِكَ، وَتَـعَطَّفْ عَلَيَّ بِفَضْلِكَ، وَتَوَسَّعْ عَلَيَّ بِمَغْفِرَتِكَ.

(أَللَّهُمَّ مَنْ تَهَيَّأَ، وَتَعَبَّأَ...) التهيئة، والتعبئة، والإعـداد، والاسـتعداد للأمـر كلمات تُعبر من معنىً واحد، وهو إيجاد كلّ ما يلزم لتحققه، ووجوده، والوفادة: القدوم، والرّفد: العطاء، والمعونة، والنّوافل: جمع نافلة بـمعنىٰ العـطية بـالمجان، والنّيل: ما يُنال، والجائزة: العطية مكافأةً، ويتلخص المعنىٰ إذا سأل النّاس يا إلهي، وتوجهوا إلىٰ سِواكَ، فما أنا بطالب، وراغب في أية حاجة من حوائجي إلا إليك، وحدك لا شريك لك. وتَقَدَّمَ مراراً، منها في الدُّعاء الثّاني عشر، والثّالث عشر (وَلاَ تُخَيِّبِ ...) واضح وتَقَدَّمَ (يَا مَنْ لاَ يُحْفِيهِ ...) لا يضيق، ويتبرم من الإلحاح فـي السّؤال، بل يحبّه، ويريده من عِبَادِهِ (وَلاَ يَنْقُصُهُ...) خزائنه تـفيض، ولا تـغيض بالعطاء، وتَقَدَّمَ في الدُّعاء الخامس والأربعين، وغيره.

(فَإِنِّي لَمْ آتِكَ ثِقَةً...) بأيّ شيء إطلاقاً (إِلَّا شَفَاعَةَ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَـيْتِهِ عَـلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ سَلاَمُكَ) وجاء في الحديث: «أنّ رَسُول اللّهﷺ قال لعليّ؛: «أنتَ قسيم

الجنّة، وٱلنَّار يَوْم الْقِيَامَة غيري»(١). ومن كان قسيم الجنّة، وٱلنَّار فهو شفيع، وزيادة.

(أَتَيْتُكَ مُقِرّاً بِالْجُرْمِ...) قال الإمام الباقر ﷺ: «وٱللَّه ماينجو من الذّنب إلا من أقر به»(٢)... «لا وٱللَّه ما أراد ٱللَّه من النّاس إلا خصلتين أنْ يقروا له بالنِّعم، فيزيدهم، وبالذّنوب فيغفر لهم»(٣). فكيف إذا كان الإقرار بالذّنب ممن لا ذنب له؟ (ثُمَّ لَمْ يَمْنَعْكَ طُولُ عُكُوفِهِمْ عَلَىٰ عَظِيمِ الْجُرْمِ...) ٱللَّه سبحانه يرحم الخلائق بالكامل لا لشيء إلا لكونه خلقهم، فكيف بمن آمن به، وسمع له، وأطاع، وهو جلّ جَلاله يدعو كلّ مذنب إلىٰ مغفرته، ويمنّ بها علىٰ كلّ طالب لها، وراغب فيها، كما قال الإمام أمير الْمُؤْمِنِينَ ﷺ: «ما كان ٱللَّه ليفتح علىٰ عبد باب الدُّعاء، ويغلق عنه باب الإجابة، ولا ليفتح علىٰ عبد باب التَّوْبَة، ويغلق عنه باب المغفرة»(٤). وقد أعلن سبحانه فتح هذا الباب في كُتبه، وبلسان رُسله حيث قال: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ

(١) أُنظر، فضائل الخمسة: ٣/ ١٠٥، ونقل صاحب ٱلْكِتَاب المذكور عن الصّواعق المحرقة: ٧٥ و ٩٣، طبعة سَنَة ١٣١٢ هـ، وعن كنز العمال للمتقي الهندي: ٦ /٤٠٢ طبع حيدر آباد سَنَة ١٣١٢ هـ، وعن كنوز الحقائق للمناوي: ٩٢ طبع بإستانبول سَنَة ١٢٨٥ هـ. (منه ﷺ)، وأُنظر، لسان الميزان: ٢٤٧/٣، المناقب لابن المغازلي: ٦٧ ح ٩٧، الفردوس بمأثور الخطاب: ٦٤/٣ ح ٤١٨٠، بشارة المصطفىٰ: ٢٥٩، ينابيع الْمَوَدَّة: ٢٥٤/١ و: ٤٠٤/٢.

(٢) أُنظر، كِتَاب الزّهد لحسين بْن سعيد الأهوازي: ٧٢: مستدرك الوسائل: ٣٤٥/٢، بحار الأنوار: ٣٨/٦.

(٣) أُنظر، الكافي: ٤٢٦/٢ ح ٢، شرح أُصول الكافي: ١٥٧/١٠، وسائل الشّيعة: ٥٩/١٦، البحار: ٣٦/٦.

(٤) أُنظر، نهج البلاغة: ١٠٢/٤، الحكمة (٤٣٥) مثله مع تقديم وتأخير، شرح النّهج للمعتزلي: ٨٢/٢٠، بحار الأنوار: ٣٦/٦ و: ٣٦٦/٩٠، لسان الميزان لابن حجر: ٣٤٩/٢، عن النّبي ﷺ.

ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]. ولا يحرم، ويمنع سبحانه أي مذنب من مغفرته إلا أنْ يرفضها هو بسوء إختياره لإصرارهم علىٰ الجحود بخالقه، أو لإهمال التَّوْبَة، وطَلَب المغفرة: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[2].

(وَعُدْ عَلَيَّ بِرَحْمَتِكَ...) هذا وما بعده عطف تكرار، إضافة إلىٰ ما سبق في العديد من الأدعية، ويأتي.

أَللَّهُمَّ إنَّ هَذَا الْمَقَامَ لِخُلَفَائِكَ، وَأَصْفِيَآئِكَ، وَمَوَاضِعَ أُمَنَائِكَ فِي ٱلدَّرَجَةِ ٱلرَّفِيعَةِ ٱلَّتِي ٱخْتَصَصْتَهُمْ بِهَا، قَدِ ابْتَزُّوهَا وَأَنْتَ الْمُقَدِّرُ لِذَلِكَ، لاَ يُغَالَبُ أَمْرُكَ، وَلاَ يُجَاوَزُ الْمَحْتُومُ مِنْ تَدْبِيرِكَ، كَيْفَ شِئْتَ! وَأَنَّىٰ شِئْتَ! وَلِمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ، غَيْرُ مُتَّهَمٍ عَلَىٰ خَلْقِكَ، وَلاَ لإِرَادَتِكَ.

حَتَّىٰ عَادَ صَفْوَتُكَ، وَخُلَفَاؤُكَ مَغْلُوبِينَ مَقْهُورِينَ مُبْتَزِّينَ؛ يَرَوْنَ حُكْمَكَ مُبَدَّلاً، وَكِتَابَكَ مَنْبُوذاً، وَفَرَائِضَكَ مُحَرَّفَةً عَنْ جِهَاتِ أَشْرَاعِكَ، وَسُنَنَ نَبِيِّكَ مَتْرُوكَةً. أَللَّهُمَّ الْعَنْ أَعْدَآءَهُمْ مِنَ الأَوَّلِينَ، وَالآخِرِينَ، وَمَنْ رَضِيَ بِفِعَالِهِمْ، وَأَشْيَاعَهُمْ، وَأَتْبَاعَهُمْ.

(أَللَّهُمَّ إنَّ هَذَا الْمَقَامَ لِخُلَفَائِكَ، وَأَصْفِيَآئِكَ...) الأئمة المعصومين، وأشار الإمام عليه السلام إليهم، لأنّ هذا الدُّعاء للعيد، والْجُمُعَةِ، وفيها يجتمع المسلمون حول إمامهم، وقائدهم يعبون من فيضه، ويهتدون بنوره (قَدِ ابْتَزُّوهَا) أي سلبوا الدّرجة الرّفيعة، وهي الخلافة، وتغلبوا عليها (وَأَنْتَ الْمُقَدِّرُ لِذَلِكَ) ليس المُراد بالتقدير هنا الحتم، واللّزوم وإلا بطل الحساب، والعقاب، وسقط الوعد، والوعيد، وإنّما المُراد به

---

(١) النّور: ٢٢.

(٢) الأنفال: ٣٣.

علمه تعالىٰ بأنّه الظُّلم، والجور واقع علىٰ المظلومين بإرادة ٱلظَّالِمِينَ، وٱختيارهم (لاَ يُغَالَبُ أَمْرُكَ، وَلاَ يُجَاوَزُ الْمحْتُومُ مِنْ تَدْبِيرِكَ) ؟أي شاءت حكمتك أنْ تترك العبد وما يختار لنفسه، وأنْ لا تلجئه علىٰ فعلٍ، أو ترك. ولو شئت لفعلت، ولكنك لم تفعل حيث لا إنسانية بلا حرية، ومن هذا الباب قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[1].

(كَيْفَ شِئْتَ...) ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن (وَلِمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ...) علىٰ الْمُؤْمِن بالله أنْ يلوذ به، ولا يعترض ويسأل عمّا يفعل، كما هو شأننا مع الطّبيب الخبير الأمين (حَتَّىٰ عَادَ صَفْوَتُكَ، وَخُلَفَاؤُكَ مَغْلُوبِينَ...) أي كانت النّتيجة لحكمتك البالغة ـ وهي ترك ٱلإنسان وما يختار ـ نبذ ٱلْكِتَاب، وتحريف السُّنة، وإضاعة الصَّلاَة، وإتباع الشّهوات، ولكن للباطل جولة ثُمَّ يضمحل، وللحقّ سلاح لا تراه الأعين: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[2]. وكثيراً ما يكون هذا اليوم في الدُّنْيا قبل الآخرة، كما رأينا بالحس، والعيان.

(أَللَّهُمَّ الْعَنْ أَعْدَآءَهُمْ...) قال الإمام الاصادق عليه السلام: «إنّ اللّعنة إذا خرجت من صاحبها ترددت بينها وَبَيْنَ الَّذِي يلعن، فإنْ وجدت مساغاً وإلا رجعت علىٰ صاحبها»[3]. ومعنىٰ هذا أنّ اللّعنة تأخذ طريقها إلىٰ صاحبها الظّالم الآثم تلقائياً، لا يصدها عنه شيء، وإنّ اللّعين حقاً، وصدقاً لو نطق بها قاصداً من لا يستحق اللّعن

(١) هود: ١١٨.

(٢) إبراهيم: ٤٢.

(٣) أُنظر، قرب الإسناد: ١٠، الكافي: ٢/٢٦٨ ح ٦، ثواب الأعمال: ٢٣٠، البحار: ٧٢/٢٠٨، الوسائل: ٨/٦١٣.

لعادت إلىٰ النّاطق بالذات تماماً كالكذّاب يلعن الكاذبين.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَآلِ مُحَمَّدٍ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، كَصَلَوَاتِكَ، وَبَرَكَاتِكَ، وَتَحِيَّاتِكَ عَلَىٰ أَصْفِيآئِكَ إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، وَعَجِّلِ الْفَرَجَ، وَالرَّوْحَ، وَالنُّصْرَةَ، وَالتَّمْكِينَ، وَالتَّأْيِيدَ لَهُمْ.

أَللَّهُمَّ وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، وَالإِيمَانِ بِكَ، وَالتَّصْدِيقِ بِرَسُولِكَ، وَالأَئِمَّةِ الَّذِينَ حَتَمْتَ طَاعَتَهُمْ مِمَّنْ يَجْرِي ذَلِكَ بِهِ، وَعَلَىٰ يَدَيْهِ آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

أَللَّهُمَّ لَيْسَ يَرُدُّ غَضَبَكَ إِلَّا حِلْمُكَ، وَلاَ يَرُدُّ سَخَطَكَ إِلَّا عَفْوُكَ، وَلاَ يُجِيرُ مِنْ عِقَابِكَ إِلَّا رَحْمَتُكَ، وَلاَ يُنْجِينِي مِنْكَ إِلَّا التَّضَرُّعُ إِلَيْكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ.

فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَهَبْ لَنَا يَا إِلَهِي مِنْ لَدُنْكَ فَرَجاً بِالْقُدْرَةِ الَّتِي بِهَا تُحْيِي أَمْوَاتَ الْعِبادِ، وَبِهَا تَنْشُرُ مَيْتَ الْبِلاَدِ.

وَلاَ تُهْلِكْنِي يَا إِلَهِي غَمّاً حَتَّىٰ تَسْتَجِيبَ لِي، وَتُعَرِّفَنِي الإِجَابَةَ فِي دُعَآئِي، وَأَذِقْنِي طَعْمَ الْعَافِيَةِ إِلَىٰ مُنْتَهَىٰ أَجَلِي، وَلاَ تُشْمِتْ بِي عَدُوِّي، وَلاَ تُمَكِّنْهُ مِنْ عُنُقِي، وَلاَ تُسَلِّطْهُ عَلَيَّ.

(حَمِيدٌ): مثني عَلَيْهِ لجلاله، وكماله (مَجِيدٌ) جليل، وهاب (وَعَجِّلِ الْفَرَجَ) إشارة إلىٰ المهدي المنتظر. أُنظر شرح الدُّعاء السّابع والعشرون فقرة المهدي المنتظر ثورة إجتماعية، والدُّعاء السّابع والأربعون فقرة الدّولة الإنسانية (الرَّوْحَ) بفتح الرّاء: الرّاحة، والرَّحْمَة (وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ) كلنا موحدون في القول، والفكر، نقول: لا إله إلا الله. ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ونستدل علىٰ الواحد المطلق

بأقوىٰ الأدلة العقلية، ولكن الكثرة الكاثرة منا مشركون عملياً يعبدون، ويوحدون أصنام الهوىٰ والغرض! أُنظر شرح الدُّعاء السّابع والأربعون فقرة إيماننا نظري لا عملي، والإمام ﷺ يدعو ٱللّٰه تعالىٰ أنْ يجعل أقواله، وأعماله لوجه ٱللّٰـه وحـده تماماً كعقيدته.

(وَالتَّصْدِيقِ بِرَسُولِكَ) لأنّ مجرد الإيْمَان بـالله لا يـجعل ٱلإنسَـان مسـلماً، فالإسلام في حقيقته هو الإيْمَان بالله، ورسوله مُحمّد، واليوم الآخر (وَالأَئِمَّةِ الَّذِينَ حَتَمْتَ طَاعَتَهُمْ) تماماً كما أوجب سبحانه بالقرآن ٱلْكَـرِيمِ، وطـاعته، والشّـاهد حديث الثّقلين. أُنظر شرح الدُّعاء الثّاني والأربعون فقرة مودة آلِ ٱلرَّسُولِ، والدُّعاء السّابع والأربعون فقرة أهْلِ ٱلبَيْت، والدُّعاء التّاسع والثّلاثون فقرة عليّ والنّص على إمامته (مِمَّنْ يَجْرِي ذَٰلِكَ بِهِ، وَعَلَىٰ يَدَيْهِ) ذٰلِكَ إشارة إلىٰ دين ٱللّٰه الكامل الجامع بين ٱلتَّوْحِيد، والولاء للنبيّ، وَآلِهِ ﷺ، وأيضاً يعود ضمير «بِهِ» إلىٰ هذا الدّين، أمّا ضمير « يَدَيْهِ » فيعود إلىٰ مَن يَجْرِي، والمُراد بـ«يَجْرِي» نشر الدّعوة إلىٰ دين ٱللّٰه، والمعنىٰ اجعلني يا إلهي من ٱلْمُؤْمِنِين بالله، والموالين للنبيّ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ ﷺ، وأيضاً اجعلني داعياً إلىٰ هذا الايْمَان، والولاء، وأنْ تستجيبت النّاس لدعوته، ويـهتدوا علىٰ يديه.

(أَللَّهُمَّ لَيْسَ يَرُدُّ غَضَبَكَ إِلَّا حِلْمُكَ...) في الدُّعاء السّادس عشر: (وَأَنْتَ الَّذِيْ عَفْوُهُ أَعْلَىٰ مِنْ عِقَابِهِ، وَأَنْتَ الَّذِي تَسْعَىٰ رَحْمَتُهُ أَمَامَ غَضَبِهِ) وهذا مـا نـطق بـه الحديث وفيه أيضاً: «إذا سمعتم الرّجل يقول: هَلَكَ النّاس فهو أهلكهم»[1]. وسبق الكلام مرات عن رَحْمَتِهِ تعالىٰ، وعفوه، وحلمه. وحاشا كماله، وجَلاله أنْ يأمـر

(١) أُنظر، كنز العمال: ٥٥٩/٣ ح ٧٩٠٣ و ٧٩٠٤، شرح مسلم: ١٧٥/١٦، مسند أحمد: ٢٧٢/٢.

بالرحمة، ولا يرحم، وبالعفو، ولا يعفو، وبالحلم، ولا يحلم (وَهَبْ لَنَا يَا إِلٰهِي مِنْ لَدُنْكَ فَرَجاً بِالْقُدْرَةِ...) إذا أشتدت الأزمات، وضاقت الحلقات، ولا دواء، وعلاج إلا قدرتك الّتي تحي الأموات، وتقول للشيء كُن فيكون ـ فامنن علينا عندئذ بهذه القُدرة (وَلاَ تُهْلِكْنِي يَا إِلٰهِي غَمّاً) بحجب الدُّعاء، والحرمان من هذا الدّواء (وَأَذِقْنِي طَعْمَ الْعَافِيَةِ....) والسّلامة من كلّ داء ما دمتُ حياً (وَلاَ تُشْمِتْ بِي عَدُوِّي...) واضح، وتَقَدَّمَ في الدُّعاء الثّامن.

إِلٰهِي إِنْ رَفَعْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يَضَعُنِيْ، وَإِنْ وَضَعْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْفَعُنِي، وَإِنْ أَكْرَمْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يُهِينُنِي، وَإِنْ أَهَنْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يُكْرِمُنِي، وَإِنْ عَذَّبْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْحَمُنِي.

وَإِنْ أَهْلَكْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يَعْرِضُ لَكَ فِي عَبْدِكَ، أَوْ يَسْأَلُكَ عَنْ أَمْرِهِ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي حُكْمِكَ ظُلْمٌ، وَلاَ فِي نِقْمَتِكَ عَجَلَةٌ، وَإِنَّمَا يَعْجَلُ مَنْ يَخَافُ الْفَوْتَ، وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ الظُّلْمِ الضَّعِيفُ، وَقَدْ تَعَالَيْتَ يَا إِلٰهِي عَنْ ذالِكَ عُلُوّاً كَبِيراً.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَلاَ تَجْعَلْنِي لِلْبَلاَءِ غَرَضاً، وَلاَ لِنِقْمَتِكَ نَصَباً، وَمَهِّلْنِي، وَنَفِّسْنِي، وَأَقِلْنِي عَثْرَتِي، وَلاَ تَبْتَلِيَنِّي بِبَلاَءٍ عَلَىٰ أَثَرِ بَلاَءٍ، فَقَدْ تَرىٰ ضَعْفِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَتَضَرُّعِي إِلَيْكَ.

(إِلٰهِي إِنْ رَفَعْتَنِي فَمَنْ ذَا الَّذِي يَضَعُنِيْ...) أبداً لا واضع لمن رفعته التّقوىٰ، ولا رافع لمن خفضته معصية اللّه.

وإنْ قال قائل: لقد رأينا النّاس يرفعون من شأن الأغنياء، والوجهاء.

قلنا في جوابه: الحديث في الرّفع، والخفض عن اللّه سبحانه لا عند النّاس،

وهو تعالىٰ القائل: ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]...﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[2]. وفي كِتَاب كيف يحيا ٱلإنسان للفيلسوف الصّيني يوتانج «كلّما زاد عدد المصفقين، والهاتفين زاد عدد المداحين المنافقين» (وَإِنْ أَكْرَمْتَنِي...) عطف تكرار (لَيْسَ فِي حُكْمِكَ ظُلْمٌ) لانّك الغني عن كلّ شيء، وإنّما يحتاج إلىٰ الظُّلم الضّعيف كما قال الإمام ﷺ. وتَقَدَّمَ في الدُّعاء السّابع والثّلاثين، وغيره(وَلاَ فِي نِقْمَتِكَ عَجَلَةٌ...) واضح، وتَقَدَّمَ مراراً. أُنظر شرح الدُّعاء السّابع والثّلاثون فقرة لماذا أملىٰ سبحانه وأمهل ؟.

(وَلاَ تَجْعَلْنِي لِلْبَلاَءِ غَرَضاً): هدفاً، ومرمى للمطائب، والنّوائب. وتَقَدَّمَ في الدُّعاء الخامس والعشرين، وغيره (فَقَدْ تَرىٰ ضَعْفِي...) وشدة حالي، ويأسي من كلّ مَخْلُوق. ولا أملك أي شيء إلا أملي، ورجائي بفضلك، ورَحْمَتِك. وتَقَدَّمَ فى الدُّعاء الثّاني والثّلاثين.

أَعُوذُ بِكَ أَللَّهُمَّ الْيَوْمَ مِنْ غَضَبِكَ. فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَعِذْنِي، وَأَسْتَجِيرُ بِكَ الْيَوْمَ مِنْ سَخَطِكَ، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَجِرْنِي.

وَأَسْأَلُكَ أَمْناً مِنْ عَذَابِكَ، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَآمِنِّي، وَأَسْتَهْدِيكَ، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاهْدِنِي، وَأَسْتَنْصِرُكَ، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَانْصُرْنِي.

وَأَسْتَرْحِمُكَ، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَارْحَمْنِي، وَأَسْتَكْفِيكَ، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاكْفِنِي، وَأَسْتَرْزِقُكَ، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ

---

(١) الأعراف: ١٨٧.

(٢) المائدة: ١٠٣.

وَآلِهِ، وَارْزُقْنِي، وَأَسْتَعِينُكَ، فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَعِنِّي.

وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِي فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاغْفِرْ لِيْ، وَأَسْتَعْصِمُكَ فَصَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاعْصِمْنِي؛ فَإِنِّي لَنْ أَعُودَ لِشَيْءٍ كَرِهْتَهُ مِنِّيْ إِنْ شِئْتَ ذالِكَ.

(أَعُوذُ بِكَ أَللَّهُمَّ اليَوْمَ مِنْ غَضَبِكَ) هذا هو دُعَاء ٱلصَّالِحِينَ، والعارفين، رضا ٱللَّه عند المَوْت، والأمان من غضبه يَوْم التّلاق، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾[1] وفي دُعَاء سَيِّد ٱلشُّهَدَاء: «أنْ لا تميتني علىٰ غضبك، ولا تنزل بي سخطك»[2]. وتَقَدَّمَ في الدُّعاء العشرين: (فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ إِلَيَّ، أَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ.) (وَأَسْتَجِيرُ بِكَ...) عطف تكرار (وَأَسْأَلُكَ أَمْناً مِنْ عَذَابِكَ) أنا الآن، وساعة دعائي، ومناجاتي آمن من نزول عذابك بي (وَآمِنِّي) أي وَهَبْ لِي أمن يَوْم الحساب، وآدرأ عَنّي العذاب بِلُطْفِكَ، وكرمك. وتَقَدَّمَ في الدُّعاء العشرين.

(وَأَسْتَهْدِيْكَ...) يتضرع الإمام ﵇ لخالقه جلّ جَلاله، ويتقرب إليه بتكرار الصَّلاَة علىٰ مُحمّد وَآلِهِ أنْ يمن عَلَيْهِ بالهداية، والكفاية، والرَّحْمَة، والمغفرة، والمعونة، والنّصرة، وكلّ ذٰلِكَ تَقَدَّمَ مرات. وفي دُعَاء سَيِّد ٱلشُّهَدَاء﵇: «إلهي أغنني بتدبيرك لِي عن تدبيري، وبإختيارك عن إختياري، وأوقفني علىٰ مراكز آضطراري، إلهي أخرجني من ذل نَفْسِي، وطهرني من شكي وشركي قبل حلول رمسي»[3].

---

(١) هود: ٨١.

(٢) أُنظر، البحار: ٢٢٠/٩٥، كلمات الإمام الحُسين، للقرشي: ٧٩٧، حياة الإمام الحُسين، للقرشي: ١٧٣/١.

(٣) أُنظر، بحار الأنوار: ٢٢٦/٩٥، صحيفة الإمام الحُسين﵇: ٢١٦.

يَارَبِّ، يَارَبِّ، يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ، يَا ذَا الْجَلاَلِ، وَالإِكْرَامِ، صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاسْتَجِبْ لِي جَمِيعَ مَا سَأَلْتُكَ، وَطَلَبْتُ إِلَيْكَ، وَرَغِبْتُ فِيهِ إِلَيْكَ، وَأَرِدْهُ، وَقَدِّرْهُ، وَاقْضِهِ، وَأَمْضِهِ، وَخِرْ لِي فِيمَا تَقْضِي مِنْهُ، وَبَارِكْ لِي فِي ذالِكَ، وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ بِهِ، وَأَسْعِدْنِي بِمَا تُعْطِينِي مِنْهُ.

وَزِدْنِي مِنْ فَضْلِكَ، وَسَعَةِ مَا عِنْدَكَ، فَإِنَّكَ وَاسِعٌ كَرِيمٌ، وَصِلْ ذَلِكَ بِخَيْرِ الآخِرَةِ، وَنَعِيمِهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

(يَا حَنَّانُ): الكثير الرَّحمَة (يَا مَنَّانُ): الكثير العطاء (يَا ذَا الْجَلاَلِ، وَالإِكْرَامِ) يا ذا الكمال، والكرامة. وتَقَدَّمَ في أوّل هذا الدُّعاء (وَاسْتَجِبْ لِي...) أعطني بكرمك كلّ ما طلبتُ، وأردت، ولا تمسك عَنّي شيئاً منه (وَخِرْ لِي فِيمَا تَقْضِي مِنْهُ...) اجْعَلْ الْخَيْر، والْبَرَكَة، والسَّعادة فيما تهب، وتتفضل (وَصِلْ ذَلِكَ بِخَيْرِ الآخِرَةِ...)أجمع لِي خير الدُّنْيَا، والآخرة، ونجني من أهوال هَذِهِ، وكربات تلك، أسألك كلّ ذَلِكَ، وفوق ذَلِكَ لايماني الرّاسخ برحمتك، ومغفرتك، وفضلك وجودك. والصَّلاَة علىٰ مُحمّد وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ. وتَقَدَّمَ مرات.

الدُّعاء التّاسع والأربعون

دُعَاؤُهُ فِي دَفْعِ كَيْدِ الأعْدَاءِ

إلٰهِي هَدَيْتَنِي فَلَهَوْتُ، وَوَعَظْتَ فَقَسَوْتُ، وَأَبْلَيْتَ الْجَمِيلَ فَعَصَيْتُ، ثُمَّ عَرَفْتُ مَا أَصْدَرْتَ؟ إذْ عَرَّفْتَنِيهِ فَاسْتَغْفَرْتُ، فَأَقَلْتَ فَعُدتُ، فَسَتَرْتَ فَلَكَ إلٰهِي الْحَمْدُ.

تَقَحَّمْتُ أَوْدِيَةَ الْهَلاَكِ، وَحَلَلْتُ شِعَابَ تَلَفٍ تَعَرَّضْتُ فِيهَا لِسَطَوَاتِكَ، وَبِحُلُولِهَا عُقُوبَاتِكَ، وَوَسِيلَتِي إلَيْكَ التَّوْحِيدُ، وَذَرِيعَتِي أَنِّي لَمْ أُشْرِكْ بِكَ شَيْئاً، وَلَمْ أَتَّخِذْ مَعَكَ إلٰهاً، وَقَدْ فَرَرْتُ إلَيْكَ بِنَفْسِي، وَإلَيْكَ مَفَرُّ الْمُسِيءِ، وَمَفْزَعُ الْمُضَيِّعِ لِحَظِّ نَفْسِهِ، الْمُلْتَجِئِ.

فَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ انْتَضَى عَلَيَّ سَيْفَ عَدَاوَتِهِ، وَشَحَذَ لِي ظُبَةَ مُدْيَتِهِ، وَأَرْهَفَ لِي شَبَا حَدِّهِ، وَدَافَ لِي قَوَاتِلَ سُمُومِهِ، وَسَدَّدَ نَحْوِي صَوَائِبَ سِهَامِهِ، وَلَمْ تَنَمْ عَنِّي عَيْنُ حِرَاسَتِهِ، وَأَضْمَرَ أَنْ يَسُومَنِي الْمَكْرُوهَ، وَيُجَرِّعَنِي زُعَافَ مَرَارَتِهِ.

فَنَظَرْتَ يا إِلَهِيْ إِلَىٰ ضَعْفِي عَنِ احْتِمَالِ الْفَوَادِحِ، وَعَجْزِي عَنِ الانْتِصَارِ مِمَّنْ قَصَدَنِيْ بِمُحَارَبَتِهِ، وَوَحْدَتِي فِي كَثِيرِ عَدَدِ مَنْ نَاوَانِيْ، وَأَرْصَدَ لِيْ بِالْبَلاَءِ فِيمَا لَمْ أُعْمِلْ فِيهِ فِكْرِي.

فَابْتَدَأْتَنِي بِنَصْرِكَ، وَشَدَدْتَ أَزْرِي بِقُوَّتِكَ.

(إِلَهِي هَدَيْتَنِي فَلَهَوْتُ، وَوَعَظْتَ فَقَسَوْتُ....) أرشدتني إلىٰ طريق حياتي، ونجاتي، وأكرمتني بالكثير من معروفك، وإحسانك، وحذرتني من سوء العاقبة، وعزمتُ بدوري علىٰ السّمع، والطّاعة... ولكن عند العمل، والتّنفيذ جذبني هواي، وغلبت عليّ شقوتي، فتجاوزت، وأسرفت. والآن عدت إلىٰ رشدي بتوفيق منك. وأقلعت عن سوء فعلي، وإساءتي، فاقبل تضرعي، واغفر خطيئتي يا خير من سُئل، وأرحم من استُرحم.

ومن المفيد أنْ نذكر بهذه المناسبة ما قاله حول الموعظة، وآثارها عمرو بْن مُحمّد السّهروردي[1] في كِتَاب عوارف المعارف، ونلخصه بمايلي:

أقسام الموعظة

ذهب فلاح إلىٰ أرضه، وملأ كفه بحبات القمح، وراح يبذرها ذات اليمين، وذات الشّمال، وتنقسم هَذِهِ الحبات بالنظر إلىٰ أماكنها أربعة أقسام:

١ ـ قسم منها وقع علىٰ صخرة ملساء لا تراب عليها، فأنحط عَلَيْهِ الطّير، واختطفه.

٢ ـ وقسم وقع علىٰ حجر تغطيه طبقة رقيقة من التّراب، ويبلله قليل من

---

(١) أُنظر، عوارف المعارف لأبي حفص شهاب الدّين عمرو بْن مُحمّد السّهروردي (ت ٥٦٣ هـ): ٢١٥، وعوارف المعارف علىٰ هامش الإحياء: ١٩١/٤.

النّدىٰ، فنبت الحب حتّىٰ إذا وصلت عروقه إلىٰ سطح الحجر لم تجد طريقاً لها فيبس النّبت، ومات.

٣ ـ وشيء من البذر وقع في أرضٍ طيبة لكنها مليئة بالأشواك، فنبت البذر حتّىٰ إذا أراد أنْ يرتفع خنقته الأشواك فذوىٰ، وأنتهىٰ.

٤ ـ وشيء آخر من البذر وقع في أرض طيبة، ولا أشواك فيها، وما أشبه، فنبتت الحبة، ونمت، وآتت أُكلها.

ومثل الحبة الّتي وقعت علىٰ الصّخرة الملساء، وألتقطها الطّير، كمثل موعظة نافعة شافية يسمعها أعمىٰ القلب، فيدير عنها أُذنيه حتّىٰ لا يسمعها، فما يلبث الشّيْطَان أنْ يختطفها من قلبه ليتركه خاوياً.

ومثل الحبة الّتي وقعت علىٰ الحجر المغطىٰ بقليل من التّراب، كمثل الرّجل الّذِي يستحسن ما يسمع، ولكنه لا يجد في قلبه أي عزم علىٰ العمل لقسوته، وصلابته، فيذهب القول النّافع هباء.

ومثل الحبة الّتي وقعت في أرض طيبة يكتنفها الشّوك، كمثل الرّجل يسمع منك المفيد، ويهم بالعمل علىٰ موجبه، لكنه يجد من الشّهوات العمياء ما يصرفه عن كلّ خير.

وأخيراً فمثل الحبّة الّتي وقعت في أرض طيبة لا شيء فيها من عوائق النّمو، كمثل الرّجل يتقبل الموعظة ٱلْحَسَنَة، فيفهمها، ويعمل بها دون أنْ يصده عنها أي شيء من أعماقه.

(تَقَحَّمْتُ أَوْدِيَةَ الْهَلاَكِ، وَحَلَلْتُ شِعَابَ...): جمع شعب بكسر الشّين، وهو الطّريق في الجبل، ومسيل الماء، والمعنىٰ تعرضت بسوء إختياري لغضبك، وعذابك، وأتوب إليك في مقامي هذا (وَوَسِيلَتِي إِلَيْكَ ٱلتَّوْحِيدُ...) فسبحانك لا إله

إلا أَنْتَ، إِنِّي كنت من ٱلظَّالِمِينَ (وَقَدْ فَرَرْتُ إِلَيْكَ...) مستغيثاً برحمتك، ومغفرتك متوكلاً علىٰ جودك، وحلمك.

(فَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ انْتَضىٰ عَلَيَّ سَيْفَ عَدَاوَتِهِ...) انْتَضىٰ: جرد، وشحد: أحدّ، والظّبة: حدّ السّيف وما أشبه، وشبا السّنان: طرفه المحدود، وداف: خلط: ومعنىٰ هذا الكلام بجملته الشّكوىٰ إليه تعالىٰ من ظَالِم غاشم، يضمر الشّرّ للإمام، ويجرعه مرارة العسف، والتّكنيل... وغير بعيد أنْ تكون هَٰذِهِ الشّكوىٰ من الدّولة الأُموية حيث كانت في عهد الإمام، وكان من ضحاياها مجزرة الطّف، ووقعة الحرة، وإحراق الكعبة... وكان هذا الدُّعاء، وغيره كثير أمضىٰ من سيوف المسلمين علىٰ رؤوس الأُمويين.

(فَنَظَرْتَ يا إِلَهِي إِلَىٰ ضَعْفِي عَنِ ٱحْتِمالِ الْفَوَادِحِ...): الخطوب، والمصائب (وَوَحْدَتِي فِي كَثِيرِ عَدَدِ مَنْ نَاوَانِيْ...) ومثله قول والده سَيِّد ٱلشُّهَدَاء يَوْم كربلا: «وإني زاحف بهذه الأُسرة مع قلة العدد، وكثرة العدو، وخذلان النّاصر»[1].

هذا عليّ بْن الحُسين كالشّمس

(فَابْتَدَأْتَنِي بِنَصْرِكَ، وَشَدَدْتَ أَزْرِي بِقُوَّتِكَ) ومن مظاهر هذا النّصر، والأزر قصته مع هشام بْن عبد الملك ساعة الطّواف حول الكعبة، وقصيدة الفرزدق الّتي يقول فيها:

هذا الّذِي تعرف البطحاء وطأته والبيتُ يعرفه والحِلُّ والحَرمُ
هذا ابن خير عبادٱللّه كلّهمُ هذا التّقيّ النّقيّ الطّاهر العلَمُ
ينمي إلى ذروة العزّ الّتي قصرت عن نيلها عرب الإسْلاَم والعجمُ

(١) أُنظر، اللّهوف في قتلىٰ الطّفوف: ١٢٤، لواعج الأشجان: ١٣١، مثير الأحزان: ٤٠.

يـنشقّ نـور الهـدى مـن نـور غـرّته | كالشّمس تنجاب عن إشراقـها الظّـلمُ
مـن مـعشر حـبّهمُ ديـن وبـغضهمُ | كـفر وقـربهمُ مـنجىً ومـعتصمُ
مـقدّمٌ بـعد ذكـر اللّـه ذكـرهمُ | فـي كـلّ بدو ومـختوم بـه الكـلمُ
إنْ عـدّ أهـل التّـقى كـانوا أئـمتهم | أو قيل مَن خير أهْل ٱلأرْض قيل هُمُ[1]

---

(١) هذه القصة جاءت بنصّها مع تقديم وتأخير في بعض الأبيات، وأنّها كانت ثورة على الباطل، ونصرةً للحقّ، وقد كمّت الأفواه، وأخرسّت الألسن ممّا تعدّ هذه القصيدة ضربة سياسية للحكم الأموي، ولذا علّق البستاني صاحب دائرة المعارف: ٩ / ٣٥٦ حيث قال: وقالوا: كفىٰ بالفرزدق أنْ يكون قال هذه القصيدة حتّىٰ يدخل الجنّة. وجاء هذا رداً التشكيك الّذي صدر من أبي الفرج الإصفهاني صاحب كتاب الأغاني: ٢١ / ٣٧٦، و: ١٤ / ٧٥، في نسب هذه القصيده إلىٰ الفرزدق.

وقال صاحب أنوار الربيع: ٤ / ٣٥ بعد كلام طويل: ولا شكّ أنّ الله سبحانه أيّده في مقالها وسدّده حال أرتجالها. وعلّق الشيخ محمّد أبو زهرة في كتابه الإمام زيد: ٢٨ ـ ٢٩ بقوله: وإنّا لانرىٰ ذلك الشكّ سائغاً أو يتفق مع المنهاج السليم في دراسة الروايات للأسباب التالية ... وذكر منها تضافر الروايات كلّها على نسبتها للفرزدق، وعدم محاولة الإصفهاني الطعن في الرواية بتكذيب رواتها ....

وهذا صاحب كتاب المجمل في تاريخ الأدب العربي: ٢٦٨ طبعة بغداد عام ١٣٤٧ هـ فإنّه أراد أنْ يطمس الحقيقة حيث قال، والّذي يدور على الألسنة أنّ السبب في حبس هشام أياه قصيدة قالها في مدح عليّ بن الحسين، وعرّض فيها بهشام إذ قال:

هذا الّذي تعرف البطحاء وطأتـه | والبـيت يـعرفه والحِـلُّ والحَـرم

والتحقيق أنّ هذه القصيدة محمولة عليه، وليست منه في ورد، ولا صدر وقائلها إنّما هـو الحزين الكناني من فحول شعراء الأمويين قالها في عبد الله بن عبدالملك بـن مـروان، ومـن الناس من يرويها لغيره أيضاً، إذاً فدعوىٰ أنّ الفرزدق علوي المذهب في سياسته باطلة ....

وقد ناقش السيّد العلّامة المحقّق المقرّم ﵀ هذه الشبهة في مجلّة العرفان عـدد ٢٢ سَنَة

⇐

١٣٥٠ هـ: ٣ / ٣٧٤ و ٥ / ٦٥١ باب المناظرة تحت عنوان «الوجدان يحاكم مخالفيه» ثمّ نشر القصيدة، ومصادرها في هامش كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ٣٠٣، والكواكب السماوية: ٢٠ من المقدمة.

وأُنظر قول ابن خلّكان في الوفيات، واليافعي في مرآة الجنان: ١ / ٢٣٩، والدميري في حياة الحيوان بمادة «الأسد»: ١ / ١١، وقول ابن العماد في شذرات الذهب: ١ / ١٤٢، والبداية والنهاية لابن كثير: ٩ / ١٠٩، وشرح شواهد المغني للسيوطي: ٢٥٠ طبعة مصر، وشرح لامية العجم للصفدي: ٢ / ١٦٢ وأمالي السيّد المرتضى: ١ / ٤٧ و ٤٨، ومروج الذهب للمسعودي: ٢ / ١٩٥.

وأُنظر قول جرجي زيدان في آداب اللغة العربية: ١ / ٢٤٧ «لم يكن مداح بني أُمية لأنّه يتشيع لعليّ وولده عليهم السلام وصاحب تأريخ التمدن الإسلامي: ٣ / ١٠٠ حيث يقول «كان الفرزدق متشيعاً في الباطن لبني هاشم». وأُنظر تأريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيّات: ١٦٠، طبقات الشافعية الكبرىٰ: ١ / ١٥٣، حلية الأولياء لأبي نعيم الاصبهاني: ٣ / ١٣٩، الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني: ١٩ / ٤٠، رجال الكشّي: ٨٦، الصواعق المحرقة: ١١٩، الإتحاف بحبّ الأشراف للشبراوي: ٥١، دائرة المعارف لفريد وجدي: ٧ / ١٦٦، نور الأبصار للشبلنجي: ١٢٨، روضة الواعظين للفتّال: ١٧١، روضات الجنّات: ٥٢٠، كفاية الطالب للكنجي: ٣٠٦، و: ٤٥١ و ٤٥٢ طبعة آخر، زهر الآداب للحصري علىٰ هامش العقد الفريد: ١ / ٦٨، المناقب لابن شهرآشوب: ٢ / ٢٦٥، الاختصاص للشيخ المفيد: ١٩١.

ومن المعلوم أنّ الإصفهاني لم ينكر القصيدة كلّها بل أنكر البيتين «في كفّه خيزران» و «يغضي حياءً» فانهما عنده للحزين الكناني في عبد الله بن عبدالملك مدّعياً بأنّ العصا يحملها الملوك، والجبابرة والإمام السجّاد عليه السلام منزّه عن ذلك، لكن فاته أنّ النبي صلى الله عليه وآله ندب إلىٰ حمل العصا في السفر، والإمام السجّاد أتبع سُنّة جدّه صلى الله عليه وآله وهي الّتي علّقها عليه السلام عند السفر علىٰ ناقته ولم يضربها مدّة حياته. ثمّ إنّ الحزين لم يكن من مداح بني هاشم بل أختصّ مدحه بالأمويين. كما أنّ بعض المؤرّخين أثبتها بتمامها حسبما صحّت لديه، روايتها فأنهاها البعض

وأخيراً أُنظر شرح الدُّعاء العشرون فقرة هذا هو الإمام السّجاد.

ثُمَّ فَلَلْتَ لِيَ حَدَّهُ، وَصَيَّرْتَهُ مِنْ بَعْدِ جَمْعٍ عَدِيْدٍ وَحْـدَهُ؛ وَأَعْـلَيْتَ كَعْبِي عَلَيْهِ، وَجَعَلْتَ مَا سَدَّدَهُ مَرْدُوداً عَلَيْهِ، فَرَدَدْتَهُ لَمْ يَشْفِ غَيْظَهُ، وَلَمْ يَسْكُنْ غَلِيلُهُ؛ قَدْ عَضَّ عَلَىٰ شَوَاهُ، وَأَدْبَـرَ مُـوَلِّياً قَـدْ أَخْـلَفَتْ سَرَايَاهُ.

وَكَمْ مِنْ باغٍ بَغَانِي بِمَكَائِدِهِ، وَنَصَبَ لِي شَرَكَ مَصَائِدِهِ، وَوَكَّلَ بِيْ تَفَقُّدَ رِعَايَتِهِ، وَأَضْبَأَ إِلَيَّ إِضْبَاءَ السَّبُعِ لِطَرِيْدَتِهِ....، انْتِظَاراً لانْـتِهَازِ الْفُرْصَةِ لِفَرِيسَتِهِ، وَهُوَ يُظْهِرُ لِيْ بَشَاشَةَ المَلَقِ، وَيَنْظُرُنِي عَلَىٰ شِدَّةِ الحَنَقِ.

... فَلَمَّا رَأَيْتَ يَا إِلَهِي تَبَارَكْتَ، وَتَعَالَيْتَ دَغَلَ سَرِيرَتِهِ، وَقُبْحَ مَا انْطَوىٰ عَلَيْهِ، أَرْكَسْتَهُ لِأُمِّ رَأْسِهِ فِي زُبْـيَتِهِ، وَرَدَدْتَـهُ فِـي مَـهْوىٰ حُفْرَتِهِ؛ فَانْقَمَعَ بَعْدَ اسْتِطَالَتِهِ ذَلِيلاً فِي رِبَقِ حِبالَتِهِ الَّتِي كَانَ يُقَدِّرُ أَنْ يَرَانِي فِيهَا، وَقَدْ كَادَ أَنْ يَحُلَّ بِيْ لَوْلاَ رَحْمَتُكَ مَا حَلَّ بِسَاحَتِهِ.

من هنا إلىٰ آخر الدُّعاء لا شيء وراء المعنىٰ الظّاهر، لذا نوجز، ولا نطيل (ثُمَّ فَلَلْتَ): كسرت، أو ثلمت (وَأَعْلَيْتَ كَعْبِي عَلَيْهِ) الكعب: قُبّة القدم، وعقدة القصب، وغير ذٰلِكَ. والمُراد هنا رفعت شأني علىٰ شأنه (وَجَعَلْتَ مَا سَدَّدَهُ...): رددت كيده إلىٰ نحره (غَلِيلُهُ): حقده، وغيظه: ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾[1] (عَـلَىٰ شَـوَاهُ): عـلىٰ

⇐ إلى (٤١) بيتاً وقال آخر (٣٠) وقال ثالث (٢٩) ورابع (٢٧) وخامس (٢٨) وسادس (٣٩) وقيل (٢٠) و(٢١) و(٢٣) و(٢٤) و(٢٥) و(٢٦) وقيل (١٦) وقيل (٨) و(٩) و(١٠) ومن أراد التحقيق في عدد أبياتها فليراجع المصادر السابقة.

(١) آل عمران: ١١٩.

أصابعه. لأنّ الشّوىٰ يطلق علىٰ الأطراف من اليدين، والرّجلين (قَدْ أَخْلَفَتْ سَرَايَاهُ): تأخرت جيوشه، وتقهقرت.

(وَوَكَّلَ بِيْ) أقام عليَّ عيوناً تراقب ما أقول، وأفعل، ويشعر هذا بأنّ حكام الجور كانوا يتجسسون أخبار أَهْلِ ٱلْبَيْت ﷺ عن طريق العُملاء، والأُجراء (وَأَظْبَأَ إِلَيَّ...) قال الشّيخ الطّريحي في مجمع البحرين ما نصه بالحرف: «في الدُّعاء: أضبأ إليّ إضباء السّبع لطريدته أي لجأ إليّ ملازماً لي... والطّريدة بمعنىٰ مفعولة أي مطروده السّبع»[1] (المَلَقِ): التودد الكاذب (الْحَنَقِ) الغيظ (دَغَلْ): انطوىٰ علىٰ الشّرّ، والغدر، والدّليل علىٰ إرادة هذا المعنىٰ قول الإمام ﷺ بلا فاصل: «وَقُبْحَ مَا ٱنْطَوىٰ عَلَيْهِ» (أَرْكَسْتَهُ لِأُمِّ رَأْسِهِ فِي زُبْيَتِهِ) بضم الزّاي: الحفرة، وأُمّ الرّأس: جلدة رقيقة علىٰ الدّماغ، والمعنىٰ قلبته علىٰ رأسه في حفرته (وَرَدَدْتَهُ فِي مَهْوىٰ حُفْرَتِهِ) عطف تكرار.

(فَانْقَمَعَ): فاقهر (رِبَقِ) بكسر الرّاء: حبل فيه عرىٰ، ومعنىٰ الجملة حاول العدو أنْ يقتنصني بحبله، وكاد يفوز بما أراد، ولكن نجوت منه برحمتك، وعنايتك.

وَكَمْ مِنْ حَاسِدٍ قَدْ شَرِقَ بِي بِغُصَّتِهِ، وَشَجِيَ مِنِّي بِغَيْظِهِ، وَسَلَقَنِي بِحَدِّ لِسَانِهِ، وَوَحَرَنِي بِقَرْفِ عُيُوبِهِ، وَجَعَلَ عِرْضِيْ غَرَضاً لِمَرَامِيهِ، وَقَلَّدَنِي خِلاَلاً لَمْ تَزَلْ فِيهِ، وَوَحَرَنِي بِكَيْدِهِ، وَقَصَدَنِي بِمَكِيدَتِهِ.

فَنَادَيْتُكَ يَا إِلٰهِي مُسْتَغِيثاً بِكَ، وَاثِقاً بِسُرْعَةِ إِجَابَتِكَ، عَالِماً أَنَّهُ لاَ يُضْطَهَدُ مَنْ آوىٰ إِلَىٰ ظِلِّ كَنَفِكَ، وَلاَ يَفْزَعُ مَنْ لَجَأَ إِلَىٰ مَعْقِلِ

(١) أنظر، مجمع البحرين مادة: (أضبأ)، لسان العرب: ١/١١١، النّهاية: ٣/٦٩، تاج العروس: ١/٨٩.

ٱنْتِصَارِكَ، فَحَصَّنْتَنِي مِنْ بَأْسِهِ بِقُدْرَتِكَ.

وَكَمْ مِنْ سَحَائِبِ مَكْرُوهٍ جَلَّيْتَهَا عَنِّي، وَسَحَائِبِ نِعَمٍ أَمْطَرْتَهَا عَلَيَّ، وَجَدَاوِلِ رَحْمَةٍ نَشَرْتَهَا، وَعَافِيَةٍ أَلْبَسْتَهَا، وَأَعْيُنِ أَحْدَاثٍ طَمَسْتَهَا، وَغَوَاشِي كُرُبَاتٍ كَشَفْتَهَا.

وَكَمْ مِنْ ظَنٍّ حَسَنٍ حَقَّقْتَ، وَعَدَمٍ جَبَرْتَ، وَصَرْعَةٍ أَنْعَشْتَ، وَمَسْكَنَةٍ حَوَّلْتَ، كُلُّ ذَلِكَ إِنْعَاماً، وَتَطَوُّلاً مِنْكَ، وَفِي جَمِيعِهِ ٱنْهِمَاكاً مِنِّي عَلَى مَعَاصِيكَ.

لَمْ تَمْنَعْكَ إِسَاءَتِي عَنْ إِتْمَامِ إِحْسَانِكَ، وَلاَ حَجَرَنِي ذَالِكَ عَنِ ٱرْتِكَابِ مَسَاخِطِكَ، لاَ تُسْأَلُ عَمَّا تَفْعَلُ.

(قَدْ شَرِقَ) يقال: شرق بريقه، أو بالماء إذا غصّ به (شَجِيَ): كلّ ما اعترض في الحلق (وَحَرَنِي) اشتدّ عليّ غيظه (بِقَرْفٍ): بتهمة (عِرْضِيْ) شرفي (خِلاَلاً): خصالاً (ظِلُّ كَنَفِكَ): مناعة جانبك (وَكَمْ مِنْ سَحَائِبِ مَكْرُوهٍ...) أسبغت النّعم، وكشفت النّقم. وتقدّمَ في الدُّعاء الخامس والأربعين، وغيره (لَمْ تَمْنَعْكَ إِسَاءَتِي...) عارضتك بالعصيان فعارضتني بالإحسان. تقدّمَ في الدُّعاء السّادس والأربعين، وغيره.

وَلَقَدْ سُئِلْتَ فَأَعْطَيْتَ، وَلَمْ تُسْأَلْ فَابْتَدَأْتَ، وَاسْتُمِيحَ فَضْلُكَ فَمَا أَكْدَيْتَ.

أَبَيْتَ يَا مَوْلاَيَ إِلَّا إِحْسَاناً، وَٱمْتِنَاناً، وَتَطَوُّلاً، وَإِنْعَاماً، وَأَبَيْتُ إِلَّا تَقَحُّماً لِحُرُمَاتِكَ، وَتَعَدِّياً لِحُدُودِكَ، وَغَفْلَةً عَنْ وَعِيدِكَ.

فَلَكَ الْحَمْدُ إِلَهِي مِنْ مُقْتَدِرٍ لاَ يُغْلَبُ، وَذِي أَنَاةٍ لاَ تَعْجَلُ؛ هَذَا مَقَامُ

مَنِ اعْتَرَفَ بِسبوغِ النِّعَمِ، وَقَابَلَهَا بِالتَّقْصِيرِ، وَشَهِدَ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِالتَّضْيِيعِ.

أَللَّهُمَّ فَإِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِالْمُحَمَّدِيَّةِ الرَّفِيعَةِ، وَالْعَلَوِيَّةِ الْبَيْضَاءِ، وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِهِمَا، أَنْ تُعِيذَنِي مِنْ شَرِّ (كَذَا، وَكَذَا) فَإِنَّ ذَالِكَ لاَ يَضِيقُ عَلَيْكَ فِي وُجْدِكَ، وَلاَ يَتَكَأَّدُكَ فِي قُدْرَتِكَ، وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

فَهَبْ لِي يَا إِلَهِي مِنْ رَحْمَتِكَ، وَدَوَامِ تَوْفِيقِكَ، مَا أَتَّخِذُهُ سُلَّماً أَعْرُجُ بِهِ إِلَىٰ رِضْوَانِكَ، وَآمَنُ بِهِ مِنْ عِقَابِكَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ....

(وَلَقَدْ سُئِلْتَ فَأَعْطَيْتَ...) يُعطي من سأل، ومن لا يسأل تحنناً منه، وكرماً (وَاسْتُمِيحَ فَضْلُكَ): أطلَب عطاءك (فَمَا أَكْدَيْتَ): فما قطعت آلاءك، ونعماءك (إِلَّا إِحْسَاناً، وَامْتِنَاناً، وَتَطَوُّلاً، وَإِنْعَاماً) المعنىٰ واحد (وَأَبَيْتُ إِلَّا تَقَحُّماً...) إلا إقداماً بلا روية علىٰ انتهاك ما حرمت، والمعنىٰ أبيت أنتَ يا إلهي إلا ما يليق بكرمك من الاحسان، وأيضاً أبيت أنا إلا ما يليق بلؤمي من الإساءة. وهذا تكرار لقوله قبل لحظة: «لَمْ تَمْنَعْكَ إِسَاءَتِي عَنْ إِتْمَامِ إِحْسَانِكَ».

(هَذَا مَقَامُ مَنِ اعْتَرَفَ...) الاعْتِرَاف بالذنب كفارة له. جاء في أُصول الكافي عن الإمام الصَّادِق عليه السلام: «ما خرج عبد من ذنب إلا بإقرار... إنّ الرّجل ليذنب الذّنب فيدخله اللّه به الجنّة... قلت: يدخله اللّه الْجَنَّة؟ قال: نعم، إنّه ليذنب فلا يزال منه خائفاً ماقتاً لنفسه، فيرحمه اللّه، فيدخله الْجَنَّة»[1]. (بِالْمُحَمَّدِيَّةِ): سُنة مُحمّد ﷺ

(١) أُنظر، الكافي: ٢/٤٢٦ ح ٣، شرح أُصول الكافي: ١٠/١٥٨، الوسائل: ١٦/٦١، عدة الدّاعي: ٢٢٣.

أي قوله، وفعله، وتقريره: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[1] (وَالْعَلَوِيَّةِ): ولاية عليّ ﷺ لحديث «من كنت مولاه فعلي مولاه»[2] أي من يطع عليّاً فقد أطاع ٱلرَّسُول (وُجْدِكَ) بضم الواو: الغنىٰ (لاَ يَتَكَأَدُكَ): لا يشق عَلَيْكَ.

(وَدَوَامِ تَوْفِيقِكَ...) أبداً، ما من شيء يحدث في الكون إلا وراءه قوة فاعلة توفق، أو تفرق، تيسر، أو تعسر. وما شهدنا إلا بما رأينا، وجربنا، وما من شك أنّه تعالىٰ لا يقضي، ويقدر إلا علىٰ أساس العلم بالواقع، والحكمة البالغة.

---

(١) النّساء: ٨٠.

(٢) أُنظر، (تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ٣٠، وصحيح مسلم: ٧/ ١٢٣، وخصائص النّسائي: ٣٩، المناقب لابن المغازلي: ٣٠، وذخائر العقبىٰ للمحبّ الطّبري: ٦٧، وكنزالعمّال للمتقي الهندي: ١٦٧/١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢٨٧/١٨، وشواهد التّنزيل للحاكم النّيسابوري: ١/ ١٦٢، والملل والنّحل للشهرستاني: ١/ ١٦٢، وسرّ العَالَمِين للغزالي: ١٠، والإصابة لابن حجر: ٢/ ١٥، و: ٤، ٥٦٧، والخطط للمقريزي: ٢/ ٩٢، ومسند أحمد: ١/ ٢٢١، و: ٢/ ٤٣٨، و: ٣/ ١١٠، و: ٤/ ٤٣٨، و: ٥/ ٢٥٦ و ٣٤٧، وكِتَاب الإعتقاد للبيهقي: ٢٠٤، والمستدرك: ٣/ ١١١).

الدُّعاء الخمسون

دُعَاؤُهُ فِي الرَّهْبَة

أللَّهُمَّ إِنَّكَ خَلَقتَني سَوِيّاً، وَرَبَّيْتَني صَغيراً، وَرَزَقْتَني مَكْفِياً. أللَّهُمَّ إنّي وَجَدْتُ فيما أنْزَلْتَ مِنْ كِتابِكَ، وَبَشّرتَ بِهِ عِبادِكَ... أنَّ قُلْتَ ﴿يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[1]، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنّي ما قَدْ عَلِمتُ، وَما أنتَ أعْلَمُ بِهِ مِنّي، فَيَا سَوْأتاً مِمّا أحْصَاهُ عَلَيَّ كِتابُكَ.

فَلَوْلا الْمَوقِفُ الّتي أؤمّلُ مِنْ عَفْوِكَ الَّذي شَمَلَ كُلَّ... لأَلْقَيتُ بِيَدي، وَلَوْ أنَّ أحَداً اسْتَطَاعَ الْهَرَبَ مِنْ رَبِّهِ... لَكُنْت أنا أحَقَّ بالْهَرَبِ مِنْكَ، وَأنْتَ لا تَخْفي عَلَيكَ خافِيَةٌ في الأرْضِ وَلا في السَّماءِ إلاَّ أتَيْتَ بِهَا، وَكَفىٰ بِكَ جازِياً، وَكَفىٰ بِكَ حَسيباً.

أللَّهُمَّ إِنَّكَ طالبي إنْ أنا هَرَبْتُ، وَمُدْرِكي إنْ أنا فَرَرْتُ؛ فَهَا أنا ذا بَيْنَ

---

(١) الزّمر: ٥٣.

يَدَيْكَ خاضِعٌ ذَليلٌ راغِمٌ ؛ إنْ تُعَذّبني فإنّي لِذَلِكَ أهْلٌ ، وَهُوَ يـا رَبِّ مِنْكَ عَدْلٌ ؛ وإنْ تَعْفُ عَنّي فَقَديماً شَمَلَني عَفْوُكَ ، وَأَلْبَسْتَني عافِيَتَكَ .

(أَللَّهُمَّ إنّكَ خَلَقْتَني سَوِيّاً): كامل البنية (وَرَبَّيْتَني صَغيراً ، وَرَزَقْـتَني مَكْـفياً) وفي دُعَاء سَيِّد ٱلشُّهَدَاء ﷺ: « أخرجتني إلىٰ الدُّنيا تاماً سَوِيّاً ، وحفظتني في المهد طفلاً صبياً ، ورزقني من الغذاء لبناً مرياً... حتّىٰ إذا كملت فطرتي ، وٱعتدلت سريرتي أوجبت عليّ حجتك بأنْ ألهمتني معرفتك»[1] . فنظرت (فيما أنْزَلْتَ مِـنْ كِتَابِكَ) وقرأت فيما قرأت: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَاتَـقْنَطُواْ مِـن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[2] . فأقبلت عَلَيْكَ يا إلهي ، وقولك ثقتي ، ورَحْمَتِك أملي ، وعَفْوِكَ رجائي .

(وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنّي ما قَدْ عَلِمتُ) من سوء ما فعلت ، وقلت ، وأضمرت (فَـيَا سَوْأتاً): يا سوء فعلي ، أو حالي بسبب ما أحصاه عليّ كِتَاب ٱللَّه (لأَلْقَيتُ بِيَدي) أي لولا الأمل بلطف ٱللَّه ، وعفوه لسقط في يده بمعنىٰ يئس ، وتحير (وَلَوْ أنَّ أحَداً اسْتَطَاعَ الْهَرَبَ ...) لا يعجزه من طَلَب ، ولا يفوته من هرب (إلاَّ أتَيْتَ بِهَا ...) أي الا علمت بها ، وحاسبت عليها ، وجازيت (فَهَا أنا ذا بَيْنَ يَدَيْكَ خاضِعٌ ...) أشكو إليك ضعفي ، وفقري إلىٰ حلمك ، ورَحْمَتِك (إنْ تُعَذّبني ...) فبعدلك (وإنْ تَعْفُ ...) فبفضلك . وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء العاشر ، وغيره .

فأسْأَلُكَ أَللَّهُمَّ بالْمَخْزُونِ مِنْ أسْمائِكَ ، وَبِمَا وارَتْـهُ الْـحُجُبُ مِـنْ بَهائِكَ ، إلاَّ رَحِمْتَ هذِهِ النَّفْسَ الْجَزوعَةَ ، وهذِهِ الرِّمّةَ الْهَلُوعَةَ ، الّتي

---

(١) أُنظر ، إقبال الأعمال : ٧٥/٢ ، بحار الأنوار : ٢١٧/٩٥ ، صحيفة الإمام الحُسين ﷺ : ١٦٨ ، كلمات الإمام الحُسين ﷺ : ٧٩٤ ، حياة الإمام الحُسين ﷺ : ١٦٨/١ .

(٢) الزّمر : ٥٣ .

لا تَسْتَطيعُ حَرَّ شَمْسِكَ، فَكَيفَ تَسْتَطيعُ حَرَّ نارِكَ ؟ وَالّتي لا تَسْتَطيعُ صَوْتَ رَعْدِكَ؛ فَكَيفَ تَسْتَطيعُ صَوْتَ غَضَبِكَ ؟

فَارْحَمني أَللَّهُمَّ فَإنّي امْرُؤٌ حَقيرٌ، وَخَطَري يَسيرٌ، وَلَيْسَ عَذابي مِمّا يَزيدُ في مُلْكِكَ مِثْقالَ ذَرةٍ؛ وَلَوْ أَنَّ عَذابي مِمّا يَزيدُ في مُلْكِكَ لَسأَلْتُكَ الصَّبرَ عَلَيه، وَأَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لكَ؛ وَلَكِنْ سُلْطانُكَ أَللَّهُمَّ أَعْظَمُ، وَمُلْكُكَ أَدْوَمُ مِنْ أَنْ تَزيدَ فيهِ طاعَةُ الْمُطيعينَ، أَوْ تُنْقِص مِنْهُ مَعْصِيَةُ الْمُذْنِبينَ.

فَارْحَمْني يا أَرْحَمَ الرَّاحِمينَ، وَتَجاوَزْ عَنّي ياذا الْجَلالِ وَالإكرامِ، وَتُبْ عَلَيَّ إنّكَ أَنْتَ التَّوّابُ الرَّحيمُ.

(فَأَسْأَلُكَ أَللَّهُمَّ بِالْمَخزُونِ مِنْ أَسْمائِكَ) لله تعالىٰ أسماء، وصفات لا يعلمها إلا هو، ولذا قال الرَّسُول الأعظمﷺ: «لا أحصي ثناءً عَلَيْكَ، أنتَ كم أثنيت علىٰ نفسك»[1]. (مِنْ بَهَائِكَ) وبهاؤه تعالىٰ عَظَمَتِهِ الّتي لا حدّ لها، ولا نهاية، فكيف يدركها العقل المخلُوق المحدود! (رَحِمْتَ هذِهِ النَّفْسَ الْجَزوعَةَ) الّتي تؤلمها البقة وتقتلها الشّرقة، وتنتها العرقة كما قال الامام أمير الْمُؤْمِنِينَ؈[2]. (وهذِهِ الرِّمَّةَ): البالية (الْهَلُوعَةَ): الجزوعة (الّتي لا تَسْتَطيعُ حَرّ شَمْسِكَ، فَكَيفَ تَسْتَطيعُ حَرَّ نارِكَ ؟) قال سبحانه: ﴿نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾[3] وفي نهج البلاغة:

(١) أُنظر، مسند أحمد: ٩٦/١، صحيح مسلم: ٥١/٢، سنن ابن ماجه: ٣٧٣/١ ح ١١٧٩، سنن التِّرمذي: ١٨٧/٥.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ٩٨/٤، الحكمة (٤١٩)، شرح النّهج للمعتزلي: ٦٢/٢٠، عيون الحكم والمواعظ: ٤٨٨.

(٣) التَّوْبَة: ٨١.

«فكيف إذا كان بين طابقين من نار، ضجيع حجرٍ، وقرين شيطان»[١].

(أَللَّهُمَّ فَإِنّي امْرُؤٌ حَقيرٌ، وَخَطَري يَسيرٌ...) كلّ القوىٰ ليست بشيء إلىٰ جانب قوتك، وكمالك، وإذن علاَمَ الإهتمام بشأني، وحسابي، وعذابي ما دمت أَنْتَ الأعلىٰ، وسُلْطَانَك الأعظم، والأقوىٰ؟ (وَلَوْ أَنَّ عَذابي مِمّا يَزيدُ في مُلْكِكَ لَسأَلْتُكَ الصَّبْرَ عَلَيه، وَأَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لكَ) هَـذِهِ الكلمات واضحة لا تحتاج إلىٰ تفسير، وذكرناها لنشير إلىٰ أنّ هذا المعنىٰ بلغ الغاية، والنّهاية في عمقهِ، وعَظَمَتِهِ، ويستحيل أنْ يحسه، ويدركه إلا من عرف اَللَّه، وأقبل بكله عَلَيْهِ، وحده دون سواه، ونهل من نبعه تعالىٰ الَّذِي لا يفيض، ولا يغيض، وهنا يكمن سر الجلاء، والوضوح.

(وَمُلْكُكَ أَدْوَمُ مِنْ أَنْ تَزيدَ فيهِ طاعَةُ...) في نهج البلاغة: «لا ينقص سُلْطَانَك من عصاك، ولا يزيد ملكك من أطاعك، ولا يرد أمرك من سخط قضاءك، ولا يستغني عنك من تولىٰ أمرك»[٢].

(١) أنظر، نهج البلاغة: ١١٣/٢، الخطبة (١٨٣)، الدّروع الواقية: ٢٧١، شرح النّهج للمعتزلي: ٢٢٢/١٠.

(٢) أُنظر، نهج البلاغة: ٢١٠/١، الخطبة (١٠٩)، شرح النّهج للمعتزلي: ١٩٤/٧، بحار الأنوار: ٣١٨/٤.

الدُّعاء الحادي والخمسون

دُعَاؤُهُ فِي التَّضَرُّعِ ، والاسْتِكَانَةِ

إلهي أحْمِدُكَ ـ وَأنْتَ لِلْحَمْدِ أهْلٌ ـ عَلىٰ حُسْنِ صَنيعِكَ إلَيَّ ، وَسُبُوغِ نَعْمائِكَ عَلَيَّ ، وَجَزيلِ عَطائِكَ عِنْدي ، وَعَلىٰ ما فَضَّلْتَني بِهِ مِنْ رَحْمَتِكَ ، وَأسْبَغْتَ عَلَيَّ مِنْ نَعْمَتِكَ ؛ فَقَدْ أحْسَنْتَ عِنْدي ما يَعْجِزُ عِنْهُ شُكْري .

وَلَوْ لا إحْسانُكَ إلَيَّ ، وَسُبُوغُ نَعْمائِكَ عَلَيَّ ... ما بَلَغْتُ إحْرازَ حَظّي ، وَلا إصْلاحَ نَفْسي ، وَلَكِنَّكَ إبْتَدَأتَني بالإحْسانِ ، وَرَزَقْتَني في اُمُوري كُلِّها الْكِفايَةَ ، وَصَرَفْتَ عَني جَهْدَ الْبَلاءِ ، وَمَنَعْتَ مِنّي مَحْذُورَ الْقَضاءِ .

إلهي فَكَمْ مِنْ بَلاء جاهِدٍ قَدْ صَرَفْتَ عَنّي ، وَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ سابِغَةٍ أقْرَرْتَ بها عَيْني ، وَكَمْ مِنْ صَنيعَةٍ كَريمَةٍ لَكَ عِنْدي .

أنْتَ الَّذي أجَبْتَ عِنْدَ الاضْطِرارِ دَعْوتي ، وَأقَلْتَ عِنْدَ الْعِثارِ زَلَّتي ،

وَأَخَذْتَ لِي مِنَ الأَعْداءِ بِظُلامَتي.

كلّ ما في هذا الدُّعاء، واضح وقد تَقَدَّمَ، ولكن لا مناص من الكلام (عَلىٰ حُسْنِ صَنيعِكَ...) قال سبحانه: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[1]، أي يحذر سبحانه العبد أنْ يفعل ما يشاء معتمداً علىٰ رَحْمَة ٱللَّه، ورأفته، لأنّه تعالىٰ لا يرحم مجازفة، وبلا سبب موجب، كيف وأفعاله منزهة عن العبث؟ وإنّما يرحم بمقتضىٰ حكمته، وعلمه. بمن هو أهْل للرأفة، والرَّحْمَة...

أبداً لا فرق بين الرّزق، والرَّحْمَة، هَذِهِ لمن كان له من إيمانه، وعمله الصّالح ما يؤهله للرحمة، وذاك لمن سعىٰ له سعيه.

(وَلَوْ لا إحْسانُكَ إلَيَّ، وَسُبُوغُ نَعْمائِكَ عليَّ... ما بَلَغْتُ إحْرازَ حَظّي، وَلا إصْلاحَ نَفْسي) منك يا إلهي أسباب العيش، وتيسيرها، ومِنّي السّمع، والطّاعة لأمرك، ونهيك، ومعنىٰ هذا أنّ إصلاح النّفس مع ٱلْفَقْر، والحرمان صعب مستصعب، وهذا صريح في قول ٱلرَّسُول الأعظمﷺ: «كان ٱلْفَقْر يكون كفراً»[2]، وقال الإمام عليّ‏ؑ: «لو كان ٱلْفَقْر رجلاً لقتلته»[3]، وقرن سبحانه ٱلْفَقْر بالفحشاء في الآية: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[4]، وذكّر أهْل مكّة بنعمته عَلَيْهِمْ حين دعاهم إلىٰ الإيْمَان

---

(١) آل عمران: ٣٠.

(٢) أُنظر، الكافي: ٢/٣٠٧ ح ٤، شرح أُصول الكافي: ٩/٣١٨، مسند الشّهاب: ١/٣٤٢، الجامع الصّغير: ٢/٢٦٦، كنز العمال: ٦/٤٩٢ ح ١٦٦٨٢، الدُّعاء للطبراني: ٣٢٠، تحفة الأحوذي: ٧/١٧ و: ١٠/٤٥.

(٣) لم أعثر علىٰ هَذِهِ الحكمة.

(٤) ٱلْبَقَرَة: ٢٦٨.

بِهِ كما قال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾(١).

(وَمَنَعْتَ مِنّي مَحْذُورَ الْقَضَاءِ) أي ما قدرت، وقضيت أنْ تبتليني بما أكره، وأحذر (بَلاء جاهِدٍ): شاق، وجهد البَلاء المُصِيبَة الّتي تختار معها الْمَوْت (نِعْمَةٍ سابِغَةٍ): واسعة.

إلهي ما وَجَدْتُكَ بَخيلاً حينَ سألْتُكَ، وَلا مُنْقَبِضاً حينَ أرَدْتُكَ؛ بَلْ وَجَدْتُكَ لِدُعائي سامِعاً، وَلِمَطالِبي مُعْطياً، وَوَجَدْتُ نُعْماكَ عَلَيَّ سابِغَةً،

كُلَّ شَأْنٍ مِنْ شَأني، وَكُلَّ زَمانٍ مِنْ زَماني.

فَأَنْتَ عِنْدي مَحْمُودٌ، وَصَنيعُكَ لَدَيَّ مَبْرورٌ؛ تَحْمَدُكَ نَفْسي، وَلِساني، وَعَقْلي... حَمْداً يَبْلُغُ الْوَفاءَ، وَحَقيقَةَ الشُّكْرِ، حَمْداً يَكونُ مَبْلَغَ رِضاكَ عَنّي، فَنَجِّني مِنْ سُخْطِكَ.

يا كَهْفي حينَ تُعْيِيني الْمَذاهِبُ، وَيا مُقيلي عَثْرَتي؛ فَلَوْلا سَتْرُكَ عَوْرَتي لَكُنْتُ مِنَ الْمَفْضُوحين، وَيا مُؤَيِّدي بِالنَّصْرِ، فَلَوْلا نَصْرُكَ إيّايَ لَكُنْتُ مِنَ الْمَغْلوبِينَ، وَيا مَنْ وَضَعَتْ لَهُ الْمُلُوكُ نِيرَ الْمَذَلَّةِ عَلىٰ أَعْناقِها، فَهُمْ مِنْ سَطَواتِهِ خائِفُونَ، وَيا أَهْلَ التَّقْوىٰ، وَيا مَنْ لَهُ الأسْماءُ الْحُسْنىٰ.

... أسْأَلُكَ أنْ تَعْفُوَ عَنّي، وَتَغْفِرَ لِي، فَلَسْتُ بَريئاً فَأَعْتَذِرَ، وَلا بِذي قُوَّةٍ فَأَنْتَصِرَ، وَلا مَفَرَّ لِي فَأَفِرَّ.

---

(١) قريش: ٣ ـ ٤.

(إلهي ما وَجَدْتُكَ بَخيلاً...) واضح كلّ الوضوح. وقد تَقَدَّمَ أكثر من مرة، ومع هذا نلخصه بأنّي سألتك يا إلهي أنْ تسمع ندائي، وتقبل دعائي، وتحقق رجائي فاستجيب، وأعطيتني ما أردت، وزيادة، فوجب لك عليّ الوفاء، والْحَمْد، والثّناء والذّكر، والشُّكْر علىٰ نعمك الجلي، ولكن هيهات أنْ أقوم، وأُؤدي شكر نعمة واحدة مهما اجتهدت (فَنَجّني مِنْ سُخْطِكَ) علىٰ تقصيري في حقك.

(يا كَهْفي حينَ تُعْيِيني الْمَذاهِبُ...) عاد الإمام ﷺ إلىٰ ترداد نعم اَللّٰه عَلَيْهِ، وتعدادها، منها إنّه لا يجد ملجأ إلا اَللّٰه حين تشتد الأزمات، وتضيق الحلقات، ومنها أنّه تعالىٰ ستر ما فيه من عيب، ولم ينشره علىٰ الأشهاد، وأيضاً نصره علىٰ عدوه بعظيم الأجر في الآخرة، وخلود الذّكر في الدُّنْيَا من دونه (وَيا مَنْ وَضَعَتْ لَهُ الْمُلُوكُ نِيرَ الْمَذَلَّةَ عَلىٰ أعْنَاقِهَا...) أبداً لا ملوك، وسلاطين أمام قاصم ظهور الجبارين، ومبيد آثار اَلظَّالِمِينَ، ويستخلف مكانهم اَلْفُقَرَاء، وَاَلْمُسْتَضْعَفِينَ (وَيا أهْلَ التَّقْوىٰ) تخافة الخلائق، وتتقي غضبه، وعذابه (لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنىٰ) أحسنها، وأكملها (فَلَسْتُ بَرِيئاً فَأعْتَذِرَ) لا عذر بعد الإعذار، والإنذار (وَلا بِذي قُوَّةٍ فأَنْتَصِرَ) لا قوة لمخلوق إلا بخالقه، وكلنا نكرر ليل نهار: لا حول ولا قوه إلا بالله الواحد القهار. وَأسْتَقيلُكَ عَثَراتي، وَأتَنَصَّلُ إلَيْكَ مِنْ ذُنوبي الّتي قَدْ أوْبَقَتْني، وَأحَاطَتْ بي فأهْلَكَتْني؛ مِنْها إلَيْكَ رَبِّ تائِباً فَتُبْ عَلَيَّ، مُتَعَوِّذاً فَأعِذْني، مُسْتَجيراً فَلا تَخْذُلْني، سائِلا فَلا تَحْرِمْني، مُعْتَصِماً فَلا تُسْلِمْني، داعياً فَلا تَرُدَّني خائِباً. دَعَوْتُكَ يا رَبِّ مِسْكيناً مُسْتَكيناً مُشْفِقاً، خائِفاً وَجِلاً، فَقيراً، مُضْطَراً إلَيْكَ أشْكو إلَيْكَ يا إلهي ضَعْفَ

نَفْسي عَنِ الْمُسارَعَةِ فيما وَعَدْتَهُ أولِيَائَكَ، وَالْمجَانَبَةِ عَمَّا حَذَّرْتَهُ أعْداءَكَ، وَكَثْرَةَ هُمُومي، وَوَسْوَسَةَ نَفْسي. إلهي لَمْ تَفْضَحْني بِسريرَتي، وَلَمْ تُهْلِكْني بجَرِيرَتي؛ أدْعُوكَ فَتُجيبُني... وَإنْ كُنْتُ بَطيئاً حينَ تَدْعوني، وَأسْأَلُكَ كُلَّمَا شِئْتُ مِنْ حَوائِجي، وحَيْثُ ما كُنْتُ. وَضَعْتُ عِنْدَكَ سِرِيّ، فَلا أدعُو سِواكَ، وَلا أرْجو غَيْرَكَ؛ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ، تَسْمَعُ مَنْ شَكا إلَيْكَ، وَتَلْقي مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ، وَتُخلِّصُ مَنِ اعْتَصَم بِكَ، وَتُفَرِّجُ عَمَّنْ لاذَ بِكَ. إلهي فَلا تَحْرِمْني خَيْرَ الآخِرَةِ، وَالأُولىٰ لِقِلَّةِ شُكْري، وَاغْفِرْ لِي ما تَعْلَمُ مِنْ ذُنوبي، إنْ تُعَذِّبْ فَأنا الظَّالِمُ الْمُفَرِّطُ الْمُضَيِّعُ الآثِمُ الْمُقَصِّرُ الْمُضَجِّعُ الْمُغْفِلُ حَظَّ نَفْسي؛ وإنْ تَغْفِرْ فَأنْتَ أرْحَمُ الرَّاحِمينَ.

(وَأسْتَقيلُكَ عَثَراتي): أغفر لِي زلتي، وخطيئتي، وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء الثّاني والثّلاثين (وَأتَنَصَّلُ إلَيْكَ مِنْ ذُنوبي) أخرج منها بالندم، والاِعْتِرَاف، والتَّوْبَة، وطَلَب العفو (أوْبَقَتْني): أهلكتني، وتَقَدَّمَ في الدُّعاء الثّاني والأربعين (مُتَعَوِّذاً): معتصماً (مُسْتَكيناً): خاضعاً (أشْكو إلَيْكَ يا إلهي ضَعْفَ نَفْسي عَنِ الْمُسارَعَةِ...) وعدت يا إلهي بالجنان، والرّضوان أولياءك الّذين لا يجتنبون الموبقات، ونَفْسِي ـ لهمومها، ووسوستها ـ تضعف عن المسارعة إلىٰ ما أمرت، والمجانبة عما نهيت (فَنجني) من غضبك، وعذابك برحمتك، ومغفرتك لتباطيء، وتثاقلي (وَأسْأَلُكَ كُلَّمَا شِئْتُ مِنْ حَوائِجي....) وفوق ذٰلِكَ كلّه، ورغم معصيتي، وجرمي، وجريرتي ـ أسألك أنْ تقضي حوائجي بالكامل، لا لشيء إلا لثقتي، وإيماني، وعلمي، ويقيني بأنّه ليس كمثلك مسؤول، ولا سواك مأمول.

وكلّ من آمن بالله إيماناً لا يشوبه ريب، يسوغ له أنْ يخاطب اللّٰه بهذا المنطق

والأُسلوب، لأنّ الْمُؤْمِن يرجو رَحْمَة ربه حتّىٰ ولو رأىٰ العذاب وجهاً لوجه، بل وإنْ أدخله ٱلنَّار. أمّا الجاحد فقد قطع الطّريق هو بنفسه علىٰ نفسه، وٱختار لها سوء المصير بإعلانه الحرب علىٰ خالقه، ورازقه.

(تَسْمَعُ مَنْ شَكا إلَيْكَ) إنْ يك صادقاً في إيمانه (وَتَلْقي مَنْ تَوَكّلَ عَلَيْكَ) وسلم الأمر كلّه إليك، وإنْ غابت عنه حكمتك (فَلا تَحْرِمْني خَيْرَ الآخِرَةِ، وَالأُولىٰ ....) يا من لا ينقطع إحسانه حتّىٰ عن المفرط المضيع، والآثم المقصر «الْمُضَجَّعُ»: «المقصر، وتَقَدَّمَ في الدُّعاء التّاسع والأربعين.

الدُّعاء الثّاني والخمسون

دُعَاؤُهُ فِي الإلْحاحَ علىٰ ٱللّٰه

يا أللّٰهُ الَّذِي لا يَخْفىٰ عَلَيهِ شَيءٌ في الأرْضِ، وَلا في السَّمَاءِ، وَكَيْفَ يَخْفىٰ عَلَيْكَ يا إلهي ما أنْتَ خَلَقْتَهُ؟ وَكَيْفَ يَخْفىٰ عَلَيْكَ يا إلهي ما أنْتَ خَلَقْتَهُ؟ وَكَيفَ لا تُحْصي ما أنْتَ صَنَعْتَهُ؟ أوْكَيْفَ يَغيبُ عَنْكَ ما أنْتَ تُدَبِرُهُ؟ أوْكَيْفَ يَسْتَطيعُ أنْ يَهْرُبَ مِنكَ مَنْ لا حَيَاةَ لَهُ إلاَّ برِزْقِكَ؟ أوْكَيْفَ يَنْجُو مِنْكَ مَنْ لا مَذْهَبَ لَهُ في غَيْرِ مُلْكِكَ؟

سُبْحَانَكَ أخْشىٰ خَلْقِكَ لَكَ أعْلَمُهُمْ بِكَ، وَأخْضَعُهُمْ لَكَ أعْمِلُهُمْ بِطَاعَتِكَ؛ وَأهْوَنُهُمْ عَلَيكَ مَنْ أنْتَ تَرْزقُهُ، وَهُوَ يَعْبُدُ غَيْرَكَ.

سُبْحانَكَ لا يُنْقِصُ سُلْطَانَكَ مَنْ أشْرَكَ بِكَ، وَكَذَّبَ رُسُلَكَ؛ وَلَيْسَ يَسْتَطيعُ مَنْ كَرِهَ قَضَاءَكَ أنْ يَرُدَّ أمْرَكَ، وَلا يَمْتَنِعُ مِنْكَ مَنْ كَذَّبَ بِقُدْرَتِكَ، وَلا يَفُوتُكَ مَنْ عَبَدَ غَيْرَكَ، وَلا يُعَمرُ في الدّنْيا مَنْ كَرِهَ لِقاءَكَ.

(وَكَيْفَ يَخْفَىٰ عَلَيْكَ...) أحاط سبحانه علماً بكلّ شيء، لأنّه الخالق، والمدبر لكلّ شيء.

أتعصي الله في ملكه؟

(وَكَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَهْرُبَ مِنكَ مَنْ لا حَيَاةَ لَهُ إلاَّ برِزْقِكَ ؟ أَوْ كَيْفَ يَنْجُو مِنْكَ مَنْ لا مَذْهَبَ لَهُ في غَيْرِ مُلْكِكَ ؟) روي أنّ رجلاً تكررت منه المعاصي، وكلّما حاول التَّوْبَة، والإقلاع منها غلبته نفسه، فأتىٰ الحُسين سَيِّد ٱلشُّهَدَاء‌عليه السلام وقال له: «يا ابن رَسُول ٱللَّه أسرفت علىٰ نَفْسِي، فاعرض عليَّ ما يكون لها زاجراً، أو مستنقذاً. فقال الإمام‌عليه السلام: إنْ قبلت مِنّي خصلة من خمس خصال فقدرت عليها لم تضرك المعصية. قال الرّجل: ما هي يا ابن رَسُول ٱللَّه ؟.

١ ـ قال الإمام: إذا أردت أنْ تُعصي ٱللَّه جلّ وعزّ فلا تأكل من رزقه ؟

قال الرّجل: إذن أموت جوعاً.

قال الإمام: أيحسن بك أنْ تأكل رزقه، وتُعصي أمره ؟

قال الرّجل: هات الثّانية.

٢ ـ قال الإمام: إذا أردت أنْ تعصيه فلا تعصه في ملكه.

قال الرّجل: هَذِهِ أَعْظَمُ من تلك، كيف! ولله ملك السموات، وٱلأرْض ؟

قال الإمام: أيليق بك أنْ تأكل رزقه، وتسكن ملكه، وتعصيه ؟

قال الرّجل: أين الثّالثة ؟

٣ ـ قال الإمام: إذا أردت أنْ تعصيه، فاختر موضعاً لا يراك فيه.

قال الرّجل: أيش هذا؟ وهل تخفىٰ علىٰ ٱللَّه خافية ؟

قال الإمام: أتأكل رزقه، وتسكن أرضه، ثُمَّ تعصيه بمرأىٰ منه ؟ قال الرّجل:

والرّابعة ؟

٤ ـ قال الإمام: إذا جاءك ملك اَلْمَوْت ليقبض روحك، فقل له: أخرني حتّىٰ أتوب.

قال الرّجل: بقيت الخامسة.

٥ ـ قال الإمام: إذا جاء الزّبانية يَوْم اَلْقِيَامَة ليأخذوك إلىٰ جَهَنّم فلا تذهب معهم.

فقال الرّجل: حسبي، حسبي، يا ابن رَسُول اَللّٰه، أتوب إلىٰ اَللّٰه، ولن يراني بعد اليوم فيما يكره.

(سُبْحَانَكَ أَخْشىٰ خَلْقِكَ لَكَ أَعْلَمُهُمْ بِكَ) بنصّ اَلْقُرْآن اَلْكَرِيم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اَللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ اَلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ اَللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[1]... ﴿وَاَلرَّٰسِخُونَ فِى اَلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾[2]، وفي الحديث: «اَلْعُلَمَاء أُمناء اَللّٰه علىٰ خَلْقِهِ»[3]، وفيه إشعار بأنّ الدّين علم، وليس غيباً في غيب، وكفىٰ حتّىٰ الغيب فإنّه ينتهي إلىٰ العقل، ولا دين، ولا علم بلا عقل.

أطوع النّاس لله من لا يرىٰ نفسه مُطيعاً

(وَأَخْضَعُهُمْ لَكَ أَعْمِلُهُمْ بِطَاعَتِكَ) وأطلع النّاس لله تعالىٰ من لا يرىٰ نفسه مُطيعاً حتّىٰ وهو في أعلىٰ درجات الطّاعة، يتهم نفسه بالتّقْصِير، ويخاف من حساب اَللّٰه، وغضبه كما يرجو رَحْمَته، وعفوه، وهو غارق في المعصية إلىٰ أُذنيه.

(١) فاطر: ٢٨.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) أُنظر، مسند الشّهاب: ١/١٠٠ ح ١١٤ و ١١٥، الجامع الصّغير: ٢/١٩٠ ح ٥٧٠٠، كنز العمال: ١٠/١٣٤ ح ٢٨٦٧٥، كشف الخفاء: ٣/٦٥، شرح أُصول الكافي: ٩/٥٦ ح ١٤.

قال سَيِّد ٱلشُّهَدَاءﷺ في دُعَاء يَوْم عَرَفَة: «أنّ رجائي لا ينقطع عنك، وإنْ عصيتك كما أنّ خوفي لا يزايلني، وإنْ أطعتك... إلهي من كانت محاسنه مساوىء فكيف لا تكون مساوئه مساوىء؟ ومن كانت حقائقه دعاوي فكيف لا تكون دعاويه دعاوي؟»[١]. ولا تفسير لهذا الكلام إلا التّجرد أمام لله تعالىٰ من كلّ طاعة، وفضيلة، والانقطاع إلىٰ رَحْمَة ٱللَّه، وفضله حتّىٰ كأنّ العارف بالله لم يقم بأي جهد، بل، وأتىٰ بكلّ معصية، وهذي هي طريقة أهْل ٱللَّه، والعارفين بأنّها محبوبة لدية تعالىٰ حيث قال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[٢]... ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾[٣]. فهل نتعظ بمواعظ ٱللَّه، وَأَهْل ٱللَّه؟ ولكن الجاهل بجهله ميؤس منه. وهذا غاية الخذلان. ويأتي بعد أسطر من هذا الدُّعاء قول الإمام السّجادﷺ: «أَللَّهُمَّ إِنِّي أُصْبِحُ، وأُمْسِي مُسْتَقِلاً لِعَمَلي». أُنظر شرح الدُّعاء السّابع والأربعون فقرة خوف المُطيعين، والدُّعاء الرّابع والخمسون فقرة خوف الْعَابِدِينَ.

(وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيكَ مَنْ أَنْتَ تَرْزُقُهُ، وَهُوَ يَعْبُدُ غَيْرَكَ) في الحديث الشّريف: «لو كانت الدُّنْيا تعدل عند ٱللَّه جناح بعوضة ـ من الْخَيْر ـ ما سقىٰ منها كافراً شربة ماء»[٤]... «أغفل النّاس من لم يتعظ بتغير الدُّنْيا من حالٍ إلىٰ حال، وأَعْظَمْ النّاس في الدُّنْيا خطراً من لم يجعل للدُّنيا خطراً»[٥]. وقد تَقَدَّمَ أنّ الدُّنْيا المذمومة هي دُنيا الحرام، وأنّ الدّين، ودُنيا الحلال شيء واحد (لا يُنْقِصُ سُلْطَانَكَ....) لا تضرك

---

(١) أُنظر، إقبال الأعمال: ٣٣٩، بحار الأنوار: ٢٢٧/٩٥، كلمات الإمام الحُسينﷺ: ٨٠٥.

(٢) النّحل: ٢٣.

(٣) القصص: ٧٦.

(٤) أُنظر، الجامع الصّغير، ٤٣٧/٢ ح ٧٤٨٠، العهود المحمدية: ٥٤٨، كنز العمال: ١٩٥/٣ ح ٦١٣٢، فيض القدير شرح الجامع الصّغير: ٧٤/١ ح ١٤، كشف الخفاء: ١٨/١.

(٥) أُنظر، معاني الأخبار: ١٩٥، روضة الواعظين: ٤٤٢، الأربعون حديثاً للشهيد الأوّل: ٥٥.

معصية من عصاك، ولا تنفعك طاعة من أطاعك. وقد تَقَدَّمَ في الدُّعاء الخمسين.

سُبْحَانَكَ ما أَعْظَمَ شأْنَكَ، وَأَقْهَرَ سُلْطَانَكَ، وَأَشَدَّ قُوَّتَكَ، وَأَنْفَذَ أَمْرَكَ؛ سُبْحَانَكَ قَضَيْتَ عَلَىٰ جَمِيعِ خَلْقِكَ الْمَوْتَ؛ مَنْ وَحّدَكَ، وَمَنْ كَفَرَ بِكَ، وَكُلّ ذائِقُ الْمَوْتِ، وَكُلّ صائِرٌ إِلَيْكَ.

فَتَبَارَكْتَ، وَتَعالَيْتَ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، وَحْدَكَ لا شريكَ لَكَ، آمَنْتُ بِكَ، وَصَدَّقْتُ رُسُلَكَ، وَقَبِلْتُ كِتابَكَ، وكَفَرْتُ بِكُلّ مَعْبودٍ غَيْرِكَ، وبَرِئْتُ مِمنْ عَبَدَ سِواكَ.

أَللَّهُمَّ إِنّي أُصْبِحُ، وأُمْسي مُسْتَقِلاًّ لِعَمَلي، مُعْتَرِفاً بِذَنْبي، مُقِرّاً بِخَطاياي، أَنا بِإِسْرافي عَلَىٰ نَفْسي ذليلٌ، عَمَلي أَهْلَكَني، وهَوايَ أَرْداني، وشَهَواتي حَرَمَتْني.

(ما أَعْظَمَ شأْنَكَ): قدرك، قال سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[1]، والمُراد من التّعجب في قول الإمام ﷺ تقديسه تعالىٰ، وتنزيهه من الأشباه، والأضداد (وَكُلّ صائِرٌ إِلَيْكَ) بعد الْمَوْت للحساب، والجزاء، قال إفلاطون: «لو لم يكن معاد نرجو فيه الْخَيْرات لكانت الدُّنْيَا فرصة الأشرار، وكان القرد أَفْضَل من ٱلإنسَان»[2]. ومعنىٰ هذا أنّ البعث ليس لمجرد البعث بل ليسأل المرء عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله مما ٱكتسبه، وفيما أنفقه»؟[3] كما في

(١) الأنْعَام: ٩١.

(٢) أُنظر، جمهورية إفلاطون، البحث الخامس، (النّتيجة وخلود النّفس، وجزاء الفضيلة يَوْم الدينونة).

(٣) أُنظر، المعجم الْكبير: ١١ / ٨٤ ح ١١١٧٧، شرح الأخبار: ٢ / ٥٠٨ ح ٨٩٨، المعجم

الحديث الشّريف، وأيضاً معنىٰ هذا أنّ الآخرة ليست غيباً في غيب، بل هي إمتداد للحياة الدُّنْيَا: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾[1].

وما أدري ما يُفعل بي؟

(أَللَّهُمَّ إِنّي أُصْبِحُ، وأُمْسي مُسْتَقِلاًّ لِعَمَلي...) تَقَدَّمَ قبل قليل أنّ أطوع النّاس لله من لا يرىٰ نفسه مُطيعاً، وكانت هَٰذِهِ الجملة فيما ذكرنا من الدّلائل، والشّواهد علىٰ ذَٰلِكَ، ومعناها ما أنا براضٍ عن عملي، لأنّي لا أدري: هل ينجيني من غضب ٱللَّه، أو هو هباء، وضياع؟ وهكذا الْمُؤْمِن الْحَقّ يستقل الْخَيْر من قوله، وفعله، وإنْ كثر، ويستكثر الشّرّ منه وإنْ قل كما جاء في الدُّعاء العشرين علىٰ عكس الْمُؤْمِن الجاهل الزّائف يستكثر الْخَيْر منه وإنْ قل، ويستقل الشّرّ وإنْ كثر! ولما توفي الصّحابي الجليل عثمان به مظعون قالت امرأه من الأنصار: «رَحْمَة ٱللَّه عَلَيْكَ يا أبا السّائب. فشهادتي عَلَيْكَ لقد أكرمك ٱللَّه. فقال لها النّبيﷺ: وما يدريك أنّ ٱللَّه أكرمة؟ فقالت له: بأبي أنْتَ، وأُمّي يا رَسُول ٱللَّه!، فمن الَّذِي يكرمه ٱللَّه؟ فقال: أمّا هو فقد جاءه الْيَقِين، وٱللَّه وإنّي لأرجو له الْخَيْر. وٱللَّه ما أدري، وأنا رَسُول ٱللَّه ما يُفعل بي»[2]؟ وبهذا جاء نصّ الْقُرْآن ٱلْكَرِيم: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ

⇐ الأوسط: ٩/ ١٥٥ ح ٩٤٠٦، جامع الأخبار: ٤٩٩ ح ١٣٨٤، المناقب لابن المغازلي: ١٢٠ ح ١٥٧، فرائد السّمطين: ٢/ ٣٠١ ح ٥٥٧، أمالي الصّدوق: ٤٢ ح ٩، الخصال: ٢٥٣ ح ١٢٥، تحف العقول: ٥٦ مرسلاً، تنبيه الخواطر: ٢/ ٧٥، أمالي الطّوسي: ٥٩٣ ح ١٢٢٧، روضة الواعظين: ٥٤٩ مرسلاً.

(١) الإسراء: ٧٢.

(٢) أنظر، الكافي: ٤٩٥/٥، الدّر المنثور: ٤٣٦/٧، مسند أحمد: ٤٣٦/٦، صحيح البخاري: ٧١/٢.

وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[١].

وتسأل: كيف لا يدري النّبي ﷺ ما يُفعل به، وقد خاطبه سبحانه بقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[٢]، وغير ذٰلِكَ من الآيات؟.

الجواب: لا يسوغ لأحدٍ كائناً مَن كان أنْ يجرأ علىٰ القول من عنده، وتلقائه أنّ ٱللّٰه سيفعل به غداً، أو بغيره كذا، وكيت، لأنّه رَجمٌ بالغيب، وفي الآية: ﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾[٣]: وقال سبحانه حكاية عن خليله إبراهيم ﷺ: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾[٤]. وكلّ مؤمن يرجو ويطمع أنْ تشمله رَحْمَة ٱللّٰه، ومغفرته، لا علىٰ العلم، والْيَقِين بأنّه من أهْل الْجَنَّة إلا أنْ يبشره ٱللّٰه بها كالآيات الّتي تدل علىٰ مقام مُحمّد ﷺ، وعَظَمَته عند ٱللّٰه، أو يبشره النّبي بوحي من ٱللّٰه كأحاديث الفضائل، والمناقب في أهْل ٱلْبَيْت ﷺ، وبعض الصّحابة، وعَلَيْهِ يكون معنىٰ آية الإحقاف وما أدري ما يفعل بي، ولا بكم إلا ما علمني ربي، وقد أَعْلَم تبارك، وتعالىٰ حبيبه مُحمّداً بأنّه هو بالذات رَحْمَة لِّلْعَالَمِين أي هو الصّراط المستقيم إلىٰ جنات النّعيم.

... فأسْألكَ يا مَولاْيَ سُؤالَ مَنْ نَفْسُهُ لاهيَةٌ لِطُولِ أمَلِه، وبَدَنُهُ غافِلٌ لِسُكونِ عُروقِهِ، وقَلْبُهُ مَفْتُونٌ بِكَثْرَةِ النّعَمِ عَلَيْه، وفِكْرُهُ قَليلٌ لِما هوَ صائِرٌ إلَيْه.

... سُؤال مَنْ قد غَلَب عَلَيه الأمَلُ، وفَتَنَهُ الْهَوىٰ، واسْتَمْكَنَتْ مِنْهُ

---

(١) الاحقاف: ٩.
(٢) الفتح: ٢.
(٣) ص: ٦٢.
(٤) الشّعراء: ٨٢.

الدُّنيا، وأظَلَهُ الأجَل؛ سُؤال مَنِ اسْتَكْثَر ذُنوبَهُ، وَاعْتَرَفَ بِخَطيئَتِهِ؛ سُؤال مَنْ لا رَبَّ لَهُ غَيْرُكَ، وَلا وَلِيَّ لَهُ دُونَكَ، وَلا مُنْقِذَ لَهُ مِنْكَ، وَلا مَلْجأَ لَهُ مِنْكَ إلاَّ إلَيْكَ.

إلهي أسألُكَ بِحَقكَ الْواجِبِ عَلىٰ جَميعِ خَلْقِكَ، وَبِاسْمِكَ الْعَظيمِ الَّذِي أمَرْتَ رَسُولَكَ أنْ يُسَبحَكَ بِهِ، وَبِجَلالِ وَجْهِكَ الْكريمِ الَّذِي لا يَبْلىٰ، وَلا يَتَغَيَّر، وَلا يَحُولُ، وَلا يَفْنىٰ... أنْ تُصَلي عَلىٰ مُحَمدٍ وآلِ مُحمَّد، وَأنْ تُغْنيني عَنْ كُلِّ شَيءٍ بِعِبادَتِك، وَأنْ تُسلّي نَفْسي عَنِ الدُّنيا بِمَخافَتِكَ، وَأنْ تُثْنيني بالْكَثيرِ منْ كَرامَتِكَ بِرَحْمَتِكَ.

فَإلَيْكَ أفِرّ، وَمِنْكَ أخافُ، وَبِكَ أسْتَغيثُ، وإيّاكَ أرْجو، وَلَكَ أدْعو، وَإلَيْكَ ألجأُ، وَبِكَ أثِقُ، وَإيّاكَ أسْتَعينُ، وَبِكَ أومِنُ، وَعَلَيْكَ أتَوَكَّلُ، وعلىٰ جودك، وكَرَمِكَ أتّكِلُ.

(لِطُولِ أمَلِه) لا عمل بلا أمل، ولكن طوله ينسي الآخرة. أُنظر شرح الدُّعاء الأربعون فقرة الأمل. (وبَدَنُهُ غافِلٌ لِسُكونِ عُروقِهِ) كناية عن الكَسَل، والفرار من الجهد، والعمل (وقَلْبُهُ مَفْتُونٌ) مشغول بالمال، وتدبيره عن ٱللَّه، وأمره (وفِكْرُهُ قَليلٌ لِما هو صائِرٌ إلَيْهِ) قد شغلته دُنياه عن آخرته، لا يفكر إلا قليلاً (وأظَلَهُ الأجَل) دنا منه الْمَوْت، وألقىٰ ظله عَلَيْهِ، ولا مفر منه (سُؤال مَنِ اسْتَكْثَر ذُنوبَهُ...) تكرار لما سبقه من اللّهو، والسّهو، والفتنة، والغفلة، والتّمسك بالدُّنيا الدّنية (سُؤال مَنْ لا رَبَّ لَهُ غَيْرُكَ، وَلا وَلِيَّ لَهُ دُونَكَ، وَلا مُنْقِذَ لَهُ مِنْكَ، وَلا مَلْجأَ لَهُ مِنْكَ إلاَّ إلَيْكَ) هذا كلام من عرف ٱللَّه حقاً، وأنّه الأصل، والسّبب الأوّل، وأنّ الدُّنيا، والآخرة له وحده، فانقطع إليه، وتعلق به، ومثله تماماً قول أبيه سَيِّد ٱلشُّهَدَاء: «ما ذا وجد من فقدك؟ وما الَّذِي فقد من وجدك؟ لقد خاب من رضي دونك بدلاً، ولقد خسر

من بغىٰ عنك حولاً»[1].

(بِحَقِّكَ الْواجِبِ عَلىٰ جَميعِ خَلْقِكَ)، وحقه تعالىٰ هو ما ذكره الإمـام ﷺ بأنْ نؤمن، ونوقن بأنّه لا ربّ، ولا ولي، ولا منقذ، ولا ملجأ إلا هو، وأنْ نعمل بموجب هذا الإيْمَان.

الاسم الأعظم

(وَبِاسْمِكَ الْعَظيمِ...) ما من شك أنّ الإسم، أي ٱسم، كلمة تتألف من حروف ميتة لا فضل لحرف منها علىٰ حرف، وإنّما مكانها علواً، وانخفاضاً بمكان المعنىٰ الَّذِي تُعبر عنه، وتدل عَلَيْهِ، وٱللّٰه تبارك وتعالىٰ هو العلي الأعظم، وعَـلَيْهِ فكـلّ أسمائه الحسنىٰ بمنزلة سواء سمواً، وعلواً. ومع هذا قيل: هناك ٱسم للذات القُدسية هو أَعْظَمْ الأسماء، وأعلاها. ولكن لا دليل لهذا القول يركن إليه ـ فـيما قـرأتُ ـ والأقْرَب إلىٰ القبول ما رواه الفخر الرّازي عن الإمام جَعْفَر الصَّادِقﷺ فـي كِـتَاب جوامع البينات: «إنّ ٱلإنسَان إذا ذكر ٱسم ٱللّٰه ـ أي إسم كان ـ عند تعلق قلبه بغير ٱللّٰه لم ينتفع به، وإذا ذكره عند ٱنقطاع طمعه من غير ٱللّٰه كان ذٰلِكَ الإسم الأعظم».

وروىٰ الشّيخ القمي في سفينة البحار عن الإمـام الرّضـاﷺ:« إنّ بِسْـمِ ٱللّٰـهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ أقرب إلىٰ إسم ٱللّٰه الأعظم من سواد العين إلىٰ بياضها»[2]، ومعنىٰ هذا في واقعه أنّه لا إسم أَعْظَمْ من إسم، ولكن للفظ الجلالة «ٱللّٰه» مع ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ أثراً خاصاً. وهذا شيء، والإسم الأعظم من كلّ إسم شيء آخر.

(١) أُنظر، إقبال الأعمال: ٣٤٩، بحار الأنوار: ٢٢٦/٩٥.

(٢) أُنظر، مستدرك سفينة البحار: ٧٥/٩، بـحار الأنـوار: ٢٣٣/٨٩ ح ١٥، و: ٣٧١/٧٥ ح ٦، عيون الأخبار: ٥/٢، تفسير نور الثّقلين: ٨/١ ح ٢١، مسند الإمام الرّضا: ٣١٠/١.

الدُّعاء الثّالث والخمسون

دُعَاؤُهُ فِي التَّذَلُّل للهِ عَزَّ وَجَلّ

رَبِّ أَفْحَمَتْنِي ذُنُوبِي، وَانْقَطَعَتْ مَقَالَتِي، فَلاَ حُجَّةَ لِي، فَأَنَا الأَسِيرُ بِبَلِيَّتِي، الْمُرْتَهَنُ بِعَمَلِي، الْمُتَرَدِّدُ فِي خَطِيئَتِي، الْمُتَحَيِّرُ عَنْ قَصْدِي، الْمُنْقَطَعُ بِي.

قَدْ أَوْقَفْتُ نَفْسِي مَوْقِفَ الأَذِلاَّءِ الْمُذْنِبِينَ، مَوْقِفَ الأَشْقِيَاءِ الْمُتَجَرِّينَ عَلَيْكَ، الْمُسْتَخِفِّينَ بِوَعْدِكَ. سُبْحَانَكَ! أَيَّ جُرْأَةٍ اجْتَرَأْتُ عَلَيْكَ؟ وَأَيَّ تَغْرِيرٍ غَرَّرْتُ بِنَفْسِي!....

مَوْلاَيَ ارْحَمْ كَبْوَتِي لِحُرِّ وَجْهِي، وَزَلَّةَ قَدَمِي، وَعُدْ بِحِلْمِكَ عَلَى جَهْلِي، وَبِإِحْسَانِكَ عَلَى إِسَاءَتِي، فَأَنَا الْمُقِرُّ بِذَنْبِي، الْمُعْتَرِفُ بِخَطِيئَتِي، وَهَذِهِ يَدِي، وَنَاصِيَتِي، أَسْتَكِينُ بِالْقَوَدِ مِنْ نَفْسِي؛ ارْحَمْ شَيْبَتِي، وَنَفَادَ أَيَّامِي، وَاقْتِرَابَ أَجَلِي، وَضَعْفِي، وَمَسْكَنَتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي.

(رَبِّ أَفْحَمَتْنِيْ ذُنُوبِي...) واضح، وتَقَدَّمَ في الدُّعاء السّادس عشر، وغيره (قَدْ أَوْقَفْتُ نَفْسِي مَوْقِفَ الأَذِلاَّءِ الْمُذْنِبِينَ...) إذا أردت من اللّه حاجة فقف على بابه موقف الذّليل المنكسر، وقل: أمنن عليَّ من فضلك يا كريم، ولا طريق على الإطلاق إلىٰ فضله أنجح من هَذِهِ الطّريق، وتَقَدَّمَ في الدُّعاء الحادي والعشرين، وغيره (وَهَذِهِ يَدِيْ، وَنَاصِيَتِي) كناية عن التّسليم، والانقياد لحكمهِ تعالىٰ (أَسْتَكِينُ): أركع، وأخضع (بِالْقَوَدِ): بالقصاص (إِرْحَمْ شَيْبَتِي) في سفينة البحار عن رَسُول اللّه ﷺ: «إنّ اللّه ينظر في وجه الشّيخ الْمُؤمِن صباحاً، ومساءً، ويقول: يا عبدي كَبُرَ سنك، ودقَ عظْمك، ورقَ جلدك، وقَرُبَ أجلك، وحان قدومك عليّ، فاستح مِنّي، فأنا أستحي من شيبتك أنْ أعذبك بالنار»[1] أي أنّه تعالىٰ يرحم صاحب الشّيبة، ويرفق به، فعليه أنْ يرفق هو أيضاً بنفسه، ويرحمها بترك الذُّنُوب.

مَوْلاَيَ، وَارْحَمْنِي إِذَا انْقَطَعَ مِنَ الدُّنْيَا أَثَرِي، وَامَّحىٰ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ ذِكْرِي، وَكُنْتُ فِي الْمَنْسِيِّينَ، كَمَنْ قَدْ نُسِيَ.

مَوْلاَيَ، وَارْحَمْنِي عِنْدَ تَغَيُّرِ صُورَتِي، وَحَالِي إِذَا بَلِيَ جِسْمِي، وَتَفَرَّقَتْ أَعْضَائِي، وَتَقَطَّعَتْ أَوْصَالِيْ، يَا غَفْلَتِي عَمَّا يُرَادُ بِيَ.

مَوْلاَيَ، وَارْحَمْنِي فِي حَشْرِي، وَنَشْرِي، وَاجْعَل فِي ذَلِكَ الْيَومِ مَعَ أَوْلِيَائِكَ مَوْقِفِي، وَفِي أَحِبَّائِكَ مَصْدَرِي، وَفِي جِوَارِكَ مَسْكَنِي يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

(مَوْلاَيَ، وَارْحَمْنِي إِذَا...) حُملتُ إلىٰ زنزانة ضيقة، وموحشة، ومخيفة،

(١) أنظر، بحار الأنوار: ٧٠/٣٩٠ ح ١٢، جامع الأخبار: ١٠٧، مستدرك سفينة البحار: ١٠٦/٦.

ومظلمة، ينقطع فيها أثري، ويغيب خبري، وغريبة الغرائب أنْ نؤمن بهذا المـآب ولكن نذهل عنه عند العمل! فرحماك يا أرحم من اسْتُرْحم... ذهولنا، وعـقولنا، وقلوبنا، وكلّ جوارحنا بيدك، ولا نملك منها إلا ما ملكتنا، فمدّنا بِلُطْفِكَ، ووفقنا إلىٰ طَاعَتِكَ، وإليك نتوسل بك، وبحبيبك مُحمّد وآلِ مُحمّد صلواتك عَلَيْهِ، وعَلَيْهِمْ (وَارْحَمْنِي عِنْدَ تَغَيُّرِ صُـورَتِي) حـين تأكـل ٱلأرْض لحـمي، وتـطحن عـظمي (وَارْحَمْنِي فِي حَشْرِي، وَنَشْرِي) الحَشْر: الجَمع، والنّشر: الإحياء.

(وَاجْعَل فِي ذَلِكَ الْيَومِ...) للخلق يَوْم الْقِيَامَة موقف بين يـدي ٱللّـه تـعالىٰ للعرض، والحساب، وتقرير الثّواب، والعقاب، وبعده ينتشرون متفرقين مسرعين إلىٰ مقرهم الأخير، لكلّ حسب عمله، والإمام ﷺ يدعو ٱللّٰه سـبحانه أنْ يكـون موقفه غداً مع الأخيار لا مع الأشرار، وأنْ يأخذ طريقه بعد الحساب مع أحباء ٱللّٰه لا مع أعدائه، وأنْ يكون مقره الأخير فـي رَحْـمَة ٱللّـه، ونـعيمه لا فـي نـقمته، وجحيمه.

الدُّعاء الرّابع والخمسون

دُعَاؤُهُ فِي اسْتِكْشافِ الْهُمُومِ

يَا فَارِجَ الْـهَمِّ، وَكَـاشِفَ الغَـمِّ؛ يَـا رَحْـمٰنَ الدُّنْـيَا، وَالآخِـرَةِ، وَرَحِيمَهُمَا..... صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَافْرُجْ هَمِّي، وَاكْشِفْ غَمِّي.

يَا وَاحِدُ يَا أَحَدُ، يَا صَمَدُ، يَا مَنْ لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ..... اعْصِمْنِي، وَطَهِّرْنِي، وَأذْهِبْ بِبَلِيَّتِي.

بين الواقع، والخرافة

(يَا فَارِجَ الْهَمِّ، وَكَاشِفَ الغَمِّ... وَافْرُجْ هَمِّي، وَاكْشِفْ غَمِّي...) سبق القول، وتكرر أنّ ٱللّٰه يجري المسببات علىٰ أسبابها، والنّتائج علىٰ مقدماتها... وجـميع ظواهر الكون، وحالات ٱلإنسَان، والحيوان، والنّبات، تقوم علىٰ هـذا الأسـاس، علىٰ مبدإ العلة، ومعلولها، والمؤثر، وأثره بشهادة الحسّ، والبديهة، فالله سبحانه هو ٱلَّذِي أخرج يوسف ﷺ من الجب حيث قيّض له الرّكب فـي ٱلأرْض القـفر،

وأدلىٰ واردهم بدلوه، وعَلَيْهِ يكون معنىٰ «فَرِّجْ هَمِّيَ، وَاكْشِفْ غَمِّيَ» أنْ يسهل سبحانه لقائل هذا الدُّعاء أسباب الْفَرَج، ويكشف له عنها كي يسرع بدورة إليها، وينتهز الفرصة قبل فواتها.

وقد فرّق أهْل العلم، والوعي بين الواقع، والخرافة بأنّ من السّخافة، والخرافة أنْ نربط الحادثة بغير أسبابها، ونخرجها عن حدود العقل، والدّين، أمّا منطق الواقع فإنّه يرجع كلّ حادثة إلىٰ السّبب الَّذِي يتحكم بها...ولا خروج عن هذا المبدأ إلا في المعجزة الخارقة؛ لأنّها الوسيلة لإثبات نبوة الأنبياء حيث يقول سبحانه للشيء كن فيكون تماماً كما قال للنار: ﴿يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾[1].

وبعد، فإنّ ٱللّٰه سبحانه جعل الدُّنْيَا داراً للسباق، والجهاد لا للدُّعاء، والبكاء وكفىٰ: ولا للكدية، والتّسول، ولا للقرصنة، واللّصوصية، ولا للإتجار بالدّين وأكل أمْوَال الأيتام، والمشردين، وأيضاً ما خَلَق ٱللّٰه تعالىٰ ٱلإنسَان، وزوده بكلّ موهبة، وطاقة إلا للجهد، والعمل لا للبطالة، والكَسَل، ويحدثنا التّأريخ أنّ العديد من الأنباء، وٱلعُلَمَاء الكبار كانوا يكدحون في سبيل العيش. وقال بعض العارفين: «العمل من أجل العيال ساعتين أفْضَل من صلاة ركعتين».

أَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ سُؤَالَ مَنِ اشْتَدَّتْ فَاقَتُهُ، وَضَعُفَتْ قُوَّتُهُ، وَكَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، سُؤَالَ مَنْ لاَ يَجِدُ لِفَاقَتِهِ مُغِيثاً، وَلاَ لِضَعْفِهِ مُقَوِّياً، وَلاَ لِـذَنْبِهِ غَافِراً غَيْرَكَ.

يَا ذَا الْجَلاَلِ، وَالإكْرَام... أَسْأَلُكَ عَمَلاً تُحِبُّ بِهِ مَنْ عَمِلَ بِهِ، وَيَقِيناً

(١) الأنبياء: ٧٠.

تَنْفَعُ بِهِ مَنِ اسْتَيْقَنَ بِهِ حَقَّ الْيَقِينِ فِيْ نَفَاذِ أَمْرِكَ.

أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاقْبِضْ عَلَىٰ الصِّدْقِ نَفْسِي، وَاقْطَعْ مِنَ الدُّنْيَا حَاجَتِي، وَاجْعَلْ فِيمَا عِنْدَكَ رَغْبَتِي، شَوْقاً إِلَىٰ لِقَائِكَ، وَهَبْ لِي صِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ.

(مَنِ اشْتَدَّتْ فَاقَتُهُ...): حاجته، وتَقَدَّمَ في الدُّعاء الثّامن والأربعين، وغيره (أَسْأَلُكَ عَمَلاً تُحِبُّ بِهِ مَنْ عَمِلَ بِهِ) ونصّ الْقُرْآن الْكَرِيمِ علىٰ أنّ اللّه يُحِبُّ الْمحسِنِينَ، والتَّوَّابِينَ، والْمُتَطَهِّرِينَ، والْمُتَّقِين، والصَّابِرِينَ، والْمُتَوَكِّلِين، وَالْمُقْسِطِينَ ـ العادلين ـ (﴿الَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[1] (وَيَقِيناً تَنْفَعُ بِهِ مَنِ اسْتَيْقَنَ بِهِ...) المُراد باليقين هنا العلم الَّذِي يكون معه الخوف من اللّه سبحانه تماماً، كالخوف منه لو شاهده ورآه وجهاً لوجه، ومتىٰ بلغ الخوف هَٰذِهِ المنزلة لم يبق للعصيان سبيل، وإلىٰ هذا أشار الإمام عليه السلام بقوله: «فِيْ نَفَاذِ أَمْرِكَ» (وَاقْبِضْ عَلَىٰ الصِّدْقِ نَفْسِي) أي علىٰ الإخلاص في الإيْمَان بك، وفي العمل بموجبه. ولا شيء أثّر في نَفْسِي أكثر من دُعَاء سَيِّد الشُّهَدَاء عليه السلام: «لا تميتني علىٰ غضبك»[2]. (وَاقْطَعْ مِنَ الدُّنْيَا حَاجَتِي) أي من دُنيا الحرام، وإلا فالإنسان ابن الأرض، ولا غنىٰ له عنها.

(شَوْقاً إِلَىٰ لِقَائِكَ) قيل للنبي صلى الله عليه وآله: «كلّنا نكره الْمَوْت يا رَسُول اللّه! قال: ليس ذٰلِكَ كراهية الْمَوْت، ولكن الْمُؤْمِن إذا حضر جاءه البشير من اللّه بما هو صائر إليه، فليس شيء أحبّ إليه من أنْ يكون قد لقي اللّه، فأحبّ لقاء اللّه فأحبّ اللّه لقاءه،

---

(١) الصّف: ٤.

(٢) أُنظر، البحار: ٩٥/٢٢٠، كلمات الإمام الحُسين، للقرشي: ٧٩٧، حياة الإمام الحُسين، للقرشي: ١/١٧٣.

وإنّ الفاجر إذا حضر جاءه ما هو صائر إليه من الشرّ فكره لقاء اللّه فكره اللّه لقاءه»[١].

أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ كِتَابٍ قَدْ خَلَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كِتَابٍ قَدْ خَلَا؛ أَسْأَلُكَ خَوْفَ الْعَابِدِينَ لَكَ، وَعِبَادَةَ الْخَاشِعِينَ لَكَ، وَيَقِينَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ، وَتَوَكُّلَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكَ.

أَللَّهُمَّ اجْعَلْ رَغْبَتِي فِي مَسْأَلَتِي مِثْلَ رَغْبَةِ أَوْلِيَآئِكَ فِي مَسَائِلِهِمْ، وَرَهْبَتِي مِثْلَ رَهْبَةِ أَوْلِيَآئِكَ، وَاسْتَعْمِلْنِي فِي مَرْضَاتِكَ، عَمَلاً لاَ أَتْرُكُ مَعَهُ شَيْئاً مِنْ دِينِكَ مَخَافَةَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ.

أَللَّهُمَّ هَذِهِ حَاجَتِي، فَأَعْظِمْ فِيهَا رَغْبَتِي، وَأَظْهِرْ فِيهَا عُذْرِي، وَلَقِّنِي فِيهَا حُجَّتِي، وَعَافِ فِيْهَا جَسَدِيْ.

أَللَّهُمَّ مَنْ أَصْبَحَ لَهُ ثِقَةٌ، أَوْ رَجَآءٌ غَيْرُكَ، فَقَدْ أَصْبَحْتُ وَأَنْتَ ثِقَتِي، وَرَجَآئِي فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، فَاقْضِ لِيْ بِخَيْرِهَا عَاقِبَةً، وَنَجِّنِيْ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ الْمُصْطَفَىٰ، وَعَلَىٰ آلِهِ الطَّاهِرِينَ.

(أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ كِتَابٍ قَدْ خَلَا...) المُراد بالكتاب هنا ما سطر، وسجل فيه أعمال العباد، قال سبحانه: ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا﴾[٢] وخَلاَ: سبق، والمعنىٰ أسألك أنْ تقبل ما عملته من خيرٍ، وتعفو عما أرتكبته من شر.

---

(١) أُنظر، كنز العمال: ٥٦٦/١٥ ح ٤٢١٩٨، مسند أحمد: ١٠٧/٣، مجمع الزّوائد: ٣٢٠/٢، صحيح مسلم: ٦٥/٨، سنن النّسائي: ١٠/٤.

(٢) الإسراء: ٥٨.

خوف الْعَابِدِينَ

(أَسْأَلُكَ خَوْفَ الْعَابِدِينَ لَكَ، وَعِبَادَةَ الْخَاشِعِينَ لَكَ) في نهج البلاغة، وغيره من آثار أهْل آلبَيْت ﷺ: «إنّ قوماً عبدوا ٱللّٰه رغبةً فتلك عِبَادَة التّجار، وإنّ قوماً عبدوا ٱللّٰه رهبة فتلك عِبَادَة العبيد، وإنّ قوماً عبدوا ٱللّٰه شكراً فتلك عِبَادَة الأحرار»[1]. ومع ذٰلِكَ يرون أنفسهم مقصرين، ويحسون بالخوف منه تعالىٰ أنْ لا يقبل عبادتهم، فتلك عِبَادَة الأحرار، لأنّهم عرفوا الفضل فأكبروه، وقاموا بواجبه. والإمام ﷺ يسأل ٱللّٰه سبحانه أنْ يرزقه خوف الأحرار لا خوف العبيد أي الخوف من التَّقْصِير في حقّ ٱللّٰه لا من عقابه.

أمّا خشوع الْعَابِدِينَ فليس المُراد به هنا مجرد الخضوع، بل والإنقطاع إلىٰ ٱللّٰه، والتّعلق به وحده كأنْ لا شيء في الوجود سواه... وقد روىٰ الرّواة أنّ الإمام السّجاد ﷺ: «أنّه كان إذا توضّأ للصَّلاَة يصفرّ لونه، فقيل له: ما هذا [الَّذِي] نراه يغشاك عند الوضوء؟ فيقول: ماتدرون بين يدي من أُريد أنْ أقوم؟»[2]. وفي ذات يَوْم وقع حريق في بيته وهو ساجد، فجعلوا يقولون له: يا ابن رَسُول ٱللّٰه ٱلنَّار

(١) أُنظر، نهج البلاغة: ٤/٥٣، الحكمة (٢٣٧)، تحف العقول: ٢٤٦، نزهة النّاظر وتنبيه الخاطر: ٩٩، وسائل الشّيعة: ١/٦٣، بحار الأنوار: ٤١/١٤.

(٢) أُنظر، المناقب لابن شهرآشوب: ٤/١٤٨، ينابيع المودّة: ٣/١٠٥ طبعة أُسوة، و: ٤٥٣ طبعة أُخرىٰ، كفاية الطّالب: ٤٤٩، الإرشاد: ٢/١٤٢، سير أعلام النّبلاء: ٤/٢٣٨، الإتحاف بحبّ الأشراف: ٤٩، أخبار الدّول: ١٠٩ مع إختلاف يسير في اللّفظ. وأُنظر درر الأبكار: ورقة ٧٠، نهاية الإرب: ٢١/٣٢٦. وفي مختصر تأريخ دمشق: ١٧/٢٣٦ بلفظ «إذا توضّأ أصفرّ لونه: فيقول له أهله: ما هذا الَّذِي يغشاك؟ فيقول: أتدرون لمن أتاهب للقيام بين يديه» وأُنظر، طبقات ابن سعد: ٢١٦، حلية الأولياء لأبي نعيم الاصبهاني: ٣/١٣٣ علل الشّرايع للشيخ الصّدوق: ٨٨، الكافي بهامش مرآة العقول: ٣/١١٩.

ٱلنَّار، ياابن رَسُول ٱللّٰه ٱلنَّار ٱلنَّار، فما رفع رأسه حتّىٰ أُطفئت، فقيل له: ما ٱلَّذِي ألهاكَ عنها؟ فقال: ألهتني عنها ٱلنَّار الكبرىٰ[1]. أُنظر شرح الدُّعاء العشرون فقرة هذا هو الإمام السّجاد ﷺ، والدُّعاء التّاسع والأربعون فقرة هذا هو عليّ بْن الحُسين كالشَّمس.

(وَيَقِيْنَ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ، وَتَوَكُّلَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْكَ) والمُؤْمِن بالله حقاً المتوكل عَلَيْهِ يقيناً هو ٱلَّذِي تكون ثقته بأجر ٱللّٰه، وثوابه أشد، وأقوىٰ من ثقته، ويقينه بوجوده (أَللَّهُمَّ اجْعَلْ رَغْبَتِي فِي مَسْأَلَتِي مِثْلَ رَغْبَةِ أَوْلِيَآئِكَ...) وسيرة الإمام ﷺ، وعبادته شاهِدا صدقٍ، وعدلٍ أنّه سَيِّد الأولياء، وإمام الأتقياء، ولكن الخوف من التَّقْصِير شأن الكبار، والأحرار، كما أشرنا (وَاسْتَعْمِلْنِي فِي مَرْضَاتِكَ...) واضح، وتَقَدَّمَ في الدُّعاء السّادس عشر، وغيره (أَللَّهُمَّ هَذِهِ حَاجَتِي، فَأَعْظِمْ فِيهَا رَغْبَتِي) هَذِهِ إشارة إلىٰ مَرْضَاتِهِ تعالىٰ، وأَعْظِمْ رَغْبَتِي فيها: أحترمها، والمعنىٰ حاجتي لديك يا إلهي أنْ تثيبني علىٰ رَغْبَتِي في مَرْضَاتِكَ (وَأَظْهِرْ فِيهَا عُذْرِي) وأعذرني إذا سرت في العمل لوجهك، ومَرْضَاتِكَ.

(وَلَقِّنِي فِيهَا حُجَّتِي) ألهمني ما أقول في طَلَب مَرْضَاتِكَ، وعند تقصيري في العمل من أجلها (وَعَافِ فِيْهَا جَسَدِيْ) قوني علىٰ طَاعَتِكَ (أَللَّهُمَّ مَنْ أَصْبَحَ لَهُ ثِقَةٌ...) بك أثق، لا بسواك، إيّاكَ وحدك أرجو لأمر آخرتي، ودنياي. وتَقَدَّمَ في الدُّعاء الثّامن والأربعين، والثّاني والخمسين.

والْحَمْد لله، وحده، وأسأله تعالىٰ أنْ يقبل هذا العمل اليسير لوجهه ٱلْكَرِيمِ،

---

(١) أُنظر، تهذيب الكمال: ٢٠ / ٣٩٠، التّخويف من ٱلنّار لابن رجب الحنبلي: ٢٣، العدد القوية: ٦٣ ح ٨٥، مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٢٩٠، بحار الأنوار: ٤٦ / ٨٠، تأريخ مدينة دمشق: ٤١ / ٣٧٧.

كشكر علىٰ ما سدد، ووفق لتأليف الكاشف، والتّفسير المُبين، وفـي ظـلال نـهج البلاغة و... علماً بأنّ التّسديد لهذا ٱلْكِتَاب يستدعي آخر شكـراً عـلىٰ ٱلْكِـتَاب الشّاكر... إلىٰ ما لا نهاية لأنّ اللاحق إحسان جديد، وعتيد، وإنْ سميته شُكراً.

وصلّىٰ ٱللّه علىٰ سَيِّدنا مُحمّد رَسُول ٱللّه المصطفىٰ، وَآلِهِ الطّاهِرِينَ.